إتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الإملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء العاشر

دار الفكر

(كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي أنس بذكره المخلصون * ولهج بمحبته الصادقون * وفرح بحسن بلائه الراضون * أحمده حمدا يشرق اشراق النجوم * واستغفره مما تراكم على القلوب من الغموم * واستهديه لما يرضيه من اكتساب المعارف والفهوم * وأشهد أن لا اله الا الله محسن الاعمال بالنيات * ومزين الاحوال بأشعة التجليات * ومودع الخواطر من حكمه جواهر مضيئات * سبحانه من اله شرع لنا من الدين ما وصى به نوحا * وأطلع لنا من أفقه المحيط يوحا * وأفاض علينا من لذيذ شربه غبوقا وصبوحا * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى اصطفاه * ورسوله الذى اجتباه * وصفيه الذى اختاره وحباه * امام المخلصين * وعصمة أهل اليقين * وتاج هامة المتقين * الذى هدى به السبيل الاقوم * وبين به الطريق الاعدل الاحكم * وشد به عرى الدين فاستوثق واستحكم * صلى عليه وعلى آله بحور المعارف * وأصحابه كنوز اللطائف * صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه * وتحل صاحبها من الرضوان أوسع رحابه * وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما * وبعد فهذا شرح

(كتاب النية والاخلاص والصدق)

وهو السابع والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام * غوث الائمة الاعلام * قطب العلم والحال والمقام * الملقب بين الانام بحجة الاسلام * أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * أسكنه الله الفردوس الاعلى * وروى ثراه من الكوثر الاحلى * رفعت عن مخدرات عرائس أفكاره حجب الاستار * وأوضحت ما استكن فى ضمائر فوائده من الاسرار * حتى ظهر للمريدين سبيله * وصفا للواردين سلسبيله * وراق للشار بين زلاله * وامتدت للآئذين ظلاله * فدونك شرحا مفيدا يسدى الخير اليك * ويبين كل ما أشكل عليك * يفتح لك منه باب الفهم * ويخلصك من ورطة الوهم * ويرشدك الى الصواب * ويحصل لك جزيل

الثواب * والله تعالى أسأل العون والامداد * واياه أرجوا لتوفيق والسداد * انه الكافى الكفيل * وهو حسبي ونعم الوكيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) اذ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكره فهو أبتر كما ورد بذلك الخبر (نحمد الله حمد الشاكرين) أشار بالجملة الفعلية الى تجدد الحمد منه للمنعم فى كل آن بتجدد أنواع نعمه المتواترة فى كل شان والجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت احداهما الى الاخرى سواء أفاد أولا وفيما نحن فيه أفادت صدور الحمد من الحامدين للمحمود المطلق على كل حال والكلام فى حقيقة الحمد والشكر وما بينهما من النسب والاضافات قد تقدم بيانها فى صدر شرح كتاب العلم فلا نعيده (ونؤمن به ايمان الموقنين) أى ايمانا موصوفا باليقين كايمان من اتصف به على التعيين (ونقر بوحدانيته) مصدر الواحد الذى لا يصح عليه التجزى والتكثر (اقرار الصادقين) الذى طابق قولهم الضمير والمخبر عنه معا (ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين) أى مالكهم وحافظهم ومربيهم الى ان ينتهوا الى مرتبة الكمال اللائق بهم والعالم كل ما سواه من الجواهر فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده (وخالق السموات والارضين) أى وما بينهما والاقتصار فى الذكر عليهما اتباعا لما فى القرآن الحمد لله الذى خلق السموات والارض لانهما أعظم المحسوسات فى المشاهد (ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين) فى بساط حضرته قربا يليق بهم كما قال تعالى يشهده المقربون وذلك بحسب مقاماتهم ودرجاتهم كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم (أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به ولا يشاركون غيره فى عبادته والضمير فى قوله وما أمروا راجع الى الكفار من أهل الكتاب والمشركين عبدة الاصنام أى وما أمروا فى كتبهم بما فيها الا الاخلاص فى العبادة (فالله الا الدين الخالص المتين) يشير الى قوله تعالى ألا لله الدين الخالص والى قوله تعالى وذلك دين القيمة أى المستقيمة المتينة (فانه أغنى الاغنياء عن شركة المشاركين) كما جاء ذلك فى الحديث القدسى قال روى ابن جرير والبزار من حديث أبى هريرة قال الله عز وجل من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك (والصلاة) مع السلام (على نبيه) سيدنا (محمد سيد المرسلين) أى رئيسهم ومقدمهم (وعلى جميع) اخوانه من (النبيين) والمرسلين (وعلى آله الطيبين) فى أنفسهم (الطاهرين) عن الرذائل والادناس (أما بعد فقد انكشف لارباب القلوب) أى أهل الباطن (ببصيرة الايمان) بما قر فيهما من نوره (وأنوار القرآن) أى بما تجلى عليهما منها (ان لا وصول الى السعادة) الابدية التى لا شقاء بعدها (الا بالعلم) الذى هو الاصل الاعظم فى كل مقام من مقامات الايمان (والعبادة) التى يثمرها الحال المنتج عن العلم (فالناس كلهم هلكى) أى هالكون فى بحر الضلالة والجهل (الا العالمون) فبعلمهم يخلصون أنفسهم من هلاك الجهل (والعالمون كلهم هلكى) أى هالكون فى بحر الحيرة والدهش (الا العاملون) بمقتضى علومهم (والعاملون كلهم هلكى) فى بحر العجب والرياء (الا المخلصون) لله فى أعمالهم (والمخلصون) مع ذلك (على خطر عظيم) لا يدرون كيف يختم لهم خائفون من خفى مكر الله تعالى وهذا القول نسب الى سهل التسترى رحمه الله تعالى قال الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل أخبرنا الحسن بن محمد الخلال حدثنا محمد بن عبد الله الشيبانى قال سمعت عبد الكريم بن كامل يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى الا من عمل بعلمه قال وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ أخبرنا أبو أحمد الغطريفى حدثنا بكر بن أحمد ابن سعدويه قال قال سهل بن عبد الله رحمه الله الدنيا جهل وموت الا العلم والعلم كله حجة الا العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم به (فالعمل بغير نية) تصاحبه (عناء) أى تعب (والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء) أى مكافئ له وقرين (ومع العصيان سواء) أى فى مرتبة واحدة (والاخلاص من غير صدق وتحقيق) بان يطابق القول الضمير والمخبر عنه معا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد أن لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فالله الا الدين الخالص المتين فانه أغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين (أما بعد) فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وأنوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق

هباء وقد قال الله تعالى فى كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت

(هباء) وهو ما يرى فى ضوء الشمس من الذرات (وقد قال الله تعالى فى) شأن (كل عمل) صادر من العامل (وكان بارادة غير الله مشوبا مغمورا) أى مخلوطا (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) قال البيضاوى أى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى أسبابهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكنه نظمه أو تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (وليت شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص) أى يصير مخلصا (من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معانى النية والاخلاص فى ثلاثة أبواب الباب الاول فى) بيان (حقيقة النية ومعناها الباب الثانى فى) بيان (الاخلاص وحقائقه الباب الثالث فى) بيان (الصدق وحقيقته * الباب الاول فى النية وفيه بيان فضيلة النية) من الكتاب والسنة (و بيان حقيقة النية و بيان كون النية خيرا من العمل و بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس و بيان خروج النية عن الاختيار)

*(بيان فضيلة النية)

(قال الله تعالى) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعاتبا له (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) أى فى مجامع أوقاتهم أو فى طرف الليل والنهار (يريدون وجهه) أى رضاه وطاعته قال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثورى عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نستبق الى النبى صلى الله عليه وسلم ندنو اليه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فكان النبى صلى الله عليه وسلم هم بشئ فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وقال صاحب الحلية انا أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن شيرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن المقدام ابن شريح الحارثى عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر فقال المشركون اطرد هؤلاء عنك فانهم وانهم قال فكنت أنا وابن مسعود و رجل من هذيل و بلال و رجلان نسيت اسمهما قال فوقع فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه فانزل الله تعالى لا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (والمراد بتلك الارادة هى النية) أى ينوون بدعائهم وجه الله تعالى وحده (وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل الحسنى قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا على بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسنى ثنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أحمد بن على الحافظ أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنا محمد بن محمد بن ابراهيم أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم أخبرنا عبد الوهاب بن على وعبد الرحمن بن أحمد العمرى والمبارك بن معطوش قالوا أخبرنا هبة الله بن محمد أخبرنا محمد بن محمد بن ابراهيم البزاز أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعى أخبرنا عبد الله بن روح المدائنى ومحمد بن روح البزاز قالا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يحيى بن سعيد الانصارى عن محمد بن ابراهيم التيمى انه سمع علقمة ابن وقاص الليثى يقول سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره أخرجه الائمة الستة فأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة

شعرى كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معانى الصدق والاخلاص فى ثلاثة أبواب (الباب الاول) فى حقيقة النية ومعناها (الباب الثانى) فى الاخلاص وحقائقه (الباب الثالث) فى الصدق وحقيقته (الباب الاول فى النية) وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هى النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه

كلاهما

كلاهما عن يزيد بن هرون فوقع بدلالهما عاليا بدرجتين واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد
وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي وأخرجه البخاري وأبو داود من رواية الثوري ومسلم من طريق الليث
وابن المبارك وأبي خالد الاحمر وحفص بن غياث والترمذي من رواية عبد الوهاب الثقفي والنسائي من
طريق مالك وحماد بن زيد وابن المبارك وأبي خالد الاحمر وابن ماجه أيضا من رواية الليث عشرتهم عن يحيي
ابن سعيد الانصاري أورده البخاري في سبع مواضع من صحيحه في بدء الوحي والايمان والنكاح والهجرة
وترك الحيل والعتق والنذور ومسلم في الجهاد وأبو داود في الطلاق والنسائي في الايمان وابن ماجه في الزهد
وهذا الحديث من افراد الصحيح لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من حديث عمر ولا عن عمر الا من
رواية علقمة ولا عن علقمة الا من رواية محمد بن ابراهيم التيمي ولا عن التيمي الا من رواية يحيي بن سعيد
الانصاري قال أبو بكر البزار في مسنده لانعلم يروى هذا الكلام الا عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا الاسناد وقال الخطابي لا أعلم خلافا بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسندا عن النبي صلى
الله عليه وسلم الا من رواية عمر اه هذا هو المشهور وقد روى من طرق أخرى غير طريق عمر وفي كل منها
مقال منها من طريق أبي سعيد الخدري رواه الدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك والخطابي
في معالم السنن من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن
يسار عن أبي سعيد وهو غلط من أبي رواد قاله الدارقطني ومنها من طريق أبي هريرة رواه الرشيد العطار
في بعض تخاريجه وهو وهم أيضا ومنها من طريق أنس رواه ابن عساكر من رواية يحيي بن سعيد عن
محمد بن ابراهيم عن أنس وقال هذا حديث غريب جدا والمحفوظ حديث عمر اه والمحفوظ من حديث
أنس ما رواه البيهقي من رواية عبد الله بن المثنى الانصاري قال حدثني بعض أهل بيتي عن أنس فذكر
حديثا فيه انه لاعمل لمن لانية له الحديث ومنها من طريق علي رواه محمد بن ياسر الجياني في نسخته من طريق
أهل البيت اسنادها ضعيف وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم ان موسى بن عقبة رواه
عن نافع وعلقمة وأما من تابع يحيي بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه
ابن سعيد عن محمد بن ابراهيم أورده في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد وقال انه غلط فيه وانما هو عن يحيي بن
سعيد لا عبد ربه بن سعيد وذكر الدارقطني أنه رواه حجاج بن ارطاة عن محمد بن ابراهيم وأنه رواه سهل
ابن صقير عن الدراوردي وابن عيينة وأنس بن عياض عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن ابراهيم
ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة وغيرهم عن يحيي بن سعيد وقال النووي هو حديث مشهور بالنسبة
الى آخره غريب بالنسبة الى أوله قال وليس متواترا لفقد شرط التواتر في أوله رواه عن يحيي بن سعيد
أكثر من مائتي انسان أكثرهم أئمة ثم ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام حتى قيل فيه انه ثلث
العلم وقيل ربعه وقيل خمسه وكونه ثلث العلم روى عن الشافعي وأحمد وكونه ربعه روى عن أبي داود
وروى عنه أيضا كونه خمسه قال ابن دقيق العيد لا بد من حذف المضاف واختلف الفقهاء في تقديره
فالذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال بالنيات أو ما يقاربه والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال
بالنيات أو ما يقاربه وقد رجح الاول بان الصحة أكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى قال وقد
يقدرونه انما اعتبار الاعمال بالنيات وقال قاضي القضاة الحنفية شمس الدين السروجي في شرح
الهداية ان التقدير ثواب الاصحتها لانه الذي يطرد فان كثيرا من الاعمال يوجد ويعتبر شرعا بدونها ولان
اضمار الثواب متفق على ارادته لانه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس فكان ماذهبنا
اليه أقل اضمارا فهو أولى ولان اضمار الجواز والصحة يؤدي الى نسخ الكتاب بخبر الواحد وهو ممتنع
ولان العامل في قوله بالنية مقدر باجماع النحاة ولا يجوز ان يتعلق بالاعمال لانها رفع بالابتداء فيبقى بلا
خبر فلا يجوز فالمقدر اما مجزئة أو صحيحة أو مثيبة ومثيبة أولى بالتقدير لوجهين أحدهما ان عند عدم

النية لا يبطل أصل العمل وعلى اضمار الصحة والاجزاء يبطل فلا يبطل بالشك الثانى ان قوله ولكل امرئ مانوى يدل على الثواب والاجر لان الذى له انما هو الثواب وأما العمل فعليه انتهى وهذا قد رده الزين العراقى فى شرح التقريب وقال فيه نظر من وجوه أحدها انه لاحاجة الى اضمار محذوف من الصحة أو الكمال أو الثواب اذ الاضمار خلاف الاصل وانما المراد حقيقة العمل الشرعى فلا يحتاج حينئذ الى اضمار وأيضا فلابد من اضمار شئ يتعلق به الجار والمجرور فلا حاجة لاضمار مضاف لان تعليل الاضمار أولى فيكون التقدير انما الاعمال وجودها بالنية ويكون المراد الاعمال الشرعية والثانى ان قوله ان تقدير الثواب أقل اضمارا لانه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس فلا نسلم ان فيه تقليل الاضمار لان المحذوف واحد ولا يلزم من تقدير الصحة تقدير ما يترتب على نفيها من نفى الثواب ووجوب الاعادة وغير ذلك فلا يحتاج الى ان يقدر انما صحة الاعمال والثواب وسقوط القضاء مثلا بالنية بل المقدر واحد وان ترتب على ذلك الواحد شئ آخر فلا يلزم تقديره والثالث ان قوله ان تقدير الصحة يؤدى الى نسخ الكتاب بخبر الواحد فان أراد به ان الكتاب دال على صحة العمل بغير نية لكون النية لم تذكر فى الكتاب فهذا ليس بنسخ وأيضا فالثواب مذكور فى الكتاب فى العمل ولم تذكر النية على ان الكتاب ذكرت فيه نية العمل فى قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا القصد هو النية ولو سلم له ان فيه نسخ الكتاب بخبر الواحد فلا مانع من ذلك عند أكثر أهل الاصول والرابع ان قوله ان تقدير الصحة يبطل العمل ولا يبطل الشك ليس بجيد بل اذا تيقنا شغل الذمة بوجوب العمل لم نسقطه بالشك ولا تبرأ الذمة الا بتعيين فحمله على الصحة أولى لتيقن البراءة به والخامس ان قوله ان الذى له انما هو الثواب وأما العمل فعليه والاحسن فى التقدير ان لا يقدر حذف مضاف فانه لاحاجة اليه ولكن يقدر بشئ يتعلق به الجار والمجرور فانه لابد من تقديره كما تقدم فتقديره انما الاعمال وجودها بالنية ونفى الحقيقة أولى والمراد نفى العمل الشرعى وان وجد صورة الفعل فى الظاهر فليس بشرعى عند عدم النية والله أعلم اهـ (وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش) أى الذين يموتون على فرشهم ولهم نية جميلة فى طلب الشهادة (ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته) قال العراقى رواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة اهـ قلت ورواه كذلك الحكيم فى النوادر ولفظهما ان أكثر شهداء أمتى لاصحاب الفرش والباقى سواء (وقال) الله (تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق) ولفظ القوت فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبى هريرة ولفظهم ولكن انما ينظر والباقى سواء ورواه كذلك أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وابن عساكر من حديث أبى امامة ورواه هناد فى الزهد عن الحسن مرسلا ورواه الحكيم عن يحيى بن أبى كثير مرسلا بلفظ ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ورواه الطبرانى من حديث أبى مالك الاشعرى بلفظ ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى احسابكم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما أنتم بنو آدم وأحبكم الى أتقاكم وقد تقدم (وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول) لهم (القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه) كذا فى القوت قال العراقى رواه الدارقطنى من حديث أنس باسناد حسن قلت وهو فى كتاب الاخلاص لابن أبى الدنيا من طريق أبى عمران الجونى قال بلغنا ان الملائكة تصف بكتبها فى السماء الدنيا فى كل عشية بعد العصر فينادى الملك

وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتى أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه

ا كتب لفلان بن فلان كذا وكذا فيقول يارب انه لم يعمله فيقول انه نواه انه نواه (وقال صلى الله عليه وسلم الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى كبشة الانمارى بسند جيد بلفظ مثل هذه الامة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذى بزيادة فى أوله وفيه انما الدنيا لاربعة نفر وقال حسن صحيح اهـ قلت لفظ ابن ماجه مثل هذه الامة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا فهو يعمل بعلمه فى ماله ينفقه فى حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا وهو يقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط فى ماله ينفقه فى غير حقه ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا وهو يقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل فهما فى الوزر سواء وهكذا رواه أيضا أحمد وهناد والطبرانى والبيهقى (ألا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه) ولفظ القوت ألا ترى كيف شركه بحسن النية فى محاسن عمله وشركه الآخر بسيئ النية فى مساوى عمله (وكذلك فى حديث أنس بن مالك) رضى الله عنه (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية) كذا فى القوت قال العراقى رواه البخارى مختصرا وأبو داود اهـ قلت رواه البخارى مختصرا بلفظ ان أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا فيه حبسهم العذر وأما لفظ أبى داود ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم فيه قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر ورواه كذلك أحمد وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان كلهم من حديث أنس ورواه أيضا عبد بن حميد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر بلفظ ان بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا الا شركوكم فى الاجر حبسهم العذر وقوله فشركونا بحسن النية هكذا هو فى القوت وفى بعض نسخ الكتاب فشركوا بحسن النية وهذا يشعر بانه ليس من بقية الحديث بل هو من عند المصنف (وفى حديث ابن مسعود) رضى الله عنه (من هاجر يبتغى شيأ فهوله فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس) كذا فى القوت قال العراقى رواه الطبرانى باسناد جيد قلت وقال فى شرح التقريب ما اشتهر بين الشراح لهذا الحديث ان سببه قصة مهاجر ام قيس رواه الطبرانى فى المعجم الكبير باسناد رجاله ثقات من رواية الاعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فابت ان تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس ثم قال ولم يسم أحد ممن صنف فى الصحابة هذا الرجل الذى ذكر وانه كان يسمى مهاجر أم قيس فيما رأيته من التصانيف وأما أم قيس المذكورة فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية ان اسمها قيلة فالله أعلم اهـ قلت وقال الحافظ فى ترجمة أم قيس من الاصابة ما لفظه غير منسوبة أخرج ابن منده وأبو نعيم من طريق اسمعيل بن عصام بن يزيد قال وجدت فى كتاب جدى يزيد الذى يقال له جبر حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فابت ان تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس قال ابن مسعود من هاجر لشئ فهوله قال أبو نعيم تابعه عبد الملك الذمارى عن سفيان ثم ذكر أم قيس الهذلية وقال قال أبو موسى أوردها جعفر ولم يخرج لها شيأ قال الحافظ أخشى ان تكون هى التى قبلها فان ابن مسعود يقول فى مهاجر أم قيس رجل منا وابن مسعود هذلى فالرجل هذلى فكان أم قيس المخطوبة أيضا هذلية (وكذلك جاء فى الخبران رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل

وقال صلى الله عليه وسلم الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء ألا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه وكذلك فى حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفى حديث ابن مسعود من هاجر يبتغى شيأ فهوله فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس وكذلك جاء فى الخبر ان رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل

على ذلك فاضيف الى نيته) كذا فى القوت وقال العراقى لم اجده أصلا فى الموصولات وانما رواه أبو اسحق الفزارى فى السير من وجه مرسل (وفى حديث عبادة) بن الصامت رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غزا) فى سبيل الله (وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى) رواه أحمد والدارمى والنسائى والرويانى وابن حبان والطبرانى والحاكم والبيهقى والضياء وقد تقدم غير مرة (وقال أبى) بن كعب رضى الله عنه (استعنت رجلا يغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له) كذا فى القوت قال العراقى رواه الطبرانى فى مسند الشاميين ولابى داود باسناد جيد من حديث يعلى بن أمية انه استأجر أجيرا للغزو وسمى ثلاثة دنانير فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما أجد له فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة الا دنانيره التى سمى اهـ قلت وحديث يعلى أخرجه كذلك الحاكم ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عوف بن مالك (وفى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة) أى زمن قحط أصاب الناس به الجوع (فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس) قال (فاوحى الله تعالى الى نبيهم) فى ذلك الزمان (ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به) نقله صاحب القوت وهو فى كتاب الاخلاص لابن أبى الدنيا من طريق اسمعيل بن أبى خالد قال أصابت بنى اسرائيل مجاعة فمر رجل على رمل فقال وددت هذا الرمل يكون دقيقا لى حتى أطعمه بنى اسرائيل فاعطاه الله على نيته (وقد ورد فى أخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة) رواه أحمد من حديث أبى هريرة بزيادة فان عملها كتبت له بعشر امثالها الى سبعمائة وسبع امثالها ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فان لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة وقال العراقى متفق عليه وقد تقدم (وفى حديث عبد الله بن عمرو) بن العاص رضى الله عنهما (من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت باسناد جيد دون قوله وفارقها ارغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهد ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو اهـ قلت حديث زيد بن ثابت هذا جاء بالفاظ مختلفة منها عند ابن عساكر بلفظ من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وشتت الله عليه ضيعته ولا يأتيه منها الا ما كتب له ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه فى قلبه ويكف عليه ضيعته وتأتيه الدنيا وهى راغمة وعند الطيالسى وابن ماجه والطبرانى بلفظ من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له وقد روى هذا أيضا من حديث أنس بلفظ من كانت نيته طلب الدنيا شتت الله عليه أمره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته منها الا ما كتب له ومن كانت نيته طلب الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة هكذا رواه ابن أبى حاتم فى الزهد وعند هناد والترمذى بلفظ من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له وهذا اللفظ قد رواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس ولم ار ذلك فى حديث عبد الله ابن عمرو فى شئ من الكتب والذى يظهر لى انه تصحف على النساخين فى كتاب القوت وتبعه المصنف ويكون المراد عبد الله بن عمر لا عبد الله بن عمرو فقد روى الحاكم من حديث ابن عمر ما يقرب سياقه مما تقدم وهو من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ومن تشاعبت به الهموم لم يبال الله فى أى أودية الدنيا هلك والله أعلم (وفى حديث ام سلمة) رضى الله عنها (ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء) الصحراء بين مكة والمدينة (فقلت يارسول الله يكون فيهم المكره والاجير

على ذلك فاضيف الى نيته وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى وقال أبى استعنت رجلا يغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروى فى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم أن قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد فى أخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفى حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها وفى حديث أم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يارسول الله يكون فيهم المكره والاجير

فقال يحشرون على نياتهم) كذا في القوت قال العراقي رواه مسلم وأبو داود وقد تقدم اه قلت ورواه ابن
أبي شيبة والطبراني والحاكم بلفظ يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام الحديث وفيه فيأتيهم جيش
من الشام حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم الحديث (وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات) كذا في القوت قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
الاخلاص والنية باسناد ضعيف بلفظ انما يبعث ورويناه في فوائد تمام بلفظ انما يبعث المسلمون على النيات
ولابن ماجه من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اه قلت
ورواه ابن عساكر أيضا بلفظ انما يبعث المقتتلون على النيات وروى أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ
يبعث الناس على نياتهم بدون انما (وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب
الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الافلا تقولوا فلان قتل في سبيل
الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) كذا في القوت قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد
موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففي الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله اه قلت وحديث أبي موسى رواه كذلك أحمد والاربعة أصحاب السنن وروى
الطبراني والحاكم من حديث فضالة بن عبيد من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة
رباط أو حج أو غير ذلك (وعن جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه) قال العراقي رواه مسلم قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن ماجه
وابن حبان والحاكم ورواه أيضا الطبراني والبغوي والحاكم في الكنى من حديث زيد بن حارثة ورواه
الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر وعند ابن حبان في حديث جابر زيادة المؤمن على ايمانه والمنافق
على نفاقه (وفي حديث الاحنف) بن قيس التميمي له رواية (عن أبي بكرة) نفيع بن الحرث الثقفي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي
بلفظ اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار قيل يارسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ورواه ابن ماجه والطبراني من حديث
أبي موسى وفي لفظ لابن ماجه من حديث أبي بكرة اذا التقى المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح
فهما على حرف جهنم فاذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعا وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وابن أبي
شيبة ومسلم اعلم ان البخاري روى هذا الحديث في عدة مواضع من صحيحه ففي الايمان حدثنا عبد الرحمن
ابن المبارك حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الاحنف قال ذهبت لانصر هذا
الرجل فلقيني أبو بكرة فقال أين تريد قلت أنصر هذا الرجل قال ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت يارسول الله هذا القاتل فما
بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وأخرجه في الفتن عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الوهاب
عن حماد بن سلمة عن رجل لم يسمه عن الحسن عن أبي بكرة وقال أيضا حدثنا سليمان حدثنا حماد بن
زيد عن أيوب ويونس عن الحسن عن الاحنف وأنكر يحيى بن معين والدارقطني سماع الحسن عن
أبي بكرة وقال الدارقطني بينهما الاحنف قال وكذا رواه هشام بن زياد بن المعلى عن الحسن عن الاحنف
وذهب غيرهما الى صحة سماعه من أبي بكرة واستدل بما أخرجه البخاري في الفتن في باب قول النبي صلى الله
عليه وسلم ان ابني هذا سيد من طريق سفيان عن اسرائيل وفيه قال الحسن ولقد سمعت أبا بكرة قال بينما
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الحديث قال البخاري قال علي بن المديني انما صح عندنا سماع الحسن من
أبي بكرة بهذا الحديث وقال أبو الوليد الباجي المراد بالحسن هنا هو ابن علي بن أبي طالب لا البصري قلت

فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن أبي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه

وكلام أبي الوليد هذا مردود ساقط يأباه سياق الحديث كما هو ظاهر عند من تأمله قال الحافظ في الفتح وكان الاحنف أراد أن يخرج بقومه الى علي بن أبي طالب ليقاتل معه يوم الجمل فنهاه أبو بكرة فرجع وحمل أبو بكرة الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسما للمادة والا فالحق انه محمول على ما اذا كان القتال بينهما بغير تأويل سائغ وقد رجع الاحنف عن رأي أبي بكرة في ذلك وشهد مع علي باقي حروبه اهـ واختلف العلماء في القتال في الفتنة فمنع بعضهم القتال فيها وان دخلوا عليه عملا بظاهر هذا الحديث وهو مذهب أبي بكرة وغيره من الصحابة وقال عمران بن الحصين وابن عمر لا يدفعها فان قصدوه دفع عن نفسه وقال معظم الصحابة والتابعين وغيرهم يجب نصر الحق وقتال الباغين وهو الصحيح قال العيني وتتأول أحاديث المنع على من لا يظهر له الحق أو على عدم التأويل لواحد منهما ولو كان كما قال الاول لظهر الفساد والحق الذي عليه أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة وحسن الظن بهم والتأويل لهم وانهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا فمنهم المخطئ في اجتهاده والمصيب وتوقف الطبري وغيره في تعيين المحق منهم وصرح بالتعيين الجمهور وقالوا ان عليا رضي الله عنه وأشياعه كانوا مصيبين والله أعلم وقوله انه كان حريصا على قتل صاحبه قال بعض العلماء وفي هذا حجة للباقلاني ومن تبعه ان العزم على الذنب والعقد على حله معصية بخلاف الهم المعفو عنه وللمخالف ان يقول هذا فعل أكثر من العزم والمواجهة والقتال وقال النووي الصحيح الذي عليه الجمهور ان من نوى المعصية وأصر عليها يكون آثما وان لم يعملها ولا تكلم وقال العيني التحقيق ان من عزم على معصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ولهذا جاء بلفظ الحرص فيه ويحمل ما وقع من نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به وفي الحديث الآخر اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه على ان ذلك فيما لم يوطن نفسه عليها وانما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم وان عزم تكتب سيئة واحدة فان عملها كتبت معصية ثانية اهـ (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله عنه (من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادّان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق) كذا في القوت قال العراقي رواه أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصرا على قصة الدين دون ذكر الصداق وفي سنده اضطراب اهـ قلت حديث صهيب عند ابن عساكر بلفظ من تزوج امرأة ومن نيته ان يذهب بصداقها لقي الله وهو زان حتى يتوب ومن ادّان دينا وهو يريد ان لا يفي به لقي الله سارقا حتى يتوب رواه هكذا عن صيفي بن صهيب عن أبيه ورواه ابن النجار والرافعي في تاريخيهما بلفظ من تزوج امرأة بصداق لا يريد ان يؤديه جاء يوم القيامة زانيا ومن تسلف مالا يريد ان لا يؤديه جاء يوم القيامة سارقا ورواه البيهقي في الشعب بلفظ من تزوج امرأة ثم مات وهو لا ينوي أن يعطيها مهرها مات وهو زان ومن استقرض من رجل قرضا ثم مات وهو لا ينوي ان يعطيه مات وهو سارق وقد روي الحديث أيضا من طريق ميمون بن جابان الكردي عن أبيه رفعه من تزوج امرأة وهو ينوي ان لا يعطيها الصداق لقي الله وهو زان رواه ابن منده وأما قصة الدين فقد رويت من حديث أبي امامة وميمونة أخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي امامة من ادّان دينا وهو ينوي ان يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة ومن استدان دينا وهو لا ينوي ان يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت اني لا آخذ لعبدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه وأخرج الطبراني من حديث ميمونة من ادّان دينا ينوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة وفي لفظ له وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله عليه وأخرجه ابن ماجه بلفظ من ادّان دينا ينوي قضاءه كان معه عون من الله على ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة) نقله صاحب القوت وقال رويناه في خبر مقطوع قال العراقي رواه أبو الوليد الصفار في

وفي حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة

كتاب الصلاة من حديث عبد الله بن أبي طلحة مرسلا قال صاحب القوت وليس الطيب من البر المأمور
به ولا من الاثم المنهي عنه وانما الصاحبه منه نيته فان كانت نيته اتباع السنة واظهار النعمة كان بذلك
مطيعا وكان له ثواب مانواه وان تطيب لغير ذلك كان به عاصيا لاتباعه هواه (وأما الآثار فقد قال عمر
رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ماافترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله
تعالى) نقله صاحب القوت (وكتب سالم بن عبد الله) بن عمر بن الخطاب أبو عمر أو أبو عبد الله أحد الفقهاء
السبعة وكان ثبتا عابدا فاضلا وكان يشبه بأبيه في الهدى والسمت وروى له الجماعة مات في آخر سنة بعد المائة
على الصحيح (الى عمر بن عبد العزيز) الاموي رحمه الله تعالى وكان قد كتب اليه يستنصحه فكتب اليه (اعلم
ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره) كذا في القوت
وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن يحيى الازدي حدثنا سعيد
ابن سليمان وقرأته عليه حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن مجبر حدثنا موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن
عمر ان عمر بن عبد العزيز كتب اليه من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين الى سالم بن عبد الله سلام
عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله ابتلاني بما ابتلاني من أمر هذه الامة من غير
مشاورة مني فيها ولا طلبة مني لها الا قضاء الرحمن وقدره فاسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الامة بما ابتلاني
به ان يعينني على ولائي وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن موازرة وان يرزقهم مني الرأفة والمعدلة فاذا
أتاك كتابي هذا فابعث الي بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد فاني متبع أثر
عمر وسيرته ان أعانني الله على ذلك والسلام فكتب اليه سالم بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من سالم بن
عبد الله بن عمر الى عبد الله عمر أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان
الله خلق الدنيا وما أراد وجعل لها مدة قصيرة وكان ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ثم قضى عليها وعلى
أهلها الفناء فقال كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا يقدر منها أهلها على شئ حتى تفارقهم
ويفارقونها أنزل بذلك كتابه وبعث به رسله وشرع فيه دينه وانك اليوم يا عمر قد وليت أمرا عظيما ليس
يليه عليك أحد دون الله قد أفضى فيما بينك وبين الخلائق فان استطعت ان تغنم نفسك وأهلك فافعل
ولا حول ولا قوة الا بالله فانه كان قبلك رجال عملوا بما عملوا وأماتوا ما أماتوا من الحق وأحيوا ما أحيوا من
الباطل حتى ولد فيه رجال ونشؤا فيه وظنوا انها السنة ولم يسدوا على العباد باب رخاء الا فتح عليهم باب بلاء فان
استطعت ان تفتح عليهم أبواب الرخاء فانك لا تفتح منها عليهم بابا الا سد به عنك باب بلاء ولا يمنعك من نزع
عامل ان تقول لا أجد من يكفيني عمله فانك اذا كنت تنزع لله وتعمل لله أتاح الله لك رجالا وكالا باعمال الله
وانما العون من الله على قدر النية فاذا تمت نية العبد تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر
ذلك فان استطعت ان تأتي الله يوم القيامة ولا يتبعك أحد بظلم فافعل ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انك كتبت
الي تسأل ان أبعث اليك بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضائه في المسلمين وأهل العهد فان عمر رضي الله
عنه عمل في غير زمانك واني أرجو ان عملت بمثل ما عمل عمر ان تكون عند الله أفضل منزلة من عمر وقل كما قال
العبد الصالح وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه
توكلت واليه أنيب والسلام عليك قال ورواه اسحق بن سليمان عن حنظلة بن أبي سفيان قال كتب عمر
ابن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله فذكره مطولا ورواه جعفر بن برقان قال كتب عمر الى سالم فذكره
مختصرا ورواه معمر بن سليمان الرقي عن الفرات بن سليمان قال كتب عمر الى سالم فذكره بطوله (وقال
بعض السلف) رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم تصب (رب عمل صغير تعظمه
النية ورب عمل كبير تصغره النية) نقله صاحب القوت قال وكتب بعض الاولياء الى أخيه أخلص النية في
أعمالك يكفك القليل من العمل قلت وسيأتي هذا من حديث معاذ (وقال) أبو سليمان (داود) بن

(وأما الآثار) فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ماافترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود

الطائى البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول

من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى لا أحب ان يأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم يبكى ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وقال الحسن انما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات وقال أبو هريرة مكتوب فى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير وما أريد به غيرى فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر فى عمله فاذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر فى ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعائق *(بيان حقيقة النية)*

(اعلم

نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (البر همته التقوى ولو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة فكذلك الجاهل بعكس ذلك) أى ان الجاهل بالله تعالى وآياته همته الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الله تعالى وموافقة الهوى لان سرها كان همة النفس بعاجل عرض الدنيا كذا فى القوت وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن عبد الوهاب قال قال داود الطائى كل نفس ترد الى همتها فهموم بخير ومهموم بشر (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل) كذا فى النسخ ولفظ القوت كما تتعلمون العلم قال وقال محمد بن الحسين ينبغى للرجل ان تكون نيته بين يدى عمله (وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوى الخير فأنت بخير) كذا فى القوت (وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى لا أحب ان تأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله) نقله صاحب القوت قال وقال زيد بن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهم لله بمعصية وتمسى ولا تهم لله بمعصية (وكذلك قال بعض السلف) فى معناه (ان نعمة الله تعالى عليكم أكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك) نقله صاحب القوت (وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم) نقله صاحب القوت (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم) وهذا قد رواه أحمد من حديثه مرفوعا بلفظ يبعث الناس وقد تقدم (وكان الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (اذا قرأ) قوله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم يبكى ويرددها ويقول) يارب (انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (انما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات) نقله صاحب القوت لان تخليد الله العبد فى الجنة ليس بعمله وانما هو بنيته لانه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو اضعافه لكنه جازاه بنيته لانه كان ناويا ان يطيع الله أبدا لو بقى أبدا فلما اخترمته جوزى بنيته وكذا الكافر لانه لو جوزى بعمله لم يستحق التخليد فى النار الا بقدر مدة كفره لكنه نوى الاقامة على كفره ابدا لو بقى فجوزى بنيته (وقال) أبو عمرو (بلال بن سعد) بن تميم الاشعرى ثقة عابد فاضل مات فى خلافة هشام روى له البخارى فى الادب المفرد وأبو داود فى القدر والنسائى (ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك) رواه البيهقى فى الشعب فاذا عماد الاعمال النيات والقطب الذى عليه المدار والوسيلة بعد الايمان الى السعادة العظمى فى الاولى والعقبى (فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعائق) وليس للشرع عناية فى طاعة من الطاعات بعد الايمان بالله أعظم من اعتنائه بالنية اذ صحة العبادات أجمعها موقوفة على وجودهما يعنى الايمان والنية فهى تلى الايمان فى الرتبة والشرط فى صحة الاعمال فحينئذ يجب عليك فهم حقيقتها وتخليصها مما يشوبها من الحظوظ الدنيوية وجوبا وعن الاعراض والعوارض الاخروية استحبابا ثم تحصيل أعمالها وطريق اكتسابها وقد شرع المصنف فى بيان حقيقتها وبيان ما يضاف اليها من الارادة والعزم والقصد لانهن من روادفها فقال *(بيان حقيقة النية)*

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه أصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى فانه لا يتم الا بثلاثة أمور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان مالا يعلمه فلابد وان يعلم ولا يعمل مالم يرد فلابد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما فى الحال أوفى المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافى عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب (١٣) من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة وأعنى به نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو ان يقوى فى نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق ولا بدوان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال واما فى المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل

(اعلم ان النية) بالكسر اسم من نواه ينويه اذا قصده والياء مشددة والتخفيف لغة حكاها الازهرى وحذفت اللام وعوض منها الهاء على هذه اللغة كما قيل فى ثبة وظبة وأنشد بعضهم * أهم القلب حوشى النيات * وفى المحكم النية مثقلة والتخفيف عن اللحيانى وحده وهو على الحذف واذا عرفت هذا فاعلم ان النية (والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى) أى صادر باختيار العبد (فانه لا يتم الا بثلاثة أمور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان مالا يعلمه فلابد وان يعلم ولا يعمل مالم يرد فلابد من ارادة) تسبق العمل (ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما فى الحال أوفى المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور) ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور هذا من لطف الله تعالى وكمال حكمته (فاحتاج الى جلب الملائم الموافق) لطبعه النافع له فى العاجل والآجل (لنفسه و) الى (دفع الضار) له فيهما (المنافى) لطبعه (عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع) وهو العلم المعرف له ذلك (حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق) له (ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل) اليه (ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى) بلطفه وحكمته (الميل والرغبة والارادة وأعنى به) اى بمجموع الميل والارادة والرغبة (نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه) فوجود الميل الى الموافق الملائم والنفرة عن المؤلم المنافر بعد العلم ضرورى بان لا كسب للعبد فيهما فلا ثواب ولا عقاب عليهما حتى ينصرف عن القلب ما يعارضهما او يضادهما من علوم وارادات لطلب أغراض أخر لان المعارضة والمضادة تمنع من جزم النية واليه أشار المصنف بقوله (ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا) لا يقدر على التحرك (فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو ان يقوى فى نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة حادثة عن الارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة) فحينئذ يكون هذا كسبا للقلب وعملا من أعماله يقع عليه الجزاء والثواب (فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال واما فى المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل) وبه تبين ان النية والقصد والارادة ألفاظ متواردة على معنى واحد وان حققت فلابد من تفرقة قريبة فالنية عبارة عن تمييز الاغراض بعضها عن بعض والقصد هو

الا انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما (أما الاول) فهو أن ينفرد الباعث الواحد و يتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب و رغبت فيه فانتهضت القدرة

عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته (وأما الثاني) فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجنبي فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة للبواعث (والثالث) ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي بمجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به ومثاله من غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه و يقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء و يكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء

جمع الهمة نحو الغرض المطلوب والعزم يقوي القصد و ينشطه والارادة تصرف الموانع المثبطة لانتهاض القدرة وتتوجه نحوها هذا حقيقة النية (الا انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد كان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا) كل ذلك بحسب الاغراض المطلوبة (فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا) من المحسوس (واسما أما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد و يتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع) أو جلس في مجرى سيل (فكلما رآه) أي واحدا منهما مقبلا عليه (قام) هاربا (من موضعه) خوفا مما دهاه (فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع) أو السيل (فانه رأى السبع وعرفه ضارا) وكذا السيل (فانبعثت نفسه الى الهرب و رغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع) أو السيل (لانية له في القيام لغيره وهذه النية) في الهرب (تسمى خالصة و يسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته) فاما اذا اقترن بالنية باعث آخر يجري مجرى المرافقة أو المعاونة او المشاركة فلا يسمى اخلاصا (وأما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض) للقدرة (لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة) من حوائجه (فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة ولولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجنبي فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة (فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية) لانه له غرض فيها أي لو استغنى عن الصوم كان يحتمي (ولولا الحمية) أي لو استغنى عنها (لكان) يصوم (و يتركه) أي الاكل (لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول) لانه لم يؤثر في الصوم حقه ولكنه مرافقه مرافقة (فلنسم هذا مرافقة للبواعث) وهي تشوب العمل والرجاء من رحمة الشرع ان يثاب عليه ولكن لا يقع موقع الرضا (الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي بمجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل مالا ينفرد أحدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه و يقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم قصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب وغرض الثناء و يكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء

على العطاء ولما اجتمعا أو رنا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة) وهذا لاشك في بطلانه واحباط ثوابه فلاله ولاعليه الاان كان باعث الرياء أقوى فانه يأثم بمقدار قوته وزيادته أو كان باعث الثواب أقوى فانه يثاب بقدر قوته وزيادته وهذا تحقيق قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (والرابع ان يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لايستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله من المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تحقيقه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة) وهذه حالة مخوفة لانها تدل على اجلال غير الله تعالى والتماس الثناء عليهم (فالباعث الثاني اما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها) أي حكم هؤلاء الثلاثة وهي المرافقة والمشاركة والمعاونة (في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل) في الخبر (انما الاعمال بالنيات لانها) أي الاعمال (تابعة لاحكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع) الذي هو النية

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله)

قال العراقي رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف اهـ قلت في سياق كل من الطريقين زيادات كان ذكرها وأما هذا الذي أورده المصنف فرواه العسكري في الامثال والقضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب وابن عساكر في أماليه من طريق ثابت البناني عن أنس مرفوعا الا انهم قالوا أبلغ بدل خير وقال البيهقي اسناده ضعيف وقال ابن عساكر غريب من هذا الوجه وقال ابن دحية انه لا يصح وجزم الزركشي بانه ضعيف وتبعه السيوطي في الدرر وكأنه لاجل أبي عبد الرحمن السلمي فقد تكلم فيه جماعة بانه وضاع ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يصب فله طرق بمجموعها يتقوى الحديث وقد رواه أيضا الحكيم والعسكري عن ثابت البناني بلاغا وأما لفظ حديث سهل بن سعد نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فاذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور أخرجه الطبراني في الكبير والخطيب في التاريخ والضياء في المختارة قال الهيثمي رجاله موثقون الا حاتم بن عباد بن دينار لم أر من ذكره ترجمة انتهى فحينئذ اطلاق العراقي القول بالضعف فيه محل نظر ولفظ حديث النواس نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر خير من عمله هكذا هو لفظ العسكري في الامثال وقد أخرج الطبراني مثله وقد حكم العراقي بضعفه أيضا وقد روي أيضا من حديث أبي موسى الاشعري نية المؤمن خير من عمله ان الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله وذلك ان النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف هذا ما يتعلق بتخريج الحديث ولنرجع الى معناه قال المصنف رحمه الله تعالى (اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر) لانه من عمل القلب (لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر) لانه من الجوارح يطلع عليه (ولعمل السر فضل) على عمل العلانية وهذا الذي قرره المصنف يخرج منه وجهان في الترجيح وتقرير ذلك ان النية سر واعمال السر تضاعف فهذا وجه والثاني ان النية غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى والظواهر مشتركة (وهذا صحيح) في نفسه وقد قرره غالب شراح الحديث واعتمدوه واليه يشير ما في حديث أبي موسى عند الديلمي الذي تقدم قريبا وهو ان النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء أي لكونها عمل السر وهو سبب المضاعفة فيكون سبب الترجيح (ولكن ليس هو المراد) من الحديث (لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه

على العطاء ولو اجتمعا أو رنا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة (والرابع) أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تحقيقه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لاحكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع *(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله)* اعلم انه قد يظن أن سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه

أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد اذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه

أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان

للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض
فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط
ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله

أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن يكون نية التفكر خيرا من التفكر) أو نية الذكر خيرا من الذكر وهذا لا يعول عليه (وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية متصلة تدوم الى آخر العمل والاعمال) منقطعة (لا تدوم) فبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة وخلد أهل الشرك في النار لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر (وهو) أيضا صحيح واليه يشير كلام الحسن البصري المتقدم واعتمده بعض شراح الحديث وقرره وبسط فيه لكنه (ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم) في الحديث (يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله) مع انها انقطعت والعمل دام (وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية) وتقرير هذا القول على وجهين الاول ان يقال النية من شرط العمل حتى لا يصح عمل الا بها وهي تصح بمجردها هكذا قرره صاحب القوت الثاني ان يقال ان النية خير من العمل بلا نية اذ لو كان المراد خيرا من العمل مع نية لزم كون الشيء خيرا من نفسه مع غيره والمراد ان الجزء الذي هو النية خير من الجزء الذي هو العمل هكذا قرره الكرماني شارح البخاري (وهو كذلك) أي صحيح في نفسه (ولكنه بعيد ان يكون هو المراد) من الحديث (اذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير) وهنا الاشتراك فهذه ثلاثة أوجه وهي ترجع الى أربعة وفيه أقوال أخر يأتي ذكرها في آخر البحث (بل المعنى به) في الحديث (ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض) من بيان الحديث (ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه) وقد قرره صاحب القوت فقال وفيه وجه آخر يكون الكلام على التقديم والتأخير أي نية المؤمن هي من عمله خير كأنه قال هي بعض أعماله الخير فهذا كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها معناه نأت منها بخير وكما قال تعالى يسألونك كأنك حفي عنها معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم وأخر قوله عنها ومعناه التقديم فيكون على هذا التأويل ان النية من اعمال القلوب وانها من عمل العبد خير كثير اه وهو صحيح ولكنه عند التأمل يرجع الى الوجه الاول الذي قررناه ومع ذلك فلا يخلو من تكلف من جهة التقديم والتأخير ولعل المصنف غير في التعبير لاجل ذلك (وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب) كما ان الاطعمة غذاء للجوارح (والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط) وهذه هي سعادة الآخرة (ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله

تعالى

ولن يحبه الامن عرفه ولن يأنس به الامن طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الااذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الااذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا
الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم أن سعادته فى الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد
والحجامة لعلمه بان سلامته فيها واذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات
القلب وارادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم أو طلب الرياسة
لايكون ميله فى الابتداء الاضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ
وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذى ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا فى وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى تراد بها الآخرة والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا الا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة
على اعمال الطاعة وترك المعاصى بالجوارح

لان بين الجوارح و بين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم
بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع فكأنه
الامير والراعى والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة
الى المقصود ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح الراعى والرعية
وأراد بالراعى القلب

تعالى ولن يحبه الامن عرفه) المعرفة الخاصة (ولن يأنس به الامن طال ذكره له) فى سائر أحواله (فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة) تحصل (بدوام الفكر) بمراقبة القلب (والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة) لانها ثمرتها (ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الااذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الااذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته فى الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيها واذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة و يقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم أو طلب الرياسة لايكون ميله فى الابتداء الاضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالميل وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بذلك تأكد ميله و رسخ) أى ثبت (وتعسر عليه النزوع) عنه (وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذى ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل و يكون) ذلك (زبرا) أى منعا بشدة (ودفعا فى وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع و ينمحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى تراد بها الآخرة والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا الا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصى بالجوارح لان بين الجوارح و بين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا أن القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعى) أى بمنزلتهما (والجوارح) كلها (كالخدم والرعايا والاتباع) أى بمنزلتها (فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود) الاعظم (والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد) متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اصلح الراعى والرعية) قال العراقى لم أجده وقد تقدم (وأراد بالراعى القلب) وبالرعية الجوارح وكأنه قال اللهم اصلح الظاهر والباطن وقال صاحب القوت وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثل القلب بالملك والجوارح جنوده قال واذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد معناه فاذا صلحت للعبد نيته دامت للعبد استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر

وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح أن يعوّد القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كان المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر أيضا انما أريد به أن يسرى منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة تؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استكان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان او انه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض أثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فاذا قصد به رياء

والهوى خلصت الاعمال من الرياء وصفت من الشهوات والاهواء واذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت أعمال الجوارح بحب المدح والرياء وقال أيضا أوّل سلطان العدوّ على القلب عند فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه وأوّل ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى واذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس ولان ينتقل العبد من معصية الى معصية فيكون تاركا للاولى بنية الترك لاجل الله تعالى كان انفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب الى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات لانه حينئذ يكون متقلبا في المعاصي بفساد نيته وخالط عملا سيأ بسيئ مثله ودرأ بالسيئ السيئة قبلها وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة ومخالف لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها اهـ (وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها) أي أعمال القلب (أفضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضها من الاعمال بالجوارح ان يعوّد القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل ليفرغ من شهوات الدنيا) ووساوس النفس (ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود) وهذا (كان المعدة) التي هي حوض البدن (اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر أيضا انما أريد به ان يسرى منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع) لقرب التأثير (فهكذا ينبغي ان تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصوّرها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه) وقد ورد في مسح رأس اليتيم عدة أخبار منها عن أبي امامة رفعه من مسح رأس يتيم لا يمسحه الا لله فان له بكل شعرة مرت على يده حسنة الحديث رواه ابن المبارك وأحمد والطبراني والحاكم وصاحب الحلية (ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه أثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض أثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه) ومفهوم هذا تقدم صحة الاعمال بالنيات في حديث انما الاعمال بالنيات وقد تقدم الكلام عليه قريبا وفيه اشتراط النية لصحة العبادة قال العراقي في شرح التقريب وقد اتفق العلماء على ذلك في العبادة المقصودة لعينها التي ليست وسيلة الى غيرها وحكى أبو الوليد بن رشد المالكي في كتابه بداية المجتهد اتفاق العلماء على اشتراط النية في العبادات وحكى الاختلاف في الوضوء لاختلافهم في انه مقصد أو وسيلة وحكى ابن التين انهم لا يختلفون ان العبادة المحضة مفتقرة الى النية والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة الى النية (هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء

أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل) وقد ذكرت في سبب الترجيح وجوه أخر غير ما ذكره المصنف فمنها ان الله عز وجل يهب النية للعبد خالصة لا يشوبها شئ اذا وهبها ولا تدخل عليها الآفات فهذا عطاء مهنأ وسائر الاعمال مدخولة نقله صاحب القوت ومنها ان المراد خلاصه في العمل خير من العمل نقله صاحب القوت عن عبد الرحيم بن يحيى الاسود قال فالاخلاص بغير عمل خير من عمل غير مخلص والنية عنده هو نفس الاخلاص وعند غيره هو الصدق في الحال باستواء السريرة والعلانية وسيأتي الكلام على الاخلاص والصدق ومنها ان النية فعل القلب وفعل الاشرف مشرف ومنها ان القصد من الطاعة تنوير القلب وتنويرها أكثر لانها صفته ومنها ان النية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وعمل القلب أبلغ وأنفع وهو أمير الجوارح وهذه الوجوه الثلاثة الاخيرة مفهومة من سياق المصنف عند التأمل ومنها ما قاله البيضاوي في تفسير قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب فالمعنى ان جنس النية راجح على جنس العمل بدلالة ان كلا من الجنسين اذا انفرد عن الآخر يثاب على الاول دون الثاني وهذا لا يتمشى في حق الكافر ولذا قال نية المؤمن خير من عمله اه ومنها ان العمل يدخل تحت الحصر والنية لا اذ المحقق في ايمانه عقد نيته على أن يطيع الله ما أحياه ولو أماته ثم أحياه وثم وثم وهذا اعتقاد منبرم مستدام فيترتب له من الجزاء على نيته ما كان يترتب له على عمله ومنها ان المؤمن كلما عمل خيرا نوى أن يعمل ما هو خير منه فليس لنيته في الخير منتهى والفاجر كلما عمل شرا نوى أن يعمل ما هو شر منه فليس لنيته في الشر منتهى ومنها ان المؤمن ينوي أن يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله وهذا نقل عن ثابت البناني أحد رواة هذا الحديث كما في القوت ومنها ان النية هي التي تقلب العمل الصالح فاسدا والفاسد صالحا فكانت أبلغ وأنفع فهذه عشرة أوجه غير التي ذكرها المصنف يكون الجميع خمسة عشر وجها (وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) تقدم وتمامه فان عملها كتبت له عشر حسنات (لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى و) عن (حب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا) لوجه (الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما في الكتاب العزيز (والتقوى ههنا أعني القلب) وهذا قدر واه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بلفظ التقوى ههنا قاله ثلاثا وأشار الى القلب (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أقواما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما تقدم ذكره) قريبا (لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات) وفي هذا السياق رد على من زعم ان حديث من هم بحسنة مضاد لحديث نية المؤمن خير من عمله لدلالته على ترجيح العمل (وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لتنكشف لك أسرارها فلا نطول بالاعادة) قال الكمال محمد بن اسحق الصوفي في مقاصد المنجيات سألت الامام عز الدين بن عبد السلام عن ترجيح النية على العمل فاجاب ان الوسيلة ليست أفضل من مقصودها اه قال وهذا بحسب نظر الناظر فمن نظر الى ان النية وسيلة محثة على العمل قال العمل أفضل من النية لانه مقصودها كمن نوى أن يتصدق بمال ثم تصدق به كان فضل العمل بقدر ما أدخل من السرور على قلوب الفقراء والصالحين لسد خلتهم ومن نظر الى ان أعمال الجوارح

أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا أعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالاعادة

(بيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية) اعلم ان الاعمال وان انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات *(القسم الاوّل المعاصي)*

وهي لا تتغير عن موضعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيأ أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم بالعلماء

المنوطة بالنية هي وسائل لتقوية النية قال النية أفضل اذ الاعمال بهذا الاعتبار وسيلة الى تقوية النية وكأنها وسيلة أولا مقصودة آخرا وهذا معنى ما ذكره الامام الغزالي وهو نظر صحيح لمن تأمله والله أعلم

(بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الاعمال وان انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات) كأنه يشير الى بيان الاعمال التي ذكرت في حديث انما الاعمال بالنيات وقد قالوا ان المراد بها أعمال الجوارح حتى يدخل في ذلك الاقوال فانها عمل اللسان وهو من الجوارح قال ابن دقيق العيد ورأيت بعض المتأخرين من أهل الخلاف خصه بما لا يكون قولا وأخرج الاقوال من ذلك قال وهذا عندي بعيد ولا تردد عندي في أن الحديث يتناول الاقوال أيضا (القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضعها بالنية) ولا تصح فيها النية (فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره) بنية الارضاء (أو يطعم فقيرا من مال غيره) بنية الصدقة (أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير) وهو بقاء أجرها بعد موته وكذا اذا غصب أرضا بنية أن يبني بها مسجدا (فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر) فمن ذلك الاصرار على تلك المعصية والفرح بها واستخفافها كما ذكرناه في كتاب التوبة (فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج) أي المزين (لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفوس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيأ أشد من الجهل قال نعم) قيل ما هو قال (الجهل بالجهل) قال صاحب القوت يعني أن يكون العبد جاهلا وهو لا يعلم أو يحسب بجهله أنه عالم فيسكت عن جهله و يرضى به فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم ولعله أن يفتي الجهال أو يتكلم بالشبهات وهو يظن انها علم وهذا أعظم من سكوته واليه أشار المصنف بقوله (وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم) وقد روى عن الخليل بن أحمد قال الرجال أربعة رجل يدري و يدري أنه يدري فذلك عالم فجالسوه ورجل يدري و يدري أنه لا يدري ورجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك ضال فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فامقتوه (وكذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم النافع من العلم والضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم) ولفظ القوت وكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بمثل العلم ومن علم العلم بالعلم أي شيء هو وذلك أيضا واجب من حيث كان العلم واجبا ليكون على بصيرة من تعلم العلم لانه قد دخل مذهب المتكلمين وأقوال الغالطين من الصوفية والقصاص في شبهات العلم فصار زخرفا من القول غرورا يشبه العلم وليس بعلم لالتباس المعنى بعضه ببعض ولاشكال دقائق العلوم وغرائبه وخفاء السنة من طريق علماء السلف فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون

والمقصودان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا أن يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو أحب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

بالعلماء فصار معرفة العلم أي شئ منه والعلم بالعالم من هو علما آخر وصار العلم بالعلم ما هو دون الزخرف من القول كأنه عالم فكان أيضا العلم بالقلم بمنزلة فضل العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي لان الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيه شيأ ونور العلم يهتدى به القاصد وان لم يمش (والمقصودان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور) ولفظ القوت وان كان قد خفي عليه الهوى ودق عليه لطيف حب الدنيا الجهله بالعلم فهو مأثوم فيه لتقصيره في طلب العلم الذي يعرف به الاخلاص وسكوته على الجهل الذي يدخل منه الانتقاص ولا عذر له في ذلك اهـ (الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال) الله (سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه) كذا في القوت قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يعذر الجاهل على الجهل وقال لا ينبغي بدل لا يحل اهـ قلت لفظ الطبراني في الاوسط لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد تقدم في كتاب العلم (ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس) والرباطات (بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس) اليهم (وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال) قائما مقامه (يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على مناهي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه) ومن هذا القبيل من يحدث الناس بحديث لا يبلغ عقولهم بنية نشر العلم (ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا أن يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه) ويزينه في عينه (والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق) للمسلمين (وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق جميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله) تعالى (فان اعداد الخيل والقوة للغزاة من أفضل القربات) كما وردت به الاخبار (فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على ان ذلك حرام) كما حكاه ابن المنذر وغيره وصرح به النووي تبعا للرافعي (مع ان السخاء هو أحب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه في أن عده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون (٢٢) به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته

وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فلو رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل أنكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق أن اعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يلتبس على الاغبياء وأتباع الشيطان وان كانوا أرباب الطيالسة والاكمام الواسعة وأصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون

المعاصي

تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء) تقدم في كتاب المحبة والشوق نحوه دون قوله وأحبها اليه السخاء (فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن عده بغيره) هذا في السلاح الظاهر (والعلم) أيضا بمنزلة (سلاح) في أنه (يقاتل به الشيطان و) سائر (أعداء الله و) هو (قد يعاون به أعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله تعالى يتفقدون أحوال من يتردد اليهم) لاجل الاستفادة (فلو رأوا منه تقصيرا في نفل من النوافل) فضلا عن الفرائض (أنكروه وتركوا اكرامه) وأعرضوا عنه بوجوههم (واذا رأوا منه فجورا أو استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم فان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة ولم يتعوذوا من الفاجر الجاهل) وقد روى ذلك عن عمر وغيره قال أحمد بن عبد الله العجلي قال عمر رضي الله عنه للاحنف بن قيس مع قومه من بني تميم لما دخل عليه وكلمه ويحك يا أحنف لما رأيتك ازدريتك فلما انطقت قلت لعله منافق في صنع اللسان فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك وكان حبسه سنة وروى مالك بن مغول عن أبي حصين عن زياد بن حدير قال قال عمر يهدم الاسلام ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون وفي جزء أبي الجهم حدثنا سوار حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد عن ابن عباس قال خطبنا عمر فقال ان أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان وزيغة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم قلت وقد روى بعض ذلك مرفوعا من حديث عمر وغيره روى أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن عدي ونصر المقدسي في الحجة والبيهقي والضياء من حديث عمر ان أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان ورواه الطبراني والبيهقي من حديث عمران بن الحصين بلفظ عليكم بعدي بدل قوله على أمتي وروى أبو نصر السجزي في الابانة من حديث ابن عمر ان أخوف ما أخاف على أمتي ثلاثة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم ورواه الطبراني نحوه من حديث معاذ (حكى عن بعض أصحاب) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (انه كان يتردد اليه سنين) للاستفادة وكان يقبل اليه بوجهه ويكرمه ويفيده (ثم اتفق ان أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم) نقله صاحب القوت (فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا أرباب الطيالسة والاكمام الواسعة وأصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق) في فصل خصوماتهم ونظم معايشهم (ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران) بالرياسة والافتخار (فاذا قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات) هكذا رواه ابن حبان في الانواع والتقاسيم بدون انما (يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات) فقط (دون

المعاصي اذا الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة

(القسم الثاني الطاعات)

وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها أما الاصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع

المعاصي اذا الطاعة تنقلب معصية والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد) والنية (فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها) من الاصرار والفرح والاستخفاف (كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة) فلا نعيده (القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها) على اختلاف فيه تقدمت الاشارة اليه (وفي تضاعف فضلها أما الاصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية) فاصل صحتها بتخليصها من الشوائب وكذا تمييز رتب العبادات بعضها عن بعض لتمييز الفرض عن النفل والنفل عن العبادة وهذا مستوعب فيما تقدم في الربع الاول (وأما تضاعف الفضل) فعلى ضربين أحدهما ما أشار اليه المصنف بقوله (فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر) رواه هناد من حديث أنس وقد تقدم (ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة) من الطاعات (ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين) وافضال شأن الدين (ويبلغ به درجات) المحسنين (المقربين أولها أن يقصد أنه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه) لينال بذلك كرامة الزائرين (رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره) رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا باسناد صحيح وقد تقدم في كتاب الصلاة (وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره) كانه (في الصلاة) فقد روى ابن جرير من حديث أبي هريرة من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث وروى مالك في الموطا وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء من حديث عبد الله بن سلام وأبي هريرة من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى تصلي وروى عبد بن حميد وابن جرير والطبراني من حديث سهل بن سعد من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة وروى عبد بن حميد من حديث جابر المرء في صلاة ما انتظرها (وهو معنى قوله تعالى ورابطوا) روى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه من طريق داود بن صالح قال قال أبو سلمة تدري في أي شئ نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال سمعت أبا هريرة يقول لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد يصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت اصبروا أي على الصلوات الخمس وصابروا أنفسكم وهواكم ورابطوا في مساجدكم واتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحون وروى ابن جرير من حديث جابر وعلي ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قلنا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ورواه ابن مردويه من حديث أبي أيوب وفيه فذلكم هو الرباط في المساجد ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة وفيه فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط وروى ابن أبي حاتم عن أبي غسان قال انما نزلت هذه الآية في لزوم المساجد (وثالثها الترهب بكف السمع والبصر) عن المنهيات (والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف) أي منع فمن دخل المسجد ونوى الاعتكاف فقد كف نفسه عن المنهيات فيكون ذلك من الفائزين (وهو في معنى الصوم) الذي هو منع النفس عن الشهوات (وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتي القعود في المساجد) كذا في القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا (ورابعها عكوف الهم على الله) بان لا يخطر بقلبه غير الله (ولزوم السر) وهو باطن القلب (للفكر في) أمور (الآخرة ودفع

الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد) فيكون بذلك من الاقربين (وخامسها التجرد لذكر الله)
تعالى ان أمكنه (أو لاستماع ذكره وللتذكر به) فيكون بذلك من المرحومين المجاهدين (كما روى فى
الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى) كذا فى القوت قال
العراقى هو معروف من قول كعب الاحبار رويناه فى جزء ابن طوق وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى
امامة من غدا الى المسجد لا يريد الا ان يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تام واسناده جيد وفى الصحيحين من
حديث أبى هريرة من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة منزلا كلما غدا أو راح اه قلت لفظ
حديث أبى امامة عند الطبرانى من غدا الى المسجد لا يريد الا ان يتعلم خيرا أو يعلمه كان كأجر معتمر تام العمرة
ومن راح الى المسجد لا يريد الا ليتعلم خيرا أو يعلمه فله أجر حاج تام الحجة وقد رواه كذلك الحاكم وصاحب
الحلية وابن عساكر والضياء وربما يشهد لما أورده المصنف ما رواه أبو الشيخ من حديث الزبير من
جلس من حين يصلى المغرب يذكر الله حتى يصلى العشاء كان مجلسه ذلك روضة فى سبيل الله ومن جلس حين
يصلى الغداة يذكر الله حتى تطلع الشمس كانت مثل غدوة فى سبيل الله عز وجل قال صاحب القوت ومثل
ذلك اذا جلس ليعلم علما أو يتعلمه كان أيضا كالمجاهد فى سبيل الله (وسادسها ان يقصد افادة علم بأمر
بمعروف ونهى عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن يسىء فى صلاته) باخلال شئ من أركانها وواجباتها وسننها
وآدابها (أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف) وينهاه عن المنكر (ويرشده الى الدين فيكون شريكا
معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته) فيكون بذلك من خير أمة وقد وردت فى الامر بالمعروف
وارشاد الضال والهداية أخبار كثيرة مر ذكرها فى مواضعها (وسابعها ان يستفيد أخا فى الله) عز وجل
(فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة) وقد تقدم ما يتعلق بذلك فى كتاب الصحبة والاخوة (والمسجد
معشش أهل الدين المحبين لله وفى الله) أى مظنة وجودهم فيه فانه محل أهل الله الصالحين وعشهم فيكون
ممن يحق له صحبة الله ويكون فى ظله يوم لا ظل الا ظله (وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وخشية)
أى خوفا (من ان يتعاطى فى بيت) من بيوت (الله ما يقتضى هتك الحرمة) وذلك من تقوى القلوب وقد
يكون ترك الذنوب لا من باب الحياء بل من باب الخشية من عذاب الله تعالى لو تعاطى شيأ من المخالفات فى
المساجد (وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع
خصال أخا مستفادا فى الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك
الذنوب خشية أو حياء) منه نقله صاحب القوت قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديث رواه الطبرانى فى الكبير
وابن عساكر من طريق سعد بن طريف عن عمير بن المأمون عن الحسن بن على وعمير لا شئ وسعد متروك
(فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما
تحضر فى قلب العبد المؤمن بقدر جده فى طلب الخير والتشمر له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات) وهى طريقة العلماء الذين تفردوا لذكر الله لا يعرفها غيرهم قد وضع الذكر عنهم أوزارهم
فوردوا القيامة خفافا الضرب الثانى فى مضاعفة الفضل لم يشر اليه المصنف وهو لا بد من ذكره وذلك انه
قد تقدم ان الجزاء فى الآخرة على قدر النيات وتقدم ان النية تتبع المعرفة والمعرفة تتبع الغرض المطلوب
وتمهد فى الشريعة ان الجزاء الواقع فى الآخرة موازن لاعمال العباد ومناسب له كما ورد ان الصائمين يدخلون
الجنة من باب الريان وان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وان المتكبرين على صور الذر وأمثال هذا
لا تنحصر فاذا حققت ان العبد اذا لم يقصد بعمله الا امتثال أمر الله حياء منه وتعظيما لجلاله وكبريائه وكماله
فى ذاته وصفاته وجميع أفعاله وانه المستحق لذلك بصفات الالوهية على عباده كان ذلك من أفضل النيات
وأشرف القربات وأثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده من النظر الى وجهه جل سبحانه ومن ضعفت
بصيرته عن ذروة الكمال حتى لم يعرف من شهادة الآخرة الا اللذات الحسية دل عليه انه لم يعرف من نعيم

الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روى فى الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة العلم بأمر بمعروف ونهى عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن يسىء فى صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد أخا فى الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفى الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى فى بيت الله ما يقتضى هتك الحرمة وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال أخا مستفادا فى الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر فى قلب العبد المؤمن بقدر جده فى طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات

الجنان الا أقل المراتب واخفض المنازل فاذا قصد بطاعته ذلك صحت نيته ونقصت عن درجات الكمال مع صحتها فى نفسها فان الانسان يطلق عليه الصحة والحياة وهو فاقد لجميع المحاسن المكملة لصورة الرجال (القسم الثالث المباحات ومامن شئ من المباحات الاو يحتمل نية أونيات يصير بها من محاسن القربات و ينال به معالى الدرجات) كما روى عن بشر الحافى رحمه الله تعالى انه رؤى ماشيا فى طريق الحج فسئل عن ذلك فقال أريح الجمل وأسر الجمال قال العراقى فى شرح التقريب كما اشترطوا النية فى العبادة اشترطوا فى تعاطى ماهو مباح فى نفس الامر ان لا تكون معه نية تقتضى تحريمه كمن جامع امرأته أوأمته ظانا انها أجنبية أو شرب شرابا مباحا وهو ظان انه خمر أو أقدم على استعمال ملكه وهو ظان انه لاجنبى ونحو ذلك فانه يحرم عليه تعاطى ذلك اعتبارا بنيته وان كان مباحا له فى نفس الامر غير ان ذلك لا يوجب حدا ولا ضمانا لعدم التعدى فى نفس الامر بل زاد بعضهم على هذا بانه لو تعاطى شرب الماء وهو يعلم انه ماء ولكنه على صورة استعمال الحرام كشربه فى آنية الخمر فى صورة مجلس الشراب صار حراما لشبهه بالشربة وان كانت النية لا يتصور وقوعها على الحرام مع العلم بحله ونحوه لو جامع أهله وهو فى ذهنه مجامعة من تحرم عليه وصور فى ذهنه انه يجامع تلك الصورة المحرمة فانه يحرم عليه ذلك وكل ذلك لشبهه بصورة الحرام اه (فما أعظم خسران من يغفل عنها و يتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة) وما أعظم حسرته (ولا ينبغى ان يستحقر العبد شيأ من الخطوات والخطرات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذى قصد به هذا فى مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب) قد تقدم للعراقى انه لم يجده يعنى مطلقا مرفوعا وقد رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه عن على موقوفا بلفظ وحرامها النار وسنده منقطع وقد روى من حديث ابن عباس عند الديلمى بلفظ يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومن حديث أنس عند الحاكم فى أثناء الحديث أف للدنيا وما فيها من البليات حلالها حساب وحرامها عقاب (وفى حديث معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه) نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له اسنادا قلت بل رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير وساق الحديث بتمامه وفيه يا معاذ ان المؤمن ليسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه الحديث (وفى خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة) تقدم قريبا انه من مرسل عبد الله بن أبى طلحة رواه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة (فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية فان قلت فما الذى يمكن ان ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده أقرانه) ولذا انه فانه لا يتنبه الانسان لشراء الطيب الا من فاضل المال بعد التفرغ من الحوائج الضرورية ويدل ذلك على الكثرة (أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم) فيملكها بذلك (ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور أخر لاتحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة) لان روائح المعاصى هكذا توجد هنالك (الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب) رواه الشيخان من حديث عائشة وعند الطبرانى من حديث ابن الزبير من نوقش المحاسبة هلك ومن أتى شيأ

(القسم الثالث المباحات) ومامن شئ من المباحات الاو يحتمل نية أونيات يصير بها من محاسن القربات و ينال بها معالى الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها و يتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغى ان يستحقر العبد شيأ من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذى قصد به هذا فى مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وفى حديث معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وفى خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية فان قلت فما الذى يمكن ان ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور أخر لاتحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أتى شيأ

من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى و يخسر زيادة نعيم لا يفنى
وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان
يدخله زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح
الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس
بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي
ودخولي الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لابقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو
معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به الى ولد صالح يعبد الله

من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى و يخسر زيادة نعيم لا يفنى) فهذه النيات السيئة في استعمال الطيب (وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ قد عرف من طرق عنه كثرة استعمال الطيب في كل وقت خصوصا (يوم الجمعة) فانه يوم القربة الى الله تعالى (و ينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله) اذ المساجد بيوت الله تعالى (فلا يرى ان يدخله زائر الله) تعالى (الا) وهو (طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه) في الصف (ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه) الطيبة (وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه) مما يحصل من الاعراق ولا سيما زمن الصيف (وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به الى ان السبب الى الشر شر) ومن الغريب ان الحافظ العراقي صحف قول المصنف وأما النيات الحسنة بقوله وأما الثياب الحسنة وأورد حديث أبي هريرة من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان عنده ولبس أحسن ثيابه الحديث وحديث عبد الله بن سلام ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة الحديث وحديث عمر في الحلة السيراء وقوله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة فهذه الاخبار وهو صحيح لكنه غير مراد في سياق المصنف فتأمل ذلك وسبحان من لا يسهو (وان يقصد به معالجة دماغه) أي تقوية جوهره (ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه) بذلك (درك مهمات دينه بالفكر) الصحيح (فقد) اتفق الاطباء أن الروائح الطيبة تقوي الدماغ وتصححه ومن هنا (قال الشافعي رحمه الله تعالى من طاب ريحه زاد عقله) نقله البيهقي وغيره في مناقبه (فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس) فقط (وليس هذا من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد) الذي ذكرناه سائر (ما عداه) مما لم نذكر فانه لا ينحصر فكل لتتقوى على عبادة الله ونم لتتقوى على قيام الليل وتنزه لتستعين على العبادة بكنه الهمة فان القلوب اذا أكرهت عميت فاقتصد في دخولك في عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (ولهذا قال بعض العارفين من السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء) نقله صاحب القوت هكذا وفي موضع اني لاستعد النية في كل شيء قبل الدخول فيه حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء والنية في هذا التقوي على الطاعة والاستعانة به على الخدمة لان النفس مطيتك ان قطعتها قطعت بك ونية المتطهر من التخلي لاجل الدين (وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لابقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة) ومن النوم التقوي على قيام الليل (ومن الوقاع تحصين دينه) بتحصين فرجه (ومن الانبساط تطييب قلب أهله) وادخال السرور على قلوبهم وغض بصرك وبصر أهلك عن غيرك (والتوصل به) أي بالوقاع (الى) تحصيل (ولد) صالح (يعبد

الله تعالى بعده) و يدعوله (فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم) فتكثر بهم الخيرات (كان مطيعا بأكله
ونكاحه) وكذا بنومه وتنزهه وانبساطه (و) انما خص بهما لان (أغلب حظوظ النفس الاكل
والنكاح وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة) وكذا ان أمر بمعروف بنية امتثال
أمر الله تعالى لا لعداوة ولا لغضب وحقد هذا كله في الفعل (و) أما في الترك فانه (كذلك ينبغي ان
يحسن نيته مهما ضاع له مال) في بر أو بحر (ويقول هو في سبيل الله) و يترك الطلب ولا يتعلق بأسبابه وكذا
اذا سكت عن منكر فليكن لعجز أو انتظار فرصة لا لغش وعدم نصيحة وان ترك تجارة أو كسبا فللتوكل على
الله ولفراغ القلب لذكر الله لا للترفع وخوف سقوط المنزلة عند الناس وكذا عند ٧ من الفتوح وكذا
٧ فليترك الحزن عليه و يراعي بقلبه الرضا بقضاء الله تعالى (واذا) خاصمه مخاصم أو (بلغه اغتياب
غيره فليطيب قلبه) وليصبر لوجه الله أو لما أعده الله (بانه) أي المغتاب (سيحمل سيآته) على ظهره
(وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب) فان عجز عن الصبر لوجه الله فالافضل الدعاء
والترحم عليه حتى لا يعرضه لسخط الله وعقابه بسببه فلعل الله ان يعفو على عباده (ففي الخبر ان العبد
ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة ما يستوجب
به الجنة فيتعجب و يقول يارب هذه أعمال ما عملتها فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك)
ولفظ القوت ومن أوذي أو اغتيب فاحتسب عرضه عند الله تعالى فلعل ذلك يكون ٧ سيدا من عمله وسببا
لنجاته فقد روي في الخبر ان العبد ليحاسب على أعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب
النار ثم تنشر له أعمال من الحسنات لم يكن عملها فيقال هي أعمال الذين اغتابوك وآذوك جعلت حسناتهم
لك اهـ قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شبيب بن سعد البلوي
مختصرا ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لي ولم أعملها
فيقال بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لهيعة اهـ قلت رواه أبو نعيم في كتاب المعرفة وكذلك رواه
ابن منده من طريق أحمد بن سيار وراويه شبيب بن سعد بن مالك البلوي قال ابن يونس له صحبة وشهد فتح
مصر وله ذكر في كتاب الفتوح وقال يحيى بن عثمان بن صالح عن ابن عفير شهد بيعة الرضوان وفتح مصر
ولا تحفظ له رواية كذا قال وليس كذلك بل له رواية محفوظة كما ذكرنا واختلف في ضبطه فقيل هكذا كما
أوردناه بالشين والموحدة كأمير وضبطه الآمدي هكذا الا أنه قال وآخره مثلثة وقيل هو بكسر أوله وسكون
التحتية ثم مثناة فوقية والله أعلم وقد روي من حديث أبي امامة نحو من ذلك ولفظه ان العبد ليعطى كتابه
يوم القيامة منشورا فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول رب لم أعمل هذه الحسنات فيقول انها كتبت باغتياب
الناس اياك وان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيقول رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له
محيت عنك باغتيابك الناس رواه الخرائطي في مساوي الاخلاق فيه الحسن بن دينار عن خصيب بن جحدر
فالحسن قال النسائي متروك والخصيب كذبه شعبة والقطان و روى الحكيم من حديث ابن عمر يجاء
بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيآته في كفة فترجح السيآت فتجيء بطاقة فتقع في كفة
الحسنات فترجح بها فيقول يارب ماهذه البطاقة فما من عمل عملته في ليلي أو نهاري الا وقد استقبلت به قال
هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء فينجو بذلك (وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو
خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته
حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من
سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار) كذا في القوت وروى سمويه في فوائده وأبو نعيم في الحلية والخطيب في
المتفق والمفترق من حديث سالم مولى أبي حذيفة نحوه بلفظ ليجاء يوم القيامة بقوم معهم من الحسنات
أمثال جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار الحديث وقد تقدم في كتاب

الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا بأكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيآته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكونه عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يارب هذه أعمال ما عملتها قط فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار

٧ هنا بياض بالاصل

و بالجملة فايالك ثم ايالك ان تستحقر شيامن حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع
عليك وشهيد ومايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت ان أتربه من حائط جارلى فتحرجت ثم قلت تراب وما
تراب فاتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ماياتى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرآه مقلوب الثوب
فعرفه فمد يده ليصلحه ثم
قبضها فلم يسوه فساله عن
ذلك فقال انى لبسته لله
تعالى ولا أريدان أسويه
لغير الله وقد قال الحسن
ان الرجل ليتعلق بالرجل
يوم القيامة فيقول بينى
و بينك الله فيقول والله
ماأعرفك فيقول بلى أنت
أخذت لبنة من حائطى
وأخذت خيطا من ثوبى
فهذا وأمثاله من الاخبار
قطع قلوب الخائفين فان
كنت من أولى العزم
والنهى ولم تكن من المغترين
فانظر لنفسك الآن ودقق
الحساب على نفسك قبل أن
يدقق عليك وراقب أحوالك
ولا تسكن ولا تتحرك مالم
تتأمل أولا أنك لم تتحرك
وماذا تقصد وما الذى تنال به
من الدنيا وما الذى يفوتك
به من الآخرة وبماذا ترجح
الدنيا على الآخرة فاذا علمت
انه لا باعث الا الدين فامض
عزمك وماخطر ببالك والا
فامسك ثم راقب أيضا قلبك
فى امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد
له من نية صحيحة فلا ينبغى
أن يكون لداعى هوى خفى
لا يطلع عليه ولا يغرنك
ظواهر الامور ومشهورات
الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز أهل الاغترار فقد روى عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل فى بالاجرة
حائط بالطين وكان أجير القوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما
علم من سخائه وزهده وظنوا أن الخير فى طلب المساعدة فى الطعام فقال انى أعمل لقوم

العجب والرياء وله أيضا شاهد من حديث أبى امامة الذى ذكر قبل هذا وروى صاحب القوت أيضا ان
العبد ليرى من أعماله الحسنات مايرجو به المنازل فى الجنة فتلقى عليها سيآت لم يعملها فتترجح بحسناته كلها
فيستوجب النار فيقول يارب هذه سيآت ماعملتها هلكت بها فيقال هذه ذنوب القوم الذين اغتبتهم
وآذيتهم وظلمتهم القيت عليك وتخاصوا منها (و بالجملة فايالك ثم ايالك) ياأخى (ان تستحقر شيا من حركاتك)
وسكناتك (فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد
ومايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) فلا تقدم ولا تحجم الابنية (وقال بعض السلف كتبت كتابا
واردت ان أتربه من حائط جارلى فتحرجت) من ذلك (ثم قلت تراب وماتراب) كانه استحقر شانه (فاتربته
فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب مايلقى غدا من سوء الحساب) نقله صاحب القوت (وصلى رجل مع)
سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى صلاته وكان قد خرج معه بغلس (فرآه) حين أصبح (مقلوب الثوب) أى
لبس ازاره مقلوبا (فعرفه) أى قال له ياأبا محمد قد لبست ثوبا مقلوبا فاصلحه (فمد) سفيان (يده ليصلحه)
ويسويه (ثم قبضها) أى يده (فلم يسوه) أى لم يصلحه وابقاه على ما كان عليه (فسأله عن ذلك) وقال مامنعك
أن تسويه عليك (فقال انى لبسته لله تعالى ولا أريد ان أسويه لغير الله) عزوجل نقله صاحب القوت (وقد
قال الحسن) البصرى فيما رواه ابن المبارك عنه (ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بينى و بينك الله
فيقول والله ماأعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى) وان الرجل ليتعلق بالرجل فيقول أنت
(أخذت خيطا من ثوبى) ولفظ القوت فيقول هذا أخذ من ثوبى زبيرا (فهذا وامثاله من الاخبار)
والآثار (قطع قلوب الخائفين) وشرد عنهم الراحة (فان كنت من أولى العزم) البالغ (والنهى ولم
تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن) وأنت فى الدنيا (ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك
وراقب أحوالك) مراقبة من يتحقق باطلاع مولاه عليها (ولا تسكن ولا تتحرك مالم تتأمل أولا انك لم
تتحرك) أى لاى شئ حركتك هذه (وماذا تقصد) بهذه الحركة (وما الذى تنال به من الدنيا وما الذى
يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك)
وقصدك (وماخطر ببالك والا فامسك ثم راقب أيضا قلبك فى امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد
له من نية صحيحة فلا ينبغى ان يكون لداعى هوى خفى) فى النفس (لا يطلع عليه) وفى القوت ولا ينبغى
للعبد ان يدخل فى كل شئ حتى يعلم علمه فيكون داخلا فى كل عمل بعلم مثله لان لله فى كل شئ حكما فاعلم من
ذلك حمد الله عليه وعمله وماجهل سأل عنه من هو أعلم به وما أشكل عليه امسك عنه حتى يتبين له وجهه
فيقدم عليه أو يتركه وليكن ماتحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله وتقربا
اليه لا لاجله فهذا على النيات (ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار فقد
روى) فى بعض الاخبار (ان زكريا عليه السلام كان يعمل فى حائط بالطين وكان أجير القوم فقدموا
اليه) أى أصحاب الحائط (رغيفه) أى غداءه (اذ كان لا يأكل الا من كسب يده) وقد اشتهر انه عليه
السلام كان نجارا فلعله أيضا كان بناء (فدخل عليه قوم) فسلموا عليه (فلم يدعهم الى الطعام) الذى بين
يديه (حتى فرغ) من الاكل (فتعجبوا منه) حيث لم يدعهم الى الطعام (لما علموا من سخائه وزهده
وظنوا ان الخير فى طلب المساعدة فى الطعام) ففهم عنهم ماقام بذهنهم فاعتذر لهم (فقال انى أعمل لقوم

بالاجرة وقدموا الى الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر فى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص فى فضل ولاحكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال لولا انى أخذته بدين لاحببت ان تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة ان يأكل منه فان أجابه فأكل فعليه وزران وان لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد باحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكرهه لو علمه فهكذا ينبغى أن يتفقد العبد نيته فى سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

(بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيقول فى نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله ويظن أن ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها أن فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهى الطعام وأميل اليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على

٧ بياض بالاصل

بالاجرة وقدموا الى الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو) دعوتكم اليه و (أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى و) كنت قد (ضعفت عن عملهم) ولفظ القوت وروى عن زكريا عليه السلام ان قوما دخلوا عليه وكان يعمل فى حائط لقوم بالطين وكان صانعا يأكل من كد يديه فقدم اليه عنده رغيفاه وجعل يأكل ولم يدعهم حتى فرغ فسألوه عن ذلك لعلمهم بزهده وكرمه فقال انى اعمل لقوم باجرة وقربوا الى هذين الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم اهـ (فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله) عز وجل (فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص فى فضل ولاحكم للفضائل مع الفرائض) ولفظ القوت فهذا ممن ترك نفلا لفرض وان كانت له نية فى الترك كما تكون له فى الفعل (وقال بعضهم دخلت على سفيان) ظاهر اطلاقه ان المراد به الثورى وليس كذلك ففى القوت دخلت على سفيان أبى عاصم وهو سفيان بن عبد الرحمن بن عاصم بن سفيان بن عبد الله الثقفى المكى روى له النسائى وابن ماجه (وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه) أى فرغ من الاكل (ثم قال لولا انى أخذته بدين لاحببت ان تأكل منه) نقله صاحب القوت وهذا أيضا يعرفك النظر الى البواطن دون الظواهر (وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة ان يأكل منه) ولفظ القوت وليس له نية ان يأكل منه والمعنى ليس له رغبة فى اجابته (فان أجابه وأكل فعليه وزران وان لم يأكل) ولفظ القوت وان لم يجبه (فعليه وزر واحد وأراد باحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكرهه لو علمه) ولفظ المقاصد وبالثانى انه أطعم أخاه مالو علم لم يأكله ولفظ القوت فيصير عليه وزرين مع أكل طعامه بغير نية لتعرضه بالمقت وحمله أخاه على ما يكره اذلو ٧ لما أجابه (فهكذا ينبغى ان يتفقد العبد نيته فى سائر الاعمال) والاحوال (فلا يقدم ولا يحجم) عن الاقدام (الا بنية) ان كان مريدا السعادة الآخرة (فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار) والله الموفق

(بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الجاهل) قد (يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع) سماع (قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات) فحدث نفسه بذلك (فيقول فى نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله) مثلا (نويت ان أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله ويظن ان ذلك نية) وكذا فى كل حركة وسكون من حركاته وسكناته (وهيهات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو) حديث (فكر أو انتقال من خاطر الى خاطر) لا ثواب فيه (والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما) حقيقة (النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها) أى انصراف الداعية الى الغرض المطلوب (اما عاجلا وآجلا) وذلك لا يكون الا بحسب الهمة وقوة الايمان وغلبة حب الله تعالى والآخرة (والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت) ان أشتهى (الطعام وأميل اليه أو قول الفارغ) البال عن العشق (نويت ان أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على

اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي
والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع (٣٠) ويختلف ذلك بالاشخاص و بالاحوال و بالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد
غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا ايمانه بالشرع و يقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم و يدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه و يردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان
ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية
حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدري فقالت
أجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدري نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى

اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع) فمن تكسب النية ولم يتكسبها باسبابها فقد فوت حظه من الله تعالى (و يختلف ذلك بالاشخاص والاحوال و بالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا) وأقلقه الشبق (ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه ان يواقع) أي يجامع (على نية الولد) أي لا يتصور فيه وجود هذه النية أصلا (بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة) فقط (اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كان محبوبا اليه (يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية) لفقدان حقيقتها (نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي أولا ايمانه بالشرع أي بالله واليوم الآخر وما أعده) الله فيه من المثوبات والعقوبات المرتبة على الطاعة والمعصية (و يقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم) وانصرفت الدواعي المضادة لذلك (و يدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد) وخطرات النكاح (من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره) و يتذكر الفضائل الواردة في فضل النكاح لاجل الولد وفضل توليته وتعليمه الخير (فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه و يردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان) وكذا كل غرض شرعي ورد الشرع بفضله وله صوارف من جهة النفس والهوى كمن دخل في صوم نفل ثم أمره أبواه أو أحد من اخوانه بالافطار فاراد ان يفطر لادخال السرور على قلب الوالدين فما دامت شهوة الطعام تزاحمه لا تصح نيته فان أفطر لاعتقاده انه عامل لله فعلامة صحتها تصغير اللقمة وقصر اليد وعدم الشره في الباطن والقيام قبل الشبع ومامن حالة من الحالات الا و يتقدمها اسباب يكتسب بها وتتأخر عنها علامات يعرف بها صحتها فليطلب علم كل حال من موضعه وقد ذكرنا ما يحسم خواطر النفس والهوى في كتاب الصبر والخوف والرجاء فاجمع بين ما ذكرناه و بين ذكر الفضيلة المرغوب فيها فعند ذلك تحصل النية بهذا الطريق فافهم ذلك ان كنت من أهله والا فدع عنك الدعوى لمقامات الرجال والزم الذل والتواضع لهم والمحبة عسى ببركتهم تحشر معهم (ولذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا) يتعللون و (يقولون ليس تحضرنا فيه نية) وهم معذورون اذا لم يقدروا على كسبها (حتى) روى (ان ابن سيرين) وهو محمد بن سيرين الانصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري وأبوه سيرين مولى أنس بن مالك امام ثقة مأمون واخوته تابعيون ثقاة ولد لسنتين من خلافة عثمان (لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية) ولفظ القوت مات الحسن فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك فقال لم تكن لي نية اهـ قال حماد بن زيد مات الحسن في أول يوم من رجب سنة عشر ومائة ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوال في السنة المذكورة وقال ابن حبان مات ابن سيرين بعد الحسن بمائة يوم وهو ابن سبع وسبعين سنة (ونادى بعضهم امرأته وكان) فوق سطح (يسرح شعره ان هات المدري) ليفرق به شعره (فقالت أجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك) أي قال له من سمعه لاي شئ سكت وتوقفت عن المرآة (فقال كان لي في) قولي هات (المدري نية و) لما قالت أجيء بالمرآة (لم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى) فقلت نعم جيئي بها نقله صاحب

القوت

ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان أحدهم اذا سئل عملا
من أعمال البر يقول ان رزقني الله تعالى نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل
فيبتدئ فقيل له في ذلك قال أفتحبون أن أحدث بغير نية اذا حضرتني نية فعلت وحكى أن داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا الا بنية لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليست هي
قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من
كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة

القوت (ومات) أبو اسمعيل (حماد بن أبي سليمان) الاشعري مولاهم واسم أبي سليمان مسلم (وكان
أحد علماء أهل الكوفة) فقيه صدوق روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة مات سنة عشرين أو
قبلها (فقيل للثوري) سفيان (الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت) نقله صاحب القوت (وكان
أحدهم اذا سئل عملا من أعمال البر فقال ان رزقني الله تعالى نية فعلت) ولفظ القوت وكان العلماء اذا
سئلوا عن عمل شئ أو سعي فيه يقولون ان رزقنا الله نية فعلنا ذلك (وكان طاوس) بن كيسان اليماني
رحمه الله تعالى (لا يحدث الا بنية وكان يسئل ان يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيبتدئ فقيل له في ذلك قال
أفتحبون ان أحدث بغير نية اذا حضرتني نية فعلت وحكى ان) أبا سليمان (داود بن المحبر) بن حزم الثقفي
البكراوي البصري نزيل بغداد متروك قال ابن حبان كان يضع الحديث على الثقات مات سنة ست ومائتين
روى له أبو داود في كتاب القدر وابن ماجه وقد تقدم له ذكر وترجمة في آخر كتاب العلم (لما صنف كتاب
العقل) وهو كتاب صغير الحجم يذكر فيه فضائل العقل وما ورد فيها من الاخبار والآثار وقد تقدم الكلام
على هذا الكتاب أيضا في أواخر كتاب العلم وقال الحافظ في التهذيب ان أكثره موضوعات (جاءه) الامام
(أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (فطلبه منه فنظر فيه) أحمد (صفحا) بالضم أي تصفحه كله (فرده)
اليه (فقال) ابن المحبر (مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال داود أنا لم أخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين
الخبر) بالضم أي الاختبار (انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه
بالعين التي نظرت) بها فرده عليه (فأخذه ومكث عنده) زمانا (طويلا) حتى اقتضاه اياه ابن المحبر فرده عليه
(ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به) منفعة بينة نقله صاحب القوت فدل ذلك على ان النيات قد تختلف
لاختلاف المقاصد فيصير بعدما كان قربا بحسن النية وما كان حسنا سيئا لسوء النية به (وقيل
لطاوس) اليماني رحمه الله تعالى (ادع لنا فقال حتى أجد له نية) رواه ابن المبارك في الزهد من طريق
داود بن شابور قال قلنا لطاوس ادع بدعوات فقال لا أجد لذلك حسبة أي نية وروى ابن أبي شيبة من
هذا الطريق قال قال رجل لطاوس ادع الله لنا قال ما أجد لقلبي حسبة فادعو لك أي نية (وقال بعضهم
أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد) وهذا لصعوبة اكتساب النية ولهذا قال يوسف بن
اسباط تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد (وقال) ابن أبي الدنيا في كتاب
الصمت حدثنا أبو كريب حدثنا خلف بن حبان حدثنا (عيسى بن كثير) الاسدي الرقي قال (مشيت
مع ميمون بن مهران) الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز امام جليل ثقة روى له الجماعة الا البخاري ففي
الادب المفرد حتى أتى باب داره ومعه ابنه عمرو (فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال) له (ابنه) لما رأى
انصرافي وابنه هذا هو عمرو بن ميمون بن مهران الجزري أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة
فاضل روى له الجماعة مات سنة سبع وأربعين يا أبت (ألا تعرض عليه العشاء قال ليس) ذلك (من نيتي
وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بنية) لانهم كانوا
يستحبون ان تكون لهم في كل شئ نية حتى قال الفضيل بن عياض لا تحدث الا بنية (لعلمهم بان النية
روح العمل) فلا يصح بقاؤه بدونها (وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت) أي بعد
عن الله تعالى (لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هي قول القائل بقلبه نويت) ولا قوله كذلك بلسانه
(بل هو انبعاث القلب) للغرض المطلوب (يجري مجرى الفتوح من الله) تعالى (فقد تتيسر في بعض
الاوقات وقد تتعذر في بعضها) اذ ليست داخلة تحت الاختيار (نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين)
والنظر الى الآخرة (تيسر عليه في أكثر الاحوال) والاوقات (احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة

الى أصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض الا بجهد جهيد وغايته أن يتذكر النار و يحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة و يرغب نفسه فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها و يعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس فى الطاعات أقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الآخرة وان كان من جنس المألوفات فى الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الالباب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء لصاحبتها والفهالها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به أصلا ولا تلتفت اليه

والجنسية

الى أصل الخير فينبعث) لذلك (الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه) وقصر نظره عليها (لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض الا بجهد جهيد) لاشتغال باطنه بامور الدنيا (وغايته ان يتذكر النار و يحذر نفسه عقابها أو) يتذكر (نعيم الجنة و يرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة) لا مسكة لها (فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته) وبقدر خوفه وتحذيره (وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية) واعطاء مقام الربوبية ما يستحقه (فلا يتيسر للراغب فى الدنيا) لانه عنه بمعزل (وهذه أعز النيات وأعلاها و يعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها) يعنى الطاعة لامتثال أمر الله حياء منه وتعظيما لجلاله وكبريائه وكماله فى ذاته وصفاته وجميع افعاله وانه المستحق لذلك بصفات الوهية على عباده (ونيات الناس فى الطاعات أقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار) لا غير (ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة) لا غير (وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الآخرة وان كان من جنس المالوفات فى الدنيا وأغلب البواعث) على الانسان (باعث الفرج والبطن) للنكاح والاكل (وموضع قضاء وطرهما فى الجنة) لانها دار الجزاء (فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه) فهو (كالاجير السوء) الذى ان أعطى عمل وان لم يعط لم يعمل (ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ) قد ورد فى الخبر (أكثر أهل الجنة البله) كما تقدم (وأما عبادة ذوى الالباب) يشير الى جملة ذكرت فى آخر الخبر وهى قوله وعليون لذوى الالباب وتقدم انها مدرجة من كلام بعض رواته وليست من أصل الحديث فانه (لا يجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله) واعظاما لربوبيته (وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف) أى توابع (وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لم يقصدوها) ولم يعيروا طرفهم اليها (بل هم الذين) قال الله تعالى فى حقهم (يدعون ربهم بالغداة والعشى) فى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يقصدون وجهه (فقط) لا غير وليس لهم التفات الا اليه (وثواب الناس بقدر نياتهم) فمن كانت نيته أشرف اثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده (فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم و يسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كمن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد) وأعظم (فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين) اذ لا مناسبة بين المقامين (بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية) التى جبلت على شهواتها كالبهائم (لقضاء الوطر من مخالطة الحسان) بالضم والتقبيل والوقاع (واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء) وهى دويبة منتنة تعبث بالاقذار وأشد حرصها برجليها (لصاحبتها والفهالها) وأنسابها (واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء) الحسان (فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانه لا تشعر به أصلا ولا تلتفت اليه) أبدا

ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم حكى ان
أحمد بن خضرويه رأى ربه عزوجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة الا أبا يزيد فانه يطلبني ورأى

والجنسية علة الضم (ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن) وقد صدق الله تعالى في قوله (ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم) وتمت كلمة ربك وقال صاحب القوت وليكن ماتحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تقربا اليه لاجل الله تعالى فهذا أعلى النيات وهو غاية الاخلاص ومن أراد بأعماله ماعند الله تعالى من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه ومعاني شهواته ولذته من النعيم في الجنان واتخاذ الحور والحسان مما وصفه الله تعالى وندب اليه لم يقدح ذلك في اخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل ان الله تعالى مدحه ورغب فيه ووصفه كان ذلك مزيدا مثله الا ان هذا نقص في مقام المحبين عندهم وعيب كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك في اخلاص الموحدين الذين اختصوا بالعبودية فعتقوا من أسر الهوى بالحرية فلم يسترقهم سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية وخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة الان من رزق المقام منها دخل بحقيقة اخلاص المعاملة مزورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين وانما أتعب المريدين بالتنقية والتصفية للمعاملة لما بقي من الشرك الخفي والشهوة الخفية كما أتعب خدام الدنيا بالجمع لما استرقهم من الهوى فأما الاحرار فهم من مذمة الخلق برآء وهذا يذهب الاخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص انتهى (وحكي ان) أبا حامد (أحمد بن خضرويه) البلخي رحمه الله تعالى من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبي قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج الى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيرا في الفتوة وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد مات سنة أربعين ومائتين عن خمس وتسعين سنة ترجمه القشيري في الرسالة (رأى ربه في المنام فقال له) يا أحمد (كل الناس يطلبون مني الا أبا يزيد) يعني البسطامي (فانه يطلبني) نقله القشيري (ويحكى) انه (رأى أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق اليك) أي دلني على طريق الوصول اليك كما قال القائل مشيرا الى هذا المقام

يامن هواه أعزه وأذلني * كيف الطريق الى وصالك دلني

(فقال اترك نفسك وتعال ورؤي) أبو بكر (الشبلي) قدس سره (بعد موته في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما) من الايام (أي خسارة أعظم من خسران الجنة) أي لا أعظم من خسارة من غفل عنها بعد ان أمكنه تحصيلها (فقال) تعالى (بل أي خسران أعظم من خسران لقائي) وذلك لان لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه أعظم من نعيم الجنة (والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات) منها أعلى ومنها دون وبينهما أوساط (ومن غلب على قلبه واحدة منها لم يتيسر له العدول الى غيرها) لاستغراقه بها (ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء) أي الذين يتكلمون في ظاهر الفقه (فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى) وأفضل حينئذ (و) قد (انتقلت الفضيلة اليه) أي انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة (وصارت الفضيلة في حقه نقيصة) أي صارت الفضيلة هي النقيصة لعدم النية فيها (لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم) أي ان يكون رجل قد ظلم فله أن ينتصر وان عفا كان أفضل (وربما تحضره نية في الانتصار) لعجزه عن كسب النية باستحضار فضيلة العفو وماورد فيها من المثوبات والقربات (دون العفو فيكون ذلك أفضل) لوجود النية فيها (ومثل أن يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويقوى) بها (على العبادات في المستقبل) لوقت آخر (وليس تنبعث نيته في الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم) صار (هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه) وقوته الى أوله (فاللهو) حينئذ (أفضل من الصلاة قال أبو الدرداء) رضي الله عنه (اني لاستجم نفسي) أي أطلب جمامها أي راحتها (بشيء من اللهو

أبو يزيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الي ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو
مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال أبو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو

ليكون ذلك عونا على الحق) نقله صاحب القوت الا أنه قال ببعض اللهو (وقال على رضى الله عنه روّحوا
القلوب فانها اذا أكرهت عميت) نقله الشريف فى نهج البلاغة وروى الديلمى فى مسند الفردوس من
حديث أنس روّحوا القلوب ساعة وساعة ويشهد له مافى صحيح مسلم ياحنظلة ساعة وساعة (وهذه دقائق
لا يعرفها الاسماسرة العلماء) ونقادهم وهم العلماء بباطن العلم وغوامض التعريف (دون الحشوية
منهم) الذين يتعلقون بالقشور دون اللباب (بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده
القاصر فى الطب) ويقول كيف يداوى بما يضره (وانما يبتغى به أن يعيد أوّلا قوّته) ان كان هنالك ضعف
مزاج (ليحتمل المعالجة بالضد) ولو عالجه بما يدفع حرارته ولا قوّة عنده لا احتمال ذلك العلاج لاضره
(والحاذق فى لعب الشطرنج مثلا قد ينزل) فى لعبه (عن الرخ والفرس مجانا) أى بلا عوض مثلهما والرخ
والفرس من أقوى ما يقاتل به اللاعب لكثرة أعمالهما فى الرقعة وانما يفعل ذلك مع كمال احتياجه اليهما
(ليتوصل بذلك الى الغلبة) على نديده (والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه) وسببه عدم نفوذ
بصيرته وقد يتفق أنه ينزل عن الفيل فى مقابلة البيدق لامر ما ومن لاخبرة له ينكر ذلك (وكذلك الخبير
بالقتال) أى بأموره (قد يفر بين يدى قرينه ويوليه دبره حيلة منه) لا جبنا (ليستجره الى مضيق فيكر عليه
فيقهره) وتارة الى متسع ليملك غرضه فى حربه فيغلب عليه فان الحرب خدعة كما ورد (فكذلك سلوك
طريق الله تعالى) فانك اذا نظرت بعين التأمل فانه (كله قتال مع الشيطان) ومحاربة معه (ومعالجة
للقلب) بالتصفية والتهذيب عن الرذائل (والبصير الموفق يقف فيها) فى اثناء سلوكه (على لطائف من
الحيل) ودقائق (يستبعدها الضعفاء) ويستنكرونها (فلا ينبغى للمريد أن يضمر انكارا على ما يراه من
شيخه) يفعله مع نفسه أو مع مريده فى حركاته وسكناته والا فلا يفلح أبدا (ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه)
ولو بقوله لم كان كذا والا فلا يفلح أبدا (بل ينبغى أن يقف عند حد بصيرته) ولا يختار بباله شئ من الانكار
(ومالا يفهمه من أحوالهما) أى الشيخ والمعلم (يسلمه لهما الى أن تنكشف له أسرار ذلك) ولو بعد حين
(بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما) كما أفصح عنه القشيرى فى آخر الرسالة فى آداب المريدين (ومن الله
حسن التوفيق) ولنذكر ما يتعلق بالنية من كتاب القوت مما لم يذكره المصنف ليكون تكميلا للباب ثم نتبعه
بما فى شرح التقريب للحافظ العراقى وادراك الامنية فى النية للشهاب القرافى ومنتهى الآمال للحافظ
السيوطى رحمهم الله تعالى قال صاحب القوت روينا فى الخبر من طريق آل البيت لا يقبل الله قولا الا بعمل
ولا قولا ولا عملا الا بنية فينبغى أن يكون للعبد فى كل شئ نية حتى فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه
فان ذلك كله من أعماله التى يسئل عنها فان كانت لله وفى الله كانت فى ميزان حسناته وان كانت فى سبيل الهوى
ولغير المولى كانت فى ميزان سيآته اذ لكل عبد ما نوى وان كان ذلك غفلة وسهوا من غير نية ولا عقد طوية
ولا عفة لم يكن له فى ذلك شئ ولم يجد عمله فى الآخرة شيأ وكان فيه لا له ولا عليه وكان ذلك فى الدنيا على مثال
الانعام التى تتصرف عن غير عقول ولا تكليف ولكن بالهام وتوفيق وأخاف أن يدخل فى وصف من قال الله
تعالى فيه أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا قيل مجازفته قدما قدما من غير تمييز وقيل أى
غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل مقدما الى الهلاك فالنية الصالحة هى أول العمل وأوّل العطاء من
الله تعالى وهى مكان الجزاء وقال بعض السلف رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم تنصب
رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائى البر همته التقوى ولو تعلق جميع
جوارحه بالدنيا الرديه لردته نيته يوما الى نية صالحة فكذلك الجاهل بالله وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت
جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الدنيا وموافقة الهوى لان سرها كان همة
النفس لعاجل عرض الدنيا و قال محمد بن الحسين ينبغى للرجل أن تكون نيته بين يدى عمله وقال بعض
العلماء اطلب النية قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وقال بعض التابعين قلوب الابرار تغلى بالبر

فيكون ذلك عونا لى على
الحق وقال على كرم الله
وجهه روّحوا القلوب فانها
اذا أكرهت عميت وهذه
دقائق لا يدركها الاسماسرة
العلماء دون الحشوية منهم
بل الحاذق بالطب قد يعالج
المحرور باللحم مع حرارته
ويستبعده القاصر فى الطب
وانما يبتغى به أن يعيد أولا
قوته ليحتمل المعالجة بالضد
والحاذق فى لعب الشطرنج
مثلا قد ينزل عن الرخ
والفرس مجانا ليتوصل
بذلك الى الغلبة والضعيف
البصيرة قد يضحك به
ويتعجب منه وكذلك الخبير
بالقتال قد يفر بين يدى
قرينه ويوليه دبره حيلة منه
ليستجره الى مضيق فيكر
عليه فيقهره فكذلك سلوك
طريق الله تعالى كله قتال
مع الشيطان ومعالجة
للقلب والبصير الموفق يقف
فيها على لطائف من الحيل
يستبعدها الضعفاء فلا
ينبغى للمريد أن يضمر
انكارا على ما يراه من شيخه
ولا للمتعلم أن يعترض على
أستاذه بل ينبغى أن يقف
عند حد بصيرته ومالا يفهمه
من أحوالهما يسلمه لهما
الى أن ينكشف له أسرار
ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال
درجتهما ومن الله حسن
التوفيق

وقلوب الفجار تغلي بالفجور والله مطلع على نياتهم فيثيبهم على قدر ذلك فانظر ما همك وما نيتك وقد روينا
عن الله تعالى في بعض الكتب قال ليس كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر الى همه وهواه فمن كان همه
وهواه لي جعلت همته ذكرا ونظره عبرا وسئل سفيان الثوري هل يؤاخذ العبد بالنية قال نعم اذا كان عزما
أخذ بها فأول سلطان العدو على القلب عن فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه وأول
ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى واذا قويت النية
صح العزم وضعفت صفات النفس وفي الاثر من عمل عملا لا يريد به وجه الله لم يزل في مقت من الله حتى يفرغ
ولو لم يكن في تجديد النية الحسنة الا ان صاحبها لا يزال عاملا من عمال الله بقلبه وهمه وان لم يساعده القدر على
الافعال بجوارحه فيكون أبدا مأجورا ولو لم يكن في نية الشر الا ان صاحبها في بطالة وخسارة وان لم يساعده
المقدور على الافعال السيئة بجوارحه فيكون أبدا خاسرا مأزورا نعوذ بالله من ذلك ولقد كان السلف لشدة
تفقدهم وحسن رعايتهم صادقين في ترك كثير من أعمال البر لضعف النية ويعملون في احكام الاصل وقال
ابن عيينة انما حرموا الوصول لتضييع الاصول والنية أصل الاصول لانها فرض الفرائض

(فصل) وقد تلتبس النية بالامنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه والنية ما كان يراد به وجه الله ويطلب
به ما عنده والامنية ما تعلق بالخلق طلب منه عاجل الحظ من الملك الفاني وقد تلتبس الارادة بالمحبة والحاجة
بالشهوة فالارادة أن يريد وقوع الامر وقد لا يحب كونه أو يريد أيضا وجود ضده والمحبة ما قهر العقل
وغلب الوجد وحل في مجامع القلب وكره وجود غيره ولم يرد فقده والحاجة ما اضطررت اليه ولم يكن منه بد
ولا يستغنى عنه بغيره والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة واجتلاب تقدم عادة وقد يختلط الذكر بالقلب
بالفكر في معاني القرب فالذكر ما أظهر المنسي وكشف الغي واذكر الشئ والفكر ما صور الامر وأظهر
الخبر وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية فالرجاء ما طمعت فيه بسبب ما أو لسبب ما والمحبة ما تطعمت
ذوقه ووجدته بغير سبب تستخرجه وقد يلتبس ذل القلب بضعفه وقوته للطمع في الخلق بذل النفس
لمشاهدة غيرة الحق سبحانه وقد يتداخل ذل الطمع لدناءة الهمة والنفس بذل العقل للاعتراف بالحق
وخضوع العلم له وقد يلتبس ذل النفس لغلبة الهوى وقهره للعقل بذل القلب لسرعة الانقياد للعالم المحق
وقد تختلط عزة القلب بمقلبه بدوام النظر اليه وعزة العقل بعلمه الذي كثر عنده وقد تلتبس عزة النفس
بوصفها المتسلط بعزة الايمان المعزز بغيبته اليقين فهذه فروق ظاهرة للعارفين وخروق متسعة توهت
العاقلين وقد تلتبس العبادة بالعادة مثل أن تكون للعبد نية في علم أو عمل أو صدقة أو نفقة الشهر أو السنة
ثم تعزب نيته فيبقى على عادته يرث حال الذي قد عرف به لا يحب أن يخرج من عرف الناس له فيستعمل
لاستقامة الحال على التكلف لتلك الاعمال فتذهب النية وتبقى العادة فيخرج به من ارادة الآخرة
والسعي لها ويدخل في ارادة الدنيا بالشهوات على جريان العادة بها وقد تلتبس طرقات الدنيا من طلب
الرياسة لوجود الهوى بطرقات الآخرة في معنى العلوم والاعمال فما طلب من علوم السلف وأريد به
تأديب النفس وبعلم به الزهد في الدنيا فهذه طرقات الآخرة وما كان على ضده فهو طرقات الدنيا اذ هي
ضدها وقد يلتبس اظهار الاعمال وكشف ما كتم من الاحوال لاجل التأديب به والاتباع عليه أو لاظهار
قدرة الله عز وجل وآياته لمزيد السامع من المعرفة به بفعل مثل ذلك للتزين والفخر أو للمدعي به وطلب
الذكر وسئل أبو سليمان الداراني عن الرجل يخبر بالشئ عن نفسه فقال اذا كان اماما يقتدى به فنعم وقال
مرة هو أو غيره يختلف ذلك على قدر الارادة به ان أراد التأديب للنفس حسن ذلك فهذا يلتبس بمداخلة
النفس أو بفناء ثم بالغيبوبة بشاهد اليقين للرب عز وجل

(فصل) ترك العمل عمل كثير يحتاج التارك للنهي أو المكروه فرضا أو ورعا الى نية حسنة أن يتركه
لله عز وجل طلبا لما بينه أو رغبة فيما عنده لا لوجود الخلق ولا ليرب به حانه أو يقيم عند العبيد جاهه لان

ترك المعصية من الاعمال فيحتاج الى أحسن النيات اذ علمها من الله تعالى أجزل المثوبات لبلوى النفس فيها واضطرار النفس اليها قال بعضهم من أحب أن يعرف ورعه غيره فليس من الله فى شئ ورو ينافى خبران أعجمياًم بنظر قعود يتكلمون بكلام فيه استهزاء وهو يظن أنهم يدعون الله عز وجل فقال مثل ما يقولون بحسن النية قال فغفر الله تعالى له بحسن نيته وقال الحسن من علامة المسلم أن لا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا تقصر به نيته يعنى لا تضعف ولا تقعد به عن المسارعة الى القربات هى أبدا فى قوة وزيادة وان قصرت أعماله فيها وعجزت قوى جوارحه وقال المؤمن تبلغ نيته وتضعف والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته وقال ابن عجلان العمل لا يصلح الا بثلاث التقوى لله عز وجل والنية الحسنة والاصابة وقال أبو عبيدة بن عقبة من قصده أن يكمل عمله فليحسن نيته فان الله تعالى ماجبر العبد اذا احسنت نيته حتى باللقمة وقال بعضهم القصد الى الله بالقلوب أبلغ من حركات الاعمال للصلاة والصيام ونحوه وقال الانطاكى اذا صارت المعاملة الى القلب استراحت الجوارح وروى عن على رضى الله عنه من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة وروى عن الحسن فى تفسير قوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا قال نيته الصادقة اكتسب بها الاجر فى الآخرة اهـ سياق القوت

(فصل) قال السيوطى فى منتهى الآمال ورد فى مطلق النية أحاديث كثيرة جدا تزيد على عدد التواتر فروى البيهقى فى السنن من حديث أنس لا عمل لمن لا نية له وروى الشيخان من حديث ابن عباس وأحمد من حديث رافع بن خديج وزيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى والطبرانى من حديث غزية بن الحارث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وروى الستة من حديث سعد بن أبى وقاص انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى الا اجرت فيها وروى ابن ماجه من حديث معاوية انما الاعمال كالوعاء اذا طاب أسفله طاب أعلاه وروى الاربعة من حديث عقبة بن عامر ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة فذكره وفيه وصانعه يحتسب فى صنعته الاجر وروى النسائى من حديث أبى ذر وأبى الدرداء من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له مانوى

(فصل) قال الشهاب القرافى فى كتاب الامنية فى ادراك النية انما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولم يقل الافعال بالنيات لان عمل معناه فعل فعلا له شرف وظهور وفعل لمطلق الاثر ولذلك قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولم يقل كيف عمل لانه أثر فيه عقاب وانتقام لا شرف ولا تعظيم وقال تعالى مما عملت أيدينا وأكثر ما ورد فى القرآن من ذكر الجزاء بلفظ العمل لا بلفظ الفعل نحو بما كنتم تعملون نعم أجر العاملين من عمل صالحا قال واذا تقرر ذلك حسن حتما أن يقال الاعمال بالنيات دون الافعال بالنيات لان التقدير فى خبر المبتدا المحذوف الاعمال معتبرة بالنيات وانما اراد اعتبارها اذا كانت تصلح لله تعالى ولا يصلح له الا ما كان شريفا فى نفسه فاذا أضيف اليه النية صار يترتب عليه الثواب عند الله تعالى قال ويسمى الجرم عملا وان كان منهيا عنه مبعدا عن الله تعالى لانه عظيم فى ظهوره خيرا أو شرا قال ولذلك منع بعض العلماء من متناولى الحديث الوضوء حيث استدل به على وجوب النية فى الوضوء فقال لا نسلم ان الوضوء من الاعمال بل هو من الافعال والحديث انما ورد فى الاعمال وتقريره ان الطهارة شرط ووسيلة لا مقصد فى نفسه فلم يصل شرف رتبة المقاصد فليس فيه من الظهور والشرف ما فى الصلاة ونحوها فلا نسلم اندراجه وهو منع مشهور من قبل الحنفية

(فصل) فى حد النية قال الجوهرى النية العزم وقال الخطابى هى قصدك الشئ بقلبك وتحرى الطلب منك له وقيل هى عزيمة القلب وقال التيمى هى وجهة القلب وقال البيضاوى هى عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا والشرع خصها بالارادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى وامتثالا لحكمه وقال النووى النية القصد وهو عزيمة القلب وتعقبه الكرمانى

بان المتكلمين قالوا القصد الى الفعل هو ما نجده فى أنفسنا حال الايجاد والعزم قد يتقدم عليه ويقبل الشدة والضعف بخلاف القصد ففرقوا بينهما من وجهين فلا يصح تفسيره به وكلام الخطابى أيضا مشعر بالمغايرة بينهما وقال العراقى فى شرح التقريب اختلف فى حقيقة النية فقيل هى الطلب وقيل الجد فى الطلب ومنه قول ابن مسعود من ينو الدنيا تعجزه أى يجد فى طلبها وقيل القصد للشئ بالقلب وقيل عزيمة القلب وقال الزركشى فى قواعده حقيقة النية ربط القصد بمقصود معين والمشهور انها مطلق القصد الى الفعل وقال الماوردى هى قصد الشئ مقترنا بفعله فان قصده وتراخى عنه فهو عزم

(فصل) قال القرافى فى كتاب الامنية ان جنس النية هو الارادة وهى الصفة المخصصة لاحد طرفى الممكن بما هو جائز عليه من وجود أو عدم أو هيئة دون هيئة أو حالة دون حالة أو زمان دون زمان وجميع ما يمكن ان يتصف الممكن به بدلا من خلافه أو ضده أو نقيضه أو مثله غير انها فى الشاهد لا يجب لها حصول مرادها وفى حق الله تعالى يجب لها ذلك لانها فى الشاهد عرض مخصوص مصرف بالقدرة الالهية والمشيئة الربانية هى ومرادها وفى حق الله تعالى معنى ليس بعرض واجبة الوجود متعلقة بذاتها أزلية واجبة النفوذ فيما تعلقت به ثم الارادة متنوعة الى العزم والهم والنية والشهوة والقصد والاختيار والقضاء والقدرة والعناية والمشيئة فهى عشرة ألفاظ فالعزم هو الارادة الكائنة على وفق الداعية والداعية ميل يحصل فى النفس لما أشعرت به من اشتمال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة والميل جائز على الخلق ممتنع على الله تعالى فلا جرم لا يقال فى حق الله تعالى عزم بمعنى اراد الارادة الخاصة المصممة بل عزائم الله تعالى طلبه الراجع الى كلامه النفسى فظهر الفرق بين العزم والارادة وأما الهم فى مثل قوله تعالى ولقد همت به وهم بها وفى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فالظاهر أنه مرادف وان معناهما واحد ويستحيل على الله تعالى كما يستحيل العزم وأما النية فهى ارادة تتعلق بامالة الفعل الى ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربة أو فرضا أو نفلا أو أداء أو قضاء أو غير ذلك مما هو جائز على الفعل فالارادة المتعلقة باصل الكسب والايجاد هى المسماة بالارادة ومن جهة ان هذه الارادة مميلة للفعل الى بعض جهاته الجائزة عليه تسمى من هذا الوجه نية فصارت الارادة اذا أضيف اليها هذا الاعتبار نية وهذا الاعتبار هو تمييز الفعل عن بعض رتبه جائز على الله تعالى فانه سبحانه قد يريد بالفعل الواحد نفع قوم وضر قوم وهداية قوم الى غير ذلك مما هو جائز على فعله غير ان أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله تعالى ناويا ويسمى مريدا هذا ان اقتصر على هذا الاعتبار العام وهو مطلق امالة الفعل الى بعض جهاته حكم شرعى فينوى ايقاع الفعل عن الوجه الذى أمر الله تعالى به أو نهى عنه أو أباحه ومنهم من يقول بل أخص من هذا وهو أن يميل الفعل الى جهة التقريب والعبادة وعلى التقديرين فيستحيل على الله تعالى معناها بخلاف المعنى العام وتفارق النية الارادة من وجه آخر وهو ان النية لا تتعلق الا بفعل الناوى والارادة تتعلق بفعل الغير كما يريد معونة الله تعالى واحسانه وليست فعلنا وأما الشهوة فهى ارادة متعلقة براحات البشر كالالتذاذ ودفع الآلام فيستحيل على الله تعالى وأما القصد فهو الارادة الكائنة بين جهتين كمن قصد الحج من مصر ومن غيرها وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى وأما الاختيار فهو الارادة الكائنة بين شيئين فصاعدا ومنه واختار موسى قومه سبعين رجلا أى أرادهم دون غيرهم مضافا الى اعتقاد رجحان المختار وهو جائز على الله تعالى قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وأما القضاء فهو الارادة المقرونة بالحكم الخبرى فقضاء الله تعالى لزيد بالسعادة ارادته سعادته مع اخباره بكلامه النفسى عن سعادته ومنه قضاء الحاكم اذا أخبر عن حكم الله تعالى فى تلك الواقعة اخبارا انشائيا ولذلك تعذر نقضه بخلاف الفتيا وأما العناية فهى الارادة المتعلقة بالشئ على نوع من الحصر والتخصيص ولذلك قال العرفى * اياك أعنى واسمعى ياجاره * أى اخصك دون غيرك ولم يقل اياك أريد ويقولون ما يعنى بكلامه أى ما يخصه به من المعانى التى يحتملها

دون غيره وهذا التفسير جائز على الله تعالى غير أن أسماءه توقيفية فلا يقال الله عان وان قيل مريد وأما المشيئة فالظاهر انها مرادفة للارادة وقالت الحنفية هي مباينة وجعلوها مشتقة من الشيء والشيء اسم الموجود حتى قالوا اذا قال الحالف ان شئت دخول الدار فعبدي حر فاراد دخول الدار لا يعتق حتى يدخل ولا تكفي الارادة وأطلنا في كشف كتب اللغة ولم نجد للمشيئة معنى الا الارادة فهذه التفاسير والتغايرات بين هذه المعاني العشرة يساعد عليها الاستعمال والاصول الموجودة لعدم الترادف فتلخص ان النية غير التسعة الباقية لما ذكر من خصوصيتها وخصوصيات كل من التسعة المفقودة في النية فيجزم الناظر بالفرق حينئذ ولا يضر كون الاستعمال قد يتوسع فيه فيستعمل أراد ومراده نوى أو عزم أو قصد أو عنى فانها متقاربة المعاني حتى يكاد يجزم فيها بالترادف تكثير الفوائد اللغة قال وبهذا تظهر الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات ولم يقل بالارادات والعنايات أو غير ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم يرد الا الارادة الخاصة المميلة للفعل الى جهة الاحكام الشرعية كما تقدم في تفسير النية

(فصل) سئل الامام الغزالي رحمه الله تعالى عن قول الفقهاء بوجوب مقارنة النية للتكبير وكيف يكلف المرء بذلك ومعلوم ان الفرضية والظهرية والادائية ونية التقرب الى الله تعالى واجبة فكيف يخطر بباله هذه الامور حال افتتاح الصلاة وأنى يتصور ذلك فاجاب أمر النية سهل في العبادات وهو مثل النية في العاديات وانما يتعسر بسبب الجهل بحقيقة النية أو بسبب الوسوسة التي هي نوع اضطراب وفساد في الفكر فلا بد من معرفة حقيقة النية وانما يلتئم أمر النية بقصد وعلم والقصد فنان والعلم المفتقر اليه تتعلقان أما الفن الاول من القصد فهو القصد الى الفعل وذلك ما يصير به الفعل اختياريا كالهوى الى السجود مثلا فانه تارة يكون بقصد وتارة يسقط الانسان على وجهه بصرعة أو صدمة فهذا يضاده الاضطرار والفن الثاني كالعلة لهذا القصد وهو الانبعاث لاجابة الداعي وقد يسمى باعثا فانك اذا قمت عند اجتياز انسان بك فلك قصد القيام بكل حال فان القيام لا يقع اضطرارا ولكن قد يكون غرضك في القيام احترام ذلك الانسان وقد يكون غرضك أن تلبس ثوبا وتسرج دابة وتخرج الى السوق أو غرض آخر من الاغراض فان كان المحرك الباعث على اختيار القيام احترام ذلك الانسان يقال نويت تعظيمه وان كان غرضك الخروج الى السوق فويت الخروج وكيفما نويت فالقيام لا يخلو عن ارادة قصد متعلق بمعنى القيام ولكن القصد الى القيام لا ينبعث من النفس الا اذا كان في القيام غرض فذلك الغرض هو المنوي والنية اذا أطلقت في غالب الامر أريد بها انبعاث القصد متوجها الى ذلك الغرض علة تحريك قصد القيام وقصد القيام اجابة لتحريك ذلك الغرض وانبعاث اليه وقصد الفعل لا ينفك عند التكبير اذ اللسان لا يجرى عليه كلام منظوم اضطرارا والتكبير قد ينفك عند النية فهذا تعلم ان النية عبارة عن اجابة الباعث المحرك فهذا تحقيق نوعي القصد وأما العلم فلا بد منه اذ لا قصد الا الى معلوم والقصد الاول يستدعي علما فان من لا يعلم القيام ولا التكبير لا يمكنه ان يقصده والقصد الثاني أيضا يستدعي العلم فان الغرض انما يكون باعثا في حق من علم الغرض فمن لا يعلم معنى الاحترام والتعظيم لا يمكنه أن يقوم لغيره على نية الاحترام والتعظيم فلنرجع الى القصد الثاني الذي هو النية وهي خطوة واحدة ليس فيها تعدد حتى يعسر جمعها نعم يمكن استدامتها بضدها وهو قصد شيء آخر كما لو ابتدأ القيام للاحترام ثم ندم عليه وقبل اتمام القيام عرض له قصد الخروج الى السوق فاستتم القيام على ذلك القصد أو بضد شرطها وهو الغفلة عن العلم بالاحترام فان العلم المقصود شرط لبقاء القصد ولا عسر في استدامته لهذا القصد من أول التكبير الى آخره فان التكبير لفظ مختصر يتم في لحظة ويبعد طريان ضد في دوامه بحيث يحس بانقطاعه قبل تمام التكبير واذا لم يحس بانقطاعه فلا يعتبر من الوسوسة ما يطرأ فيها وأما العلم فله متعلقان أحدهما نفس الفعل وهو شرط القصد الاول فانه لا يقوم لتعظيم زيد من لا يعلم القيام فلا بد وأن يعلم ما به

التعظيم

التعظيم والتعظيم بقيام مع الاقبال على ذلك الشخص تعرضا بدخوله فانه لوقام مستدبرا اياه أو بعد انصرافه لم يكن تعظيما فهذا علم بعابه التعظيم والعلم الثانى وهو شرط القصد الآخر وهو العلم بالمعظم ووجهه وجوب تعظيمه كالعلم بزيد الداخل وكونه شريفا فاضلا مستحقا للتعظيم فهذه العلوم والقصود اذا فصلت باللسان ونظم العبارات طالت وكان من ضرورتها الترتيب والتعاقب حتى يكون البعض منها بعد البعض سواء كان اللفظ باللسان أو بحديث النفس ولا يكون حديث اللسان والنفس الا بلغة عربية أو أعجمية وليس فى النية والعلم لغة ولا حرف ولا ترتيب بل يجتمع منها فى اللحظة الواحدة علوم كثيرة والذهن لا يشعر بترتيب الالفاظ المعبرة عنها ولكن تكون تلك العقود حاضرة وتلك العلوم حاصلة فى لحظة واحدة وهى مدة الانتصاب وهو مقترن به ولو لم يخطر تفصيل ذلك بحديث النفس ولم يقل بقلبه ولا بلسانه نويت ان انتصب قائما قياما مع الاقبال بالوجه والاقتران بالدخول تعظيما لزيد الشريف الفاضل ولو قال ذلك بلسانه وقلبه دل على خبل فى عقله وجهل منه فكذلك الصلاة فعل مخصوص كالقيام والنية باعث مخصوص وهو المنوى وهو ايجاب الله تعالى واستحبابه ويستدعى ذلك علوما وقصودا ويحضر جميع ذلك مقرونا بهمزة التكبير من غير عسر وانما العسر احضار الالفاظ المرددة على اللسان أو القلب دفعة واحدة فاما حضور القصد فى لحظة واحدة فلا يخفى لان القصد لحظة وأما هذه العلوم فمضمون اجتماعها ثلاث أمور أحدها ان حضور الاخص كاف عن حضور الاعم فان المأمور به فعل لا كل فعل بل فعل هو عبادة ولا كل عبادة بل عبادة هى صلاة هى ظهر فاذا حضر فى القلب الظهر أغنى عن احضار الصلاة والعبادة والفعل بالبال فان العلم بالاعم يتضمنه حاضر فى الذهن مفصلا الثانى ان هذه العلوم ان منعت الوسوسة عن احضارها معا وطلبت النفس تفصيلها بالنطق حتى اضطر الى التعاقب ولم يكن تعاقبا محسوسا فهذا معفو عنه الثالث ان التعاقب وان كان محسوسا فانا نجعل جميع المدة من همزة التكبير الى الراء فى حكم اللحظة الواحدة فانها مادة قريبة

(فصل) قال ابن المنير المشهور عند النظار حمل الحديث على العبادات واتسع البخارى فى الاستنباط فحمله عليها وعلى المعاملات وتبع مالكا بسد الذرائع واعتبار المقاصد فلو قصد اللفظ وصح القصد الغى اللفظ واعمل القصد تصحيحا وابطالا قال والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع وابطال الحيل من أقوى الادلة ووجه التعميم ان المحذوف المقدر الاعتبار فمعنى الاعتبار فى العبادات اجزاؤها وبيان مراتبها وفى المعاملات والايمان الرد الى القصد

(فصل) قال السيوطى قال العلماء النية تؤثر فى الفعل فيصير بها تارة حراما وتارة حلالا وصورته واحدة كالذبح مثلا فانه يحل الحيوان اذا ذبح لاجل الله ويحرمه اذا ذبح لغير الله والصورة واحدة وكذلك القرض فى الذمة وبيع القرض بمثله الى أجل صورتهما واحدة والاول قربة صحيحة والثانى معصية باطلة وقال ابن القيم فى كتاب الروح الشئ الواحد تكون صورته واحدة وهو ينقسم الى محمود ومذموم فمن ذلك التوكل والعجز والرجاء والتمنى والحب لله والحب مع الله والنصح والتأنيب والهدية والرشوة والاخبار بالحال والشكوى فان الاول من كل ما ذكر محمود وقرينه مذموم والصورة واحدة ولا فارق بينهما الا القصد

(فصل) قال الزركشى فى القواعد النية تنقسم الى نية التقرب ونية القصد فالاولى تكون فى العبادات والثانية تكون فى المحتمل للشئ وغيره وذلك كأداء الديون اذا أقبضه من جنس حقه فانه يحتمل التمليك هبة وقرضا ووديعة واباحة فلابد من نية تميز اقباضه عن سائر أنواع الاقباض ولا يشترط نية التقرب قال ولا خلاف فى أن النية فى الصلاة والصوم التقرب واختلف فى الوضوء وفى الزكاة هل هى فيهما للتقرب أو للتمييز بين الفرض والنفل

(فصل) قال السيوطى استثنى الغزالى فى المستصفى والامام فى المحصول مما تجب فيه النية النية فانها

لو افتقرت الى نية أخرى لزم التسلسل وقال الكرمانى انها خارجة من الحديث بقرينة العقل دفعا للتسلسل وقد ذكر الزركشى ان فى ذلك نزاعا وكأنه يشير الى قول القرافى ان النية منصرفة الى الله تعالى بصورتها فلم تفتقر الى نية أخرى قال ولا حاجة الى التعليل بانها لو افتقرت الى نية لزم التسلسل ولذلك يثاب الانسان على نية مفردة ولا يثاب على الفعل مفردا لانصرافها بصورتها الى الله تعالى والفعل متردد بين ماهو لله و بين ماهو لغيره قال السيوطى واستثنى من الحديث أيضا معرفة الله تعالى حتى قال بعضهم ان دخوله فى الحديث محال لان النية قصد المنوى وانما يقصد المرء ما يعرف فيلزم ان يكون عارفا قبل المعرفة وتعقبه البلقينى بما حاصله ان كان المراد بالمعرفة مطلق الشعور فسلم وان كان المراد النظر فى الدليل فلا لان كل ذى عقل مثلا يشعر مثلا بان له من يدبره فاذا أخذ فى النظر فى الدليل ليحققه لم تكن النية محالا انتهى وقال العز بن عبد السلام لامدخل للنية فى قراءة القرآن والاذكار وصدقة التطوع ودفن الميت ونحوها مما لا يقع الا على وجه العبادة وأما قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فالمراد به الاعمال التى تقع تارة طاعة وغير طاعة أخرى بدليل ذكر الهجرة فى سياق الحديث وأما هذه القربات ونحوها مما شرع لمصلحة عاجلة قصدا أو كان بصورة عبادة فعدم وجوب النية فيها لعدم ارادتها ولخروجها عن الارادة حسبا لصورة العمل ان قيل بعموم الاعمال للطاعة والقربة

(فصل) قال السيوطى استدل بمفهوم الحديث على أن ماليس بعمل لا يشترط فيه النية وذلك التروك كترك الزنا وشرب الخمر ومنه ازالة النجاسة فى الاصح قاله النووى ونازعه الكرمانى بان الترك أيضا فعل وهو كف النفس وبان التروك اذا أريد بها تحصيل الثواب بامتثال أمر الشارع فلابد فيها من القصد قال الحافظ فى الفتح وتعقب بان قوله الترك فعل مختلف فيه ومن حق المستدل على المانع أن يأتى بما هو متفق عليه قال السيوطى الشرط أن يكون متفقا عليه بين المانع والمستدل فقط لا بين غيرهم أيضا والنووى موافق على أن الترك فعل الكف ثم قال الحافظ أما استدلاله الثانى فلا يطابق المورد لان المبحوث فيه هل يلزم فى التروك بحيث يقع العصيان بتركها والذى أورده هل يحصل الثواب بدونها والتفاوت بين المقامين ظاهر والتحقيق ان الترك المجرد لا ثواب فيه وانما يحصل الثواب بالكف الذى هو فعل النفس فمن لم تخطر المعصية بباله أصلا ليس كمن خطرت فكف نفسه عنها خوفا من الله تعالى فرجع الحال الى أن الذى يحتاج الى النية هو العمل بجميع وجوهه لا الترك المجرد

(فصل) قال الخطابى فى شرح المصابيح حرف التعريف فى الاعمال لا يسوغ حمله على تعريف الماهية لعدم افتقار مطلق الاعمال الى النية من حيث هو المطلق بل المفتقر اليها هو افرادها فيتعين أن يكون للعموم وخص البعض بالاجماع أو للعهد وهو الاعمال التى عهدت من الشرع وهى العبادات لان غيرها لا يفتقر الى النية

(فصل) ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية ومالا يشترط فقال كل عمل لا تظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا يشترط النية فيه الا ان قصد بعمله معنى آخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء فى بعض الصور من جهة تحقق مناط التفرقة قال وأما ما كان من المعانى المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن أن يقع الا منويا ومتى فرضت النية معقودة فيه استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلى وأما الاقوال فتحتاج الى النية فى ثلاث مواطن أحدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء والثانى التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان

(فصل) قال الشهاب القرافى النية قسمان فعلية موجودة وحكمية معدومة فاذا نوى المكلف أول العبادة فهذه نية فعلية ثم اذا ذهل عن النية حكم صاحب الشرع بانه ناو ومتقرب فهذه هى النية الحكمية

اى

أى حكم الشرع ببقاء حكمها لانه موجود وكذلك الاخلاص والايمان والنفاق والرياء وجميع أحوال القلب اذا شرع فيها واتصف القلب بها كانت فعلية واذا ذهل عنها حكم صاحب الشرع ببقاء أحكامها لمن كان اتصف بها قبل ذلك حتى لو مات الانسان مغمورا بالمرض حكم صاحب الشرع له بالاسلام المتقدم بالولاية والصديقية وجميع المعارف المتقدمة وان لم يتلفظ بالشهادة عند الموت وعكسه يحكم له بالكفر والنفاق وجميع مساوى الاخلاق وان كان لا يستحضر فيها شيأ عند الموت ولا يتصف بها بل يوم القيامة الامر كذلك ومنه قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما مع انه لا يكون يوم القيامة مجرما ولا كافرا ولا عاصيا لظهور الحقائق عند الموت وصار الامر ضرورريا فعناه محكوما له بالاجرام كما يحكم لغيره بالايمان واكتفى صاحب الشرع بالايمان والنية الحكمية للمشقة فى استمرارها بالفعل

(فصل) وقال أيضا فى نية الحسنة يثاب عليها حسنة واحدة وفعل الحسنة يثاب عليها عشرة لان الافعال هى المقاصد والنيات وسائل والوسائل أخفض رتبة من المقاصد وقال الكرمانى من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فيلزم ان من جاء بنية الحسنة فله عشر أمثالها فلا يبقى فرق بين الحسنة ونية الحسنة قال السيوطى لا نسلم ان من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة بل يثاب على نية الحسنة فظهر الفرق اه قلت قال بعض الافاضل وكنت بحثت مع السراج البلقينى بالخشابية بجامع عمرو وهل تضعف هذه الحسنة أيضا وقلت ينبغى ان تضعف لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الآية فقال نعم وتضعف من جنس ما هم فيه اه وهو كلام حسن

(فصل) نقل الكرمانى فى توجيه الخبر المتقدم نية المؤمن خير من عمله ستة أوجه تقدم ذكرها ثم قال أوان المراد نية المؤمن خير من عمل الكافر كما قيل وورد ذلك حين نوى مسلم بناء قنطرة فسبق كافر اليها اه قال السيوطى وهى سبع احتمالات فى تأويل الخبر المذكور وكلها حسنة الا الاخير فانه باطل لا أصل له وقال البيهقى فى الشعب أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال وسئل الاستاذ أبو سهل الصعلوكى عن معنى هذا الخبر فقال لان النية تخلص الاعمال والاعمال بمقابلة الرياء والعجب وأخرج بسنده عن أحمد بن يحيى ثعلب قال سمعت ابن الاعرابى يقول نية المؤمن خير من عمله لان النية لا يدخلها الفساد والعمل يدخله الفساد قال البيهقى وانما أراد بالفساد الرياء فيرجع ذلك الى ما قال الاستاذ أبو سهل قال وقد قالوا النية دون العمل تكون طاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة والعمل دون النية لا يكون طاعة اه قلت ووجدت فى هامش منتهى الآمال عند ذكر الكرمانى الوجه الاخير الذى أبطله السيوطى ما نصه سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن هذا الحديث فأجاب عنه بجوابين أحدهما ان هذا ورد على سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضى الله عنه أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر ونظر فيه بعضهم بان أفعل التفضيل يقتضى المشاركة وعمل الكافر لا خير فيه البتة وأجاب بان تسميته خيرا باعتباره فى نفسه وان لم يثب عليه بدليل أنه لو أسلم أثيب عليه من غير تضعيف كما ورد فى مسند البزار أنه اذا أسلم يثاب على كل طاعة حسنة واحدة من غير تضعيف لكن فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لشخص أسلم أسلمت على ما أسلفت من خير اه والجواب الثانى ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية وهذا قد تقدم بيانه آنفا

(فصل) فى ألفاظ وردت عن السلف طبق ما ذكره المصنف أخرج الدارمى عن ابن عباس قال انما يحفظ حديث الرجل على قدر نيته وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب النية والاخلاص والدينورى فى المجالسة عن عثمان بن واقد قال قيل لنافع بن جبير بن مطعم الا تشهد الجنازة قال كما أنت حتى أنوى ففكر هنيهة ثم قال امض وأخرج أيضا عن عبد الرحمن بن زيد قال كان أبى يقول يا بنى انو فى كل شئ تريده الخير حتى خروجك

الى الكناسة فى حاجة وأخرج البيهقى فى الشعب عن يونس بن عبد الاعلى قال قال الشافعى يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على ان ترضى الناس كلهم فلا سبيل له فاذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله وأخرج البيهقى أيضا من طريق سفيان عن زبيد قال ليسرنى ان يكون لى فى كل شئ نية حتى فى الاكل والنوم وأخرج عن سفيان فى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه قال ما أريد به وجهه وأخرج عن الحسن فى قوله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب قال كان اذا قال قال لله واذا عمل عمل لله واذا نوى نوى لله وأخرج عن عوف قال سمعت محمد بن سيرين يقول ما أراد رجل من الخير شيأ الا سار فى قلبه سورتان فاذا كانت الاولى لله فلا يحزنك الآخرة وأخرج عن الحسن قال ما من أحد عمل عملا الا سار فى قلبه سورتان فاذا كانت الاولى لله فلا تحزنه الآخرة هذا ما يتعلق بالنية وسيأتى بقية الكلام على بعض أحكامها فى الباب الآتى والله الموفق

(الباب الثانى فى الاخلاص)

ويضاف اليه السر والغربة والتلبيس والهمة لانهن من فضائله (و) فيه بيان (فضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

اعلم ان الاخلاص هو العروة الوثقى والذروة العليا المأمور به على السنة الانبياء عليهم السلام (قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) حنفاء وهو الوسيلة لصحة الايمان والاعمال جميعا والسر المستودع فى قلوب الاولياء والمقربين الذين عزل الرب عن قلوبهم سلطنة الشيطان ونزغاته بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أضاف عبوديتهم الى نفسه اضافة تخصيص وتكريم وجعلهم أتقياء أخفياء تحت ستره ليس لهم أكفاء ولا نظراء يورون عن أحوالهم باعمال معارة ستر الحالهم قد علقت قلوبهم بالملكوت وارتفعت هممهم لمولاهم ففنيت صفاتهم فى صفاته لقيامه عليهم واحاطته بهم فهم موجودون معدومون عند نفوسهم بحقائق ايمانهم وتوحيدهم واخلاصهم موجودون فى نظر غيرهم لانهم يرونهم قائمين قاعدين معطين مانعين فهم غرباء من الامثال والاكفاء لهذا السر الموقور فى بطونهم متلبسين بثياب ظاهرة عارية عليهم تستر بواطنهم وأسرارهم تعبد الله هممهم نافذة لخلوها عن الاغراض والاعواض ومشاهدة الاغيار فان قاموا فلله وبالله وان قعدوا فلله وبالله (وقال) تعالى (ألا لله الدين الخالص) أى الصافى الذى زال عنه شوبه الذى كان فيه (وقال تعالى) فى وصف أولئك المخلصين (الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) فالتوبة أول مقام من مقامات اليقين والاخلاص خاتمتها (وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه) أخرج عبد الرزاق وابن أبى الدنيا فى الاخلاص وابن أبى حاتم والحاكم عن طاوس قال قال رجل يا نبى الله انى أقف أبتغى وجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه شيأ حتى نزلت هذه الآية ورواه الحاكم وصححه والبيهقى موصولا عن طاوس عن ابن عباس وأخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب ان يرى مكانه فانزلت هذه الآية وأخرج هناد فى الزهد عن مجاهد قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله وأحب ان يقال لى خير فنزلت وأخرج ابن ابى حاتم عن كثير بن زياد عن الحسن قال نزلت فيمن عمل عملا يريد الله والناس فذلك يرد الله عليه (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل) أى لا يحقد (عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله) وتمامه والنصيحة لولاة الامور ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم هذا لفظ الترمذى ولفظ ابن ماجه والنصح لائمة المسلمين ولزوم جماعتهم قال العراقى رواه الترمذى من حديث ابن مسعود وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت والطبرانى وصححه من حديث النعمان بن بشير اهـ قلت ورواه ايضا الطيالسى من حديث زيد بن ثابت وابن ماجه أيضا من حديث جبير بن مطعم بلفظ ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين فان الدعاء يحيط من ورائهم وقال القشيرى فى الرسالة

(الباب الثانى فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم أخلص العمل لله

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال ظن أبي ان له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى

اخبرنا على بن احمد الاهوازى اخبرنا احمد بن عبيد البصرى حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا ابو طالب حدثنى هانئ بن عبد الرحمن بن ابى عبلة العقيلى عن ابراهيم بن ابى عبلة حدثنى عقبة بن وساح عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الامور ولزوم جماعة المسلمين (وعن) أبى زرارة (مصعب بن سعد) المدنى ثقة روى له الجماعة مات سنة ثلاث ومائة (عن ابيه) سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه احد العشرة (انه ظن ان له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم) قال العراقى رواه النسائى وهو عند البخارى بلفظ هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم اهـ قلت وبخط الكمال الدميرى كذا رواه البخارى مرسلا فان مصعب بن سعد تابعى ورواه الحافظ ابو بكر البرقانى فى صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه عن أبى الدرداء رفعه ابغونى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم ورواه أبو داود باسناد جيد اهـ قلت وهو فى الحلية لابى نعيم من طريق عاصم ابن على عن محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما ينصر الله هذه الامة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم واخلاصهم قال رواه يحيى بن أبى زائدة عن محمد بن طلحة مثله ورواه عن طلحة ليث بن ابى سليم وزبيد ومسعر والحسن بن عمارة ومعاوية بن سلمة النضرى اهـ ورواه النسائى عن مصعب بن سعد عن أبيه بلفظ انما تنصر هذه الامة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم وروى أبو نعيم فى المعرفة من حديث أبى عبيدة بلفظ انما تنصرون بضعفائكم ورواه أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ انما ينصر الله هذه الامة بضعفائهم ابدعائهم وصلاتهم واخلاصهم قاله حين ظن سعد أنه له فضلا على من دونه وأما حديث أبى الدرداء فلفظه ابغونى ضعفاءكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم هكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى والحاكم وابن حبان والطبرانى والبيهقى ولفظ البخارى ابغونى الضعفاء فانما تنصرون الخ وكذا هو فى رواية لابى داود والحاكم (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى) قال العراقى رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى مسلسلا يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الاخلاص قال وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسين عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه ابو القاسم القشيرى فى الرسالة من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف اهـ قلت ورويناه فى جزء من المسلسلات للحافظ بن ناصر الدين الدمشقى قال سألت شيخنا أبا العباس أحمد بن يوسف بن البود عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا الطاهر يوسف بن محمد السلامى عن الاخلاص ما هو قال سالت أبا الثناء محمود بن على الدقوقى وأخاه أبا نصر محمدا عن الاخلاص ما هو قالا سألنا الامام أبا الخير عبد الصمد بن أحمد المقرى عن الاخلاص ما هو ح قال وأنبانا جماعة منهم أبو العباس أحمد بن الصلاح على بن محمد بن قاضى الحصن اخبرنا أبو نصر محمد بن على الدقوقى فى كتابه من بغداد قال سالت أبا احمد عبد الصمد بن أحمد بن ابى الجيش المقرى عن الاخلاص ما هو قال سألت ابا محمد يوسف بن عبد الرحمن البكرى عن الاخلاص ما هو قال سالت ابى ابا الفرج عن الاخلاص ما هو قال سالت أبا الفضل محمد بن ناصر عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا الغنائم محمد بن على النرسى عن الاخلاص ما هو قال سألت الشريف أبا عبد الله العلوى عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا الفضل محمد بن جعفر الخزاعى عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا نصر محمد بن أحمد بن الحسين الخراسانى عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا الحسن على بن سعيد عن الاخلاص ما هو قال سألت على بن ابراهيم الفسطاطى عن الاخلاص ما هو قال سألت محمد بن جعفر عن الاخلاص ما هو ح وقال أبو الفرج وسألت أبا الحسن على بن يحيى عن

الاخلاص ماهو قال سألت أبابكر محمد بن عبد الباقى عن الاخلاص ماهو قال سألت أباعبد الله محمد بن عبد الله الاسفرايني عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الحسن على بن محمد الجمال الصوفى عن الاخلاص ماهو قال سألت محمد بن جعفر الخصاف عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشريطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال كذا وقع فى روايتنا من طريق أبى المظفر السلامى منقطعا وفى روايتنا عن ابن قاضى الحصن وغيره قال أحمد بن غسان سألت أحمد بن عطاء الهروى وقال هناد فى روايته الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة تبارك وتعالى عن الاخلاص ماهو فقال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببته فى عبادى وقد رواه مسلسلا الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى عن أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين الصوفى هو السلمى عن على بن سعيد وأحمد ابن محمد بن زكريا عن على بن ابراهيم الشقيقى عن محمد بن جعفر الخصاف عن أحمد بن بشار عن أبى يعقوب الشريطى عن أحمد بن غسان عن أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد به تابعه الاستاذ أبو القاسم القشيرى عن عبد الرحمن السلمى كذلك وأحمد بن عطاء كان متروكا فيما ذكره الدارقطنى اه سياق الحافظ الدمشقى قلت لفظ القشيرى فى الرسالة وقد ورد خبر مسند عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبر عن جبريل عن الله عز وجل أنه قال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى قال سالت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى وسالته عن الاخلاص فقال سمعت على بن سعيد وأحمد بن زكريا وسالتهما عن الاخلاص قالا سمعنا على بن ابراهيم الشقيقى وسالناه عن الاخلاص فقال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص فقال سمعت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سالت أبا يعقوب الشريطى عن الاخلاص ماهو قال سالت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو فذكره اه قلت وقرأت فى مسلسلات الحافظ أبى مسعود سليمان بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الاصبهانى رحمه الله تعالى التى خرجها باسم نظام الملك وهى عندى بخطه مالفظه النوع السابع والمائة سالت أبا الوفاء مهدى بن أحمد بن محمد بن طراز الواعظ عن الاخلاص قال سالت محمد بن الحسين الصوفى قلت هو أبو عبد الرحمن السلمى شيخ القشيرى عن الاخلاص قال سالت على بن سعيد وأحمد بن زكريا عن الاخلاص قال سمعنا على بن ابراهيم الشقيقى وسالناه عن الاخلاص قال سالت أحمد بن دينار عن الاخلاص قال سالت أبا يعقوب البويطى عن الاخلاص قال سالت أحمد بن غسان عن الاخلاص قال سالت أحمد بن عطاء الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سالت أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن يزيد عن الاخلاص ماهو قال سالت الحسن البصرى عن الاخلاص ماهو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سالت رب العزة عن الاخلاص قال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى هكذا هو فى سياق الحافظ أبى مسعود وهى النسخة التى بخطه أحمد بن دينار بدل احمد بن بشار والبويطى بدل الشريطى وأحمد بن محمد بن عبد الواحد بن يزيد والصواب عبد الواحد بن زيد كما فى سياق غيره من المتقنين وبما تقدم تعلم ان عزو المصنف ذلك الى الحسن على انه مرسل غير سديد وكذا قول العراقى انه رواه القشيرى من حديث على فيه نظر ويشبه ماتقدم فى الاخلاص ما رواه الحافظ أبو مسعود أيضا فى مسلسلاته فقال سالت محمد بن الحسين الصوفى يعنى أبا عبد الرحمن السلمى عن علم الباطن قال حدثنا أحمد بن يعقوب بن نصر وسالته عن علم الباطن قال سالت أحمد بن غسان عن علم الباطن قال

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لانتم أهتموا بالقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزئك منه القليل وقال عليه السلام مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال عليه السلام أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماصنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك

سألت الحسن عن علم الباطن قال سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم الباطن قال سألت جبريل عليه السلام عن علم الباطن قال سألت الله تبارك وتعالى عن علم الباطن قال ياجبريل هو سر بيني وبين أوليائي وأصفيائي أودعته في قلوبهم لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لانتم أهتموا بالقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل) رضي الله عنه (أخلص العمل يجزئك منه القليل) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ واسناده منقطع اهـ قلت رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن حاتم والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قلت أوصني فقال أخلص دينك يكفيك القليل من العمل وقال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبي (وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) قال العراقي رواه ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وقد تقدم اهـ قلت تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الجاه والرياء وانه روي من حديث أبي أيوب بلفظ من أخلص لله أربعين يوما الحديث رواه صاحب الحلية من طريق مكحول عنه وسنده ضعيف ورواه أحمد في الزهد من مرسل مكحول وكذا رواه القشيري في الرسالة بلفظ ما أخلص عبد قط أربعين يوما الحديث وله شاهد من حديث ابن عباس رواه القضاعي في المسند وفي آخره زيادة وقد تقدم وأما قول علي رضي الله عنه فلفظ القوت كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل (وقال صلى الله عليه وسلم أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى) له (ماصنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول كذبت وتقول له الملائكة كذبت بل أردت ان يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك) رواه احمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ أخبرنا أبو الخير أحمد بن خليل العلائي أخبرنا والدي محمد بن مشرق أخبرنا علي بن المنير عن الفضل بن سهل عن أحمد بن علي الحافظ أخبرنا علي بن أحمد المقري حدثنا محمد بن العباس بن الفضل حدثنا محمد بن المثنى حدثنا جعفر ابن عون وعبد الوهاب يعني ابن عطاء قالا أخبرنا عبد الملك بن جريج أخبرني يونس بن يوسف عن سليمان ابن يسار قال تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال له ناتل أخو أهل الشام يا أبا هريرة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل فذكره وقد رواه الترمذي أطول من هذا من رواية شفي الاصبحي عن أبي

قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفى الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد ان أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك

وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتى قال فانى لا أتركك ان تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقنى حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الارض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لابد لى من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك فى أمر فصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقنى حتى أقول لك فاطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لاشئ لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك على ان أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله ان أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيأ فغضب وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال له الى أين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله

هريرة وتقدم فى ذم الجاه والرياء (قال أبو هريرة) رضى الله عنه (ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوى هذا الحديث) هو ناتل بن قيس الجرمى أو شفى الاصبحى (على معاوية) رضى الله عنه وهو اذ ذاك أمير الشام (وروى له) ما سمعه من أبى هريرة (فبكى) معاوية (حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفى الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال) له (أين تريد رحمك الله قال) العابد (أريد ان أقطع هذه الشجرة) التى تعبد من دون الله (قال) ابليس (وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال) العابد (ان هذا من) جملة (عبادتى قال) ابليس (فانى لا أتركك ان تقطعها فقاتله) أى صارعه (فأخذه العابد فطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقنى) وقم عنى (حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك) أنبى أنت قال لا قال (وما تعبدها ولا عليك من غيرك) ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك (و) تركتها فان (لله أنبياء فى الارض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها قال العابد لابد لى من قطعها فنابذه) ابليس (للقتال فغلبه العابد) فأخذه (وصرعه) على الارض وقعد على صدره (فعجز ابليس) عن مقاومته ورأى ان لا طاقة له به ولا سلطان له عليه (فقال له) يا هذا (هل لك فى أمر يفصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع) من هذا الامر الذى جئت تطلبه (قال وما هو قال أطلقنى) وقم عنى (حتى أقول لك فاطلقه) وقام عنه (قال ابليس أنت رجل فقير لاشئ لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتتسع) فى حالك وفى بعض النسخ وتشبع بدل وتتسع وهو تصحيف (وتستغنى عن الناس قال) العابد (نعم فارجع عن هذا الامر) الذى جئت فيه (ولك على ان أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين واذا أصبحت أخذتهما) وصنعت بهما ما شئت (فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك) أفضل و (أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها أخرى ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها) وفى بعض النسخ لها (فتفكر العابد فيما قال) له (وقال صدق الشيخ لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله تعالى ان أقطعها فأكون عاصيا بتركها) وانما هو شئ تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها (وما ذكره لى أكثر منفعة) لعموم الناس قال (فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات) ليلته (فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده) أى اليوم الرابع (فلم ير شيأ فغضب وأخذ فأسه على عاتقه) وخرج يؤم الشجرة ليقطعها قال ان فاتنى أمر الدنيا لا أدرك أمر الآخرة قال (فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال له الى أين) تريد (قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله

العابد

العابد ليفعل به كما فعل أوّل مرة فقال هيهات فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أولاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال ياهذا غلبتني نخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذلا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يانفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال أيوب السختياني تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه وروئي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك فقال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك فيه ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم الى فوجدت ذلك لا علي ولا لي

العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات) قال (فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أولاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال) العابد (ياهذا قد غلبتني نخل عني وأخبرني) عنك (كيف) وقد (غلبتك أولا) فصرعتك (وغلبتني الآن) فصرعتني فكيف ذلك (فقال) له ابليس (لانك غضبت أول مرة لله) تعالى (وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله) تعالى لك فغلبتني (وهذه المرة غضبت) أي جئت مغاضبا (لنفسك و) (للدنيا) أي كانت نيتك الدنيا فسلطني الله تعالى عليك (فصرعتك) هكذا نقله صاحب القوت قال وهكذا حدثونا في قصة تطول ان ملكة من بني اسرائيل راودت عابدا عن نفسه فقال اجعلوا الى ماء في الخلاء أتنظف قال ثم صعد أعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى الى ملك الهواء الزم عبدي قال فلزمه حتى وضع على الارض على قدميه رويدا فقيل لابليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين) أي فانه لا سبيل له عليهم (اذلا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص) اذ قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول يانفس أخلصي) العمل لله تعالى (تتخلصي) من كيد الشيطان (وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيآته) وهو يرجع الى قول من قال ان الاخلاص هو التوقي عن ملاحظة الاشخاص (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى) نقله صاحب القوت (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى) عبد الله بن قيس (الاشعري) رضي الله عنه وكان قد ولاه البصرة (من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس) وتمامه ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته أخرجه هكذا أبو نعيم في الحلية ومن طريق هناد بن السري حدثنا محمد بن فضيل عن السري بن اسمعيل عن عامر الشعبي قال كتب عمر الى أبي موسى فذكره (وكتب بعض الاولياء الى أخ له اخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل) كذا في القوت وقد روي نحو ذلك مرفوعا من حديث معاذ وقد تقدم قريبا (وقال) أبو بكر (أيوب) بن أبي تميمة (السختياني) بفتح المهملة بعدها معجمة ساكنة ثم مثناة مكسورة ثم تحتية البصري الثقة روى له الجماعة مات سنة احدى وثلاثين ومائة عن خمس وستين سنة (تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال) كذا في القوت وروى نحوه من قول يوسف بن أسباط تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد (وكان مطرف) بن عبد الله ابن الشخير رحمه الله تعالى تابعي ثقة (يقول من صفى) نفسه عن الشوائب (صفي له ومن خلط) في أعماله (خلط عليه) كذا في القوت (وروئي بعضهم في المنام) بعد وفاته (فقيل له كيف وجدت أعمالك فقال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها) أي الهرة وكذا حبة الرمان (في كفة الحسنات) قال (وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيآت) قال (وكان قد نفق) أي مات (حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار) قيمته مائة دينار (ليس فيها) ولا أرى له ثوابا (فقيل لي انه قد وجه حيث بعثته فانه لما قيل لك قد مات) الحمار (قلت في لعنة الله فبطل أجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك) نقله صاحب القوت قال (وفي رواية) أخرى (قال وكنت تصدقت) يوما (بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم الى فوجدت ذلك لا علي ولا لي

قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله اذ لم يكن عليه فقد أحسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن اطلقوا الحرة

فقد وجدنا الدرة * وقال بعض الصوفية كنت قائما مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سألني أن أحج معه فقلت لا فقلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان أتمم هذه الارض العشية فأخاف ان حججت معه لاجله تعرضت لمقت الله تعالى لاني أدخل في عمل الله شيأ غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة * وروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت أشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله في أمري ما خرجت أتجر ومامعي تجارة أتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريدان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى وقال سري السقطي رحمه الله تعالى لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو

قال سفيان) الثوري (لما سمع هذا) وروى له (ما أحسن حاله اذ لم يكن عليه فقد أحسن اليه) ولفظ القوت ما أحسن حاله حيث وجدها له ولا عليه قد أحسن اليه (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم) نقله صاحب القوت (وقيل كان رجل يخرج في زي النساء) أي على هيئتهن في اللبس (ويحضر كل موضع تجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم) أي في فرح أو مصيبة (فاتفق) في بعض المرات (ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش) من حضر من النساء في ذلك الموضع (فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص) اي بخالص النية من القلب وعقد في نفسه (وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا) أبدا (فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة) فهذه الحكاية دلت على ان الاخلاص في النية هو المنجي من الفضائح الدنيوية والاخروية (وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد) محمد بن حسان (البسري) نسبة الى بسر بالضم وسكون المهملة الى قرية من قرى حوران بالشام حكى عنه ابنه بخيت قاله الحافظ في التبصير وقال القشيري في الرسالة هو من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبي (وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ) في اذنه (فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني) قال (فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سألني ان أحج معه قلت لا) قال (قلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان أتمم هذه الارض العشية فأخاف ان حججت معه لاجله تعرضت لمقت الله تعالى لاني أدخل في عمل الله تعالى شيأ غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن معمر يقول سمعت أبا زرعة يقول كان أبو عبيد البسري يوما على حرجه يدرس قمحاله وبينه وبين الحج ثلاثة أيام اذ أتاه رجلان فقالا يا أبا عبيد تنشط للحج فقال لا ثم التفت الى وقال شيخك على هذا أقدر منهما يعني نفسه (وروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة) أي للبيع والمخلاة ما يوضع فيه العلف للدواب (فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها) منه (فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله في أمري) والله (ما خرجت أتجر ومامعي تجارة أتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال) لي (يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريدان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى) نقله صاحب القوت فهذه الحكاية تعرفك ان الاشراك في النية تزيل عن مقام الاخلاص فاذا خلاص النية بخروج اضدادها من القلب والقصد والهمة لتنفرد النية بقصدها ويخلص العمل بانفراد النية لوجه الواحد الفرد المقصود بها (وقال سري) بن المغلس (السقطي) رحمه الله تعالى لان (تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو قال سبعمائة) حديث (بعلو) نقله صاحب

القوت

القوت وقد روى أبو الشيخ وابن عساكر من حديث جابر من صلى ركعتين فى خلاء لا يراه الا الله عز وجل والملائكة كانت له براءة من النار ورواه الضياء بلفظ كتبت له وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر من صلى ركعتين فى السر رفع عنه اسم النفاق (وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز) أى صعوبته (ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص) فكما ان الزرع لا ينمو الا بالماء كذلك العمل لا ينمو الا بالاخلاص (وقال بعضهم اذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها) فالقبول والاخلاص والصدق من جملة امارات الحب (وقال) أبو يعقوب (السوسى) رحمه الله تعالى (مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط) ان لا يشركوا فيه غيره (وقال الجنيد) قدس سره (ان لله عبادا عقلوا) فيما أعطوا (فلما عقلوا عملوا) بما علموا (فلما عملوا أخلصوا) لوجهه (فاستدعاهم الاخلاص الى أبواب البر أجمع) نقله صاحب القوت (وقال محمد بن سعيد) بن ابراهيم (المروزى) رحمه الله تعالى (الامر كله يرجع الى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل) بك (وتخلص فيما تعمل) له (فاذا أنت قد سعدت بهذين) الاصلين (وفزت فى الدارين) فان المدار كله على الرضا والاخلاص وهو عين التوحيد

(بيان حقيقة الاخلاص)

(اعلم) وفقك الله تعالى ان الاخلاص شرط فى سائر العبادات وهو معنى قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين وقوله اياك نعبد وقد قدمنا غير مامرة ان رؤية المنة لله تعالى واجبة للنعمة وليس لها حقيقة الا التبرى من الحول والقوة والرجوع الى الله تعالى بالفقر والفاقة وطلب الاستعانة وهو معنى ما أمرنا به بقوله واياك نستعين ولا نعمة لله على عبده أفضل من الايمان به والعمل لاجله فهذا أوجه وجوب الاخلاص فى سائر العبادات وأما وجه استحبابها فى سائر التقلبات فان العبد البار لا يتحرك الا لسيده لان القوة التى يتحرك بها مكتسبة من تغذية نعمة سيده لان حقيقة العبد ان لا يملك من نفسه ولا لنفسه شيأ اذ هو خالقه ورازقه وعليه توليه ان أحسن لحكمة الكرم وله ان يعاقبه ان أساء فما أوضح هذا وما أعزه فى القلوب علما وحالا وعملا ولاجل عزته أوجب الله تعالى تكريره على ألسنتنا وقلوبنا فى اليوم والليلة سبع عشرة مرة لتخلص له أعمالنا ونعتمد عليه فى جميع أحوالنا فاذا كان الاخلاص هو الايمان والطاعات وبه تمامهما ونماؤهما وجب شرح حقيقته وتفصيل درجاته ليظهر بذلك الواجب من المستحب فاعلم (ان كل شئ يتصور ان يشوبه) أى يخالطه (غيره فاذا صفا عن شوبه) أى خلطه (وخلص عنه سمى خالصا) لخلوصه عن الشوب (ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به) وعبارة القوت وحقيقة الاخلاص سلامته من وصفين الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجدوا فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا فكذلك معاملته لله تعالى اذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس لم تكن خالصة ولم يتم بها الصدق والادب فى المعاملة ولم يقبله الله تعالى منا اهـ (والاخلاص) وهو تجرد الباعث الواحد (يضاده الاشراك) وهو ان يشترك باعثان (فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الالهية والشرك منه خفى وجلى وكذا الاخلاص وضده) أى الاشراك (يتواردان على القلب فمحله القلب) بالاتفاق منهم ولو قال فهو محلهما كان أحسن (وانما يكون ذلك فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث

وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسى مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى أبواب البر أجمع وقال محمد بن سعيد المروزى الامر كله يرجع الى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد سعدت بهذين وفزت فى الدارين

(بيان حقيقة الاخلاص)

* اعلم ان كل شئ يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الالهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث

فهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان
غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع
الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ
قد ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الرياء من (٥٠) ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد فى الخبر من ان المرائى يدعى يوم القيامة بأربع أسام
يامرائى يامخادع يامشرك
ياكافر وانما نتكلم الآن
فيمن انبعث لقصد التقرب
ولكن امتزج بهذا الباعث
باعث آخر اما من الرياء أو
من غيره من حظوظ النفس
ومثال ذلك ان يصوم لينتفع
بالحمية الحاصلة بالصوم مع
قصد التقرب أو يعتق عبدا
ليتخلص من مؤنته وسوء
خلقه أو يحج ليصح مزاجه
بحركة السفر أو يتخلص
من شر يعرض له فى بلده
أو ليهرب عن عدو فى منزله
أو يتبرم باهله وولده او
بشغل هو فيه فأراد أن
يستريح منه أياما أو ليغزو
ليمارس الحرب ويتعلم
أسبابه ويقدر به على تهيئة
العساكر وجرها أو يصلى
بالليل وله غرض فى دفع
النعاس عن نفسه به ليراقب
أهله أو رحله أو يتعلم العلم
ليسهل عليه طلب ما يكفيه
من المال أو ليكون عزيزا
بين العشيرة أو ليكون عقاره
وماله محروسا بعز العلم عن
الاطماع أو اشتغل بالدرس
والوعظ ليتخلص عن كرب
الصمت ويتفرج بلذة
الحديث أو تكفل بخدمة
العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس أو لينال به رفقا فى الدنيا أو
كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ لينتظف أو يتبرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى
الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف فى المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله
فلا يشغله الاكل عنها

فهما كان الباعث واحدا سمي الفعل الصادر منه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص) بهذا الاعتبار (ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص) أيضا بهذا الاعتبار فاطلاق لفظ الاخلاص على كل منهما جائز (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب) وهو أحد الجانبين (كما ان الالحاد) لغة (عبارة عن الميل) المطلق سواء كان عن باطل أو الى باطل (ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق) الى الباطل وهو أحد الجانبين (ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه) الآن (اذ ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الرياء من ربع المهلكات) فلا نعيده (وأقل أموره ما ورد فى الخبر من ان المرائى) بأعماله (يدعى يوم القيامة بأربعة اسام يامرائى يامخادع يامشرك ياكافر) رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب النية والاخلاص وقد تقدم (وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب) الى الله تعالى (ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس) جميعا لكن من الحظوظ ٧ ما يتصل أصله ومنها ما ينقص كله أما الرياء فهو ان يطلب الرجل بعمله حمد الناس وطلب نفعهم ودفع ذمهم فان العمل اذا تجرد لهذا الباعث أحبط العمل وأفسد الصلاة وأوجب المقت والنكال والعذاب الاليم وذلك على قدر المراءى به والمراءى لاجله أما المراءى به فهى الطاعات وذلك اما باصولها أو باوصافها وكل منهما على ثلاث درجات تقدم تفصيلها فى كتاب ذم الرياء وأما ما يراءى لاجله فله أيضا ثلاث درجات وقد ذكرت فى الكتاب المذكور وكذا درجات الرياء الخفى (و) أما الشوائب التى هى حظوظ النفس فله أمثلة وقد أشار المصنف الى ذلك بقوله (مثال ذلك ان يصوم) العبد (لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا) من عبيده (ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه) وشره (أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له فى بلده) فيخرج هاربا (أو ليهرب من عدو له فى منزله) لا يطيق دفعه (أو يتبرم باهله وولده) أى يتضجر بهم (أو شغل هو فيه فاراد أن يستريح اياما) من ذلك الشغل (أو يغزو) العدو (ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ومقدرته على تهيئة العساكر وجرها) أو يقدم أحد الجهادين على غيره لغنيمة فيه (أو يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن نفسه ليراقب أهله أو رحله) عن اللصوص (أو يتعلم العلم ليسهل عليه) بذلك (طلب ما يكفيه من المال أو يكون عزيزا بين العشيرة) بذلك (أو ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم عن الاطماع) فلا تمتد اليه (أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث) وحلاوة التقرير (أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس) فيروه بعين التوقير والتبجيل (أو لينال به رفقا فى الدنيا) أى فى معيشته (أو كتب مصحفا) أو كتابا من كتب العلم (ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه) أو دارس قرآنا مع جماعة فى منزل من يستدعيه ليمارس حفظه ويثبت فى ذهنه (أو حج ماشيا ليخفف على نفسه الكراء) ويتوفر ماله (أو توضأ لينتظف) بالماء (أو يتبرد) به (أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث) املاء (ليعرف بعلو الاسناد) وكثرة المسموعات (أو اعتكف فى المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها) أو لتتوفر

الاوقات

أو تصدق على السائل ليقطع ابرامه فى السؤال عن نفسه أو يعود مريضا ليعاد اذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيأ من ذلك ليعرف بالخير و يذكر به و ينظر اليه بعين الصلاح والوقار فهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه

الاوقات حتى يصرفها فى اشغاله (أو تصدق على السائل ليقطع ابرامه) والحاحه (فى السؤال عن نفسه أو يعود مريضا) ليعاد (اذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيأ من ذلك ليعرف بالخير و يذكر به و ينظر اليه بعين الصلاح والوقار فهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك) والاخلاص عبارة عما خلص من الرياء وهذه الحظوظ جميعا (وقد قال) الله (تعالى) فيما روى عنه (أنا أغنى الشركاء عن الشركة) رواه ابن جرير والبزار من حديث أبي هريرة وأوله من عمل عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وقد تقدم (و بالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس و يميل اليه القلب قل أم كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه و زال به اخلاصه والانسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب) لان حقيقته ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا عزيز (بل الخالص هو الذى لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى) ولم يشبه شئ من هذه الحظوظ (وهذه الحظوظ ان كانت هى الباعثة وحدها فلا تخفى شدة الامر على صاحبه فيها) وقد تقدم بيانه فى ذم الرياء (وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلى هو التقرب) الى الله تعالى (وانضافت اليه هذه الامور ثم) ان قلت ان (هذه الشوائب) من الرياء والحظوظ تحبط مطلقا فاقول اذا اقترن بباعث الاخلاص باعث آخر فلا يخلو (اما ان يكون فى رتبة الموافقة أو فى رتبة المشاركة أو فى رتبة المعاونة كما سبق فى بيان النية) اما المشاركة فالآيات والاخبار دالة على انها محبطة وقد اختلف العلماء فى رتبة المعاونة والذى مال اليه المصنف انها تنقص من أصل الثواب بقدر ما خففت من العمل وورد على رأى الاحباط من العلماء كما سيأتى تفصيله قريبا وأما الموافقة فلا يجب التخلص منها لما فى ذلك من الحرج على العامة ولكنها منقصة لكمال الاخلاص (و بالجملة فاما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره) قريبا (وانما) الاخلاص فى الحقيقة (تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه) وهذا هو اخلاص العوام قال القشيرى سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عبد الرحمن المغربى يقول الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد انتهى وكأنه يشير الى كمال الاخلاص ولا يقدر عليه الا بعد استغراق الحب قلبه فرجع جميع المباحات عنده كالادوية لا يتناول منها الا الضرورة ولاجل كمال الاخلاص باصله شق على الناس علمه وعمله فصار حديث الاخلاص عند المتفقهة كالمستغرب وهو شرط فى صحة اعمالهم وقد تقدم ذكر الشوائب المنقصة لاصل الاخلاص فلنذكر الشوائب المنقصة لكماله والكمال هو ان لا يلتفت فى سائر أحواله الا الى الله تعالى عبادة أو عادة وان يكون وجود الناس عنده كعدمهم لان وجودهم مجازى لا حقيقة اذ لا قوام لهم بنفوسهم انما الموجود الثابت الحقيقى هو الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم الذى قامت ذاته بذاته وكل شئ سواه قائم به ومستند الى قدرته فان عجز عن هذا المقام فليكن وجودهم عنده كوجود البهائم بمعنى انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا ولا مدحا ولا ذما فتى ما فرق فى مشاهدة الخلق بين ان يشهده رئيس أو بهيمة فى عبادة من عباداته فلا يخلو اخلاصه عن نقصان بحسب قوة النظر فى جهة قلبه عن الله تعالى أو ضعفها ولهذا كان المخلصون على خطر عظيم وكانت

خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك وقد قال تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس و يميل اليه القلب قل أم كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه و زال به اخلاصه والانسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذى لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هى الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلى هو التقرب وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون فى رتبة الموافقة أو فى رتبة المشاركة أو فى رتبة المعاونة كما سبق فى النية و بالجملة فاما ان يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى أو أقوى منه أو اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه

وهـذا لا يتصوّر الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهى الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى و يتمنى ان لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة و يكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص فى الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص سر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من أعمال يتعب الانسان فيها و يظن انها خالصة لوجه الله و يكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة صليتها فى المسجد فى الصف الاول لانى تأخرت يوما العذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت ان نظر الناس الى فى الصف في الاول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون و بدا لهم سيئات ما كسبوا و بقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم

اعمالهم أعمال المقربين فمن رزق هذه الحالة فنقصانها بالنظر اليها والاعتماد عليها هذا ما يتعلق بكمال الاخلاص وبالجملة فالباعث على الفعل اما ان يكون روحانيا فقط وهو الاخلاص أو شيطانيا فقط وهو الرياء أو مركبا وهو ثلاثة أقسام لانه لا يخلو اما ان يكونا سواء أو الروحانى أقوى أو الشيطانى أقوى فاذا كان الباعث روحانيا فقط (وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة) ولا بد منه (فلا يشتهى الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله و يتمنى انه لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة و يكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل وشرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوّى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه) واذا كان الباعث شيطانيا فقط ولا يتصور الا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بها بحيث لم يبق لحب الله فى قلبه مقر فتكتسب افعاله تلك الصفة فلا يسلم له شئ من عبادته واليه أشار المصنف بقوله (ومن ليس كذلك فباب الاخلاص فى الاعمال مسدود عليه الا على الندور) أى القلة (وكان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة) وسائر الحظوظ (وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا) واذا استوى الباعثان يتعارضان و يتناقضان فيصير العمل لا له ولا عليه وأما من غلب أحد الطرفين فيه فينحط منه ما يساوى الآخر وتبقى الزيادة موجبة أثرها اللائق بها وسيأتى تحقيق ذلك فى أواخر فصول الباب (فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس) ودفعها (وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب) فلا يهمه الا هو (فاذ ذاك يتيسر) له (الاخلاص) أى كماله (وكم من أعمال يتعب الانسان فيها) طول عمره (و يظن) فى نفسه (انها خالصة لوجه الله تعالى و يكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها) فعليه ان يمتحن نفسه بالامتحانات (كما حكى عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها فى المسجد فى الصف الاول لانى تأخرت يوما العذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس) اذ (رأونى فى الصف الثانى فعرفت ان نظر الناس الى فى الصف الاول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر) وهذا لا يحبط ثواب نفس الصلاة وانما ينقص ثواب المسارعة الى الصف الاول فعمل على خلاف ما تتقاضاه النفس لئلا يرجع ذلك له قويا فيستحب للمخلص ان يتفقد أحواله ليقف بذلك على أغوار مكايد النفس والشيطان (وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال من امثاله وقلما يتنبه له الا من وفقه الله تعالى) وهم قليلون (والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات) و يندمون حيث لا ينفعهم الندم (وهم المرادون بقوله تعالى و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) قيل عملوا اعمالا لجهلهم ظنوا انها حسنات فوجدوها سيئات و بقوله تعالى (و بدا لهم سيئات ما كسبوا) وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (و بقوله تعالى قل هل أنبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم

فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للا كثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعى انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو أحسن منه وعظا

وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدرى المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للامامة أكان غمه محمودا أومذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد فى الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء) والوعاظ (فان الباعث للا كثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء) أى الغلبة (والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم) أيها العلماء (نشر دين الله) تعالى (والنضال) أى المدافعة (عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فانما يتصورون ذلك من نفوسهم هذا الذى أملى عليهم تتقوى صفات أفعالهم ويظنون انهم على غاية الكمال (وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحته الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعى انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين) وهذا أيضا مغرور قد لبس عليه الشيطان وبمعزل عن الاخلاص (و) امتحان ذلك انه (لو ظهر من اقرانه من هو) أكثر منه علما وأذلق منه لسانا وأفصح منه بيانا (وأحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه) أى عن مجلس علمه أو وعظه (واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه) فبهذا يظهر الغرور والتلبيس فى علمهما (ولو كان باعثه الدين) وفرح بذلك لمساعدته له على انقاذ عباد الله من أيدى الشياطين (لشكر الله تعالى) على النعمة التى أداها وهى رتبة الصديقين فان العلم بالتعلم كمال فى العلم (اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره) ووجد مساعدا له على مهمه وان ضربته عقرب الحسد حتى اشتهى بذلك زوال النعمة عنه وظهور عثرات ليسقط بذلك وقع كلامه فى قلوب الناس فلا يشك انه راكع ساجد للناس وعيشه وحياته بهم لا بالله تعالى (ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول) له (انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدرى المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل) والاعلم والافصح (أجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده) فى الامر الذى فيه (وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه لتصدى أبى بكر رضى الله عنه للامامة) والخلافة دون الناس (أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك) وفرض (لكان مذموما اذ انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر) كما دل على ذلك الآثار الواردة فى قصة البيعة (فما بال العلماء) وهم فى منصب الامامة (لا يفرحون بمثل ذلك) وهم أحق بهذا الفرح من غيرهم اذ كان سببا لمعرفتهم بغرور نفوسهم حتى يرجعوا الى الله تعالى ويجتهدوا فى الاخلاص له اذ معرفة الانسان بعيوب نفسه من جملة السعادات (وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد فى الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع) ولذا كانوا على خطر عظيم (الا الشاذ النادر الفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر) ولما كان الاخلاص نعمة من النعم وفعلا من افعاله والعبد آلة ومحل لما يرد عليه من مولاه لا من نفسه كثرت أقاويلهم فى حده وحقيقته

فوجب بيان ذلك

(بيان أقاويل الشيوخ في الاخلاص)

وسبب اختلافهم كما تقدم اما بالنظر الى اختلاف مقاماتهم واحوالهم واما بالنظر الى اختلاف اقوال السائلين واما بالنظر الى تنوع درجات الاخلاص قال القشيري الاخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به الى الله تعالى ويصح ان يقال الاخلاص تصفية العقل عن ملاحظة المخلوقين ويصح ان يقال الاخلاص التوقي عن ملاحظة الاشخاص و(قال) أبو يعقوب (السوسي) رحمه الله تعالى (الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى الاخلاص وماذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه) والسكون به (عجب) وسماه بعضهم رياء كما سيأتي بيانه (وهو من جملة الآفات) المتطرقة اليه (والخالص ماصفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة) أي فلا تكون حقيقته جامعة لافراده (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة) أي لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى عبادة أو عادة (وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض) قال صاحب القوت وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تعالى تقربا به لاجل الله تعالى فهذا اعلى النيات وهو غاية الاخلاص وقال أيضا اخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة الا ان من رزق المقام منها دخل بحقيقة اخلاص المعاملة ضرورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين (وفي معناه قال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (الاخلاص صدق النية مع الله تعالى) أي في حركاته وسكناته فان الحركة والسكون اللذين هما أصل الافعال هما من أعماله التي يسئل عنها فيحتاج الى صدق النية فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى فيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده اما حبا لله واجلالا له واما خوفا منه أو رجاء له أو لاجل ما أمره به فينوي اداء الفرائض أولما ندبه فينوي المسارعة الى الخير أو فيما أبيح له فتكون نيته في ذلك صلاح قلبه واسكان نفسه واستقامة حاله قال صاحب القوت والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة انها صحة العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الاعمال وأول كل عمل وقد قال الله تعالى أذكروا الله ذكرا كثيرا قيل في التفسير خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ماخلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص اه ويقرب من قول ابراهيم قول ذي النون رحمهما الله تعالى حين سئل عن الاخلاص فقال الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه نقله القشيري فبين الصدق والاخلاص تلازم فمن اخلص في مقام وصدق في سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله الله الى مافوقه وسئل الجنيد عن الصدق والاخلاص فقال بينهما فرق الصدق أصل والاخلاص فرع والصدق أصل كل شئ والاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في الاعمال والاعمال لا تكون مقبولة الا بهما وقال القشيري سمعت أبا علي الدقاق يقول الاخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق التنقي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا اعجاب له اه وماذكره هو أوفي مراتب الاخلاص والصدق فان اعلاها ان لا يسكن العبد الى عمله وحسنه وان كان صحيحا ويراه فضلا من ربه (وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى (أي شئ أشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها) أي للنفس (فيه) أي في الاخلاص (نصيب) نقله القشيري وذلك لان الغالب على عملها ان يكون لغرض ديني أو دنيوي وماذكره مختص بحال المريد السالك فامامن كملت معرفته بمولاه اضمحلت لديه الاغراض فهو انما يلتذ بالقرب (وقال) أبو محمد (رويم) بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٠٣ كان جامعا بين

(بيان أقاويل الشيوخ في الاخلاص) قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وماذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ماصفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن أدهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل أي شئ أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم

الاخلاص فى العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين وهذا اشارة الى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات فى الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو

اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخاص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو فى طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوى الالباب وجه الله تعالى فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضى أبو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال أبو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر

الى الخالق فقط وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص فى العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق هذا أجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق

التصوّف والفقه وكان يفتى على مذهب داود (الاخلاص فى العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين) ولا حظا من الملكين هكذا بهذه الزيادة نقله القشيرى والمراد بالدارين دار الآخرة والدنيا والملكين ملك اليمين وملك الشمال أى بان يكون عمله لله لا يريد به سواه لا من دنياه ولا من أخراه (وهذا) الذى ذكره (اشارة الى ان حظوظ النفس آفة) أى دخول حظ فى العمل وآفة تعرضه اما (آجلا) فى دار الآخرة (أو عاجلا) فى دار الدنيا (والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات فى الجنة) من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك (معلول) فى عمله (بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى) فقط ولا يمر بباله شئ من الحظوظ (وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق) والاخلاص الكامل و يعبر عنه أيضا باخلاص الاخلاص (فاما من يعمل لرجاء) دخول (الجنة وخوف) اقتحام (النار فهو مخلص) مقيد اى (بالاضافة الى الحظوظ العاجلة) فى الدنيا (والا فهو فى طلب حظ البطن والفرج) فى الآخرة (وانما المطلوب الحق لذوى الالباب هو وجه الله تعالى فقط) واليه الاشارة فى الخبر وعليون لذوى الالباب (وقول القائل) فى اعتراضه على من قال ان الاخلاص هو البراءة من الحظوظ فى الحركة والسكون كيف يكون هذا مع انه (لا يتحرك الانسان الا لحظ) وكذا لا يسكن الا لحظ (والبراءة من الحظوظ) كلها فى سائر الافعال (صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر) لانه قد أشرك بالله فى صفة من صفاته المختصة به (وقد قضى القاضى أبو بكر) محمد بن الطيب (الباقلانى) البصرى المتكلم على مذهب الاشعرى وسمع الحديث من العقيلى توفى سنة ٤٠٣ (بتكفير من يدعى البراءة) لنفسه (من الحظوظ) كلها (وقال هذا من صفات الالهية) فلا يتصف بها أحد (وما ذكره حق ولكن القوم انما أرادوا به البراءة مما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة) الخاصة (والمناجاة) والانس (والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء) الطائفة (وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه) بجنب ما هم فيه (ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره) وقد يقال ان الذى ذكره رويم حد للعمل الخالص لا للاخلاص (وقال أبو عثمان) سعيد بن اسمعيل الحيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦٨ (الاخلاص نسيان رؤية الخلق) أى فى العمل (بدوام النظر الى) فضل (الخالق) عليك نقله القشيرى وهذا اخلاص فانهم يخلصون عما هم حتى من رؤيتهم له استحسانا (وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط) كما أن قول السوسى اشارة الى آفة العجب (ولذلك قال بعضهم الاخلاص فى العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه) وهذا قول الجنيد ولفظه عند القشيرى قال الجنيد الاخلاص سر بين الله و بين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله اهـ أى لا يؤثر فيه احد من هؤلاء لما فى قلب المتصف به من افراده بالعمل بسره وهذه الحالة انما يخص الله بها خواصه من أوليائه ولذلك قالوا من لم يكن بينه و بين الله سر فهو مصر و يؤيده ما تقدم من خبر حذيفة الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى و يقرب منه قول ذى النون الاخلاص ما حفظ من الله وان لم يفسده وأيضا قول من سئل عن الاخلاص فقال ان لا يشهد عملك غير الله (فانه اشارة الى مجرد الاخفاء) و يقال أيضا ان هذا أحد لخالص العمل لا للاخلاص (وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا من العلائق وهذا) الحد (أجمع للمقاصد) فان الشطر الاول يشير الى الاخفاء والثانى الى قطع الحظوظ فالاول فيه السلامة من الرياء والثانى فيه السلامة من الهوى وحقيقة الاخلاص السلامة منهما (وقال) الحارث بن أسد (المحاسبي) رحمه الله تعالى (الاخلاص هو اخراج الخلق

عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفى الرياء) ويقرب منه قول من قال هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وقول من قال هو التوقى عن ملاحظة الاشخاص وقول من قال هو التوقى عن ملاحظة الخلق وقد تقدم ذكر الاقوال الثلاثة (وكذلك قول) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية) أى فان العبودية تقتضى الذل واخلاصها عبارة عن كمالها فمن كمل فى عبوديته) كان بمعزل عن الرياسة (وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال) ولفظ القوت قالوا له يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل (فقال الذى يعمل العمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس) وتمامه عند صاحب القوت قالوا فمن الناصح لله عز وجل قال الذى يبدأ بحق الله عز وجل قبل حق الناس واذا عرض له أمران احدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الله تعالى قبل أمر الدنيا انتهى ويروى فى الخبر لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شئ من عمل الله عز وجل (وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر) دون غيره من الآفات (لانه أقوى الاسباب المشوّشة للاخلاص) ففى الخبر أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لاجل أن يؤجر العبد ويحمد (وقال الجنيد) قدس سره (الاخلاص تصفية العمل عن الكدورات) ولا يتم ذلك الا اذا ملك شيئين أحدهما عنده أولى به من الآخر صحة القصد لوجه الله ثم اخراج الآفات أو الحذر عليه من دخولها عليه الى فراغه منه فبذلك يتم اخلاصه ويصفو من كدورات الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون خالصا من الرياء بالاخلاص صافيا من الشهوة بتفقد دخول الآفة (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما) نقله القشيرى سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت على بن بندار الصوفى يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد بن عبدربه يقول سمعت الفضيل يقول فذكره ومعنى قوله ترك العمل الخ أى من حيث يتوهم منهم أنهم ينسبونه بالعمل الى الرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم له بالاخلاص فيكون مرائيا بتركه محبة للدوام نسبة الى الاخلاص لا للرياء وقوله والعمل الخ أى لكونه أشرك فى عمله غيره وهذا يرجع الى قول من قال الاخلاص تصفية العمل من الرياء والهوى وقال صاحب القوت ولا يترك العبد العمل الصالح خشية دخول الآفة عليه ولا يدعه ان كان داخلا فيه لما يعتريه فان ذلك بغية عدوّه منه لكن يكون على نية الاولى من صحة القصد فان دخلت عليه وضع عليها دواء فعمل فى نفيها وازالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملا لاجل الخلق حياء منهم وكراهة اعتقادهم فضله فان العمل لاجل الناس شرك وتركه لاجلهم رياء وترك العمل خشية دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن ومن دخل فى العمل لله تعالى وخرج منه لله تعالى لم يضره ما كان بين ذلك بعد أن ينفيه ولا يساكنه وقد يضره ما يكون بعد ذلك منه ان كان سرا فاظهره بعد زمان فصار علانية فنقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومثل أن يتظاهر به ويفتخر ويدلى به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لانه قد أفسده والله لا يصلح عمل المفسدين ومن دخل فى العمل لله تعالى ودخل عليه فى وسط العمل علة فخرج من العمل بما أبطل عمله ومن دخل فى العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله وجبر بآخره أوّله وأفضل الاعمال ما دخل فى أوّله لله تعالى وخرج منه بالله تعالى ولم تطرقه فيما بينهما آفة فيكون الله تعالى هو الاوّل والآخر معه وعنده ثم لا يظهره بعد ذلك ولا يتظاهر به انتهى وقال صاحب المقاصد الفائدة الثانية أن لا يترك العمل خوفا من غرة الاخلاص فان ترك العمل من جهة الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك بل يعمل ويجتهد فى الاخلاص فان ترك الاعمال لا يقدر عليها الا بالتدريج شيأ فشيأ ففى الخبر أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فهذا يدل على الدخول فى الدين قهرا لا بالاختيار ولكن ذلك تدريج الى مجالسة المؤمنين ومشاهدة أحوالهم والى استماع ما أنزل الله عليهم ليكون موصلا للايمان الى قلوبهم

عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفى الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذى يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه أقوى الاسباب المشوّشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية العمل من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما

وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا اشارة الى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

(بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص) اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال وأظهر المشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين

*الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم ان أحسنت

فيدخلون في الدين باختيارهم ثم يتدرجون قليلا قليلا الى أن يبلغوا منازل المقربين والى هذا الاشارة بقوله تعالى والمؤلفة قلوبهم (وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل) فان دوام المراقبة يستدعي الاستغراق في العبودية والمستغرق فيها لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى ونسيان الحظوظ يستدعي عدم الرؤية في اخلاصه فصار بذلك جامعا المعاني الاخلاص كلها (والاقاويل في هذا كثيرة) فمن ذلك قولهم الاخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال في الاعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة وهذا نقله القشيري عن ذي النون وهي من علامات الاخلاص وقيل نقصان كل مخلص في اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا نقله القشيري عن أبي بكر الدقاق وهو بعينه قول أبي يعقوب السوسي الذي ذكره المصنف وقال أبو علي الروذباري قال لي رويم قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وقال حذيفة المرعشي الاخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن وقيل الاخلاص ما أريد به الحق وقصد به الصدق وقيل الاخلاص الاغماض عن رؤية الاعمال وقال السري من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وقال يوسف بن الحسين أعز شئ في الدنيا الاخلاص (ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت) قال العراقي لم أره بهذا اللفظ وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم اهـ قلت ذكر الحافظ في ترجمة سفيان هذا في الاصابة الحديث المذكور باللفظ الاول وقال أخرج حديثه مسلم والترمذي والنسائي أي فذكر النسائي بدل ابن ماجه والله أعلم ووجدت في القوت ما يشبه هذا السياق قال فاحسن تفسير النية ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان فقال تعبد الله كأنك تراه فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين فهم خاص المخلصين انتهى (أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا) لا يطيقه الا الاكابر اذ هو (اشارة الى قطع ما سوى الله من مجرى النظر وهو الاخلاص حقا) وذكروا في الاستقامة انها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والله الموفق

(بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الآفات المشوشة للاخلاص) المكدرة لصفوه (بعضها جلي) أي ظاهر (وبعضها خفي) يدرك بالتأمل (وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال وأظهر مشوشات الاخلاص) وأقواها (الرياء) ولذا جعل أكثرهم تركه اخلاصا كما تقدم في أقوالهم (فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار) أي التعظيم (والصلاح ولا يزدريك) أي لا يحتقرك (ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين) فلا حاجة في التطويل فيه (الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك) أي ينقل عنك ويقتدى بك فيه (فيكون لك ثواب أعمالهم ان أحسنت

وعليك الوزران أسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع
بالاول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك فى
الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذى استقام فى نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره
الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه
ماليس متصفا به * الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته
بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص فى أن تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملا ويستحيى من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه فى الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملا ويصلى فى الملا أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن فى الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته فى الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيى من نفسه أن يكون فى صورة المرائين ويظن أن ذلك يزول بان تستوى صلاته فى الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا

وعليك الوزران أسأت فاحسن عملك بين يديه فعسى يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض
من الاول) أى أدق فى المدرك (وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للاخلاص
فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرتضى لنفسه ذلك فى الخلوة ولا يمكن
أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس) والغرور (بل المقتدى به هو الذى استقام
فى نفسه) فى أعماله وأحواله (واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق
والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه) لا محالة (وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ماليس
متصفا به الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان)
وخداعه (ويعلم ان مخادعته بين الخلوة) بين الناس (والمشاهدة للغير) منهم (محض الرياء) أى خالصه
(ويعلم أيضا ان الاخلاص فى أن تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملا) من الناس (ويستحيى من
نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته) المستمرة (فيقبل على نفسه فى الخلوة
ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملا ويصلى فى الملا أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض)
الخفى مدركه (لانه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن) صلاته (فى الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته فى
الخلوة والملا الى الخلق) وهذا بمعزل عن الاخلاص الكامل (بل الاخلاص) الكامل ان لا يلتفت اليهم
مطلقا ويكون وجودهم كعدمهم اذ لا قوام لهم بنفوسهم ويتحقق ان الموجود الثابت الحقيقى هو الله
الذى لا اله الا هو الحى القيوم الذى قامت ذاته بذاته وكل شئ سواه قائم به ومستند الى قدرته فان عجز عن
هذا الرفيع الذروة فالواجب فى حقه (أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة
واحدة) أى لا فرق بينهما (فكأن نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيى من
نفسه أن يكون فى صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوى صلاته فى الخلا والملا جميعا وهذا شخص
مشغول الهم بالخلق فى الخلا والملا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان) ولاجل هذا كان المخلصون على
خطر عظيم (الدرجة الرابعة هى أدق وأخفى أن ينظر اليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن
يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر فى عظمة الله وجلاله ومن أنت
واقف بين يديه واستح من أن ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه) وتنتفى عنه الخطرات
(وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص) اذ هو عبارة عن مراقبة القلب ونسيان الحظوظ وقد
حصل كل منهما (وهذا عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله) وعظمته (لكانت هذه
الخطرة تلازمه فى الخلوة ومراقبة القلب فى وقت دون وقت لا يجدى نفعا ولا أن تدوم فى الاحوال كلها
ولكان يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه
فى الخلوة كما يألفه فى الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة

يلتفت الى الجمادات فى الخلا والملا جميعا وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق فى الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد سيما
الخفية للشيطان * الدرجة الرابعة وهى أدق وأخفى أن ينظر اليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لاجلهم فانه قد
عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحى من أن ينظر الله الى قلبك وهو
غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله
لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما
يألفه فى الخلوة كما يألفه فى الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة

سببا فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن فى أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى فعل

ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغى أن تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف فى مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك فى ميله الى أحد المسجدين أو أحد الموضعين اذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يتخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف فى نفسه وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغر الغبى فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن

سببا) لذلك (فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص) وكماله (مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء) بحسب قوة انصراف وجهة قلبه عن الله تعالى وضعفها (وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر) من حديث أبى بكر وعائشة وابن عباس وأبى هريرة بألفاظ مختلفة مع زيادات وقد تقدم فى كتاب العلم وكتاب ذم الجاه والرياء (ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره) وعظمت معرفته فى مكايده (وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب) الحسنة (فان هذه سنن فى أوقات مخصوصة) وقد تقدم ذكر كل واحدة منها فى مواضعها (وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغى ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية) الكامنة فى النفس (أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص) الكامل (بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس بخالص) حقيقة (بل من يعتكف فى مسجد) من المساجد (معمور) بالناس (نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الانس بصورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك فى ميله الى أحد المسجدين أو أحد الوصفين اذا كان أحسن من الآخر) وأخفى من ذلك أن يميل الى مسجد خرب بعيد عن الناس فيلقى فى نفسه انه أجمع لقلبك فى العبادة وفى باطنه الانفراد عن الناس وهو سبب الظهور فيكون عين ما هرب منه (وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان) أى مكره (وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل) وقد روى فى المرفوع نحوه روى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم رواه الشيرازى فى الالقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن على رفعه ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله وروى أبو نعيم من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط (وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يتخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى) الجاهل (الى حمرة الدينار المموه) أى المسقى بماء الذهب (و) حسن (استدارته وهو) مع ذلك (مغشوش زائف فى نفسه) غير رائج (وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر) بالكسر أى الجاهل (الغبى فهكذا يتفاوت أهل العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن

الكثير) فتسرى معرفته اليه لفطانته ويقيسه على القليل (والبليد) الجبلة والطبع (لا يغنيه لتطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل) في حقه والله الموفق

(بيان حكم العمل المشوب واستحقاقه الثواب به)

و بيان اختلاف أقوال العلماء فيه (اعلم) هداك الله تعالى (ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيأ أصلا فلا يكون له ولا عليه أما الذى لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب) كما دلت بذلك الاخبار التى تقدم ذكرها فى كتاب العلم ومنها حديث أبى هريرة الذى أوله أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة وقد تقدم قريبا ومنها حديث ابن عمر من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى والنسائى ومنها حديث أبى هريرة من تعلم علما يبتغى به غير وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها رواه أبو داود والحاكم وصححه ومنها حديث كعب بن مالك من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى وقال غريب ومنها حديث أبى هريرة ان فى جهنم واديا يقال له جب الحزن تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يسكنه القراء المراؤن بأعمالهم رواه الترمذى وقال غريب فهذه الاخبار انما تدل كلها على حبوط العمل وبطلانه لتمحضه للرياء وهذا لا خلاف فيه بين العلماء وان كل ما كان بهذه المثابة فهو على المرء لا له ولا يجو منه كفافا بل هو على خطر العقاب الا ان يتوب من ذلك توبة يقبلها الله منه ويعفو عنه بكرمه كرما وفضلا (وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب) كما دلت بذلك أيضا الاخبار التى تقدم ذكرها وهذا أيضا لا خلاف فيه بين العلماء (وانما النظر فى العمل (المشوب) وهو ان يكون الباعث على طلب عمل من أعمال الطاعات مجموع القصد بن قصد وجه الله تعالى والقصد الدنيوى وقد اختلف الائمة فيه فمنهم من قال لا يقتضى هذا العمل ثوابا ولا عقابا ومنهم من قال يثاب على ما فيه من الاخلاص (وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له) أو انه مقتض للعقاب وان ما وقع فيه من الرياء أحبط العمل بالكلية وهذا القول اختاره الحرث المحاسبى وكثير من الائمة قالوا ان العمل لا يترتب عليه الثواب حتى يكون جميعه خالصا وحده من غير شوب غرض دنيوى وانه متى خالطه قصد غير التقرب الى الله أبطله وكان حكمه حكم ما لو تمحض ذلك القصد الدنيوى وهذا هو الذى اختاره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى قال الصلاح العلائى وهو الذى تقتضيه الاحاديث الصحيحة (وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه) قال العراقى روى أبو داود من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث وللنسائى من حديث أبى امامة باسناد حسن أرأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لا شئ له فأعادها ثلاث مرات يقول له لا شئ له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه وللترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبى هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجران أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء اهـ قلت حديث أبى هريرة رواه أبو داود فقال حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع عن ابن المبارك عن ابن أبى ذئب عن القاسم عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن ابن مكرز رجل من أهل الشام عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أجر له فأعظم الناس ذلك وقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه فقال يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من اعراض الدنيا فقال لا أجر له فقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال لا أجر له واسناده حسن وأخرجه الحاكم وصححه وأما حديث أبى امامة

الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة فى التفصيل *(بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به)* اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس فى ان ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيأ أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذى لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر فى المشوب وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه

والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى

الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شئ من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقويه هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان له

فقال النسائي حدثني عيسى بن هلال الحمصي حدثنا محمد بن حمير حدثنا معاوية بن سلام عن عكرمة بن عمار عن شداد أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شئ له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شئ له ثم قال ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه واسناده صحيح وقد أخرجه الحاكم وصححه أيضا فهذان الخبران يبينان صحة ما ذهب اليه المحاسبي واختاره ابن عبد السلام وهما صريحان في المدعى وأما ما يعارض ذلك لحديث أبي هريرة الذي تقدم في ذم الجاه والرياء وأشار اليه العراقي وكذا حديث عبادة بن الصامت من غزا في سبيل الله ولم ينو الا عقالا فله ما نوى رواه النسائي قال العراقي في شرح التقريب فاتيانه بصيغة الحصر يقتضي انه اذا نوى مع العقال شيأ آخر كان له ما نواه اه وقال السمعاني في أماليه قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرئ ما نوى فيه دلالة على ان الاعمال الخارجة عن العبادة قد تفيد الثواب اذا نوى بها فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما القوة على العبادة والطاعة والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة اه واختار المصنف رحمه الله تعالى التفصيل في ذلك وقد أشار اليه بقوله (والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله) تعالى (ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب) أي اذا تساوى القصدان وكانا على السواء يكون باطلا كما اذا كان الاخلاص منغمرا بالنسبة الى الآخر (نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شئ من عقوبة القصد الفاسد) وحاصله ان الباعث القوي على هذا العمل ان كان ارادة وجه الله وحصل ذلك في ضمنه فانه يثاب عليه ولا نظر الى ما عرض فيه من الحظ الدنيوي وان كان الشق الآخر هو الباعث القوي بحيث لو فات لم يعمله فانه يكون باطلا ولا اعتبار بما عرض فيه من الاخلاص المنغمر بالقصد الدنيوي وهذا التفصيل الذي ذكره هو أيضا اختيار الامام أبي العباس القرطبي وحكاه عن الجمهور (وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقويته هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضر) المزاج (ثم تناول من المفردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما) فهذا معنى تقاومهما (وان كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر) لا محالة (فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان

فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لامحالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يحبط الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن

يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد أن يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة أصلا فان هذا الالتفات نقصان لامحالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى الرياء شرك وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له

فلم يكن له ولا عليه فان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لامحالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها) تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (فان كان الرياء المحض يحبط الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا) التفصيل (اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس) وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وانها نزلت لما تحرجوا من التجارة في الحج (نعم يمكن ان يقال انما يثاب) على أعمال الحج (عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة) ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والسفر التابع فلا تنفك نفس السفر عن ثواب) قال الصلاح العلائي في مقدمة الاربعين وقد يقال ان الآية محمولة على ما اذا عرضت التجارة في موسم الحج من غير قصد لها بدليل الاحاديث السابقة ولو كان انشاء السفر للحج والتجارة جميعا فنقول انه لا يثاب على ذلك السفر كما دلت عليه الاحاديث وأما أفعال الحج من الاحرام وما بعده فاذا وقعت خالصة أثيب عليها ولا تنافيها التجارة فيكون هو الذي دلت عليه الآية قالوا ويشهد لهذا التفصيل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان من خير معاش الناس الجهاد فجعل الجهاد مما يصح ان يتخذ للمعاش ومن ضرورة ذلك ان يكون مقصودا قال الصلاح لم أره هكذا مسندا وبتقدير صحته فانما سماه معاشا لما يعرض فيه غالبا من المغانم ولا يلزم من ذلك ان يكون مقصودا اهـ (وما عندي ان الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة أصلا فان هذا الالتفات نقصان لامحالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ) وتقدم في جملة افرادها تقديم أحد الجهادين على غيره طلبا للغنيمة (فقد روى طاوس) ابن كيسان اليماني (وعدة من التابعين) كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن (ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا) رواه عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الاخلاص وابن أبي حاتم والحاكم نحوه عن طاوس بلفظ قال رجل يا نبي الله اني أقف أبتغي وجه الله وأحب ان يرى موطني فلم يرد عليه شيأ حتى نزلت هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه الآية هكذا رواه مرسلا من رواية طاوس وقد تقدم في ذم الجاه والرياء ورواه الحاكم أيضا وصححه والبيهقي موصولا عن طاوس عن ابن عباس وروى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد قال قال رجل يا رسول الله أعتق وأتصدق وأحب ان يرى فنزلت وروى هناد في الزهد بلفظ جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله وأحب ان يقال لي خير فنزلت (وروى معاذ) بن جبل رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى الرياء شرك) رواه الطبراني والحاكم وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له) قال العراقي تقدم في ذم الجاه والرياء من حديث محمود بن لبيد بنحوه قلت وروى

ابن

وروى عن عبادة ان الله عز وجل يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى أبو موسى ان اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا فهوله فنقول هذه الاحاديث لاتناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فطلق للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة أبدا في خطر فانه لايدري أي الامرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز ان يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله أن يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان أمثال هذه

ابن سعد وأحمد والترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث أبي سعد بن فضالة الانصاري وكان من الصحابة اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك (وروى عن عبادة) بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشركة من عمل عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي) قال العراقي رواه مالك في الموطأ بلفظ فهوله كله قلت وروى نحوه من حديث الضحاك ابن قيس ان الله تعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معي شيأ فهو لشريكي رواه الدارقطني وابن عساكر والضياء ورواه الخطيب في المتفق والمفترق بزيادة يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له وروى من حديث شداد بن أوس بلفظ ان الله عز وجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيأ فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به بي أنا عنه غني رواه الطيالسي وأحمد وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية واسناده ضعيف وروى مسلم وابن خزيمة من حديث أبي هريرة بلفظ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فانا منه برىء وهو للذي أشرك (وروى أبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (ان اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله) فايهم في سبيل الله (فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) رواه أحمد والستة وقد تقدم (وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا) أي من الغنيمة (وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا فهو له) رواه سعيد بن منصور وقال حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال من هاجر يبتغي شيأ فانما له ذلك هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس وقد تقدم وهذه الاخبار والآثار التي ساقها المصنف تصلح ان تكون حجة لما ذهب اليه المحاسبي واختاره العز بن عبد السلام وقد أشار المصنف الى الجواب عنها بقوله (فنقول هذه الاحاديث لاتناقض ما ذكرناه) أولا (بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيأ من الدنيا أو كان ذلك) أي قصد الرياء (هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فطلق للتساوي) أي يساوي كل منهما الآخر من غير زيادة من أحد الجانبين (وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة أبدا في خطر فانه لا يدري أي الامرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط ويجوز ان يقال منصب الشهادة) عزيز (لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو ولم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية) أصحاب أموال ومواش وأثاث (والاخرى فقيرة) لا شئ لهم (فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة) وانه قد حبط عمله بالمرة (ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا احرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان أمثال هذه

الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثيرها فى نقصان الثواب فاما ان يكون فى احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله و يكون الاغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى فى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ فى الاحتياط فلذلك ينبغى ان يكون أبدا بعد كمال

الشوائب التابعة قد لا ينفك الانسان عنها الا على الندور) والقلة (فيكون تأثيرها فى نقصان الثواب فاما ان يكون فى احباطه فلا) هذا آخر ما يتعلق بالتفصيل الذى ذهب اليه وهو أمر بين أمرين فان المحاسبى ومن تبعه اختاروا الاشد والاشق ومن قال انه يثاب مطلقا ولا تأثير فيه للرياء فقد اختار الاخف (نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله تعالى ويكون الاغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى فى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ فى الاحتياط فلذلك ينبغى ان يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد) فى كل عمل من أعماله (مترددا بين الرد والقبول خائفا) وجلا (ان تكون فى عبادته آفة) ما شعر بها (يكون وبالها أكثر من ثوابها) ويعتقد بذلك انه متقرب وهو متباعد فعسى ان يكون خوفه واشفاقه كفارة للآفة الداخلة عليه و يرجو من فضل الله وسعة جوده ان لا يؤاخذ بما خرج عن علمه بعد جده واجتهاده (وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغى ان يكون كل ذى بصيرة) لكن أدرج فى رحله ماء ثم صلى بعد جهده وامعانه فى الطلب ثم بان له بعد ذلك انه كان فى رحله ماء فقد قطع الفقهاء بان لا قضاء عليه فى هذه الصورة وهذا القياس لا يصح الا فى رتبة المعاونة والموافقة وأما رتبة المشاركة فلا يصح لان الماء له بدل والاخلاص لا بدل له بل يجب فى رتبة المشاركة فى الرياء المجرد عن الاخلاص التوبة وقضاء ما يجب قضاؤه من صلاة وزكاة وصوم وكذلك لا يفارقك الخوف والرجاء لجبران الآفات المنقصة لكمال الاخلاص الى ان ينتهى الى حالة لا يصح فيها الخوف والرجاء فحينئذ يا سعادة المقربين (ولذلك قال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (لا اعتد بما ظهر من عملى) نقله صاحب القوت (وقال عبد العزيز بن أبى داود) روى له البخارى تعليقا والاربعة مات سنة تسع وخمسين ومائة (جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فادخلت فى شئ من أعمال الله الا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا على) نقله صاحب القوت (ومع هذا فلا ينبغى أن يترك العمل عند خوف الآفة) أى خشية دخولها فيه (فان ذلك منتهى بغية) عدوه (الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا) وترك العمل فى هذه الصورة جهل كما ان ترك العمل عند دخول العلة عليه وهن (وقد حكى ان بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (ويخف) بين يديه (فى أعماله) وحوائجه ويخدم أصحابه و يسارع فى قضاء حوائجهم (فتكلم أبو سعيد يوما فى اخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة و يطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج) مما كان يعمله لابى سعيد وأصحابه من الخفة والمسارعة وتركه (واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره) وقال له يا بنى قد كنت تسعى فى حوائج اخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب (فاخبره الفقير) (بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها) أى خشية أن تكون أعماله مدخولة (فقال) له (أبو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة) ولا ينبغى للعامل ان يترك العمل لاجل الاخلاص فيفوته الاخلاص والعمل (فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الاخلاص فما قلت لك أترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل) فان طلبك للاخلاص قد قطعك عمل البر وقد أضر ذلك بنا فارجع الى ما كنت فيه واخلص فيه لله تعالى نقله صاحب القوت (وقد قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك) نقله القشيرى وقد تقدم قريبا بسنده

الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان تكون فى عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغى ان يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا أعتد بما ظهر من عملى وقال عبد العزيز بن أبى داود جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فادخلت فى شئ من أعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا على ومع هذا فلا ينبغى أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود أن لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف فى أعماله فتكلم أبو سعيد فى الاخلاص يوما يريد اخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة و يطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد لا تفعل اذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

بسنده ولنختم هذا الباب بذكر ما يتعلق بالاخلاص قال القشيري في الرسالة قال سهل لا يعرف الرياء الامخلص وقال حذيفة المرعشي الاخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن وقال السري من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة فرأيت في البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال أدخل لا يبلغ أحد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك في صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدي فما كان الا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول اذا اخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والرياء اهـ وقال صاحب القوت سميت سورة قل هو الله أحد سورة الاخلاص لانها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده لا يختلط بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولذلك قيل سورة التوحيد اذ لا شريك فيما سواه قال ومن ألهمه الله اخلاص النية وزاده معرفة الاخلاص أخرجه ذلك الى الهرب من الناس ليخلص له معاملته لانه ينظر بعين اليقين واذ ليس ينفعه شئ الا شئ بينه وبين الله عز وجل لا شريك له فيه لسواه وهذا المعنى هو الذي أخرج طائفة من الابدال الى الكهوف تخليا من ابناء الدنيا لخلاص أعمالهم من النظر اليهم فهم وان فارقوا فضائل الاعمال من صلاة الجماعة وغيرها فقد تقرر عندهم ان اجتناب معصية واحدة عندهم أفضل من ذلك والجاهل بالله تعالى يعمل من طلب الفضائل ولا يبالي بيسير الذنوب وفيها بعد عن الله عز وجل وليس ذلك طريق المقربين وقال بعضهم انما ابعد القلب من الله تعالى مظاهرة أعمال الجوارح بغير مواطأة من القلب بصحة القصد يعني بذلك نقص الاخلاص بها الاجل الله تعالى قال وأصح الاعمال وأخلصها ما كان الله تعالى هو الاول في أولها ومع العامل في أوسطها وللعبد عنده فيها والله هو الآخر عند آخرها ثم لا يظهرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يطالع عوضا عنها من الكبير الاكبر بل ينساها ويشتغل بذكر مولاه عنها قال ومن المناقص المشبهة للفضائل الملتبسة على الافاضل الشهرة بفضلها وروغة العموم للدخول فيها والصبر عليها وهي منكشفة للعلماء بالله عز وجل ما روى ان رجلين تواخيا في الله عز وجل بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فترهب أحدهما واسمه سرجس ولزم أخوه الآخر الجماعة والمساجد ومخالطة الناس وكان أعلم منه بالله عز وجل وكان يلقى أخاه سرجس فيقول يا أخي ان هذا الامر الذي دخلت فيه بدعة وان عليك فيه رعاية لا تقوم بحقها وانه ليس لله فيها رضا فلو دخلت معي في الجماعة والالفة كان ذلك لله عز وجل رضا وأصبت السنة وكان المترهب يعرض عنه ولا يعبأ برأيه ويقول له انك قد ركنت الى الدنيا وأنست بالخلق فلما أعياه قال له فاجعل فطرك عندي الليلة حتى يتبين لك ففعل فقدم اليه فرخين شواهما وقال له تعال حتى نجعل هذين الفرخين قاضيين بيننا فاينا كان على الحق ظهر أمره قال وكيف يقضيان بيننا قال حتى يدعو الله كل واحد منا فمن كانت سيرته وهديه أحب الى الله تعالى يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا حيين قال نعم فادع فدعا الراهب فقال اللهم ان كان هذا الامر الذي دخلت فيه أريد به رضاك أقرب الى الحق مما يدعوني اليه أخي هذا فابعث هذين الفرخين لي قال فلم يجب فقال الآخر اللهم ان كان هذا الامر الذي تمسكت به وخالفت فيه هذا وأصحابه أقرب الى الحق وأرضاه عندك مما يدعوني اليه أخي من الاعتزال والفرقة للجماعة فابعث لي هذين الفرخين قال فصارا حيين وطارا باذن الله تعالى فعلم الآخر أن ذلك ليس فيه لله رضا فرجع الى الجماعة والمساجد قال ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله في مقامه طلبا للفضيلة ليزداد بها قربة الى الله فيتغلب عليه ويهلك ما أدخل على برصيصا العابد في تعليم الاسم الاعظم وقصته مشهورة قال تعالم عند العلماء في علم خير من الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين فقعله اذا اضطر اليه وابتلى به وعلم شر الشرين فامعن في

الهرب منه وهذا من دقائق العلوم وقال منصور المداراة على العمل حتى يخلص أشد من العمل وقال عبد العزيز بن أبي رواد أدركتهم في العمل الصالح فاذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا وقال مالك بن دينار الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال البناجي للعمل اربع خصال لا يتم الا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والاخلاص به والعمل على السنة فأي عمل كان قبل هذه الاربع لم ينفع وقال عبد الرحمن بن سريج من قام الى شئ من الخير لا يريد به الا الله عز وجل ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالاصل ووضع عنه الفرع ومن قام الى شئ من الخير لا يريد به الا المراياة ثم ذكر وبدا له فجعل آخر ذلك لله عز وجل أعطاه الله الفرع ووضع عنه الاصل كانه حسب له ذلك توبة والتوبة مكفرة لما سلف قال وقد تلتبس الفضائل بالمناقص لدقة معانيها وخفي علومها كصلاة العبد النفل وهو يحسب انه الاوجب ومن ذلك ان رجلا كان يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدي الله تعالى بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي فقال ألم تسمع الله يقول استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان اجابته النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له لان صلاته نافلة له واجابته للرسول فرض عليه وقال بعضهم من كان طلب الفضائل أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به فافضل شئ للعبد معرفته لنفسه ثم وقوفه على حده ثم احكامه لحاله التي أقيم فيها ثم قيامه بعلمه الذي فتح له فيبتدئ بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه مبلغ علمه ووسع وجده ولا يشتغل بطلب فضل حتى يحكم عمل فرض لان الفضل ربح لا يصح الا بعد رأس المال ولكل فضل آفة قاطعة فمن سلم منها حاز فضله ولكل أمر نفيس مؤنة ثقيلة فمن تحملها أدرك نفيسها ومن تعذرت عليه السلامة فهيهات هيهات ان يصل الى أفضل كرامة ومن لم يصبر على تحمل غرامة لم يدرك علو مقامه وقد يلتبس التكلف بالاخلاص واظهار العلم بظهور التزين به قال الثوري زين نفسك بالعلم ولا تزين به أي أدبه الله تعالى لتكون زين ينافي أوليائه ولا تتزين به عند الناس ليمدحوك عليه وقد يلتبس الاختيار بالاختيار فالاختيار ما كان عن حاجته وتطرقت به الى الله عز وجل والاختيار ما زاد في الشهوة وكان سلما لك الى الخلق كلباس ستر العورة من الثياب بالفاخر منها للنعمة والتكثر من الاسباب وقد يتطوع العبد بعمل يضيع به فرضا واحكام الفرض لحوز السلامة هو الفضل وقد روى اذا دعي أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل العمال على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل فانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد فدل ان المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير لك من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا ينافي بقلبه منك وتعرفه شق ذلك عليه ان كان صادقا في دعائك انتهى سياق القوت قال السيوطي قال القرطبي في قوله صلى الله عليه وسلم وانما لامرئ مانوى بعد قوله انما الاعمال بالنيات تحقيق لاشتراط النية والاخلاص في الاعمال قال العراقي فجعله للتأكيد ولا شك ان التأسيس أولى منه وقال الزركشي قدره العز بن عبد السلام وانما يحصل لكل امرئ ثواب العمل الذي نواه قال وبهذا التقدير تكون الجملة الاولى لبيان ما يترتب عليها من الثواب في الدار الآخرة وقال الطيبي فهم من الاولى ان الاعمال لا تكون محسوبة ومسقطة الا اذا كانت مقرونة بالنيات ومن الثانية ان النيات انما تكون مقبولة اذا كانت مقرونة بالاخلاص فالاول قصر المسند اليه والثاني عكسه وقال العماد الاسنوي في كتابه حياة القلوب الفرق بين النية والاخلاص هو أن النية تتعلق بفعل العبادة وأما اخلاص النية في العبادة فيتعلق باضافة العبادة الى الله تعالى ويكفيه

في اخلاص العبادة ان يتقدم عنه انه مهما فعله من العبادة انما يفعله لله خالصا فيجزيه هذا الاخلاص الحكمي من أول العمل الى آخره والاولى ان يأتي في أول كل فعل بنية الاخلاص فيه كما يأتي بذلك في نية العبادة مثل الصلاة وتشييع الجنازة والاخلاص الحكمي والحقيقي مشروط فيه عدم طرو ما يناقضه كما في نية العبادة وأخرج ابن أبي الدنيا في الاخلاص والدينوري في المجالسة عن عمر رضي الله عنه قال من خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وأخرج البيهقي في الشعب عن يونس بن عبد الاعلى قال قال الشافعي يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على ان ترضي الناس كلهم فلا سبيل لك فاذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله تعالى وأخرج عن سهل بن عبد الله قال اطلبوا من السر النية بالاخلاص ومن العلانية الفعل بالاقتداء وغير ذلك مغاليط وقال ابن عطاء الله في كتابه الحكم لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله صلى الله عليه وسلم الى ما هاجر اليه وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم تفهم والسلام قال شارحه ابن عباد العمل على طلب الدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في أن تحصل لها رتبة وان تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية في كونها أغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحى مبالغة في تقبيح حال العاملين في رؤية الاغيار وتلطفه في دعائهم الى حسن الادب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أي حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن على مشاهدة التوحيد الخاص قال وفي هذا الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتأويل والله أعلم قوله في القسم الثاني من الحديث فهجرته الى ما هاجر اليه أي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله تعالى ورسوله وهذا من باب حصر المبتدأ في الخبر كما تقول زيد صديقي أي لا صديق له غيري وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالقسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها والمرأة التي يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى ما هاجر اليه وهو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنيات حتى لا يكون التفاته الى غير المكون البتة والله أعلم

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

ويضاف اليه الانفصال والاتصال والتحقيق والتفريد لانهن من علاماته *(فضيلة الصدق)* من الآيات والاخبار فمن ذلك (قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فاثنى عليهم بالصدق ووصفهم به ولولا أنه من فضائل الاعمال ما وصفهم بذلك وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر) أي يوصل صاحبه اليه والبر بالكسر اسم يجمع الخير كله وقيل هو التوسع في الخير وقيل اكتساب الحسنات واجتناب السيئات (و) ان (البر يهدي الى الجنة) يعني ان الصدق الذي هو بر يدعو الى ما يكون برا مثله وذلك يدعو الى دخول الجنة فهو سبب لدخولها ومصداقه قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم (وان الرجل) ذكر الرجل وصف طردي والمراد الانسان المؤمن (ليصدق) أي يلازم الصدق (حتى يكتب عند الله صديقا) أي يتكرر منه الصدق ويدوم

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)
(فضيلة الصدق)
قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا

عليه قولا وفعلا واعتقادا حتى يستحق اسم المبالغة فيه و يشتهر بذلك عند الملأ الاعلى فالمراد بالكتابة الكتابة فى اللوح أوفى صحف الملائكة (وان الكذب) الذى هو مقابل الصدق (يهدى) أى يوصل (الى الفجور) الذى هو شق ستر الديانة والميل الى الفساد والانبعاث فى المعاصى وهو اسم جامع لكل شر (وان الفجور يهدى الى النار) أى الى ما يكون سببا لدخولها وذلك داع لدخولها (وان الرجل ليكذب) أى يكثر الكذب (حتى يكتب عند الله كذابا) أى يحكم له بذلك و يستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم فى الاول والكذابين وعقابهم فى الثانى فالمراد اظهاره لخلقه بالكتابة فيما ذكر ليشتهر فى الملأ الاعلى و يلقى فى قلوب أهل الارض و يوضع على ألسنتهم كما يوضع القبول والبغضاء فى الارض ذكره العلائى وغيره وتبعهم الحافظ فى الفتح وقال بعضهم المضارعان وهما يصدق و يكذب للاستمرار ومن ثم كان الكذب أشد الاشياء ضررا والصدق أشدهما نفعا ولهذا علت رتبته على رتبة الايمان لانه ايمان وزيادة وقال النووى فيه حث على تحرى الصدق والاعتناء به وتحذير من الكذب والتساهل فيه فانه اذا تساهل فيه أكثر منه وعرف به وقال الراغب الصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا لما صح نظامه و بقاؤه وهو أصل المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى ولولاه لبطلت أحكام الشرائع والاتصاف بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان بالنطق ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه واذا لم يعتمد لم ينتفع واذا لم ينتفع صار هو والبهيمة سواء بل يكون شرا من البهيمة فانها وان لم ينتفع بلسانها لاتضر والكاذب يضر ولا ينفع اهـ والحديث قد تقدم انه اتفق عليه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك فوهم وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقد روى ذلك من حديثه بلفظ آخر عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه كذلك أحمد والبخارى فى الادب المفرد ومسلم والترمذى وابن حبان وقال أبو داود والطيالسى فى مسنده حدثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال العبد يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ورواه القشيرى فى الرسالة من طريقه وقد روى نحو ذلك من قول ابن مسعود قال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة أخبرنى عمرو بن مرة سمعت مرة الهمدانى قال كان عبد الله يقول عليكم بالصدق فانه يهدى الى الجنة وما يزال العبد يصدق حتى يكتب عند الله صديقا و يثبت البر فى قلبه فلا يكون للفجور موضع ابرة يستقر فيه وفى الباب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه رفعه عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وسلوا الله اليقين والمعافاة الحديث هكذا رواه الطيالسى وأحمد والحميدى والبخارى فى الادب المفرد والنسائى وابن ماجه وأبو يعلى والشاشى والدارقطنى فى الافراد وابن حبان والحاكم والبيهقى والضياء وقال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن يزيد بن حميد سمعت سليم بن عامر يحدث عن واسط بن اسمعيل انه سمع أبا بكر يخطب بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول مقامى هذا ثم بكى أبو بكر ثم قال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وهكذا رواه مختصرا وقد رواه الطبرانى مثله من حديث معاوية وروى الخطيب وابن النجار من حديث أبى بكر بلفظ فانه باب من أبواب الجنة و باب من أبواب النار والباقى سواء (و يكفى فى فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه) قال القشيرى الصادق الاسم

وان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا و يكفى فى فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه

والله تعالى وصف الانبياء به في معرض المدح والثناء فقال واذ كر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذ كر في

الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وقال تعالى واذ كر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحرث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال أبو عبد الله الرملي رأيت منصورا الدينوري في المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأعطاني مالم أومل فقلت له أحسن ما توجه العبد به الى الله ماذا قال الصدق وأقبح ماتوجه به الكذب وقال أبو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم مارأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين

وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى

اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو كثير الصدق الذي الصدق غالبه كالسكير والخمير و بابه اه أي ان الصادق مشتق من الصدق فهو اسم لمن قام به الصدق والصديق اسم دال على المبالغة مشتق من الصدق أيضا و باب فعيل للمبالغة (و) من فضائل الصدق ان (الله تعالى) سمى نفسه به بقوله وانا لصادقون و (وصف) به (الانبياء) عليهم السلام (في معرض المدح والثناء فقال واذ كر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذ كر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا) وأوجب على عباده التخلق بأوصافه واخلاق أنبيائه بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فلما امتثلوا قوله وأجابوه جعلهم مع درجة الانبياء بقوله تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فبالصدق يتحقق جميع المقامات والاحوال لانها زينتها وكمالها حتى الاخلاص مع شرفه وعلو قدره يفتقر الى الصدق والصدق لا يفتقر الى شئ لانه وجودي في نفسه كما سيأتي بيانه (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما (أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) وقد روى نحوه مرفوعا من حديثه بلفظ أربع اذا كن فيك فما عليك مافاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق وعفة مطعم رواه كذلك ابن عدي وابن عساكر ورواه أحمد والحكيم والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمرو وروى ذلك أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة رواه كذلك أحمد والطبراني والخرائطي في مكارم الاخلاق والبيهقي وفي سنده ابن لهيعة وباقي رجال أحمد رجال الصحيح (وقال بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى (من عامل الله بالصدق استوحش من الناس) ليخلص له في معاملته لانه ينظر بعين اليقين وهذا المعنى هو الذي أخرج طائفة من الصادقين الى الكهوف والمغار تخليا من أبناء الدنيا لصدق معاملتهم مع الله (وقال أبو عبد الله الرملي) منسوب الى الرملة من كور فلسطين (قال رأيت منصورا الدينوري في المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لي ورحمني وأعطاني مالم آمل) أي مالم أكن أرجوه (فقلت أحسن ماتوجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق وأقبح ماتوجه به الكذب وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (اجعل الصدق مطيتك) أي لانه يهدي الى اللقاء (والوقت سيفك) تقطع به مايعوقك عن الوصول (والله تعالى غاية طلبتك) أي فلا تلاحظ في سائر الاحوال الا وجه الله تعالى (وقال رجل لحكيم مارأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا) أي لو تحققت بهذا الوصف (لعرفت الصادقين وعن) أبي بكر (محمد بن علي) بن جعفر (الكتاني) الصوفي المكي حكى عن أبي سعيد الخراز وتوفي سنة ٣٢٢ (قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح) بان يكون استعمالها في الطاعة على صريح الحق مما يطابق السنة (والعدل على القلوب) بان تستوي في المعرفة على سبيل الاعتدال (والصدق على العقول) بان تصدق في الملاحظ فلا تخالف السريرة العلانية (وقال النوري) هو أبو الحسين البغدادي وهو بضم النون منسوب الى نور الوعظ وتقدم ذكره مرارا وفي بعض النسخ الثوري بالمثلثة فيكون المراد به سفيان (في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين) في دعواهم (وأوحى الله الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته) أي عاملني في باطنه معاملة صدق (صدقته عند المخلوقين) في علانيته نقله القشيري وله شاهد في الخبر من أسر سريرة ألبسه الله رداءها والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والاخلاص ان تجري حركاته وسكناته على حسب ما في قلبه فيظهر الصدق في أقواله وأحواله وأفعاله (و) يحكى انه (صاح رجل في مجلس أبي بكر الشبلي) رحمه الله تعالى لحال غلب عليه فلم يطقه فصرخ (ورمى نفسه في دجلة) حيث كان في محل مشرف عليه (فقال الشبلي) رحمه الله تعالى (ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه) من الغرق (كما نجى

موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت
ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى فى الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه
وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها * لا كنز أنفع
من العلم ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزى اذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة وقال أبو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذى النون هل للعبد الى صلاح أموره سبيل فقال قد بقينا من الذنوب حيارى
* نطلب الصدق ما اليه سبيل * فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما أصل
هذا الامر الذى نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن
النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق

موسى عليه السلام) حين شق البحر هو ومن معه ولم يتلوا معجزته (وان كان كاذبا) فى وجده (فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون) وهذا هو الصدق فى الاحوال (وقال بعضهم اجمع الفقهاء) يعنى أهل الفقه الظاهر (والعلماء) يعنى أهل المعرفة بالله (على ثلاث خصال انها اذا صحت) أى تمت مجموعة فى انسان (ففيها النجاة) من الهلاك (ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام) أى الانقياد لاوامر الله تعالى (الخالص عن) شوب (البدعة والهوى) فى الاعتقاد (والصدق لله تعالى فى الاعمال) أى الدخول فيها بحسن الاخلاص والاستمرار على ذلك (وطيب المطعم) بان يكون حلالا من وجه لا شبهة فيه (وقال وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى (وجدت على حاشية التوراة) أى غلافها (اثنين وعشرين حرفا) أى كلمة (كان صلحاء بنى اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها) وهى هذه (لا كنز أنفع من العلم) فان العلم يزكو بالانفاق والكنوز الى نفاد (ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق أشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفر من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق) بالضم وهو قلة العقل (ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع) أى من جمع المال (ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت) أى قلة الكلام (ولا غائب أقرب من الموت) والمقصود من هذا السياق هو قوله لا دليل أنصح من الصدق فان الصدق يتوصل به الى سائر الخيرات وهو مفتاح باب الحسنات وبه تكمل سائر المقامات فهو نعم الدليل الناصح وقد روى ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من مرسل يحيى بن أبى كثير الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى (وقال محمد بن سعيد المروزى) رحمه الله تعالى (اذا طلبت الله بالصدق أفادك الله مرآة بيدك حتى تبصر) بها (كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة) وهو اشارة الى ان الصدق مع الله فى المعاملة يورث تنوير القلب عن الكدورات فتنجلى فيه الاشياء بحقائقها وهو لا يلتفت اليها ومصداقه قول الله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى نورا تفرقون به بين الحق والباطل ولفظ القشيرى أعطاك مرآة تبصر فيها ولم يعزه لمحمد ابن سعيد (وقال أبو بكر الوراق) رحمه الله تعالى له ذكر فى الرسالة فى باب الحياء (احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق) فكلاهما أصلان أصيلان فى الوصول الى الله تعالى (وقيل لذى النون) المصرى رحمه الله تعالى (هل للعبد الى صلاح أموره سبيل فقال) منشدا

(قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل)

يشير الى انه لا سبيل للعبد الى صلاح أموره الا بالصدق مع الله تعالى ولا يتم ذلك الا بمخالفة النفس والهوى ومخالفة الهوى ثقيلة على النفس فلا يحصل الصدق مع وجود الهوى (وقيل لسهل) التسترى رحمه الله تعالى (ما أصل هذا الامر الذى نحن عليه) أى السلوك فى طريق الله (فقال الصدق والسخاء والشجاعة) أى فهذه الثلاثة أصول الطريق وبينها تلازم فى الغالب (فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء) والمراد به العفة فى الطعم وقد تقدم فى حديث ابن عباس قريبا (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال) ماهو (فقال قول الحق والعمل بالصدق) قال العراقى لم

اجده

أجدهم هذا اللفظ (وعن الجنيد) قدس سره (فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر) قال القشيرى فى الرسالة الصدق عماد الامر وبه تمامه وفيه نظامه وهو ثانى درجة النبوة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الصادق ينقلب فى اليوم أربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة قلت معناه الصادق يدور مع الدليل حيث دار و ينقلب فى أحواله ومعاملاته على ما يقتضيه الدليل مما هو الافضل فى حقه والمرائى يستحسن حاله و يظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل فى الحقيقة فى ابعاده من الله تعالى ثم قال وقال أبو سليمان الدارانى لو أراد الصادق ان يصف ما فى قلبه ما نطق به لسانه أى لعجزه عن نطقه به لعسر العبارة والصدق فى المعاملة يورث القلوب مواهب تعجز عنها العبارات ثم قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول الصادق لا تراه الا فى فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه وقيل ثلاث لا يخطئن الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شئ الا قطعه وقال سهل أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وقال يوسف بن اسباط لان أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب الى من ان أضرب بسيفى فى سبيل الله وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق وقيل عليك بالصدق حيث تخاف انه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقيل كل شئ شئ ومصادقة الكذاب لا شئ انتهى سياق الرسالة وفى كتاب الصمت لابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن منيع حدثنا مروان بن معاوية عن مجمع بن عيسى عن منصور بن المعتمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا الصدق وان رأيتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاة وأخرج فيه من طريق مكحول عن أبى هريرة رفعه لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يؤثر الصدق وحتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وقال حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران سمعت اسمعيل بن عبيد الله المخزومى قال أمرنى عبد الملك بن مروان ان أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن وأخرج من طريق محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن جده قال زين الحديث الصدق ومن طريق عمارة بن أبى حفصة سمع أبا مجلز يقول قال رجل لقومه عليكم بالصدق فانه نجاة وقال يحيى بن سعيد الاموى أنشدنى ابن خربوذ للفضل بن عباس اللهبى

انا أناس من سجيتنا * صدق الحديث ورأينا حتم
لبسوا الحياء فان نظرت حسبتهم * سقموا ولم يمسسهم سقم
شر الاخاء اخاء ذى درد * مزج الاخاء اخاؤه وهم
زعم ابن عمى ان حلمى ضرنى * ما ضر قبلى أهله الحلم

وأخرج من طريق عدى بن ثابت قال قال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا اذا اختبرنا كم أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ومن طريق الشعبى انه كان يتمثل و يقول

أنت الفتى كل الفتى * ان كنت تصدق ما تقول
لا خير فى كذب الجوا * د وحبذا صدق البخيل

ومن طريق جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان لفظ الصدق) قد تسمى به الله تبارك وتعالى بقوله وانا الصادقون وهو وصف ذاتى له تعالى راجع الى معنى كلامه فالصدق ما تضمنه كلامه من شهادته لنفسه بالوحدانية وبجميع

وعن الجنيد فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر *(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)* اعلم ان لفظ الصدق

ما أثنى على نفسه بان لا فاعل حقيقة الا هو واما حقيقته في العباد فهو استواء السريرة والعلانية والظاهر والباطن وهو (يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك) من أقواله وأفعاله وأحواله (فهو صديق لانه مبالغة من الصدق) كما هو مقتضى باب فعيل (ثم هو أيضا على درجات) ومراتب (ومن كان له حظ في شيء من الجملة) المذكورة من الاقوال والافعال والاحوال (فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه) والغالب اطلاقه على المتصف به في الاقوال كما يلوح اليه كلام القشيري وهذا هو الاصل ومقابله (الصدق الاول صدق اللسان) وصدق القول (وذلك لا يكون) بالقصد الاول منه (الا في الاخبار) دون غيرها من أصناف الكلام (أو فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه) أي بالعرض لا بالقصد الاول فقد يدخل في أنواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان قول القائل أزيد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا قال واسني في ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذني في ضمنه انه يؤذيه (والخبر اما ان يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها) وهو واجب لغيره لا لذاته لان المقصود منه الدلالة على الحق حيث كان ولذلك استثنى الشرع منه المعاريض والاصلاح بين العباد ورضا قلوب الزوجات وارهاب الاعداء في الجهاد والمعاريض من ذلك مباحة والاصلاح وما يضاهيه مستحب وانكار الودائع ممن يغصبها واجب (فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق) وهذا الوصف لازم له (ولهذا الصدق كمالان الاحتراز عن) صريح اللفظ وعن (المعاريض) ان وجد الى ذلك سبيلا (فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب) روى ذلك عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما مرفوعا وموقوفا والموقوف أصح رواه البخاري في الادب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال صحبت عمران بن حصين من الكوفة الى البصرة فما أتى عليه يوم الا أنشدنا فيه شعرا وقال في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب ورواه ابن جرير الطبري في التهذيب والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير ورجاله ثقات ورواه ابن السني من طريق شعبة عن قتادة به مرفوعا وكذا قال البيهقي رواه الزبرقان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكن عن زرارة بن أوفى عن عمران مرفوعا قال والموقوف هو الصحيح ورواه أبو بكر بن كامل في فوائده وأبو نعيم والديلمي من طريقه من حديث علي رضي الله عنه ان ما في المعاريض ما يكفي الرجل العاقل عن الكذب ويروى نحو ذلك من قول عمر رضي الله عنه أما ان في المعاريض ما يكفي المسلم عن الكذب رواه البخاري في الادب المفرد والبيهقي في الشعب وهو عند العسكري في الامثال بلفظ ان في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحر عن الكذب وأشار الى حكمة الرفع وقال في المعاريض ما حوت بعض الكذب والمندوحة السعة (وذلك لانها) أي المعاريض (تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو في نفسه) ولفظ المصنف في الجواهر والدرر فانه وان كان صادقا في نفسه فيفهم خلاف الحق والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق وانه يكسب القلب صورة معوجة كاذبة واذا مال القلب في الصحة الى الاعوجاج لم يحصل الحق له على الصحة حتى لا تصدق رؤياه أيضا والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لانه صدق في نفسه ولكن توقع في المحذور الثاني وهو تجهيل الغير فلا ينبغي ان يفعل ذلك (الا ان ذلك مما تمس الحاجة اليه وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم والحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك) ففي كل ذلك مصالح قد يضطر اليه الانسان (فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق

به

يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه

(الصدق الاول)

صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار أو فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق

به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورّى بغيره) قال العراقي متفق عليه من حديث كعب بن مالك بلفظ كان اذا أراد سفرا فات ورواه أبو داود بلفظ كان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها (وذلك لكيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شئ) لما فيه من المصلحة الراجحة وهو التمكين من الاعداء والهجوم عليهم على غرة منهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا او أنمى خيرا) متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم في آفات اللسان (ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب) وقد روى ذلك في المرفوع من حديث أم كلثوم بنت عقبة لا يصلح الكذب الا في احدى ثلاث الرجل يصلح بين الرجلين وفي الحرب والرجل يحدث امرأته رواه ابن جرير في التهذيب ومن حديث أبي الطفيل لا يصلح الكذب الا في احدى ثلاث رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين ورجل كذب في خديعة حرب فان الحرب خدعة رواه ابن جرير أيضا ومن حديث أسماء بنت يزيد لا يصلح الكذب الا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب يصلح بين الناس رواه الترمذي وحسنه وقد روى بهذا اللفظ من حديث عائشة رواه ابن جرير وابن النجار ومن حديث أبي أيوب لا يحل الكذب الا في ثلاثة الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك والرجل يمشي بين رجلين يصلح بينهما والحرب خدعة رواه أبو عوانة ومن حديث النواس بن سمعان الكذب يكتب على ابن آدم الا في ثلاث الرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما والرجل يكذب امرأته ليرضيها بذلك والكذب في الحرب والحرب خدعة رواه ابن النجار ويروى من حديث ثوبان نحوه والكذب مكتوب الا ما نفع به مسلم أو دفع به عنه رواه البزار وصححه وهو عند الروياني بلفظ الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دين (والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى) من التصريح (وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره) وأراد التخلص منه (فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا) كما تقدم في آفات اللسان (فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم انه ليس في الدار) فهذا من جملة المعاريض التي يتخلص بها من الكذب (فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا الا عند الضرورة) وقد روى القشيري عن ابن سيرين الكلام أوسع من ان يكذب ظريف ويلحق به كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب على الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتجوزون من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف في خدمة الملوك ان سبعا وذئبا وثعلبا اجتمعوا فقال السبع للذئب اقسم فقال هو مقسوم العنز لك والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فادماه ثم قال للثعلب اقسم فقال هو مقسوم العنز لغدائك والظبي لقائلتك والارنب لعشائك فقال السبع من علمك هذه القسمة المليحة فقال علمني السراويل الارجواني الذي على الذئب وعلى المثل حمل قوله ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة الآية وقوله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل الآية فقال يصح هذا لما كان مثلا وان لم يجر دمغا العادة في وجود حبة هكذا قال الراغب في الذريعة ذهب كثير من المتكلمين ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة وذلك أن الاقوال من جملة الافعال وشئ من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما يحسن ما يحسن لما يتعلق به من

به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورّى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شئ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي بأصبعك دائرة وضعي الاصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ

أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة

النفع و يقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضرر الموفي على ما فيه من النفع الا ترى ان أعظم ما يجرى فى العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح فكذا المقال من الصدق والكذب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يصلح الكذب الا فى ثلاث الحديث وقد روى اذا أتاكم منى حديث يدل على هدى أو يردعن ردى فاقبلوه قلته أولم أقله وان أتاكم منى حديث يدل على ردى أو يردعن هدى فلا تقبلوه فانى لا أقول الا حقا قالوا والكذب يكون قبيحا بثلاث شرائط أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه وان يكون المخبر قد اختلقه قبل الاخبار وان يقصد ايراد ما فى نفسه لا لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط أن لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوى فالمنفعة الدنيوية ولو كانت تلك الدنيا بحذافيرها لا توفى على ضرر أذى كذب فأما هذا الذى قلناه يتصور فى نفع أخروى يكون الانسان فيه عاجلا وآجلا معذورا كمن سالك عن مسلم استتر فى دارك وهو يريد قتله فيقول هل فلان فى دارك فتقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور ولا خلاف أن المعاريض حيث يضطر اليها تجوز ولذلك قيل ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ولم تزل الانبياء والاولياء يفزعون اليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لمن سأله من اين أنت فقال من الماء وقول ابراهيم عليه السلام انى سقيم وقوله هذه أختى وقوله بل فعله كبيرهم هذا وأما الصدق فانه يحسن حيث يتعلق به ولا يلحق ضرر باحد فمعلوم قبح من يقعد و يقول السماء فوقى والارض تحتى من غير ان يريد ان يجعل ذلك مقدمة دليل أو افادة معنى يعلقه به وكذا تقبح النميمة والغيبة والسعاية وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيها الصدق وأقبح الكذب مع قبحه كله أو جله ما لا يتعلق به رجاء نفع عاجل أو آجل و يجلب الى المقول له ضررا كرجل يأتيك من بلد بعيد فيقول بان ملك ذلك البلد يرغب فيك و يتشوق اليك و يسألك ان تأتيه ليفيدك مالا وجاها واذا وردت لم تجد ذلك صدقا بل وجدت ذلك الملك حنقا عليك اه (والكمال الثانى ان يراعى معنى الصدق فى) مدلولات (ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) حنيفا (فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواته فهو كاذب) فى قوله فان الوجه هنا عبارة عن وجه القلب لا وجه البدن (وكقوله اياك نعبد واياك نستعين) فان كان رقيقا لبعض الشهوات كان كاذبا فى دعوى العبودية وان كان معتمدا على سبب من الاسباب كان كاذبا فى دعوى الاستعانة وكذلك فى قوله الله أكبر والحمد لله وشبه هذا كثير فلو وقر أو عظم عبدا من عباد الله على غير امتثال أمر الله أو رأى النعمة من غيره كان كاذبا فى تكبيره وحمدلته وكذلك فى قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو لابس الاسباب التى هى قوة الشيطان وسبب لوسوسته فان الاستعاذة لا تعيذه ما لم ينتقل عن ملابسة تلك الاسباب قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم الآية فان هذه الالفاظ تراد فى الشرع لمدلولاتها لا لانفسها (وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية) التى هى غاية الذل لله تعالى وهى للخاصة الذين صححوا النسبة الى الله تعالى بصدق القصد اليه فى سلوك طريقه (وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا) فى نفسه (ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبد النفسه) بان يكون متهالكا فى تحصيل شهواتها (أو عبد الدنيا) بان يكون معتكفا على خدمتها ومراعاتها (أو عبد الشهواته) بان يكون مترامبا فى تحصيلها لنفسه (لم يكن صادقا فى قوله) وعليه يصح أن يقال ليس كل انسان عبد الله تعالى وعبد الله عندهم العبد الذى تجلى له الحق بجميع أسمائه فلا يكون فى عباده أرفع مقاما ولا أعلى شأنا منه لتحققه باسمه الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الا له والاقطاب من ورثته بتبعيته وان أطلق

والكمال الثانى أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كذب وكقوله اياك نعبد وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه أو عبد الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله

وكل ماتقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشئ عبدا له وانما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد تجاوز هذا الى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وماقبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق فى القول *(الصدق الثانى)* فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان

على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الاسماء (وكل ماتعبد العبد به فهو عبد له) منسوب اليه (كما قال عيسى عليه السلام) فى بعض محاوراته (يا عبيد الدنيا) سماهم كذلك لاعتكافهم على خدمتها ومراعاتها (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة) رواه البخارى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة ان أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش الحديث قال البخارى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة الحديث ورواه البيهقى من طريق يوسف بن يعقوب عن عمرو بن مرزوق ورواه العسكرى فى الامثال بلفظ لعن بدل تعس وذكر المصنف هناك تعس عبد الزوجة وهذا لا أصل له (سمى كل من تعبد قلبه بشئ عبدا له) باعتبار ذاله له وانصرافه اليه (وانما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا) من الوثاق (فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله) واليه أشار القائل

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد تجاوز هذا الى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية) وهى عندهم عبارة عن الانطلاق عن رق الاغيار وهى على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء ارادتهم عن ارادة الحق وحرية خاصة الخاصة عن رق المرسوم والآثار لانمحاقهم فى تجلى نور الانوار وقد أشار اليه المصنف بقوله (وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى) وهى حرية الخاصة (فهذا عبد عتق عن غير الله) أى انطلق عن رق الغير (فصار حرا) وهى حرية العامة (ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا) وهى حرية الخاصة ثم عاد وعتق عن رسومه وآثاره فصار حرا (وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه) وانمحقت رسومه فى تجلى نور الانوار وهى حرية خاصة الخاصة فهو (ان حركه) مولاه (تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض) قيل للشبلى الا تعلم انه رحمن فقال بلى ولكن منذ عرفت رحمته ماسألته ان يرحمنى (بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل) يصرفه كيف يشاء (وهذا منتهى الصدق فى العبودية) قال القشيرى فى الرسالة اعلم ان حقيقة الحرية فى كمال العبودية فاذا صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الاغيار حريته فأما من توهم ان العبد يسلم له ان يخلع وقت ما عذار العبودية ويحيد بالحظة عن حد الامر والنهى وهو مميز فى دار التكليف فذلك انسلاخ من الدين والذى أشار اليه القوم من الحرية هو ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات لامن اعراض الدنيا ولا من اعراض الآخرة فيكون فردا للفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ ومقام الحرية عزيز (فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وماقبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا) قال الحسين بن منصور فيما نقله القشيرى اذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حرا من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الانبياء والصديقين حتى يصير محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وان كان متحليا بها شرعا (فهذا هو معنى الصدق فى القول الصدق الثانى فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان

مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ماعملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل

ولكنه كذبه فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد فى القصد وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم الله لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه فانه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلابد وأن يكون مخلصا (الصدق الثالث) * صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه أو بشطره أوان لقيت عدوا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وان قتلت وان أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة فكان الصدق ههنا عبارة عن بل

التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد

مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى صادقا) يقال هذا صادق الحلاوة وهذا صادق الحموضة أى محضها فيرجع هذا الى نفس الاخلاص (كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث) أبى هريرة فى (الثلاثة حين يسئل العالم ما عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت ان يقال فلان عالم) فقد قيل ذلك (فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد فى القصد) نقله القشيرى عن الواسطى الا انه قال مع القصد قال صاحب القوت النية عند عبد الرحيم بن يحيى الاسود هى نفس الاخلاص وعند غيره هى الصدق فى الحال باستواء السريرة والعلانية وقد قال الجنيد فى الفرق بين الاخلاص والصدق معنى لطيف لم يفسره ويحتاج الى تفسيره حدثنا بعض الاشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب يعنى ان صدقهم ان لا يعملوا عمله ومثل عمله الذى شهدوا به عليه فهذه صدق الحال وهو حقيقة النية واخلاصها عند المحققين وقال فى موضع آخر والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجماعة انها صحة العقد وحسن القصد (وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب) أى فلم يقنع منهم الا بصدق نياتهم وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه فانه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلابد وان يكون مخلصا) وليس كل مخلص صادقا وقال الراغب فى الذريعة حد الصدق هو مطابقة القول والضمير والمخبر عنه ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صادقا تاما بل اما أن لا يوصف بالصدق والكذب أو يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يصح ان يقال فيه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد فى الدار انه فى الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب باعتبار نظرين مختلفين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ وفى خبر فقد كذب على الله والمتوسم لا قصد له فاذا قال زيد فى الدار لا يقال انه صدق ولا انه كذب (الصدق الثالث صدق العزم) أى الصدق فى العزم على الخير (فان الانسان قد يقدم على العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه) على الفقراء والمساكين (أو بشطره) أوان رزقنى الله علما لاعلمن الناس ولاعملن به (أوان لقيت عدوا فى سبيل الله قاتلت ولم أبال وان قتلت وان أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيهم ولم أعص الله تعالى بظلم ولا ميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة) والصدق فيها ان لا يكون فى العزم تردد (وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة) ويناقضه قال الله تعالى فهم فى ريبهم يترددون (فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد

بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه

لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى أن يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو وأبو بكر كانت حياته أحب اليه من حياة أبي بكر الصديق *(الصدق الرابع)* في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن أنس ان عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين فقال واها لريح الجنة اني أجد ريحها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر

بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه) في يوم سقيفة بني ساعدة لما أشير اليه بالخلافة (لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من ان أتأمر على قوم فيهم أبو بكر) رضي الله عنه فهذا هو الصدق في العزم (فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم) القوي (والمحبة لصادقة بان لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو وأبو بكر) رضي الله عنه (كانت حياته أحب اليه من حياة أبي بكر الصديق) رضي الله عنه فدرجات عزم الصديقين تتفاوت في القوة وأقصاها ينتهي الى الرضا بضرب الرقبة دون تحقيقه (الصدق الرابع في الوفاء بالعزم) عند القدرة على المعزوم عليه (فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال) أي أولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال التحقيق اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة هينة وانما الشدة في التحقيق (فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه) وذلك ان الولاية الصغرى عدم الخواطر المذمومة عند وجود الاسباب المهيجة لها فاذا حققنا انقسم الناس في ذلك أربعة أقسام القسم الاول اذا صحت الاسباب المناسبة لتحلل العزم كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فقد ينحل العزم ولا يقدر على الوفاء بما عزم عليه القسم الثاني يتزلزل عزمهم وتتردد هممهم ثم عدهم الله تعالى بمعونته فيقوى عزمهم قال الله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا القسم الثالث يثبت عزمهم على حالته الاولى من غير زيادة ولا نقصان (ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر القسم الرابع يقوى عزمهم ويزداد بمشاهدة تلك الاسباب والاهوال وهذا هو الصديقية العظمى في الولاية الكبرى قال تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهذا هو الصدق في التوكل وأعلى درجاته لانه انصراف القلب الى الله تعالى بالاسباب الموجبة للانصراف عنه وهذه الاقسام تجري في كل معزوم عليه من الواجب والمستحب من ذلك بحسب المعزوم عليه فلو عزم أن لا ينظر الى محرم أبدا فلو فاجأته بعد تحقق عزمه امرأة جميلة شريفة المقدار وجب عليه الوفاء بعزمه وكانت الاربعة جارية في حقه بحسب قوة ايمانه وضعفه ولو عزم صوفي على أن لا ينظر الى زينة الدنيا ولا يستحسن منها شيأ فلو فاجأه ملك من الملوك في زينته وحفدته وانفهقت له أمثلة الجنة مثالا حتى يرى ما أعده الله لعباده منها استحب له الوفاء بعزمه ان كان عارفا بالله وكانت الاقسام الاربعة جارية في حقه بحسب طهارة قلبه وغزارة علمه (فقد روي عن أنس) ابن مالك بن النضر بن ضمضم الانصاري رضي الله عنه (ان عمه أنس بن النضر) بن ضمضم الانصاري الخزرجي رضي الله عنه (لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ) بن النعمان الانصاري سيد الاوس وهو الذي اهتز لموته العرش (فقال يا أبا عمرو) وهي كنية أنس بن النضر كما هو مقتضى سياق المصنف والصحيح أنه كنية سعد بن معاذ (الى أين فقال واها لريح الجنة اني أجد ريحها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد على جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته) الربيع (بنت النضر) عمة أنس بن

ماعرفت أخى الا بشبابه
فنزلت هذه الآية رجال
صدقوا ماعاهدوا الله
عليه ووقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مصعب
ابن عمير وقد سقط على
وجهه يوم أحد شهيدا
وكان صاحب لواء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام رجال صدقوا
ماعاهدوا الله عليه فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وقال فضالة بن عبيد سمعت
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول
الشهداء أربعة رجل
مؤمن جيد الايمان لقى
العدو فصدق الله حتى قتل
فذلك الذى يرفع الناس
اليه أعينهم يوم القيامة
هكذا ورفع رأسه حتى
وقعت قلنسوته قال الراوى
فلا أدرى قلنسوة عمر أو
قلنسوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجل

مالك (ماعرفت أخى الا بشبابه) كذا فى النسخ وهو تصحيف والصحيح ببنانه أى أصبعه (فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا ان هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر اهـ قلت رواه البخارى من طريق حميد عن أنس من طريق ثمامة عن أنس ان عمه أنس بن النضر غاب عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ماأصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال أى سعد هذه الجنة ورب أنس انى أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطعت ماصنع يومئذ فقتل يومئذ فذكر الحديث وقد أخرجه ابن منده من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وذكر الحافظ فى ترجمة الربيع من الاصابة مالفظه ولانس عنها رواية فى صحيح مسلم فى قصة قتل أخيها أنس بن النضر لما استشهد باحد قال أنس فقالت أخته الربيع عمتى بنت النضر ماعرفت أخى الا ببنانه قال وهذا صريح فى روايته عن عمته وهو عند البخارى من وجه آخر عن أنس بلفظ ماعرفته الا أخته وقال الحرث بن أبى أسامة فى مسنده ومن طريق أخرجه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله ابن بكر السهمى حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر فلما قدم قال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ماأصنع فلما كان يوم أحد انكشف الناس قال اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال أى سعد والذى نفسى بيده انى لاجد ريح الجنة دون أحد واها لريح الجنة قال سعد فما استطعت يارسول الله ماصنع قال أنس وجد بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به قال فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه قال أنس فكنا نقول نزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه انها فيه وفى أصحابه (ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على) أبى عبد الله (مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف العبدرى (وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم) يومئذ (فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا اهـ قلت قال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن عبد الله وأحمد بن محمد بن الحسين قالا حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن اسمعيل عن عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مر على مصعب ابن عمير مقتولا على طريقه فقرأ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عمر بن حفص السدوسى حدثنا أبو بلال الاشعرى حدثنا يحيى العلاء عن عبد الله بن عبد الاعلى ابن عبد الله بن فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير حين رجع من أحد فوقف عليه وعلى أصحابه فقال أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لايسلم عليهم أحد الاردوا عليه الى يوم القيامة اهـ وعبيد بن عمير بن قتادة الليثى أبو عاصم المكى ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قاله مسلم وعده غيره من كبار التابعين وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته روى له الجماعة (وقال فضالة بن عبيد) بن نافذ بن قيس الانصارى الاوسى رضى الله عنه أول ماشهد أحدا ونزل دمشق وولى قضاءها مات سنة ثمان وخمسين وقيل قبلها (سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا) قال الراوى (ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوى) لهذا الحديث (فلا أدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل

جيد الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح) شجر كثير الشوك (أتاه سهم عائر فقتله
لا يعرف راميه (فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى
قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة)
قال الحافظ في الفتح هذا الحديث ونحوه يفيد ان الشهداء ليسوا في مرتبة واحدة و يدل عليه أيضا ما رواه
الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة باسناد حسن من حديث علي كرم الله وجهه كل موتة يموت فيها
المسلم فهو شهيد غير ان الشهادة تتفاضل اه قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن اه قلت رواه
الطيالسي وأحمد وأبو يعلى وأبو الشيخ والبيهقي والديلمي ولفظ الجميع ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو
فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله والباقي سواء ولم يقولوا ورفع رأسه الى آخر
الجملة (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (رجلان خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن به
فبخلوا به فنزلت) هذه الآية (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) قال
ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عباس بن الوليد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن
قتادة في قوله عز وجل ومنهم من عاهد الله الآية قال ذكر لنا ان رجلا من الانصار أتى على مجلس للانصار
فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين الى كل ذي حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون فلما آتاهم من فضله بخلوا
به الى قوله وبما كانوا يكذبون (وقال بعضهم انما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال) تعالى (ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) روى الباوردي
وابن السكن وابن شاهين وغيرهم من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة ان
ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فذكر الحديث بطوله في دعاء النبي صلى
الله عليه وسلم له وكثرة ماله ومنعه الصدقة ونزول قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الآية وفيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم مات ولم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر ومات في خلافة عثمان كما مر ذلك بطوله في كتاب ذم الدنيا
رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق كذلك وقال في آخره وانما لم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم زكاة ماله
ولا من بعده لانه كان قد نافق والكتاب الذي نزل في شأنه ناطق بذلك حيث قال فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه الآية وعلموا بهذه بقاءه على نفاقه حتى يموت وان اتيانه بصدقة ماله مخافة أن تؤخذ منه قهرا قال
وفي اسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور فيما بين أهل التفسير اه والمسمى بهذا الاسم رجلان
أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمير بن عبيد الاوسي الانصاري ذكره موسى بن عقبة وابن اسحق في البدريين
وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل باحد والثاني ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن
اسحق فيمن بنى مسجد الضرار قال الحافظ في الاصابة وفي كون صاحب القصة ان صح الخبر ولا أظنه يصح
هو البدري المذكور نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدري استشهد باحد قال
ويقوي ذلك ان رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتاني الله
مالا الآية فذكر القصة بطولها فقال انه ثعلبة بن أبي حاطب والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد
ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى عن ربه أنه قال لاهل بدر اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه و ينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره
والله أعلم (فجعل العزم عهدا) اذ كانوا عزموا في أنفسهم ولم يتكلموه فقال ومنهم من عاهد الله (وجعل
الخلف فيه كذبا) بقوله وبما كانوا يكذبون (والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث) وأرفع
منه مقاما (فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع) أي تتوانى عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات
عند التمكن وحصول الاسباب (ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من

جيد الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عائر فقتله فهو في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة * وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من

الى أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيأ لا أجده الآن لانى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها أشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لى صدقت وعرجا الى السماء *(الصدق الخامس)* فى الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان

يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ماذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره وخيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة وقال يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له * على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى المنى

ان أتأمر على قوم) اى اصير اميرا عليهم (فيهم أبو بكر) رضى الله عنه (اللهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيأ لا أجده الآن) أى تزين (لانى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها) وذلك لان النفوس البشرية مجبولة على الانقلاب عن حالة الى حالة (أشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد) أحمد ابن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس فى الاعمال وهو ان) لا يكذب أعماله وأحواله وذلك بان (يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به) أى لا يدل على شئ من الظاهر الا والباطن متصف به (لا بان يترك الاعمال) رأسا (وذلك بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ماذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم) أى ان التفت قلبه الى أن يخيل الى الناس أنه ذو وقار فى باطنه فذلك الرياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فذلك ليس برياء ولكن يفوت به صدقه كما يشير اليه المصنف بعد (ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا منه) وهذا أرفع مقاما من الاول (ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار) قباء وقلنسوة واستعمال آلات السلاح وركوب الخيل مع هيئاتهم (كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن) وهذا هو مشرب الطائفة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم (فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمى رياء و يفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق) وان لم يسم رياء (ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة) رواه الترمذى وضعفه من حديث عمر بلفظ قل اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة اللهم انى أسألك من صالح ما تؤتى الناس من المال والاهل والولد غير الضال ولا المضل وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا عبيد الله بن محمد العيشى حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبد الرحمن بن اسحق حدثنى رجل من قريش عن ابن حكيم قال قال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى حسنة (وقال يزيد بن الحرث) رحمه الله تعالى (اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف) أى العدل (وان كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا فى ذلك

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له * على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا)

(وقال

(وقال عطية بن عبد الغافر) كذا فى النسخ والصواب عقبة بن عبد الغافر وهو أبو نهار الاودى العوذى البصرى روى له البخارى ومسلم والنسائى مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا وقال معاوية بن قرة) بن اياس بن هلال المزنى أبو اياس البصرى ثقة مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة روى له الجماعة (من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار) رواه المزنى فى تهذيب الكمال وأنشد صاحب القاموس فى البصائر لبعض الشعراء

خلقت بغير ذنب من تراب * فارجع بالذنوب الى التراب

أنا وجميع من فوق التراب * فداء تراب نعل أبى تراب

هو البكاء فى المحراب ليلا * هو البسام فى يوم الضراب

(وقال عبد الواحد) بن زيد البصرى العابد رحمه الله تعالى (كان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه) نقله صاحب القوت (وكان أبو عبد الرحمن) محمد بن الحسين (الزاهد) رحمه الله تعالى (يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى) يشير الى عدم استواء السريرة بالعلانية (وقال أبو يعقوب) اسحق بن محمد (النهرجورى) صاحب الجنيد وغيره ومات بمكة مجاورا سنة ٣٣٠ وأخذ أيضا عن أبى يعقوب السوسى وعنه أبو عبد الله عثمان المكى (الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السر للعلانية أحد أنواع الصدق) وهذا هو الفرق بين الاخلاص والصدق لان حقيقة الاخلاص ارادة الله بالطاعات فقد يكون الرجل يريد بالصلاة وجه الله تعالى ولكنه غافل عن حضور القلب فيها فالصدق هنا هو حضوره مع الله تعالى مع ارادته وجه الله وهذا هو معنى الانفصال والاتصال الذى ذكرهما أبو اسمعيل الهروى رحمه الله تعالى لانه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله لكن الانفصال يشعر أن يكون حضوره واستفراغه ضروريا لا ينفصل عنه بكسب حتى ينفصل عنه بنفسه واياك أن تفهم من الاتصال والانفصال ما يفهم من انفصال أجسام ذوى الاحياز واتصالها فان ذلك محال فى حق خالق السموات والارض (الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها وهو الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادى ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق) وكل واحد على انحطاطه وارتفاعه يراد لغيره اذ الاحوال والمقامات لا نهاية لها (والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه) وهذا (كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هى الشهوة الصادقة) فالصدق فى كل واحد ان يقوى الى ان يؤدى الى مقصوده ومن ذلك المقصود الى مقصود أعلى منه وصاعدا كما تصدق المعرفة حتى تؤدى الى المحبة وتصدق المحبة حتى تؤدى الى الرضا والانس والطمانينة والشوق وذلك مالا يتناهى وهذا هو التحقيق فى تمييز المقامات وتخليص بعضها من بعض فاذا حققت أحوالك وخلصتها من الاغيار والشوائب ارتقيت من تحقيقك الى تحقيقك وكنت بلا انت والتفريد وقوفك مع الله بلا علم ولا حال لشغلك انفراده بما هو عليه من الكمال والجلال وشمول القدرة والسلطان فالصادق فى جملة ذلك هو الصادق مطلقا والكاذب فى جملته هو الكاذب مطلقا المخلد فى النار أبدا والصادق فى البعض دون البعض على خطر وهو فى مشيئة الله تعالى (و) لذلك (قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) والملائكة والكتاب والنبيين (الى قوله أولئك الذين صدقوا) وأولئك هم المتقون وهو صريح فى ان الصدق بالاعمال الظاهرة والباطنة وان الصدق هو مقام الاسلام والايمان (وسئل أبو ذر) رضى الله عنه (عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل

يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى وقال أبو يعقوب النهرجورى الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق

(الصدق السادس)

وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادى ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هى الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا وسئل أبو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل

له سائل عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه اذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام أحب ان أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل أرني فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير

له سائل عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان) كما سألتموني عنه (فقرأ هذه الآية) قال العراقي رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة باسانيد منقطعة اهـ فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن لم يصب الا بعضها فرتبته بقدر صدقه وقال صاحب منازل السائرين الصدق اسم لحقيقة الشئ حصولا ووجودا والصدق هو حصول الشئ وتمامه وكمال قوته واجتماع اجزائه كما يقال عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة وكذلك محبة صادقة وارادة صادقة وكذلك حلاوة صادقة اذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شئ ومن هذا أيضا صدق الخبر لانه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع وهو على ثلاث درجات الاولى صدق القصد وبه يصح الدخول في هذا الشأن ويتلافى كل تفريط ويتدارك كل فائت ويعمر كل خراب وعلامة هذا الصادق ان لا يحتمل داعية تدعو الى نقض عهد ولا يصبر على صحبة ضد ولا يقعد عن الجد بحال والدرجة الثانية ان لا يتمنى الحياة الا للحق ولا يشهد من نفسه الا أثر النقصان ولا يلتفت الى ترفيه الرخص أي لا يحب ان يعيش الا في طلب رضا محبوبه ويقوم بعبوديته ويستكثر من الاسباب التي تقربه منه ولا يلتفت الى الرفاهية التي في الرخص بل يأخذ بها اتباعا وموافقة وشهود النعمة الله على عبده وتعبدا باسمه اللطيف الحسن الرفيق وانه رفيق يحب الرفق الدرجة الثالثة الصدق في معرفة الصدق يعني ان الصدق المحقق انما يحصل لمن صدق في معرفة الصدق أي لا يحصل حال الصادق الا بعد معرفة الصدق ولا يستقيم الصدق في علم أهل الخصوص الا على حرف واحد وهو ان يتفق رضا الحق بعمل العبد وحاله ووقته وايقانه وقصده وذلك أن العبد اذا صدق الله رضي الله بفعله وبعمله وحاله ويقينه وقصده الا ان رضا الله نفس الصدق وانما يعلم الصدق بموافقة رضاه سبحانه ولكن من أين يعلم رضاه فمن ههنا كان الصادق مضطرا أشد ضرورة الى متابعة الامر والتسليم للرسول صلى الله عليه وسلم في ظاهره وباطنه والتعبد به في كل حركة وسكون مع اخلاص القصد لله فان الله سبحانه لا يرضيه من عبده الا ذلك انتهى (ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه اذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره) من انسان أو سبع (كيف يصفر لونه) ويتغير حاله (وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره) وباله (حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار) والمهالك (كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها) تقدم (فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل) عليه السلام (أحب ان أراك في صورتك التي هي صورتك فقال) جبريل (لا تطيق ذلك قال) صلى الله عليه وسلم (بلى) أطيق ذلك (أرني قال فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل) عليه السلام (لصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع) بفتح الصاد المهملة (يعني كالعصفور الصغير) قال العراقي تقدم في الخوف والرجاء أخصر من هذا والذي ثبت في الصحيح انه رأى جبريل في صورته مرتين اهـ قلت وروى أحمد وابن جرير

وابن

فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس أحد الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه الا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد ابن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلام فهذا أصدق

وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأل ان يراه في صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الثانية فكان معه حيث صعد وروى أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق وروى الشيخان والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح (فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم) وهو كماله وثباته (وقال جابر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى كالحلس البالي) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام واهمال السين (من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير) تحت قتبه شبهه به لرؤيته له لاصقا بالطأبه من هيبة الله وشدة فرقه منه وتلك الخشية التي تلبس بها هي التي رقته في مدارج التبجيل والتعظيم وعلى قدر خوف العبد من الرب يكون قربه قال العراقي رواه محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في الدلائل من حديث أنس وفيه الحرث بن عبيد الانماري ضعفه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد ابن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل اهـ قلت حديث جابر رواه الطبراني في الاوسط وعنده في بعض طرقه زيادة فعرفت فضل علمه بالله وحسنه الحافظ ابن حجر ورواه البزار وابن خزيمة في التوحيد (وكذلك الصحابة) رضوان الله عليهم (كانوا خائفين) من الله تعالى (وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر) رضي الله عنه (لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سند بن أبي سهل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعد الناس حمقى في دينه (وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير التابعي البصري رحمه الله تعالى (ما من الناس أحد الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمقى أهون من بعض) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الفضل حدثنا سليمان بن الحسن حدثنا عبد الواحد ابن غياث حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن مطرف قال لو حلفت لرجوت ان أبر انه ليس أحد من الناس الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل (وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير) قال العراقي لم أجد له أصلا في حديث موضوع قلت وفي كلام أبي الدرداء ما يشبهه فانه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع الى نفسك فتكون لها أشد مقتا للناس رواه أحمد في الزهد (فالصادق اذا في جميع المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض) وهو على خطر وفي مشيئة الله تعالى (فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا) كما ينبئ عنه لفظه (قال سعد بن معاذ) بن النعمان الاوسي رضي الله عنه (ثلاثة أنا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف) الاول (ما صليت صلاة منذ أسلمت) وهو قديم الاسلام (فحدثت نفسي حتى أفرغ منها و) الثاني (ما شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى نفرغ من دفنها و) الثالث (ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال) سعيد (ابن المسيب) راويه (ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع) بكمالها (الا في النبي صلى الله عليه وسلم) وروى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت كان في بني الاشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر (فهذا صدق

في هذه الامور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات
الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الالآحاد هذه
المعاني) الستة (نعم قد قال أبو بكر) محمد بن عمر (الوراق) الترمذي ثم البلخي صحب ابن خضرويه وصنف
في الرياضات والمعاملات له ذكر في الرسالة في آخر باب الحياء (الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة
وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون
وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية) الكبرى (الذين هم أوتاد الارض وكل هذا
يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع
الاقسام وقال جعفر الصادق) رحمه الله تعالى (الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك
غيرك فقال تعالى هو اجتباكم) وقال غيره الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة وقيل هو موافقة
السر النطق وقال القناد الصدق منع الحرام من الشدق وقال أبو سعيد القرشي الصادق الذي يتهيأ له
ان يموت ولا يستحيي من سره لو كشف قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال عبد الواحد بن زيد
الصدق الوفاء لله بالعمل وقال جعفر الخواص سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق ان تصدق في موطن
لا ينجيك منه الا الكذب وسئل فتح الموصلي عن الصدق فادخل يده في كير الحداد فاخرج الحديدة المحماة
ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال أبو علي الدقاق الصدق ان يكون كما ترى من نفسك أو ترى من
نفسك كما يكون وهذه الاقوال كلها نقلها القشيري في الرسالة (وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا
وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا أبالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات
جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها) قال القشيري في الرسالة سئل الحرث المحاسبي عن علامات الصدق فقال
الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على
مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب
الزيادة عندهم وليس من أخلاق الصديقين اهـ قال صاحب القاموس هذا اذا لم يكن له مراد بذلك سوى عمارة
حاله عندهم وسكناه في قلوبهم تعظيما له وأما لو كان مراده بذلك تنفيذ الامر الله ونشر الدين ودعوة الى الله فهذا
الصادق حقا والله يعلم سرائر القلوب ومقاصدها اهـ وقال القشيري ثلاث لا يخطئن الصادق الحلاوة والهيبة
والملاحة * ولنختم هذا الباب بما يتعلق بالصدق ثم نتبعه بحكاية الصادقين قال صاحب القاموس في البصائر
الصديق الكثير الصدق وقيل من لم يصدر منه الكذب أصلا وقيل من لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق
وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله والصديقون قوم دون الانبياء في الفضيلة ولكن
درجتهم ثاني درجة النبوة وفي الجملة منزلة الصدق من أعظم منازل القوم الذي نشأ منه جميع منازل
السالكين وهو الطريق الاقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من
أهل الايمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء الا قطعه ولا
واجه باطلا الا أزاله وصرعه فهو روح الاعمال والحامل على اقتحام الاهوال والباب الذي دخل منه
الواصلون الى حضرة ذي الجلال وقد قسم الله سبحانه الناس الى صادق ومنافق فقال ليجزي الله الصادقين
عن صدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم والايمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب
فلا يجتمع كذب وايمان الا وأحدهما محارب الآخر وأخبر سبحانه انه في القيامة لا ينفع العبد وينجيه من
عذابه الا صدقه فقال تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم وقال والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي

في هذه الامور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذا هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الالآحاد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم أوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا أبالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها

كانوا يعملون فالذى جاء بالصدق هو من شأنه الصدق فى قوله وعمله وحاله فالصدق فى الاقوال استواء اللسان
على الاقوال كاستواء السنبلة على ساقها والصدق فى الاعمال استواء الافعال على الامر والمتابعة كاستواء
الرأس على الجسد والصدق فى الاحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الاخلاص واستفراغ الوسع
وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاؤا بالصدق وبحسب كمال هذه الامور فيه وقيامها به تكون
صديقية ولذلك كان لابى بكر رضى الله عنه ذروة الصديقية حتى سمى الصديق على الاطلاق وهو أبلغ من
الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهى كمال الانقياد للرسول
مع كمال الاخلاص للمرسل وقد أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسأله ان يجعل مدخله ومخرجه
على الصدق فقال وقل ربى ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا
وأخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام انه سأل ان يجعل له لسان صدق فى الآخرين وبشر عباده ان لهم
قدم صدق عند ربهم وقال ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق فهذه خمسة أشياء مدخل الصدق ومخرج
الصدق ولسان الصدق ومقعد الصدق وقدم الصدق وحقيقة الصدق فى هذه الاشياء هو الحق الثابت المتصل
بالله الموصل الى الله وهو ما كان به وله من الاعمال والاقوال وجزاء ذلك فى الدنيا والآخرة فمدخل الصدق
ومخرج الصدق ان يكون دخوله وخروجه حقا ثابتا بالله تعالى وفى مرضاته متصلا بالظفر ببغيته وحصول
المطلوب ضد مدخل الكذب ومخرجه الذى لاغاية له يوصل اليها ولاله ساق ثابتة يقوم عليها كمخرج أعدائه
يوم بدر ومخرج الصدق كمخرجه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فى ذلك الغزو وكذلك مدخل المدينة كان
مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضاة الله فاتصل به التأكيد والظفر والنصر ولهم الذ ماطلبه فى الدنيا
والآخرة بخلاف مدخل الكذب الذى رام أعداؤه ان يدخلوا به المدينة يوم الاحزاب فانه لم يكن بالله ولالله
بل محادالله ورسوله فلم يتصل به الا الخذلان والبوار وكذلك مدخل من دخل من اليهود والمحاربين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حصن بنى قريظة فانه لما كان مدخل كذب أصابهم منه ما أصابهم وكان مدخل
ومخرج كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق ولذلك فسر مدخل الصدق
ومخرجه بخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة ودخوله المدينة ولاريب ان هذا على سبيل التمثيل فان هذا
المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه صلى الله عليه وسلم والافداخله ومخارجه كلها مداخل صدق
ومخارج صدق اذهى بالله ولله وبامره ولابتغاء مرضاته وماخرج أحد من بيته أودخل سوقا أومدخلا
آخر الابصدق أوكذب فمدخل كل أحد ومخرجه لايعدوا الصدق والكذب والله المستعان وأما لسان الصدق
فهو الثناء الحسن من سائر الامم بالصدق ولما كان اللسان هو محله عبر عنه به فان اللسان يراد به ثلاث
معان هذا واللغة والجارحة نفسها وأما قدم الصدق ففسر بالجنة وفسر بمحمد صلى الله عليه وسلم وفسر
بالاعمال الصالحة وحقيقة القدم ماقدموه ويقدمون عليه يوم القيامة وهم قدموا الاعمال والايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقدمون على الجنة ومن فسر بالاعمال او بالنبى صلى الله عليه وسلم فلانهم
قدموها وقدموا الايمان به بين أيديهم وأما مقعد صدق فهو الجنة عند ربهم ووصف ذلك كله بالصدق
مستلزم ثبوته واستقراره وانه حق ودوامه ونفعه وكمال عائدته فانه متصل بالحق سبحانه كان به وله فهو
صدق غير كذب وحق غير باطل ودائم غير زائل ونافع غير ضار وما للباطل ومتعلقاته اليه سبيل ولامدخل
ومن علامات الصدق طمأنينة القلب اليه ومن علامات الكذب حصول الريبة كما فى الترمذى مرفوعا
الصدق طمأنينة والكذب ريبة وفى الصحيحين ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان
الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا الحديث فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدؤها وهى غايته فلا
ينال درجتها كاذب البتة لافى قوله ولافى عمله ولافى حاله ولاسيما كاذب على الله فى أسمائه وصفاته بنفى
ما أثبته لنفسه أو باثبات مانفاه عن نفسه فليس فى هؤلاء صديق أبدا وكذلك الكذب عليه فى دينه وشرعه

بتحليل ما حرمه وتحريم ما أحله واسقاط ما أوجبه وايجاب ما أسقطه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصديقية وكذلك الكذب معه في الاعمال بالتحلي بحلية الصالحين الصادقين المخلصين الزاهدين المتوكلين وليس منهم وكانت الصديقية كمال الاخلاص والانقياد والمتابعة في كل الامور حتى ان صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما فكذبهما يمحق بركة بيعهما كما في الصحيحين البائعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما اه وأما حكايات الصادقين فقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول كان أبو علي الثقفي يتكلم يوما فقال له عبد الله ابن المبارك يا أبا علي استعد للموت فلا بد منه فقال أبو علي وأنت يا عبد الله استعد للموت فانه لا بد منه فتوسد عبد الله ذراعه ووضع رأسه وقال قد مت فانقطع أبو علي لانه لم يمكنه ان يقابله بما فعل لانه كان لابي علي علاقات وكان عبد الله مجردا لا شغل له اه وهذا يدل على ان السالك لا يكون صادقا الا بقطع الاسباب المشغلة عنه وما لم يتجرد لم يصدق في حاله ثم قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان أبو العباس الدينوري يتكلم فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال أبو العباس موتي فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة قلت وكانه كان يتكلم في مقام المحبة فلما غلب عليها الوجد وصاحت ظن انها غير صادقة فدعت الله بان لا يفضحها فاجيب لها وعلم من حالها انها كانت مغلوبة وهذا من علامات الصدق ثم قال وقيل نظر عبد الواحد بن زيد الى غلام من أصحابه وقد نحل بدنه فقال يا غلام تديم الصوم فقال لا ولا أديم الافطار فقال تديم القيام بالليل فقال لا ولا أديم النوم فقال فما الذي أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت ما أجرأك فقام الغلام وخطى خطوتين فقال الهي ان كنت صادقا فخذني فخر ميتا قلت وانما أمره عبد الواحد بالسكوت لانه ظن انه يدعي مقام الحب وانه كاذب في دعواه وكان الغلام صادقا فاستجاب دعاءه ومن هنا قال بعضهم اذا لقيت فقيرا فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فانك اذا لقيته بالعلم ذاب كما يذوب الثلج ثم قال وحكي عن أبي عمران الزجاجي انه قال ماتت أمي فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت ابل استقبلني واحد من القناقنة وقال ايش معك فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فاذا هي خمسون فقال لي خذها فلقد أخذني صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا أريد فقال لا بد وألح علي فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمني حتى مات قلت آبل بالمد اسم موضع والقناقنة جمع قنقن هو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني والذي وقع للرجل هو من بركات الصدق وآثاره في الدنيا قبل الاخرى ثم قال وقيل دخل ابراهيم بن دوحة مع ابراهيم ابن شيبة البادية فقال ابراهيم بن شيبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت كل شئ الا دينارا فقال يا ابراهيم لا تشغل سري اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت الدينار قال يا ابراهيم اطرح ما معك من العلائق فذكرت ان معي شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت في الطريق الى شسع الا وجدته بين يدي فقال ابن شيبة هكذا من عامل الله بالصدق قلت وطرحه الدينار ليس من باب اتلاف المال واضاعته لغير سبب موجب بل هو من باب تأديب النفس وزجرها لتنقطع عنها العلائق وهذا غرض ديني لا يخفى وقال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا عمر بن بكير النحوي أخبرنا عبد الرحمن الطائي أخبرنا أبو بردة بن عبد الله ابن أبي بردة قال كان يقال ان ربعي بن حراش لم يكذب كذبا قط فاقبل ابناه من خراسان قد تأخلا فجاء العريف الى الحجاج فقال أيها الامير ان الناس يزعمون ان ربعي بن حراش لم يكذب كذبة قط وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان فقال الحجاج علي به فلما جاء قال أيها الشيخ قال ما تشاء قال ما فعل ابناك قال المستعان الله خلفتهما في البيت قال لا جرم والله لا أسوءك فيهما هما لك وروي ان رجلا مر بلقمان والناس عنده فقال ألست عبد بني فلان قال بلى قال الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا قال بلى قال ما الذي بلغ بك

ما أرى قال صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق عمرو بن قيس الملائي *(خاتمة)* من شرط الصديقية ان لا يعوّد لسانه اللعن قال ابن أبي الدنيا حدثنا بشار بن موسى أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده عن عائشة رضي الله عنها قالت سمع النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق لعن بعض رقيقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر الصديقون ولعانون قال فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا أعود وبشار بن موسى هو الخفاف مجلى بصرى نزل بغداد قال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به وقد تقدمت الاشارة اليه في آفات اللسان اللهم اجعلنا من المخلصين الصادقين آمين وبه تم كتاب النية والاخلاص والصدق والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال مؤلفه وكان الفراغ منه في ضحوة نهار الاثنين لتسع بقين من محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠١ ختمت بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

الحمد لله المطلع على أسرار الغيوب * الرقيب على بواطن القلوب * الكاشف دهماء الكروب * الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل نفس ماقضى * وعلم ما مضى وما مضى * احمده على نعمه الكرام وآلائه العظام ومواهبه الجسام * وأشهد أن لا اله الا الله مبتدع الخلائق ومنشئهم بلا اقتدا * وتعليم ولا احتذا * لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطا * ولا حضرة ملا * وأشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده المصطفى ورسوله المجتبى وأمينه على وحى السما * ارسله بظهور الفلج * واتضاح المنهج * فبلغ الرسالة صادعا بها * وحمل على المحجة دالا عليها * وأقام اعلام الاهتداء ومنار الضيا * وجعل امراس الاسلام متينه * وعرى الايمان به وثيقه * صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى * وأصحابه مفاتيح الهدى * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح (كتاب المراقبة والمحاسبة) وهو الثامن والثلاثون من كتب الاحياء للامام الامام مصباح الظلام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * أفاض الله على روحه الزكية فيوضات رحمته وبره المتوالى * بنيت على قواعد ابوابه صرح الصفا * وكشفت عن مخدرات معانيه أكنة الخفا بتحرير عبارات رائقه وتحبير اشارات فائقه * يشتاق لها كل عارف بصير وينتفع كل سالك منير فالمراقبون يقتبسون من أنواره والمحاسبون يلتمسون من أسراره والمحبون يتنسمون من فوائح أزهاره والعاملون يشامون ارباح نضاره والزاهدون يشمون أريج نفحاته والمتوكلون يترشفون بسلاف رشحاته والعارفون يدنون حول حماه والمحققون عاكفون على ما شرعت فيه والقلوب واجفة والخواطر بالمصائب كاسفة والافكار بالاراجيف راجفة * والهموم من سائر الاطراف متكاثفة * والله أسأل خفى الالطاف والاعانة على ما أرجو والنجاة مما أخاف * انه سميع قريب * ولدعاء المناجين مجيب * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) المستعان به على كل أمر عظيم (الحمد لله القائم على كل نفس) أى الرقيب عليه (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم أشار به الى قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقيامه تعالى بذاته مطلقا وقيام كل شئ به (الرقيب) أى العليم والحفيظ (على كل جارحة بما اجترحت) وذلك بمراعاتها على اللزوم والدوام (المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست) أى وقعت وخطرت (الحسيب) أى الحاسب (على خواطر عباده اذا اختلجت) أى تحركت وانبعثت (الذى لا يعزب) أى لا يغيب (عن علمه) المحيط الشامل لسائر معلوماته (مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أوسكنت) أى لا يشذ عن علمه شئ قليلا كان أو كثيرا متحركا كان أو ساكنا (المحاسب على النقير) وأصله النكتة فى ظهر النواة (والقطمير) وهو شبه الخيط فى بطن النواة (والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت) ودق ظهورها فى الاعين (المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطوّل بالعفو عن معاصيهم وان كثرت) فالقبول والعفو انما هما من تفضلاته واذا

(كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطوّل بالعفو عن معاصيهم وان كثرت

كان القبول حاصلا والعفو شاملا فلماذا الحساب فقال (وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت) من أعمالها بين يديه تعالى (وتنظر فيما قدمت) من عمل أوصدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع يشير بذلك الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وهو جواب اذا والمذكور فى سياقها ثنتاعشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على أعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة والى قوله تعالى علمت نفس ماقدمت وأخرت وهو أيضا جواب اذا أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت اذا الشمس كورت قال عمر لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال لهذا أجرى الحديث وأخرج ابن المبارك فى الزهد وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى قوله علمت نفس ماقدمت وأخرت قال من سنة صالحة يعمل بها بعده فان له مثل أجر من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيأ أو سنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينتقص من أوزارهم وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال ماقدمت من عمل خيرا أو شر وما أخرت من سيئة يعمل بها من بعده وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة فى قوله علمت نفس ماقدمت وأخرت قال ما أدت الى الله مما أمرها الله به وما ضيعت وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال ماقدمت من خير وما أخرت من حق الله عليها لم تعمل به وعن سعيد بن جبير قال ماقدمت من خير وما أخرت ما حدثت به نفسه ولم يعمل به وعن مجاهد ماقدمت من خير وما أخرت ما أمرت أن تعمل فتركت وعن عطاء قال ماقدمت بين يديها وما أخرت وراءها من سيئة يعمل بها من بعده (فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة) وهى الارض المستوية التى يحشر الناس عليها (وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة) وهى الخسيسة التى يدفعها كل معروض عليه فلا تنفق (لخابت وخسرت) وخسرانها عدم رواجها (فسبحان من عمت نعمته كافة العباد فشملت) أى جميعهم عامهم وخاصهم وكافة مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة لا يثنى ولا يجمع (واستغرقت رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة وغمرت) وهى الرحمة العامة التى تتناول المستحق وغير المستحق والضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها (فبنفحات فضله) جمع نفحة وهى العطية (اتسعت القلوب للايمان وانشرحت) فقبلته واستقرفيها (وبيمن توفيقه) أى هدايته لما يوافقه (تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت) فاستحلتها واستحلت (وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت) أى انزاحت فاهتدت بمعرفته الخاصة واطمأنت (وبتأييده ونصرته انقطعت) عنه (مكايد الشيطان) ومصايده ونفوخه التى على قلوب المؤمنين (واندفعت وبلطف عنايته) السابقة بعباده (ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه) تعالى وحده (العطاء والجزاء) أى فهو المعطى والمجازى (والابعاد والادناء) أى وهو المبعد والمدنى (والاسعاد والاشقاء) أى وهو المسعد والمشقى لا اله الا الله جل جلاله (والصلاة على سيدنا (محمد سيد الانبياء) أى رئيسهم ومقدمهم (وعلى آله سادة الاصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء) وسلم عليه تسليما كثيرا (أما بعد فقد قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (ونضع الموازين القسط) أى العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) أى لجزاء يوم القيامة أو لاجله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه (وان كان) العمل (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أى أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) أى لا مزيد على علمنا وعدلنا أخرج ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم من طريق حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد عن ابراهيم فى قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال يجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه فيرجح فيقال

وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق فى الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء (أما بعد) فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين

له أتدرى ماهذا فيقول لا فيقال هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس أو نحو هذا وحدث به عبد الله بن أحمد فى كتاب العلل عن أبيه حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس حدثنا الحجاج عن حماد قال ان العالم ليغشاه يوم القيامة مثل الغمام فيوضع فى ميزانه فيقول ماهذا فيقال العلم الذى علمته الناس وقال أيضا حدثنى أبى حدثنا عبد القدوس عن رجل قد سماه يعنى أبا حنيفة عن حماد مثله وخرجه ابن مردويه فى كتاب فضل العلم من طريق مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد قال الحافظ بن ناصر الدين فى منهاج السلامة ونصب ميزان الحق يوم القيامة بين الخلق لفوائد عظيمة وحكم بهية اقتضتها الحكمة الالهية مع علم الله العليم الخبير بمقادير الاعمال الصغير والكبير لا يغيب عن نظره غائب ولا يفوته هارب ولا يؤده حفظ ماخلق وهو السميع العليم وانما الحكمة فى وزن أعمال العباد ان ذلك لامتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا وهو أحد الاقوال فى معنى ذلك وقيل لاظهار السعادة والشقاوة يوم القيامة وقيل ليعرف العباد مالهم من خير وشر وقيل لاقامة الحجج عليهم وقيل للاعلام بان الله عز وجل عادل لا يظلم من خلقه أحدا ويربى الحسنات لصاحبها ويضاعفها (وقال تعالى ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل أو فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى أهلكوها من بين الهلكات (مال هذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لا يغادر) لا يترك هنة (صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) عدها وأحاط بها (ووجدوا ماعملوا حاضرا) مكتوبا فى الصحف (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله (وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا) فى صعيد أفيح (فينبئهم) اى يخبرهم جميعا (بما عملوا) من خير وشر (أحصاه الله) عده وأحاط به (ونسوه والله على كل شئ شهيد) اى شاهد لا يغيب (وقال تعالى يومئذ يصدر الناس) من قبورهم الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والذرة النملة الصغيرة أو الهباء (وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى تعطى على سبيل الوفاء جميع ما كسبت من خير وشر (وهم لا يظلمون) وهو كقوله تعالى ولا يظلم ربك أحدا (وقال تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا بين يديه (و) تجد أيضا (ماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) اى غاية يقال بلغ أمده اى غايته (ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه) الى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة علمه واحاطته بسائر أفعال العباد (فعرف أرباب البصائر) الصادقة (من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد) كما قال تعالى ان ربك لبالمرصاد (وانهم سيناقشون فى الحساب) أى يدقق عليهم فيه (ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات) فى الحركات والسكنات (وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس) الهابطة والصاعدة (والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال) فى القبر (جوابه وحسن منقلبه ومآبه) أى مرجعه (ومن لم يحاسب نفسه) فى دنياه (دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته) أى جرته (الى الخزى) أى الفضيحة (والمقت) أى الغضب (سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه الا طاعة الله) والمصابرة عليها (وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد (وصابروا) أى غالبوا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) أنفسكم على الطاعة واتقوا الله لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مقتضى الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق سبحانه

ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق *(المقام الاول من المرابطة المشارطة)* اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع انها محتقرة والمحاسبة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها

لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة (فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها) مقاما مقاما (وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق)

(المقام الاول من المرابطة المشارطة)

وهو في الاصل اجراء الشرط بين متعاملين (اعلم) نور الله قلبك (ان مطلب المتعاملين) في التجارات (المشتركين في البضائع) والنقود (عند المحاسبة) مع بعضهم (سلامة الربح) الحاصل من التصرف (وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه) الاعلى (وربحه) الاوفر (تزكية النفس) أي تطهيرها من المذام والخبائث (لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها) انما هي بالعلم والعمل (وقد خاب من دساها) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (وانما فلاحها بالاعمال الصالحة) على وفق المعارف الالهية (والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها) وينميها (كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله) فيما ينمي المال (وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه أو يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة) واحدة (فانه لو أهملها لم ير منها الا الخيانة) الظاهرة (وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو) وزالت عنه الموانع (وانفرد بالمال) فانه تشتد خيانته ويبدد المال حيث لا ينفع فانه اما لبطنه أو لفرجه (ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء) وناهيك به ربحا (فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا) ومناقشته فيها (مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء) والهلاك والفناء (ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير) وهذا بالاضافة الى العواقب (ولذلك قيل) قائله المتنبي

(أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا)

وقد مر انشاده للمصنف في مواضع من كتابه هذا (فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها) أي في سائر أحوالها فالمحاسبة هي ميزان الاعمال والاحوال لتتميز بها مصالح الاعمال من مفاسدها وحقائق الاحوال من دعاويها

فان كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه
الأنفاس ضائعة أو مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم على به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل به صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم قد رددت فاياك ثم اياك أن تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لاقيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار مالو وزع على أهل النار لادهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح
له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنغص
عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا
فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا

والمحاسبة للاعمال والاحوال كالبراهين لصحة العلوم فمن لابرهان معه خالط علمه الوهم والخيال ومن لامحاسبة له شاب عمله الغرور والخداع وهذه المحاسبة واجبة بالاجماع هكذا هو منقول عن الحرث المحاسبي وسياق المصنف يشير اليه والكتاب والسنة والاثر يدل على ذلك (فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لايضاهي نعيمه أبد الآباد) الى آخر الدهر (فانقضاء هذه الانفاس ضائعة أو مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لاتسمح به نفس عاقل) فانظر الى حال من لم يملك من الدنيا الا درهما واحدا وهو رأس ماله وخرج يتجر فيه لعائلته ليسعدوا بربحه واذا هو برجلين مثله لكل واحد منهما درهم مثله فاختلفت آراؤهم في التجارة فوجد احدهم جوهرة بدرهمه وأشار الى صاحبيه ان يفعلا كفعله فلم يفعلا فسعد هو وأهله بالجوهرة وأما أحد الرجلين فقال هذا رأس مال قليل فلا يكفيني ولا يكفي أهلي فانا أرمي به من يدي واتكل على الله تعالى في أن يكفيني وأهلي بلا تجارة وأما الرجل الآخر فوجد حية عظيمة ينادى عليها بدرهم والمنادي يقول احذروها فانها حية لمن مسها قاتل سمها فغلبت عليه شقوته واشترى الحية بدرهمه وحملها الى أهله فقتلته وقتلت عياله فانظر الى هذا المثال فانه يعرفك قيمة عمرك فان الدرهم هو النفس الواحد اذ لايملك كل واحد من الاحياء غير النفس الراهن وما هو في ثاني حال مشكوك فيه وقد انقسمت الناس في أنفاسهم هذا الانقسام فمنهم من عرف قدر نفسه فاشترى به جوهرة أضاءت عليه في محياه ومماته وهو صرفه في ذكر الله تعالى والفكر في معرفته والثاني جهل سنتربه في قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فصرفه في مباح يتحسر على فواته اذا عاين ربح الرابحين وهو يعلم ان لم يكن معهم الامثل رأس ماله وأما الثالث فازداد جهلا ثانيا وهو الجهل بالبضائع فاشترى بضاعة شقيت بها نفسه وهو صرف نفسه في معصية الله تعالى فنعوذ بالله من الجهل (فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل) في تجارته (يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس) في مشارطتها ويحك يانفس (مالي بضاعة) اعتمد عليها (الا) هذا (العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي) أي أخره (وانعم على به ولو توفاني) كما توفي غيري من أقراني ولداتي (لكنت أتمنى) على الله (ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا) كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا (فاحسبي) يانفس (انك قد توفيت ثم قد رددت) الى الدنيا ثانيا (فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة) يتيمة (لاقيمة لها واعلمي يانفس ان اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) من ساعات الزمان (وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار مالو وزع) أي فرق وقسم (على أهل النار لادهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار وتفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها وتفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا

وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به الى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم او الى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة وتقليل الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار التعلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره

(وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره) قال العراقي الحديث بطوله لم أجد له أصلا (فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به الى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا أشقياء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها (فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها) أي تلك الاعضاء بمنزلة (رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة أبواب) يدخلونها الكفرة أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لان أهلها سبع فرق كما قال تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أفرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء) وهذا وجه آخر لتخصيص العدد (فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم) ولا الى عضو آخر غير الوجه (أو الى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل) يحفظها (عن كل فضول مستغنى عنه فان الله يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام) روى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي موسى الانصاري عن عبادة بن كليب قال قال رجل لداود الطائي لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف قال له أما علمت انه يكره فضول النظر (ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له) أي لاجله (من النظر الى عجائب صنع الله) في الملك (بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله) صلى الله عليه وسلم (ومطالعة كتب الحكمة) الالهية وهي كتب الدقائق (للاتعاظ والاستفادة) لا للتفرج (وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن أما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة و جنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق و) مذمة (الاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان) مفصلا (فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة و) قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) يكتب عليه ما لفظ به (وأما البطن فيكلفه ترك الشره) أي الحرص

وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه انها ان خالفت شيأ من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشرط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها في كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان أطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه (٩٣) في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشئ من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة أو تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى أن يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل فتبينوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على

(وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة) مما يقيم به صلبه في الطاعات (ويشترط على نفسه انها ان خالفت شيأ من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك لنفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان أطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشئ من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال) أي عاقبته (ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد) على سيده (فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية) والذل والقهر (ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها) قال الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) بتنبههم لقبول ذلك (فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل) أي قبل الشروع فيه (والمحاسبة تارة تكون بعد العمل) وهذا هو الاكثر (وتارة) تكون (قبله) وهي (للتحذير) عن الوقوع فيما يفسد العمل (قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك) كله (تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة ابن الصامت) رضي الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه) رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر عبد الله بن المسور الهاشمي مرسلا بلفظ فان كان خيرا ابدل رشدا وان كان شرا ابدل غيا وابن المسور تكلموا فيه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (وقال بعض الحكماء اذا أردت ان يكون العقل غالبا على الهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان) رحمه الله تعالى (ان المؤمن اذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس) رضي الله عنه (عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على

الله) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وغيرهم وقد تقدم (دان نفسه أى حاسبها) وقيل استعبدها وقهرها يعنى جعل نفسه مطيعة منقادة لاوامر ربها أى الكيس من أبصر العاقبة وحاسب نفسه والاحمق من عمى عنها وحجبته الشهوات والغفلات (و يوم الدين يوم الحساب) وقيل يوم الجزاء (وقوله) تعالى (أئنا لمدينون أى لمحاسبون) وقيل لمجزيون فالدين يطلق على معان كثيرة منها الحساب (وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت ابن الحجاج قال قال عمر زنوا أنفسكم قبل ان توزنوا وحاسبوها قبل ان تحاسبوا فانه أهون عليكم فى الحساب غدا ان تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية (وكتب) رضى الله عنه (الى أبى موسى الاشعرى) رضى الله عنه وهو أمير بالبصرة (حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة) رواه اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن أبى بردة (وقال) رضى الله عنه (لكعب) الاحبار يوما (كيف تجدها فى كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين انها) أى هذه الكلمة (الى جنبها فى التوراة مابينهن حرف الا من حاسب نفسه) والديان الحاكم والقاضى والمحاسب والمجازى (وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال) صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق الكيس (من دان نفسه يعمل لما بعد الموت) أى من حاسب نفسه وقهرها اشتغل بعمل ينفعه بعد موته (ومعناه وزن الامور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها)

(المرابطة الثانية المراقبة)

وفيها مقام الحياء ولواحقه الرعاية والحرمة والادب اعلم انه (اذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ماذكرناه فلا يبقى) بعد ذلك (الا المراقبة بها عند الخوض فى الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة) أى الحافظة (فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام) النبى صلى الله عليه وسلم (عن الاحسان فقال) صلى الله عليه وسلم (ان تعبد الله كأنك تراه) ولما كانت المراقبة والاحسان لفظين متداخلين على معنى واحد استدل بما ورد فى الاحسان على فضيلتها قال القشيرى فى الرسالة أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق حدثنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن يزيد حدثنا اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل فقال يامحمد ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه للنبى صلى الله عليه وسلم قال فاخبرنى ما الاسلام فقال أن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فاخبرنى ما الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت الحديث هذا الذى قاله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه المرتبة الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف واصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه و بين الله مراعاة القلب وحفظ مع الله الانفاس راقب الله فى عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله و يرى أفعاله و يسمع قوله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة اهـ قال العراقى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عمر انتهى قلت قال البخارى فى الصحيح حدثنا مسدد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال ما الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته و بلقائه

الله دان نفسه أى حاسبها و يوم الدين يوم الحساب وقوله أئنا لمدينون أى لمحاسبون وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر وكتب الى أبى موسى الاشعرى حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها فى كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين انها الى جنبها فى التوراة مابينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها (المرابطة الثانية المراقبة) اذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ماذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض فى الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها (اما الفضيلة) فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه

ورسله

و رسله وتؤمن بالبعث قال ما الاسلام قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وذكر تتمة الحديث وقد رواه مسلم أيضا من طرق وأما حديث عمر فقال أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال يا محمد اخبرني عن الاسلام ما الاسلام قال أن تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال عمر رضي الله عنه فعجبنا له يسأله ويصدقه فقال يا محمد اخبرني عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره قال صدقت وذكر باقي الحديث بتمامه أخرجه مسلم بطوله عن زهير بن حرب عن وكيع عن عبيد الله بن معاذ وعن أبيه كلاهما عن كهمس بن الحسن به ورواه سليمان التيمي عن يحيى بن يعمر بزيادة فيه قال أبو بكر محمد بن خزيمة في الصحيح حدثنا يوسف بن واضح حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس اذ جاء رجل عليه سحناء سفر وليس من أهل البلد يتخطى حتى ورك فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما الاسلام قال الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وان تتم الوضوء وتصوم رمضان قال فاذا فعلت ذلك فانا مسلم قال نعم قال صدقت ثم ذكر الحديث بطوله وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن خزيمة ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن يونس بن محمد عن المعتمر بن سليمان به لكنه لم يذكر متنه بل أحاله بنحو ما قبله ورواه أيضا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن السماك في جزئه من طريق سيار بن الحكم عن شهر بن حوشب عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في الناس اذ جاءه رجل يتخطى الناس حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الاسلام فساقه وفي آخره فانطلق الرجل حتى توارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بالرجل قال فطلب فلم يوجد فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ما أتاني في صورة الا عرفته فيها غير مرتي هذه وشهر بن حوشب مختلف فيه والراجح قبوله وقد استوفيت هذا الحديث في كتابي عقود الجواهر المنيفة وذكرت اختلاف ألفاظه فراجعه (وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث زيد بن أرقم بزيادة واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فانها مستجابة وروى الطبراني والبيهقي من حديث معاذ بن جبل اعبد الله ولا تشرك به شيأ واعمل لله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى الحديث وأما لفظ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقد رواه أيضا أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه النسائي عنه وعن أبي ذر معا ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمر ويروى الاحسان ان تعمل لله كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك فاذا فعلت ذلك فقد أحسنت رواه أحمد والبزار من حديث ابن عباس ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ورواه أحمد أيضا من حديث أبي عامر أو أبي مالك ورواه البزار أيضا من حديث أنس وابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم (وقد قال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي رقيب والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وقال تعالى ألم يعلم بان الله يرى) أي يطلع على أحوال عبده من هداه وضلاله (وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا) أي مراقبا لاعمالكم (وقال تعالى) في وصف المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق (راعون) قائمون بحفظها

وقال عليه السلام اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى ألم يعلم بان الله يرى وقال الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن (٩٦) المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل

وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره وقال أبو عثمان المغربي أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري أمرنا هذا مبني على أصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك * وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد اذ الله مطالع على في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار

واصلاحها وقال تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أي محافظون (وقال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره) أي ما معنى هذا القول (فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل) أي فاذا تحققت ذلك فقد راقبته (وقال عبد الواحد بن زيد) البصري رحمه الله تعالى (اذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره) يشير الى قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا (وقال أبو عثمان) سعيد بن سلام المغربي رحمه الله تعالى (أفضل ما يلزم الانسان به نفسه في هذه الطريقة) العلية (المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم) بان يزن ما هو فيه بالعلم الشرعي هذا القول نقله القشيري سماعا عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا عثمان المغربي يقول فذكره (وقال ابن عطاء) هو أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري شيخ الشام في وقته مات بصور سنة ٣٦٩ ولفظ القشيري وسئل ابن عطاء ما (أفضل الطاعات) فقال (مراقبة الحق) تعالى (على دوام الاوقات) كما أشار اليه في الخبر السابق في الاحسان فافضل العبادات رؤية المعبود في وقت العبادة فانه أبعد من الزلل (وقال) أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد وأقعد بعده مكانه مات سنة ٣١١ (أمرنا هذا مبني على أصلين) وفي نسخ الرسالة فصلين أحدهما (ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل) في حركاتك وسكناتك (و) الثاني ان (يكون العلم على ظاهرك قائما) بان تكون حركاتك وسكناتك موزونة بالشرع نقله القشيري سماعا من محمد بن الحسين قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول فذكره (وقال أبو عثمان) الحيري النيسابوري (قال لي أبو حفص) عمرو بن مسلمة الحداد شيخ الجنيد (اذا جلست للناس) أي لوعظهم (فكن واعظا لنفسك وقلبك) لينتفعوا بوعظك فانه اذا صلحت نيتك في وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك وله وقع في قلب السامع (ولا يغرنك اجتماعهم عليك) اى حولك (فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك) نقله القشيري سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت أبا عثمان يقول قال لي أبو حفص فذكره الا انه قال والله رقيب على باطنك وفي نسخة والله يراقب باطنك (وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب) وكان يخصه و (يكرمه ويقدمه) على جماعته و يقبل عليه أكثر مما يقبل على غيره (فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ) فما السبب فيه فقال أبين لكم ذلك (فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا) الاولى طيرا (وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع الى) هذا (الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا) لانه لم ير بمكان الذبح أحدا من بني آدم (ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال) له (مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال) أمرتني أن أذبحه حيث لا يراه أحد وأنا (لم أجد موضعا الا يراني فيه أحد اذ الله مطلع على في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة) وقال الشيخ لهذا أخصه باقبالي عليه (وقالوا) له (حق لك أن تكرم) و يقبل عليك حكاه القشيري في الرسالة بمعناه وفيه دلالة على ان المراقبة لله تعالى أفضل المقامات وان ارتفعت مقامات العابدين وقوي اجتهادهم فانهم مشغولون بصلاح قلوبهم وأحوالهم والمراقب لله قد غلب على قلبه نظره اليه في سائر تصرفاته وكان الشيخ يعرف فضيلة هذا الشاب ورفعة مقامه عن بقية تلامذته فكان يقربه لذلك ويخصه باسراره دونهم فلما بلغه تغيرهم لذلك عرفهم بما أكد رفعة مقامه عليهم ثم علمه بعدم امكان ما أمره به شيخه يحتمل ان يكون خطر له وقت الامر به لكنه اتبع أمر شيخه لاقامة الحجة على بقية التلامذة وان يكون انما خطر له ذلك بعد مضيه وتفتيشه (وحكى ان زليخا) امرأة العزيز (لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم لها) كانت تعبده (فقال لها (يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال لما دخل يوسف عليه السلام عليها البيت وفي البيت

صنم من ذهب قالت كما أنت حتى أغطي الصنم فانا استحي منه فقال يوسف هذه تستحي من الصنم فانا أحق ان استحي من الله فكف عنها وتركها وروى أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه في قوله ولقد همت به وهم بها قال طمعت فيه وطمع وكان فيها من الطمع اذهم ان يحل التكة فقامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه فقال أي شئ تصنعين فقالت استحي من الهى ان يراني على هذه السوأة فقال يوسف تستحي من صنم لا يأكل ولا يشرب وأنا لا استحي من الهى الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ثم قال لا تناليها مني أبدا وهو البرهان الذي رأى (وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحي فقال ممن استحي وما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها) أي رب الكواكب رواه البيهقي في الشعب عن الاصمعي قال حدثني رجل من الاعراب قال خرجت ليلة فاذا أنا بجارية تستقي ماء فراودتها عن نفسها فقالت ويلك ان لم يكن لك زاجر من دين امالك زاجر من كرم فقلت لها مالك لا يرانا الا الكواكب قالت ويلك واين مكوكبها (وقال رجل للجنيد) رحمه الله تعالى (بم استعين به على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد) أيضا (انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من الله عز وجل) ولفظ الرسالة من تحقق في المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غير اهـ وذلك لان المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرتفع عنه الحجاب وقد يراقبها ليكون من الاحباب فاذا وصل الى هذا الحال الشريف راقب ربه وأدام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التي يفوت بسببها حظه من مولاه فراقبته له بهذا القصد خوفا من فوات حظه من أفضل المراقبات (وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصري رحمه الله تعالى (جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني) فتركوها (والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب) روى البيهقي من حديث أنس يقول الله تعالى اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي المتحابين في والى المستغفرين بالاسحار صرفت عنهم (وسئل) أبو عبد الله الحرث بن أسد (المحاسبي) البصري رحمه الله تعالى (عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى) أي فاذا تم له ذلك خلص سره لله تعالى (وقال) أبو محمد عبد الله بن محمد (المرتعش) النيسابوري من أصحاب الجنيد مات ببغداد سنة ٣٢٨ (المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب) فيما يرد عليك منه (مع كل لحظة ولفظة) حكاه القشيري عن محمد بن الحسين سماعا قال سمعت أبا القاسم البغدادي يقول سمعت المرتعش يقول فذكره (وروى) في بعض الاخبار (ان الله تعالى قال لملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب بالباطن) أي العليم بسره من غير غفلة ومن ذلك قول أبي حفص لابي عثمان فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وتقدم قريبا (وقال) أبو عبد الله (محمد بن علي) بن الحسن بن بشر الحكيم (الترمذي) رحمه الله تعالى من كبار الشيوخ وله تصانيف في علوم القوم صحب أبا تراب النخشبي وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم وهو صاحب نوادر الاصول (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه) هكذا ذكره في النوادر (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لم يتزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان) وهذا لانه أصل كل خير فاذا استدام ذلك صارت مراقبة (وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه

مكوكبها وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لأهم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وروى أن الله تعالى قال للملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه

ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها

ذلك) أي الرضوان (لمن راقب ربه عز وجل) في أحواله (وحاسب نفسه وتزود لمعاده) ففسر الخشية بالمراقبة والمحاسبة ولذلك جاء في الخبر كفى بالخشية علما (وسئل ذو النون المصري) رحمه الله تعالى (بم ينال العبد الجنة فقال بخمس) خصال (استقامة) في الطاعات (ليس فيها روغان واجتهاد) في المعاملة السرية (ليس معه سهو) ولا غفلة (ومراقبة الله في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له) بالاعمال الصالحة فكان قد (ومحاسبة نفسك) بما عملته من خير أو شر (قبل ان تحاسب وقد قيل) في معنى ذلك

(اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر ان اليوم أسرع ذاهب * وان غدا للناظرين قريب)

وكان الامام الشافعي ينشد هذه الابيات كثيرا فقيل انها له وقيل لغيره (وقال حميد) بن أبي حميد تيرويه (الطويل) أبو عبيدة البصري التابعي اختلف في اسم أبيه على عشرة أقوال أشهرها ما ذكرت ثقة روى له الجماعة وفي التهذيب قال البخاري قال الاصمعي رأيت حميدا ولم يكن طويلا وقال غيره انما كان طوله في يديه مات سنة ثلاث وأربعين ومائة وهو قائم يصلي وله خمس وسبعون سنة (لسليمان بن علي) بن عبد الله ابن عباس أحد الاشراف وعم الخليفتين السفاح والمنصور وروى له النسائي وابن ماجه مات سنة اثنتين وأربعين ومائة وله تسع وخمسون سنة (عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا) عن الناس (ظننت انه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم) فانك بارزته بالمعصية مع علمك باطلاعه عليك (ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت) اذ قد أنكرت احاطة علمه (وقال سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر) أي الخوف (ممن يملك العقوبة) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال فرقد) بن يعقوب (السبخي) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبو يعقوب البصري صدوق عابد لين الحديث روى له الترمذي وابن ماجه مات سنة احدى وثلاثين ومائة (ان المنافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال) أبو عبد الرحمن (عبد الله ابن دينار) العدوي مولى ابن عمر مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل) معه غنمه (فقال له يا راعي بعني شاة من هذه) الثلة يحتمل انه ظن ملكه لبعض الغنم او انه لما رأى حسن رعايته لها في الظاهر فأراد ان يختبر باطنه هل ذلك عن دين أو عادة (فقال اني مملوك) وهذه الغنم ليست ملكي انما أنا أرعاها (فقال قل لسيدك) اذا سألك عنها (أكلها الذئب) وهذا يؤكد الاحتمال الثاني انه اختبار (قال فأين الله) فانه يعلم ذلك ويؤاخذني به (قال) الراوي (فبكى عمر رضي الله عنه) من سماع هذا الكلام (ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة) والذي في الرسالة للقشيري وقيل كان ابن عمر في سفر فرأى غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد فأين الله فكان ابن عمر يقول بعد ذلك الى مدة قال ذلك العبد فأين الله اهـ قال الشارح لانه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا قال وروى انه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم وأعتقه ووهبها له قلت والنفس تميل الى ان هذه القصة وقعت لابن عمر وشاهده رواية ابن دينار عنه وهو مولاه وملازمه في أسفاره وقد روى أيضا عن نافع وفيه التصريح بان الواقعة لابن عمر قال ابن شاذان أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر الادمي أخبرنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عبد العزيز قال قال نافع خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة لهم فمر بهم راع فقال له عبد الله هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة فقال اني صائم فقال له عبد الله في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت في هذه الشعاب

روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان ابن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضي الله عنه

ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة

في

في مثار هذه الغنم و بين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم فقال الراعي أبادر لايامي الخالية فعجب ابن عمر
وقال هل لك ان تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها قال انها ليست
لي انها لمولاي قال فما عسيت أن يقول لك مولاك ان قلت أكلها الذئب فمضى الراعي وهو رافع أصبعيه الى
السماء وهو يقول فاين الله فما عدا ان قدم المدينة فبعث الى سيده فاشترى منه الراعي والغنم فاعتق الراعي
ووهب له الغنم ومما ذكر القشيري في هذا الباب من الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر
الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه و بين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف
والمشاهدة سمعت أبا علي الدقاق يقول كان لبعض الامراء وزير فكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض
الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة أو صوت أحس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا الوزير
في تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الامير أنه نظر اليهم لريبة فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان
هذا الوزير يدخل على الامير أبدا وهو ينظر الى جانبه حتى توهم الامير ان ذلك خلقه وحول فيه فهذا
مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده سمعت بعض الفقراء يقول كان أمير له غلام يقبل عليه
أكثر من اقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له في ذلك فاراد الامير أن
يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره فيوما من الايام كان راكبا ومعه الحشم و بالبعد منهم جبل عليه
ثلج فنظر الامير الى ذلك الثلج وأطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث الا يسيرا حتى
جاء ومعه شيء من الثلج فقال الامير ما أدراك اني أردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت اليه ونظر السلطان الى
شيء لا يكون عن غير قصد فقال الامير انما أخصه باكرامي واقبالي عليه لان لكل أحد شغلا وشغله مراعاة
لحظاتي ومراقبة أحوالي وقال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه وسئل أبو الحسين بن
هند متى يهش الراعي غنمه بعصا الرعاية من مواقع الهلكة فقال اذا علم أن عليه رقيبا وقال ذو النون علامة
المراقبة ايثار ما آثر الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله وقال النصراباذي الرجاء يحركك الى الطاعات
والخوف يبعدك عن المعاصي والمراقبة تؤديك الى صرف الحقائق سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا
العباس البغدادي يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الغيب في كل خطرة
وقال ابراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة خلوص السر والعلانية لله سمعته يقول سمعت
محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لي بعض مشايخي
عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال بينا أنا أسير في البادية اذا أنا بخشخشة خلفي فهالني ذلك وأردت أن
ألتفت فلم ألتفت فرأيت شابا واقفا على كتفي فانصرف وأنا مراع لسري ثم التفت فاذا أنا بسبع عظيم
وقال الواسطي أفضل الطاعات حفظ الاوقات وهو ان لا يطالع العبد غير حده ولا يراقب غير ربه ولا يقارن
غير وقته والله أعلم

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان) المراقبة مفاعلة فلابد من التراقب من الجانبين فعلى هذا لابد للمراقب أن
يكون مراقبا لاطلاعه على اطلاع الحق سبحانه على حاله و يداوم على ذلك أو يكون مراقبا لاطلاعه على
موجده بلا فترة وتشتت الخاطر وهي أفضل من الحياء لان الحياء يتولد عن معرفة عيوب النفس
والمراقبة لا تفتقر الى ذلك وعلى هذا (حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز
من أمر من الامور بسبب غيره) حتى لا يغفل عنه و يلاحظه ملاحظة تامة لازمة دائمة لزوما لو عرفه
الممنوع عنه لما قدم عليه (يقال انه يراقب فلانا و يراعي جانبه) فكأنه يرجع الى العلم والحفظ (و يعني
بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة
فهي مراعاة القلب للرقيب) في كل خطرة (واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه)
واليه يشير كلام جعفر بن نصير في المراقبة الذي تقدم قريبا اذ قال هي مراعاة السر لملاحظة الغيب في كل

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها) اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من أمر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا و يراعي جانبه و يعني بهذه المراقبة حالة القلب يثمرها نوع من المعرفة تثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه

وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب فى حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا أعنى انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهى مراقبة التعظيم والاجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر فى تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت فى حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له

خطرة وكلام الخواص المراعاة تورث المراقبة وكان هذا أول درجات المراقبة ثم ان المراقبة كغيرها من المقامات تنتظم من علم وحال وعمل وقد أشار المصنف الى العلم بقوله (وأما المعرفة التى تثمر هذه الحال فهو العلم) بصفات الالوهية المحدقة بالوجود كله بكل جزء منه على انفراده كعلمه و بصره وسمعه والايمان بها و (بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب فى حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك) وأقوى واليه يشير كلام أبى الحسين بن هند الذى تقدم والايمان بهذه الصفات واجب وهو من الايمان بالله (فهذه المعرفة اذا) تقوت (صارت يقينا أعنى انها خلت عن) ان يمازجه (الشك) والريب (ثم استولت بعد ذلك على القلب) الصنوبرى (وقهرته) أى ملكته ملكا تاما لم تبق فيه منازعة لخاطر وحصول هذا المعنى بعد اليقين شرط (فرب علم لا يشك فيه لا يغلب على القلب) ولا يستوليه (كالعلم بالموت) فانه يقينى الا أنه لا يقهر بعض القلوب (فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه) بالكلية وتحقق بمقام الاحسان المشار اليه فى الخبر (والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون) فى الحضرة الالهية (وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمراقبتهم) أى المقربين (على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهى) لها بداية ونهاية فثمرة بدايتها رعاية الخواطر وكشف ما التبس منها والادب مع الله بحرمة مراقبة الله ونهاية هذه الدرجة (مراقبة التعظيم والاجلال) والهيبة (وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة) بدخول الاعضاء بعضها فى بعض (فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا) وهذه الحالة مرادة لذاتها لانها حالة لا تسع العمل فان الخواطر والجوارح بنية تابعة الروح المأخوذة بالمشاهدة والاحوال لها والادب عند سكون هذه الحالة رؤية العالم على أتم أنواع الاتقان والاعلام والرضا بمجارى الاقدار وسلب الاختيار لما عاين من جلال الله ورؤية الشريعة تعين الوقار وكمال النظام لانه رأى ثمرتها وبركتها وقيل السكون أن لا يكون للعقل فراغ لشئ من هذه الآداب وأقل ادراك العقل فى هذه أن يرى الحق حقا والباطل باطلا بعلم ضرورى لا يفتقر فيه الى اقامة برهان (وهذه مراقبة لا نطول النظر فى تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب) فمن جملتها المراقبة المنسوبة الى الطائفة النقشبندية قدس الله أسرارهم قالوا هى ملاحظة المعنى المقدس من الجلالة وفهمه وحفظه فى الخيال ثم التوجه به الى القلب بجميع القوى والمدارك والمداومة عليه حتى تذهب الكلفة من البين و يصير ملكة فان عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله فى مقابلة البصيرة ثم يتوجه به الى القلب بالوجه المذكور الى ان تقوى البصيرة وتذهب الصورة ويترتب عليه ظهور المعنى المقصود قالوا وهى أعلى من طريق النفى والاثبات وأقرب للجذبة الالهية عن غيرها كما سيأتى بيانه (أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات فاذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت فى حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى) كما ورد فى تأويل الخبر اللهم أصلح الراعى والرعية أى القلب والجوارح كما تقدم (فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى) صار همه هما واحدا (فكفاه الله سائر الهموم) كما روى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه الحديث وتقدم وروى هناد فى الزهد عن سليمان بن حبيب المحاربى مرسلا من كان همه هما واحدا كفاه الله همه الحديث (ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق) رأسا (حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له

مع انه لاصمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بى فحركنى ولا تستبعد هذا فانك تجد
نظير هذا فى القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل
القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى
نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف الارجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الاسر يعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد ابن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال ما رأيت أحدا وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الاجدارا وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت أنت وحدك فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج
الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن
الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا أرادت الصيد رابطت
رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على

مع أنه لاصمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه) ولا يحس به (حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك) فيعاتبه بعضهم (فقال لمن عاتبه اذا مررت بى فحركنى) حتى أحس بك ومنهم من كان اذا دخل عليه أصحابه يسألهم عن أسمائهم كل اذ دخلوا عليه قال القشيرى سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور قال كنت مختصا بمجلس الاستاذ أبى على الدقاق أقرأ فيه القرآن فاتفق خروجه الى الحج وخرجت معه فلما كنا بالبيضاء طلب قمقمة فاحضرتها اليه فقال جزاك الله خيرا ثم نظر الى طويلا كأنه لم يرنى قط وقال رأيتك مرة من أنت فقلت المستعان بالله صحبتك مدة وخرجت من مسكنى ومالى نسيتنى الساعة تقول رأيتك مرة (ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا فى القلوب المعظمة لملوك الارض حتى أن خدم الملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم) وانصراف هممهم اليهم (بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه ويمشى) ولم يزل فى ذلك الفكر (فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له) فيتعجب من حاله ويرجع (وقيل لعبد الواحد بن زيد البصرى العابد) رحمه الله تعالى (هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف) بهذا الوصف (الارجلا سيدخل عليكم) (الساعة فما كان سريعا حتى دخل عتبة) بن أبان بن تغلب (الغلام) رحمه الله تعالى (فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال ما رأيت أحدا) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن حدثنى مضر قال قال رجل لعبد الواحد بن زيد يا أبا عبيدة تعلم أحدا يمشى فى الطريق مشتغلا بنفسه لا يعرف أحدا يقول من اشتغاله قال ما أعرف أحدا الا رجلا واحدا الساعة يدخل عليكم فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عتبة قال وطريقه على السوق قال فقال له يا عتبة من رأيت ومن تلقاك فى الطريق قال ما رأيت أحدا (وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا) وهذا لشدة استغراقه بالله لم يميز بين المرأة والجدار لا لكونه حصورا (وحكى عن بعضهم قال مررت بجماعة يترامون) بالسهام ويتسابقون فيها (وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى فقلت أنت وحدك) هنا (فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك له شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل) أبو بكر (الشبلى) قدس سره (على أبى الحسين) أحمد بن محمد (النورى) الواعظ رحمه الله تعالى (وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ) وهذا هو هيئة المراقب (فقال له) الشبلى (من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور) وهى الهرة (كانت لنا اذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر) وراقبت عليه (لا تتحرك لها شعرة) فهذه الحكاية هى كيفية الاستعداد بان يعلم القرب بقرب الرب ويجلس مطرقا ساكن الظاهر والباطن مع الرياضات والتهذيب تولد منه تعظيم واجلال وكلما زادت المعرفة زاد الاجلال والتعظيم (وقال أبو عبد الله) محمد (بن خفيف) الشيرازى شيخ الشيوخ وواحد وقته صحب رويم والجريرى وابن عطاء وغيرهم مات سنة ٣٧١ (خرجت من مصر أريد الرملة) قاعدة فلسطين (للقاء أبى على) أحمد بن محمد

الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهدان فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان فبقيت

عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عظنى فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيأ ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعظانى لعلى أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه الى وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة ثم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فيها فانهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله

(الروذبارى) رحمه الله تعالى أقام بصور ومات بها سنة ٣٢٢ صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء وغيرهم وكان من أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة (فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهدان فى صور) ثغر من ثغور الشام (شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما) فسافرت فى البحر (فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى فقلت لعلهما لم يسمعانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من رقعته فنظر الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل) أى فى نفسها بالاضافة الى الآخرة (وما بقى من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فأخذ بكليتى) أى بمجامعى (ثم طأطأ رأسه فى المكان) أى عاد للمراقبة من حينه (فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عظنى فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيأ ولا شربا ولما كان فى اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعظانى لعلى أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا) وفيه كرامة لهما حيث انهما عرفاه وناداه باسمه اعلاما من الله لهما وفيه ان المشغول بالله أهم ما يكون اليه شغل حاله واستغراقه عنه من الالتفات الى الوعظ والنصيحة وانما يستدل بحاله ويتعظ به (فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم) والهيبة (فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم لكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال) بالكلية (بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة ثم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون) على عمل (ولا يحجمون الا بعد التثبت) فيه (ويمتنعون من كل ما يفتضحون به فى القيامة فانهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة) ليسمعوا نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا (وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله

فيها انظر ان نظر قبل العمل ونظر فى العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى أمضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف فى بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان فى الخبر أنه ينشر (١٠٣) للعبد فى كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثانى كيف والثالث لمن ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان لله فى كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون أجرك على الله أو لمراآة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيرى فقد استوجبت مقتى وعقابى اذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل لغيرى أما سمعتنى أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتنى أقول ألا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة الا بعد التأمل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن كان أحدهم اذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله أمضاه وقال الحسن رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر وقال فى حديث سعد حين أوصاه سلمان

فيها انظر ان نظر قبل العمل) اى قبل الشروع فيه (ونظر فى العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق) ويعلم الواجب من الاوجب والفاضل من الافضل والمقدم من المؤخر وما يفوت على ما لا يفوت (فان كان لله تعالى أمضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه) فقد قيل العمل على الحياء أفضل من العمل على الرجاء والخوف (ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف) والتثبت (فى بداية الامور الى حد البيان) والانكشاف (واجب محتوم لا محيص عنه ففى الخبر انه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم) بكسر اللام ونصب الميم وأصله لما وهو للاستفهام (والثانى كيف والثالث لمن) قال العراقى لم أقف له على أصل قلت لكن تقدم حديث الدواوين يوم القيامة ثلاثة من حديث عائشة رواه أحمد والحاكم (ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان لله فى كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محفوظ أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون أجرك على الله أو لمراآة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملت بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيرى فقد استوجبت مقتى وعقابى اذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل لغيرى أما سمعتنى أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتنى أقول ألا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات) ان خلص من الاول لا يخلص من الثانى والثالث وان خلص من الاول والثانى لا يخلص من الثالث فان الاخلاص عزيز (طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت) والتوقف (ولا يحرك جفنا ولا أنملة الا بعد التأمل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ) بن جبل رضى الله عنه يا معاذ (ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه) تقدم ان العراقى قال لم أجد له أصلا مع انه رواه أبو نعيم فى الحلية فى حديث طويل أوله يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير يعلم ان عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه الحديث وفيه يا معاذ ان المؤمن ليسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه يا معاذ انى أحب لك ما أحب لنفسى الحديث (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (كان أحدهم اذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله أمضاه) نقله صاحب القوت (وقال الحسن) أيضا (رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر) نقله صاحب القوت (وقال فى حديث سعد) بن أبى وقاص (حين أوصاه سلمان) رضى الله عنهما

اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولايخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الاعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ماوافق هواه ولم يميز بينه وبين مايحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولاتظنن أن الجاهل يعذر على التعلم فيه بعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لايعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ماوراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد وعشق والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لاتسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها

(اتق الله عند همك اذا هممت) قال العراقي رواه أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله حديث مرفوع كما تقدم (وقال محمد بن علي) يحتمل أن يكون هو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ويحتمل أن يكون هو أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم السابق ذكره قريبا (ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل) وهو الذي يحتطب في ظلمة الليل فلا يميز بين ما يسره مما يضر (فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولايخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ماوافق هواه ولم يميز بينه وبين مايحب الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة) فوصف المراقبة للعبد انما يحمد اذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك أن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل شيء ويعلم ان نفسه عدوة له والشيطان عدو له وأنهما ينتهزان منه الفرصة حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منهما حذره ويلاحظ مكامنهما وتلبيسهما ومواضع ابتغائهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذه مراقبته وهذا كما ذكره بعض علمائنا (بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولاتظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم) كما في الخبر وتقدم في كتاب العلم (ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم) كما ورد في الخبر وتقدم قريبا (لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لايعرفه) ومن لايعرفه (فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل) أي قبل الشروع فيه (و) عند (سعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع أورثت الرغبة) فيها (والرغبة تورث الهم) بها (والهم يورث جزم القصد) بها (والقصد يورث) حدوث (الفعل) في الحال (والفعل يورث البوار) أي الهلاك (والمقت) والبعد عن الله تعالى (فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر) الذي خطر أولا (فان جميع ماوراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى) وخواصه وتلبيسه فان انكشف له ذلك فهو المراد (فان عجز عن الاجتهاد والفكر) بطريق العلم (بنفسه) اما لقصوره في درجة العلم أو لمانع آخر (فيستضيء بنور علماء الدين) بالسؤال عنهم والتأدب بآدابهم (وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا) بعلومهم ومعارفهم (فراره من الشيطان بل أشد فقد) ذكر المحاسبي في بعض كتبه أنه (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام) ياداود (لاتسل عني عالما أسكره حب الدنيا) أي غلب على قلبه واستولى عليه حتى صار شبيه السكران المغلوب (فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى) لاتستقر فيها المعرفة أبدا (فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها

وعشق بغيضها ومقيتها وهى شهوات الدنيا) والمقبل على حضرة الربوبية لايلتفت الى الشهوات ولاتخطر له على بال والمقبل على الشهوات لايشم رائحة الحضرة ولايكون له نصيب منها (فلتكن همة المريد أولا فى احكام العلم) ومراعاته وليجعله بمنزلة ادامه ليقاتل به عدوّه (أو فى طلب عالم) بصير متين العلم (معرض عن الدنيا) وشهواتها بان لايكون متلفتا اليها (أو ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها) فان وجدان ذلك فى غالب الازمنة عزيز (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد) بالقاف أو هو بالفاء والذال (عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدنى ضعفه الجمهور اه قلت ورواه كذلك البيهقى فى الزهد وأبو مطيع فى أماليه والحافظ أبو مسعود سليمان بن ابراهيم الاصبهانى فى كتاب الاربعين بلفظ عند مجىء الشبهات وعند نزول الشهوات وبزيادة ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية (جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا) قال العراقى لم أجده وتقدم (فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب) ومباشرتها (ومعرفة آفات الاعمال) ودقائقها (وقد اندرست فى هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم وتركوها واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه) المشار اليه (وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين) ولباب العلوم كلها (من جملة العلوم وتجرد والفقه الدنيا الذى ماقصد به الادفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر انتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت) قال العراقى لم أجده (ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام) أى عسكر معاوية (لما أشكل عليهم الامر كسعد بن أبى وقاص) أحد العشرة (وعبدالله بن عمر) بن الخطاب (وأسامة) بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومحمد بن مسلمة) الانصارى (وغيرهم) رضوان الله عليهم أما سعد فقد ثبت أنه اعتزل الفتن بعد موت عثمان ونزل قصره بالعقيق وقال لاأحد يدخل على بخبر حتى مات وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق أيوب السختيانى قال اجتمع سعد وابن مسعود وابن عمر وعمار بن ياسر فذكروا الفتنة فقال سعد أما أنا فاجلس فى بيتى ولا أدخل فيها ومن طريق عمر بن سعد عن أبيه أنه قال له يابنى أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأسا لا والله حتى أعطى سيفا ان ضربت به مؤمنا نبا عنه وان ضربت به كافرا قتله ومن طريق ابن سيرين قال قيل لسعد ألا تقاتل فانك من اهل الشورى وأنت أحق بهذا الامر من غيرك فقال لاأقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد وأما ابن عمر فانه كذلك اعتزل فى الفتن بعد موت عثمان فقد روى أبو نعيم أيضا من طريق نافع قال قيل لابن عمر زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية أتصلى مع هؤلاء وهؤلاء وبعضهم يقتل بعضا فقال من قال حى على الصلاة أجبته ومن قال حى على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت لا ومن طريق عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن عمر قال انما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ما أبالى ان لايكون لى مايقتل بعضهم بعضا عليه بنعلى هاتين الجرداوين وأما أسامة فقال الحافظ فى الاصابة اعتزل الفتن بعد قتل عثمان الى أن مات فى آخر ولاية معاوية وكان قد سكن المزة من دمشق ثم رجع فسكن وادى القرى ثم رجع الى المدينة فمات بها بالجرف سنة أربع وخمسين وأما محمد بن مسلمة ففى الاستيعاب لابن عبد البر أنه كان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولاصفين وقال حذيفة فى حقه انى لاعرف رجلا لاتضره الفتنة فذكره وصرح بسماع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم أخرجه البغوى وغيره وأخرج ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن ان محمد بن مسلمة

الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست فى هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا الفقه الدنيا الذى ماقصد به الادفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما

 أشكل عليهم الامر كسعد بن أبى وقاص وعبدالله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم

فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا الهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض فى شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه و يتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله متشابها على فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى الدين بغير علم فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفى الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله تعالى انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على مالم يصل اليك واستدل على مالم يكن بما كان فانما الامور أشباه والمرء يسره درك مالم يكن ليفوته و يسوءه فوت مالم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ماخلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت

قال اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال قاتل المشركين ما قوتلوا فاذا رأيت أمتى يضرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية قال الحافظ رجال هذا السند ثقات الا أن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة (فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا الهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك) تقدم فى ذم العجب (وكل من خاض فى شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة بزيادة ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث وقد تقدم (وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه و يتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء) أبى بكر (الصديق رضى الله عنه اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله متشابها على فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف (وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى الدين بغير علم) قال العراقى لم أجده (فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى) أى دلالة الخير (وقال ثم ان علينا بيانه) أى كشفه (وقال وعلى الله قصد السبيل) أى السبيل المعتدل (وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة) أى التثبت عند اشتباه الامور من جملة التوفيق (ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفى الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله تعالى انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه) أى تتعنى فى تحصيله (ورزق يطلبك) فيجيء لك من غير تعب (فان لم تأته أتاك) وهو قدر القوت (وان كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على مالم يصل اليك واستدل على مالم يكن بما كان فانما الامور أشباه والمرء يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ماخلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت) أورده الشريف الموسوى فى نهج البلاغة مفرقا فى مواضع وفيه بعد قوله فان لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك فان الله يأتيك فى كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك

وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة * فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى

عنك ما قدر لك (وغرضنا من نقل هذه الكلمات) مع اختلافها في بعضها وكون كل كلمة منها باسناد مستقل (قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة) وقد مضى معناه (فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى) وذلك قبل العمل (وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه) رجل (لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا) رواه الديلمي وابن عساكر من حديث أبي هريرة وفيه سالم بن عبد الواحد المرادي مختلف فيه وقد تقدم (وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه) أي لا يهتم به (فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة ورواه الشيرازي في الالقاب من حديث أبي ذر ورواه الحاكم في الكنى من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ورواه أحمد والعسكري في الامثال والطبراني وأبو نعيم وابن عبد البر في التمهيد عن علي بن الحسين عن أبيه رفعه ورواه مالك والترمذي والبيهقي عن علي بن الحسين مرسلا ورواه ابن عساكر عن علي بن الحسين عن الحارث بن هشام ورواه العسكري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده وقد تقدم (النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه) سادا لمظان الآفات الداخلة عليه ولا يمكن هذا الا بعد التثبت والتمييز فاذا اعتبر ذلك ورجح عنده أحد العلمين بصحة المعرفة أقبل عليه بكنه الهمة بسببه وآدابه وهيآته (وهذا ملازم له في جميع أحواله فانه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة) رواه الحاكم في حديث طويل وابن جرير من حديث ابن عباس ورواه أبو نعيم وفي طريقه الديلمي من حديث ابن عمر ورواه الخرائطي في مكارم الاخلاق الا أنه قال أكرم المجالس ما استقبل بها القبلة وقد تقدم في كتاب الصلاة (ولا يجلس متربعا) بل كهيئة التشهد (اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك) جل جلاله (مطلع عليه قال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا) رواه أبو نعيم في الحلية (وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع) مراعاة (سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها) من هذا الكتاب (فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة) وهكذا جميع الاعمال (فاذا لا يخلو العبد اما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال) بان يخلص فيها ولا ينقصها (ومراعاة الآداب) والاحترام (وحراستها) أي الطاعة (عن) مظان (الآفات) العارضة عليها (وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء) واستشعار الهيبة والانكسار (والاشتغال بالتكفير) باتباع السيئة الحسنة (وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد) له (من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل

الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويتكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فانه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة

فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل

لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري واذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله ما تعالى عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وما روي عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات

لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه اما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه يسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود) معلومة (لابد من مراعاتها بدوام المراقبة) قال الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فان كان فارغا عن الفرائض) بان كان قد اداها (وقدر على الفضائل) وهي الزائد على الفرائض (فينبغي ان يلتمس أفضل الاعمال ليشتغل بها) ويعمر بها أوقاته (فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون) في تجارته (والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه) ما يكون ذخيرة (لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي فالدنيا مزرعة للآخرة منها يتزود للمعاد (وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاثة) لا غير منها (ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة أو في رفاهية و) منها (ساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها) فهو غيب (و) منها (ساعة راهنة) وهي الموجودة في الحال (ينبغي أن يجاهد نفسه فيها ويراقب فيها ربه) ولله در القائل

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

(فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من) الساعة (الاولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته) قال القشيري في الرسالة وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان فان قوما قالوا الوقت ما بين الزمانين يعني الماضي والمستقبل ويقولون الصوفي ابن وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به في الحال قائم بما هو مطالب به في الحين وقيل الفقير لا يهمه ماضي وقته وآتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه وقيل الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت يأتي اهـ (كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري واذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر) الغفاري (رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة) أي اصلاح (لمعاش أو لذة في غير محرم) قال العراقي رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال انه في صحف موسى وقد تقدم اهـ قلت ورواه الفريابي والحسن بن سفيان والطبراني ومن طرقهم أبو نعيم في الحلية قال الطبراني حدثنا أحمد بن أنس بن مالك قال هو وابن سفيان والفريابي أخبرنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جده عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست اليه فقال يا أبا ذر ان للمسجد تحية وان تحيته ركعتان ثم ساقوا الحديث بطوله في مسألة أبي ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها فذكر فيها وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث فذكروا باقي الحديث (وما روي عنه أيضا في معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات) قال العراقي هو بقية الحديث الذي قبله قلت هذه الجملة ذكرت في الحديث السابق قبل الجملة المذكورة آنفا ولفظهم وكان فيها أمثال على العاقل

ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو عن عمل هو أفضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله فى النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيأ من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الاصول

مالم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات وذكروه كسياق المصنف الا أنه الى قوله للمطعم والمشرب وقال أبو نعيم بعد ان ساق الحديث بطوله السياق للحسن بن سفيان ورواه المختار بن غسان عن اسمعيل بن مسلم عن أبي ادريس رواه على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة عن أبي ذر ورواه عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر ورواه معاوية بن صالح عن محمد بن أيوب عن ابن عائذ عن أبي ذر ورواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر بطوله تفرد به يحيى بن سعيد العبشمى وقد تقدم ذلك (ثم هذه الساعة التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام) منهم (قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الالباب و) منهم (قسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودهم) انهم (لو استغنوا عنه لكان أجمع لهممهم (ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه) مضطرين اليه (مسخرين لشهواته) فيتناولونه ناظرين لذلك (وهذا مقام الزاهدين و) منهم (قسم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا التذكر أبواب من الفكرة تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله تعالى فله فى النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا) ودوامه أعز منه (و) منهم (قسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى) وحده لا شريك له فى فعله (وان من ذم شيأ من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والرويانى والضياء من حديث أبى قتادة ورواه ابن عساكر من حديث جابر (فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الاصول) وحيث انتهى الكلام على هذه المرابطة بمراقبة الاعمال على الدوام فلنذكر تفصيل ما أورده مشايخ السادة النقشبندية قدس الله أرواحهم الزكية فى هذا الباب فانهم أحظى الناس بهذه المرابطة دون سائر أرباب السلوك * اعلم انهم قالوا ان المراقبة نسبة زكية وعبودة خفية فمن تحقق بها نور الله قلبه بنور المعرفة وشرح صدره بكشف الحقيقة فلم تخطئ فراسته ولم تبطئ مكاشفته وصح له التصريف فى عالمى الملك والملكوت والتقريب فى حضرة الجبروت وحسنت معاملته مع الله تعالى فى جميع الحالات وتمت له عمارة الاوقات ولكونها أعظم العبادات كانت خواص الصحابة يشتغلون بدوامها فى سائر الحالات وهى من الطرق الموصلة الى المشاهدات وهى على ثلاثة أنواع الاول استدامة العلم باطلاع الحق عليه فى جميع الاحوال مع مراعاة الاتباع بجميع الاحكام الثانى مطالعة أنوار الاسماء والصفات والمسارعة الى الله بالوصول بجميع العبادات الثالث مكاشفة أسرار حقائق

الاسماء والصفات ومشاهدة أنوار تجليات الذات وهذا النوع درجة الولاية الصغرى وهو غاية ما يبلغه السالكون بالمراقبة وفي هذه المراقبة يحصل له مقام الفناء في الفناء وتنتفي الحالات وتثبت المقامات وأما كيفية المراقبة فان يكون السالك طاهر الظاهر والباطن والمكان حاضر القلب مع الله مرفوعا عن الوساوس والخيالات محفوظا عن سائر المشوشات يجلس مستقبل القبلة على ركبتيه غامض العينين متبرئا عن حوله وقوته ناسيا جميع علمه ومعرفته معطلا لحواس ظاهره وقوى باطنه ثم يتوجه بالقلب المطلق مع الجذبة الالهية الى جناب ذات الحق على طريق الاستهلاك فيه حتى يزول عنه تزاحم الخواطر بالكلية وتغلب روحانيته على جسمانيته ولا ينفك عن هذه الحالة فاذا استقرت وكانت له كالصفة اللازمة أمكن له الاستقامة والتقرب بسائر الاعمال وفي مقام المراقبة حالة أخرى تسمى عندهم بالوقوف القلبي وهو عبارة عن التوجه الى حقيقة الروح الانساني من جهة القلب لان الروح الانساني محيطة بجميع ما في الحضرة الربوبية احاطة انطباعية مطابقة للوجود في نفس الامر فمن توجه الى روحه من قلبه فقد ينكشف له ما في حضرة الربوبية من الاسرار فيصل بذلك الى معرفة ربه بالمعرفة الشهودية لان حقيقة الروح الانساني كالمرآة لتلك الحضرة لما فيه من القوة العقلية التي هي جوهر الهي فمن كشف ذلك الجوهر رأى فيه جميع صفات الله وأسمائه وذاته تعالى بالانطباع الظلي ورأى فيه أيضا جميع الموجودات العقلية والحسية وكيفية الاشتغال بالوقوف القلبي أن يجرد السالك أولا عقله من جميع الادراكات ثم يعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها ثم يسلخ نفسه عن الهيكل الجسماني وبعد ذلك يتوجه بالبصيرة الى حقيقة القلب على طريق الاستغراق والاستهلاك ويداوم على ذلك فكلما يزداد توجهه الى حقيقة القلب تزداد معرفته لنفسه وكلما تزداد معرفته لنفسه تزداد معرفته لربه سبحانه والحاصل أنه لا بد في هذه الصورة من التجرد عن الذوات الجسمانية ولواحقها ونحو العلوم الرسمية وملازمة التوجه الى حقيقة القلب على الدوام ليتم له الانجلاء الروحاني الغير المقيد بشئ من عوارض الاجسام فيرى حقيقة قلبه في تلك الحالة نورا بسيطا محتويا بجميع ما كان وما يكون وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك الى دائرة قلبه بعد تجريده عن الشواغل ثم يلاحظ بدنه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويخيل روحه نافذا من أقطار السموات والارض ويستغرق في تلك الملاحظة على الدوام ويرجع اليها كلما يذهل عنها الى أن يطفى عن ملاحظة تلك الكرة المفروضة وينعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها فعند حصول هذه الحالة يظهر له ان روحه نوراني محض ويستهلك جميع ما في ضمن السموات والارض في تلك النورانية حتى لا يبقى في الوجود في نظره غير روحه الذي هو الامر الالهي وبعد ذلك تستهلك نورانية الروح أيضا في نور الحق سبحانه لان دائرة نور الروح متصلة بأفق نور الحق سبحانه ونور الحق غالب على جميع الانوار وجميع الانوار متلاش عند ظهور نور الحق كتلاشي سائر الاضواء عند ظهور ضوء الشمس فحينئذ لا يبقى في الظهور الا نور الحق الذي هو الوجود المطلق جلت عظمته وهذا هو حقيقة الحقائق وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك الى قلبه ثم يتصور روحه في قلبه نورا محضا بلا نهاية ويتصور في حق روحه النور الى صورة بدنه وصور العالم كالطير في الهواء ويتصور روحه محيطا بتلك الصورة وتلك الصور محاطة بذلك الروح وهو ينظر الى تلك الصور في جو الروح ويستغرق في النظر اليها حتى يتحد بتلك الصور في التصور ويزداد في الاتحاد بتلك الصور بالشوق اليها حتى يتخيل أنه تلك الصور ويداوم على ذلك التصور بالتكرار فيه حتى يكون كأنه هو الحقيقة النوعية الكلية لجميع العالم التي لا نهاية ولا انقسام لها بل يكون وحدة صرفة بمجموع تلك الصور فمن جعل روحه متكيفا بهذه الكيفية عرف حقيقة روحه لان حقائق العالم كلها منطوية في الروح الانساني والروح الانساني حاو عليها فمن عرف روحه بتلك الجمعية للحقائق كلها فقد عرف روحه وبه يتصل الى معرفة ربه جل وعز وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه الى قلبه بعد تجريد نفسه ويتصور فيه نورا بسيطا وحدانيا مجردا

عن الكيفيات كلها غير متعلق بشئ ظاهر أعلى العالم الجسمانى كظهور الشمس على الجسمانيات بالنسبة الى ذلك النور البسيط كالذرة فى شعاع الشمس ثم يعلق نظره بذلك النور البسيط و يداوم على ذلك النظر لذلك النور البسيط حتى يستغرق فى ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك النظر فعند ذلك يتجلى له نور الحق سبحانه لان جميع الانوار المجردة ينتهى الى نور الحق سبحانه وصورة أخرى من الوقوف القلبى أن يتوجه الى قلبه و يلاحظ فيه ان نظر الله محيط به من جميع الجهات و يجعل ذاته محاطة بنظر الله تعالى و يستمر على تلك الملاحظة وبهذا الاستمرار تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود فيغنى عن وجوده الامكانى ولا يشاهد فيه ولا فى الاشياء كلها الا وجود الحق سبحانه وقد وصل

(فصل) فى شروط المراقبة وآدابها التى من داوم عليها يترقى منها الى مقام المشاهدة فشروطها أن تكون المراقبة باذن الشيخ وتعليمه وتربيته وتلقينه وأن تكون مع الجذبة القوية و بعد قطع العلائق الحسية والمعنوية و بعد ترك النسب والاضافات و بعد الوقوف عند الواردات وأما آدابها فهى دوام السكوت وملازمة البيوت وكف الحواس عن الاحساس وتعطيل القوى عن الادراك وترك الاشتغال بالكتابة ومطالعة الكتب والاعراض عن اتباع النفس فى طلب العلوم والمعرفة ومخالفة الهوى وترك الآمال والاطماع والخروج عن كل داعية تدعو الى السوى والسعى فى طريق الوصول الى الله تعالى ودوام التوجه الى لقائه وترك الطمع عن المقامات والاجتناب عن الكرامات والتأدب مع الله فى الظاهر والباطن ومراقبته فى جميع المظاهر فمن داوم على المراقبة بهذه الشروط والآداب يتقرب الى ذلك الجناب و يبلغ مبلغ الرجال و يشاهد الجلال والجمال وتصح له التربية والتلقين والارشاد الى رب العالمين

(فصل) قالوا المراقبة من أقرب الطرق الى الله تعالى من حيث التقرب اليه وهذه الاقربية ليست على اطلاقها بالنسبة الى أهل الجذبة فانها أقرب الطرق فى حقهم وأما بالنسبة الى السالك فتكون أبعد الطرق لان السلوك يقتضى الرياضات والمجاهدات فى أوائله فلا تنفعه المراقبة ابتداء وهذا موكول الى فراسة الشيخ البصير العارف فان رأى فى مريده الجذبة الالهية غالبة عليه شغله بمراقبة اسم الذات وان رآه عاريا عنها أمره بالنفى والاثبات وملازمة الرياضات حتى يتمكن الذكر من قلبه فينجذب الى الله تعالى بقلبه فحينئذ يشغله بالمراقبة وذلك على الترتيب والتدريج وقد قالوا ان اسم الذات ذكر المجردين عن قيد السوى والنفى والاثبات ذكر المقيدين بقيد السوى لان مقام صاحب اسم الذات فرق مجرد كما أشار اليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم الخ ومقام صاحب النفى والاثبات فرق مقيد كما أشار اليه الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فلكون اسم الذات من الاسماء الجبروتية والنفى والاثبات من الاسماء الملكية كان الوصول بذكر اسم الذات الى عالم الجبروت لاهل الجذبة أقرب من الوصول اليه بذكر النفى والاثبات وحيث قد فرغنا من ذكر المراقبة ومتعلقاتها فلنعد الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل) ولواحقها الاعتصام والاستقامة (ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك (وهذه اشارة الى ان المحاسبة على مامضى من الاعمال) أى انها تدل على النظر بعد الفراغ من العمل (ولذلك قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق ثابت بن الحجاج وقد تقدم قريبا (وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال استوص أنت) أى قابل وصيتى (فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه) تقدم

(المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها)

*(أما الفضيلة) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على مامضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفى الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان غيا فانته عنه

وفى الخبر ينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض عما فاته وفى حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة

للمصنف ذلك قريبا من حديث عبادة بن الصامت وهو فى كتاب الزهد لابن المبارك من مرسل أبى جعفر الهاشمى وتقدم الكلام عليه (وفى الخبر ينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه) تقدم قريبا من حديث أبى ذر (وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) تقدم الكلام عليه فى كتاب التوبة (والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه) بالندم عليه (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم) انه ليغان على قلبى و(انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة) تقدم غير مرة (وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) وذكر الكمال الصوفى ان هذه الآية تدل على النظر فى بداية العمل (و) روى (عن عمر رضى الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم) وهذا يدل على المحاسبة بعد العمل (و) روى (عن ميمون بن مهران) الجزرى العابد (أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان) انما (يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال ما أحد أعز على من عمر) فابدل أحب بأعز (فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها) وبين الكلمتين فرق كبير (وحديث أبى طلحة) زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه (حين شغله الطائر فى صلاته) بان اتبع نظره اليه حتى لم يدر كم صلى (فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض عما فاته) وهذا عقوبة التقصير وهى سنة الاولياء وقد تقدم فى كتاب الصلاة (وفى حديث عبد الله (بن سلام) رضى الله عنه (انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره) فهذه محاسبة بعد العمل وكان له من الاولاد يوسف وعبد الله وفى الصحيح عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال الطبرى وغيره مات بالمدينة سنة ٤٣ (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (المؤمن قوام على نفسه) أى كثير القيام عليها والمراعاة لها (يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ) أى يرد عليه بغتة (يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك) أى فيتركه (وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ) أى يصدر منه بدارا (فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا) أى لا يقبل عذرى (والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله) تعالى فهذا حساب بعد العمل (وقال أنس بن مالك رضى الله عنه (سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما وقد خرج) لحاجته (وخرجت معه فدخل حائطا) من الحيطان (فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط) اذ تخلفت عنه (عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك) فهذا منه محاسبة للنفس (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى

فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك من حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى ما

ماذا أردت بشربى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتى فى موضعه وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها فقلت لنفسى يانفس أى شئ تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله رحم الله امرأ نظر فى ميزانه فمازال يقوله حتى أبكانى وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا ماحملك على ماصنعت يوم كذا

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت فى أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى أن يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها مالو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل فكذلك رأس مال العبد فى دينه

ماذا أردت بشربى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه) رواه عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى كتاب مجاهدة النفس وروى عن مجاهد انه قال بالنفس اللوامة تندم على مافات وتلوم عليه رواه عبد بن حميد وابن جرير وروى مثله عن ابن عباس رواه ابن المنذر (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى العابد رحمه الله تعالى (رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم زمها) أى حبسها وكفها كما تحبس الناقة بالزمام (ثم خطمها) كما تخطم الناقة ثم (ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس) كما سيأتى فى موضعه (وقال ميمون بن مهران) الجزرى العابد (التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم) أى ظالم يجور فى حسابه مع رعيته (ومن شريك شحيح) محب للدنيا (وقال ابراهيم) بن يزيد بن الحارث (التيمى) رحمه الله تعالى (مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسى يانفسى أى شئ تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الامنية فاعملى) رواه ابن أبى الدنيا (وقال) ابو يحيى (مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (سمعت الحجاج) بن يوسف الثقفى وهو أمير البصرة (يخطب) على المنبر (وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرأ نظر فى مكياله امرأ نظر فى ميزانه فمازال يقول امرأ امرأ حتى أبكانى) رواه ابن أبى الدنيا (وحكى صاحب للاحنف بن قيس) التميمى رضى الله عنه له صحبة (قال كنت أصحبه فقال كان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه ياحنيف) وهو تصغير أحنف باسقاط الزائد (ماحملك على ماصنعت يوم كذا ماحملك على ماصنعت يوم كذا) يعاتب نفسه بذلك رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان العبد كما يكون له وقت) معلوم (فى أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى أن يكون له فى آخر النهار) كذلك (ساعة) معلومة (يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها) لم تحركت ولم سكنت وفى أى شئ تحركت وفى أى شئ سكنت وهذا (كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أو شهر أو يوم) كيفما اتفق (حرصا منهم على) حطام متاع (الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها مالو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى) ما حصل (الا أياما قلائل) ثم يفنى (فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك) فلو ساعده التوفيق كان يقدم محاسبة نفسه على كل الاعمال والاحوال اذ هى ميدانها كما تقدم (ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر فى رأس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه فى المستقبل فكذلك رأس مال العبد فى دينه

الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولا فان أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وان أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكونه انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان و بعضها برد عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى ألقى الملك باحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه

الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولا) فانها رأس ماله (فان أداها على وجهها) بآدابها وشروطها (شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من أصلها طالبها بالقضاء) فانه يحكي الاداء (وان أداها ناقصة) الشروط والآداب (كلفها الجبران بالنوافل) لجبر الفرائض واجب (وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط) فعقوبتها على التقصير سنة الاولياء والصالحين كما سيأتي (كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه) أي التاجر (يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره) وهمومه (وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب) التاجر (الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان و بعضها برد عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء) قال الشيخ الاكبر قدس سره كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه و يقيدونه في دفتر فاذا كان بعد العشاء حاسبوا أنفسهم واحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر عنهم من قول وعمل وقابلوا كلا بما يستحق ثم ينامون فزدنا عليهم في هذا الامر بالتقييد لما نحدث به نفوسنا ونهم به اهـ (ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة) العابد (وكان بالرقة) بلد بالجزيرة (وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما عمره فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم) من ضرب أيام السنة في الستين (فصرخ وقال يا ويلتى ألقى الملك باحد وعشرين ألف ذنب) وخمسمائة ذنب (فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت) وهذا لقد غلبه الخوف فشق شغاف قلبه (فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى) رواه البيهقي في الشعب عن رجل من قريش ولم يقل وكان بالرقة (فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس) صاعدة وهابطة (وعلى كل معصية بالقلب) اذا هم بها (والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره) بالحجارة (في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك) كما قال تعالى (أحصاه الله ونسوه) ثم ان الحامل على هذه المحاسبة الايمان بمحاسبة الله تعالى يوم القيامة على الجليل والحقير وهو

واجب

واجب وهو من الايمان بالله فان صفا قلبه حتى يحس بوقع الدين في قلبه أثر المخالفة فهذا من الذين كاشفهم الله بسرعة حسابهم في الدنيا قبل حساب الآخرة فتابوا وأنابوا وأثنى عليهم بقوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقد نبهنا على ما في الذنب من العقاب العاجل والآجل بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فنفس كتب السيئة هو عين العقوبة لانها تنكت في القلب نكتة سوداء وتتزايد الى ان تصير رينا وكذلك الحسنة هي نفس الثواب العاجل لانها تنكت في القلب نكتة بيضاء وتتزايد الى ان تصير كالمرآة الصقيلة فلذلك قال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين ولكن لا يشعرون بما ران على قلوبهم من رين الذنوب وهذه المحاسبة توجب الاعتصام وهو المعنى الجامع لكل ما يخبر عنه العلماء من العلوم والاحوال والاعمال لان حقيقته التمسك بكتاب الله والحفظ لحدود الله ولذلك نقول ان الصلاح المؤدي الى معرفة الله وولائه بغير علم ممنوع وهو ثمرة المحاسبة لان المحاسبة تلزم العبد الرعاية والحفظ للحدود والفرق بينه وبين الاستقامة ان الاعتصام هو الحفظ للحدود واجبها ومندوبها والاستقامة هي الثبات والاعتدال عن الميل الى طرفي الامر المعتصم به قال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم فمن حاسب نفسه المحاسبة الوافية حتى اعتدلت أحواله وأعماله وأخلاقه فهو المستقيم على طاعة الله تعالى لان حقيقة الاستقامة سلوك الطريق بغير اعوجاج وهي علامة صحة المحاسبة والاستقامة تراد لذاتها ولغيرها أما كونها مرادة لذاتها فان الاعتدال تزكية للنفس وكمال لها وأما كونها مرادة لغيرها فهي وسيلة الى الدخول في مقام الجمع من وادي التفرقة وهي مطمع انظار الاولياء والمقربين ثم ان العبد اذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور أحدها ان يتدارك بالتوبة والجبر وقد تقدم فان لم يستطع لغلبة الشهوة عالج نفسه بالمعاقبة واليه أشار المصنف فقال (المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها) اعلم انه (مهما حاسب) العبد (نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية) أي ملابستها (وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها) أي يتركها هملا (فانه ان أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه) وألفتها (وعسر عليه) حينئذ (فطامها) فان الانس بالشئ يوجب الجود عليه (وكان ذلك سبب هلاكه بل ينبغي ان يعاقبها) بما يلائم جنس الذنب ويقابله فان لكل مرض علاجا (فاذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس) فانه (ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم فينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر) بان لا يفتحها (وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم) رحمه الله تعالى (ان رجلا من العباد كلم امرأة) أجنبية (فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم) على ما صنع (فوضع يده على النار حتى فشت) أي يبست (وروي) في بعض الاخبار (انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم) من طاقة في تلك الصومعة (فاذا هو بامرأة فافتتن بها) لبراعتها في الجمال (وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة) من عنايته فتذكر (فقال ما هذا الذي أريد ان أصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى) يبست و(تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن) أبي القاسم (الجنيد) قدس سره انه (قال سمعت ابن الكريني) هو شيخه وقد تقدم ذكره وانه منسوب الى كرينا ناحية بخراسان ترجمه الخطيب في تاريخه (يقول أصابتني ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت

(المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها) مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فانه ان أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريبي يقول أصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت

ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعين على نفسي فقلت واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق (116) فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت ان لا أغتسل الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن أبي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا وقلنا ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من ان يفهم عني شيأ أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه و يقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين أما ان لله على عهد الا أنقضه أبدا الا أوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك أما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته

ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعين على نفسي) بالهلاك (فقلت واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب علي حق) من حقوقه (فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت ان لا أغتسل الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس) وهذه معاقبة تامة على النفس (ويحكى ان غزوان وأبا موسى) ان كان أبو موسى هو الاشعري الصحابي فاسمه عبد الله بن قيس ولا أعرف في الصحابة من اسمه غزوان وفي التابعين غزوان بن عتبة بن غزوان المازني روى عن أبيه حديثا عند الطبراني وأبوه صحابي مشهور فيحتمل ان يكون هو المراد هنا والله أعلم (كانا في) بعض (مغازيهم فتكشفت) لهما (جارية) جميلة الصورة (فنظر اليها غزوان) نظر شهوة ثم رجع فندم (فرفع يده فلطم عينه) لطمة (حتى نفرت) من موضعها (وقال انك للحاظة الى ما يضرك) ثم ظهر لي ان صاحب القصة مع أبي موسى هو عتبة بن غزوان فقد قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمود بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثني هرون بن رياب عن عتبة بن غزوان الرقاشي قال قال لي أبو موسى مالي أرى عينك نافرة فقلت اني التفت التفاتة فرأيت جارية لبعض الجيش فلحظتها لحظة فصككتها صكة فنفرت فصارت الى ما ترى فقال استغفر ربك ظلمت عينك ان لها أول نظرة وعليك ما بعدها (و) قد تكون المعاقبة على خلاف جنس المعصية وانما هي على حسب ما اقتضاه رأي المعاقب كما حكى انه (نظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة) أجنبية وكانه قصدها تلذذ النفس فندم (فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن أبي سنان) البصري العابد روى له البخاري تعليقا في البيوع فقال وقال حسان بن أبي سنان ما رأيت شيأ أهون من الورع دع ما يريبك الى ما لا يريبك (مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الجبار بن النضر السلمي قال مر حسان بغرفة فقال مذ كم بنيت ثم رجع الى نفسه فقال وما عليك مذ كم بنيت تسألين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة وروى أيضا من طريق أبي حكيم ان حسانا خرج يوم العيد فلما رجع قالت له امرأته كم من امرأة حسنة قد نظرت اليها اليوم فلما أكثرت قال ويحك ما نظرت الا في ابهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت اليك (وقال مالك بن ضيغم) الجلاب البصري (جاء رباح القيسي) هو أبو المهاصر رباح بن عمرو روى عن حسان بن أبي سنان وأيوب السختياني وصالح المري ومالك بن دينار وغيرهم وعنه أحمد ابن يونس وعبد الله بن عمر ترجمه أبو نعيم في الحلية (يسأل عن أبي) وهو ضيغم الجلاب له ذكر في الشعب للبيهقي في باب المحبة (بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من ان يفهم عني شيأ أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاقب نفسه و يقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله على عهد الا أنقضه أبدا الا أوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك أما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني حدثنا مالك بن ضيغم قال جاءنا رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا هو نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى فأتبعناه فقلنا الحقه فقل نوقظه لك فقال فجاءنا بعد المغرب فقلنا أبلغته قال هو كان أشغل من ان يفهم عني أدركته وهو

بدخلي

يدخل المقابر وهو يوبخ نفسه ويقول أفات أي نوم هذا النيم الرجل متى شاء تسأل بن عما الا يعنيك أما ان لله عز وجل على عهد الا أنقضه فيما بيني وبينه أبدا الا وسد لك لنوم حولا قال فلما سمعت هذا منه تركته وانصرفت (ويحكى ان) أبا رقية (تميم) بن أوس بن خارجة (الدارى) رضى الله عنه كان بالمدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان ونزل بيت المقدس ومات بالشام وروى له البخارى تعليقا والجماعة (نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس ورواه البيهقى فى الشعب من طريق المنكدر عن أبيه ان تميما الدارى نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع ورواه ابن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنى يونس بن يحيى الاموى عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه ان تميما الدارى نام ليلة لم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة فلم ينم فيها عقوبة للذى صنع وفى خبر ابن حيوة من طريق ابن سيرين كان تميم يقرأ القرآن فى ركعة وفى طبقات ابن سعد عن أبى قلابة كان تميم يختم القرآن فى سبع ليال وقد تقدم (وعن طلحة) اختلف فيه فقيل هو الصحابى أحد العشرة وقيل هو طلحة بن مصرف كما سيأتى فى بيان الاختلاف فيه عقيب الحديث (قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء) أى الرمل الحار (فكان يقول لنفسه ذوقى نار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك اذ ابصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال غلبتنى نفسى) أى فقهرتم بهذا العمل وكانه يعتذر للنبى صلى الله عليه وسلم (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذى صنعت اما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل مآبهم الجنة) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من رواية ليث بن أبى سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدرى من طلحة هذا الا ان يكون طلحة بن مصرف والا فهو مجهول وقد أخرجه الطبرانى من حديث بريدة متصلا بنحوه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له اذ أتى على رجل يتقلب فى الرمضاء ظهر البطن ويقول نوم بالليل وباطل بالنهار وترجين الجنة الحديث اه قلت وقوله وهذا منقطع أو مرسل يعنى به ان كان طلحة صحابيا فليث لم يدركه فهو منقطع بينهما وان كان هو طلحة بن مصرف فروايته عن الصحابة وعن كبار التابعين فهو مرسل وقد روى أبو داود فى سننه حديثا عن طلحة عن أبيه عن جده فقيل هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامى وقيل والا فهو مجهول وذكر الذهبى ان مصرف بن عمرو عن أبيه مجهول وعمرو بن كعب وقيل كعب بن عمرو وصحابى مختلف فيه (وقال حذيفة بن قتادة) المرعشى رحمه الله تعالى (قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهوتها فقال ماعلى وجه الارض نفس أبغض الى منها فكيف أعطيها شهوتها) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنى شملة حدثنا سهل بن عاصم عن أبى يزيد الرقى قال قال حذيفة بن قتادة قيل لرجل فذكره (ودخل) أبو العباس (ابن السماك) الواعظ هو محمد بن صبيح البغدادى روى عن التابعين (على داود) بن نصير (الطائى) رحمهما الله تعالى (حين مات وهو فى بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد قال سمعت أبا جعفر الكندى فى جنازة بشر بن الحرث يقول لما دخل ابن السماك على داود الطائى حين مات فذكره وقال أيضا حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنى أبو بكر بن خلف حدثنا اسحق بن منصور ببغداد سنة خمس ومائتين قال لما مات داود الطائى شيع الناس جنازته فلما دفن قام ابن السماك فقال يا داود كنت تسهر ليلك اذا الناس نائمون فقال القوم جميعا صدقت وكنت تربح اذا الناس يخسرون وكنت تسلم اذا الناس يخوضون فقال الناس جميعا صدقت حتى عدد فضائله كلها فلما فرغ قام أبو بكر النهشلى فحمد الله ثم

ويحكى عن تميم الدارى انه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوقى ونار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك اذ أبصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال غلبتنى نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لى يا فلان ادع لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة ابن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس أبغض الى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات وهو فى بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له

وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك

وقال عبد الله بن قيس كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فصيح فى الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل امامى وهو يخاطب نفسه و يقول أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا فعددت به و بدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبى طلحة لما اشتغل قلبه فى الصلاة بطائر فى حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة و يقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء مادام فى الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه و يقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا وكذا وأنكر وهيب بن الورد شيأ على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى

عظم

قال يارب ان الناس قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله الى عمله حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس حدثنا محمد بن يحيى الواسطى حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر الجعفى قال اشتكى داود الطائى أياما وكان سبب علته انه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مرارا فى ليلته فاصبح مريضا فوجدوه قد مات و رأسه على لبنة ففتحوا باب الدار ودخل ناس من اخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك فلما نظر الى رأسه قال يا داود فضحت القراء فلما حملوه الى قبره خرج فى جنازته خلق كثير حتى خرج ذوات الخدور فقال ابن السماك يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وحاسبت نفسك قبل ان تحاسب فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو وله كنت تنصف وتعمل فقال أبو بكر بن عياش وهو على شفير القبر اللهم لا تكل داود الى عمله قال فاعجب الناس ما قال أبو بكر حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد ابن راشد حدثنا محمد بن حسان الازرق حدثنا ابن مهدى قال بلغنى ان داود الطائى يوم مات وهو فى بيت على التراب وتحت رأسه لبنة فبكيت لما رأيت من حاله ثم ذكرت ما أعد الله تعالى لاوليائه فقلت داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل (و) روى (عن وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى قال (ان رجلا تعبد زمانا) طويلا (ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت أحد عشر تمرة ثم سأل حاجة فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وقال عبد الله بن قيس) هو أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه وكان عمر ولاه غزاة فارس وهو الذى فتح تستر ونزل الهرمزان من الحصن على حكم عمر فارسله مع أنس الى المدينة فامنه عمر واسلم الهرمزان (كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فصيح فى الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل امامى وهو يخاطب نفسه و يقول أى نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت لا والله لاعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا) على الارض (فعددت به و بدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وقد ذكرنا حديث أبى طلحة) الانصارى (لما اشتغل قلبه فى الصلاة فى حائطه) بطائر حسن الصوت فادار نظره اليه واتبعه فلم يدركم صلى (فتصدق بالحائط كفارة لذلك) وكذا تأخير ابن عمر صلاة المغرب حتى طلعت نجمة فاعتق رقبة وقد ذكر كل من ذلك فى كتاب الصلاة وهذا مستحب فعقوبة النفس على التقصير سنة الاولياء ولا يجب الاجبر الفرائض (و) ذكرنا أيضا (ان عمر) رضى الله عنه (كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة و يقول ماذا عملت اليوم) يحاسبها و يعاقبها (وعن مجمع) بن صمعان التيمى رحمه الله تعالى وكان من الورعين حكى عنه الاعمش وسفيان وأبو حيان التيمى ترجمه صاحب الحلية (انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء مادام فى الدنيا) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وكان الاحنف ابن قيس) التميمى (لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه و يقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا) ثم يقول قل نار جهنم أشد حرا رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وأنكر وهيب بن الورد) المكى أبو أمية اسمه عبد الوهاب ولكنه اشتهر بوهيب (شيأ على نفسه فنتف شعرات) كانت (على صدره حتى

عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما أريد بك الخير) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ورأى) أبو عبد الله (محمد بن بشر) بن الفرافصة بن المختار بن رديح العبدي الكوفي ثقة حافظ مات سنة ثلاث ومائتين روى له الجماعة (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال) ان (نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل ابن عاصم حدثنا شهاب بن عباد حدثنا محمد بن بشر قال دخلت وداود الطائي المسجد فصليت معه المغرب ثم أخذ بيدي فدخلت معه البيت فقام الى دن له كبير فأخذ منه رغيفا يابسا فغمسه في الماء ثم قال ادن فكل قلت بارك الله لك فافطر فقلت له يا أبا سليمان لو أخذت شيأ من ملح قال فسكت ساعة ثم قال ان نفسي نازعتني الملح ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا قال فما ذاقه حتى مات وقال أيضا حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا اسمعيل بن أبي الحرث حدثنا أحمد بن عمران الأخنس حدثنا الوليد بن عقبة قال كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفا فيعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء فأخذ ليلة فطاره فجعل ينظر اليه قال ومولاة له سوداء تنظر اليه فقامت فجاءته بشيء من تمر على طبق فافطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائما فلما ان جاء وقت الافطار أخذ رغيفيه وملحا وماء قال الوليد بن عقبة فحدثني جار له قال جعلت أسمعه يعاتب نفسه يقول اشتهيت البارحة تمرا فأطعمتك واشتهيت الليلة تمرا لا ذاق داود الطائي تمرة مادام في دار الدنيا قال محمد بن اسحق في حديثه فما ذاقها حتى مات وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن علي بن الجارود حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عبد الله بن عبد الكريم عن حماد بن أبي حنيفة قال جئت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فأطعمتك ثم اشتهيت جزرا وتمرا آليت أن لا تأكليه أبدا فاستأذنت وسلمت ودخلت فاذا هو يعاتب نفسه حدثنا ابراهيم بن أحمد بن أبي الحصين حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن حسان سمعت اسمعيل بن حسان يقول جئت الى باب داود الطائي أريد أن أدخل عليه فسمعته يخاطب نفسه فظننت ان عنده انسانا يكلمه فأطلت الوقوف بالباب ثم استأذنت فقال ادخل فدخلت فقال ما بدا لك من الاستئذان علي قال قلت سمعتك تتكلم فظننت أن عندك انسانا تخاصمه قال لا ولكن كنت اخاصم نفسي اشتهت البارحة تمرا فخرجت فاشتريته فلما جئت بالتمر اشتهت الجزر فأعطيت الله عهدا أن لا آكل التمر والجزر حتى ألقاه (فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لأنفسهم) اذا خانت نفوسهم وضيعت الحدود (والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة) ومعيشة الدنيا زائلة عن قريب (وان فيه) أي في عيش الآخرة (النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها) والعناية بأحوالها أوكد من غيرها والله الموفق

(المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية ينبغي أن) يجبرها بالتوبة والاستغفار ثم يرجع اليها (يعاقبها بالعقوبات التي مضت) حتى انها تتأدب (وان رآها تتوانى) أي تتساهل (بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا) أي أنواعا (من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد) روى انه (عاقب عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق) على الفقراء (بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر) رضي الله عنهما (اذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة) فانما يصلي (و) يروى انه (أخر ليلة صلاة المغرب) لشغل عرضه (حتى

فقال له لو أكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها

(المرابطة الخامسة المجاهدة)

وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الاوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى

طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق
بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة

طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات) الحرث بن عبد الله (بن أبي ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
المخزومي المكي أمير الكوفة المعروف بالقباع روى له أبو داود في المراسيل والنسائي مات قبل السبعين
(ركعتا الفجر فأعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا) على رجليه (أو التصدق
بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها) من الهلاك الأبدي (فان قلت ان
كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة) والرياضات الشاقة (والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها
فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين) هكذا في سائر نسخ الكتاب وقد وقع
للحافظ العراقي تصحيف في هذه الكلمة فقال من فضل المتهجدين بتقديم الفوقية ثم أورد من حديث
عبد الله بن عمرو من قام بعشرة آيات لم يكتب من الغافلين الحديث رواه أبو داود ومن حديث أبي هريرة
رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته رواه النسائي وابن ماجه ومن حديث بلال عليكم بقيام
الليل فانه دأب الصالحين قبلكم رواه الترمذي ثم قال وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الاخبار في ذلك
اهـ وانت خبير بانه يخالف السياق والسباق وانما مراد المصنف أخبار فضل المجتهدين في العبادة لا المتهجدين
والمراد من أخبارهم حكاياتهم وسيرهم فتأمل ذلك (ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد
الله كامل) الظاهر معمور الباطن (مجتهد في العبادة) غير متساهل فيها (فتلاحظ أقواله) وتلاحظ
أحواله (وتقتدي به) فهذا المعنى هو الأصل الأصيل في سلوك طريق السادة النقشبندية قدس
الله أسرارهم وهم يعتمدون عليه كثيرا ويأمرون المريد بذلك (وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة
في العبادة نظرت الى أحوال) أبي عبد الله (محمد بن واسع) البصري العابد (والى اجتهاده فعملت على
ذلك أسبوعا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن محمد بن سنان حدثنا محمد بن اسحق حدثنا هارون بن
عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال كنت اذا وجدت من قلبي قسوة فنظرت الى وجه محمد بن
واسع نظرة وكنت اذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى اهـ وقد ذكر أبو نعيم من
اجتهاد محمد بن واسع في العبادة شيأ كثيرا راجعه في ترجمته (الا أن هذا العلاج قد تعذر) الآن (اذ قد
فقد في هذا الزمان) وهو رأس الخمسمائة من الهجرة (من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين) لنقص
الهمم وتأخر الزمان (فينبغي أن يعدل من المشاهدة) والمصاحبة (الى السماع) بالتيقظ والتذكر (فلا
شئ أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم) أي سيرهم وحكاياتهم (وما كانوا فيه من الجهد الجهيد
وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي
بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ
بالله من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد
قال صلى الله عليه وسلم رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى) قال العراقي لم أجد له أصلا في
حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفا على علي في كلام له قال فيه ينظر اليهم الناظر فيقول
مرضى وما بالقوم من مرض اهـ قلت بل أخرجه ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا الا انه قال قوما
بدل أقواما وكلام علي المذكور أورده الشريف في نهج البلاغة (قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى
بعد ان روى الحديث المذكور ومامعناه (أجهدتهم العبادة) حتى كأنهم أصابهم المرض فنحلت أبدانهم
وتغيرت ألوانهم (وقال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن) في تفسير هذا القول
يعني (يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله) رواه ابن المبارك في
الزهد وعبد بن حميد وابن جرير (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله) قال

على الاوراد فما سبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن أنفع أسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى أحوال محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا الا أن هذا العلاج قد تعذر اذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شئ أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال العراقى
الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله

و يروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي يجتهدون فيقولون الهنا خوفتهم شيأ فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهادا وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤنه بأرجلكم ان كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له يافتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله الا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاطمأنت لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه

العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الله بن بسر وفيه بقية وقد رواه بصيغة عن وهو مدلس وللترمذي من حديث أبي بكرة خير الناس من طال عمره وحسن عمله اهـ قلت حديث عبد الله بن بسر رواه أبو نعيم في الحلية وحديث أبي بكرة رواه أيضا أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله وقال الترمذي حسن صحيح وقد روى الجملة الاولى فقط أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب والطبراني والبيهقي والضياء من حديث عبد الله بن بسر وفي الباب عن ابن عمر رواه القضاعي في مسند الشهاب والديلمي في مسند الفردوس وعن جابر رواه الحاكم وعن أبي هريرة رواه أحمد والبزار والفاظهم مختلفة وقد تقدم (و يروى) في بعض الاخبار (ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي يجتهدون فيقولون الهنا خوفتهم شيأ فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهادا) نقله صاحب القوت (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم) يعني بهم الصحابة وكبار التابعين (ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطؤنه بأرجلكم ان كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب) أي لاقتصاره على الثوب الواحد (ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيأ قط) أي حائلا من فرش غير ثوبه الذي على بدنه (وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم) صلى الله عليه وسلم (اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم) يصلون (يفترشون وجوههم) اشارة الى كثرة السجود (تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم) أي يتضرعون (في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها) حيث وفقهم الله تعالى لها (ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله مازالوا كذلك) أي مداومين (وعلى ذلك) أي مستقيمين (ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة) نقله صاحب القوت هكذا مجموعا وقد روى ذلك عن الحسن بأسانيد متفرقة قال أحمد في الزهد حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا هشام بن حسان سمعت الحسن يقول والله لقد أدركت أقواما ما طوى لاحدهم في بيته ثوب قط وما أمر في أهله بصنعة طعام قط وما جعل بينه وبين الارض شيأ قط وان كان أحدهم يقول لوددت اني أكلت أكلة تصير في جوفي مثل الآجرة قال ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلثمائة سنة وروى أبو نعيم من طريق الفضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد أدركت أقواما ما كانوا يفرحون بما أقبل عليهم من الدنيا ولا يأسون بما أدبر منها (ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم) أي متغيره (فقال له عمر يافتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله الا ما صدقتني) وكأنه تفرس فيه ان هذا النحول ليس عن مرض طبيعي (قال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها) أي زينتها (وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاطمأنت لذلك نهاري) بالصيام (وأسهرت ليلي) بالقيام (وقليل حقير كل ما أنا فيه) من الاجتهاد (في جنب ثواب الله وعقابه) وقد روى أبو نعيم في ترجمة عمر بن عبد العزيز ما يشبه هذا السياق ويدل على شدة اجتهاده قال أخبرنا محمد بن ابراهيم في كتابه حدثنا أحمد بن محمد حدثنا السري بن عاصم حدثنا ابراهيم بن هراسة عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي حازم الاسدي الخناصري قال قدمت على عمر بن عبد العزيز بخناصرة وهو يومئذ أمير المؤمنين فلما نظر الي عرفني ولم أعرفه فقال لي ادن يا أبا حازم فلما دنوت منه عرفته فقلت أنت أمير المؤمنين قال نعم قلت ألم تكن عندنا بالأمس أميرا لسليمان بن عبد الملك وكان

مركبك وطيا وثوبك نقيا ووجهك بهيا وطعامك هنيا وقصرك مشيدا وحديثك كثيرا فما الذي غير
مابك وأنت أمير المؤمنين فقال أعد علي الحديث الذي حدثتنيه بالمدينة فقلت نعم يا أمير المؤمنين سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين أيديكم عقبة كؤدا مضرسة لا يجوزها
الا كل ضامر مهزول قال فبكى أمير المؤمنين بكاء عاليا حتى علا نحيبه ثم قال يا أبا حازم أفتلومني ان أضمر
نفسي لتلك العقبة لعلي ان أنجو منها وما أظنني منها بناج (وقال أبو نعيم) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن
اسحق الأصبهاني رحمه الله تعالى صاحب الحلية (كان داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (يشرب
الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية) رواه أبو
نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن عبد الله بن مصعب حدثنا علي بن حرب حدثنا
اسمعيل بن الريان قال قالت داية داود الطائي يا أبا سليمان اما تشتهي الخبز قال يا داية بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عباس بن حمدان الحنفي حدثنا الحضرمي
بالبصرة حدثنا نصر بن عبد الرحمن حدثنا عامر بن اسمعيل الاحمسي قال قلت لداود الطائي بلغني انك تأكل
هذا الخبز اليابس تطلب به الخشونة فقال سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللبن فاذا
هو قراءة مائتي آية ولكن ليس لي من يخبز فربما يبس علي (ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك
جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي ان لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون من
فضول النظر كما يكرهون من فضول الكلام) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن
محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر
الجعفي قال دخل رجل على داود الطائي فقال يا أبا سليمان بعت كل شئ في الدار حتى التراب وبقيت تحت
نصف سقف فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والمطر والبرد فقال داود اللهم غفرا كانوا
يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام يا عبد الله اخرج عني فقد شغلت علي قلبي اني أبادر جفوف
القلم وطي الصحيفة حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو موسى الانصاري
حدثنا عبادة بن كليب قال قال رجل لداود الطائي لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف
قال له أما علمت انه كان يكره فضول النظر حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا محمد بن يحيى بن منده حدثنا الحسن بن
منصور بن مقاتل حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عبد الرحمن بن مصعب قال روي على داود الطائي جبة
متخرقة فقال له رجل لو خيطتها قال اما علمت انه نهي عن فضول النظر حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد
حدثنا عبد الله بن أحمد بن سوادة حدثنا عباس الترقفي سمعت معاوية بن عمرو يقول كنا عند داود الطائي
يوما فدخلت الشمس من الكوة فقال له بعض من حضر لو أذنت لي سددت هذه الكوة فقال كانوا يكرهون
فضول النظر وكنا عنده يوما آخر فاذا فروه قد تخرق وخرج خمله فقال له بعض من حضر لو أذنت لي خيطته
فقال كانوا يكرهون فضول الكلام (وقال) أبو روح (محمد بن عبد العزيز) الجرمي ويقال الراسبي
البصري ثقة روى له البخاري ومسلم والترمذي (جلسنا الى أحمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت
عينا ولا يسرة) وذلك لكمال مراقبته لجلال الله وعظمته (فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق
العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى) وجلاله وهذا شكرهما (فكل من نظر بغير اعتبار كتبت
عليه) نظرته (خطيئة وقالت امرأة مسروق) بن الاجدع الهمداني الوادعي أبي عائشة الكوفي تابعي
جليل روى له الاربعة وامرأته هي قمير ابنة عمرو الكوفية روى لها أبو داود والنسائي (ما كان يوجد
مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة) بالليل (وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فأبكي رحمة
له) رواه المزي في التهذيب من طريق أنس بن سيرين عنها قالت كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه فربما
جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه وقال الشعبي غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم وكانت

وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي ان لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى أحمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت عنه ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الاوساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له

عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنته فسمى ابنته عائشة وكان لا يعصي ابنته شيأ فنزلت اليه فقالت
يا أبتاه افطر واشرب قال ما أردت بي يا بنية قالت الرفق قال يا بنية انما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنـه (لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحـدا الظمأ لله
بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب التمر) رواه
أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حـدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ
حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن الوليد عن عباس بن خليد الحجري عن أبي الدرداء انه قال لولا ثلاث
خصال لاحببت أن لا أبقى في الدنيا فقات وما هن قال لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي واختلاف الليـل
والنهار يكون تقـدمة لحياتي وظمأ الهواجر ومقاصدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة وتمام
التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية أن يكون حراما
يكون حاجزا بينه وبين الحرام ان الله قد بين لعباده الذي هو يصيرهم اليه قال الله تعالى من يعـمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا تحقرن شيأ من الشر ان تتقيه ولا شـيأ من الخير ان تفعله
(وكان الاسود بن يزيد) بن قيس النخعي أبو عمرو ويقال أبو عبد الرحمن الكوفي أبو عبد الرحمن بن يزيد وابن
أخي علقمة بن قيس وكان أسن من علقمة ووالد عبد الرحمن وقال ابراهيم توفي بالكوفة سنة خمس وأربعين
روى له الجماعة (يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسـده ويصفر فكان علقمة بن قيس) بن
عبد الله بن مالك النخعي أبو شبل عم الاسود وعبد الرحمن بن يزيد وقال ابراهيم (يقول له لم تعذب نفسـك
فيقول كرامتها أريد) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو
حميد الحمصي حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا يزيد بن أبي عطاء عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد الى ثمانية
من التابعين منهم الاسود بن يزيد كان يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن
قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد قال راحة هذا الجسد أريد ورواه أحمد في الزهد فقال حدثنا حجاج حدثنا محمد
ابن طلحة عن عبد الرحمن بن ثروان الاودي قال كان الاسود بن يزيد يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر
جسده ويصفر وكان علقمة يقول له ويحك كم تعذب هذا الجسد فيقول ان الامر جد ان الامر جد قال وحدثنا
معمر بن سليمان الرقي حدثنا عبد الله بن بشر ان علقمة والاسود حجا وكان الاسود صاحب عبادة وصام يوما
فراح الناس بالهجير وقد تربد وجهه فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال ألا تتقي الله يا أبا عمرو في هذا الجسد علام
تعذب هذا الجسد فقال الاسود يا أبا شبل الجد الجد وروى أبو نعيم من طريق علي بن مدرك قال قال علقمة
للاسود لم تعذب هذا الجسد وهو يصوم قال الراحة أريد له وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الفضل بن دكين
حدثنا الحنش بن الحرث قال رأيت الاسود بن يزيد قد ذهبت احدى عينيه من الصوم (وكان يصوم حتى
يخضر جسده ويصلي حتى يسقط) مغشيا عليه (فدخل عليه أنس بن مالك) رضي الله عنه (والحسن)
البصري رحمـه الله تعالى (فقالا له ان الله تعالى لم يأمرك بكل هذا فيقول انما أنا عبـد مملوك لا أدع من
الاستكانة شـيأ الا جئت به) قال ميمون أبو حمزة سافر الاسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهـما وسافر ابنه
عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره كان عبد الرحمن بن الاسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون انه
أقل أهـل بيته اجتهادا قال وكانوا يسمون آل الاسود من أهل الجنة وسئل الشـعبي عن علقمة والاسود
فقال كان الاسود صواما قواما كثير الحج وكان علقمة مع البطء ويدرك السريـع وقال ابراهيم كان علقمة
يقرأ القرآن في خمس والاسود في ست وعبد الرحمن بن يزيد في سبع وقال الشعبي ان كان أهل بيت خلقوا
للجنة فهم أهل هذا البيت علقمة والاسود وعبد الرحمن (وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى
أقعد من رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك
بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك وكان) أبو

وقال أبو الدرداء لولا ثلاث
ما أحببت العيش يوما واحدا
الظمأ لله بالهواجر والسجود
لله في جوف الليل ومجالسة
أقوام ينتقـون أطايب
الكلام كما ينتقـى أطايب
التمر وكان الاسود بن يزيد
يجتهد في العبادة ويصوم
في الحر حتى يخضر جسده
ويصـفر فكان علقمة بن
قيس يقول له لم تعـذب
نفسك فيقول كرامتها أريد
وكان يصوم حتى يخضر
جسده ويصلي حتى يسقط
فدخل عليه أنس بن مالك
والحسن فقالا له ان الله عز
وجل لم يأمرك بكل هذا
فقال انما أنا عبـد مملوك
لا أدع من الاستكانة شيأ
الا جئت به وكان بعض
المجتهدين يصلي كل يوم ألف
ركعة حتى أقعد من رجليه
فكان يصـلي جالسا ألف
ركعـة فاذا صـلى العصر
احتبى ثم قال عجبت للخليقة
كيف أرادت بك بدلا منك
عجبت للخليقة أنست بسواك
بل عجبت للخليقة كيف
استنارت قلوبهم بذكر سواك
وكان

محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) البصري رحمه الله تعالى و بنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب قال ابن عدي هو من تابعي البصرة و زهادهم و محدثيهم (قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت أذنت لاحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أحمد بن الفضيل المكي حدثنا حمزة بن ربيعة حدثني ابن شوذب قال سمعت ثابتا البناني يقول اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك أن يصلي لك في قبره فاعطني حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا عمر بن شيبة حدثنا يوسف بن عطية سمعت ثابتا يقول لحميد الطويل هل بلغك يا أبا عبيدة ان أحدا يصلي في قبره الا الانبياء قال لا قال ثابت اللهم ان أذنت لاحد ان يصلي في قبره فاذن لثابت أن يصلي في قبره قال وكان ثابت يصلي قائما حتى يعيا فاذا عيي جلس فصلي وهو جالس و يحتبي في قعوده و يقرأ فاذا أراد أن يسجد وهو جالس حل حبوته حدثنا عثمان بن محمد العثماني حدثنا اسمعيل بن علي الكرابيسي حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا سيار بن حبيش عن أبيه قال أنا والله الذي لا اله الا هو ادخلت ثابتا البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره شك محمد قال فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا أنا به يصلي في قبره فقلت للذي معي ألا ترى قال اسكت فلما سوينا عليه التراب وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها ما كان عمل ثابت قالت وما رأيتم فخبرناها فقالت كان يقوم الليل خمسين سنة فاذا كان السحر قال في دعائه اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فاعطنيها فما كان الله تعالى ليرد ذلك الدعاء (وقال الجنيد) قدس سره (ما رأيت أعبد لله) عز وجل (من السري) بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى (أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت) رواه القشيري عن أبي عبد الرحمن السلمي سماعا قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول ما رأيت أعبد من السري فذكره ورواه الخطيب من طريق ابن باكويه حدثنا أبو بكر أحمد بن اسمعيل الصوري قال سمعت فاطمة بنت أحمد أخت ابي علي الروذباري قالت سمعت أخي ومن طريق علي بن الحسن الصيقلي قال سمعت الفرغاني قال سمعنا الجنيد يقول فذكره وهو تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الاقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح (وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون وقد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم) يشير الى أن هذا الذي رأيتموه من الاجتهاد في العبادة يسير بالاضافة الى ما أعد من الاهوال في يوم القيامة (وعن أبي محمد المغازلي) كذا في النسخ ولعله أبو جعفر محمد ابن منصور المغازلي عبد صالح بغدادي روى عن بشر الحافي وعنه محمد بن مخلد العطار (قال جاور أبو محمد) أحمد بن محمد بن الحسين الجريري بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد (بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر) محمد بن علي (الكتاني) البغدادي من أصحاب الجنيد جاور بمكة الى ان مات بها سنة ٣٢٢ (فسلم عليه وقال يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق بباطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا) يشير الى أن الاجتهاد لا يتم ولا يعان عليه الا بصدق الباطن وزاد ابن الملقن انه أنشد عقيب جوابه

شكرتك لا اني أجازيك منعما * بشكر ولكيما يقال له الشكر
وأذكر أيامي لديك وحسنها * وآخر ما يبقى على الناكر الذكر

(وعن بعضهم) وهو أبو اسمعيل من أصحاب فتح وكان نصرانيا من أهل الموصل أسلم على يدي فتح وصحبه (قال دخلت على فتح) بن سعيد (الموصلي) من أقران بشر والسري وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات توفي سنة ٢٢٠ وهو غير فتح بن شخرف الكشي فوفاته ببغداد سنة ٢٧٣ وكثيرا ما يشتبه هذا بذلك

ثابت البناني قد حببت اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت أذنت لاحد أن يصلي لك في قبر فائذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي

فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يافتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك قال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يافتح الدمع على ماذا قلت يارب تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يافتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة قط وقيل ان قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه الى السماء فعلم القوم ما أرادوا فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد ابن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما أنا راهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه و رضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه

فاحفظ ذلك (فرأيته وقد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه) لانظر اليه (فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يافتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال) بكيت الدموع (على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون) أي خوفا أن يكون (ما صحت لي الدموع قال) أبو اسمعيل (فرأيته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يافتح الدمع على ماذا قلت يارب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يافتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد) الى (حافظاك) منذ (أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة) واحدة هكذا ساقه السراج بن الملقن في طبقات الخواص في ترجمة فتح المذكور وساقه ابن السراج في مصارع العشاق مختصرا فقال حدثنا جعفر الخلدي قال حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد ابن الحسين حدثنا محمد بن الفرج العابد قال قلت لابي اسمعيل ذات يوم وكان قد بكى حتى ذهبت احدى عينيه وغشي من الاخرى حدثني ببعض أمر فتح قال فبكى ثم قال أخبرك عنه كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هنالك ليست له راحة في الدنيا ثم ساق القصة باختصار وقد تقدم شئ من أحواله في كتاب المحبة فراجعه (وقيل ان قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق) أي مالوا (فانتهوا الى راهب) في ديره (منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق قال فاومأ) أي أشار (برأسه الى السماء) أي الى الله ولا بد لكل سالك من هذا الطريق ولا خطأ فيه (فعلم القوم ما أرادوا فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث) أي مسرع في الطلب (فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية) أي المقصد (ثم ارشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد) البصري العابد (مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما أنا راهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد اذ عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه) قلت هذه الحكاية ما رأيتها في الحلية في ترجمة عبد الواحد بن زيد وانما فيها من طريق أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني يقول قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب في صومعته فقلت لاصحابي قفوا قال فكلمته فقلت يا راهب

فكشف سترا على باب صومعته فقال يا عبد الواحد بن زيد ان أحببت ان تعلم علم النفس فاجعل بينك و بين الشهوات حائطا من حديد قال وأرخى الستر ولكن أخرج فى ترجمة ابراهيم بن أدهم ما يشبه سياقه بسياق هذه الحكاية قال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن حمدان النيسابورى حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن عبد الكريم الشامى سمعت بقية بن الوليد يقول قال ابراهيم بن أدهم مررت بصومعة والصومعة على عمود والعمود على قلة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته فقلت يا راهب فلم يجبنى ثم ناديته فلم يجبنى فقلت فى الثالثة بالذى حبسك فى صومعتك الا أجبتنى فاخرج رأسه من صومعته فقال كم تنوح سميتنى باسم لم أكن له باهل قلت يا راهب ولست براهب انما الراهب من رهب من ربه قلت فما أنت قال سجان سجنت سبعا من السباع قلت ما هو قال لسانى سبع ضار ان أرسلته مزق الناس يا حنيفى ان لله عبادا صما سمعا و بكما نطقا وعميا بصرا سلكوا خلال دار الظالمين واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين وشابوا ثمرة العلم بنور الاخلاص وفزعوا بريح اليقين حتى ارسوا بشط نور الاخلاص هم والله عباد كحلوا أبصارهم بسهر الليل فلو رأيتهم فى لياليهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطرافهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم يا حنيفى عليك بطريقهم قلت فعلى الاسلام أنت قال ما أعرف غير الاسلام دينا ولكن عهد الينا المسيح عليه السلام و وصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا وان دينك جديد فلو قد خلق قال بقية فما أتى على ابراهيم شهر حتى هرب من الناس (وقيل لداود الطائى) رحمه الله تعالى (لو سرحت لحيتك فقال انى اذا لفارغ) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى بن عيسى قال سمعت محمد بن ابراهيم التيمى يقول سمعت عبد الله بن داود الخريبى يقول قيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك فقال انى اذا لفارغ حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا أحمد بن عمران الاخنسى حدثنا الوليد بن عقبة قال سمعت رجلا قال لداود الطائى يا أبا سليمان ألا تسرح لحيتك قال انى عنها المشغول حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطى حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر الجعفى قال قيل لداود الطائى يا أبا سليمان لم لا تسرح لحيتك قال الدنيا دار مأتم (وكان أويس) بن عامر (القرنى) رحمه الله تعالى (يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله فى ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله فى سجدة) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عبد الله بن عبد الكريم حدثنا سعيد ابن أسد بن موسى حدثنا حمزة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال كان أويس يقول هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان اذا أمسى يقول هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح واذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به ومن مات عريانا فلا تؤاخذنى به (وقيل لما تاب عتبة) بن ابان (الغلام) رحمه الله تعالى (كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب دعينى اتعب قليلا وأتنعم طويلا) رواه أبو نعيم فى الحلية وروى أيضا بسنده الى عبد الواحد بن زيد قال ربما سهرت مفكرا فى طول حزن عتبة ولقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال انما أبكى على تقصيرى (وحج مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى التابعى (فما نام قط الا ساجدا) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن على حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن أبى اسحق قال حج مسروق فما بات الا ساجدا حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا أبو همام حدثنا ضمرة عن العلاء بن هرون سمعته يقول حج مسروق فما افترش الا جبهته حتى انصرف ورواه المزى فى التهذيب من طريق أبى اسحق قال حج مسروق فلم ينم الا ساجدا على وجهه حتى رجع وروى البيهقى فى الشعب من طريق عبد الصمد بن سليمان بن أبى مطر قال بت عند أحمد بن حنبل فوضع لى ماء قال فلما أصبحت وجدنى لم أستعمله فقال صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل قال قلت

وقيل لداود الطائى لو سرحت لحيتك فقال انى اذا لفارغ وكان أويس القرنى يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله فى ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله فى سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق أطلب دعينى أتعب قليلا وأتنعم طويلا وحج مسروق فما نام قط الا ساجدا

وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبدالله بن داود كان احدهم

أنا مسافر قال وان كنت مسافرا ج مسر وقي فنام الاساجد او رواه الخطيب مختصرا من طريق ابراهيم
ابن محمد بن سفيان سمعت أبا عصمة بن عصام البيهقي يقول بت ليلة عند أحمد بن حنبل فذكره (وقال
سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى) رواه
البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية (وقال) أبو عبد الرحمن (عبد الله بن داود) بن عامر بن الربيع
الهمداني الكوفي المعروف بالخريبي سكن الخريبة وهي محلة بالبصرة ثقة عابد ناسك مات سنة ثلاث
عشرة ومائتين روى له الجماعة سوى مسلم (كان أحدهم اذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام
الليل) فطي الفراش كناية عن ذلك (وكان أبو الحسن كهمس بن الحسن) التميمي البصري العابد مات
سنة تسع وأربعين ومائة روى له الجماعة (يصلي كل يوم ألف ركعة و يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر
فلما ضعف اقتصر على خمسمائة) ركعة (ثم كان يبكي و يقول ذهب نصف عملي) رواه أبو نعيم في الحلية
فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثني الهيثم
ابن معاوية عن شيخ من أصحابه قال كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة فاذا مل قال لنفسه قومي
يا ماوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط (وكانت ابنة الربيع بن خثيم) كزبير بن عائذ بن عبد الله
الثوري الكوفي (تقول له يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فيقول يا ابنتاه ان أباك يخاف
البيات) أي ان يفجأه العدو ليلا رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن عبد الله بن الربيع بن خثيم
عن عمه قالت كنت أقول لابي يا أبتاه لا تنام فيقول يا بنية كيف ينام من يخاف البيات ورواه أبو نعيم
في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثني رستة حدثنا أبو أيوب حدثنا جعفر
ابن سليمان سمعت مالك بن دينار يقول قالت ابنة الربيع بن خثيم للربيع يا أبت مالك لا تنام والناس
ينامون فقال ان النار لا تدع أباك أن ينام (ولما رأت أم الربيع) بن خثيم (ما يلقى الربيع من البكاء
والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا قال نعم يا أماه قالت من هو حتى نطلب الى أهله فيعفوا عنك فوالله
لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول يا أماه هي نفسي) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا
أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس
عن سفيان قال بلغنا ان أم الربيع كانت تنادي ابنها فتقول يا بني يا ربيع ألا تنام فيقول يا أمه من جن
عليه الليل وهو يخاف البيات حق له ان لا ينام فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت يا بني لعلك
قد قتلت قتيلا فقال نعم يا والدتاه قد قتلت قتيلا فقالت ومن هذا القتيل يا بني حتى نتحمل الى أهله فيعفوك والله
لو يعلمون ما تلقى من البكاء والسهر بعد لقد رحموك فقال يا والدتاه هي نفسي (و) يحكى (عن) أبي حفص
(عمر ابن أخت بشر بن الحارث) الحافي حكى عنه أبو بكر المروزي والفتح بن شخرف (قال سمعت خالي
بشر بن الحرث يقول لامي) واسمها زبدة بنت الحرث وكانت من الزاهدات حكى عنها علان العصاري
وماتت قبل بشر فقد روى علي بن محمد بن بشران من طريق محمد بن يوسف الجوهري به قال سمعت بشر بن
الحرث يقول يوم ماتت أخته ان العبد اذا قصر في الطاعة سلبه من يؤنسه وحكايتها مع أحمد بن حنبل
معروفة (يا أختي جوفي) وجع (وخواصري تضرب علي فقالت له أمي يا أخي تأذن لي حتى أصلح لك قليل
حساء بكف دقيق عندي تحساه يرم) أي يصلح (جوفك فقال لها ويحك أخاف أن يقول) لي (من أين
لك هذا الدقيق فلا أدري ايش أقول له فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهم) وفي نسخة معهما (قال عمر
ورأت أمي ما بيشر) كذا في النسخ والصواب ما به (من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له
أمي يا أخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي مما أرى بك) قال (فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي
لم تلدني واذ) قد (ولدتني لم يدر) لها (ثديها علي قال عمرو كانت أمي تبكي عليه الليل والنهار) أي لما ترى
من شدة اجتهاده ورياضته لنفسه رواه أبو الحسن بن جهضم فقال حدثنا محمد بن عبد الله الزيات حدثنا

اذا بلغ أربعين سنة طوى
فراشه أي كان لا ينام طول
الليل وكان كهمس بن
الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة
ثم يقول لنفسه قومي
يا مأوى كل شر فلما ضعف
اقتصر على خمسمائة ثم
كان يبكي و يقول ذهب
نصف عملي وكانت ابنة
الربيع بن خثيم تقول له
يا أبت مالي أرى الناس
ينامون وأنت لا تنام فيقول
يا ابنتاه ان أباك يخاف البيات
ولما رأت أم الربيع ما يلقى
الربيع من البكاء والسهر نادته
يا بني لعلك قتلت قتيلا قال
نعم يا أماه قالت فمن هو حتى
نطلب أهله فيعفوا عنك
فوالله لو يعلمون ما أنت فيه
لرحموك وعفوا عنك فيقول
يا أماه هي نفسي وعن عمر بن
أخت بشر بن الحرث قال
سمعت خالي بشر بن الحرث
يقول لامي يا أختي جوفي
وخواصري تضرب علي فقالت
له أمي يا أخي تأذن لي حتى أصلح
لك قليل حساء بكف دقيق
عندي تحساه يرم جوفك
فقال لها ويحك أخاف أن
يقول من أين لك هذا الدقيق
فلا أدري ايش أقول له
فبكت أمي وبكى معها
وبكيت معهم قال عمر ورأت
أمي ما ببشر من شدة الجوع
وجعل يتنفس نفسا ضعيفا
فقالت له أمي يا أخي ليت
أمك لم تلدني فقد والله
تقطعت كبدي مما أرى بك فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني واذ ولدتني لم يدر ثديها علي قال عمرو كانت أمي تبكي عليه الليل والنهار

وقال الربيع أتيت أويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى أعوذ بك من عين

نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى أويس فقال يا أبا عبد الله مالى أراك كانك مريض فقال وما لاويس أن لا يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم وقال أحمد ابن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك أتيت ابراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوأ فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة أحيانا وفى أودية النار أحيانا فهل فى ذلك نوم وقال ثابت البنانى أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن ان يأتى فراشه الا حبوا وقيل مكث أبو بكر ابن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء فى احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم

محمد بن مخلد حدثنى الفتح بن شخرف قال قال عمر ابن أخت بشر سمعت خالى بشرا فذكره (قال الربيع) قيل هو ابن زياد الحارثى البصرى الذى روى له أبو داود والنسائى (أتيت أويسا) بن عامر القرنى (فوجدته جالسا) فى مسجده بالكوفة (قد صلى الفجر ثم جلس فجلست) معه (وقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى أويس) بن عامر رحمه الله تعالى (فقال يا أبا عبد الله مالى أراك كانك مريض) وذلك لما رأى من تغير حاله ولونه (فقال ومالاويس أن لا يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم) والصحة انما تكون من قبل الطعام والنوم (وقال أحمد بن حرب) النيسابورى الزاهد روى عن ابن عيينة (يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك أتيت ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه) على الارض (فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب) قائما (الى الصلاة ولم يحدث وضوأ فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة أحيانا وفى أودية النار أحيانا فهل فى ذلك نوم) وهذا هو التفكر وهو سيد العبادات (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البنانى) رحمه الله تعالى (أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجز عن ان يأتى فراشه الا حبوا) وروى البيهقى فى الشعب عن على بن غنام قال كان فى بنى عدى ثلاثون شيخا لا يأتون فرشهم الا زحفا أو حبوا (وقيل مكث أبو بكر بن عياش) بن سالم الاسدى الكوفى الحناط المقرى قيل اسمه كنيته وقيل اسمه محمد وقيل غير ذلك الى ثلاثة عشر قولا وقد تقدم (أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء فى احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله) قال أبو السكين الطائى سمعت أبا بكر يقول لابنه وأراه غرفة يا بنى اياك ان تعصى الله عز وجل فيها فانى قد ختمت فيها اثنى عشر ألف ختمة وقال غيره لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت ابنته فقال يا بنية لا تبكى أتخافين ان يعذبنى الله عز وجل وقد ختمت فى هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة وقال ابراهيم بن شماس السمرقندى سمعت ابراهيم بن أبى بكر قال لما نزل بأبى الموت قلت يا أبت ما اسمك قال يا بنى ان أباك لم يكن له اسم وان أباك أكبر من سفيان باربع سنين وانه لم يأت فاحشة قط وانه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة (وقيل كان ورد) أبى الحسن (سمنون) ابن حمزة رحمه الله تعالى (كل يوم خمسمائة ركعة) وروى القشيرى بسنده الى جعفر الخلدى قال قال أبو أحمد المغازلى كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لى سمنون يا أبا أحمد أما ترى قد أنفق وما قد عمله ونحن ما نجد شيأ فامض بنا الى موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا الى المدائن وصلينا أربعين ألف صلاة (وعن أبى بكر) بن عيسى الابهرى (المطوعى) قال صاحب الحلية كان من المفوضين وتعلو أحواله على السالكين والسائحين حكى عنه أبو بكر بن طاهر الابهرى (قال كان وردى فى شبيبتى فى كل يوم وليلة اقرأ فيه قل هو الله أحد احدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى وكان) أبو عتاب (منصور بن المعتمر) بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى قال ابن مهدى لم يكن بالكوفة أحفظ منه وهو من أصحاب ابراهيم النخعى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له الجماعة (اذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه

به أهله وقيل كان ورد سمنون فى كل يوم خمسمائة ركعة وعن أبى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة اقرأ فيه قل هو أحد احدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى وكان منصور بن المعتمر اذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه

باربع

بار بع ولقد قالت له أمه) قال أبو بكر بن عياش وكانت فظة غليظة وكان يبرها ويسكت لها (ماهذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول ياأمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا العباس ابن محمد حدثنا خلف بن تميم حدثنا زائدة بن قدامة ان منصور بن المعتمر صام سنة قام ليلها وصام نهارها وكان يبكى فتقول له أمه يابنى قتلت قتيلا فقال أنا أعلم بما صنعت بنفسى اذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج الى الناس وروى من طريق سفيان بن عيينة ان منصور بن المعتمر قد كان عمش من البكاء ومن طريق محمد بن عمر وسمعت جريرا يقول كانت أم منصور تقول له يابنى ان لعينيك عليك حقا ولجسمك عليك حقا فكان يقول لها دعى عنك منصورا فان بين النفختين يوما طويلا ومن طريق أبى الاحوص قال قالت ابنة لجار منصور لابيها ياأبت أين الخشبة التى كانت فى سطح منصور قائمة قال يابنية ذاك منصور كان يقوم الليل ومن طريق العلاء بن سالم العبدى قال كان منصور يصلى على سطحه فلما مات قال غلام لابيه الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه قال يابنى ليس ذاك بجذع ذاك منصور وقد مات (وقيل لعامر بن عبدالله) بن عبد قيس العنبرى البصرى التابعى العابد وهو المعروف بعامر بن عبد قيس وقد تقدم ذكره فى هذا الكتاب فى موضعين ولم أكن ظفرت بترجمته فلما وصلت الى هنا رأيته فى الحلية قال وهو أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة فقدمناه على غيره من الكوفيين لتقدم البصرة على الكوفة بنيت قبل الكوفة بأربع سنين وكذلك أهل البصرة بالنسك والعبادة أشهر وأقدم من الكوفيين وكان عامر بن عبد قيس قد تخرج على أبى موسى الاشعرى فى النسك والتعبد ومنه تلقى القرآن وعنه أخذ هذه الطريقة (كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى) قوله ما رأيت مثل الجنة الخ هو حديث مرفوع من رواية أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد والترمذى وضعفه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بلفظ ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها وقوله من خاف أدلج هو أيضا حديث مرفوع من رواية أبى هريرة وأبى ابن كعب بزيادة ومن ادلج بلغ المنزل فحديث أبى هريرة رواه الترمذى وقال حسن غريب والرامهرمزى فى الامثال والحاكم والبيهقى وحديث أبى بن كعب رواه أبو نعيم فى الحلية والحاكم وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى من الامثال المشهورة وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا خالد بن يزيد العمرى حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد الى ثمانية عامر بن عبد الله بن عبد قيس وأويس القرنى وهرم بن حيان والربيع بن خثيم ومسروق بن الاجدع والاسود بن يزيد وأبى مسلم الخولانى والحسن بن أبى الحسن فاما عامر بن عبد الله فكان يقول فى الدنيا الهموم والاحزان وفى الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح ثم ساقه وفيه وكان يبيت قائما ويظل صائما ولقد كان ابليس يلتوى فى موضع سجوده فاذا ما وجد ريحه نحاه بيده ثم يقول لولا نتنك لم أزل عليك ساجدا وهو يتمثل كهيئة الحية ورأيته وهو يصلى فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من كمه وثيابه فلا يجيد فقيل له لم لاتنحى الحية فيقول والله انى لاستحى من الله ان أخاف شيأ غيره والله ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج وقيل له ان الجنة تدرك بدون ما تصنع وان النار تتقى بدون ما تصنع فيقول لا حتى لا ألوم نفسى وكان يقول ما أبكى على دنيا كم رغبة فيها ولكن أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء (وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس) هو عامر بن عبد الله الذى تقدم ذكره يعرف بجده (أربعة أشهر فما

باربع ولقد قالت له أمه ماهذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول ياأمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى وقيل لعامر بن عبدالله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا أنى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف أدلج عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما

رأيته نام بليل ولانهار) روى ابن أبي الدنيا في محاسبته عن محمد بن يحيى الازدى حدثنا جعفر بن أبي جعفر
الرازى عن أبي جعفر السائح أخبرنا ابن وهب وغيره يزيد بعضهم على بعض في الحديث ان عامر بن عبد
قيس كان من أفضل العابدين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما
الى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول يانفس انما خلقت للعبادة ياأمارة بالسوء فوالله
لاعملن بك عملا لاياخذ الفراش منك نصيبا (ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه
انه قال صليت خلف علي رضي الله عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس
ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيأ يشبههم كانوا يصبحون
شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا
الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان
حوله) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قالا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا
محمد بن يزيد أبو هشام حدثنا المحاربي عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي اراكة قال
صلى علي رضي الله عنه الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال لقد
رأيت أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله ان كانوا ليصبحون شعثا غبرا
صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم اذا ذكر الله
مادوا كما يميد الشجرة في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين (وكان
أبو مسلم) عبد الله بن ثوب (الخولاني) اليماني من زهاد التابعين نزل الشام وسكن داريا روى له الجماعة الا
البخاري (قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا
حتى يكون الكلال منك لامني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب
من دابتي) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو العباس السراج حدثنا الوليد بن
شجاع حدثنا الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال كان من أمر أبي مسلم الخولاني انه علق سوطا
في مسجده ويقول أنا أولى بالسوط من الدواب فاذا دخلته فترة شق ساقه سوطا أو سوطين (وكان يقول
أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد
خلفوا وراءهم رجالا) وقال له قائل حين كبر ورق لو قصرت من بعض ما تصنع فقال أرأيتم لو أرسلتم الخيل
في الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها حتى اذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيأ قالوا بلى قال
فاني أبصرت الغاية وان لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق (وكان صفوان بن سليم)
المدني أبو عبد الله وقيل أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه العابد وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن
عوف قال أحمد هو يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره وقال مرة هو ثقة من خيار عباد الله
الصالحين قال الواقدي وغيره مات سنة ١٣٢ عن اثنين وسبعين سنة روى له الجماعة (قد تعقدت ساقاه
من طول القيام) في الصلاة (وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا) رواه أبو نعيم
في الحلية فقال حدثنا الحسن بن علي الوراق حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا محمد بن يزيد
الادمي حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غدا القيامة ما كان عنده
مزيد على ما هو عليه من العبادة (وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان في
الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن
محمد بن جعفر حدثنا جعفر الفريابي حدثنا أمية حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا سليمان بن سالم قال كان
صفوان بن سليم في الصيف يصلي بالليل في البيت فاذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام حدثنا أبو محمد
ابن حيان حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن ادريس حدثنا علي بن الحسن السنجاني حدثنا اسحق بن محمد

رأيته نام بليل ولانهار ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال صليت خلف علي رضي الله
تعالى عنه الفجر فلما سلم
انفتل عن يمينه وعليه كآبة
فمكث حتى طلعت الشمس
ثم قلب يده وقال والله لقد
رأيت أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وما أرى اليوم
شيأ يشبههم كانوا يصبحون
شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله
سجدا وقياما يتلون كتاب
الله يراوحون بين أقدامهم
وجباههم وكانوا اذا ذكروا
الله مادوا كما يميد الشجر في
يوم الريح وهملت أعينهم
حتى تبل ثيابهم وكأن القوم
باتوا غافلين يعني من كان
حوله وكان أبو مسلم الخولاني
قد علق سوطا في مسجد
بيته يخوف به نفسه وكان
يقول لنفسه قومي فوالله
لازحفن بك زحفا حتى
يكون الكلال منك لامني
فاذا دخلته الفترة تناول
سوطه وضرب به ساقه
ويقول أنت أولى بالضرب
من دابتي وكان يقول أيظن
أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم أن يستأثروا به دوننا
كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما
حتى يعلموا انهم قد خلفوا
وراءهم رجالا وكان صفوان
ابن سليم قد تعقدت ساقاه
من طول القيام وبلغ من
الاجتهاد ما لو قيل له القيامة
غدا ما وجد مزيدا وكان
اذا جاء الشتاء اضطجع على
السطح ليضربه البرد واذا
كان في الصيف اضطجع
داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام

وانه مات وهو ساجد وانه كان يقول اللهم انى أحب لقاءك فاحب لقائى وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما أخاف من الموت الامن حيث يحول بينى و بين قيام

الفردى حدثنا مالك بن أنس قال كان صفوان بن سليم يصلى فى الشتاء فى السطح وفى الصيف فى بطن البيت يستيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم به وانه لترم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل وتظهر فيهما عروق خضر (وانه مات وهو ساجد) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب المقرى حدثنا أبو بكر بن صدقة حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى حدثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول وأعانه على بعض الحديث أخوه محمد قال أبى صفوان بن سليم أن لا يضع جنبه على الارض حتى يلقى الله عز وجل فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته يا أبت فى هذه الحالة لو ألقيت نفسك قال اذا يا بنية ماوفيت لله بالقول وزاد المزى فى التهذيب من طريق سفيان انه مكث على ذلك أكثر من ثلاثين سنة ومن طريق غيره أربعين سنة قال فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع والعجز قالت ابنته يا أبت لو وضعت جنبك فقال يا بنية اذا ماوفيت لله عز وجل بالنذر والحلف فمات وانه لجالس قال سفيان فاخبرنى الحفار الذى يحفر قبور أهل المدينة قال حفرت قبر رجل فاذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة فاذا السجود قد أثر فى عظام الجمجمة فقلت لانسان قبر من هذا فقال أو ما تدرى هذا قبر صفوان بن سليم (وكان يقول) فى دعائه (اللهم انى أحب لقاءك فاحب لقائى) ينزع بذلك الى ما ورد فى الخبر من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (وقال القاسم بن محمد) بن أبى بكر الصديق القرشى التيمى أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن المدنى الفقيه الامام الورع الثقة قال البخارى قتل أبوه قريبا من سنة ست وثلاثين بعد عثمان وبقى القاسم يتيما فى حجر عائشة وكان أشبه الناس بجده وكان أعلم الناس بحديث عائشة مات سنة ست ومائة وروى له الجماعة (غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها) وهى عمته وهى التى ربته فى حجرها بعد موت أبيه (أسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ) قوله تعالى (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت) أنتظر فراغها (حتى مللت وهى تبكى وتدعو وكما هى) على حالها (فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى) على حالها الاولى (تردد الآية وتبكى وتدعو) رواه طالب بن محمد بن على العشارى فى جزئه فقال أخبرنا أبو بكر البرقانى أخبرنا ابراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا محمد بن عمر والباهلى حدثنا أنس بن عياض حدثنا شيبة بن نصاح عن القاسم بن محمد قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هى قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكى ترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتى ثم رجعت فاذا هى قائمة تصلى وتبكى رضى الله عنها (وقال محمد بن اسحق) بن يسار المدنى أبو بكر ويقال أبو عبد الله القرشى المطلبى مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف جده يسار من بنى عين التمر قال ابن معين ثقة حسن الحديث نزل بغداد فى سنة خمسين ومائة وقيل بعدها استشهد به البخارى وروى له مسلم فى المتابعات واحتج به الباقون (لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود) بن يزيد ابن قيس النخعى أبو حفص ويقال أبو بكر الكوفى ابن أخى عبد الرحمن بن يزيد أدرك عمر بن الخطاب وروى عن أبيه الاسود المتقدم ذكره وروى عنه مالك بن مغول ومحمد بن اسحق بن يسار وأبو اسحق السبيعى وأبو اسحق الشيبانى وأبو بكر النهشلى مات سنة ١٩٨ روى له الجماعة (حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء) رواه أبو نعيم فى الحلية وروى من طريق ميمون أبى حمزة قال سافر عبد الرحمن بن الاسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما ومن طريق الحكم بن عتيبة قال لما احتضر عبد الرحمن بكى فقيل له ما يبكيك فقال أسفا على الصوم والصلاة قال ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات قال فروى انه من أهل الجنة قال الحكم وما يبعد فى ذلك لقد كان يعمل نفسه مجتهدا لهذا حذرا من مصرعه الذى صار اليه (وقال بعضهم ما أخاف من الموت الامن حيث يحول بينى و بين قيام

الليل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن مابال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره

وكان عامر بن عبد القيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح وقال جعفر ابن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن

الليل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين) وروى الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين شيعتنا الحلماء العلماء الذبل الشفاه الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من العبادة وأخرجه أبونعيم في الحلية من قول مجاهد قال شيعة علي رضي الله عنه فساقه (وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى (مابال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره) رواه أبونعيم في الحلية (وكان عامر بن) عبدالله بن (عبدقيس) العنبري البصري رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح) رواه أبونعيم في الحلية فقال حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبوشعيب الحراني حدثنا خالد بن يزيد العمري حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن علقمة بن مرثد قال كان عامر بن عبدقيس يقول في الدنيا الغموم والاحزان وفي الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح الهي خلقتني ولم تؤامرني في خلقي وابتليتني ببلايا الدنيا ثم قلت لي استمسك فكيف أستمسك ان لم تمسكني الهي انك لتعلم لو كانت لي الدنيا بحذافيرها ثم سألتنيها لجعلتها لك فهب لي نفسي (وقال جعفر بن محمد) الواسطي الوراق المفلوج نزيل بغداد صدوق مات سنة خمس وستين ومائة (كان عتبة) بن ابان (يقطع الليل بثلاث صيحات وكان اذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد) الراوي لهذه الحكاية (فحدثت به بعض البصريين) وفي بعض النسخ المصريين بالميم وهو غلط من النساخ (فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح) رواه أبونعيم في الحلية فقال حدثنا أبومحمد بن حيان حدثنا اسحق ابن أبي حسان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا جعفر بن محمد قال كان عتبة يقطع الليل بثلاث صيحات يصلي العتمة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر فاذا مضى من الليل ثلثه صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر فاذا مضى ثلثا الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه يفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال أحمد فحدثت به عبد العزيز فقال حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صيحته ولكن انظر الى الامر الذي كان منه بين الصيحتين (وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة) بن صالح الجندي اليماني سكن مكة روى عن الزهري وسلمة بن دهرام وابن طاوس وعنه وكيع روى له مسلم مقرونا بمحمد بن أبي حفصة والترمذي والنسائي وابن ماجه (نازلا عندنا بالمحصب) موضع قرب مكة (وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى) وهو السير آخر الليل وهو مثل مشهور رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثني المفضل بن غسان عن مؤمل بن اسمعيل حدثنا القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا فذكره (وقال بعض الحكماء) من المراقبين المجتهدين (ان لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه) انه المنعم عليهم لا غيره (وشرح صدورهم فأطاعوه) أي انقادت جوارحهم لطاعته (وتوكلوا عليه) حق التوكل (فسلموا الخلق والامر اليه) بمقتضى قوله تعالى ألا له الخلق والأمر (فصارت قلوبهم معادن)

لاستقرار

لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت
وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف الفوائد ما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا أنا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا أنا بروضة عليها شجر ملتف واذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا يا بناء جنسك وآلاف نعمك الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة

لاستقرار الاسرار (بصفاء اليقين وبيوتا للحكمة) تسكن فيها (وتوابيت للعظمة) والاجلال والهيبة والتعظيم والتابوت الوعاء الذي تحفظ فيه نفائس الامتعة (وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون) بظواهرهم (وقلوبهم تجول في الملكوت) فتشاهد ما فيه من العجائب (وتلوذ بمحجوب الغيوب) عن النواظر (ثم ترجع) الى عالم الملك (ومعها طرائف) أي نوادر (من لطائف الفوائد) ونفائس العوائد (ما لا يمكن واصفا أن يصفه) لبعده عن دائرة المعقول (فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا) وبهجة وعزة (وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا) أي بمنزلة المناديل التي يتبادلها الناس ويتمسحون بها (وهذه طريقة لا يبلغ اليها الا بالتكلف) والاجتهاد (وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء) أي مواهب من العناية الازلية لا تدرك بالتصنع والتكلف ولكن من يسر له طريقه فهو على نور من ربه أولئك مصابيح الدجا * وينابيع الرشد والحجا * خصوا بخفي الاختصاص ونقوا من التصنع بالاخلاص كما قال ذو النون المصري يوما ان لله لصفوة من خلقه وان لله لخيرة فقيل له من هؤلاء فقال هم قوم جعلوا الركب لجباههم وسادا والتراب لجنوبهم مهادا خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الازواج وحركهم بالادلاج فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت وضموه الى صدورهم فانشرحت وتصدعت هممهم به فكدحت فجعلوا لظلمتهم سراجا ولنومهم مهادا ولسبيلهم منهاجا ولحجتهم أفلاجا يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن الناس ويخافون فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية ونظروا الى ثواب الآخرة بعين راضية واشتروا الباقية بالفانية فنعم ما اتجروا ربحوا الدارين وجمعوا الخيرين واستكملوا الفضلين فهم خرس فصحاء عمي بصراء فعنهم تقصر الصفات وبهم تدفع النقمات وعليهم تنزل البركات فهم أحلى الناس منطقا ومذاقا وأوفى الناس عهدا وميثاقا سراج العباد ومنار البلاد ومصابيح الدجا ومعادن الرحمة وينابيع الحكمة وقوام الامة وأقبل الناس للمعذرة وأصفحهم بالمغفرة وأسمحهم بالعطية وروى أبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن عياض بن غنم مرفوعا في وصف هؤلاء القوم مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الارض حفاة على أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا بذخ ولا صلف يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يلبسون الخلقان ويتبعون البرهان ويتلون الفرقان ويقربون القربان يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد أجسادهم في الارض وأعينهم في السماء أقدامهم في الارض وقلوبهم في السماء وأنفسهم في الارض وأفئدتهم عند العرش أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة (وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا أنا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت) ومشيت (فاذا بروضة عليها شجر ملتف فاذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه) وتمامها تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (قال فجلست خلفه أسمع كلامه) ولا يراني (وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين) قال ذلك لما أحس بمن اطلع على ظاهر حاله فخاف على نفسه التصنع في عمله فاستعاذ بالله مما ذكر والكذاب من يخالف ظاهره باطنه والبطال من صرف عمره في لهو وبطالة ولم يذق معرفة الله تعالى والغافل من غفل عن شهود أسرار معاني كلام الله تعالى (ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده وقال مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا يا بناء جنسك وآلاف نعمك) أي الذين يألفون نعمك (الى محبيك فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال أين القرون الماضية) جمع قرن خمس وسبعون سنة وقيل مائة سنة (وأهل الدهور السالفة

فى التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته ياعبد الله أنامنذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره
يخاف سبقها بالموت الى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لهاعنى ساعة وقرأ
و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب
ثم أفاق وهو يقول من أنا ماخطرى هب لى اساءتى من فضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له
بالذى ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه انى لفى هذا الموضع

منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فاليك عنى يامخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت الى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى الله أخاف ان أشغله فاعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير فى مسير لى اذملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى ياهذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم قال يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غدا عندك

فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما
عندك أملى ثم مضى وتركنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقنة أو بطن وادى
ينوح على معاص فاضحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت * فدعوته أغثنى ياعمادى
فانت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى * اذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال * يسيح الى مكان من مكان

فى التراب يبلون وعلى) مر (الزمان يفنون فناديته ياعبد الله) ناداه بالاسم الاعم لانه لم يعرف اسمه الخاص (أنامنذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم رجع) الى ربه مستغيثا (وقال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها) أى أنت المعين لى فيها (ثم لهاعنى ساعة وقرأ) قوله تعالى (و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى مالم يكن فى بالهم من شدة الحساب والعتاب والحجاب (ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت) فى نفسى هو (قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ماخطرى هب لى اساءتى بفضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه (أى أسرته وأهلكته) انى لفى هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه) من التخلى والانفراد (غيرك فاليك عنى يامخدوع فقد عطلت على لسانى) أى شغلته عن ذكر ربى ومناجاته (وميلت الى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه و يتفضل على برحمته قال) الراوى (فقلت هذا ولى الله) تعالى (أخاف أن أشغله) عن الله (فاعاقب فى موضعى هذا) فان من شغل المشغول بالله قطعه الله (فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين) من أهل المراقبة (بينما أنا أسير فى مسير لى اذملت الى شجرة لأستريح تحتها) وأستظل بظلها (فاذا بشيخ قد أشرف على فقال لى ياهذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر) أى جد واجتهد فيما خلق له (ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم) رجع الى مراقبته ومناجاته و(قال يامن لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى) أى فى وصف المجتهدين

(نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقنة أو بطن وادى)
(ينوح على معاص فادحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد)
(فان هاجت مخاوفه وزادت * فدعوته أغثنى ياعمادى)
فانت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد)

القنة بالضم واد من الجبل
فادحات أى ثقيلات

(وقيل) فى هذا المعنى (أيضا)
(ألذ من التلذذ بالغوانى * اذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال * يسيح الى مكان من مكان)
المنيب هو التائب الراجع الى ربه

(ليخمل ذكره و يعيش فردا * و يظفر فى العبادة بالامانى)

أى ليخفى ذكره بين الناس ولا يشار اليه و يعيش منفردا بربه و يجد حلاوة فى طاعته

(تلذذه التلاوة أين ولى * وذكر بالفؤاد و باللسان

وعند الموت يأتيه بشير * يبشر بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى * من الراحات فى غرف الجنان)

وهؤلاء الذين وصفهم ذو النون بما سبق ذكره نظروا الى ثواب الله بانفس تائقة وعيون رائقة وأعمال موافقة فخلوا عن الدنيا مطى رحالهم وقطعوا منها حبال آمالهم لم يدع لهم خوف ربهم من أموالهم تليدا ولا عتيدا أفتراهم لم يشتهوا من الاموال كنوزها ولا من الأوبار خزوزها ولا من المطاعم أرزها ولا من القصور مشيدها بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله والهامه لهم فتركوا ما عرفوا بصبر أيام قلائل فضموا أبدانهم عن المحارم وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم وهربوا بأنفسهم عن المآثم فسلكوا من السبيل رشاده ومهدوا للرشاد مهاده فشاركوا أهل الدنيا فى آخرتهم هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته ومن القبر وضيقه ومنكرا ونكيرا ومن ابتدادهما وانتهارهما وسؤالهما ومن المقام بين يدى الله عز وجل (وكان كرز بن وبرة) الحرثى قال صاحب الحلية كوفى الاصل سكن جرجان و بعد فى اتباع تابعى أهل الكوفة له الصيت البليغ والمكان الرفيع فى النسك والتعبد كان تغلب عليه المؤانسة والمشاهدة فيشهده شهى الملاطفات وتؤنسه خفى المخاطبات روى عن طاوس وعطاء والربيع بن خثيم ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم (يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى سعيد أبو عثمان سمعت ابن عيينة يقول قال ابن شبرمة سأل كرز بن وبرة ربه أن يعطيه اسمه الاعظم على أن لا يسأل به شيأ من الدنيا فأعطاه الله ذلك فسأله أن يقوى حتى يختم القرآن فى اليوم والليلة ثلاث مرات وقال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنا شريح بن يونس حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه قال دخلت على كرز بن وبرة بيته فاذا عند مصلاه حصيرة قد ملاها تبنا و بسط عليها كساء من طول القيام فكان يقرأ فى اليوم والليلة ثلاث ختمات (و يجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة) قال عبد الله بن أحمد بسنده السابق الى فضيل بن غزوان قال كان لكرز عند المحراب ما يعتمد عليه اذا نعس وروى أبو نعيم من طريق خلف بن تميم عن ابيه قال ما رأيت فى هذه الامة أعبد من كرز كان لا يفتر يصلى فى المحمل فاذا نزل من المحمل افتتح الصلاة ومن طريق فضيل بن غزوان قال لم يرفع كرز رأسه الى السماء أربعين سنة ومن طريق سفيان بن عيينة قال سمعت ابن شبرمة يقول قلت لابن هبيرة

لو شئت كنت ككرز فى تعبده * أو كابن طارق حول البيت فى الحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما * وسارعا فى طلاب الفوز والكرم

فقال لى ابن هبيرة من كرز وابن طارق قال قلت أما كرز فكان اذا كان فى سفر واتخذ الناس منزلا اتخذ هو منزلا للصلاة وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب كفاه كف من تراب وقد تقدم له ذكر فى كتاب الحج وقال صاحب القوت بعدان أورد شيأ من مجاهداته (فقيل له قد أجهدت نفسك) فى العبادة (فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال فكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم) ولفظ القوت ما رضى عبد ان يعمل سبعة آلاف سنة و ينجو من يوم مقداره خمسون ألف سنة زاد المصنف (يعنى انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت) فى العبادة (سبعة آلاف سنة وتخلصت من) هول (يوم واحد مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها) ومن ذلك ما أورده البيهقى فى الشعب من

ليخمل ذكره و يعيش فردا و يظفر فى العبادة بالامانى تلذذه التلاوة أين ولى وذكر بالفؤاد و باللسان وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان فيدرك ما أراد وما تمنى من الراحات فى غرف الجنان وكان كرز بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات و يجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين

حديث أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه رواه أبو زيد الهروي عن شعبة عن الاعمش عن أبي صالح عنه قال وقال أبو زيد رأيت شعبة يصلي حتى ورم قدماه وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ماشاء الله ان يصلي حتى اذا كان في آخر الليل أيقظ أهله للصلاة وعن نافع قال كان ابن عمر يصلي عامة الليل وعن حميد بن هلال قال كان مسلم بن يسار اذا قام يصلي كانه ثوب ملقى وعن عبد الله بن مسلم قال كان سعيد بن جبير اذا قام الى الصلاة كانه وتد وعن عبد الله بن يعقوب الحافظ قال ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله محمد بن نصر كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كانه خشبة منصوبة وعن الاوزاعي قال كان علي بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة وعن مرة الهمداني حين سئل وقد كبر ما بقي من صلاتك قال الشطر خمسون ومائتا ركعة وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا موسى بن هلال حدثنا رجل كان جليسا لنا وكانت امرأة حسان مولاة له قال فحدثتني امرأة حسان بن أبي سنان قالت كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها فاذا علم اني قد نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي قال فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك ارفق بنفسك قال اسكتي ويحك فيوشك ان أرقد رقدة لا أقوم منها زمانا وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول بينا انا ساجد اذ ذهب بي النوم فاذا بها يعني بالحوراء قد ركضتني برجلها فقالت حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر الى المتهجدين في تهجدهم بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني أترقد عيناك وأنا أربي لك في الخدور منذ كذا وكذا فوثبت فزعا وقد عرقت استحياء من توبيخها اياي وان حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي وعن طلق بن معاوية قال قدم رجل يقال له هند بن عوف من سفر فمهدت له امرأته فراشا وكانت له ساعة من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح فحلف لا ينام على فراش أبدا وعن أبي الحسن علي بن المزين قال دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدي وكنت أزورها بعد موته فرأيت سوادا في القبلة قالت هذا موضع عبد الرحمن كان يصلي بالليل فاذا غلبه النوم وضع جبهته على هذا الموضع وعن رابعة العدوية قالت ما كان صلة يجيء في مسجد بيته الى فراشه الا حبوا يقوم حتى يفتر عن الصلاة وعن جعفر بن زيد العبدي ان أباه أخبره قال خرجنا في غزوة الى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم قال فنزل الناس عند العتمة فقلت لارمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى اذا قلت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبا منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح قال وجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة قال فتراه التفت حتى سجد فقلت الآن يفترسه فلا شئ فجلس ثم سلم فقال أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر فولى وان له زئيرا أقول تصدع الجبال منه فما زال كذلك يصلي حتى اذا كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها الا ماشاء الله ثم قال اللهم اسألك ان تجيرني من النار أو مثلي يجترئ ان يسألك الجنة ثم رجع فاصبح كانه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شئ الله به اعلم قال فلما دنونا من أرض العدو قال الامير ولا يشذن أحد من العسكر قال فذهبت بغلته يعني بغلة صلة بثقلها فاخذ يصلي فقالوا له ان الناس قد ذهبوا قال انما هما خفيفتان قال فدعا ثم قال اللهم اني أقسم عليك ان ترد علي بغلتي وثقلها قال فجاءت حتى قامت بين يديه فلما القينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنا وضربا وقتلا قال فكسر ذلك العدو وقالوا ان رجلين من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا فاعطوا المسلمين حاجتهم فقيل لابي هريرة ان هشام بن عامر وكان يجالسه القى بيده الى التهلكة فاخبره خبره قال كلا ولكنه التمس هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن الاعمش عن عبد الرحمن بن أبي ليلى انه كان يصلي فاذا دخل الداخل أتى فراشه فاتكأ عليه وعن منصور بن أبي أمية خادم عمر بن عبد العزيز

قال رأيت عمر بن عبد العزيز وله سفط فى كوة ومفتاحه فى ازاره فكان يستغفلنى فاذا نظرانى قد غمت
فتح السفط فاخرج منه جبة شعر ورداء شعر فصلى فيهما الليل كله فاذا نودى بالصبح نزعهما وعن السرى
ابن يحيى قال كان سليمان التيمى فى طريق مكة يتوضأ لصلاة العشاء ثم يصلى بالليل كانه فى محمله حتى الصبح
ثم يصلى الصبح بوضوئه ذلك وعن محمد بن عبد الاعلى قال قال لى المعتمر بن سليمان لولا انك من أهلى ما حدثتك
بذا عن أبى مكث أبى أربعين سنة يصوم يوما و يفطر يوما و يصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء وعن سعيد بن
عامر قال كان سليمان التيمى يسبح فى كل سجدة وركعة سبعين تسبيحة وعن هشيم قال لو قيل لمنصور بن
زاذان ان ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة فى العمل قال وذلك انه كان يخرج ويصلى بالغداة فى
جماعة ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس ثم يصلى الى الزوال ثم يصلى الظهر ثم يصلى الى العصر ثم يصلى
العصر ثم يجلس فيسبح الى المغرب ثم يصلى العشاء الآخرة ثم ينصرف الى بيته فيكتب عنه فى ذلك الوقت
وعن الحسين بن منصور قال كان سليمان بن المغيرة اذا قام الى الصلاة لو أكلت الذبابة وجهه لم يطيرها قال
وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبى يقول سمعت مريم امرأة أبى عثمان تقول كانؤخر اللعب والضحك
والحديث الى ان يدخل أبو عثمان ورده فى الصلاة فانه كان اذا دخل بيت الخلوة لا يحس بشئ من الحديث
وغيره وعن الربيع بن سليمان قال كان الشافعى جزأ الليل ثلاثة أجزاء الجزء الاول يكتب والثلث الثانى يصلى
والثلث الثالث ينام وعن أبى خالد الاحمر قال أكل سفيان ليلة فشبع فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى
عمله فقام حتى أصبح وعن حمزة بن ربيعة قال حججنا مع الاوزاعى سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعا على
المحمل فى ليل ولا نهار قط كان يصلى فاذا غلبه النوم استند الى القتب وعن أحمد بن سلمة قال سمعت هناد بن
السرى غير مرة اذا ذكر قبيصة بن عقبة قال الرجل الصالح وتدمع عيناه وكان هناد كثير البكاء وكنت عنده
ذات يوم فى مسجده فلما فرغ من القراءة عاد الى منزله فتوضأ وانصرف الى المسجد وقام على رجليه يصلى
الى الزوال وأنا معه فى المسجد ثم رجع الى منزله فتوضأ وانصرف الى المسجد فصلى بنا الظهر ثم قام على
رجليه الى العصر ويرفع صوته بالقرآن ويبكى كثيرا وصلى الى العصر ثم صلى بنا العصر وجاء الى صحن المسجد
فجعل يقرأ القرآن فى المصحف الى الليل فصليت معه صلاة المغرب وقلت لبعض جيرانه ما أصبره على العبادة
فقال هذه عبادته منذ سبعين سنة فكيف لو رأيت عبادته بالليل وما تزوج قط ولا تسرى قط وكان يقال له
راهب الكوفة وعن الاوزاعى قال خرجت حاجا فدخلت مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا شاب بين القبر
والمنبر يتهجد فلما طلع الفجر استلقى على ظهره ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقلت له يا ابن أخى
لك ولاصحابك لا للجمالين وعن داود بن رشيد قال قام أخ لى فى ليلة ظلماء يصلى مع نفسه فضربه البرد وكان رث
الثياب ثم سجد فذهب به النوم فى سجوده فهتف بى هاتف أنمناهم وأقمناك وتبكى علينا وعن أبى محمد الجريرى
قال كنت واقفا على رأس الجنيد فى وقت وفاته وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت يا أبا القاسم ارفق
بنفسك فقال يا أبا محمد رأيت أحوج منى فى هذا الوقت وهو ذا تطوى صحيفتى وقال أبو عبد الرحمن السلمى
سمعت جدى يقول دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو فى النزع فلم يرد عليه ثم رد عليه بعد ساعة
وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى ثم حول وجهه الى القبلة ومات (فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين
فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال
هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم) بل ومن يدانى من يشابههم (ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى
بهم) فى أحوالهم (فهو أنجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة) كما ورد فى الخبر
وتقدم (واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى) وهو مثل مشهور
(وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم) أى جماعتهم وكثرتهم (وهم العقلاء
والحكماء وذووا البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها ان تنخرط فى

فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع فى القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذووا البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تنخرط فى

سلك الحق وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أم رددتها علي فأعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك وروي عن عجرة أنها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي أسألك لا بغيرك ان تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها اذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذاك قال فأتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك وأقصرت

سلك الحق) وزمرة الاغبياء (وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس ألا تستنكفين أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن) درجة (امرأة في أمر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية) وكانت امرأة عابدة من البصرة (انها كانت اذا صلت قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها) فتصلي ما شاء الله أن تصلي (فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد أدبر) أي ولى منصرفا (وهذا النهار قد أسفر) أي ظهر نوره (فليت شعري أقبلت مني ليلتي فاهنأ أم رددتها علي فاعزى وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك) رواه أبو نعيم في الحلية (وروي عن عجرة) بضم العين وكانت من متعبدات البصرة (انها كانت تحيي الليل) بالصلاة والتسبيح (وكانت مكفوفة البصر فاذا كان السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجا الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة) وكانت من العارفات المتعبدات المعاصرات للفضيل بن عياض (فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها اذا خلت) بنفسها (فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذاك قال فأتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيأ فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن يحيى بن بسطام فذكره وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا ابراهيم بن علي الرازي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا زهدم بن الحارث عن فضيل بن عياض قال قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت اليها وسألتها أن تدعو الله بدعاء فقالت شعوانة يا فضيل أما بينك وبين الله ما ان دعوته استجاب قال فشهق الفضيل شهقة فخر مغشيا عليه (وقال محمد بن معاذ) بن عباد بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري صدوق عارف مات سنة ٢٢٣ روى عنه مسلم وأبو داود (حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كاني أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أمة سوداء من أهل الابلة) بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام موضع على أربع فراسخ من البصرة (يقال لها شعوانة قال فقلت أختي والله) تعني الاخوة في الله (قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء

عن هذا البكاء شيأ فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد ابن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كاني أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أمة سوداء من أهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختي والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء

فلما

فلما رأيتها ناديت يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فأ لحقني بك قال فتبسمت الي وقالت لم يأن لقدومك احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال أبو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شئ قدير * وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امرأة عليها جبة صوف و بيدها ركوة فقالت لي من أنت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي أبكاك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها

فلما رأيتها ناديت يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظي عني) خصلتين (اثنتين) احداهما (الزمي الحزن قلبك) أي لا يفارقك الحزن أبدا (و) الثانية (قدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت) رواه ابن أبي الدنيا (وقال عبد الله بن الحسن) بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني أبو محمد ثقة جليل القدر روى له أصحاب السنن مات سنة خمس وأربعين ومائة عن خمس وسبعين سنة (كانت لي جارية رومية) أي من سبي الروم (وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام) رواه ابن أبي الدنيا (وقال أبو هاشم القرشي) كذا في النسخ والصواب أبو هشام (قدمت علينا) مكة (امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة وتقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة تراها تظن أنك لا ترى من فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شئ قدير) رواه أبو بكر بن أبي الدنيا مع بعض مخالفة وزيادة في الآخر فقال حدثنا محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا أبو هشام رجل من قريش من بني عامر قال قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض رباعنا فكنت أسمع لها من الليل نحيبا وشهيقا فقلت للخادم اشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع فاشرفت فاذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها الى السماء فقلت ما تصنع قالت ما أراها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء فقلت اسمعي ما تقول قالت ما أفهم كثيرا من قولها غير أني أسمعها تقول أراك خلقت سرية من طينة لازبة ثم غيرتها بنعمتك تعدوها من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة في أثر فلتة أترى انها تظن أنك لا ترى سوء فعالها بلى وأنت على كل شئ قدير قال فصرخت وسقطت ونزلت الجارية فاخبرتني بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فاذا هي قد ماتت (وقال ذو النون المصري) رحمه الله تعالى (خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امرأة عليها جبة صوف و بيدها ركوة فقالت لي من أنت غير فزعة مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي أبكاك فقلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها) أي والصادق في المحبة لا يرتاح الا بمولاه والبكاء انما يعتري في مبادي الحب قبل تمامه بالصدق ويشبه هذه القصة ما ذكره ابن السراج في مصارع العشاق أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة حدثنا محمد بن عبد الله بن الشكي حدثني محمد بن جعفر القنطري قال قال ذو النون بينما أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية

* وقال أحمد بن علي استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فكانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت رأسها لم تعص و ياليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى أنصرف اليك قال فانصرفت فلم أجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما

عليها أطمار شعر واذا هي ناحلة ذابلة فدنوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان بالاشجان وعصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت نحبت ثم قالت سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت النينان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك الله العلي القهار

يا مؤنس الاسراء في خلواتهم * يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما * فرح الفؤاد متيما ببلبال
من ذاق حبك لا يرى متبسما * في طول حزن في الحشاشة عالي

فقلت لها زيد ينا من هذا فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذي هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فاذا هي قد فارقت الدنيا فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي تقدم فصل عليها فتقدمت فصليت عليها وهن خلفي ثم احتملنها ومضين وقد تقدم ذكر هذه القصة مع الابيات في كتاب المحبة وهذه الابيات الاربعة نسبت الى رابعة العدوية وتقدم الكلام عليها (وقال أحمد بن علي استأذنا على غفيرة) بضم الغين المعجمة وفي بعض النسخ بالعين المهملة وكانت من المتعبدات من أهل البصرة (فحجبتنا) أي منعتنا من الدخول عليها (فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا يا أمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فكانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت غفيرة اذا رفعت رأسها لم تعص وياليتها اذا عصت لم تعد) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثني أبو عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقا في بطنه حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي حدثتني غفيرة العابدة وكانت قد ذهب بصرها من العبادة قالت كان عطاء اذا بكى بكى ثلاثة أيام وثلاث ليال فقالت غفيرة وحدثني ابراهيم الحلمي قال أتيت عطاء السلمي فلم أجده في بيته قال فنظرت فاذا هو في ناحية الحجرة جالس واذا حوله بلل قال فظننت أنه أثر وضوء توضاه فقالت لي عجوز معه في الدار هذا أثر دموعه (وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية) أي سوداء من سبي الحبش (فاحتبستها في موضع بناحية السوق) أي أمرتها ان تمكث فيه (فانصرفت فلم أجدها فانصرفت الى منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت أنت حرة) لوجه الله تعالى (فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما) و يقرب من ذلك ما رواه البيهقي في الشعب عن أبي يوسف يعقوب بن سفيان قال أخبرني بعض شيوخ أهل الكوفة قال كان لآل الحسن بن صالح بن حي خادمة تخدمهم فاحتاجوا الى بيعها فباعوها فلما كان في الليل ذهبت فالحت على مولاها تقيمه وتقول ذهب الليل مرة بعد مرة حتى أضجرته فصاح بها فلما أصبحت ذهبت الى عند الحسن

وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها برة تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها

فقالت يا سبحان الله ما كان يجب عليكم فيما اخذ منكم ان تبيعونى من مسلم قال فقال الحسن سبحان الله
وماله قالت انتظرته أن يقوم ليتهجد فلم يفعل وألححت عليه فزبرنى قال فصاح بعلى وقال أما تعجب من هذه
اذهب فتساف ثمنها من بعض اخواننا واعتقها (وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها برة
تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت
عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها) أى نلومها (فى كثرة البكاء قال
فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب
فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فلا يضرهما ما ذهب منهما
فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت) عنا (قال فقال القوم
قوموا بنا فهى والله فى شئ غير ما نحن فيه) رواه ابن أبى الدنيا (وكانت معاذة) بنت عبد الله (العدوية)
أم الصهباء البصرية امرأة صلة بن أشيم من العابدات قال ابن معين ثقة حجة وذكرها ابن حبان فى كتاب
الثقات روى لها الجماعة وروى أبو نعيم بسنده الى سلمة بن حيان العدوى قال حدثنا الحى ان معاذة العدوية
لم توسد فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت (اذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى
تمسى فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح) قال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن
الحسين حدثنا يحيى بن بسطام حدثنا عمران بن خالد حدثتنى أم الاسود بنت يزيد العدوية وكانت معاذة قد
أرضعتها قالت قالت لى معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها والله يا بنية ما محبتى للبقاء فى الدنيا لذيذ عيش
ولا لروح نسيم ولكنى والله أحب البقاء لاتقرب الى ربى بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده
فى الجنة قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى روح بن سلمة الوراق قال سمعت عفيرة العابدة تقول بلغنى ان
معاذة العدوية لما احتضرت للموت بكت ثم ضحكت فقيل لها بكيت ثم ضحكت فمم البكاء ومم الضحك
رحمك الله قالت أما البكاء الذى رأيتم فانى والله ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك
وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فانى نظرت الى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان
وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها فضحكت اليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا قال فماتت
قبل أن يدخل وقت الصلاة وروى أبو نعيم من طريق أبى خلدة قال سمعت أبا السوار العدوى يقول لمعاذة
العدوية فى مسجد فى بنى عدى تجىء احداكن المسجد فتضع رأسها وترفع استها فقالت ولم تنظر اجعل فى
عينيك ترابا ولا تنظر قال وانى والله ما أستطيع الا أن أنظر ثم اعتذرت فقالت يا أبا سوار اذا كنت
فى البيت شغلنى الصبيان واذا كنت فى المسجد كان أنشط لى قال النشاط أخاف عليك وأبو السوار تابعى
ثقة عابد روى له الشيخان وقال أحمد فى الزهد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى ان صلة بن
أشيم كان فى مغزى له ومعه ابن له فقال أى بنى تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم
فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت مرحبا ان كنتن جئتن لتهنئة فمرحبا بكن وان
كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن قال أبو نعيم رواه سيار عن جعفر عن حميد بن دينار عن صلة بنحوه (وقال أبو
سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (بت ليلة عند رابعة) العدوية قدس الله سرها (فقامت الى محراب لها وقمت
انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة) تصلى وتبكى وتدعو (الى السحر فلما كان السحر قلت ماجزاء من
قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن نصوم له غدا) رواه البيهقى فى الشعب الا أنه عزاه لجعفر بن
سليمان قال ضفت رابعة ذات ليلة فبدرت الى محرابها وبدرت الى آخر فلم تزل قائمة حتى أصبحت فقلت لها
ماجزاء من قوانا على قيام هذا الليل قالت جزاؤه أن تصوم له النهار (و) يروى انه (كانت شعوانة)
رحمها الله تعالى (تقول فى دعائها الهى ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى
لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد

ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها فى كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فلا يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شئ غير ما نحن فيه * وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت أنا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ماجزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول فى دعائها الهى ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل

الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد

جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه أن يشفعه عند مماتي بغفرانه الهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد أخافتني فان محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو أردت اهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بماله هديتني وأدم لي ما به سترتني الهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك) وهذه مناجاة من شغف حب المولى عز وجل في باطن قلبه واستغرقته مراقبة نعمه واحسانه وقد روى ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن محمد قال حدثنا ابراهيم بن عبد الملك قال قدمت شعوانة وزوجها مكة ثم ساق القصة وفيها قال وسمعتها تقول بالفارسية أنبت لكل داء دواء في الجبال ودواء المحبين في الجبال لم ينبت (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكيت حتى عميت وصلت حتى أقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيأ من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم أك شيأ مذكورا) ويقرب من هذه القصة ما رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين قال حدثني أبو جعفر المؤدب حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسناء وجالا يقال لها الخنساء بنت جذام وليست بالصحابية فصامت أربعين عاما حتى لصق جلدها بعظمها وبكت حتى ذهبت عيناها وقامت حتى أقعدت من رجليها وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها وكانت اذا دجا عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادي بصوت لها حزين يا حبيب المطيعين الى كم تحبس خدود المطيعين في التراب ابعثهم حتى ينتجز واموعودك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها قال فيسمع البكاء من الدور حولها ومما يليق ذكره من أحوال المجتهدات ما أورده البيهقي في الشعب عن سلامة العابدة قالت بكت عبدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها فقيل لها ما تشتهين قالت الموت قيل ولم ذاك قالت اني أخشى الله في كل يوم حين أصبح ان أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت رابعة تقول ما رأيت الحائط الا ذكرت تطاير الصحف ولا رأيت جرادا قط الا ذكرت الحشر ولا سمعت أذانا قط الا ذكرت منادي القيامة قالت وقلت لنفسي كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاؤه وعن أبي عثمان الخياط قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال بينا أنا ذات يوم جالس بالشام في قبة ليس عليها باب الا كساء مسبل اذ أتتني امرأة فدقت على الحائط فقلت من هذا فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق رحمك الله فقلت أي الطريق تسألين فبكت ثم قالت عن طريق النجاة فقلت هيهات هيهات لا يقطع ذلك الطريق الا بالسير الحثيث من الجد وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة فبكت ثم قالت اما علائق الدنيا ففهمتها فما علائق الآخرة فقلت لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لم يكن لك الا ما كتب لك في اللوح المحفوظ وان لجهنم زفرة يوم القيامة لو كان لك عمل سبعين نبيا ما كان لك بد أن تردها قال فصرخت صرخة ثم قالت سبحان من صان عليك جوارحك فلم تقطع وسبحان من أمسك عليك فلم تتصدع ثم سقطت مغشيا عليها قال ابن أبي الحواري وكانت عندنا جارية من المتعبدات فقلت لها اخرجي فانظري ما قصة هذه المرأة قال فخرجت اليها فاذا هي قد فارقت الدنيا واذا في جيبها رقعة مكتوب فيها كفنوني في أثوابي فان يكن لي عند ربي خير فسيبدلني ما هو خير لي منها وان يكن غير ذلك فبعدا لنفسي وسحقا قال ابن أبي الحواري فاذا خدم قد أحاطوا بالجارية فقلت لبعضهم ما قصة هذه المرأة فقالوا يا أبا

جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد أخافتني فان محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو أردت اهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بماله هديتني وأدم لي ما به سترتني الهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيأ من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيأ مذكورا

الحسن هذه جارية كان يظهر بها شئ نظن انها مصابة بعقلها وكان الذى يمنعها من المطعم والمشرب وكانت تشكو الينا وجعا بجوفها وكانعرض عليها الأطباء فكانت تقول أريد متطببا أشكو اليه بعض ما أجد من دائى عسى أن يكون عنده شفائى اهـ سياق البيهقى وقال أبو بكر التيمى حدثنا محمد بن سليمان القرشى قال بينا أنا أسير فى طريق اليمن اذا بغلام واقف فى الطريق فى أذنيه قرطان فى كل قرط جوهرة يضئ وجهه من ضوء تلك الجوهرة وهو يمجد ربه بابيات من الشعر فسمعته يقول

مليك فى السماء به افتخارى * عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال ما أنا براد عليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب عليك قلت وما حقك قال أنا غلام على مذهب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف فاجبته الى ذلك فرحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر فلما قربنا من الخيمة صاح يا أختاه فاجابته جارية من الخيمة قال قومى الى ضيفنا قالت الجارية حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف فقامت فصلت ركعتين شكرا فادخلنى الخيمة وأجلسنى وأخذ الغلام أعنا ماليذبحها فلما جلست فى الخيمة نظرت الى أحسن الناس وجها فكنت أسارقها ففطنت لبعض لحظاتى اليها فقالت لى مه أما علمت انه نقل الينا عن صاحب يثرب ان زنا العينين النظر أما انى ما أردت بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أعدبك لكيلا تعود لمثل هذا فلما كان النوم بت أنا والغلام خارجا وباتت الجارية فى الخيمة فكنت أسمع دوى القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه فلما ان أصبحت قلت للغلام صوت من كان ذلك فقال تلك أختى تحيى الليل كله الى الصباح فقلت يا غلام أنت أحق بهذا العمل من اختك أنت رجل وهى امرأة قال فتبسم ثم قال لى ويحك يا فتى أما علمت انه موفق ومخذول وروى ابن باكويه من طريق موسى بن عبد الملك المروزى قال قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بامرأة فى الحجر وهى تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فانلنى معروفا من معروفك تغننى به عن معروف من سواك يا معروفا بالمعروف فعرفت أيوب السختيانى فسألناعن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب قولى خيرا يرحمك الله قالت وما أقول أشكو الى الله قلبى وهواى فقد أضرابى وشغلانى عن عبادة ربى قوما فانى أبادر على صحيفتى قال أيوب فما حدثت نفسى بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختيانى ما أردته فقلت أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختيانى فقالت أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا هذه مليكة بنت المنكدر وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن ادريس حدثنى محمد بن على بن حسان الهاشمى حدثنا أبو خالد البراد قال كلمنا ابنة المنكدر فى تخفيف بعض العبادة فقالت دعونى أبادر طى صحيفتى وقال ابراهيم بن مسلم القرشى كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فاذا جنها الليل تنادى بصوت حزين هدأ الليل واختلط الظلام واوى كل حبيب الى حبيبه وخلوتى بك أيها المحبوب أن تعتقنى من النار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى حدثنا خاقان بن عبد الله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها اكشفى لى عن قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت قال ابن أبى الدنيا وحدثنى محمد بن الحسين حدثنى ابراهيم بن عبد الله المدينى قال حدثنى بعض أصحابنا ان امرأة كانت بالمدينة ترهق قد دخلت المقابر ذات يوم فاذا هى بجمجمة قد بدت قال فصرخت ثم رجعت منيبة فدخل عليها نساؤها فقالت بكى قلبى لذكر الموت لما رأيت جماجم فوق القبور ثم قالت اخرجن عنى ولا يأتين منكن امرأة الا امرأة ترغب فى خدمة الله عز وجل ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك قال وحدثنى محمد بن الحسين حدثنى عبد الله بن نافع الزبيدى حدثنى أبو أيوب رجل من قريش ان امرأة من أهله كانت تجتهد فى العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فاتاها

الملعون فقال الى كم تعذبين هذا الجسد وهذه الروح لو أفطرت وقصرت عن القيام كان أدوم لك وأقوى
قالت فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير قالت ثم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
معتصمة بقبره وذلك بين المغرب والعشاء فذكرت الله وصليت على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت
ما نزل بي من وساوس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه قالت فسمعت
صوتا من ناحية القبر يقول ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب
السعير قالت فرجعت مذعورة وجلة القلب فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة وقال ابن أبي
الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن الزبير الحميري حدثني فضالة بن خالد المخزومي وكان من خيار
بني مخزوم قال كانت ههنا امرأة من بني مخزوم مجاورة يقال لها حكيمة وكانت اذا نظرت الى باب الكعبة
قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها وكانت لا تكاد تفارق المسجد الا لأمر
الذي لا بد منه قال ففتحت الكعبة يوما وهي في بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها
يا حكيمة اليوم فتح بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون به والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من
مليكهم لقد قرت عينك قال فصرخت حكيمة صرخة لم تزل تضطرب حتى ماتت قال ابن أبي الدنيا وحدثني
محمد بن صالح بن يحيى النهمي حدثني أبو الوراق أخبرني من سمع نفيس بنت سالم بمكة وهي تقول يا سيد الانام
زحلت بي الشقة وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك وبرحمتك من غضبك يا حبيب الأوابين يا من لا يكديه
الاعطاء يا ذا المن والآلاء ادلي بالثقة منك وصلة قراي منك عتق رقبتي قال ورأيتها بالموقف وهي تقول
بوطئتي الآثام كلت عيني بمحول الخزي فوعزتك لأضحك أبدا حتى أعلم أين محل قراري والى أين مصير
داري فلما رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء قالت يا رب أقامهم هذا المقام خوف النار يا قرة عيني وعيون
الابرار يلتمسون نائلك ويرجون فضلك انصرف الناس ولم أشعر قلبي منك اليأس وقال أبو عبد الرحمن
السلمي ذكر جعفر بن محمد عن بعض مشايخه عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة وكنت ربما
أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقي وأمد رجلي فجاءتني عائشة المكية وكانت من العابدات ممن
صحب الفضيل فقالت لي يا عبد الله يقال انك عالم اقبل مني كلمة لا تجالسه الا بأدب والا فيمحو اسمك من
ديوان القرب وقال أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي أخبرني أبي قال حدثني عبد الله بن أحمد بن بكر قال
كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشد ورعا منه وكانت لا تقتات الا ثلاثين درهما ينفذها اليها أبوها
في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه فأخبرني ابن الرواس التمار وكان جاره قال
جئت أودعه للحج واستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي فسلم الى قرطاسا وقال تسأل بمكة الموضع الفلاني
عن فلانة وتسلم هذا اليها فعلمت انها ابنته فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة
والزهد أشد اشتهارا من أن تخفى فتبعث نفسي ان يصل اليها من مالي شئ يكون لي ثوابه وعلمت اني ان
دفعت اليها ذلك لم تأخذه ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهما ورددته كما كان وسلمته اليها
فقالت أي شئ خبر أبي فقلت سلامة فقالت قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع الى الله تعالى فقلت كما قالت
فاسألك بالله وبمن حججت اليه عن شئ فتصدقني فقلت نعم فقالت خلطت بهذه الدراهم شيأ من عندك فقلت
نعم اني علمت بذلك فقالت ان أبي ما كان يزيدني على الثلاثين شيأ لان حاله لا تحتمل أكثر منها الا أن يكون
ترك العبادة فلو أخبرتني بذلك ما أخذت منه أيضا شيأ ثم قالت لي خذ الجميع فقد عققتني من حيث قدرت
انك تبرني فقلت ولم قالت لا آكل شيأ ليس من كسبي ولا كسب أبي ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو
شيأ فقلت خذي منها ثلاثين كما أنفذ اليك أبوك وردي الباقي فقالت لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها
ولكن اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيأ وأنا الآن أقتات الى الموسم الآخر من المزابل لان
هذه كانت قوتي طول السنة وقد أجعتني ولولا انك ما قصدت أذاي لدعوت عليك قال فاغتممت وعدت

الى البصرة وجئت الى أبى الحسن فأخبرته واعتذرت اليه فقال لا آخذها وقد اختلطت بغير مالى وقد عققتنى وإياها قال فقلت فما أعمل بالدراهم فقال لا أدرى فما زلت مدة أعتذر اليه وأسأله ما أعمل بالدراهم فقال لى بعد مدة تصدق بها ففعلت وقال أبو الفتح بن أبى الفوارس أخبرنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا مسدد حدثنا الدورقى حدثنا عبد الله بن عبيد الله البكرى عن جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال رأيت بمكة امرأة من أحسن الناس عينين قال فكان النساء يجئن فينظرن اليها فأخذت فى البكاء فقيل لها تذهب عيناك فقالت ان كنت من أهل الجنة فسيبدلنى عينين أحسن من هاتين وان كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا قال فبكت حتى ذهبت احدى عينيها وقال مهدى بن حفص حدثنى أبو عبد الرحمن المغازلى قال كانت امرأة مجاورة بمكة تسمى حكيمة فدخلنا عليها ذات يوم فقالت لها امرأة كانت تخدمها اخوانك جاؤك يحبون أن يسمعوا كلامك قال فبكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت اخوانى وقرة عينى مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه قد يجوز فى ذلك اليوم فارغبوا الى السيد فى قبوله وتمام النعمة فيه وما خفتم أن يرد فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى اصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البدل ولا يقدر على الفداء قال ثم بكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت اخوانى وقرة عينى انما صلاح الأبدان وفسادها حسن النية وسوءها اخوانى وقرة عينى انما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم اليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبوا الله ورسوله فاحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله اخوانى وقرة عينى كلم الخوف قلوب أهله فاقطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات اخوانى وقرة عينى بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله انه واسع كريم وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن رباب الطائى حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن سفيان عن ابن أبى رواد قال كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدى الرجال قال وحدثنا أبو على المدينى حدثنا أبو الحسن اكدام وكان من خيار الناس قال كانت امرأة بمكة يأتيها العباد فيحدثون عندها ويتواعظون فقالت لهم يوما حجبت قلوبكم الدنيا عن الله فلو خليتموها لجالت فى ملكوت السماء ولا تتكم بطرف الفوائد قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى صالح بن عبد الكريم قال دلت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد فاتيتها وهى تتكلم قال فاحسنت حتى سكتت قال فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت لقد تكلمت فأحسنت ولقد خشيت عليك العجب فقالت انما العجب من شئ هو منك فاما ان كان من غيرك ففيم العجب ثم قالت وله خصائص مصطفون لحبه * اختارهم من سالف الازمان اختارهم من قبل فطرة خلقهم * بودائع وبحكمة وقيان ثم قالت انهض اذا شئت قال وحدثنى محمد بن عباد بن موسى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الرحمن بن الحكم قال كانت عجوز من قريش بمكة تأوى فى سرب ليس لها بيت غيره فقيل لها أترضين بهذا فقالت أوليس هذا لمن يموت كثير وقال ابن شاذان أخبرنا عثمان بن أحمد حدثنا العباس بن يوسف حدثنى محمد بن عبد الله القارى حدثنى محمد بن بكار قال كانت عندنا بمكة امرأة عابدة لا تمر بها ساعة الا وهى صارخة فقيل لها يوما انا نراك على حال ما نرى غيرك عليها فان كان لك داء عالجناك قال فسكتت وقالت من لى بعلاج هذا الداء وهل أفرح قلبى الا التفكر فى مثل معالجته أوليس عجبا أن أكون حية بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق الى ربى مثل شعل النار التى لا تطفأ حتى أصير الى الطبيب الذى عنده برء دائى وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان فى هذه الدار التى لا أجد فيها على البكاء مسعدا قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى عصام بن عثمان الحلبى حدثنى مسمع بن عاصم قال قالت لى رابعة العدوية اعتللت علة قطعتنى عن التهجد وقيام الليل فمكثت أياما أقرأ جزئى اذا ارتفع النهار لما يذكر فيه انه يعدل لقيام الليل قال ثم رزقنى الله العافية فاعتادتنى فترة فى عقب العلة فكنت قد سكنت الى قراءة جزئى

بالنهار وانقطع عن قيام الليل قالت فبينا أنا ذات ليلة راقدة رأيت في منامي كأني دفعت الى روضة خضراء ذات قصور ونبت حسن فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها اذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه قالت فشغلني حسنها عن حسنه فقلت ما تريدين منه دعيه فوالله ما رأيت طائرا قط أحسن منه قالت أفلا أريك أحسن منه قلت بلى قالت فاخذت بيدي فادارت بي في تلك الروضة حتى انتهت بي الى باب قصر فاستفتحت ففتح لها ثم قالت افتحوا الى بيت المقة قالت ففتح لها باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدي وما خلفي قالت فدخلت وقالت لي ادخلي قالت فدخلت الى بيت يحار فيه البصر تلألؤا وحسنا ما أعرف له في الدنيا شبها أشبهه قالت فبينا نحن نجول فيه اذ رفع لنا باب يخرق الى بستان قالت فأهوت نحوه وأنا معها فتلقانا منه وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم المجامر فقالت لهم أين تريدون قالوا نريد فلانا قتل في البحر شهيدا قالت أفلا تجمروا هذه المرأة قالوا قد كان لها في ذلك حظ فتركته قالت فأرسلت يدها من يدي ثم أقبلت علي فقالت

صلاتك نور والعباد رقود * ونومك ضد للصلاة عنيد

وعمرك غنم ان عقلت ومهلة * يسير ويفنى دائما ويبيد

قالت ثم غابت من بين يدي عن عيني واستيقظت حين تبدى الفجر قالت فوالله ما ذكرتها فتوهمتها الا طاش عقلي وأنكرت نفسي قال ثم سقطت رابعة مغشيا عليها (فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين) والمجتهدات في الطاعات (لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه) من النبذة اليسيرة (كفاية للمعتبر وان أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء) وطبقة الاصفياء تصنيف الشيخ الامام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الاصفهاني رحمه الله تعالى (فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم) قال في أول كتابه أما بعد أحسن الله توفيقك فقد استعنت بالله وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة من الصحابة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الادلة والحقائق وباشر الاحوال والطرائق وساكن الرياض والحدائق وفارق العوارض والعلائق الى آخر ما قال الى ان قال اذ لاسلافنا في التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور فقد كان جدي محمد بن يوسف البنا رحمه الله تعالى أحد من نشر الله به ذكر بعض المنقطعين اليه وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه ولنذكر هنا نبذة من ترجمته وعدة تصانيفه وكيفية الاتصال به هو الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن مهران سبط الشيخ العارف محمد بن يوسف البنا رحمهم الله تعالى ولد في رجب سنة ٣٣٦ وتوفي بكرة يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ٤٣٠ غسله الحافظ أبو مسعود ابراهيم بن سليمان وصلى عليه محمد بن عبد الواحد وله أربع وتسعون سنة ودفن الى جنب الشورذجاني وقبره يستجاب عنده الدعاء قال الحافظ أبو موسى المديني أسلم جده مهران وهو مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وجده من قبل أمه محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد الثقفي الصوفي الشهير بالبنا كان رأسا في التصوف وصنف كتبا حسانا وقال الحافظ أبو طاهر السلفي كان أبو نعيم في وقته مرحولا اليه ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده الى قريب من الظهر فاذا قام الى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزأ وكان لا يضجر ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو القراءة عليه قال سمعت مرة يذكر ان أبا نعيم سئل ممن تعلمت العربية فقال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني انه تخرج بقراءة الحديث وسماعه وكتبه والنظر فيه

ثم أقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة * وفيما ذكرناها كفاية للمعتبر وان أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم

وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى أهل زمانك وقالت انما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقهم وتركبي في سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك أن المصيبة اذا عمت طابت أم تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وأنت متعرضة له في كل حال ومن أين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

قال وسمعت السيد حمزة بن العباس العلوي الاصبهاني بهمدان يقول كان أصحاب الحديث في مجلس أحمد ابن الفضل الباطرقاني يقولون وأنا أسمع بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير ولا يوجد شرقا وغربا أعلى اسنادا ولا أحفظ منه وكانوا يقولون لما صنف كتاب الحلية حمل الى نيسابور حال حياته فاشتري هنالك بأربعمائة دينار وبلغت عدة تصانيفه أربعمائة مجلد قال الامام منتخب الدين أبو الفتوح العجلي كان أبو نعيم صاحب التصانيف الكثيرة ولعلها تبلغ أربعمائة ومناقبه تصانيفه وكتابه حلية الاولياء عشر مجلدات ومعرفة الصحابة في ثلاث مجلدات ودلائل النبوة في ثلاث مجلدات وقد حصلت بحمد الله تعالى كتابه حلية الاولياء أجزاء متفرقة من مواضع شتى وكل عندي غالبه الا ماقل منه وناهيك به شرفا ما ذكره بعضهم انه لا يدخل الشيطان بيتا فيه هذا الكتاب وقد جمع رجاله في ارجوزة محمد بن جابر الاندلسي في كراسين أحسن فيها الغاية ورويت هذا الكتاب عن جماعة من الشيوخ ما بين اجازة خاصة وعامة منهم المسند أبو حفص عمر بن أحمد بن عقيل بن الحسين المكي عن كل من المشايخ الثلاثة خاله حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري والشهاب أحمد بن علي بن محمد النخلي وأبي الاسرار الحسن بن علي بن يحيى الحنفي قالوا أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن زكريا أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي أخبرنا الحافظان أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ومستمليه زين الدين رضوان بن يوسف العقبي ومسند القاهرة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات قال الاولان أخبرنا الشرف محمد بن عبد اللطيف بن الكويك والزين عبد الرحمن بن أحمد الغزي قال ابن الكويك أخبرنا ابراهيم بن علي القطبي وقال الغزي أخبرنا علي بن اسمعيل المخزومي قالا أخبرنا النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني وقال ابن الفرات أخبرنا عمر بن الحسين المراغي أخبرنا الفخر محمد بن النجامي قال هو والحراني أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان وأبو الحسن مسعود بن محمد بن منصور الجمال قال أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد أخبرنا الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى (وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى أهل زمانك وقالت انما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان) عليه (و) أما (الآن فان خالفت أهل زمانك) في زيهم وطريقتهم (رأوك مجنونا) قليل العقل (وسخروا بك) واستقلوا مقامك (فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت) أي شملت الناس جميعا (طابت) وهانت (فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها أرأيت) أيتها النفس (لو هجم سيل جارف) يجرف الارض وما عليها (يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم) ماكثين (ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على ان تفارقهم وتركبي في سفينة تتخلصي بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت أم تتركي موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذي حذرك مما دهاك) وهجم عليك (فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق) والهلاك (وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة) وبها تزهق الروح (فكيف لا تهربي من عذاب الابد وأنت متعرضة له في كل حال ومن أين تطيب المصيبة) وتهون (اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا) كما أخبر الله تعالى عنهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك أو تحملها على الاجتهاد فاستعصت) ولجت في طغيانها وأبت في طاعتك فيما تحملها (ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها) بعصا المواعظ والزواجر (وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها لتنزجر عن طغيانها) ومن أراد الزيادة على هذا فلا يشفيه الا ما ذكره المصنف في المرابطة السادسة قال رحمه الله تعالى

(المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها) اعلم ان أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة

المدعوة الى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وانها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غدا فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت أما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضي الى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب أما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم

(المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) كما ورد في مرسل سعيد بن أبي هلال ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وان قتلته كان لك نورا ولكن أعدى الاعداء لك نفسك التي بين جنبيك رواه أبو محمد العسكري في الامثال (وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها) وتعديلها (وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان أهملتها جمحت) وعصت (وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك) واحتجت الى معالجة شديدة (وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها) فقال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي النفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصير وادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم (ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية) كما قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغل أولا بوعظ نفسك) فقد ورد انه (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستح مني) رواه أحمد في الزهد عن مالك بن دينار وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا الحسين بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد ابن معاوية حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول أوحى الله الى عيسى عليه السلام يا عيسى عظ نفسك فذكره (وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها) وحمقها (وانها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق) والغباوة (فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطانة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو) واللعب (وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين) من بين أهلك وأحبابك (أو غدا فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين ان كل ما هو آت قريب) وكأن قد (وان البعيد ماليس بآت أما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول) منه ينبهك على اتيانه (ومن غير مواعدة ومواطأة) لمجيئه (وانه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضي الى الموت) وقد ورد في السنة ما يدل على ذلك فقد روى هناد في الزهد وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الشعب والقضاعي في المسند عن الحسن مرسلا الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض للمؤمن يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء (فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب أما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم) أي بالاضافة الى ما مضى أو عند

وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما أعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين انك تطيقين عقابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربي أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أفتحسبين ان الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في أمر الآخرة وأن ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل أمر الآخرة الى سعيك فأعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين انك تتركين سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله يستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أولان كل ما هو آت قريب قال الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

وانما البعيد ما انقرض واللام صلة لاقترب أو تأكيد الاضافة وأصله اقترب حساب الناس (وهم في غفلة معرضون) عن التفكر فيه (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم محدث) تنزيله لكي يتعظوا (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب (لاهية قلوبهم) أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه (ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما أعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس) في نهار الصيف (أو في بيت الحمام أو قربي أصبعك من النار) أو من شعلة السراج (ليتبين لك قدر طاقتك) ما أظن انك تطيقين ذلك (أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو) أو خفت منه (فلم تستنبطين الحيل في دفعه) بكل ممكن (ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فمالك قد تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك) أي يطلعك (على كنز) تنفقي منه (أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أفتحسبين ان الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى) وان سعيه سوف يرى (ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك) جل شأنه (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في أمر الآخرة وأن ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين) أي تتهارشين (على طلبها تكالب المدهوش المستهتر) كالذي لا يعقل (ووكل أمر الآخرة الى سعيك فأعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار) مع انهم قد آمنوا بلسانهم (ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين انك تتركين سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) نزع بذلك الى قوله تعالى أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى والى هذا المعنى أشار القائل

فان كان هذا من اضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك أفتكذبينه فى قوله ثم اذا شاء أنشرك فان لم تكونى مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك ولوان يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو أخبرك طفل بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبته بدليل وبرهان أفكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء أقل عندك من قول صبى من جملة الاغبياء أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها الا يوما أو أقل منه ماهذه افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين منذكم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه أعجز وأعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فاخرها الى سنة أخرى مع العلم بان طول

المدة

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شى

(فان كان هذا من اضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فاقبرك أفتكذبينه فى قوله اذا شاء أنشرك فان لم تكونى مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك ولوان يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم) مع ماله من العداوة الدينية معك بحيث لو خلالك لقتلك (والعجب انه لو أخبرك طفل بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء أقل عندك من قول صبى من جملة الاغبياء أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أقصر عندك من عقرب لا تحسين بألمها الا يوما أو أقل منه ماهذا أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعلك يختطفك من غير مهل فبماذا أمنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة) وهو غاية الامانى (أفتظنين ان من يطعم الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة) من وطنه (فاقام فيها سنين) مدة (متعطلا بطالا) لم يشغل نفسه بالتعلم (يعد نفسه بالتفقه فى السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره) كما فى الخبر حفت الجنة بالمكاره (ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده أما تتأملين منذكم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت ان الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه أعجز وأعجز) أى أكثر عجزا (لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها) واستئصالها (فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فاخرها الى سنة أخرى مع العلم بان طول

المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا وهنا فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقة فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة

لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويتهنأ بشربه طول عمره وأخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي أو لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت

المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا وهنا فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم) فان الهرم يزداد كل آن ضعفا فرياضته من جملة العناء (ومن التعذيب تهذيب الذيب) فانه جبل على الخبث فلا ينفع فيه التهذيب ومنه قول الشاعر

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع فيه الاديب

(والقضيب الرطب ينفع فيه الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك) أبدا (فاذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الامور) الواضحة (الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة) والاصابة (وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية من الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة) فان لذاتها هي الموصوفة بذلك (فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات) وهو مثل مشهور أورده الحريري في المقامات (وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح) مزاجه (ويتهنأ بشربه طول العمر وأخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا) لا يفارقه (وامتنع عليه شربه طول العمر ٧ يقضي شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين) أي تتساهلين (عن النظر الى نفسك الا لكفر خفي أو لحمق جلي أما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرم الله في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من حديث شداد بن أوس وفي رواية لهم والعاجز بدل الاحمق وقد تقدم مرارا (ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور) كما قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك) فانها عزيزة (فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت) فقد روى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس اغتنم خمسا

واستعدّي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب
ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك أفتظنين أيتها النفس ان
زمهرير جهنم أخف برداً واقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا كذلك وان يكون بينهما مناسبة في
الشدة والبرودة أفتظنين أن العبد يخوض منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها
الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون
حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة
وحجر حتى تدفعي بها برد
الشتاء عن نفسك وكما أن
شراء الحطب والجبة مما
يستغني عنه خالقك ومولاك
وانما تشتريه لنفسك اذ
خلقه سبباً لاستراحتك
فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً
هو مستغن عنها وانما هي
طريقك الى نجاتك فمن
أحسن فلنفسه ومن أساء
فعليها والله غني عن العالمين
ويحك يا نفس انزعي عن
جهلك وقيسي آخرتك
بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة وكما بدأنا
أول خلق نعيده وكما بدأكم
تعودون وسنة الله تعالى
لا تجدين لها تبديلا ولا
تحويلا ويحك يا نفس
ما اراك الا ألفت الدنيا
وأنست بها فعسر عليك
مفارقتها وانت مقبلة على
مقاربتها وتؤكدين في
نفسك مودتها فاحسبي أنك
غافلة عن عقاب الله وثوابه
وعن أهوال القيامة
وأحوالها فما أنت مؤمنة
بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم من
أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى أما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز
وكل ما فيها لا يصحب المجتاز بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك
مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع ان
الموت من ورائه فانما يستكثر

قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك
وقد رواه ابن المبارك وأحمد معا في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية والبيهقي أيضا عن عمرو بن ميمون الاودي
مرسلا (واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له
القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب) الموافقة للزمان (ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه
حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك أفتظنين أيتها النفس ان زمهرير
جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان ذلك دون هذا كلا ان يكون هذا كذلك
وان يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة أفتظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي وهيهات كما لا يندفع برد
الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات)
فقد روي من طريق أهل البيت لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي (وانما كرم الله تعالى في
ان عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله
تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعي بها برد
الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك
اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن
أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك) وغيك وارعوي
عن طغيانك (وقيسي آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده وكما
بدأكم تعودون وسنة الله) في خلقه (لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا) فتأملي في ذلك (ويحك يا نفس ما أراك
الا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها
فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها) وشدائدها (فما أنت مؤمنة
بالموت المفرق بينك وبين محابك) وأحبابك (أفترين ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر
متفرجا (فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته أهو معدود
من العقلاء أو من الحمقى اما تعلمين أن الدنيا دار ملك من الملوك ومالك فيها الا المجاز) يشير بذلك الى قول عيسى
عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها (وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال
سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ما شئت
فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت) رواه الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه
والطبراني في الأصغر والاوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف وقد تقدم في كتاب العلم (ويحك يا نفس
اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع أن الموت من ورائه) وبالمرصاد منه (فانما يستكثر

من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدرى أوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم اما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون يبنى كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا أما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبى أنك لست ذات بصيرة تهتدى الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يا نفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها أوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد لك وأطاعك أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقى هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويأبى ادبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها أم مالك لا تزهدين فى قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ومالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك اذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادرى ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير

من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدرى أوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا) ما بنوا (ثم ذهبوا وخلوا) أى تركوا ومنه قولهم يا من بنى وعلى ثم راح وخلى (وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما تراهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون) وقد روى الطبرانى فى الكبير من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب يا أيها الناس أما تستحيون تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون ألا تستحيون من ذلك (يبنى كل واحد منهم قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبى انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا) الحريصين على تحصيلها (واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يا نفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها أوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد لك وأطاعك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة) أو أقل من ذلك (لا تبقى أنت ولا أحد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا (فكيف تبيعى يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقى هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسماء كيف ويأبى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها) أى تعبها (وتوقيا من سرعة فنائها أم مالك لا تزهدين فى قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها ومالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك اذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين) والصالحين (فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادرى ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت) وجاء الاجل (وورد النذير)

فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ويحك يانفس مالك الا الأيام معدودة هي
بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ماضيعت منها لكنت المقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية
وأصررت على عادتك أما تعلمين يانفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الاكبر بين يديك أما علمت
يانفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من
مكانهم مالم يأخذوك معهم أما تعلمين يانفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك مافرط منهم أنت في أمنيتهم ويوم من عمرك لو يبيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة ويحك يانفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية أما تعلمين يانفس ان المذنب أنتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ويحك يانفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك يانفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى
حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات مالو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في
يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة
بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يانفس ما أغدرك ويحك يانفس ما أوقحك ويحك يانفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصي ويحك
كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يانفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين
الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح

وهو الشيب (فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت
ويحك يانفس مالك الا أياما معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك
على ماضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك أما تعلمين
يانفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الاكبر بين يديك أما علمت
يانفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك) روى أبو نعيم في الحلية أن رجلا جاء للفضيل فقال عظني
فقال له ان عسكر الموتى ينتظرونك (وقد آلوا كلهم على أنفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم
مالم يأخذوك معهم) فلا بد وان يأخذوك معهم (أما تعلمين يانفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما
يشتغلون بتدارك مافرط منهم وأنت في أمنيتهم) كما قال تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (ويوم من عمرك
لو يبيع منهم بالدنيا بحذافيرها) أي بتمامها (لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة
والبطالة ويحك يانفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم أفتستحيين من
الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة
بالرذائل تدعين) غيرك (الى الله) تعالى (وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية أما تعلمين يانفس
ان الذنب أنتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك
ويحك يانفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا بشؤمك) وسوء فعالك
(ويحك يانفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد) من الشهوات (ويسخر بك ومع
هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات مالو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في يديك وكيف تعجبين بعملك
مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس) وطرده من جواره (بخطيئة واحدة) وهي مخالفة أمر الله
تعالى في السجود لآدم عليه السلام (بعد ان عبده مائتي ألف سنة) قبل خلق آدم عليه السلام كما في خبر
ابن عباس رواه الحاكم وروى ابن جرير وابن الانباري عن ابن عباس قال كان ابليس قبل أن يركب
المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما
فذلك دعاه الى الكبر وعند وكيع وابن المنذر عنه قال كان من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا
وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال كان رئيس ملائكة سماء الدنيا (وأخرج آدم) عليه السلام
من الجنة (بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه) وتلك قربانه الشجرة المنهي عنها روى ابن عساكر
عن عطاء ان آدم لما أهبط من الجنة خر في موضع البيت ساجدا فمكث أربعين يوما لا يرفع رأسه وروى
ابن سعد عن الحسن قال بكى آدم على الجنة ثلثمائة سنة (ويحك يانفس ما أغدرك ويحك يانفس ما أوقحك
ويحك يانفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصي ويحك كم تعقدين) بينك وبين الله عقدا (فتنقضين
ويحك كم تعهدين مع الله عهدا فتغدرين ويحك يانفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك
غير مرتحلة عنها أما تنظرين الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح

جمعهم

جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يانفس أمالك بهم عبرة أمالك اليهم نظرة أتظنين انهم دعوا الى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ماتتوهمين ماأنت الافى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك اماتخافين اذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يانفس انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولاتحزنين بنقصان عمرك ومانفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يانفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لايستكمله وكم من مؤمل لغد لايبلغه فانت تشاهدين ذلك فى اخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالتك فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لايترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يانفس بأى بدن تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين وأعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى ببقية عمرك فى أيام قصار لايام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملى قبل ان لاتعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجى منها على الاضطرار ولاتفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لايشعر فويل لمن له الويل ثم لايشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يانفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولاتكونى ممن يعجز عن شكر ماأوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى وينهى الناس ولا ينتهى واعلمى يانفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر

جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا) روى ذلك من كلام على رضى الله عنه قاله فى بعض خطبه (ويحك يانفس أمالك بهم عبرة) تعتبرين بها (أمالك اليهم نظرة) تتعظين بها (أتظنين انهم دعوا الى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ماتتوهمين ماأنت الافى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابنى على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك) روى ابن عساكر عن مجاهد قال ان الله لما أهبط آدم وحواء الى الارض قال اهبطوا الى الارض فلدوا للموت وابنوا للخراب ورواه ابن المبارك فى الزهد نحوه وفى حديث الزبير مامن صباح يصبح على العباد الاوصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب رواه البيهقى فى الشعب وقال أبوذر رضى الله عنه تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون مايفنى وتتركون مايبقى رواه أبونعيم فى الحلية وقال عيسى عليه السلام يابنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم رواه أحمد فى الزهد وقد نظم الحافظ ابن حجر هذا المعنى فقال

بنى الدنيا أقلوا الهم فيها * فما فيها يؤول الى الفوات
بناء للخراب وجمع مال * ليفنى والتوالد للممات

(اماتخافين اذا بلغت النفس منك التراقى ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم) وقد فات وقته (أو يقبل منك الحزن) حيث لاينفع (أو يرحم منك البكاء) والدموع (والعجب كل العجب منك يانفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولاتحزنين بنقصان عمرك ومانفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يانفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لايستكمله وكم من مؤمل لغد لايبلغه فانت تشاهدين فى اخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالتك فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله) تعالى (فيه على نفسه أن لايترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته) كما وردت بذلك الاخبار (فانظرى يانفس بأى بدن تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين واعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى ببقية عمرك فى أيام قصار لايام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملى قبل أن لاتعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطرار ولاتفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون) فى سروره (ورب مغبون لايشعر) بغبنه (فويل لمن له الويل) دركة من دركات جهنم (ثم لايشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يانفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا) فالمفر المفر قبل أن تسحب وتجر واسمعى النصيحة قبل حلول الفضيحة (ولاتكونى ممن يعجز عن شكر ماأوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى) وانى له الزيادة ولم يشكر وقد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (وينهى الناس ولاينتهى) قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (واعلمى يانفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر) روى ابن عدى والديلمى وابن عساكر من حديث ابن

فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى أكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك يغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد أصبحت اليه اليوم مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به بر رؤف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا الجريء الذي لا أقلع أنا المتمادي الذي لا أستحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك

عباس الليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغا الى الآخرة (فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية وان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام) بالليل والناس نيام فعسى أن تزول بذلك قساوة قلبك (فان لم تزل فالمواظبة على الصيام فان الجوع يسد مجاري الشيطان في العروق فان لم تزل فبقلة المخالطة) مع الناس (والكلام فان لم تزل) بذلك (فبصلة الارحام واللطف بالايتام) فان ذلك يورث الرقة بالقلب (فان لم تزل) بذلك (فاعلمي ان الله) تعالى (قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له) روى الطبراني في الصغير والاوسط بسند ضعيف والخطيب من حديث أبي هريرة ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وخلق النار وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد تقدم وروى مسلم من حديث عائشة ان الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا (فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط من رحمة الله تعالى كبيرة من الكبائر نعوذ بالله تعالى من ذلك) كما تقدم في كتاب التوبة (فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير فان ذلك اغترار وليس برجاء) وقد سبق الكلام على ذلك في كتاب الرجاء (فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى أكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك) على حالك (فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وانزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر) قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (وقد أصبحت اليوم مضطرة الى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ) والحاصل أن العبد اذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور أحدها ان يتدارك بالتوبة والجبر فان لم يستطع لغلبة الشهوة عالج تلك الشهوة بالدواء المعروف لها فان لم تنكسر تلك الشهوة بالعلاج عاتبها ووبخها وقرر عندها جهلها وحماقتها وان تماديها واصرارها يؤدي الى هلاكها فان ارتدعت بذلك والا فالدعاء والاعتراف والالتجاء الى الله تعالى (فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به بر رؤف والرحمة واسعة) والفضل جزيل (والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر) على ذنبي (أنا الجريء) على معصيتك (الذي لا أقلع) عنها (أنا المتمادي الذي لا يستحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق

الغريق) في بحر العصيان (فعجل اغاثتي) وارحم مسكنتي وفاقتي (و) عجل (فرجي) وفرجي (وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين) كل ذلك مع مراعاة الآداب التي ذكرت في كتاب الادعية (اقتداء بأبيك آدم عليه السلام) اذ قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهي الكلمات التي تلقاها في قول الاكثرين (فقد قال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة مكث لا ترقأ له دمعة) أي لا تسكن عن الجريان (فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع) من هبوطه (وهو محزون كئيب كظيم) ملآن من الحزن (منكس رأسه) حياء من ربه (فاوحى الله اليه يا آدم ماهذا الجهد الذي أدى بك قال يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلثمائة عام) وروى ابن سعد عن ابن عباس قال لما أهبط الله آدم من الجنة أنشا يقول ربي كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فاهبطتني هذا الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بالعرش وأجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهب عني ريح الجنة فاجابه الله تعالى ان معصيتك يا آدم فعلت ذلك بك قال فبكيا على ما فاتهما مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب حواء مائة سنة وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال بكى آدم حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه أحد فلو ان بكاء آدم وزن مع بكاء داود على خطيئته ما عدل بكاء آدم حين أخرج من الجنة ومكث أربعين سنة لا يرفع رأسه الى السماء وروى البيهقي في الشعب عن بريدة لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده لرجح دموعه على دموع جميع ولده وروى ابن سعد عن الحسن قال بكى آدم على الجنة ثلثمائة سنة وروى الطبراني في الاوسط وابن عساكر بسند ضعيف من حديث عائشة لما أهبط الله آدم الى الارض قام وجاه الكعبة فصلى ركعتين فالهمه الله هذا الدعاء اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله اليه يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت ذنبك ولن يدعوني أحد بهذا الدعاء الا غفرت ذنبه وكفيته المهم من أمره ورواه الجندي في فضائل مكة نحوه ورواه الازرقي في تاريخ مكة والطبراني في الاوسط والبيهقي في الدعوات وابن عساكر من حديث بريدة نحوه وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن زيد في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات قال لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت خير الغافرين لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني فانك أنت أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم ذكر انه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن شك فيه وروى هناد في الزهد عن سعيد ابن جبير قال لما أصاب آدم الخطيئة فزع الى كلمة الاخلاص لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجملة الثانية والاخيرة وروى ابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان آدم عليه السلام طلب التوبة مائتي سنة حتى آتاه الله الكلمات ولقنه اياها قال بينا آدم جالس يبكي واضع راحته على جبينه اذ أتاه جبريل فسلم عليه فبكى آدم وبكى جبريل لبكائه فقال له يا آدم ماهذه البلية التي أجحف

الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة الى الارض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ماهذا الجهد الذي أرى بك قال يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام

بك بلاؤها وشقاؤها وماهذا البكاء قال يا جبريل وكيف لا أبكي وقد حولني ربي من ملكوت السموات الى هوان الارض ومن دار المقامة الى دار الظعن والزوال ومن دار النعمة الى دار البؤس والشقاء ومن دار الخلد الى دار الفناء كيف أحصي يا جبريل هذه المصيبة فانطلق جبريل الى ربه فاخبره بمقالة آدم فقال الله عز وجل انطلق يا جبريل الى آدم فقل يا آدم ألم أخلقك بيدي قال بلى يارب قال ألم أنفخ فيك من روحي قال بلى يارب قال ألم أسجد لك ملائكتي قال بلى يارب قال ألم أسكنك جنتي قال بلى يارب قال ألم آمرك فعصيتني قال بلى يارب قال وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لوان ملء الارض رجالا مثلك ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين غيرانه يا آدم سبقت رحمتي غضبي قد سمعت بصوتك وتضرعك ورحمت بك وأقلت عثرتك فقل لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجمل الثلاثة المتقدمة قال فذلك قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية (وكان عبيد الله البجلي) هكذا في النسخ بالباء الموحدة المفتوحة وجيم نسبة الى بجيلة وهي نسبة معروفة وفي بعضها النحلي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة نسبة الى نحل العسل والله أعلم أيهما هو (كثير البكاء) فكان (يقول في بكائه طول ليله الهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تهيأ واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال) أبو السري (منصور بن عمار) الواعظ الخراساني نزيل بغداد ترجمه القشيري في الرسالة توفي سنة ٢٢٥ (سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل) أي باطلاعك علي (ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخي علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي قال متى أتوب والى متى أعود اما آن لي أن أستحيي من ربي) ومن معاتبة النفس ما رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا المفضل بن محمد حدثنا اسحق بن ابراهيم قال قال رجل للفضيل بن عياض كيف أصبحت يا أبا علي وكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت فقال في عافية فقال كيف حالك فقال عن أي حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة ان كنت تسأل عن حال الدنيا فان الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب وان كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ولم يتصنع للموت ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا هيه وقد يحدث يعني نفسه واجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ فقد تفرغت للحديث ثم قال هاه وتنفس طويلا ويحك وانت تحسن تحدث أوأنت أهل أن يحمل عنك استحي يا أحمق بين الحمقين لولا قلة حيائك وصفاقة وجهك ما جلست تحدث وأنت أنت أما تعرف نفسك أما تذكر ما كنت وكيف كنت اما لو عرفوك ما جلسوا اليك ولا كتبوا عنك ولا سمعوا منك شيئا أبدا فيأخذ في مثل هذا ثم يقول ويحك أما تذكر الموت أما للموت في قلبك موضع ما تدري متى تؤخذ فيرمى بك في الآخرة فتصير في القبر وضيقه ووحشته أما رأيت قبرا قط أما رأيت حين دفنوه أما رأيت كيف سلوه في حفرته وهالوا عليه التراب والحجارة ثم قال ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله يعني نفسه ندري من يتكلم بفمه كله عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم أعطى رجلا عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له ألا تزيد ابنك كما زدت هذا قال ان أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا (فهذه طريق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء) أي طلب الرضا من

وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله الهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تهيأ واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخي على فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى أتوب والى متى اعود اما آن لي ان استحيي من ربي فهذه طريق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء

ربهم (ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام) وبه تم شرح كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لله الذي به تتم الصالحات وبذكره تتنزل البركات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام الهداة قال المؤلف رحمه الله تعالى نجز ذلك في الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء سادس صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١ على يد مؤلفه الفقير الى مولاه محمد مرتضى الحسيني أبي الفيض غفرت ذنوبه وسترت عيوبه بمنه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء * اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه * هو المنان بفوائد النعم * وعوائد المزيد والقسم * وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل * الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شئ قبله * والآخر الذي ليس له بعد فيكون شئ بعده * والرادع أناسي الابصار من أن تناله أو تدركه * ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال * ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال * وهو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته * وحاول الفكر المبرأ من خطر الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته * وتولهت القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته * وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته * ردعها وهي تجوب * مهاوي سدف الغيوب * متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته * ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته * الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله * ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وأرانا من ملكوت قدرته * وعجائب ما نطقت به آثار حكمته * واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمساك قوته * ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته واعلام حكمته * فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه * وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة * ودلالته على المبدع قائمة * قدر ما خلق فاحكم تقديره * ودبره فالطف تدبيره * ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته * ولم يستصعب اذ أمر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور من مشيئته * المنشئ أصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها * ولا قريحة غريزة أضمر عليها * ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور * ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الامور * فاقام منها أودها * ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها * ووصل أسباب قرائنها * وفرقها أجناسا مختلفات * في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات * بدايا خلائق أحكم صنعها * وفطرها على ما أراد وابتدعها * عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين * وخواطر رجم الظنون وعقد عزمات اليقين * ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكناف القلوب * وغيابات الغيوب * وما أصغت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام * ورجع الحنين من الوالهات وهمس الاقدام * ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها * ومختبا البعوض بين سوق الاشجار وألحيتها * ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها * ودرور قطر السحاب وتراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها * وتعفو الامطار بسيولها * وعوم نبات الارض في كثبان الرمال * ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال * وتغريد ذوات المنطق في دياجير الاوكار * وما أودعته الاصداف وحضنت عليه أمواج البحار * وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار * وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة * وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة * ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة * وهماهم كل نفس هامة * وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة * أو نقاعة دم ومضغة * أو ناشئة خلق وسلالة * لم تلحقه في ذلك كلفة * ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة

ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة والمراقبة يتلوه كتاب التفكر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

(كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقى أقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها أجيلى فى ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر فى الافعال الى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة

ولا اعتزته فى تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة * بل نفذ فيهم علمه * وأحصاهم عدده * ووسعهم عدله وغمرهم فضله * مع تقصيرهم عن كنه ماهو أهله * فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم * ولا يناله حسن الفطن أحمده حمد موحد أفرده بالتوحيد ولم ير مستحقا لهذه المحامد غيره وأشهد أن لا اله الا الله الذى لا خير الا خيره وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله * الذى أخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الارومات مغرسا * من الشجرة التى صدع منها انبياءه وانتجب منها أمناءه * عترته خير العتر واسرته خير الاسر * وشجرته خير الشجر * نبتت فى حرم وبسقت فى كرم * لها فروع طوال * وثمر لا ينال * فهو امام من اتقى * وبصيرة من اهتدى * سراج لمع ضوءه * وشهاب سطع نوره * وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد * وكلامه الفصل * وحكمه العدل صلى الله عليه وعلى آله الاتقياء الابرار وأصحابه الاماثل الاخيار * وعلى التابعين لهم باحسان الى مابعد يوم القرار * وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذا شرح (كتاب التفكر) وهو التاسع والثلاثون من كتب احياء علوم الدين لامام أئمة المسلمين وصدر صدور القادة المتقين حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى سقى الله جدثه بعهاد صوب الغفران المتوالى * يوضح منه ما أشكل ويفصح منه ما أبهم * و يفصل منه ما أجمل * ويبين المعنى المراد من سياقاته على الوجه الاكمل ولم آل جهدا فى تتبع مواقع اشاراته على سبيل الاختصار * وتهذيب معالم عباراته فى مثارات الاعتبار شرعت فيه والافكار بتواتر الانكاد مفرقة * والخواطر هذه مغربة وهذه مشرقة * كيف وقامت نواعق الفتن على ساق * وادلهمت الخطوب وعز الارفاق * والله أرجو كفاية كل مهم * ودفاع الخطب الملم وازاحة الطارق المدلهم * انه على مايشاء قدير * و بالاجابة جدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا) أى لم يجعل لغلبته الآتية على كل الظاهر والباطن جهة ولا ناحية يقال نحا نحو كذا أى قصد جهته قال الشاعر

نحونا نحو دارك ياحبيبى * وجدنا نحو ألف من رقيب

والقطر بالضم الناحية والجمع الاقطار يقال بلغ أنحاءه وأقطاره (ولم يجعل لمراقى أقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى عظمته مجرى) أى عظمته تعالى جلت عن أن ترقى اليها الاوهام باقدامها أو ترمى اليها الافهام بسهامها فاقليس فى مسارح ميادينها لها مجرى لقصورها عن ادراك كنه العظمة (بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء) أى صحراء (كبريائه والهة حيرى) أى متحيرة جمع حيران كسكرى وسكران والوله محركة ذهاب العقل من شدة الحزن (كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال) أى نوره وبهاؤه (قسرا) أى قهرا يشير الى الحديث المتقدم ذكره ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (واذا همت بالانصراف آيسة) من نيل المطلوب (نوديت من سرادقات الجمال صبرا) أيها الطالب (صبرا) أى عليك بالصبر فى سلوكك ولا تيأس واثبت فيما أنت عليه (وقيل لها) أى للقلوب (اجيلى فى ذل العبودية منك فكرا) واجالة الفكر ادارته (لانك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا) لقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى) الشاملة (وأياديه) الكاملة (كيف توالت عليك) أى تتابعت (تترى) بعضها وراء بعض (وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا) بان تذكريها ثم تشكرى عليها لقوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون (وتأملى فى بحار المقادير) جمع المقدور وهو ماقدره الله تعالى على الخلق قبل أن يخلق العرش والكرسى واللوح والقلم (كيف فاضت على العالمين) وشملتهم (خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا) فهذه كلها من مقدورات الله سبحانه يجب الايمان بها والتأمل فى أسرارها (فان جاوزت) النظر منك (فى الافعال) الالهية (الى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا امرا) أى صعبا (وخاطرت بنفسك مجاوزة حد الطاقة

البشرية

البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وان كان
لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين

البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول) أي تحيرت (دون مبادي اشراقه) فضلا عن مناهيه (وانتكصت) أي كرت راجعة على أعقابها (اضطرارا وقهرا والصلاة على) سيدنا محمد (سيد ولد آدم الاولين منهم والآخرين (وان كان) هو (لم يعد سيادته فخرا) أي لم يفتخر بها يشير الى ما ورد انا سيد ولد آدم ولا فخر (صلاة تبقى لنا) أي مثبتة في صحائف أعمالنا (في عرصات القيامة) عند وزن الاعمال (عدة وذخرا) أي وسيلة للنجاة من الهلاك (وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا) يستضاء به ويهتدى بنوره (ولطوائف المسلمين) أي لجماعتهم (صدرا) أي مقدما يقتدى به (وسلم) تسليما (كثيرا) كثيرا (أما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة) قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ ستين سنة باسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة واسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة اهـ قلت لكن لفظ أبي الشيخ فكرة ساعة هكذا رواه عن أبي هريرة ولفظ الديلمي تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة وللديلمي من وجه آخر من حديث أنس نحو قول ابن عباس ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة عن أنس مرفوعا بلفظ خير من قيام ليلة ورواه أبو الشيخ أيضا في كتاب العظمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس رفعه التفكر في عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وخير الناس المتفكرون في ذات الله وشرهم من لا يتفكر في ذات الله (وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار) هو افتعال من الفكر بمعنى التفكر (ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم) أي به تستفاد العلوم وبه تحصل المعارف والفهوم (وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته) لما يتلى على اسماعهم من تكرار ذكره في كتاب الله تعالى والاخبار النبوية (لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الاحوال) المستفادة من العلوم (أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى)

(فضيلة التفكر)

اعلم أنه (قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال) ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي يذكرونه دائما على الحالات قائمين وقاعدين ومضطجعين (ويتفكرون في خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه أو الخلق على انه أريد به المخلوق من السموات والارض والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبتدأ الوجود الانساني وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك (وقد قال ابن عباس) رضي الله عنه (ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في

بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الاحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

(فضيلة التفكر)

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره

الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك
انتهى قلت حديث ابن عمر لفظه تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني
وأبو نصر في الابانة وقال غريب ورواه ابو الشيخ من حديث ابن عباس تفكروا في الخلق ولا تفكروا في
الخالق فانكم لا تقدرون قدره ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة تفكروا في خلق الله ولا
تفكروا في الله وقال عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش له حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن
عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في الله فان بين السماء السابعة الى
كرسيه ألف نور وهو فوق ذلك ورواه كذلك أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نصر السجزي والبيهقي في
الاسماء والصفات وروى أبو الشيخ من حديث أبي ذر تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا
(وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا
نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا
بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله
عز وجل طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد
آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا) قال العراقي رويناه في جزء ثم ترك البياض ولم يعين الجزء ولا من رواه وقد
ذكره المصنف في كتاب الجواهر والدرر من حديث ابن عباس ان لله ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون
وهي مثل الدنيا ثلاثون مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله تعالى يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله تعالى
خلق آدم وابليس انتهى قلت رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة ان لله تعالى أرضا من وراء
أرضكم هذه بيضاء نورها وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما فيها عباد الله لم يعصوه طرفة عين ما يعلمون
ان الله خلق الملائكة ولا آدم ولا ابليس هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله من ضوء نوره وروى أبو
نعيم في الحلية من طريق اسمعيل بن عياش عن الاحوص بن حكيم عن شهر عن ابن عباس أنه صلى الله عليه
وسلم خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته فقال تفكروا في خلق
الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره الحديث وفيه ذكر اسرافيل وهو الذي أشار اليه العراقي
في الذي قبله وان اسناده ضعيف وروى أجود من طريقه الطبراني ثم صاحب الحلية من طريق عبد الجليل
ابن عطية عن شهر عن عبد الله بن سلام قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه وهم
يتفكرون في خلق الله فقال لهم فيم كنتم تتفكرون قالوا نتفكر في خلق الله فقال لا تتفكروا في الله
وتفكروا في خلق الله فان ربنا خلق ملكا قدماه في الارض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا
من بين قدميه الى كعبيه مسيرة ستمائة عام وما بين كعبيه الى اخمص قدميه مسيرة ستمائة عام الخالق
أعظم من المخلوق وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال مالكم لا تتكلمون قالوا نتفكر في خلق الله قال كذلك
فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه قال الحافظ السخاوي في المقاصد وهذه الاخبار أسانيدها ضعيفة
لكن اجتماعها يكسب قوة والمعنى صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة لا يزال الناس يتساءلون حتى
يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيأ فليقل آمنت بالله (وعن عطاء) بن أبي رباح
المكي الفقيه الثقة روى له الجماعة (قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير) بن قتادة الليثي قاص أهل مكة ثقة روى
له الجماعة (الى عائشة رضي الله عنها وبينها وبيننا حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خرج على قوم ذات يوم
وهم يتفكرون فقال مالكم
لا تتكلمون فقالوا نتفكر
في خلق الله عز وجل قال
فكذلك فافعلوا تفكروا في
خلقه ولا تتفكروا فيه فان
بهذا المغرب أرضا بيضاء
نورها بياضها او بياضها
نورها مسيرة الشمس
أربعين يوما بها خلق من
خلق الله عز وجل لم يعصوا
الله طرفة عين قالوا يا رسول
الله فاين الشيطان منهم
قال ما يدرون خلق الشيطان
أم لا قالوا من ولد آدم قال
لا يدرون خلق آدم أم لا
وعن عطاء قال انطلقت يوما
أنا وعبيد بن عمير الى عائشة
رضي الله عنها فكلمتنا
وبيننا وبينها حجاب فقالت
يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا
قال قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم زر غبا تزدد حبا
قال ابن عمير فاخبرينا باعجب
شئ رأيته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فبكت
وقالت كل أمره كان عجبا
أتاني في ليلتي حتى مس
جلده جلدي ثم قال ذريني
أتعبد لربي

عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) قال العراقي تقدم في كتاب الصبر والشكر وانه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء انتهى قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكر وابن عساكر كلهم عن عطاء نحوه وفيه ثم قام فصلى فبكى حتى سال دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة وأما حديث زرغبا تزدد حبا فرواه البزار والحرث بن أبي أسامة في مسنديهما ومن طريق ثانيهما أبو نعيم في الحلية من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابي هريرة به مرفوعا وكذا أخرجه العسكري في الامثال والبيهقي في الشعب وقال ان طلحة غير قوي وقد روى هذا الحديث باسانيد هذا أمثلها وقال العقيلي هذا الحديث انما يعرف بطلحة وقد تابعه قوم نحوه في الضعف وانما روى هذا عن عطاء عن عبيد بن عمير قوله انتهى قال الحافظ السخاوي يشير الى مارواه ابن حبان في صحيحه عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد قد آن لك أن تزورنا فقال أقول لك يا أمه كما قال الاول زر غبا تزدد حبا فقالت دعونا من بطالتكم هذه وذكر حديثا (فقيل للاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الفقيه رحمه الله تعالى (ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يعقلهن) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (وعن محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى (ان رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر) وهي امرأة أبي ذر قال الحافظ وقفت على حديث فيه التصريح بانها أسلمت مع أبي ذر في أول الاسلام أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة (بعد موت أبي ذر) رضي الله عنه (فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الله بن محمد بن عمران حدثنا حسين المروزي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا صالح المري عن محمد بن واسع ان رجلا من البصرة ركب الى أم ذر بعد وفاة أبي ذر يسألها عن عبادة أبي ذر فأتاها فقال جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر قالت كان النهار أجمع خاليا يتفكر (وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبي حدثنا أحمد ابن محمد حدثنا عبد الله بن سفيان حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن فذكره وهكذا قد رواه أيضا أبو الشيخ في العظمة من قول ابن عباس ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة من حديث أنس وقد تقدم قريبا (وعن الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم) بن أدهم (انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل) هذان القولان أوردهما أبو نعيم في الحلية بسند واحد فقال حدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن علي قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا عبد الصمد بن يزيد قال سمعت الفضيل بن عياض يقول قيل لابراهيم انك لتطيل الفكرة قال الفكرة مخ العمل قال وسمعت الفضيل يقول قال الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيآتك (وكان سفيان بن عيينة) رحمه الله تعالى (كثيرا ما يتمثل ويقول

اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة)

رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنا اسحق بن ابراهيم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول الفكرة نور تدخله قلبك قال عبد الله وحدثنا أبو حفص القرشي قال كان سفيان بن عيينة ربما يتمثل

اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة

قال وبلغني عن سفيان بن عيينة قال التفكر مفتاح الرحمة ألا ترى أنه يتفكر فيتوب (وعن طاوس) بن

عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شئ له عبرة

وعن طاوس

قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عزوجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عزوجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم

كيسان اليمانى رحمه الله تعالى (قال قال الحواريون) أصحاب عيسى (لعيسى عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق ابراهيم بن الاشعث قال سمعت فضيلا يقول كلام المؤمن حكم وصمته تفكر ونظره عبرة واذا كنت كذا لم تزل فى عبادة (وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف) أى قراءة القرآن نظرا فى المصحف فانه أفضل من قراءته عن حفظه وبه أخذ السلف قال النووى وهكذا قاله أصحابنا وليس على اطلاقه انما هو تابع للتدبر وجمع القلب والبصر (والتفكر فيه) أى التأمل فى معانيه (والاعتبار عند عجائبه) من أوامره وزواجره ومواعظه وأحكامه وقصصه ووجوه بلاغته وبديع رموزه واشاراته قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر ومن طريقه أبو الشيخ فى كتاب العظمة باسناد ضعيف انتهى قلت ورواه أيضا الحكيم فى النوادر والبيهقى فى الشعب وضعفه (و) يحكى (عن امرأة) صالحة (كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى على المدينى عن أبى الحسن اكرام وكان من خيار الناس (وكان لقمان) الحكيم رحمه الله تعالى (يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (الفكرة فى نعم الله عزوجل من أفضل العبادة) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال بشر) بن الحرث رحمه الله تعالى (لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى) رواه أبو نعيم فى الحلية (وعن ابن عباس) رضى الله عنه قال (ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب) وروى أبو الشيخ فى العظمة من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس التفكر فى عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وقد تقدم قريبا (وبينا أبو شريح) عبد الرحمن بن شريح المعافرى كانت له عبادة وفضل توفى بالاسكندرية سنة ١٦٧ روى له الجماعة (يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقلنا له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال أبو سليمان) أيضا (الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال حاتم الاصم) رحمه الله تعالى (من العبرة يزيد

العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه
ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا
وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا

قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأى سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة

ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس

العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (و يروى) في الاخبار (قال) الله (عز وجل في بعض كتبه) التي أنزلها من السماء (انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (وقال اسحق بن خلف كان داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا ابراهيم عن نائلة حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا اسحق بن خلف قال كان داود الطائى في ليلة مقمرة فتفكر فقام فمشى على السطح وهو شاخص حتى وقع في دار جاره قال فوثب صاحب الدار عريانا من الفراش فأخذ السيف ظن أنه لص فلما رأى داود رجع فلبس ثيابه فوضع السيف وأخذ بيد داود حتى رده الى داره فقيل لداود فقال ما دريت أو ما شعرت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة) رواه البيهقى في مناقبه (وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأى سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم) رواه البيهقى كذلك في مناقبه (وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة) وهى أعلاها (وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة) أى في تركها (والثالثة القوة وقوامها في الغضب) أى في تركه (والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس) رواه البيهقى كذلك في مناقبه وهذه هى الفضائل النفسية فاصولها أربعة العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدل وكماله الانصاف وهى المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهى أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهى أربعة أيضا المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك بأربعة أيضا هدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة أنواع وهى عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط وقد تقدم تفصيل ذلك في كتاب تهذيب الاخلاق ومما يذكر في فضيلة التفكر ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر عن عامر بن عبد قيس قال سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون ان ضياء الايمان أو نور الايمان التفكر وروى ابن المنذر وأبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبد الله قال سألت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبى الدرداء قالت التفكر والاعتبار وروى أبو الشيخ والديلمى من حديث أبى هريرة بينما رجل مستلق ينظر الى السماء والى النجوم فقال والله انى لاعلم ان لك خالقا وربا اللهم اغفر لى فنظر اليه فغفر له وروى ابن أبي حاتم وابن

المنذر وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال أتت قريش اليهود فقالوا ما جاءكم به موسى من الآيات قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم قالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت ان في خلق السموات والارض الآية فليتفكروا فيها وروى الديلمي من حديث أنس أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة وقال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال بعض الحكماء املأ عينك من زينة هذه الكواكب وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وروى في بعض الاخبار انه كان الرجل من بني اسرائيل اذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابة ففعله رجل فلم تظله فشكا لامه فقالت لعلك أذنبت فقال لا قالت فهل نظرت الى السماء فرددت طرفك غير مفكر فيها قال نعم قالت من ههنا أتيت (فهذه أقاويل العلماء في الفكرة) وفضلها (وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها) ثم اعلم ان التفكر له مقدمات ولواحق فمن مقدماته السماع والتيقظ والتذكر ومن لواحقه العلم لان من سمع تيقظ ومن تيقظ تذكر ومن تذكر تفكر ومن تفكر علم ومن علم عمل ان كان علما يراد للعمل وان كان علما يراد لذاته سعد والسعادة غاية المطالب اما السماع والعلم فقد تقدم ذكر كل منهما في كتاب مستقل واحتاج الامر الى بيان اليقظة والتذكر وحقيقة اليقظة الانتباه من النوم وهي في هذا الباب انتباه القلب للخير لا غير قال الامام أبو اسمعيل الهروي هي القومة لله تعالى من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة قال الكمال الصوفي والقومة والنهوض هما ثمرة الانتباه والنهوض هو قيام بسرعة فعلى هذا تكون القومة لله واجبة على الفور في الاوامر والنواهي الفورية وهي متعلقة بكل مقام لان العبد مامور بالترقي من حضيض الى ارتفاع ومن ارتفاع الى أفق وهكذا صاعدا فكلما كان القلب في حالة وتنبه من نفسه أو من غيره بحالة تسمو على حالته الاولى استحب له الارتقاء اليها ليكون له حالا وما كان قبله مقاما وهكذا الى ما لا يتناهى وتشرف اليقظة بشرف العلم المستيقظ به وكل ما جاء في كتاب الله عز وجل من ذكر المسارعة الى المغفرة والمسارعة الى الخيرات فهو دليل على فضلها

(فصل) في التذكر اعلم ان القلب اذا انتبه من غفلته وتيقظ من رقدته تذكر ما كان نسيه وانظر الى قوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب فجعل الانابة شرطا للانتفاع بالتذكر وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فجعل للتذكر ثلاثة أسباب القاء السمع وحضور القلب وشهوده للفهم فعلى هذا يكون حقيقة التذكر استدعاء ما كان موجودا عنده ثم نسيه وتكراره على القلب حتى يثبت ويرسخ وسبب ذلك ان العلوم كلها مركوزة في النفوس بالفطرة وهي كامنة فيها ككمون النار في الحجر والنخلة في النواة وذلك انها قابلة لادراك العلوم كلها فالعلم لا يحدث لها شيأ من خارج وانما يخرج بالتعليم ما هو كامن فيها وانما طرأ عليه النسيان بسبب اغترابها في عالم الشهادة عالم الخيال والظلمة فمتى سكت عنها حركة الخيال وظلمة الشهوات تجلى لها عالمها الذي هو من أمر الله تعالى المنزه عن الخيالات والاوهام وعن الجهات والمقدار فحينئذ تذكر ما أودعه عندها سيدها ومالكها وهاديها من الاعتراف بوجوده ووحدانيته وكل صفة تليق بعظمته وكبريائه فمن حرم مثل هذا الاستبصار فقد خاب من الرحمة بطريق النظر والاعتبار فانه تعالى أمرنا على لسان أنبيائه عليهم السلام بالتذكار ثم لم يكلنا الى أنفسنا حتى نبهنا فقال سبحانه هو الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار والتذكر يتعلق بالعقد والقول والفعل والترك وهو واجب فيما يجب من ذلك ويحرم تذكر المعاصي ان أدى الى استجلابها بل يجب التغافل عنها ويكره تذكر ما يستقبل من الاحوال لانه يفوت زمنا صالحا من العمر بوهوم لا يدري أيحصل أم لا ولا يفعل ذلك الا غافل جاهل لا يعرف قدر عمره وما دام المريد مفتقرا الى التفكر فلا بد من التذكر لان

فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

التفكر

(بيان حقيقة الفكر وثمرته) اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالايثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى أن يعرف أن الابقى أولى بالايثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة أولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا أما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهى مختلفة المعانى وان كان أصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة وان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على

التفكر هو استمداد الانوار من الاذكار وشرف التذكر بشرف متعلقه وعلامة صحة التذكر موافقة الشرع فى جميع مراتبه فمن وقع له غير ذلك فليعلم خطأه اهـ

(فصل) واما التفكر ففضله عظيم وقد مر فى سياق المصنف ما يدل عليه وصاحبه على بصيرة من أمره وما يستوى الاعمى والبصير وهو مخصوص بنوع الانسان لانه مركب من ظرف عقلى وظرف حسى والذات المركبة المدركة لاتدرك الاشياء الا بنوع تركيب ولا يعرف التفاضل الا بالاضافة كاضافة الدرهم الى الدينار وكاضافة الدنيا الى الآخرة فيظهر شرف الشريف بالنظر الى خسة الخسيس فانظر الى حالك فى النوم كيف يريك الملك الموكل بالرؤيا أرواح المعانى فى قوالب الخيال لضرورة مادة يقظتك وتركيبها ومن له فهم قنع من هذا العلم بالتلويح وبهذا السبب تعرف حقيقة التفكر فانما مهدنا سببه ليسهل مدركه والله الموفق

(بيان حقيقة الفكر وثمرته)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة) وبيان ذلك انك اذا أردت اقتناص علم أو حال جمعت بين علمين متناسبين لذلك العلم المطلوب بشرط عدم الشكوك فيهما وفراغ القلب من غيرهما وحدقت النظر فيهما تحديقا بالغا فلم تشعر الا وقد وجدت علما ثالثا وهو مطلوبك وبغيتك (ومثاله أن من مال) قلبه (الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن) يميل الى الآخرة و (يعرف ان الآخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالايثار فيقلده) فى ذلك (ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى أن يعرف ان الابقى أولى بالايثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى) لنفاستها وخساسة العاجلة والعلم بكل منهما يكون على الشرط المتقدم (فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار) أى ينتقل القلب من الميل الى الخسيس الى الميل الى النفيس لامحالة وربما لا يشعر به (ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا) وهذا السياق فيه أوفى غموض والاولى أن يقال ان احضار المعرفتين يسمى تذكرا وحصول المعرفة الثالثة يسمى تفكرا وتدبرا ونظرا واعتبارا (اما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة) فالتدبر هو النظر فى دبر الامور أى عواقبها والتأمل هو اعادة النظر فى الشئ مرة بعد أخرى ليتحققه والتفكر هو تصرف القلب بالنظر فى الدليل وقيل تصرف القلب فى معانى الاشياء لدرك المطلوب وقال الراغب الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم وهو تخيل عقلى موجود فى الانسان والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وبه تعلم الفرق بين الالفاظ الثلاثة (واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهى مختلفة المعانى وان كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع) وكذلك الصمصام والرسوب (والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى الموضع) وهو الهند ومنه قول كعب * مهند من سيوف الهند مسلول * وكذلك القاضب (والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة) افتعال من العبر وهو التجاوز من حال الى حال والاسم العبرة بالكسر وهى عبارة عن الحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد (فان لم يقع العبور) الاولى العبر فان العبور يختص بتجاوز الماء اما بسباحة أو فى سفينة أو على بعير أو قنطرة (ولم يكن الا الوقوف على

المعرفتين فينطلق عليهما اسم التذكر لا اسم الاعتبار وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة
الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر (١٦٨) فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا
تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر وأما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيأ فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة
تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز لم
جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها لا يقدر
على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة أولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته

المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار) اذ في الاعتبار يراعى معنى العبر وليس في التذكر الا محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان (وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة) ولذلك يطلق النظر على المعرفة الحاصلة بعد الفحص وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يدرك ادراك المحسوس بالعين وقد يطلق على تقليب البصر أو البصيرة لادراك الشيء ورؤيته (فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا) الا على وجه التجوز (فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب) واسترجاع ما فات منها بالنسيان (لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة) من قبل (فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر) وقال الراغب التفكر جريان القوة العلمية بحسب نظر العقل ولا يقال الا فيما يمكن أن تحصل له صورة في العقل ولهذا ورد لا تفكروا في الله اذ كان منزها أن يوصف بصورة قال تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض (والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية) واذا عرفت هذا فقد نتجت لك سبيل السعادة في استنتاج العلوم واقتناصها وهو واجب عند الشك وعند ورود الشبه وعند علاج الامراض الواجب ازالتها من القلوب كما يجب طلب الخبز للجائع والماء للعطشان فمن ترك ذلك وانتظر خلق الشبع من غير أكل وخلق الري من غير شرب ومات كان عاصيا وكذلك من ترك تكسب العلوم الواجبة واتكل على فضل الله تعالى أن يجعله عالما بالالهام كان عاصيا وان كان ممكنا قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فمن عطل هذه الادلة عن استعمالها فقد فعل ما حرم عليه وكفر نعمة الله به في تعطيل هذه النعم (وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت) فهو معذور ان لم يترك جهده في مدة حياته (أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر وأما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم) والحاصل ان المانع من زيادة المعارف سببان أحدهما أن يكون المتفكر قليل المعارف فيقل نتاجه (كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح) لا محالة والثاني أن يكون كثير المعارف ولكن لا يحسن ازدواجها وائتلافها واليه أشار المصنف بقوله (وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيأ فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها) ولا ينجيه من هذه الورطة الا الشيخ المفيد لهذه السعادة (ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفكرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة) ومصاحبة المشايخ الكمل ومداومة النظر الى أحوالهم (وهو الاكثر) فان لمجالستهم تأثيرا عظيما (ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها) لان ذلك الحصول عبارة عن انتقال القلب بسرعة من معرفة الى معرفة فربما لا يحس به صاحبه ويظن انه واقف عند المعرفة الاولى (و) ربما (لا يقدر على التعبير عنها) أي الثمرة (لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد) ومعرفة هذه الصناعة أيضا من الامور المهمة لما يتعدى به النفع (فكم من انسان يعلم ان الآخرة أولى بالايثار علما حقيقيا) لا شبهة فيه (ولو سئل عن سبب معرفته

لم يقدر على ارادة والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى أولى بالايثار وان الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة) هذا ما يتعلق بحقيقة الفكر (وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال) الحاصلة من العلوم (ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير) والحال والعمل ينشا آن من العلم (نعم اذا حصل العلم في القلب) واستقر فيه ولم يعرضه شك وغفلة (تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها) لان العلوم والاحوال هما البضاعة التي يقع بهما الاتجار وهذا هو السر في تقديم بعض العارفين كتاب التفكر على سائر كتب المنجيات (وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في التفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر) وقد سبق للمصنف تحقيق ان المحبة الناشئة عن التفكر أفضل من المحبة الناشئة عن التذكر والعلة ان التفكر رؤية والذكر سماع هذا معنى كلامه رضي الله عنه في كتاب ترتيب الاوراد وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن أحد المشايخ أن الذكر أفضل من الفكر لان الله يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وهذا فيه نظر لان من عرف حقيقة التفكر علم انه ذكر وزيادة معرفة مقتضية وعلى الجملة فلا يزال الفكر أفضل من الذكر لانه مقصود الى أن ينتهي الى حد ينقطع فيه الفكر ويبقى الذكر مجردا عن الادلة فهذا الذكر أفضل من الفكر بلا خلاف والله أعلم (فاذا التفكر أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة) تقدم الكلام عليه قريبا واختلف فيه (فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة أولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا) بان لا يعتريها شك مع الفراغ عن غيرها (تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا) من غير أن تشعر بذلك التغير (وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته) وانما سمي الحال حالا لتغيره من شان الى شان (ثم اثمر تغير الارادة أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة) وبه ظهر ان العمل تابع الحال والحال تابع المعرفة والمعرفة تتبع الفكر (فههنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب) بالشرط المتقدم (وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما) أي من المعرفتين (والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان) عليه (بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال) وقد مثل له المصنف بمثال فقال (فكما يضرب الحجر على الحديد فتخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة

يقدر على ارادة والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى أولى بالايثار وان الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على أعمال الآخرة فههنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب بالحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة

بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى مالم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى مالم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر مالم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لانهاية لها والاحوال التي تتصور أن تنقلب على القلب لايمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

(بيان مجاري الفكر)

اعلم ان الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد اما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله واما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لايمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى واما أن يكون في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر

بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة وهو الفكر فيجمع بين المعرفتين) هما بمنزلة الحديد والحجر (كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى مالم يكن يميل اليه من قبل كما يتغير البصر بنور النار فيرى مالم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصيرة مالم يكن يتصوره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال و) تلك (العلوم) التي يثمرها الفكر (لانهاية لها و) تلك (الاحوال التي تتصور أن تنقلب على القلب لايمكن حصرها) الا أن الفكر لا يتعلق الا بالعلوم الكسبية ولا مدخل له في العلوم الالهامية لانه مجرد عن وسائط الكسب (ولهذا لو اراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافات الى الاحوال التي هي مقامات السالكين) وفيه اشعار الى أن الحال قد يكون مقاما كما مرت الاشارة اليه في أول كتاب التوبة (ويكون ذلك ضبطا جمليا) أي اجماليا (فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على) ذكر (علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة) كالتوبة والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحاسبة والحياء والمراقبة والشكر والتوكل والنية والاخلاص والصدق والتوحيد والمحبة فهذه ستة عشر مقاما ويضاف اليها مقامات أخر حتى تكمل مائة مقام ما من مقام منها الا وهو مستفاد من حسن الفكر (فلنشر الى ضبط الجامع فيها فيه يحصل الوقوف على مجاري الفكر) ومسارحه والله الموفق

(بيان مجاري الفكر)

(اعلم) هداك الله تعالى ان الوجود كله من ذروة العرش الى قاعدة الثرى معارج للملائكة ومراقي للافكار المشتغلة بالنظر والاعتبار حتى تصل الى معرفة الجبار فهنالك لامعرج ولا مرقى اذ ليس وراء الله مرمى وهذا لايحصى ولا يستقصى ولكن المقصود جملة حال المريد في سفره الى مولاه فاعلم (ان الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا) هنا (ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر) ونذكر ما يتعلق بالدين (ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله واما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لايمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى واما أن يكون في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله و) الطائرين (المشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر) بحب معشوقه (مثالنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما أن يتفكر

فى جماله وحسن صورته فى ذاته لينعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر فى أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا اللذته ومقويا لمحبته وان تفكر فى نفسه فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها أوفى الصفات التى تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر فى شئ خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفى القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغى أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا (١٧١) فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره فى صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه وعند الله أو محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصى تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون فى المسكن الحرام ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة أمور الاول التفكر فى أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شئ لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثانى التفكر فى أنه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه أو هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجارى الفكر فى هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما فى جميعها أوفى أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم فى أربعة أنواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه *(النوع الاول المعاصى)* ينبغى أن يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها فى نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر فى اللسان و يقول انه متعرض

فى جماله وحسن صورته فى ذاته لينعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما أن يتفكر فى أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا اللذته ومقويا لمحبته) فهذا طريق الفكر فيما يتعلق بالمحبوب (وان تفكر فى نفسه فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها) أى يتباعد (أوفى الصفات التى تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها) فهذا طريق الفكر فيما يتعلق بالمحب (فان تفكر فى شئ خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق و يستوفى القلب) بكليته (حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغى أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره فى صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة وهو مقصود هذا الكتاب وأما القسم الآخر) الذى هو التفكر فى ذات الله ومعانى أسمائه وصفاته وكيف يتخلق بها العبد (فيتعلق بالمكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات) وهو هذا الربع (والطاعات والمعاصى تنقسم) تارة (الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة) اليدان والرجلان والبصر والسمع واللسان (و) تارة (الى ما ينسب الى جميع البدن) وهذا (كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون فى المسكن الحرام) وغير ذلك (ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلاثة أمور الاول التفكر فى انه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شئ لا يظهر كونه مكروها فى بادى النظر (بل يدرك بدقيق النظر) وكثرة التأمل (والثانى التفكر فى انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث) التفكر فى ان (هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه أو هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه) لما فرط منه (وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجارى الفكر) واتسعت مسارحها (فى هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما فى جميعها أوفى أكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول) ومسئلة الحصر فيه تعول (ولكن انحصر هذا القسم فى أربعة أنواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصى ينبغى أن يفتش الانسان صبيحة كل يوم فى جميع أعضائه السبعة تفصيلا) كل عضو على حدة (ثم بدنه) من حيث المجموع (على الجملة هل هو فى الحال) الراهنة (ملابس لمعصية بها فيتركها) فى تلك الحال (أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم) والعزم على أن لا يعود لمثلها (أو) هو (متعرض لها فى نهاره) فيما يستقبله (فليستعد للاحتراز) عنها (والتباعد منها فينظر فى اللسان و يقول انه متعرض

للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منه ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد أو بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وأن ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر فهما كان ذلك فيتفكر في بطنه

انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها * (وأما النوع الثاني وهو الطاعات) * فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على ان أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فمالي أعطله وقد أنعم الله علي به وأودعنيه لاشكره فمالي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك

للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها) وكثرة التوبيخ والعتاب على مرتكبها (ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد عن الناس أو بان لا يجالس الا صالحا تقيا) ورعا (ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له) كما كان الصديق رضي الله عنه يفعله (فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه ينبغي أن يحترز منهم بالاعتزال) عنهم وعدم مجالستهم (وبالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال) الصرف (فان ذلك مكروه عند الله تعالى ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به) رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم (فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها وأما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير) فيها (أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل) اذ قد ورد ان جبران الفرائض يكون بالنوافل (ثم يرجع الى) الحواس الخمس فينظر ما عليها من فعل واجب وترك حرام مستحب ومكروه واقتصاد في مباح وكذا كل (عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على ان أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على ان أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه) فيزيد في طاعته (و) ان (أنظر الى فلان الفاسق بعين الازراء) أي الاحتقار (فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه اني لقادر على استماع كلام ملهوف) مضطر (أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فمالي أعطله وقد أنعم الله علي به وأودعنيه لاشكره فمالي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك

يتفكر في اللسان و يقول اني قادر على أن أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب أهل الصلاح و بالسؤال عن أحوال
الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن
أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الا آن فأنا الى ثواب الايثار أحوج مني الى
ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلمانه وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه و يقدر على أن
يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها و يتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات و يتفكر

في اخلاص النية فيها و يطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات *(وأما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب)* فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك و يتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به أنفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك
علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل
والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر و يقول انما عملي ببدني و جارحتي و بقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي
وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي
وارادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة و يقول لها لم ترين
نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت

يتفكر في اللسان و يقول اني قادر على ان أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب الصلاح) أي الصالحين (بالسؤال عن أحوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة) فقد روى ابن المبارك في الزهد وأحمد وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة الكلمة الطيبة صدقة (وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على ان أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا) اليه (الآن فانا الى ثواب الايثار) على الغير (أحوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه) بل (و) عن (أمواله) التي يملكها (بل عن دوابه) المعدة للركوب أو لخدمة البيت أو الذبح (وغلمانه) من مشترى أو مستأجر من الذكور والاناث (وأولاده) وزوجته (فان كل ذلك أدواته وأسبابه) وتحت أمره ونهيه (و يقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها و يتفكر فيما يرغبه) و ينشطه (في البدار) أي المسارعة (الى تلك الطاعات و يتفكر في اخلاص النية) واخلاصها (فيها و يطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله) فبالنيات الخالصة تزكو الاعمال (وقس على هذا سائر الطاعات) البدنية من الواجبات من زكاة وصيام وحج وجهاد (واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب) لغير الله تعالى (والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك) مما ذكر في ربع المهلكات فانها وأمثالها مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة فهل يسمع بهذه عاقل و يستريب ان يكون الفكر فيها أو في أكثرها واجبا فرض عين هذا على سبيل الاجمال (و) أما التفصيل فانه (يتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه) واختباره (والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدا) من طبعها انها (تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق) و يمشي به الى بيته (كما كان الاولون يجربون به أنفسهم) وقد نقل ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه حين كان مستخلفا بالمدينة وهو عند أبي نعيم في الحلية (واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ) فانظر هل تثبت أم لا (وكذلك في سائر الصفات هذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها) في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة أي الباطن (كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر و يقول انا عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وارادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة) وهي فساد جوهر العقل (و يقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك) انما (ينكشف بعد الموت

وكم من كافر فى الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرفت ان الكبر مهلك وان أصله الحماقة فيتفكر فى علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر فى ان هذه صفة البهائم ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه فى الغضب ثم يتفكر فى طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه فى هذه الكتب فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بدله من تحصيل ما فى هذه الكتب *(وأما النوع الرابع وهو المنجيات)* فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على (١٧٤) البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد فى الدنيا والاخلاص والصدق فى الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه فى هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم فى قلبه ما الذى يعوزه من هذه الصفات التى هى المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شئ منها فليعلم انها أحوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا أفكار فاذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها فى قلبه ثم لينظر فى الوعيد والتشديد الذى ورد فى الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا أراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر فى احسان الله اليه وأياديه عليه وفى ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه فى كتاب الشكر فليطالع ذلك واذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر فى جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك من بالنظر فى عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه فى القسم الثانى من الفكر واذا أراد حال الخوف فلينظر أولا فى ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر فى الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم فى هول النداء عند نفخة الصور ثم فى هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم فى المناقشة فى الحساب والمضايقة فى النقير والقطمير ثم فى الصراط ودقته وحدته ثم فى خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة فى قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وانهم اذا رأوها

وكم من كافر فى الحال يموت مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة) عياذا بالله منه (فاذا عرفت ان الكبر مهلك وان أصله الحماقة فيتفكر فى علاج ازالة ذلك بان يتعاطى أفعال المتواضعين واذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه) اى الحرص عليه (تفكر فى ان هذه صفة البهائم ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه فى الغضب ثم يتفكر فى طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه فى هذه الكتب) فى ربع المهلكات (فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بدله من تحصيل ما فى هذه الكتب وأما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد فى الدنيا والاخلاص والصدق فى الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له) وهذه كلها من مقامات اليقين بعضها أصول وبعضها ثمرات (وكل ذلك ذكرناه فى هذا الربع) فى كتب مستقلة (وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم فى قلبه ما الذى يعوزه من هذه الصفات التى هى المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شئ منها فليعلم انها أحوال لا تثمرها الا علوم وان العلوم لا تثمرها الا أفكار فاذا أراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها فى قلبه ثم لينظر فى الوعيد والتشديد الذى ورد فى الشرع فيها) على الخصوص (وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله) وغضبه (به حتى ينبعث له حال الندم واذا أراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر فى احسان الله اليه وأياديه) المتواترة (عليه فى ارسال جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه فى كتاب الشكر وليطالع ذلك) ليتسع فكره (واذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر فى جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر فى عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه فى القسم الثانى من الفكر فاذا أراد حال الخوف فلينظر أولا فى ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر فى الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم فى هول النداء عند نفخة الصور ثم فى هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم فى المناقشة فى الحساب والمضايقة فى النقير والقطمير وفى الصراط ورقته وحدته ثم فى خطر الامر عنده انه) هل (يصرف الى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة فى قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وانهم اذا رأوها

من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد و يردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم و بين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة والمبتدئ ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة و ينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها

من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها) فيتفكر فيها و يتامل في معانيها (واذا أراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي تطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه) أجمع ولا (أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال) وهو الترياق الاكبر (وفيه شفاء للعالمين) ورحمة للمؤمنين (وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال) المذكورة (وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأه العبد و يردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة) حتى يعثر على مقصوده منها ومتى دام العبد على ذلك طهر قلبه وغزر علمه (فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة) كاملة (بغير تدبر وفهم) فقد روى الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر بسند ضعيف لا قراءة الا بتدبر ولا عبادة الا بفقه ومجلس فقه خير من عبادة ستين سنة (وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة) كما نقل ذلك عن جماعة من السلف (فان تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة) بينه و بين الله تعالى وعجائب القرآن لا تحصى وقد مرت الاشارة الى طرف من ذلك في كتاب ترتيب الاوراد (وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتي جوامع الكلم) كما ورد به الخبر (وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأملها العالم) البصير (حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به) تقدم قريبا وفي كتاب الفقر والزهد وفي كتاب العلم (فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين) مع فراغهما من شغل آخر (لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم و بين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله أو مكروهة والمبتدى) في السلوك (ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة) والاحوال المنيفة (و ينزه باطنه وظاهره عن المكاره) والاخلاق السيئة (وليعلم ان هذا مع انه أفضل من سائر العبادات) اذا عريت عنه (فليس هو غاية المطلب) للسالكين ولا هو الحد الذي يقفون عليه (بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب) فيه (بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها

بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم أنت قال أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فإن استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطمعا في الأجرة فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص في الأعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة وعشر محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم

الا

بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه) لا يحس بنفسه أصلا (وهو منتهى لذة العشاق) الصادقين (فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان) إبراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في البوادي) المنقطعة على قدم التوكل ويقاسي فيها أهوالا من نفسه ومن الجن (فلقيه) أبو المغيث (الحسين بن منصور) الحلاج رحمه الله تعالى (وقال) له (فيم أنت) وكيف سلوكك (قال أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل فقال أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين) أنت عن (الفناء في التوحيد) رواه القشيري في الرسالة وتقدم في كتاب التوكل وقال وكان الحلاج طالبه بالمقام الثالث من التوكل (فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين) وما بعده مرقى للسالكين (وأما التنزه عن الصفات المهلكات) فإنه (يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات) فإنه (يجري مجرى تهيئة المرأة جهازها) أي أسبابها من لبس وفرش وغير ذلك (وتنظيفها وجهها) بالتعفيف (ومشطها شعرها) واستعمالها الطيب (لتصلح بذلك للقاء زوجها) وتقع من قلبه موقع المحبة والإعجاب (فإن استغرقت هي (جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه) وإحضار الملابس (كان) ذلك (حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة) والمؤانسة (وإن كنت كالعبد السوء) والأجير السوء (لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطمعا في الأجرة) فإن لم يخف أو لم يطمع في الأجرة لم يتحرك (فدونك وإتعاب البدن) وارتكاب المشقة (بالأعمال الظاهرة) من قيام وصلاة وقراءة وصيام وجهاد وغير ذلك (فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون) اصطفاهم الله لذلك (وإذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل مريد) لطريق السلوك (فينبغي أن تكون له جريدة) وهي الدفتر المتخذ للحساب (يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم) ويحاسبها ويدقق عليها وهكذا كانت أحوال السلف من الأولياء الكرام كما نقل ذلك الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره عن مشايخه وقد تقدم نقله في كتاب المحاسبة (ويكفيه من المهلكات النظر في عشر) صفات (فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب) لغير الله تعالى (وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه) فإن هذه العشرة أصول وما عدا ذلك يتفرع منها (ومن المنجيات عشر) صفات (الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص في الأعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له) فهذه العشرة كذلك أصول وما عدا ذلك يتفرع منها (فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم

الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه ومالم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي (١٧٧) أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت أما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجوا منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وأنكره فان وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله فان كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وانما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر بأهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك

الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر وأما أكثر الناس من المعدودين في زمرة الصالحين) والمتسمين بظاهر الفضل (فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والتنافس والاستكبار عن الحق وحب كثرة الكلام والخوض فيما لا يعني وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم فهذه وأمثالها معاص ظاهرة وهي مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة (فان أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه ومالم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية) خاص (فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة) بين الناس (وانتشار الصيت اما بالتدريس أو بالوعظ) والتذكير (ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات) كما تقدم بيان ذلك في مواضعه (وان رد كلامه لم يخل عن غيظ) وحنق (وأنفة وحقد على من يرده هو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره. وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وأنكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله) وجمعا للناس على كلمة الحق (فان كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما و يكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء) أو تغاير التيوس في الزريبة كما ورد بذلك الخبر (فيشق على أحدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا

وشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة
وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له فى سلامة العوام فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول
والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغى أن يتقى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم أركان الاسلام فان الدين مستغن عنى وأنا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبى وأما أداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله

وشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب) أى باطنه (التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك) والهلاك أكثر (ولا مطمع له فى سلامة العوام) فان العوام قد يعذرون بخلاف العالم (فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة) عن الناس (والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد) النبوى (يحوى فى زمن الصحابة رضى الله عنهم) جمعا (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا) مع ذلك (يتدافعون الفتوى) يدفعه أحدهم الى صاحبه (وكل من كان يفتى كان يود ان يكفيه غيره) هذا المهم نقله صاحب القوت وتقدم فى كتاب العلم (وعند هذا ينبغى ان يتقى شياطين الانس) فضررهم أشد من ضرر شياطين الجن وليحذر منهم (اذ قالوا) لك (لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم أركان الاسلام فان الدين مستغن عنى وأنا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبى وأما أداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار عن طلب العلم) لما امتنعوا من ذلك و(لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم) لا محالة (فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة) ويزينها لهم (والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم فى الآخرة) ولا خلاق (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله) عز وجل (يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم) أى يقوّيه وينصره والمراد بالدين دين الاسلام والمراد بالاقوام اما الكفار واما المنافقون واما الفجار وهذا يحتمل انه أراد به رجالا فى زمنه كانوا كذلك ويحتمل أنه أخبر بما سيكون فيكون من المعجزات والاقرب الثانى لان العبرة بعموم اللفظ والحديث رواه النسائى وابن حبان والطبرانى فى الاوسط والضياء من حديث أنس ورواه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى بكر ورواه البزار من حديث كعب بن مالك ورواه ابن النجار من حديث كعب بن مالك بلفظ ان الله ليؤيد الدين بقوم لا خلاق لهم وقد تقدم وروى الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ ان الله عز وجل ليؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله (و) قال صلى الله عليه وسلم (ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن بلفظ ليؤيد الدين ورواه البخارى فى القدر وفى غزوة خيبر من حديث أبى هريرة ان الله يؤيد هذا الدين ورواه الترمذى فى العلل من حديث أنس واللام للعهد أو للجنس وقد تقدم (فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب المال والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رواه أبو نعيم والديلمى من حديث أبى هريرة بلفظ حب الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب السماع وفى كتاب ذم الجاه وذم المال وروى الديلمى من حديث ابن عباس حب الثناء من الناس يعمى ويصم (وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم باكثر افسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم) رواه الطبرانى فى الصغير والضياء من حديث أسامة بن زيد بلفظ ما ذئبان ضاريان باتا فى حظيرة فيها غنم يفترسان

عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغى أن يغتر العالم ويا كلات
بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه
والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب
الجاه والمال فى دين المرء المسلم

ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه فى قلوبهم فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقى فأما أمثالنا فينبغى أن يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون فى الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا أنه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام واذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجارى أفكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها الى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شئ منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له فى كمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات وفى القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

ويأكلان باسرع فسادا من طلب المال والشرف فى دين المسلم وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب ذم الجاه (ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه فى قلوبهم فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها) فان هذا هو الاهم (فأما أمثالنا) من ضعفاء الايمان فينبغى (أن نكون) دائما (تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب) وهو يوم القيامة الذى تجازى فيه كل نفس بما عملت (اذ لو) فرض ان (رآنا السلف الصالحون) ورأوا أحوالنا وما نحن عليه من الغفلة والتكالب (لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب) كما روى ذلك عن بعض السلف (فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه) روى ذلك من قول أبى سليمان الدارانى ومعناه فى الحديث المرفوع عن أنس من خاف شيأ حذره ومن رجا شيأ عمل له ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية رواه الديلمى وروى الترمذى من حديث أبى هريرة من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل (وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى) الظاهرة والباطنة (ونحن منهمكون فيها) فكيف يتصور الهرب (وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات) الزائدة عن الفرائض (ونحن مقصرون فى الفرائض منها) وقد روى من حديث على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقى وقد تقدم فهذه علامات الخائف والراجى والمترقب والزاهد (فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها) فى جمعها من حيث لا يحل وانفاقها فى غير مواضعها (ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا) وقد نقل صاحب القوت عن بعض السلف طوبى لمن مات وماتت ذنوبه معه (فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا) حق التفكر (فنسأل الله تعالى أن يصلحنا) فى أنفسنا (و) أن (يصلح بنا) غيرنا ممن اقتدى بنا (و) أن (يوفقنا) أجمعين (للتوبة) الناصحة والانابة الواضحة (قبل أن يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا) والمجيب لدعائنا (فهذه مجارى أفكار العلماء) الورعين و (الصالحين) من عباده (فى علم المعاملة) من معرفة النفس ومعرفة العبادات (فان فرغوا منها) وما أعز ذلك وما أبعده (انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها الى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات) وهى التخلية (والاتصاف بجميع المنجيات) وهى التحلية (وان ظهر شئ منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة) وتكدرها عليه (ولا طريق له فى كمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة) التى أمرنا بالتخلى عنها (عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات) فلا يمكن مع وجودها كمال التنعم بالمشاهدات (وفى القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب) والحيات (فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى) والله الموفق ولما فرغ من بيان الفكر فى معرفة نفس

العبد شرع في بيان الفكر في معرفة المعبود فقال* (القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه
وفيه مقامان المقام الاول وهو الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه) وهذه المعرفة تشتمل على علم
ما يجب و يستحيل وما يجوز فعله وجملة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فالفكر في الوجود في كيفية التخلق
بكل واحد منها على حسب الامكان مجال رحب (وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا
تتفكروا في ذات الله) رواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة بلفظ ولا تتفكروا في الله وقد تقدم
قريبا (وذلك لان العقول تتحير فيه) وهذا يؤخذ منه قول من ذهب الى أن اسم الله مشتق وانه من اله يأله
اذا تحير اشارة الى حيرة عقول أولي الالباب في مبادي سبحات جلاله وسطوات اشراق أنوار كبريائه وان كان
هذا خلاف ما عليه المصنف فانه يقول بعلميته لا غير (فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون) وليس لهم
من الذات الا الدهشة فهم يترددون بين اليأس والطمع ان نظروا الى هيبة جلاله أيسوا وان نظروا الى أنس
جماله طمعوا ولولا أنس الجمال لتقطعت أوصال العارفين دهشة ولولا طمع الوصال لذابت قلوب المحبين حسرة
(ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش
بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهاره) لئلا يقابله نور الشمس فيسقط مغشيا عليه قال
صاحب كشف الاسرار في اشارة الخفاش وقد قيل أرائك اذا طلعت الشمس وقعت في العشا ولا تزال كذلك
الى العشا فتعمى بما يستضيء به الناس وهذا ضد القياس وقال ابن الوردي في اشارته أنا من أهل الخلوات
والليل أنا على ضعفي كجلمود صخر حطه السيل أنا بالنهار أحتجب ورأي العزلة مما يحب و بالليل أكشف
الغطا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ واذا طلعت الشمس حكمت على عيني بالطمس وأخذتني الغيرة أن
أشاهد غيره فاطبق من عين الشمس عيني وأنفي عن أينها أيني (وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا
وقع على الارض) وهو الوقت الذي لا يكون فيه ضوء ولا ظلمة وهو قريب غروب الشمس وهو وقت هيجان
البعوض والبعوض يخرج في ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يطلب الطعم فيقع طالب
رزق على طالب رزق (وأحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا
يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش و يفرق البصر كما هو مشاهد
ولقد حكى لي من أثق به أنه نظر مرة الى قرص الشمس وحدق فيه بصره ليضبط بقدر المكسوف منه فما زال
يشتكي ضعف بصره (وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل) وقال الشيخ
الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء بعد ان نقل وجوه الاشتقاق في اسم الجلالة الى أن قال وقيل هو مشتق
من الالهة وهي العبادة وقيل من لاه يليه اذا ارتفع وقيل من اله يأله اذا تحير ثم قال وهذا الوجه هو مركز دائرة
الوجوه كلها لما اختص هذا الاسم من الاحوال بالحيرة والعبادة والرفعة وهي التنزيه وهو رفعته عن التشبيه
بخلقه والتنزيه يؤدي الى الحيرة لان غاية التنزيه اثبات النسب وهي الصفات الكمالية التي يتوقف عليها
وجود اعيان المظاهر فان قال القائل أن النسب أمور وجودية زائدة على ذاته تعالى فقد صرح أنه لا كمال
بالذات الا بها وان ذاته تعالى كان ناقصا قبل ظهورها كاملا بالزائد الوجودي وان قال ماهي هو ولا وجود
لها وانما هي نسب والنسب أمور عدمية فقد جعل للمعدوم أثرا في الوجود وان قال ماهي هو ولا غيره كان
قولا بلا روح وكلاما لا معنى له يدل على نقص عقل القائل وان سكت الناظر ولم يقل شيأ فقد عطل القوة
النظرية فاذا عجز العقل عن الوصول الى العلم بشيء من هذه الاسرار لم يبق الطريق الا الرجوع الى الشرع ولا
تقبل أحكام الشرع الا بالعقل لانه الاصل وقد عجز والناظر عن معرفة الفرع وثبوته أعجز فان تعامى عن
النظر وقبل قول الشارع ايمانا لامر ضروري لا يقدر على دفعه لا بد له أن يسمع الشارع أن ينسب الى
الحق أمورا تقدح فيها الادلة النظرية وتحتاج الى تأويل فان تأوله ليرده الى النظر العقلي فهو عائد الى عقله
وجاعل وجود الحق سبحانه على وجوده وثبت ان الله تعالى لا يدرك بالقياس فهذا غاية تنزيه المنزه وقد أداه

* القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان * المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض وأحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش و يفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل

الى الحيرة وصارت الحيرة مركزا ينتهي اليها النظر العقلي والشرعي وكذلك العبادة وهي التي كلف بها والتكليف لا يكون الا على من له الاقتدار على ما كلف به وأمر من الافعال وامساك النفس عن ارتكاب ما نهي عنه والافعال منفية عن المخلوق بقوله والله خلقكم وما تعملون والشيء لا يكلف نفسه ثم لا يخفى ان الحق تعالى كبرياؤه خاطب عباده فامرهم ونهاهم ولا بد من محل يقبل الخطاب فاثبت الافعال للمخلوق من هذا الوجه بما تقتضي قابليته فنفى من وجه وأثبت من وجه والنفي والاثبات متقابلان فرماه أيضا في الحيرة فدرجات علوم العلماء بالله تدور على مركز الحيرة ولهذا كان بعض العارفين يقول يا حيرة يا دهشة يا حرف لا يقرأ انتهى (فالصواب اذا أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حيرت عقول أقوام حتى أنكروه) واستشكلوه (اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله) وهم طائفة من الحشوية الكرامية (حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه) وهذا فاسد (نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة) قياس الشاهد على الغائب والرب تعالى لا يعرف بالقياس (بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي أنقص مني أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو تكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني) أي لان عقولهم لا تحتمل ذلك (ولكن اخبرهم عني بما يفهمون) أي بقدر ما يطيقون فهمه وقد ورد مثل ذلك في الاخبار المحمدية خاطبوا الناس بما يفهمون أتحبون ان يكذب الله ورسوله قال الفخر الرازي في تأسيس التقديس ان المتشابهات صارت شبهة عظيمة للخلق في الالهيات والنبوات والشرائع وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثله شيء ودلالته عليه ضعيفة وقد ذكروا أنواعا من الفوائد في انزال المتشابهات أقواها انه لما كان القرآن مشتملا على دعوة الخواص والعوام لا تقوى لادراك الحقائق العقلية المحضة فهم اذا سمعوا باثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا بمشار اليه ظنوا انه عدم محض فوقعوا في التعطيل فكان الاصلح للعوام أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتخيلونه وتكون مخلوطة بما يدل على الحق الصريح انتهى وقد أشار الى ذلك أيضا المصنف في الجام العوام (ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني) وهو الادنى بالنسبة الى المقام الاول (وهو النظر الى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلاله

فالصواب اذا أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي أنقص مني أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلاله

وكبر بائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما أنا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته) قال المصنف في المقصد الاسنى الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى انه وصف ثمرته وأثره وجود الاشياء وينطلق عليه اسم القدرة لانه يناسب قدرتنا وهو بمعزل عن حقيقة تلك القدرة نعم كما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع كان حظه من صفة القدرة أوفر لان الثمرة تدل على المثمر والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين تفاوتا لا يتناهى وبه تعرف أن من قال لا أعرف الا الله فقد صدق ومن قال لا أعرف الله فقد صدق فانه ليس في الوجود الا الله تعالى وأفعاله فاذا نظر الى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث انها سماء وأرض وشجر بل من حيث انها صنعة له فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه أن يقول ما أعرف الا الله وما أرى الا الله ولو تصور شخص لا يرى الا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول ما أرى الا الشمس فان النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجا منها وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الازلية وأثر من آثارها وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس في الوجود الا الله تعالى (بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود) قال المصنف في مشكاة الانوار مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم ويسمى مظلما لانه ليس للابصار اذ ليس يصير موجودا للبصر مع أنه موجود في نفسه فالذي ليس موجودا لا لغيره ولا بنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فان الشئ ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره (ووجود الاشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها) قال المصنف في مشكاة الانوار والوجود بنفسه أيضا ينقسم الى ما الوجود له من ذاته والى ما الوجود من غيره بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي فالموجود الحق هو الله تعالى كما أن النور الحق هو الله تعالى (ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله) وقال الفخر الرازي أشار بهذا الحديث الى أن من أراد الوصول الى كنه العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عمي فان نور جلال الالهية يعمي احداق العقول البشرية وترك النظر بالكلية في المعرفة يوقع في الضلال والطرفان مذمومان والطريق القويم أن يخوض الانسان البحر المعتدل ويترك التعمق ومن ثم سميت كلمة الشهادة كلمة العدل انتهى وقال الراغب نبه بهذا الخبر على أن غاية معرفة الانسان ربه أن يعرف أجناس الموجودات جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف أثر الصنعة فيها فانها محدثة وان محدثها ليس اياها ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه ولما كان معرفة العالم كله تصعب على المكلف لقصور الافهام عن بعضها واشتغال البعض بالضرورات جعل تعالى لكل انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع

وكبر بائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما أنا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى

اعلم أن كل مافى الوجود مماسوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التى لا نعلمها كما قال الله تعالى و يخلق مالا تعلمون سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر فى تفصيلها وهى منقسمة الى ما أدركناه بحس البصر والى مالا ندركه بالبصر أما الذى لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك ومجال الفكر فى هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها فى طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها

كل أحد نسخة يتأملها حضرا وسفرا وليلا ونهارا فان نشط وتفرغ للتوسع فى العلم نظر فى الكتاب الكبير الذى هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه والا فله مقنع بالمختصر وفى أنفسكم أفلا تبصرون انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره ولا تفكر وافى الله لان للعقول حدا تقف عنده من حيث هى مفكرة وأية مناسبة بين الحق الواجب الوجود لذاته و بين الممكن وان كان واجبا به عند من يقول به وما أخذه الفكر به انما يقوم صحيحه من البراهين الوجودية ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة الى الدليل ونسبة الى المدلول فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق فى وجه أبدا من حيث الذات بل من حيث ان هذه الذات منعوتة بالالوهية فهذا حكم آخر تستقل العقول بادراكه وكم من عاقل يدعى العقل الرصين من العلماء النظار يقول انه حصل على معرفة الذات من حيث النظر الفكرى وهو غالط لتردده بفكره بين السلب والاثبات والاثبات راجع الى الوجود والسلب الى العدم والنفى والنفى لا يكون صفة ذاتية لان الصفات الذاتية للموجودات انما هى ثبوتية فما حصل هذا الفكر المتردد بينهما من العلم بالله على شئ اه وقال المصنف فى الجواهر والدرر معرفة الله تعالى هو الكبريت الاحمر وتشتمل على معرفة ذات الخالق ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال فهذه الثلاثة هى اليواقيت فانها أخص فوائد الكبريت الاحمر وكما ان لليواقيت درجات فمنها الاحمر ومنها الاكهب ومنها الاصفر وبعضها أنفس من بعض فكذلك هذه المعارف الثلاثة ليست على رتبة واحدة بل انفسها معرفة الذات وهو الياقوت الاحمر ثم يليها معرفة الصفات وهو الياقوت الاكهب ثم يليها معرفة الافعال وهو الياقوت الاصفر وكما ان انفس هذه اليواقيت وأجلها وأعزها وأجودها الاحمر ولا تظفر منه الملوك الا باليسير وقد تظفر مما دونه بالكثير فكذلك معرفة الذات اضيقها مجالا وأعسرها منالا وأعصاها على الفكر وأبعدها عن قبول الذكر ولذلك لا يشتمل القرآن منها الا على تلويحات واشارات يرجع أكثرها الى ذكر التقديس المطلق كقوله ليس كمثله شئ وكسورة الاخلاص والى التعظيم والتنزيه المطلق كقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وأما الصفات فالمجاز فيها أفسح ونطاق المنطق فيها أوسع ولذلك تكثر الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر وغيرها وسيأتى بقية هذا الكلام فيما بعد

(بيان التفكر فى خلق الله تعالى)

(اعلم) نوّر الله قلبك (ان كل مافى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه) قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وليس فى الوجود الا الله تعالى (وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب) ومصاعد للافكار ومراقى الاعتبار (تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك) والاشجار أقلاما للكتابة (لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التى لا نعلمها كما قال الله تعالى ويخلق مالا تعلمون وقال) تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) أى وأزواجا مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وقال) تعالى (وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر فى تفصيلها وهى منقسمة الى ما أدركناه بحس البصر والى مالا ندركه بالبصر أما الذى لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك ومجال الفكر فى هذه الاشياء مما يضيق و يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها فى طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها

وحيوانها ونباتها ومابين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها
فهذه هى الاجناس المشاهدة من

السموات والارض ومابينهما وكل جنس منها ينقسم الى أنواع وكل نوع ينقسم الى أقسام ويتشعب كل قسم الى أصناف ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه فى اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تحرك ذرة فى السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهى الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر فى هذه الآيات كما قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وكما قال تعالى ومن آياته من أول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر فى بعض الآيات *(فمن آياته)* الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضى الاعمار فى الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع فى معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره

من

وحيوانها ونباتها ومابين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه من الاجناس المشاهدة من السموات والارض ومابينهما وكل جنس منها ينقسم الى أنواع وكل نوع ينقسم الى أقسام ويتشعب كل قسم الى أصناف ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه فى اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تحرك ذرة فى السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفى حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهى الآيات الدالة عليه) وقال المصنف فى الجواهر والدرر واما الافعال فبحر متسع الاكناف ولا ينال باستقصاء أطرافه بل ليس فى الوجود الا الله تعالى وأفعاله وكل ماسواه فعله لكن القرآن اشتمل على الجلى منها الواقع فى عالم الشهادة كذكر الكواكب والارضين والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر ضروب النبات وماذكره من الحياة وهى التى ظهرت للحس فأعرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهى الملائكة والروحانيات والروح والقلب أعنى العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدمى فانها أيضا من عالم الغيب والملكوت وخارج من عالم الملك والشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس البشر وهى التى سجدت لآدم عليه السلام ومنهم الشياطين المسلطة على جنس الانس وهى التى امتنعت من السجود له ومنها الملائكة السماوية وأعلى منهم الكروبيون وهم العاكفون فى حضرة القدس لاالتفات لهم الى الآدميين بل لاالتفات لهم الى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وبجلالها فهم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعلم أن أكثر أفعال الله تعالى وأشرفها لا يعرفها أكثر الخلق بل ادراكهم مقصور على عالم الحس والتخيل وهو القشر الاقصى من اللب الاصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرمان الاقشره ومن عجائب الانسان الابشرته اهـ (وقد ورد القرآن بالحث على التفكر فى هذه الآيات كما قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) أى لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية ان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فانه اما أن يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها (وكما قال تعالى ومن آياته) ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (ومن آياته) خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ومن آياته منامكم بالليل والنهار (من أول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر فى بعض الآيات) المذكورة (فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك) أيها المتفكر (نفسك) أى ذاتك (وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله) تعالى (ماتنقضى الاعمار) الطويلة (فى نسخه) اى كتابته (فى الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع فى معرفة غيرك وقد أمرك الله بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال) وفى الارض آيات للموقنين (وفى أنفسكم) آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره) أى ما أكثره كفرا بالله تعالى وهو دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من بعد حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) أى هيأه لما يصلح له

ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقال تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار (١٨٥) مكين الى قدر معلوم وقال أولم ير الانسان

انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه و يترك التفكر فى معناه فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت و أنتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الالفة والمحبة فى قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهى متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع

من الاعصاب والاشكال أو فقدره أطوارا الى ان تم خلقه (ثم السبيل يسره) أى سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن يتنكس (ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره) من قبره (وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) فى الارض (وقال تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى) أى يصب فى الارحام (ثم كان علقة) حمراء (فخلق فسوّى) أى عدله (وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين) أى نطفة قذرة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) أى مقدار معين للولادة (وقال تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) فيه تقبيح بليغ لانكارهم الحشر حيث عجب منه و جعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة الجحود لقدرته على ماهو أهون مما عمله فى بداية خلقه و مقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من أخس الشئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب (وقال) تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أى اخلاط جمع مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وأكباش وقيل الوان فأما ماء الرجل فابيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو أطوارا فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (ثم ذكر) تعالى (كيف جعل النطفة علقة) حمراء (والعلقة مضغة) لحم (والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أى من الصفو الذى يسل من الارض (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) وهو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة الآية) والعلقة بحركة القطعة من الدم الغليظة وقيل من الدم الجامد والمضغة بالضم قطعة لحم ومنه قوله تعالى ثم خلقنا العلقة مضغة (فتكرير ذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه و يترك التفكر فى معناه فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة من الزمان ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب) أى من صلب الرجل وترائب المرأة (وكيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الالفة والمحبة فى قلوبهم) كما يشير اليه قوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة (وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق و جمعه فى الرحم ثم كيف خلق المولود من) تلك (النطفة) وهو قول ارسطاليس فانه يقول مبدأ قوة الصورة فى منى الذكر ومبدأ انعقاد القوة المنفعلة فى منى المرأة و رأى جالينوس ان لكل واحد من المنيين قوة عاقدة وقابلة للعقد ولكن لا يتم فعلها فى منى الانثى الابمنى الذكر (وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وكبر) اعلم أن الدم الذى ينفصل فى الحيض عن المرأة يصير أكثره غذاء فى وقت الحمل منه ما يستحيل الى مشابهة جوهر المنى والاعضاء الكائنة منه فيكون غذاء منميا لها ومنها مالا يصير غذاء لذلك ولكن يصلح لان ينعقد فى حشوها فيكون لحما آخر أو سمينا أو شحما و يملأ الامكنة بين الاعضاء الاول ومنه مالا يصلح لاحد الامرين فيبقى الى وقت النفاس وتدفعه الطبيعة فضلا واذا ولد الجنين فان الدم الذى يولده كبده يسد مسد دم الطمث الذى كان غذاء له و يتولد عنه ما كان يتولد عن ذلك الدم (وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهى متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشق) فيه (السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع

بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص) وانما سماها باطنة لكونها لاترى بظاهر العين (ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لوفقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار) اعلم ان كلا من العينين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات ومن العصب والعضل والعروق وكيفية تركيبها ان العصبة المجوفة التي هي أول العصب الخارج من الدماغ يخرج من القحف الى قعر العين وعليها غشا آن هما غشاء الدماغ فاذا برزت من العين وصارت في جونة عظام العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباسا على عظم العين ويسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباسا بعد الصلبية ويسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لانها ذات عروق كثيرة ثم تصير هذه العصبة نفسها الى المجوفة عريضة ويصير منها غشاء بعد الاولين ويسمى الطبقة الشبكية ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب وقوامه ويسمى الرطوبة الزجاجية ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير الا ان في جانبه الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه أشباح المرئيات وفي جانبه الداخل تقعر ليتصل بالعصبة المجوفة كما ينبغي ويسمى الرطوبة الجليدية لشبهها بالجليد في صفائه وجلاوده ويسمى البردية أيضا لشبهها بالبردة في شكلها وصفائها وشفيفها ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية ويعلو البيضية جسم رقيق مخمل الداخل أملس الخارج ويختلف لونه في الابدان فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك في وسطه بحيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة ويسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة العنبية في خمل باطنها وملاسة ظاهرها والثقب الذي في وسطها ويعلو هذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير أنها تتلون بلون الطبقة التي تحتها المسماة بالعنبية ولونها يختلف في الناس ففي بعض تكون زرقاء وفي بعض تكون شهلاء وفي بعض تكون سوداء ويعلو هذه الطبقة ويغشاها لا كلها بل الى موضع سواد العين جسم أبيض اللون يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي على القحف من خارج وجوهره من لحم أبيض دسم وقد امتزج بعضلة العين واحكم على القرنية فلهذا تسمى بالملتحمة هكذا رتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات أعني جعل الاول الطبقة الصلبية ثم الطبقة المشيمية ثم الطبقة الشبكية ثم الرطوبة الجليدية ثم الطبقة العنكبوتية ثم الرطوبة البيضية ثم باقي الطبقات العنبية والقرنية والملتحمة وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية وجعل الطبقات الاربعة أعني العنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتوالية وأشرف أجزاء العين انما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لاجل مصلحته فالزجاجية والطبقات الثلاث قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية والطبقات الاربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهي موضوعة في الوسط صيانة لها وحرزا (فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات) الدالة على كمال قدرته (لانقضت فيه الاعمار) ولم تف عشر عشيره (فانظر الآن الى العظام وهي أجسام صلبة قوية) اعلم أن الاعضاء أجسام كثيفة متكونة من الرطوبات المحمودة وهي الاخلاط والرطوبات الثانية التي ليست من الفضول والمني أما من الاخلاط عند من يجعله دما نضيجا وأما من الرطوبات الثانية عند من يجعله نوعا آخر ومنها عضو مفرد وهو الذي أي جزء محسوس

بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لوفقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى أن نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي أجسام صلبة قوية

أخذت منه كان مشاركا له في الشكل في الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاجزاء وهو العظم وقد خلق صلبا
(فانظر كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له) ودعامة للحركات (ثم قدرها
بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق)
ومنه ماهو مربع ومنه ماهو على شكل زاوية ومنه ماهو على نصف دائرة (ولما كان الانسان محتاجا الى
الحركة بجملة بدنه وببعض أجزائه مفتقرا للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها
مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها
وربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له) اعلم ان الوتر
مؤلف في الاكثر من العصب النافذ في العضلة البارز منها في الجهة الاخرى ومن الرباط والرباط عضو
عصباني المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة وفائدته أن يأتي من العظم الى جهة العضل فينشظى هو
والاعصاب فيتصل وترا والعصب والرباط اذا تشظيا شظايا دقاقا وحشي الخلل الواقع بينهما لحما وغشي غشاء
يسمى جملة ذلك عضلة فما امتد منه الى العضلة لم يسم رباطا ومالم يمتد اليها ولكن وصل بين طرفي المفصل
أو بين أعضاء أخرى وأحكم شد شئ الى شئ فانه مع مايسمى رباطا قد يخص باسم العقب وليس لشئ من
الرباطات حس وذلك لئلا يتأذى بكثرة مايلزمه من الحركة (ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة
منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وينطبق عليها فصار العبد ان أراد
تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك) اعلم أن المفصل مجاورة طبيعية بين عظمين
والالتحام هو اتحاد طبيعي بينهما وهو اما أن يكون من غير شئ يصل بينهما واما أن يكون بشئ وذلك الشئ اما
عصب واما غضروف واما لحم والمفصل اما موثق وهو الذي لا يتحرك حركة بينة كمفصل الرسغ واما سلس وهو
مايتحرك حركة بينة كمفصل المرفق وكل ثلاثة أقسام أحدها من الموثق مايكون تركيبه بدروز يجمع العظمين
وهو أن يكون لكل منهما زوائد وحفر كالمنشار فيدخل كل زائدة من كل حفرة من الآخر كالمنشارين اذا
جمعا الثاني مايكون تركيبه بالتزاق بضمهما وهو ان يتصلا على خط مستقيم كزندى الساعد وقصبي الساق
الثالث مايكون تركيبه بركز أحدهما في الآخر وهو أن يدق أحدهما ويرتكز رأسه الدقيق في عظم
آخر كالاسنان في أوريتها الرابع وهو أول السلس أن تكون الحفرة كذلك من العظم المحفور غائرة والرأس
من الآخر طويلة العنق رقيقة كمفصل الفخذ ويسمى المفرق والخامس ان لا تكون الحفرة كذلك ويسمى
المطارف وان يكون لكل رأس يدخل في فقرة من الآخر كالمرفق ومفاصل خرز الصلب ويسمى المداخل
(ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال
والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف) وهي عظما
اليافوخ وعظم مؤخر الرأس وعظم الجبهة والعظمان اللذان عن جنبيه وفيه الاذنان فهذه هي الستة وهي
عند أهل التشريح سبعة والسابع هو المشترك الشبيه بالوتد وهو قاعدة الدماغ وحمال الرأس ولابد من ذكره
وقد أسقطه المصنف وبه يتم العدد الذي ذكره كما يظهر ذلك بالتأمل فاليافوخان مربعان رخوان وسبب
رخاوتهما أن يكونا خفيفين لئلا يثقلا على الدماغ ولان الروح النفساني انما ينضج أولا بالبطنين المقدمين من
الدماغ ثم يتصفى ويصير الى البطن المؤخر وكانت الفضول هنالك أكثر فاحتيج الى أن يتحلل منه البخار فلذا
خلقتا رخوين وعظما الجنبين مثلثان وكل ثلاثة أجزاء أحدها يسمى الحجري لانه صلب كالحجر وفيه ثقب السمع
الثاني صلب جدا وفيه زائدة شبيهة بحلمة الثدي يمنع اللحي الاسفل من أن يخرج عن موضعه لسلاسة مفصله
الثالث موضع الصدغ وهو أصلب أيضا وعظم الجبهة نصف دائرة وعظم مؤخر الرأس والوتد كثير الاضلاع
والكل صلاب للاستغناء عن منفعة الاسترخاء المذكور ولمقاومة ماينال الرأس من مصاكة الاجسام التي
يضرب بها الرأس أو يقع هو عليها وقلما يقع الانسان على يافوخه بل على قفاه وجنبيه ووجهه غالبا وعظم

كيف خلقها من نطفة
سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما
للبدن وعمادا له ثم قدرها
بمقادير مختلفة وأشكال
مختلفة فمنه صغير وكبير
وطويل ومستدير ومجوف
ومصمت وعريض ودقيق
ولما كان الانسان محتاجا
الى الحركة بجملة بدنه
وببعض أعضائه مفتقرا
للتردد في حاجاته لم يجعل
عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفاصل
حتى تتيسر بها الحركة وقدر
شكل كل واحد منها على
وفق الحركة المطلوبة بها ثم
وصل مفاصلها وربط بعضها
ببعض بأوتار أنبتها من
أحد طرفي العظم وألصقه
بالعظم الآخر كالرباط له
ثم خلق في أحد طرفي العظم
زوائد خارجة منه وفي
الآخر حفرا غائصة فيه
موافقة لشكل الزوائد
لتدخل فيها وتنطبق عليها
فصار العبد ان أراد تحريك
جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا
المفاصل لتعذر عليه ذلك
ثم انظر كيف خلق عظام
الرأس وكيف جمعها وركبها
وقد ركبها من خمسة
وخمسين عظما مختلفة
الاشكال والصور فالف
بعضها الى بعض بحيث
استوى به كرة الرأس كما
تراه فمنها ستة تخص القحف

المؤخر أصلب الجميع لعدم حارس له كالعينين ودافع كاليدين والحاجة فى شدة صلابة القاعدة أوضح من أن يوضح وهو موضوع تحت القحف من ناحية خلف فيما بينه و بين اللحى الاعلى وقد ملئ به الخلل الحادث هنالك وهذه العظام يتصل بعضها ببعض بدروز خاصة وعامة يسمى الشؤن فالخاصة خمسة أحدها فى مقدم الرأس فى موضع يوضع فيه الاكليل مشترك مع الجبهة قوسى هكذا (ويسمى الاكليلى الثانى وسط الرأس قد ذهب فى طوله ونصفه مستقيم يقال له وحده سهمى واذا اعتبر من جهة اتصاله بالاكليلى قيل له سفودى وشكله قوس يقوم فى وسطه خط مستقيم كالعمود وهو هكذا (الثالث فى مؤخر الرأس مشترك بين الرأس من خلف و بين قاعدته وهو على شكل زاوية متصل بنقطة فى طرف السهمى و يسمى الدرز اللامى لانه يشبه اللام فى كتابة اليونانيين وهو هكذا واذا انضم الى الدرزين المقدمين صار شكله هكذا وهذه الدروز الثلاثة دروز حقيقية الرابع والخامس الدرزان الكاذبان وهما ممتدان فى طول الرأس فوق الاذنين على موازاة السهمى من الجانبين وليسا بغائصين فى العظم تمام الغوص ولهذا يسميان القشرتين واذا اتصلا بالثلاثة الاول الحقيقية صار شكلها هكذا وأما العامة وهى المشتركة بين الرأس وغيره فاثنان أحدهما الذى يصل بين الرأس و بين اللحى الاعلى وهو الذى يبتدأ من الموضع الغائر من الصدغ من طرف الدرز الاكليلى و يصير الى موضع العينين فيمر فيه وفى الوسط بين الحاجبين حتى ينتهى الى الطرف الآخر من الدرز الاكليلى فيلتزق به الثانى الوصل بينه و بين القاعدة فيصل بين طرفى اللامى عندما ينحدران الى موضع القاعدة ثم يصعد من الجانبين فيتصل بطرفى الاكليلى واعلم ان ما ذكرنا من الخمسة فهى للرأس الذى شكله طبيعى أى مستدير له نتوّ فى مقدمه ونتوّ فى مؤخره وأما الذى ليس كذلك فهو ثلاثة احدها الذى لا نتوّ له فى مقدمه ولا يوجد فيه الاكليلى الثانى ما لا نتوّ له فى مؤخره فلا يوجد فيه اللامى الثالث ما لا نتوّ له فى مقدمه ولا فى مؤخره فلا يوجد فيه الاكليلى واللامى و يوجد فيه درزان متقاطعان على زوايا قائمة و يصير الرأس كالكرة متساوى الطول والعرض ولكل هذه العظام حدود تفرزه من غيره أما اليافوخان فحد كل من خلف أحد ضلعى اللامى ومن قدام الاكليلى ومن الاسفل احد القشرتين ومن الاعلى السهمى وأما الجانبان فحد كل منهما من الاعلى أحد القشرتين ومن الخلف طرف اللامى ومن القدام آخر الدرز العام الذى من طرف اللامى الى طرف الاكليلى وعظم المؤخر حده من الاعلى اللامى ومن الاسفل الجزء الوسط من العام الذى بين الرأس والوتد الذى من طرف اللامى الاكليلى وعظم المؤخر حده من الاعلى اللامى ومن الاسفل الجزء الوسط من العام الذى بين الرأس والوتد وهو الواصل بين طرفى اللامى وعظم الجبهة حده فوق الاكليلى ومن أسفل العام الواصل بين الرأس واللحى الاعلى واعلم ان القحف جنة الدماغ وجعل شكله مستديرا لئلا تسرع اليه الآفات ولان الشكل المستدير لا ينفعل عن المصادمات ما ينفعل عنه ذو الزوايا وليسع من جوهر ما يحتوى عليه مقدارا كثيرا لان الشكل المستدير أعظم مساحة مما يحيط به غيره من الاشكال المستقيمة الخطوط اذا تساوت احاطتها وخلق الى طول مع استدارته مضغوطا من الجانبين ناتئا من قدام وخلف لان الدماغ كذلك بسبب الشعب التى يأتى منه الى المنخرين والعينين و بسبب أبخرة المؤخر الذى هو منشأ النخاع وفائدة دروزها اندفاع البخارات من منافذها وفائدة كثرة عظامه ان الآفة اذا لحقت جزأ لم يقدح فى البواقى وليكون فى الشرايين والاوردة الداخلة الى الدماغ والخارجة منها مسالك وأعظم تلك المسالك هو مخرج النخاع وهو الذى من أسفل عند فقرة القفا فهذا ما يتعلق بعظام القحف ولم يذكر المصنف عظام الصدغين وهى أربعة لكل اثنان يسميان الزوج أحدهما ملتحم بالعظم الجبينى من عظام الرأس والآخر متصل بطرف الحاجب الذى هو عند الموق الاصغر من العين وكلاهما قرنا بدرز مورب يفرق بينهما ومنفعتهما حفظ عضل الصدغ عما يصاكه من خارج (وأربعة عشر للحى الاعلى) ستة فى العينين

وأربعة عشر للحى الاعلى

لكل

لكل ثلاثة واثنان للوجنتين وهما كبيران منهما أكثر الاسنان سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنان صغيران وفيهما ثقبان من المنخرين الى الفم واثنان فى طرفى اللحى وفيهما بقية الاسنان واثنان فى الانف وأما درز اللحى الاعلى فالمشتركة قد ذكرت والخاصة أربعة احدها يبتدئ من تحت زوج الصدغ من الدرز المشترك للحى والوتد ويصير الى وسط الزيق الاسفل من محاجر العين وينقسم هناك ثلاث شعب الثانى والثالث يبتدئان من وسط الحاجبين ويمران الى جانب المنخرين حتى ينتهيا الى الموضع بين الرباعيات والانياب الرابع يقطع أعلى الحنك بالطول وكل واحد من هذه العظام يحده من جوانبه درز من المشتركة والخاصة وفائدة كثرتها ان الآفة اذا نالت أحدها لم يؤثر فى الباقى (واثنان اللحى الاسفل) طرف كل منهما من الاسفل فى موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له شعبتان احداهما حادة دقيقة الرأس وهى تحت الزوج ويأتيها وتر عضلة الصدغ القائم باطباق الفم والثانية غليظة وهى من خلف داخلة فى نقرة تحت الزيادة الشبيهة بحلمتى الثدى دخولا يلتئم به منها ومن تلك النقرة مفصل (والبقية هى الاسنان) وهى اثنان وثلاثون فى كل لحى ستة عشر (بعضها عريضة) خشنة الرؤس (تصلح للطحن) وهى خمسة فى كل من الجانبين وتسمى الاضراس والطواحين (وبعضها) عراض حادة الرؤس (تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا) منها أربعة من قدام وهى الثنيتان والرباعيات ويقال لها القطاعة اذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين واثنتان عن جانبى الاربع ويقال لهما النابان وهما حادتا الرؤس عريضتا الاصول يكسر بهما ما صلب من الطعام ولكل من هذه الست أصل واحد ولكل منها اذا كان من فوق ثلاثة أصول وقد يكون لاقصاها أربعة وان كان من أسفل أصلان وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول وانما جعلت أصول الاضطراس أكثر لشدة عملها ودوامه وانما جعلت أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها ومن عجيب الحكمة فى هيئة الاسنان ان الثنايا والرباعيات يتماس ويلاقى فى حالة العض ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الاشياء وذلك يكون بجذب الفك الى قدام حتى يلاقى بعضها بعضا وعند المضغ والطحن يرجع الفك الى مكانه فيدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات الى داخل ويحيدعن موازاة العالية فيتم بذلك الاضراس وقوع بعضها الى بعض وذلك لانه لا يمكن تلاقى الثنايا والرباعيات التى فى اللحى الاعلى فى اللحى الاسفل أن يتلاقى الاضراس وربما عدمت النواجذ منها فى بعض الناس وهى أربعة الطرفانية فيكون أسنانه ثمانية وعشرين النواجذ تنبت فى الاكثر فى وسط زمانى النمو وهو بعد البلوغ الى الوقوف وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك تسمى اسنان الحلم *(تنبيه)* اختلف الاطباء فى المادة التى تخلق منها الاسنان فقال بعضهم هى عظام لانها صلبة يابسة قابلة للكسر غير مدركة لالم السحق والنحت واليه يميل سياق المصنف وقال بعضهم هى أعصاب لانها تدرك الحرارة والبرودة وألم الضربان والوجع والحكة ويحصل لها الضرس من الحموضات وذلك خدرها والخدر مخصوص بالعصب قال المتأخرون والحق هو الاول وهى عظام قد غلب عليها البرد واليبس وقد اتصل بها شعب من العصب الدماغى وقد أنبتت فى أصولها وهى الموجبة لادراكها الوجع والضربان والحرارة والبرودة وغيرها وقد اختلفوا أيضا هل أصلها من منى الاب والام أو هى من الغذاء واستدل القائلون بالاول بانها لو كانت من الغذاء لنبتت كلما انكسرت وسقطت وليس كذلك واستدل القائلون بالثانى بانها لو كانت من المنى لم يوجد الجنين الا بها ولم تنبت هى اذا سقطت كما فى الاطفال وليس كذلك والحق انها من مادة المنى لكن تلك المادة كامنة فى عظام الفكين والعلة الغائية فى ذلك ان الطفل لا يحتاج الى الاسنان فى أول الامر لان غذاءه من اللبن وفكاه صغيران وعظامهما ضعيفة يكون ما ينبت منهما مناسبا لها فى الضعف والصغر فلم تف بما يحتاج اليه من المضغ والكسر وغير ذلك الى آخر العمر فالعناية الازلية اقتضت تأخير خروجها ونباتها الى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل

واثنتان للحى الاسفل والبقية هى الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا

والعظم والقوة والصلابة وغيرها وأما سقوط أسنان الاطفال ونباتها مرة ثانية فالحكمة فيه ان الطفل اذا صار محتاجا الى الاغتذاء بغير اللبن اقتضت العناية نبات أسنانه لكنها تكون ضعيفة صغيرة مناسبة لعظام الكفين ولذلك لا يفي بما هو المراد الى آخر فقدر البارى تعالى أن يسقط و يدخر الطبيعة شيأ من المادة لانباتها مرة ثانية بحيث يفي بالمراد الى حلول الاجل الطبيعي ولسقوطها سبب آخر وهو نمو الانسان وكبر أعضائه فيتسع بالضرورة مكان الاسنان فيتحرك و يتزلزل و يسقط وما يقال من ان بعض الشيوخ تسقط أسنانه وتنبت مرة ثالثة فغير مستبعد اذ قد تكون المادة التى تخلق الاسنان منها أوفر مما هو الاغلب والاكثر المعتاد فى الاشخاص وذلك نادر فيفى بنباتها مرة ثالثة ومادة السن الزائدة هى أيضا من هذا القبيل أعنى من توفر المادة كمادة الاصبع الزائدة وقد تنبت لبعض الناس بعد البلوغ أسنان صغار ومادتها ماذكرنا (ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض و يطول ذكر وجه الحكمة فيها) اعلم أن عظم الصلب ينقسم أربعة أجزاء أحدها الرقبة وهى مركبة من سبع فقرات والفقرة عظم فى وسطه ثقب ينفذ فيه النخاع و يقال لها أيضا الخرزة الثانى الظهر الثالث القطن والحقو الرابع العجز وسيأتى بيان كل ذلك ومن الفقرات ما تسمى بالزوائد وهى ثلاثة أجناس أحدها يسمى بالشوك والسناسن الثانى الزوائد المعترضة فما منها من فقار الرقبة مثقوب وهى فى الاولين بسيطة وفى الخمس الباقية مشقوقة باثنين وما منها فى البواقى غير مثقوب الثالث الزوائد التى بها تلتئم مفاصل الفقار وهى فى كل أربع ثنتان شاخصتان الى فوق وثنتان الى أسفل وفى خرز الرقبة وخرز القطن زائدتان للوقاية وقوله فيها تحريفات وزيادات ونقصانات يشير به الى أن فى كل من الفقرات الستة السفلية من الرقبة نصف ثقبة هى نصف دائرة تامة وتلتئم من اثنين دائرة تامة أيضا والفقرة الاولى يخرج العصب من ثقب فيها خاصة لمكان المفاصل التى من جانبيها (ثم ركب الرقبة على الظهر و ركب الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة) اثنتا عشرة منها تسمى فقرات الصدر أيضا لان حد الصدر الاسفل ينتهى عند قبالتها وسائر الفقرات يتصل كل منها بصاحبتها من قدام برباطات ومن خلف بزوائد يدخل من كل فى الاخرى ومنها خمس للقطن والحقو (وركب عظم العجز) وهو عظم عريض يعرف بالعظم الاعظم (من ثلاثة أجزاء مختلفة) وعند المشرحين مركب من جزأين أحدهما يسمى العجز باسم الجميع وهو مركب من ثلاثة عظام شبيهة بالفقرات (فيتصل به من أسفله عظم العصعص) وهو الجزء الثانى من العجز (وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء) غضروفية وتختلف هذه الخرز فى الاتصال والمقدار والثخن والزوائد والثقب ولعظم العجز زوائد شوكية وشاخصة الى الفوق وأسفل وأما التى فى الجانبين فهى عراض واعلم ان منافع عظم الصلب خمس احداها انه أساس الاعضاء الثانية مرور النخاع فى تجويفه والحاجة الى النخاع ضرورية اذ لابد للاعضاء من عصب الحس والحركة ولو كان العصب كله يأتيها من نفس الدماغ لانقطع اذا بعدت المسافة على أنه لم يمكن أن ينبسب من الدماغ عصب صلب يصلح لتحريك اليدين والرجلين للين جوهره الثالثة كونه جنة للنخاع واقية الرابعة القدرة على الانحناء والانبساط ولذا جعل مركبا من الفقرات الكثيرة اذ لو كان واحدا لتعذر ذلك الخامسة أن يستر الاعضاء الموضوعة عليها و يدفع عنها (ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر) وهى سبعة يتصل بعضها ببعض وابتداؤها من حيث نقرة الحلق وانتهاؤها من أسفل الثدى بقليل حيث أضيق موضع من المواضع التى يحس من البطن (وعظام الكتف) وهى أربعة لكل اثنان أحدهما له تقعير من باطنه لتحدب الاضلاع وتجويف من ظاهره ونتوء من خلفه يقال ظاهر الكتف وعين الكتف وله عنق فى طرفه نقرة يدخل فيها رأس العضد وفيه زائدتان احداهما من خلف فى الطرف الاعلى من العين شبيهة بمنقار الغراب وتسمى الاخرم و بها يرتبط الكتف بالترقوة وهى تمنع رأس العضد أن ينخلع والثانية عظم

ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف

غضروفى

غضروفي الى فوق من داخل يمنع رأس العضـد أن ينخلع (وعظام اليدين) وهي ستة عشر لكل ثمانية وهي عظام صلبة صلدة عديمة المخ سبعة منها انضدت صفين فالصف الاعلى من ثلاثة والاسفل من أربعة وذلك لان أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه في هذا الجانب فرجة أعني الساعد وأسفله متصل بعضو عريض أعني مشط الكف وأما الثامن فانما خلق لحفظ عصبة هناك تاتي الكف لا للرسغ خاصة (وعظام العانة وعظام العجز) اعلم ان عظم العانة واحد وهو جزء من أربعـة أجزاء من عظمي الوركين وبيانه ان عظمي الوركين متصـلان بعظم العجز من جانبيه عن يمينه وعن شماله ولكل أربعة أجزاء فيقال للذي بجنبه منهـا عظم الخاصرة وللذي من قدامه عظم العانة وللذي من خلفه عظم الورك وللجزء الباطن المجوف حق الفخذ وأما عظام العجز فقد تقدم الكلام عليها (ثم عظام الفخذين) وهما عظمان من أعظـم عظام البدن لانهما يحملان ما فوقهما ويقومان بتحريك عضو عظيم أعني جملة الرجل والطرف الاعـلى من كل منقول الى الجانب الوحشي ليكون للعضل والعصب والعروق موضع والاسفل الى الانسي ليتمكن البـدن منـه بوثاقة وحرز ولكل رأسان الاعلى مدور داخل في حق الفخذ ويسمى رمانة الفخذ والاسفل ذو شعبتين يدخلان في نقرتين في رأس عظم الساق (والساقين) وهي ستة لكل ثلاثة أحدها القصبة العظمى ويقال له عظـم الساق والقصبة الانسية لوضعه في الجانب الانسي والثاني الصغرى والوحشـية وهي أقصر من تالث ولذا لا تبلغ مفصل الركبة وانما تبلغه العظمى فيدخل رأسان من عظم الفخذين في حفرتين فيها وطرفا هذين يلتقيان عند الكعب فيحدث فيما بينهما المفصل الثالث من مفاصل الرجل الثالث عين الركبة وهو عظم مطابق على مفصل الركبة مستدير فيه غضروفية ويسمى الرحى (وأصابع الرجلين) وهي مؤلفة من أربعة عشر عظما الا الابهام فيها مؤلف من كعبين والبواقي من ثلاث فهذه جملة عظام البدن ولم يذكر عظمي العضدين ولا عظام الساعدين وهي أربعة لكل اثنان هما الزندان ولا عظام شطر الكفين وهي ثمانية لكل أربعة ولا عظام أصابع اليدين وهي ثلاثون لكل خمسة عشر ولا عظام القدمين وهي اثنان وخمسون لكل ستة وعشرون وقيل أربعة وخمسون لكل سـبعة وعشرون (فلا نطيل بذكر عدد ذلك ومجموع عـدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى) المسمسمانيات وهي (العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل) من السلاميات وهي عظام الاصابع لزيادة الاستيثاق منها سميت بذلك لتشابهها السمسم وسوى العظـم الشبيه باللام اليوناني وسوى العظم الذي في القلب فانهما عند بعض الناس من جنس الغضروف والاختلاف في عدد جملة عظام القدمين بل البدن كثير وتفصيله مودع في كتب التشريح (فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة) قذرة (سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها) فقط (فان هذا علم قريب) سهل التناول (يعرفه الاطباء والمشرحون) أي أرباب التشريح (وانما الغرض) المطلوب من ذلك (أن ينظر منها الى مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهـذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحـدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعـه) وازالته (ولو نقص منها واحـدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين) نظر البصر ونظر البصـيرة (ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة) أو سبعا وعشرين وهـذا على قول جالينوس (والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية) فاللحم هو حشو خلل الاعضاء وقوتها التي يندعم بها ويندرج في هـذا الحد أنواع اللحم أحدها اللحم الذي في العضل هو أكثر ما في البدن والثاني اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الاسنان والثالث اللحم الغددي كلحم الانثيين ولحم الثدي وغير ذلك والرابع

وعظام اليـدين وعظام
العانة وعظام العجـز
وعظام الفخذين والساقين
وأصابع الرجلين فلا نطول
بذكر عـدد ذلك ومجموع
عدد العظام في بدن الانسان
مائتا عظم وثمانية وأربعون
عظما سوى العظام الصغيرة
التي حشي بها خلل المفاصل
فانظـر كيف خلق جميع
ذلك من نطفـة سخيفـة
رقيقة وليس المقصود من
ذكر أعـداد العظام أن
يعرف عددها فان هذا علم
قريب يعرفـه الأطباء
والمشرحون وانما الغرض
أن ينظر منها الى مـدبرها
وخالقها انه كيف قدرها
ودبرها وخالف بين اشكالها
واقدارهـا وخصصها بهذا
العدد المخصوص لانه لو زاد
عليها واحدا لكان وبالا على
الانسان يحتـاج الى قلعه
ولو نقص منها واحدا لكان
نقصانا يحتاج الى جبره
فالطبيب ينظر فيها ليعرف
وجه العـلاج في جبرهـا
وأهل البصائر ينظرون
فيهـا ليستدلوا بها على
جلالة خالقها ومصورهـا
فشـتان بين النظرين ثم
انظر كيف خلق الله تعالى
آلات لتحـريك العظام
وهي العـضلات فخلق في
بدن الانسان خمسـمائة
عضـلة وتسعا وعشرين
عضلة والعضلة مركبة من
لحم وعصب ورباط وأغشية

السمين وهو مايعلو على اللحم الاحمر والخامس الشحم وهو جسم أبيض لين وأما العصب فهو عضو أبيض لدن في الانعطاف صلب في الانفصال وأما الرباط فهو عضو عصباني المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة واما الاغشية فهي أعضاء عصبانية عريضة شديدة صلبة القوام (وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها) ومنفعتها ان الانسان اذا أراد أن يقرب عضوا من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها واذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود والعضل الذي يحرك عضوا كبيرا يكون كبيرا كالعضل الذي في الفخذ المحرك وينبت منه اما وترواما أوتار متصل بالعضو الذي يحركه وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد والذي يحرك عضوا صغيرا يكون صغيرا كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جدا وليس لها أوتار وكل عضو يتحرك حركة ارادية فانه له عضلة بها تكون حركته فان كان يتحرك الى جهات متضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها الى ناحيتها عند كون تلك الحركة وتمسك المضادة لها عن فعلها وان عملت المضادتان في الوضع في وقت واحد انشق العضو أوتمدد مستقيما لا يتحرك مثال ذلك ان الكف اذا مدها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنى وان مده العضل الموضوع في ظهره انحنى وانقلب الى خلف وان مداها جميعا استوى وقام بينهما وجملة ما للبدن من الحركات الارادية حركة جلدة الجبهة وحركة العينين والخدين وطرفي الانفين والشفتين واللسان وحركة الحنجرة والفك وحركة الرأس والعنق وحركة الكتف وحركة مفصل العضد مع الكتف وحركة مفصل العضد مع الساعد وحركة مفصل الساعد مع الرسغ وحركة جملة الاصابع وكل واحد من مفاصلها وحركة الاعضاء التي في الحلق وحركة الصدر للتنفس وحركة القضيب وحركة المثانة في منعها خروج البول وحركة المعى المستقيم في منعها خروج الثفل وحركة مراق البطن وحركة مفصل الورك والفخذ وحركة مفصل الفخذ والساق وحركة مفصل الساق والقدم (فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها ونقصت واحدة من جلتها اختل أمر العين) ثلاث منها تحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين ووترها يرفي وسط طي الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه واثنتان موضوعتان في موق العين مدفونتان في حفرتها ووتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلها فان نال احداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحا وواحدة وقيل ثنتان وقيل ثلاثة يدعم العصبة المجوفة التي يكون بها البصر ويثبتها حتى لا تنالها بسبب امتدادها عند التحديق الشديد أن ينقطع وست عضلات تحرك العين أربع الى الاستقامة احداها تميلها الى فوق الثانية تحفظها الى أسفل الثالثة تحركها عنة الرابعة تحركها يسرة وثنتان على الاستدارة فهذه عشرة أو احدى عشرة أو اثنتا عشرة للعين والاخرى كذلك (وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص) منها تسع للوجه ثنتان من جانبي الخدين بحركان الخدود من اللحى ويفرقان بين الشفتين وهما عريضتان وثنتان تجذبان الشفة السفلى الى أسفل وثنتان تبسطان طرف الانف وواحدة تحت جلدة الجبهة ومنها اثنتا عشرة لتحريك الفك الاسفل ومنها ثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق ومنها اثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة ومنها تسع لتحريك اللسان ومنها أربع عشرة للكتفين ومنها ست وعشرون للعضدين ومنها ثمان لمفصل المرفقين ومنها أربع وثلاثون في الساعدين ومنها ست وثلاثون في الكتفين ومنها مائة وسبع لحركة الصدر ومنها ثمان وأربعون لتحريك الصلب ومنها ثمان موضوعة على البطن ومنها أربع للانثيين ومنها واحدة لعنق المثانة ومنها أربع تحرك الذكر ومنها أربع تحيط بالدبر ومنها ست وعشرون أو أربع وعشرون أو ثنتان وعشرون لمفصل الورك ومنها ثمان عشرة أو عشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق ومنها ثمان وعشرون لحركة القدم ومنها ثمان وخمسون أو ثنتان

وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها ونقصت واحدة من جلتها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص

وأمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فللفكر مجال فى آحاد هذه
الاجزاء ثم فى آحاد هذه الاعضاء ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لاتدرك بالحواس
أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة مايقضى به العجب وكل ذلك
صنع الله فى قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها واشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أعظم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لانسبة لجميع مافى الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أوّلا وماصارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما أو عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه
فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصوّر على حائط تأنق
النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام
فطنته وعظم فى قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشئ من ذلك

وخمسون موضوعة فى القدم لبقية حركات الاصابع (وأمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين
وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول) فالاعصاب مبدؤها من الدماغ والنخاع
وجميعها أزواج سوى عصب واحد فانه فرد لازوج له وهو آخر النخاعيات فما نبت من الدماغ نفسه سبعة
أزواج بها حس الحواس الخمس وحس بعض الاعضاء وأما العروق فمنها نوابض ومنها ضوارب فمن النوابض
الاوردة ومنبتها الكبد ولها انشعابات فما يأتى منها اليد من ناحية الابط يسمى الباسليق وماجاء الى اليد
من الجانب الوحشى يسمى القيفال وماغار فى العنق مصعدا يسمى الودج وماكان عند المرفق يسمى الاكحل
وماركب الزند الاعلى يسمى حبل الذراع ومابلغ رأس الزند الاسفل يكون من بعضه شعبة العرق الذى بين
الخنصر والبنصر المسمى بالاسيلم ومامر فى عضد الساق الداخل والخارج يسمى المابض وماظهر عند
الكعب الداخل يسمى الصافن ومامر فى الجانب الظاهر من الساق وهو غائر الى ناحية الكعب الخارج
يسمى عرق النسا وفعل الجميع جذب الكيلوس الى الكبد وأما الضوارب فهى الشرايين ومنبتها
التجويف الايسر من القلب ويخرج من هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف يسمى
الشريان الوريدى والثانى كبير جدا يسمى الابهر وحين طلوعه تتشعب منه شعبتان احداهما وهى
أصغرهما تصير الى التجويف الايمن من تجويفى القلب والثانية تستدير حول القلب ثم تدخل اليه
وتتفرق فيه ثم ان الباقى من العرق النابت من تجويف القلب الايسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين ينقسم
قسمين احدهما يأخذ نحو أعلى البدن وتتشعب منه فى مصعده من الجانبين شعب والثانى يأخذ نحو أسافل
البدن فيركب خرز الصلب نازلا الى أسفل وتتشعب منه عند كل خرزة شعبة يمنة وأخرى يسرة (فللفكر
مجال فى آحاد هذه الاجزاء فى آحاد الاعضاء ثم فى جملة البدن) من حيث المجموع من هذه الاجزاء والاعضاء
(فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات) الباطنة (التى لاتدرك بالحواس)
الظاهرة (أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته المركبة فيه فترى فيه من
العجائب والصنعة مايقضى به العجب وكل ذلك صنع الله) تعالى (فى قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه
فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها
وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظن ان ذرة فى
ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان
بل لانسبة لجميع مافى الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا) أى أصعب خلقا (أم
السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أوّلا) كيف كانت فى
قلتها وحقارتها (وماصارت اليه ثانيا) بعد اختلاف الاطوار السبعة عليها (وتأمل لو اجتمع الانس والجن
على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما او عرقا أو عصبا
أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق
الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصوّر على حائط) أو خشب أو ورق وقد
(تأنق النقاش فى تصويرها) وتحليتها (حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان)
وهو غاية التقريب (عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله مع
انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط واليد وبالقدرة وبالعلم والارادة وشئ من ذلك

ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة

كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فاحكم العظام فى أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه

ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترائب) وجمعها من بين الذكر والانثى (ثم أخرجها منها) فالقاها فى الرحم (وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها و) صورها فاحسن (تصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فاحكم العظام) التى هى دعائم البدن (فى أرجائها) أى أطرافها (وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها) وممدا لايصال منافعها (ليكون ذلك سبب بقائها) فى الدنيا (وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها) الظاهرة (ففتح العينين ورتب طبقاتها) بما فى أثنائها من الرطوبات (وأحسن شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان) من الاعلى والاسفل (لتسترها) من عوارض الآفات (وتحفظها) عن اشعة الشمس (وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها) باهدابها (ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها) وللناس فى صفة الابصار خمسة مذاهب أحدها وهو مذهب المتكلمين ان الابصار علم خاص يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه والثانى قول الطبيعيين وهو ان الابصار ورود صورة المرئى على الرائى فينطبع فيه مثال المرئى فيدركه بانطباع صورته فيه والثالث قول الرياضيين وهو ان الابصار لاجل ان الشعاع يخرج من العين على شكل مخروط رأسه عند مركز البصر وقاعدته عند سطح المبصر والرابع ان الابصار بان يخرج من العين خط واحد مستقيم ينتهى الى المبصر ثم يتحول على سطحه حركة فى غاية السرعة فى الطول والعرض فيحصل الادراك والخامس أن لا يخرج من العين شعاع لكن الشعاع الذى فيه يتكيف الهوى بكيفيته ويصير ذلك آلة للابصار والحق فى هذه الاقوال هو الاول وقد ورد على بقية الاقوال ايرادات مع أن مسائل المبصرات فى علم المناظر انما تتخرج على قاعدة الشعاع وبسط ذلك فى المبسوطات فى هذا العلم وقد أورد الشهاب القرافى فى كتابه الاستبصار لما يدرك بالابصار منها جملة ولا يليق ايراده هنا (ثم شق أذنيه) وركبهما من اللحم والغضروف والعصب الحساس (وأودعهما ماء مرا يحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن ليجتمع الصوت فترده الى صماخها وليحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات ليكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حال النوم) ولئلا يصادم الاصوات المزعجة عصب الحس دفعة بعنف فتلحقه آفة واعلم ان داخل الاذن فضاء هو موضوع مجوف ذو تقعير يؤدى اليه ثقبه وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل وبهذا الغشاء يكون السمع عندما يقرعه الصوت لان فى ذلك الفضاء هواء راكدا فكلما وصل الهواء الخارجى المتموج الى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان العصب معا فيدرك الصوت (ثم رفع الانف من وسط الوجه) بعد ان ركبه من العظم والغضروف والعضل (وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه) اعلم ان عضلة النصف الاعلى القريب من الحاجبين عظيمة وعضلة النصف الاسفل غضروفية ومجراه اذا علا انقسم قسمين أحدهما يفضى الى أقصى الفم والثانى يمر صاعدا حتى ينتهى الى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع فى وجه زائدى الدماغ وبعد هذا العظم منفذ فى الغشاء تنفذ فيه الرائحة الواصلة الى الزائدة الى الدماغ فبهذا المجرى يكون الشم وبالاولى التنفس الجارى على العادة لا الكائن بالفم ومن منفذى الانف منفذان الى الحنك بهما يصير الصوت صافيا فاذا انسدا تغير الصوت

ومنفذان

ومنفذان الى ما فى العين بهما يصل رائحة الكحل الى الانف (وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب) وهو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المرىء وقد النفت به عروق كثيرة صغار فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب وبهما يبقى فى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية (وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقلع) فمنها الطواحن ومنها الكواسر ومنها القواطع كما تقدم بيانها (فاحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم) فى السلك (وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام) الشفوية (ثم خلق الحنجرة) مشدودة مع العصبة بالمرىء (وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة) اعلم ان الحنجرة مؤلفة من ثلاث غضاريف أولها الدرقى وهو قدام الحلق مقعر الباطن محدب الظاهر متصل باصل اللسان الثانى يحاذى الدرقى من خلف الثالث مكبوب عليهما ويلتقى الدرقى بغير اتصال ويسمى المكبى وهما يأتيان الدرقى عند الاكل فيساعدانه على تغطية قصبة الرئة وضمها لئلا ينزل فيه شىء مما يؤكل ويشرب وينحيانه عنه عند الكلام فينفتح وانما ينتو الحنجرة ويغلظ الصوت عند الادراك لان الحرارة التى تنهض فى ذلك الوقت توسع الحنجرة فينتو ويغلظ الصوت والآلة التى تحرك الهواء الذى هو مادة الصوت بحركتى الانقباض والانبساط يسمى بالحجاب واللهاة عضو معلق فوق الحنجرة يصل اليه أولا كل شىء خرج من الحنجرة كالتنفس والنفث والصوت وكل شىء دخل فيها كالهواء والدخان ونحوهما ويدفع مضرة ذلك عن الحنجرة وقصبة الرئة ولهذا يتغير صوت من قلع لهاته وتضر حنجرته والحنك كقبة يتضاعف الصوت اذا حصل فيه والهواء الذى هو مادة الصوت مادام فى العصبية يكون كالدخان فاذا وصل الى طرف القصبة صار صوتا وحركة اللسان بمعونة الاسنان تظهر الحروف فى ذلك الصوت فيصير كلاما واعلم ان فى الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة فى تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافيا فاذا عرض لاحد حمى محرقة تحرق تلك الرطوبة فلا يقدر على اخراج الصوت وكذا من تكلم كثيرا أو سافر فى هواء حار يابس فانهما لا يقدران على التكلم الا اذا بلا حلقهما بالماء أو بشىء آخر رطب (ثم زين الرأس بالشعر) فى الرجال والنساء (والاصداغ) جمع صدغ وهو الشعر الذى يدلى ما بين لحظ العين الى أصل الاذن وهذا للنساء خاصة (وزين الوجه باللحية) وهذا للرجل خاصة ومن تسبيح بعض الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالشعور (والحاجبين) وهذا للرجال والنساء جميعا (وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب) جمع هدب وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين (ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد) منها (لفعل مخصوص فسخر المعدة) التى هى حوض البدن (لاحالة الغذاء الى الدم) وهى جسم مستدير الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين (والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال) عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون مغشى بغشاء يأتيه من الصفاق ليس له فى نفسه حس بل لغشائه (يخدمها بجذب السوداء عنها) وهو وعاء السوداء وبالوعتها وموضعه فى الجانب الايسر من ضلوع الخلف والمعدة وجعل متخلخلا ليستقر السوداء المنجذب اليه فى تضاعيفه وجعل فيه الشرايين الكثيرة لتقابل حرارتها برودة السوداء (والمرارة) عضو عصبانى ذو طبقة واحدة كخريطة منسوجة من الليف المستقيم والعريض والمورب (يخدمها بجذب الصفراء عنها)

فاحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب

السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها

والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف و قسم الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل و وضع الاربعة فى جانب الابهام لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول وترتيبها فى وصف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب

وهى وعاء الصفراء و بالوعتها وهى موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد ولها منفذان فان اتفق قصور فى جذب المرارة الصفراء من الكبد ورم الكبد فان تعفنت الصفراء فى الكبد حدثت الحميات الحادة (والكلية) مركبة من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشرايين يأتيها عصب صغير يكون منه غشاؤها موضوعة بالقرب من الكبد (تخدمها بجذب المائية) وجوهرها مندمج صلب لئلا ينفذ فيها الا الماء الرقيق وهما كليتان ولكل منهما عنقان وأحد عنقى أحدهما يتصل بالعرق الطالع من حدبة الكبد والثانى من كل منهما يمر مستفلا حتى يصل بالمثانة و يسميان الحالبين وهما مجرا البول (والمثانة) وهى مركبة من جسم عصبانى مضاعف ذى طبقتين من عروق وشريانات وهى وعاء البول وآلة لدفعه وموضعها بين الدبر والعانة وشكلها بلوطى بيضى ككيس طرفاه حادان ووسطه ذو سعة (تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه فى طريق الاحليل) اعلم أن البول مجيئه من الكلى من الحالبين فاذا بلغ الى المثانة خرق احدى طبقتيها ومر فيما بين الطبقتين حتى يأتى عنق المثانة ثم يخرق الطبقة الثانية فينصب منها الى تجويف المثانة فى منفذ خفى حتى يستره غشاء صغير من ان يرد هذا المنفذ عند امتلاء المثانة من البول لئلا يرجع من حيث جاء وفى عنق المثانة الذى هو مخرج البول ثلاث عطفات وللحيوانات الاخر عطفة واحدة ولهذا يكون تنظيف مثانة الرجال من البول أبطأ (والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى سائر أطراف البدن) فان الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير الى الكبد و ينهضم فيها و يستحيل الى الدم و باقى الاخلاط ثم يميز الدم عنها كلها فيكون غذاء للاعضاء (ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد) عند التناول (وعرض الكف) أى جعله عريضا (وقسم) فيه (الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل) وتسمى أيضا السلاميات وهى عظام صغار يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة بربط (ووضع الاربعة فى جانب والابهام) وحده (فى جانب ليدور الابهام على الجميع) فالعظم الاول من الابهام مربوط بالرسغ لا بالمشط كالاربع الاخر وقيل هو متصل بطرف الزند الاعلى بمفصل واسع سلس لانه يحتاج الى حركة واسعة لما يلقى به الاصابع الاربع (ولو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا) أى تشبيها بالطبق (وان جمعها) مع بعضها (كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت) مثل (مغرفة) له (وان بسطها وضم أصابعها كانت) مثل (مجرفة له ثم خلق الاظفار) مستديرة (على رؤسها) والظفر اما من العظام واما جسم عظمى موصول بالسلاميات الاخيرة من الاصابع مربوط مع اللحم والجلد برباطات من جنس الاوتار وقد يصير الى الظفر عصب و وريد وشريانات يؤدى اليه الحياة والغذاء (زينة للانامل) وهذا أحد منافع الاظفار (و) الثانية لتكون (عمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع) ولا تهن عند الشد على الشئ (و) الثالثة (ليلتقط بها الاشياء الدقيقة) أى ليتمكن من لقط الاشياء (الصغيرة التى لا تتناولها الانامل و) الرابعة (ليحك بها بدنه عند الحاجة) وهذه الاربعة أولى بنوع الانسان والخامسة ان تكون سلاحا فى بعض الاوقات وهذه أولى بالحيوانات الاخرى وخلق الظفر من عظام لينة لتطامن تحت ما يصاكه فلا ينصدع (فالظفر الذى هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه (واليه يشير) قول القائل

ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك

واذا بعثت لحاجة * فابعث لاعرفهم قدرك

(ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب) وفى نسخة الى

طالب

ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحلك الابعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدى ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ثم فتح فى حلمتى الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغنى عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا

طالب (ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحلك الابعد تعب طويل) ثم لا يشفيه الغليل (ثم خلق هذا كله من النطفة وهى فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث) هى الاغشية أحدها المشيمة وهى الغشاء المحيط والثانى الذى ينصب اليه بول الجنين والثالث الذى هو مغص العرق (ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا تمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي) هكذا فى النسخ والاولى الجنين فانه هكذا يطلق عليه ما دام فى الرحم (لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه) فان الجنين اذا تم خلقه وكمل لم يكتف بما يجيئه من دم الطمث والنسيم ويهرب عن الضيق وقلة الغذاء فيتحرك حركات صعبة قوية وتنهتك أربطة الرحم (ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدى ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين) كل منهما مركب من عروق وشرايين وعصب يحشى ما بينها نوع من اللحم غددى (وجمع فيهما اللبن) فيحيل ما فى تجويفهما من الدم حتى يصير لبنا كما يحيل لحم الكبد ما يجتذب من المعدة والامعاء حتى يصير بتشبيهه له اياه بنفسه دما (وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق فم الصبي ثم فتح فى حلمة الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغنى عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه) جل ثناؤه (كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة) وهذا على القول الصحيح ان الاسنان هى عظام صلبة قابلة للكسر غير مدركة لالم السحق والنحت كما تقدم قريبا وان مادتها التى خلقت منها منى الاب والام ولكن كانت تلك المادة كامنة فى عظام الفكين والعلة الغائية فى ذلك ان الطفل لا يحتاج الى الاسنان فى أول الامر لان غذاءه من اللبن وفكاه صغيران وعظامهما ضعيفة لكون ما نبت منهما سبالها فى الضعف والصغر فلم يف بما يحتاج اليه من المضغ والكسر وغير ذلك الى آخر العمر فالعناية الازلية اقتضت تأخير خروجها ونباتها الى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل والعظم والقوة والصلابة وغيرها (ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية) والرشد (تدريجا) شيأ فشيأ (حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا) بعد ان كان طفلا وصبيا (ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا) وفى كفاية المتحفظ لابن الاجدابى الولد ما دام فى بطن أمه فهو جنين فاذا ولد سمى صبيا فاذا فطم سمى غلاما الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج ثم يصير حزورا الى خمس عشرة سنة انتهى وقال الاطباء الاسنان أربعة سن النمو ويسمى سن الحداثة وهو الى قريب من ثلاثين سنة ثم سن الوقوف ويسمى سن الشباب وهو الى أربعين سنة ثم سن الانحطاط ويسمى سن الكهولة وهو الى نحو من ستين سنة ثم سن

اما كفورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا
الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم

ثم الى القدرة والحكمة
تبهرك عجائب الحضرة
الربانية والعجب كل العجب
ممن يرى خطا حسنا أو نقشا
حسنا على حائط فيستحسنه
فيصرف جميع همه الى
التفكر في النقاش والخطاط
وانه كيف نقشه وخطه
وكيف اقتدر عليه ولا يزال
يستعظمه في نفسه ويقول
ما أحذقه وما أكمل صنعته
وأحسن قدرته ثم ينظر الى
هذه العجائب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه
ومصوره فلا تدهشه عظمته
ولا يحيره جلاله وحكمته
فهذه نبذة من عجائب بدنك
التي لا يمكن استقصاؤها
فهو أقرب مجال الفكرك
وأجلى شاهد على عظمة
خالقك وأنت غافل عن
ذلك مشغول ببطنك
وفرجك لا تعرف من
نفسك الا أن تجوع فتأكل
وتشبع فتنام وتشتهي
فتجامع وتغضب فتقاتل
والبهائم كلها تشاركك في
معرفة ذلك وانما خاصية
الانسان التي حجبت البهائم
عنها معرفة الله تعالى
بالنظر في ملكوت السموات
والارض وعجائب الآفاق
والانفس اذ بها يدخل
العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من ثم
الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك
كالانعام بل هم أضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك

الانحطاط ويسمى سن الشيخوخة وهو الى آخر العمر وقد أشار المصنف الى هذه الاربعة وسن الحداثة ينقسم الى سن الطفولة وهو قبل النهوض والى سن الصبا وهو بعد النهوض وقبل الشدة ثم سن الترعرع وهو بعد الشدة وقبل المراهقة ثم سن الغلامية والرهاق الى تبقل وجهه ثم سن الفتى الى أن يقف النمو (اما كفورا واما شكورا ومطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بالانسانية كالعنصر والنطفة والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) أو المراد به آدم بين أولا خلقه ثم خلق بنيه (أمشاج) أي أخلاط وتقدم الكلام عليه قريبا (نبتليه) أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (انا هديناه السبيل) أي بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا) بالاهتداء والاخذ به (واما كفورا) بالاعراض عنه (فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية) وتدهش عقلك (والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على ورق) أو على (حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه و) كيف (خطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعته و) ما (أحسن قدرته ثم ينظر هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته) وبديع صنعته (فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها) ولا يحصر انتهاؤها (فهو أقرب مجال الفكرك وأجلى شاهدا على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم تشاركك في معرفة ذلك) فكل ذلك من خواص البهائم (وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم) من الاكل والشرب والنوم والجماع والتهور وغير ذلك ومن رضى كذلك (فانه شر من البهائم) وأخس حالا منها (بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق له القدرة) التامة على الوصول الى القرب (ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها) اذ لم يستعملها فيما تقرب به الى الله تعالى (فاولئك) الذين قيل في حقهم (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) ومن كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه في صفة خلق الانسان أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا الدنياه في لذات طربه وبدوات أربه لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في فتنة غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا ومن كلامه رضي الله عنه أيها المخلوق السوي والمنشأ المرعى في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم وأجل مقسوم تمور في بطن أمك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم أخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو من صفات خالقه أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد (واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك

ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات * (أما الارض) * فمن آياته أن خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها مرقد للاموات قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت من عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الانهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شئ حي فأخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا

ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء أما الارض فمن آياته) الدالة على عظيم قدرته (ان خلق الارض فراشا) أي بساطا وفرشها أي بسطها فعال بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب (ومهادا) وهو بمعناه (وسلك فيها سبلا فجاجا) أي طرقا واضحة واسعة (وجعلها ذلولا) أي لينة منقادة (لتمشوا في مناكبها) أي جوانبها (وجعلها قارة) غير مضطربة (وأرسى فيها الجبال أوتادا تمنعها من أن تميد) أي تتحرك وتضطرب (ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها) على الاستيفاء (وان طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا) وقال تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا (وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض) في مواضع متعددة (ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر الاحياء) يستقرون عليه ببناء المساكن فيه (وبطنها مرقد الاموات قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) أي ذات كفت أي ضم وجمع بضمهم أحياء على ظهورها وأمواتا في بطونها وأصل الكفت الضم والكفات الموضع الذي يكفت فيه كل شئ (فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات) قال الله تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب) قال الله تعالى والجبال أرساها وقال تعالى والجبال أوتادا (وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون) قال الله تعالى وفجرنا الارض عيونا (وأسال الانهار تجري على وجهها) يمنة ويسرة (وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا صافيا زلالا) عذبا (وجعل به كل شئ حي) قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي (فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح) جمع ريح على غير قياس أو جمع الجمع (يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة) قال الله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب) أم (متى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) كما ضرب الله به المثل (ثم انظر الى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها) يشبه بعضه بعضا (فاذا أنزل عليها الماء) من السماء (اهتزت) أي تحركت بالنبات عند وقوع الماء عليها (وربت) أي زادت زيادة المربي أي المشرف (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي أنواع الاشجار والنبات (ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه و) انظر (كيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي) أي يقوم منزلة الغذاء للبدن (وهذا يقوي) الاعضاء الرئيسة والحواس (وهذا يحيي) العليل ويبرئه من مرضه (وهذا يقتل) بسميته (وهذا يبرد وهذا

يسخن وهـذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق) أى من أصولها (وهـذا يستحيل الى الصفراء) فى الحال (وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم) و يروّقه (وهذا يستحيل دما) خالصا (وهذا يفرح) و ينشط (وهذا ينوّم) و يسكن (وهذا يقوّى وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هـذا النبات يحتاج الفـلاح) الذى يفلح الارض ويشـقها لاستنباته (فى ترتيبه الى عمل مخصوص) فى زمن مخصوص (فالنخيـل تؤبر) أى تلقح قال أبو حاتم فى كتاب النخلة اذا انشق الكافور وقيل شقيق النخال وهو حين يؤبر بالذكر فيؤتى بشمار يخه فتنفض فيطـير غبارها وهو طحين شماريخ الفحال الى شماريخ الانثى وذلك هو التلقيح (والكرم يكسح) أى يقطع و ينقى و يقلم (والزرع ينقى عنه الحشيش) الاجنبى (والدغل) شبه الحالوم وغيره مما يفسده بقاؤه (و بعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الارض) أى رميه فيها (و بعضه بغرس الاغصان) فى الارض (وبعضه يركب فى الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الايام فى وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسـيرة تدلك على طريق الفكر فهـذه عجائب النبات) ومن كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذىّ أمواجها وتصـطفق متقاذفات أثباجها وترغو زبدا كالفحول عنـد هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا مقهورا وفى حكمة الذل منقادا أسيرا وسكنت الارض مدحوّة فى لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ أنفه وسموّ غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها وفرقها فى سهوب بيدها وأخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صـياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال فى قطع أديمها وتغلغلها متسربة فى جوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجوّ و بينها وأعد الهواء متنسما لساكنها وأخرج اليها أهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التى تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيى مواتها وتستخرج نباتها ألف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيـه والتمع برقه فى كففه ولم ينم وميضه فى كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسـله سحا متداركا قد أسف هيـدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها أخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهى تبهج بزينة رياضـها وتزدهى بما ألبسته من ريط أزاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر أنوارها وجعـل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج فى آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها ومن كلامه رضى الله عنه وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه أطباقا ففتقها سبع سموات بعـد ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره وأذعن لهيبته و وقف الجارى منه لخشيته وجبـل جلاميدها ونشوز متونها وأطوارها فارساها فى مراسيها وألزمها قراراتها فمضت رؤسها فى الهواء و رست أصولها فى الماء فانهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها فى متون أقطارها ومواضع أنصابها فاشهق قلالها وأطال انشازها وجعلها للارض عمادا وأرزها فيها أوتادا فسكنت عن حركتها من أن تميد باهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهادا و بسطها لهم فراشا فوق بحر لجى راكد لا يجرى وقائم

يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العـروق وهـذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل وهذا يفرح وهـذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تنبت الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر عـلى الوقوف على كنهها وكل واحـد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى ترتيبـه الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكـرم يكسح والزرع ينقى منـه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البـذر فى الارض تحريقا وبعضه بغرس الاغصان وبعضـه يركب فى الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعـه وأحواله وعجائبه لانقضت الايام فى وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسـيرة تدلك عـلى طريق الفكر فهذه عجائب النبات

(ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض) ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها وبعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا ماحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا أكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق *(ومن آياته أصناف الحيوانات)* وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها

لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف ان في ذلك لعبرة لمن يخشى (ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة) قال الله تعالى وفي الارض قطع متجاورات أي بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس (فانظر الى الجبال كيف تخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج) وهو حجر أخضر تشوبه زرقة ويصفر لونه مع صفاء الجو ويتكدر بكدورته يجلب من معادن أرض نيسابور (واللعل) وهو حجر أحمر شبه الياقوت يجلب من معادن أرض بدخشان (وغيرها) كالماس والزمرد والياقوت والعقيق ونحو ذلك (بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب) والفضة (والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا تنطبع كالفيروزج واللعل و) انظر (كيف هدى الله الناس الى استخراجها) من معادنها (وتنقيتها) من أوساخها ثم سبكها (واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها) على أنواع غريبة وأشكال عجيبة (ثم انظر الى معادن الارض من النفط) وهو دهن يخرج من بئر هي معدنه منه ما لونه أبيض ومنه ما لونه أسود (والكبريت) وهو عين يجري فاذا جمد ماؤها صار كبريتا أصفر وأبيض وكدرا وأما الكبريت الاحمر فهو من الجواهر المعدنية معدنه في وادي النمل يضيء بالليل في معدنه كالنار واذا خرج من موضعه لم يضئ ويدخل في أعمال الذهب كثيرا ويحمر البياض ويضرب بعزته المثل (والقار) منه يجري أسود سيال ومنه جبلي يسيل من شجرة (وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام) واصلاحه (ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها) أي بطبعها الذي خلق عليه (بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا ماحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا أكلته فيتهنأ عيشك) اعلم ان الملح أنواع فمنه ملح العجين وهو البحري والسبخي ومنه الاندراني الشبيه بالبلور ومنه أسود نفطي ومنه الملح المر ومنه الهندي وهو أبيض فيه حمرة وكلما كان أمر كان احر وأجودها الاندراني والمحرق أشد تحريقا من غير المحرق والمختفر أحد من غيره وهو بجميع أنواعه جلاء محلل قابض يجفف يذهب بوخامة البطيخ ويسهل انحدار الطعام ويمنع العفونة (وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه) ورحمته (ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (أصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير) في الجو (والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على أربع و) الى ما يمشي (على عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات) قال الله تعالى منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء قال بعض المحققين وانما اقتصر على أربع ولم يجاوز اشارة الى أنه غاية ما اقتضته الحكمة الالهية وأما ما عداها من الارجل التي ترى في بعض الحشرات فانما هي الزوائد والمتممات والاصلي فيها هي الاربع لاغير (ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو أردنا ان نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها

لزوجها وفي ادخارها النفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك) وهي دويبة قصيرة الارجل كثيرة الاعين لها ثمانية أرجل وست عيون اذا أرادت صيد الذباب لطئت بالارض وجمعت نفسها ثم وثبت وتبيض وتحضن وأول ما تلد دودا صغارا ثم يتغير و يصير عنكبوتا وتكمل صورته في ثلاثة أيام و يقوى على النسج ساعة يولد (فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط الى طرفيه ثم يبتدئ و يلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا و يجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا ثم اذا أحكم معاقد القمط و رتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى و يضيف بعضه الى بعض و يحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى و يراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة و يجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب و يقعد في زاوية مترصد الوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط و وصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منه بخيط آخر و بقي منكسا في الهوا ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله) قال صاحب كشف الاسرار قال العنكبوت من حين أولدت أنسج لنفسي فاول ما أقصد زاوية البيت وان كان خربا فهو أحسن ما أويت فاقصد الزوايا لما فيها من الخبايا ولما في سرها من النكت والخفايا وألقي لعابي على حافاتها حذرا من الخلطة وآفاتها ثم أفرد من طاقات غزلي خيطا منكسا في الهواء فاتعلق فيه مسبلا يدي ممسكا برجلي فيظن الغر أني في تلك الحالة ميت لا محالة فتمر الذبابة بي فاختطفها بحبائل كيدي ثم أودعها شبكة صيدي (وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أولا هادي له ولا معلم أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته) و بطشه (عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات) قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة ألا ينظرون الى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه واتقن تركيبه وخلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفاء اليابس والحجر الجالس ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق كل شئ وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل

لزوجها وفي ادخارها النفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ و يلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا و يجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض و يحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى و يراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة و يجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب و يقعد في زاوية مترصد الوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط و وصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر و بقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أولا هادي له ولا معلم أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات

لها

لها الحس القوى ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم ولا يستطيعون ذبها
ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها وتقضى منه شهواتها وخلقها كله لا يكون أصبعا مستدقة
فتبارك الذى يسجد له ما فى السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقى بالطاعة اليه سلما
وضعفا ويعطى القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره أحصى عدد الريش منها والنفس وأرسى قوائمها
على الندى واليبس قدر أقواتها وأحصى أجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل
طير باسمه وتكفل له برزقه وأنشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها
وأخرج نبتها بعد جدوبها وقال على رضى الله عنه فى خطبته يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا
عجيبا من حيوان وموات وساكن وذى حركات وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته
ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت فى اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور
الاطيار التى أسكنها أخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسى اعلامها من ذوات أجنحة مختلفة وهيآت
متباينة مصرفة فى زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها فى مخاريق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد ان
لم تكن فى عجائب صور ظاهرة وركبها فى حقاق مفاصل محتجبة ومع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو فى الهواء
خفوقا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها فى الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس
فى قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس فى لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن
أعجبها خلق الطاوس الذى أقامه فى أحكم تعديل ونضد ألوانه فى أحسن تنضيد بجناح أشرج قصبه وذنب
أطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على راسه كأنه قلع دارى عنجه نوتيه يختال
بألوانه ويميس بزيفانه يفضى كافضاء الديكة ويئر بملاقحة ار الفحول المغتلمة أحيلك من ذلك على معاينة
لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف فى ضفتى جفونه
وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب
تخال قصبه مدارى من فضة وما أنبت عليه من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان
شبهته بما أنبتت الارض قلت جنى من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل أو مونق
عصب اليمن وان شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل يمشى مشى المرح المختال
ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا
معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد
نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله فى موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق
ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفع
بمعجر اسحم الا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط
كمستدق القلم فى لون الاقحوان أبيض يقق فهو ببياضه فى سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد أخذ
منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع
ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترا وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات
أوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف ألوانه ولا يقع لون فى غير
مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية وأحيانا صفرة
عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال
الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز الاوهام عن أن تدركه والالسنة أن تصفه فسبحان الذى بهر العقول عن
وصف خلق قد جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا وأعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها
عن تأدية نعته فسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة وأى على

وهــذا الباب أيضا لاحصر له فان الحيوانات وأشكالها واخـلاقها وطباعها غير محصورة وانما سـقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة
المشاهـدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسـه
بل لو نظر الى الانعام التى ألفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها
وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم وأوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغـذية لهم ثم جعل بعضـها زينة للركوب وبعضـها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيـدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصـورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقـه اياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غـير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو أومشـير فهو العليم الخبير الحكيم القـدير فلقـد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيـده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنـه ورأفته * (ومن آياته البحار العميقـة المكتنفة لاقطار الارض) * التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان فى
جميع المكشوف من البوادى والجبال من الماء بالاضافـة الى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم الارض

نفسه ان لا يضطرب بشئ مما أولج فيه الروح الا وجعـل الحمام موعده والفناء غايته وقال رضى الله عنه فى خطبـة يذكر فيها بدائع خلقـة الخفاش ومن لطائف صـنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش التى يقبضها الضياء الباسط لكل شئ ويبسطها الظلام القابض لكل حى وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدى به فى مذاهبها وتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضى فى سبحات اشراقها وأكنها فى أماكنها عن الذهاب فى بلج ائتلاقها فهى مسدلة الجفون بالنهار على احداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به فى التماس أرزاقها فلا يرد أبصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضى فيه لغسق دجنته فاذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاح نهارها ودخل اشراق نورها على الضباب فى وجارها أطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاما لها جناحان لم يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد أركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شئ على غير مثال خلا من غيره (وهذا الباب أيضا لاحصر له فان الحيوانات واشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا) فى شكله (ولو دودا تجدد) عند رؤيته (تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات) ان تأمل فيه (وليس يتعجب من نفسه) وحينئذ يقال له

أتحسب أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

(بل لو نظر الى الانعام التى ألفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها) التى خصها الله بها (من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله تعالى لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم وأوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينـة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى والمفازات) قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر) ومن غير روية (ومن غير استعانة بوزير أو مشير أو مدبر (فهو العليم الخبير الحكيم القدير) جل شأنه (فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيـده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليـه بل هو كما أثنى على نفسه) كما قال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (وانما غاية معرفتنا الاعـتراف بالعجز عن معرفته) كما قاله الصديق رضى الله عنه (فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته) وبالله التوفيق (ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (البحار العـميقة المكتنفة لاقطار الارض) أى جهاتها (التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميـع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادى والجبال عن الماء بالاضافـة الى الماء كجزيرة صـغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم الارض

في البحر كالاصطبل في الارض) قال العراقي لم أجده وقد تقدم (فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض ومافيها) من جبال وحيوان ونبات وغير ذلك (فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب مافيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة الأرض) ولذا قيل حدث عن البحر ولا حرج (ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها في البحر فيظن انها) لعظمها (جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت) على ظهورها (فتتحرك) وتضطرب (ويعلم انه[ا حيو]ان) ذكره القزويني في عجائب المخلوقات والدميري في حياة الحيوان وابن بطوطة في رحلته ومنها سمكة في بحر الـ[ز]نج كالجبل العظيم من رأسها الى ذنبها مثل سنان المنشار من عظام سود كل سن منها كذراعين وعند رأسها [جن]احان طويلان في مقدار عشرة أذرع تضرب بهما ماء البحر يمينا وشمالا فيسمع له صوت هائل ويخرج الماء من فيها و[منخريه]ا فيصعد نحو السماء ثم يصعد الى المركب رشاشة كالمطر فاذا دخلت تحت سفينة كسرتها ومنها سمكة تسمى المنارة تخرج على هيئتها فترمي نفسها على السفينة فتكسرها فاذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات تبعد عنهم (ومامن صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو) جمل أو (طير أو بقر أو انسان الا وفي البحر أمثاله وأضعافه) فانسان الماء يشبه الانسان الا ان له ذنبا وقيل ان في بحر الشام بعض الاوقات من شكله شكل الانسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فاذا رآه الناس استبشروا به بخصب وحكي ان بعض الملوك حمل اليه انسان ماء فاراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقيل للولد مايقول أبوك قال يقول اذناب الحيوانات كلها في أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوههم وسئل الليث بن سعد عن أكله فقال لايؤكل على شيء من الحالات وفي بحر الروم سمك يقال له بنات الماء شبه النساء ذوات شعر سبط ألوانهن الى السمرة ذات فروج عظام وثدي وكلام لايكاد يفهم ويضحكون ويقهقهون وربما وقعن في أيدي بعض المراكب فينكحوهن ثم يعيدونهن الى البحر وحكى الروياني صاحب البحر أنه كان اذا أتاه صياد بسمكة منهن حلفه أنه لم يطأها ونوع من حيوان البحر يقال له الشيخ اليهودي وجهه كوجه الانسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدن ضفدع وشعره كشعر البقرة وهو في حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فيثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن اذا تم السبت وقال القزويني سمك في البحر يقال له أبو مرينا على صور الرجال بجلود لزجة وأجسام تشاكله يبرزون من البحر الى البر يتشمسون فاذا وقعوا في أيدي الصيادين بكوا وقال المسعودي النسناس حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالانسان قتله وقال القزويني انه أمة من الامم لكل واحد منهم نصف بدن ورأس ويد ورجل كانه شق انسان يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا ويعدو عدوا منكرا ويوجد في جزائر الصين وحيوانات البحر التي تشبه حيوانات البر كثيرة جدا والقول فيها يطول وانما اقتصرت على ذكر مايشبه الانسان لغرابته وقال أبو حاتم في كتب الطير طير الماء أكثر من أن يحصى أكثر من مائتي لون والعرب لاتعرف أكثرها وأسماؤها عندنا بالنبطية لانها في البطائح في بلاد النبط (وفيه أجناس لايعرف لها نظير في البر وقد ذكرت أوصافها في مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء) ومغاصه بحر الهند وعن ابن عباس اذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها فلت وهو مطر مخصوص في أيام نيسان الرومي (وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر) ومغاصه في بحر افريقية قال الطرطوشي هو عروق حمر تطلع من الشجر كأصابع الكف قال وهذا شاهدناه بمغارب الارض كثيرا انتهى وتتخذ منها السبح وغيرها من أنواع الاواني والمذكور في القرآن هو صغار اللؤلؤ قاله الازهري وجماعة من أئمة اللغة قيل النون زائدة لانه ليس في الكلام فعلال بالفتح الا المضاعف نحو الخلخال وقال الازهري لاأدري أثلاثي أم رباعي (ثم تأمل ماعلاه من العنبر وأصناف

في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم أن الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض ومافيها فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب مافيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الارض كما أن سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتتحرك ويعلم انها حيوان ومامن صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو انسان الا وفي البحر أمثاله واضعافه وفيه أجناس لايعهد لها نظير في البر وقد ذكرت أوصافها في مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر جمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تامل ماعداه من العنبر وأصناف

النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرفيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخرلهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ماهو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شئ واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ماعلى وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها البذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من اخراجها البذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والانهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب أماتراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن أني كوّنت نفسي أو خلقني أحد من جنسي أوما تستحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بانها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحاتي ووجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى

التقويس

النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه) والعنبر قطع توجد في بحر الهند تشبه الشمع في جوده وذوبانه وقيل انه روث دابة بحرية وقيل انه زبد البحر وقيل انه من عين يسيل في البحر وتفصل عنه الحلاوة ويطفو الشمع من فوق فهو العنبر الاشهب وربما اتفق أنه يبتلعه السمك المعروف بالبالة لحلاوة فيه فيعرض له قولنج فيموت فيقذفه البحر الى الساحل فتتفرق أجزاء السمك وينعقد ذلك العنبر الاشهب في جوفه فهو العنبر الفستقي وقال القزويني البالة سمكة عظيمة يخاف منها أهل السفن فاذا بغت على حيوان البحر بعث الله لها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا تفارقها فتطلب قعر البحر وتضرب الارض براسها الى أن تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم ولها أناس يرصدونها فاذا رأوها جروها بالكلاليب الى الساحل وشقوا بطنها واستخرجوا منها العنبر (ثم انظر الى عجائب السفن) ومافيها من غرائب الصنائع كيف هدى الانسان الى تركيبها على هذا الوجه المشاهد وهي مابين صغيرة وكبيرة ومتوسطة (كيف أمسكها الله على وجه الماء ويسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخرلهم الفلك لتحمل اثقالهم) من البضائع والمؤن الثقيلة (ثم أرسل الرياح لتسوق السفن) الى المواضع المقصودة (ثم عرف الملاحين) وهم خدمة السفن نسبوا الى البحر الملح لملازمتهم اياه (موارد الرياح ومهابها ومواقيتها) حتى قيل انه علم نفيس مع قوم مناحيس (ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك) كله (ماهو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شئ واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل الانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات) قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي قال الحراني وهو أول ظاهر للعين من اشباح الخلق (فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها البذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا شربها ولو منع من اخراجها البذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها والاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والآبار والانهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها) أي أصواتها (قائلة لكل ذي لب أما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن اني كوّنت بنفسي أو خلقني أحد من جنسي أوما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بانه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه) وعظمة خاطه (وتقول النطفة) الانسانية (لارباب السمع والقلب) الذين يسمعون فيعون ويرون فيعتبرون (لا الذين هم عن السمع معزولون) قال الله تعالى انهم عن السمع لمعزولون أي ممنوعون بعد ان كانوا ممكنين (توهموني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي) وهو بعد مضي مائة وعشرين يوما من الحمل (فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى

التقويس يظهر شيأ فشيأ على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب
ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن
تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل
ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذي صوّر ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصوّر كما أن نقشه
وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا
فتعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه *(ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض)* لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب
أمواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته
روح الهواء الى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا
في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل
عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته
مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن
الغوص في الماء فلا ينفصل

التقويس يظهر) على التدريج (شيأ فشيأ ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا
خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم
صورة عجيبة ولو نظرت اليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي
يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من
خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذي صوّر ونقش وقدر لا نظير له) في ذاته (ولا
يساويه نقاش ومصوّر كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد
ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك) لهذا (فانه أعجب من كل عجب فان الذي
أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح) والانكشاف (ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه)
أي حقيق (فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في
جميع ذرات العالم وأجزائه) مشاهدة عيانية مصونة عن الحلول والاتحاد (وأعمى قلوب أعدائه
واحتجب عنهم بعزه وعلائه) فهم عن مشاهدته محجوبون (فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف
والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه) جل شأنه وعز برهانه (ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (الهواء)
بالمد (اللطيف المحبوس) المسخر (بين مقعر السماء ومحدب الارض) والجمع أهوية (لا يدرك بحس اللمس
عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء
ومسلطة) وتحليق الطائر استدارته في الهواء واسفافه ضم جناحيه (سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح
حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فاذا حرك الله
الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته) كما قرئ به أي منشورة في الجو بمعنى مبسوطة
والرياح تنشر السحاب (كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح لواقح) أي ذوات لقاح (فيصل بحركته روح الهواء الى
الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا أرسلنا عليهم
ريحا صرصرا) أي شديدا (في يوم نحس مستمر) النحس ضد السعد وقرأ الحسن البصري بالتنوين وكسر
الحاء وعنه أيضا على الصفة والاضافة والحاء مكسورة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي منقلعة
من قعرها يقال قعرت الشجرة اذا قلعتها من أصلها فانقعرت وقيل معنى انقعرت ذهبت في قعر الارض وانما
أراد الله تعالى ان هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخلة الذاهب في قعر الارض فلم يبق له رسم ولا أثر (ثم انظر الى
لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء
فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه) أي يثقل ويصير الى الاسفل (فانظر كيف
ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل
مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء ولا يرسب فيه أصلا لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل

عن السطح الداخل من السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بقعرها تتشبث باذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن الى جملة ذلك فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما وأشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه اذ لا مطمع فى استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء الى أن يأذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذى أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن

عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى) أى السقوط (فى البئر فالسفينة بقعرها تتشبث باذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد فى المحسوس و) لا (عقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن الى جملة ذلك فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما) فهذا على طريق الاجمال (وأشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض) والمسخر هو المقيض للفعل (وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر) وذلك فى آيات كثيرة (فان لم يكن لك حظ فى هذه الجملة الا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع فى استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء الى أن يأذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراد الله تعالى وعلى الشكل الذى شاء فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة) فان قيل لم كانت نقطة المطر ترى فى الجو خطا وانما هى نقطة والجواب ان لذلك سببين أحدهما ان الماء يمر بالهواء فيكيفه بكيفيته فيصير نديا كانه ماء فيرى كما ير الشهاب المحرق للشياطين عند استراقهم السمع فى الهواء فيرى خلفه حبل نار بسبب أنه مر بالهواء فيكيفه بناريته فصار يرى نارا السبب الثانى ان حركة القطرة فى الهواء تمنع من استثبات الحس انفصالها عن الاحياز فيبقى البصر فيتوهمها باقية فى حيزها مع خروجها عنه فيحصل خط من الماء ومثل ذلك من يأخذ شعلة من نار فى يده ويديرها ادارة شديدة فيتوهم الرائى انها دائرة نار لهذين السببين (فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذى أوجدها) وخلقها (ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدودة الفلانية فى ناحية الجبل الفلانى يصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع ما فى انعقاد البرد) محركة (الصلب) شبه الحصا ينزل من السماء ويسمى حب الغمام (من الماء اللطيف) السيال (وفى سائر الثلوج

كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر الى أعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار شيأ فشيأ بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الاوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها الى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب وان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل * (ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب) * وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وكقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها

كالقطن المندوف) المنفوش (من العجائب التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين) المصدقين (من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته) وذلك لحسن ايقانهم فى معرفة مصنوعاته (ولا للعميان الجاحدين) المنكرين (الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء) من فوق (لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله) والثقيل بطبعه لا محالة يهوى الى تحت (ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها) كما يقول ان الحجر اذا رمى الى فوق فبقدر قوة الرامى يصعد الى فوق ثم يغلب عليه طبعه فيهوى ساقطا (ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر الى أعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار) على التدريج (شيأ فشيأ بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الاوراق) من سائر أغصان الشجر (فيغذى كل جزء من ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار) أى تشبه الشعر فى الدقة (يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورق عروق صغار) تمتد منه (فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه من تلك العروق (جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم تنتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة جدا (تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها الى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها) بحيث لو قطع ذلك الامداد ليبس وسقط (وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل) كما يقوله الطبائعى الجاهل (فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب) كما يقوله الطبائعى أيضا (فما الذى سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه فى أول الامر فنهاية الجاهل فى بداية العاقل ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته) درك (عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر وأصغر) من القطرة (ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع) منها (وكم من قسم فى القرآن بها) فالمقسم به عظيم فى نفسه ولولاه لما أقسم بها (كقوله تعالى والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب وقوله تعالى (والسماء والطارق) أى الكوكب البادى بالليل وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب وقوله تعالى (والسماء ذات الحبك) أى الطرائق المنظومة بالنجوم والمجرة ومنهم من اعتبر ذلك بالطرائق المعقولة المدركة بالبصائر المشار اليه بقوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقوله تعالى (والسماء وما بناها وقوله) تعالى (والشمس وضحاها) أى ضوئها اذا أشرقت (والقمر اذا تلاها) أى

وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الارزاق عليه وأضافها اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأثنى على المتفكرين فيه فقال و يتفكرون في خلق السموات والارض

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال سبحانه وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن أن معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فاجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها الى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي

تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبه ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور (وكقوله) تعالى (فلا أقسم بالخنس) أي بالكواكب الرجع وهي ما سوى النيرين من الكواكب السائرات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه (وقوله) تعالى (والنجم اذا هوى) أي أقسم بجنس النجم خاصة أو الثريا اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى بالفتح اذا سقط وغرب (وقوله) تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) أي بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم به من الدلائل على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الارزاق عليه وأضافها اليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال و يتفكرون في خلق السموات والارض) ربنا ما خلقت هذا باطلا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته) رواه الديلمي من حديث عائشة بلفظ ثم لم يتفكر فيها وقد تقدم قريبا (أي تجاوزها من غير تفكر) وقد تقدم نحوه عن الاوزاعي (وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) أي لا يتفكرون فيها (فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال) تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أي ذات صلابة (وقال) تعالى (أأنتم أشد خلقا) أي أصعب (أم السماء) ثم بين شدته بقوله (بناها) ثم بين كيفية بنائه بقوله (رفع سمكها) أي جعل مقدار ارتفاعها من الارض أو تحتها الذاهب في العلو رفيعا (فسواها) أي عدلها أو جعلها مستوية أو تممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتدابير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه (فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر) فان قلت لم كانت السماء ترى زرقاء وهي عند أهل الهيئة لا لون لها فالجواب انها غير مرئية وما لا يرى يرى مظلما كما فالاعمى اذا سئل ماذا ترى يقول ظلام أسود واذا كانت بهذا الطريق سوداء وتحتها الهواء مشف مضيء والبصر يخترقه فتراه كأنه في السماء كما يتوهم الرطوبة في الشتاء في الكواكب فيحصل من صفاء الهواء وظلمة البصر في السماء زرقة لانها شأن اختلاط الاسود بالصافي (فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى في كتابه العزيز (ابراهيم) عليه السلام (بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) وكل ذلك في القرآن (فاطل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها) وتعتبر بما فيها (الى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن) ملاحظا جلاله وعزه وكبرياءه (فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه حيث قال رأى قلبى ربى) وهكذا تكون الرؤية القلبية (وهذا لان بلوغ الاقصى لايكون الا بعـد مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وماعلى وجه الارض ثم عجائب الجوّ وهو مابين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حمـلة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى ربه العرش والكرسى والسموات والارض ومابينهما) العزيز القهار جل جلاله (فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح) أى الواسعة الاطراف (والمسافات الشاسـعة) أى البعيدة (والعقبات الشاهقة) أى المرتفعة الصعبة (وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة) بالاضافة الى بقيـة العقبات (وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك) وقلة حيائك (وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسـك الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤبها فى الحركة على الدوام من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل) معلومة (مرتبة) ترتيبا غريبا (بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى أن يطويها الله تعالى طىّ السجل للكتاب) كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتاب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (وتدبر عدد كواكبها وكثرتها) وعلماء الاوائل لما أرادوا تمييزها قسموا الفلك نصفين بالدائرة التى هى مجرى رؤس برجى الاسـتواء وهما الحمل والميزان وسموا أحد النصفين جنوبيا والآخر شماليا وسموا ماوقع منهما من الكواكب والمنازل كذلك وسمت العرب الشمالية شامية والجنوبية يمانية فمن الشمالية بنات نعش الصغرى وهى سبعة كواكب أربعة مربعة منها الفرقدان وكوكبان آخران معهـما ومنها بنات نعش الكبرى وهى أيضا سبعة كواكب الاوّل من البنات الذى هو فى الطرف يسمى القائد والاوسط العناق والثالث والذى يلى النعش الجون والى جانب الاوسط كوكب صغير يقال له الشهى والعيدق وبالقرب من الفرقدين كوكبان مقترنان بينهما رأى العين نحو قامة اذا اعترض الفرقدان انتصبا واذا انتصب الفرقدان اعترضا يسميان الحربين والذئبـين والعوهقين وقدامهما كواكب تسمى أظفار الذئب ومنها كوكبان فوق الجدى يسميان الفرق وعند الاعلى منهما كواكب صغار مستديرة تسمى القدر ومنها الاسافى وهى كواكب ثلاثة أسفل من القدر ومنها القرحة وهى كوكب أسـفل من الفرق وهى قبلة الكوفة ومنها الهلبة وهى كواكب ملتفة متقاربة كأنها الثريا وتسمى أيضا السنبلة ومنها كوكب الاسـد وهو منفرد فيما بين الهلبة وبين البنات من بنات نعش الكبرى ومنها الصرفة وهو كوكب نير منفرد على أثر الزبرة ومنها النوافـذ وهى كواكب ثلاثة كل نفرة منها كوكبان متقاربان وتسمى أيضا القرائن والثعيلبات ومنها الظباء وهى كواكب خفية مستطيلة مثل الحبل الممدود من الهلبة الى العيوق وهنالك العوائذ وهى كواكب أربعة مربعة فى وسطها كوكب سحابى كأنه لطخـة غيم يسمى الربـع ومنها الفكة وهى كواكب مستديرة فيها فرجة والعامة تسميها قصـعة المساكين وبالقرب منها رؤية السماك وهو كوكب منتبـذ يعارضه كوكب بالقرب منه كأنه عذبة فى رمح وكذلك قيل له الرامح وذو السلاح ويقال لما بين النسـقين الشامى واليمانى الروضة وفى داخلها كوكب أبيض منفرد يقال له الراعى وبالقرب منه كواكب صغار يقولون هى غنمه يرعاها فى الروضة وفى اضعاف تلك الكواكب كوكب صغير وباص يقولون هو كلبه ومنها النسر الواقع وهو كوكب أزهر خلفه كوكبان كأنهما واياه أثافى قدر وهنالك نسر آخر يقال له الطائر وهى ثلاثة كواكب مصطفة والاوسط منها هو أنورها ومنها الفوارس وهى كواكب أربعـة مصـطفة وراء النسر الواقع ووراءها كوكب أزهر منفرد وسط المجرة يسمى الردف ومنها الصليب وهى كواكب أربعة متقاربة مصلبة النظم بالقرب من النسر الطائر وتسمى أيضا القعود ومنها كف الثريا الخضيب وهى خمسة بيض مختلفة النظم

رضى الله عنـه حيث قال رأى قلبى ربى وهـذا لان بلوغ الاقصى لايكون الا بعـد مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقـرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وماعلى وجـه الارض ثم عجائب الجوّ وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العـرش ثم المـلائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسى والسموات والارض ومابينهما فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلـق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقـه ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيهـا وفى كواكبهـا وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤبها فى الحـركة عـلى الدوام من غـير فتور فى حركتهـا ومن غـير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقـدر لا يزيد ولا ينقص الى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها

وراء الردف وهى أيضا سنام الناقة وتحت الكف الخضيب كواكب غير مبينة النظام هى جفرة الناقة وهنالك لطخة سحابية هى وسم الناقة ووراء الكف الخضيب العيوق وهو كوكب عظيم نير فى حاشية المجرة ووراء العيوق كواكب ثلاثة زهر مصطفة منفرجة متقوسة تسمى توابع العيوق والاعلام ومنها العاتق وهو كوكب نير بالقرب من الثريا ثم المنكب ثم المرفق وتحت المرفق كوكب صغير يسمى ابرة المرفق ويقال لما بين المرفق والمنكب عضد الثريا وبعد المرفق المعصم ويقال لما بين المرفق والمعصم الساعد والسو بعد وهنالك كوكب بين فى صورة مثلثة يسمى رأس الغول وبالقرب منه كوكب نير منفرد يسمى عناق الارض وعند بنات نعش كواكب يقال لها الحبة وعند أسفله كوكب أحمر يقال له الذيخ وهنالك كواكب أخر يقال لها الضباع وأولاد الضباع كواكب صغار عن يمين الضباع والشاة كواكب صغار بين القرحة والجدى والراعى كوكب أنور من كواكب الشاء والجباء كواكب أسفل من الحوض وخلف العاتق كوكبان يسميان المزحف والبرجيس وهما تحت المجرة فهذه جملة الكواكب المشهورة من الشآمية وأما الكواكب اليمانية فمنها منكبا الجوزاء الايمن منهما كوكب أحمر وهو مرزم الجوزاء والايسر يسمى الناجذ وفى وسط الجوزاء كواكب بيض ثلاثة تسمى النظم ومنها رجل الجوزاء اليمنى كوكب أبيض صغير واليسرى كوكب أبيض وباص أكبر من اليسرى وتحت كل واحد منهما كواكب أربعة تسمى كرسى الجوزاء وفوق رأس الجوزاء كواكب صغار تسمى تاج الجوزاء وذوائب الجوزاء ومنها الشعرى العبود وهو كوكب عظيم وباص أسفل الجوزاء على اليسار وهنالك ثلاثة كواكب بيض مختلفة التثليث تسمى عذرة الجوزاء وخمسة أخرى تسمى العذارى وهى فى حاشية المجرة ومنها الخيل وهى كواكب أكثر من العشرة نيرة وفيها ستة فى ثلاثة أمكنة متفرقة فى كل مكان منها كوكبان وبين كواكب الخيل كواكب صغار تسمى افلاء الخيل وهى كلها بين يدى الشولة فوق المجرة وأسفل من شولة العقرب كواكب تسمى القبة وبين الزبانيين وبين عرش السماك كواكب مجتمعة نيرة على غير نظم تسمى الشماريخ ومنها سهيل وهو كوكب عظيم منير أحمر منفرد عن الكواكب ولقرب مجراه من الافق تراه أبدا كانه يضطرب وهو فى سمت الشعرى العبور وفى مجرى سهيل كوكبان يقال لهما حضار والوزن وهما يطلعان قبل سهيل وفى مجرى قدمى سهيل كواكب زهر تسمى الاعيار ومنها السعودات وهى ستة متناسقة فى جهة الدلو وكل سعد منها كوكبان وهى كواكب خفية غير نيرة منها سعد ناشرة ثم سعد الملك ثم سعد البهام ثم سعد الهمام ثم سعد البارع ثم سعد مطر ومنها الشراسيف وهى كواكب مستطيلة مثل الحبل وبعدها كواكب مستديرة متبددة يقال لها المعلف ومنها الصردان واليمامتان والقطا والظليمان ومنها السفينة وهى كواكب خفية متتابعة مقدمها عند سعد البهام ومؤخرها عند السمكة وفى مقدمها الضفدع الاولى وفى مؤخرها الضفدع الثانية فهذه مشاهير الكواكب اليمانية وقد ميز قدماء العلماء كواكب السماء على وجه الدهر فجعلوها فى منازل سبعة من الاقدار فجعلوا كبارها فى القدر الاول وهى التى تسميها الدرارى والزهرة والشعرى العبور وهما أنور نجوم السماء والذى أحصى العلماء من درارى النجوم كلها سوى الخمسة المتحيرة خمسة عشر كوكبا وهى التى فى القدر الاول من العظم وهى الشعريان وسهيل والحنث والعيوق والسماكان والدبران وقلب الاسد والنسر الواقع والصرفة ومنكب الجوزاء ورجلها وما دون هذه وهى فى القدر الثانى من العظم خمسة وأربعون كوكبا وهى كالفرقدين وبنات نعش الكبرى والردف ورأس الغول والعناق وقلب العقرب والنسر الطائر وثلاثة من العراقى وكوكبى الذراع المبسوطة وثلاثة كواكب من الجبهة والفرد واشباه هذه مما تركناذكره لقلة الحاجة اليه فى هذا الموضع وكذلك تركناذكر سائر ما فى الاقدار الباقية لان هذا الكتاب ليس من مواضع ذكرها وأما المجرة فهى أم النجوم لكثرة عدد نجومها وتسمى أيضا القديمة (و) انظر الى (اختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة) كانه شعلة نار (و بعضها الى البياض) الناصع

واختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة و بعضها الى البياض

(و بعضها

وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان ومامن
صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب

(وبعضها الى اللون الرصاصي) كأنه لطخ سحاب كما تقدم ذلك (ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد) والسرطان والجدي والحوت وهي البروج السبعة (والانسان) قال الدينوري ويشبه الجوزاء بصورة الانسان في المنظر وهو البرج الثالث وقد تقدم ذكر كواكب الجوزاء (ومامن صورة في الارض الا ولها مثال في السماء) ويزيد صورا كثيرة لا يوجد لها مثال في الارض (ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها) جل وعلا (ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار) واختلافهما من الآيات (ولم تعرف المواقيت) قال الله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس (ولا طبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء (والنهار معاشا) أي وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر قال لو ان الشمس تجري مجرى واحدا ما انتفع أحد من أهل الارض بشئ منها ولكنها تحلق في الصيف وتعترض في الشتاء فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لانضجهم الحر ولو انها طلعت مطلعها في الصيف في الشتاء لقطعهم البرد (وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص) فيدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة ويولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر وذلك بحسب مطالع الليل ومغاربه (وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان) اعلم ان مشرق الشمس في أطول يوم في السنة وذلك قريب من مطلع السماك الرامح وكذلك مغرب الصيف هو على نحو ذلك من مغرب السماك الرامح ومشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة وهو قريب من مطلع قلب العقرب وكذلك مغرب الشتاء هو على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب فمشارق الايام ومغاربها في جميع السنة هي كل ما بين هذين المشرقين والمغربين فاذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنة لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع فتطلع كل يوم من مطلع فوق مطلعها بالامس طالبة مشرق الصيف فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين وذلك عند استواء الليل والنهار في الربيع فذلك مشرق الاستواء وهو قريب من مطلع السماك الاعزل ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع الى أن تبلغ مشرق الصيف الذي بيناه فاذا بلغته كرت راجعة في المطالع منحدرة نحو مشرق الاستواء حتى اذا بلغته استوى الليل والنهار في الخريف ثم استمرت منحدرة حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي بيناه فهذا دأبها وكذلك شأنها في المغارب على قياس ما ذكرنا في المطالع (وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده) والمراد بوسط السماء المجرة المسماة بام النجوم وهي دائرة متصلة اتصال الطوق وتسمى أيضا منطقة الفلك (وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما

بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولا طبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء
وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما

من التفاوت فى كبر الارض فانت تعرف كبر الارض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمى على أن يدور بجوانبها قد اتفق الناظرون) أهل النظر من علماء الاوائل (على ان الشمس مثل الارض مائة ونيف وستون مرة) قال الدينورى يقال ان الارض جزء من مائة وستة وسبعين جزأ من الشمس والقمر جزء من ستة ألف وثلاثمائة وستة وثلاثين جزأ من الشمس (وفى الاخبار مايدل على عظمها) قال العراقى روى أحمد من حديث عبدالله بن عمرو رأى رسول الله الشمس حين غربت وقال فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لاهلكت ما على الارض وفيه من لم يسم وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شئ الا أحرقته انتهى قلت حديث عبدالله بن عمرو أخرجه كذلك ابن أبى شيبة وابن منيع وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه بلفظ لاحرقت بدل لاهلكت وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه من حديث أبى ذر قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم وهو على حمار فرأى الشمس حين غربت فقال أتدرى حين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب فى عين حامئة وأما حديث أبى امامة فاخرجه كذلك أبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه فى التفسير (والكواكب التى تراها) بعينك (أصغرها مثل الارض ثمان مرات وأكبرها ينتهى الى قريب مائة وعشرين مرة من الارض) قال الدينورى يقال ان القمر جزء من ستة وثلاثين جزأ من الارض والارض جزء من مائة وستة وسبعين جزأ من الشمس (وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها) عن الارض (اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفى الاخبار ان بين كل سماء الى أخرى مسيرة خمسمائة عام) قال العراقى رواه الترمذى من رواية الحسن عن أبى هريرة وقال غريب قال ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبى هريرة ورواه أبو الشيخ فى العظمة من رواية أبى نصر عن أبى ذر ورجاله ثقات الا أنه لا يعرف لابى نصر سماع من أبى ذر انتهى قلت وقد رواه البزار كذلك فيما أخبر به عمر بن أحمد بن عقيل أنا عبدالله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أنبأنا على بن يحيى أنا يوسف بن عبدالله أخبرنا عبد الرحمن بن أبى بكر الحافظ قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الحسن الانصارى شفاها عن ابراهيم بن أحمد المقرى عن أحمد بن أبى طالب أنبأنا جعفر ابن على عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمى أخبرنا أبو محمد بن عتاب حدثنى أبى أنبأنا سليمان بن خلف اجازة أنبأنا أبو عبدالله بن الفرج أخبرنا محمد بن يحيى بن حبيب حدثنا الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا محاضر هو ابن المورع حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى نصر عن أبى ذر رفعه كثف الارض مسيرة خمسمائة عام وبين الارض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام وكثفها مثل ذلك وكثف الثانية مثل ذلك وما بين كل أرض مثل ذلك الى أن قال ثم ما بين السماء السابعة الى العرش مثل ذلك هذا حديث رجاله ثقات أخرجه اسحق بن راهويه فى مسنده عن أبى معاوية عن الاعمش به قال البزار ولا نعلمه عن أبى ذر الا بهذا الاسناد وأبو نصر أحسبه حميد بن هلال ولم يسمع من أبى ذر انتهى قلت وقيل مجذر بن شيبة وقيل لا يعرف وهو من رجال النسائى وروى أحمد والترمذى وقال غريب والنسائى وابن ماجه وابن حبان وأبو الشيخ فى العظمة وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى البعث والضياء فى المختارة من حديث أبى سعيد فى تفسير قوله تعالى وفرش مرفوعة والذى نفس محمد بيده ان ارتفاعها كما بين السماء والارض وان ما بين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام وروى أحمد فى مسنده من حديث العباس رضى الله عنه هل تدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة الحديث (فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التى الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك انها

من التفاوت فى كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع أطرافها انه لا يقدر آدمى على أن يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفى الاخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التى تراها اصغرها مثل الارض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفى الاخبار أن ما بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض اضعافا فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التى الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها

في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء من كوكب الى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال النبي له صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب

في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء من كوكب الى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام) هكذا ذكره صاحب القوت وقد تقدم في آداب السفر وقال العراقي لم أجد له أصلا (فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم) جل جلاله (كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها) وبعد أقطارها (في حدقة العين) الباصرة (مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها) فسواها (ثم أمسكها) عن أن تقع على الارض (من غير عمد ترونها) ولا اسناد يسندها (ومن غير علاقة من فوقها) يجرها (وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب انك تدخل بيت غني) من ذوي الاموال (فتراه مزوقا بالصبغ) المختلف (مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه) وأنواع مزخرفاته (ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه) وتذكر محاسنه (بل ذلك البيت أيضا جزء من الارض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك) بأنواع الاطعمة (ولا تقدر أن تأكل عشر عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا) بل عاجزون عن ذلك كله (وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك) وماله على مالك (وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك) جل جلاله (وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك

منك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الارض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على ان تأكل عشر ما تأكل بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات

وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك

الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لاقدرة لها على المجاوزة بالنظر من نفسها وغذائها
وبيتها وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه
فانت أيضا) أيها المسكين (غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف
من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة منك ومن
سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الا أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك و بدائع صنعة الصانع فيه وأما
أنت فلك قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه) ومن كلام أمير المؤمنين
على رضى الله عنه فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات
مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن بالطواعية لما جعلهن
موضعا لعرشه ولا سكنا لملائكته ولا مصعدا للكلام الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها
اعلاما يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نهارها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا
استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن ترى ماشاع فى السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى
عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج فى بقاع الارضين المتطاطئات ولا فى يفاع الشفع المتجاورات وما يتجلجل
به الرعد فى أفق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما يسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف
الانواء وانهطال السماء يعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفى البعوضة من قوتها
وما تحمل من أنثى فى بطنها وقال رضى الله عنه فى صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع
انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها
وناداها بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها وأقام رصدا من
الشهب الثواقب على نقابها وأمسكها من ان تمور فى خرق الهواء بايده وأمرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل
شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها وأجراهما فى مناقل مجراهما وقدسيرهما فى مدارج
درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق فى جوها فلكا وناط
بها زينتها فى خفيات درار بها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقى السمع بثواقب شهبها وأجراهما على اذلال
تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها وقال رضى الله عنه فى صفة
الملائكة ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته
ملأ بهم فروج فجاجها وحشابهم فتوق أجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر
القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تردع
الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولى أجنحة
تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيأ معه مما انفرد به بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون جعلهم فيما هنالك أهل الامانة على وحيه وحملهم الى
المرسلين ودائع أمره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وأمدهم بفوائد
المعونة وأشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم أبوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على
اعلام توحيده ولم تثقلهم مؤصرات الآثام ولم ترتحلهم عقب الليالى والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة
ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة مالاق
من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته فى أثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس
فتقترع بريبها على فكرهم منهم من هو فى خلق الغمام الدلح وفى عظم الجبال الشمخ وفى قترة الظلام الابهم
ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الارض السفلى فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء وتحتها ريح
هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته و وسلت حقائق الايمان

الذى فى القصر فهى بمعزل
عنه وعن التفكر فيه بل
لاقدرة لها على المجاوزة
بالنظر عن نفسها وغذائها
وبيتها الى غيره وكما غفلت
النملة عن القصر وعن
أرضه وسقفه وحيطانه
وسائر بنيانه وغفلت أيضا
عن سكانه فانت أيضا غافل
عن بيت الله تعالى وعن
ملائكته الذين هم سمواته
فلا تعرف من السماء الا ما
تعرفه النملة من سقف
بيتك ولا تعرف من ملائكة
السموات الا ما تعرفه النملة
منك ومن سكان بيتك نعم
ليس للنملة طريق الى ان
تعرفك وتعرف عجائب
قصرك وبدائع صنعة
الصانع فيه وأما أنت فلك
قدرة على أن تجول فى
الملكوت وتعرف من عجائبه
ما الخلق غافلون عنه

بينهم و بين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا
حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول
الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم
ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم ولم
تجر الفترات فيهم على طول دوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات
ألسنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الخبر اليه أصواتهم ولم تختلف فى مقادم الطاعة مناكبهم ولم
يثنوا الى راحة التقصير فى أمر رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل فى هممهم
خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم
لا يقطعون أمد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من
رجائه ومخافته لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوا فى جدهم ولم تأسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعى
على اجتهادهم ولو استعظموا ذاك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا فى ربهم باستحواذ الشيطان
عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا شعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف
الهمم فهم اسراء ايمان لم يفككهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس فى اطباق السموات موضع
اهاب الا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم فى قلوبهم
عظما اه

(فصل) فى ذكر ما ورد فى الاخبار من ذكر ملائكة الملكوت الاعلى روى ابن مردويه من حديث
ابن عباس اطت السماء و يحق لها ان تئط والذى نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر الا وفيه جبهة ملك ساجد
يسبح الله بحمده و روى أبو داود وابن ماجه من حديث عباس بن عبد المطلب فوق السماء السابعة بحر
بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين
سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش من أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء فوق ذلك و روى
أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الشعب والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة ان لله ملائكة
ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجودا منذ
خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم
ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم
القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا اليه وقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغى لك و روى الديلمى من حديث ابن
عمر ان لله تعالى ملائكة فى السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة
يقولون سبحان ذى الملك والملكوت فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله
ملائكة فى السماء الثانية ركوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة فاذا كان يوم القيامة
يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة فى السماء الثالثة سجودا منذ خلقت السموات
والارض الى ان تقوم الساعة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك و روى ابن
بلال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس ان لله عز و جل أملاكا خلقهم كيف شاء وصورهم على
ما شاء تحت عرشه ألهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى كل يوم مرتين ألا من وسع على
عياله وجيرانه وسع الله تعالى عليه فى الدنيا ألا من ضيق ضيق الله عليه الا ان الله قد أعطاكم لنفقة درهم
على عيالكم سبعين قنطارا والقنطار مثل أحد وزنا انفقوا ولا تجمعوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن أكثر
نفقتكم يوم الجمعة و روى أبو الشيخ فى العظمة من حديث جابر ان لله تعالى ملائكة ما بين شحمة أذن
أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران و رواه ابن عساكر بلفظ ان لله ملائكة وهم

الكروبيون من شحمة اذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع فى انحطاطه و روى الديلمى من حديث ابن عباس ان لله ملكا نصف جسده الاعلى ثلج ونصفه الاسفل نار ينادى بصوت رفيع سبحان الله الذى كف حر هذه النار فلا يذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار اللهم يا مؤلفا بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك و روى الديلمى من حديث أنس ان لله تعالى بحرا من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح فمن قالها فى يوم أو شهر أو سنة مرة أو فى عمره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أو مثل رمل عالج أو فر من الزحف (ولنقبض عنان الكلام على هذا النمط فانه مجال) واسع (لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه) فهو (قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء) والصالحين (وما عرفوه) فهو (قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء) عليهم السلام (وجملة ما عرفوه) فهو (قليل بالاضافة الى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم فهو قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون) فى حضرة القدس (كاسرافيل وجبريل وغيرهما) عليهم السلام وهذا يشعر بتفضيل الملائكة على الانبياء وهو مذهب المصنف ولائمة السنة فيه خلاف مبسوط فى محله (ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب) اذ لا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الا من له مثل علمه وليس ذلك الا لله تعالى فلا يعرفه سواه تعالى وتقدس وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق البتة فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقية أصلا بل ايهامية تشبيهية فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم معرفته البتة وانه يستحيل ان يعرف المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى (فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة (فهذا بيان معاقد الجمل التى يجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى) وقال صاحب القاموس فى البصائر نقلا عن المشايخ الفكرة فكرتان فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة وفكرة تتعلق بالطلب والارادة فالتى تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة التمييز بين الحق والباطل والثابت والمنفى والفكرة التى تتعلق بالطلب والارادة هى الفكرة التى تميز بين النافع والضار ثم تترتب عليها فكرة أخرى فى الطريق الى حصول ما ينفع فيسلكها وطريق ما يضر فيتركها ولهم فكرة فى عين التوحيد وفكرة فى لطائف الصنعة وفكرة فى معانى الاعمال والاحوال فهذه ستة أقسام لا سابع لها هى مجال أفكار العقلاء فالفكرة فى التوحيد استحضار أدلته وشواهده الدالة على بطلان الشرك واستحالته وان الالهية يستحيل ثبوتها لاثنين كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين فكذلك أبطل الباطل عبادة اثنين والتوكل على اثنين بل لا تصلح العبادة الا للاله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار اهـ (ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته) أشار به الى ان اتساع المعرفة انما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته وفيها تتفاوت درجات الملائكة والانبياء والاولياء فى معرفته وهذا أيضا لا يعرفه بالكمال فى الحقيقة الا الله تعالى (و) لكن (كلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم) أى كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع فى ملكوت الارض والسموات كان حظه من معرفة صفة القدرة أوفر وأتم لان الثمرة تدل على المثمر وهذا (كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره) وتزداد احاطة بتفاصيل علومه فيها (فتزداد به

ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو الى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به

معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره تزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما الكل عبد منهما بقدر ما رزق) والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوتا لا يتناهى ومن هنا تعرف ان من قال لا أعرف الا الله فقد صدق ومن قال لا أعرف الله فقد صدق فانه ليس في الوجود الا الله تعالى وأفعاله فاذا انظر الى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث انها سماء وأرض وشجر بل من حيث انها صنعه فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه ان يقول ما أعرف الا الله وما أرى الا الله ولو تصور شخص لا يرى الا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح ان يقول ما أرى الا الشمس فان النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجا عنها وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الازلية وأثر من آثارها وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس في الوجود الا الله تعالى فيجوز ان يقول العارف لا أعرف الا الله تعالى ومن العجائب ان يقول لا أعرف الا الله تعالى ويكون صادقا ويقول لا أعرف الله ويكون أيضا صادقا ولكن ذلك بوجه وهذا بوجه ولا تناقض فيه لاختلاف وجوه الاعتبارات (فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فاذا نظرنا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث هو احسان وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله) وصنعه (فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي) الذي يذهب الى تأثير الطبائع في الاشياء (ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته) لقصوره على تأثير الطبائع عن بارئها جل وعز (والموفق) العارف (ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته) لانه لا ينظر في الوجود الا الله وصنعه (وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته) واهتدى وكان مقامه فيها أتم (ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى) وسلك سبيل الردى (فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة) أي موقع زلل (أقدام الجهال بمنه) تعالى (وفضله وجوده ورحمته) آمين وبه تم كتاب التفكر والحمد لله رب السموات والارضين والصلاة والسلام على حبيبه محمد المرسل الى كافة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين قد نجز الفراغ عن شرحه في السادسة من نهار الاثنين لاربع بقين من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١ اللهم اختم بالصالحات أعمالنا وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه حامدا الله مصليا مسلما آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله مقدر الموت على العباد * ومحذر الفوت لينتهزوا فرصة الاجتهاد * وجاعل موت المسلمين وسيلة الى لقائه * ومدخلا في دار احسانه وحسن جزائه * ومعرجا تعرج به أرواحهم الى حضرة القدس * ومخرجا يتروحون فيه من غموم الدنيا بنفحات القرب والانس * أحمده على حسن بلائه لنا في الموت والحياة وأشكره على توفيقه لشهود حسن اختياره للمؤمنين في كل ما قدره وامضاه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الا اياه * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه بالتفضيل على سائر خلقه واجتباه * وجعله اماما لاهل اعصار الدنيا ثم نقله الى الآخرة ليتم به أهل تقواه * ولقد خيره سبحانه بين الدنيا وبين ما عنده وارتضاه * لاجرم انه نقله الى الرفيق الاعلى وجعل أعلى الفردوس مثواه * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الثقاة الهداة وسلم كثيرا وأدام ذلك بعدد لا يدرك منتهاه * وبعد فهذا شرح

معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره تزيده محلا من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما الكل عبد منهما بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات

والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه

*(كتاب ذكر الموت ومابعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجوارى والغلمان ومقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا فى حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء

(كتاب ذكر الموت ومابعده)

وهو الآخر بعون الموفى لكتب احياء العلوم للامام الهمام مقتدى الخاص والعام * حجة الاسلام * وقطب رحا دائرة الاعلام * مولى الموالى أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى روى الله ضريحه بهاطل غيث رحمته الموالى وأهدى الى روحه الزكية تحائف غفرانه الغوالى وقد طالعت عليه زيادة على ماسلف ذكره فى مقدمة كتاب العلم من الكتب الغريبة كتاب المتفجعين لابى العباس محمود بن محمد بن الفضل الاديب وكتاب الثبات عند الممات للحافظ أبى الفرج بن الجوزى وحادى القلوب الى لقاء المحبوب للشيخ ناصر الدين محمد بن الميلق الشاذلى وشرح الصدور فى أحوال الموتى والقبور * وأمالى الدرة الفاخرة كلاهما للحافظ جلال الدين السيوطى رحمهم الله تعالى فدونك شرحا للمقاصد محررا وللراغب فى الآخرة منهاومذكرا جامع الفوائد فأوعى واستوعب المهمات نوعا فنوعا ولما رأيت مسارعة الموت حائلة بين المؤمل والآمال انتهزت الفرصة بالاختصار والاجمال وكتبت ماتبادر فى استحضارى أولا فأولا ولم أتفرغ لاراحة العنان لكونى مستعجلا وبالله توكلى وبه أستعين انه هو المعين فى أمور الدنيا والدين وهذا أوان شروع المقصود * بعون الملك المعبود قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة) القصم كسر الشئ حتى يبين وقولهم فى الدعاء قصمه الله معناه أذله وأهانه وهذه المعانى الثلاثة محتملة هنا والرقاب جمع الرقبة محركة العنق وقيل أصل مؤخره ويجمع أيضا على رقب وأرقب ورقبات والجبابرة جمع جبار وهو فعال من الجبر بمعنى القهر والاذلال يقال جبره السلطان اذا قهره وسامه الخسف وأجبره لغة فيه قال الازهرى هما جيدتان وقال ابن دريد فى باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشئ وأجبرته (وكسر به ظهور الاكاسرة) جمع كسرى بفتح الكاف وكسرها لغتان مشهورتان وحكى الفتح عن الاصمعى والكسر عن غيره (وقصر به آمال القياصرة) جمع قيصر قال المطرزى وابن خالويه كل من ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى وقد جاء ذكرهما فى الحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وفى كل من الجملتين جناس الاشتقاق وفى الثانية فقط براعة الاستهلال (الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق) الذى هو الموت فانه حتم فى رقاب العباد (فأرداهم) أى أوقعهم (فى الحافرة) أى المحفورة والمراد بها القبر وأما قوله تعالى أئنا لمردودون فى الحافرة فالمعنى الى أمرنا الاول وهو الحياة وقال مجاهد أى خلقا جديدا وقال ابن الاعرابى أى الى الدنيا كما كما يقال عاد الى حافرته أى رجع الى حالته الاولى (فنقلوا من أعالى القصور الى أسافل القبور ومن ضياء المهود) جمع المهد بمعنى الممهود وهو الفرش المهيأ للاضطجاع (الى ظلمة اللحود) جمع اللحد وهو القبر الملحود (ومن ملاعبة الجوارى والغلمان الى مصاحبة) وفى نسخة مقاساة (الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة) بكسر العين وسكون الشين الجماعة المعاشرون (الى وحشة الوحدة) وبين كل من الضياء والظلمة والانس والوحدة وحسن المقابلة (ومن المضجع الوثير) أى اللين (الى المصرع الوبيل) أى الوخم (فانظر هل وجدوا من الموت حصنا) يمنعهم منه (أو اتخذوا من دونه حجابا وحرزا) يدفعهم عنه (وانظر هل تحس منهم من أحد) أى هل تشعر باحد منهم أو تراه (أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا (فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء) أى الغلبة (واستأثر) أى اختص (باستحقاق البقاء) بنفسه لا الى عدة ولم يصح عليه الفناء (وأذل أصناف الخلق) أى أنواع المخلوقات (بما كتب عليهم من الفناء) وهذا هو البقاء بغيره مما سواه سبحانه فانه يصح عليه الفناء (ثم جعل الموت مخلصا) من الحبس (للاتقياء) أى للمؤمنين الموصوفين بالتقوى (وموعدا فى حقهم للقاء) يشير الى قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت (وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء) كما

فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه

ولا اهتمام الا به ولا حول الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور فان كل ماهو آت قريب والبعيد ماليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار مالا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

(الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب)

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور والباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

وردت بذلك الاخبار وسيأتي ذكرها (فله الانعام بالنعم المتظاهرة) أي المعاونة بعضها بعضا (وله الانتقام بالنقم القاهرة) أي الغالبة (وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلاة على) سيدنا (محمد ذي المعجزات الظاهرة) أي المعلومة (والآيات الباهرة) وتقدم الكلام على المعجزة والآية وذكر الفرق بينهما (وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت) فانه السبب الموصل لهذه الاهوال المذكورة والباب الفاتح لها (ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه) والتعريج الوقفة اليسيرة (ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من جملة (الموتى ويراها في) جملة (أصحاب القبور) يشير الى حديث ابن عمر الآتي ذكره (فان كل ماهو آت قريب) رواه القضاعي من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد الجهني عن أبيه عن جده زيد قال تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرها وفيها هذه الجملة (والبعيد ماليس بآت) وهو الذي انقرض ومضى ومنه قول الشاعر

فلا زال ماتهواه أقرب من غد * ولا زال ماتخشاه أبعد من أمس

(وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى رواه الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم مرارا (ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه) ومتمماته (وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار مالا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل لما بعد الموت فما بقي من العمر الا القليل والخلق غافلون) قال الله تعالى (اقترب للناس حسابهم) أي بالاضافة الى مامضى أو عند الله أو لان كل ماهو آت قريب (وهم في غفلة معرضون) عن التفكر فيه (ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذكر طول الامل وقصره) وفيه بيان فضل قصره والسبب في طوله وعلاجه وبيان مراتب الناس في كل منهما والمبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير (الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت) وفيه بيان دواهي الموت والحسرة ومنه لقاء ملك الموت (الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وماجرى عندها (و) وفاة (الخلفاء الراشدين) رضي الله عنهم (بعده) وماجرى لهم عندها (الباب الخامس في كلام المحتضرين) أي المشرفين على الموت يقال حضره الموت واحتضر أشرف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (من الخلفاء والامراء والصالحين * الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور * الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور * الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام) فهذه ثمانية أبواب على

عدد أبواب الجنان

(الباب الاوّل فى ذكر الموت والترغيب فى الاكثار من ذكره)

(اعلم) وفقك الله تعالى ان المقامات التسع التى ذكرها المصنف ليست على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانهما أعلى المقامات وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد واقبال على طريق القرب والزهد ترك التشاغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب والمحبة والمعرفة مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله من القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أورده آخرا ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به ينقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها واذا فهمت ذلك فاعلم (ان المنهمك فى الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره) بلسانه وبقلبه (واذا ذكربه كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم (فانه ملاقيكم) لا تفرون منه لاحق بكم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه وماقبل هذه الآية قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (ثم الناس امامنهمك) فى حب الدنيا (واما تائب مبتدئ أو عارف منتهى) قد انتهى فى سيره (أما المنهمك فلا يذكر الموت) أصلا لاشتغاله بما ينفره عنه (وان ذكره) يوما (فيذكره للتأسف على دنياه) أى على ما يفوته منها (ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب) المبتدى (فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت) فى بعض الاحيان (خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد) وتهيئته (وهو معذور فى كراهة الموت) من هذا الوجه (ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه) هو شطر حديث أوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله الخ قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اهـ قلت هو متفق عليه من حديث عائشة ومن حديث أبى موسى ومن رواية أنس عن عبادة بن الصامت واما حديث أبى هريرة فرواه مسلم فقط والنسائى وسيأتى ذكره (فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه) و يحبه (فلا يعد كارها للقاء) بهذا المعنى (وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا وأما العارف المنتهى فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر أحب الىّ من الغنى والسقم أحب الىّ من الصحة والموت أحب الىّ من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا محمد بن يزيد الآدمى حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد مولى ابن عياش قال حدثنى من دخل على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه فقال لولا انى أرى ان هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم انى كنت أحب الفقر على الغنى وأحب

(الباب الاول فى ذكر الموت والترغيب فى الاكثار من ذكره) اعلم ان المنهمك فى الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكره كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس امامنهمك واما تائب مبتدئ أو عارف منتهى أما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه و يشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب فانه يذكر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت و يحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة والموت أحب الى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك

الذلة

الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله تعالى وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات عن محمد بن القاسم أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله الاصبهاني هو صاحب الحلية فذكره وقال أبو نعيم أيضا حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها وقال ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين حدثني الربيع بن تغلب حدثني فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له ما تشتهي قال أشتهي الجنة قالوا فما تشتكي قال الذنوب قالوا أفلا ندعو لك الطبيب قال الطبيب أمرضني لقد عشت فيكم على خلال ثلاث الفقر فيكم أحب الي من الغنى والضعة فيكم أحب الي من الشرف وان من حمدني منكم ومن لامني في الحق سواء ثم قال أصبحنا قالوا نعم قال اللهم اني أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات عن اسمعيل بن أحمد أخبرنا محمد بن هبة الله أخبرنا علي بن محمد بن بشران حدثنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر القرشي هو ابن أبي الدنيا فذكره وقد رويت هذه المقالة أيضا عن معاذ بن جبل انه لما طعن في كفه قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم رواه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم عنه (فاذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة) ولا نفعا ولا ضرا (بل يكون أحب الاشياء اليه أحبها الى مولاه) كما روي ذلك عن عدة من السلف وتقدم في كتاب المحبة والرضا (فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى) لانه لا يتصوّر وقوع ذلك الا بعد كمال المحبة فلو تمنى أهل النهى من أولي الالباب غاية الاماني فكوّنت لهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من تحري أمانيهم وأفضل لهم عند الله من قبل ان الله أحكم الحاكمين (وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة)

(بيان فضيلة ذكر الموت كيفما كان)

ولنقدم أولا ما يتعلق ببدو الموت ثم بما ورد في النهي عن تمنيه ثم بما ورد في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى ثم نتبعه بذكر فضيلته فاقول روى أبو نعيم في الحلية عن مجاهد في قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت والبعث وقال أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف معا حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة ان الارض لا تسعهم فقال اني جاعل موتا قالوا اذا لا يهنأهم العيش قال اني جاعل أملا وفي الحلية عن مجاهد قال لما أهبط آدم عليه السلام الى الارض قال له ربه ابن للخراب ولد للموت وروى البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ان ملكا ينادي يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب ومن حديث الزبير ما من صباح يصبح على العباد الا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب وروى أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زيد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم وروى الثعلبي في التفسير عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول لدوا للموت وابنوا للخراب

(فصل) فيما ورد في النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل في المال والجسد روى الباوردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم بن عمرو الغفاري وأحمد من حديث عبس الغفاري وأحمد أيضا والطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث خباب لا يتمنين أحدكم الموت ورواه الشيخان من حديث أنس بزيادة لضر نزل به فان كان ولا بد متمنيا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة

فاذا التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الاشياء اليه أحبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

خير الى ورواه بهذه الزيادة أيضا الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان ورواه ابن أبي شيبة وابن حبان بزيادة بعد قوله نزل به في الدنيا ولكن ليقل وساقاه وفيه في آخره بعد قوله خيرا لى وأفضل ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل ان يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر بلفظ لا يتمنين أحدكم الموت حتى يثق بعمله ورواه أحمد والبخاري والنسائي بلفظ اما محسنا فلعله يزداد واما مسيئا فلعله يستعتب ورواه النسائي وحده بلفظ اما محسنا فلعله أن يعيش يزداد خيرا وهو خير له واما مسيئا فلعله أن يستعتب ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بلفظ فانه لا يدرى ما قدم لنفسه وروى أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث جابر لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الانابة وروى الشيخان من حديث أنس قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتمنى الموت لتمنيناه وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعونا به وروى المروزي عن القاسم مولى معاوية ان سعد بن أبي وقاص تمنى الموت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمن الموت فان كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك وان كنت من أهل النار فما يعجلك اليها وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم عن أم الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليهم وعمه العباس يشتكى فتمنى الموت فقال له يا عم لا تتمن الموت فان كنت محسنا فان تؤخر تزداد احسانا الى احسانك خير لك وان كنت مسيئا فان تؤخر تستعتب من اساءتك خير لك فلا تتمن الموت

(فصل) في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى روى أحمد والترمذي وصححه والحاكم من حديث أبي بكرة أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى الحاكم من حديث جابر خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا ورواه أحمد من حديث أبي هريرة وروى الطبراني من حديث عبادة بن الصامت ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا وروى أيضا من حديث عوف بن مالك كلما طال عمر المسلم كان له خير وروى أحمد من حديث أبي هريرة قال كان رجلان من بني حى من قضاعة أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت لذلك فاصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة وروى أحمد والبزار من حديث طلحة ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وروى صاحب الحلية عن سعيد بن جبير قال ان بقاء المسلم كل يوم غنيمة لاداء الفرائض والصلاة وما يرزقه الله من ذكره وروى ابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن أبي عبلة قال بلغني ان المؤمن اذا مات تمنى الرجعة الى الدنيا ليس ذلك الا ليكبر تكبيرة أو يهلل تهليلة أو يسبح تسبيحة

(فصل) في جواز تمنى الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدين روى مالك من حديث أبي هريرة لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه وروى مالك والبزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون وروى مالك عن عمر أنه قال اللهم قد ضعفت قوتى وكبر سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك الا الشهر حتى قبض وروى أحمد والطبراني في الكبير والخرائطي في مساوى الاخلاق عن عليم الكندى قال كنت مع عبس الغفاري على سطح فرأى قوما

يحملون من الطاعون فقال يا طاعون خذني اليك قالها ثلاثا فقال عليم لم تقول هذا ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى أحدكم الموت فانه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب فقال عبس أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بادروا بالموت ستة امرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفاف بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يغنيهم بالقرآن وان كان أقلهم فقها قال في الصحاح تحمل بمعنى ارتحل وروى الحاكم عن الحسن قال قال الحكم بن عمرو يا طاعون خذني اليك فقيل له لم تقول هذا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتمنين أحدكم الموت قال قد سمعت ما سمعتم ولكني أبادر ستا بيع الحكم وكثرة الشرط وامارة الصبيان وسفك الدماء وقطيعة الرحم ونشوا يكون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير وروى ابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي فضالة ان أبا هريرة ذكر الموت فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد أن يتمنى الموت لابر ولا فاجر اما بر فيزداد برا واما فاجر فيستعتب فقال وكيف لا أتمنى الموت وانما أخاف أن تدركني ستة التهاون بالذنب وبيع الحكم وتقاطع الارحام وكثرة الشرط ونشو يتخذون القرآن مزامير وروى الطبراني من حديث عمرو بن عبسة لا يتمنى أحدكم الموت الا أن يثق بعمله فان رأيتم ست خصال فتمنوا الموت وان كانت نفسك في يدك فارسلها اضاعة الدم وامارة الصبيان وكثرة الشرط وامارة السفهاء وبيع الحكم ونشو يتخذون القرآن مزامير وروى صاحب الحلية من حديث ابن مسعود لا يخرج الدجال حتى لا يكون شئ أحب الى المؤمن من خروج نفسه وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى قراء العلم ذلك الزمان من الذهب الاحمر وعن أبي هريرة قال يوشك أن يكون الموت أحب الى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه وعن أبي ذر قال ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة بهم فيقول الرجل ليت اني مكانها وروى ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال مرض أبو هريرة فاتيت أعوده فقلت اللهم اشف أبا هريرة فقال اللهم لا ترجعها وقال يوشك يا أبا مسلم أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى أحدهم من الذهب الاحمر ويوشك يا أبا سلمة ان بقيت الى قريب يأتي الرجل القبر فيقول ياليتني مكانك وروى المروزي في الجنائز عن مرة الهمداني قال تمنى عبد الله لنفسه ولاهله الموت فقيل له تمنيت لاهلك فلم تتمناه لنفسك فقال لو اني أعلم انكم تسلون على حالكم هذه لتمنيت ان أعيش فيكم عشرين سنة وروى عن أبي عثمان قال بينما ابن مسعود ذات يوم في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان ذواتا منصب وجمال وله منهما ولد كاحسن الولد اذ شقشق على رأسه عصفور ثم قذف ذا بطنه فنكته بيده ثم قال لان يموت آل عبد الله ثم يتبعهم أحب الى من أن يموت هذا العصفور ورواه صاحب الحلية كذلك وروى المروزي عن قيس قال كان صبيان لعبد الله يشتدون بين يديه فقال ترون هؤلاء لهم أهون على موتا من عدتهم من الجعلان وروى صاحب الحلية من طريق الحسن حدثنا أبو الاحوص قال دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون ثلاثة كامثال الدنانير فجعلنا ننظر اليهم ففطن بنا فقال كانكم تغبطونني بهم قلنا وهل يغبط الرجل الا بمثل هؤلاء فرفع رأسه الى سقف بيت له قصير قد عشش فيه خطاف فقال لان أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب الى من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر وروى المروزي عن الحسن قال كان في مصركم هذا رجل عابد فخرج من المسجد فلما وضع رجله في الركاب أتاه ملك الموت فقال مرحبا لقد كنت اليك بالاشواق فقبض روحه وروى ابن سعد والمروزي عن خالد بن معدان قال ما من دابة في بر ولا بحر يسرني أن تفديني من الموت ولو كان الموت علما يستبق الناس اليه ما سبقني اليه أحد الا رجل يغلبني بفضل قوته وروى صاحب الحلية عنه قال والله لو كان الموت في مكان موضوع لكنت أول من سبق اليه وروى أيضا عن عبد ربه بن صالح انه دخل على مكحول في مرض موته فقال له عافاك الله تعالى فقال كلا للحوق بمن يرجى عفوه خير مع البقاء مع من لا يؤمن شره

شياطين الانس وابليس وجنوده وروى ابن عساكر عن ابن مسهر قال سمعت رجلا قال لسعيد بن عبد العزيز التنوخى أطال الله تعالى بقاءك فغضب وقال بل عجل الله بى الى رحمته وروى صاحب الحلية عن عبيدة بن المهاجر قال لو قيل من مس هذا العود مات لقمت حتى أمسه وروى أيضا عن عبد الرحمن الصنابحى قال الدنيا تدعو الى فتنة والشيطان يدعو الى خطيئة ولقاء الله خير من المقام معهما وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنى الموت قال فى أصلى كل يوم كذا وكذا صلاة حتى أرسل اليه يزيد بن مسلم فتعنته واتى منه فكان يقول اللهم الحقنى بالاخيار ولا تخلفنى مع الاشرار وروى أيضا عن أم الدرداء قالت كان أبو الدرداء اذا مات الرجل على الحال الصالحة قال هنيأ لك ياليتنى كنت مكانك فقالت أم الدرداء له فى ذلك فقال هل تعلمين ياحمقاء ان الرجل يصبح مؤمنا ويمسى منافقا يسلب ايمانه وهو لا يشعر فانا لهذا الميت أغبط منى لهذا بالبقاء فى الصلاة والصيام وروى ابن أبى شيبة فى المصنف وابن أبى الدنيا عن أبى جحيفة قال مامن نفس تسرنى أن تفدينى من الموت ولا نفس ذبابة وروى ابن أبى الدنيا والخطيب وابن عساكر عن أبى بكرة قال والله مامن نفس تخرج أحب الى من نفسى هذه ولا نفس هذا الذباب الطائر ففزع القوم فقالوا لم فقال انى أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر وما خير يومئذ وروى ابن أبى شيبة وابن سعد والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة أنه مر به رجل فقال اين تريد قال السوق قال ان استطعت أن تشترى الموت قبل أن ترجع فافعل وروى ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية وكان شيخا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب أن يقبض فكان يدعو اللهم كبرت سنى ووهن عظمى فاقبضنى اليك قال فبينما أنا يوما فى مسجد دمشق وأنا أصلى وأدعو ان أقبض اذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دواج أخضر فقال ماهذا الذى تدعو به قلت وكيف أدعو يا ابن أخى قال قل اللهم حسن العمل وبلغ الاجل قلت من أنت يرحمك الله قال أنا رتائيل الذى يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحدا

(فصل) وأما فضيلة ذكر الموت فقد أورد المصنف فى هذا الفصل مايدل على فضيلة الموت ومايدل على فضيلة ذكره ونحن ننبه على كل منهما فمما يدل على فضيلة ذكره ما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات) الموت وهادم روى بالدال المهملة وبالمعجمة والهدم القطع ومنه سيف هذام واللذات هى الشهوات فان كان بالدال المهملة فالمعنى مزيلها من أصلها وأنكره السهيلى فى الروض وقال ليس مرادا ههنا وتعقبه الحافظ ابن حجر وقال فى ذا النفى نظر وسياق المصنف يشعر أنها بالذال المعجمة حيث قال (معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم) أى ميلكم وسكونكم (اليها فتقبلوا على الله تعالى) وسياق الطيبى يشعر بانها بالدال المهملة حيث قال شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون اليها ويشتغل بما عليه من التزود الى القرار قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم انتهى قلت لفظ الترمذى أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ورواه كذلك هو وأحمد والنسائى وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة به مرفوعا وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطنى بالارسال وقد رواه كذلك العسكرى فى الامثال والبيهقى فى الشعب ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمر والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم أيضا والبيهقى والضياء من حديث أنس وقوله الموت بجره عطف بيان وبرفعه خبر مبتدا محذوف وبنصبه بتقدير أعنى وقد جاء فى بعض الروايات يعنى الموت فيتعين النصب وقد روى هذا الحديث بزيادات يأتى ذكرها قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم) منه وفى لفظ بنو آدم (ما أكلتم منها سمينا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم من البهائم الموت مايعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا

لان تذكره ينغص النعمة ويكدر صفو اللذة وذلك مهزل لامحالة قال الشيخ الاكبر قدس سره حقيقة الكشف اطلاع على ظاهر من علم باطن يستجليه ادراك باطن حس من الحواس يحاذى به المطلع حذو مدركات ظاهر حسه والخطاب فى أمره يختص بمن وقع له فى مطالعته حظ كشأن الحواس الظاهرة وبركة الكشف فى الحس بمثابة بركة العلم فى أمر العلم ينال به واجده غيبا عن ظاهر العين والسمع وسائر الحواس فكان من لا كشف له من الناس بمنزلة أعجم الحيوان الذى لا يتقدم بين يدى ظاهر أمره مثل ماذكره صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وكذلك من لا كشف له لما سمنت جبلته وضخمت طبيعته تشبث بدنياه قلبه ولم يجد الزهد فى متاع دنياه مساغا انتهى قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أم صبية الجهنية وقد تقدم انتهى قلت هى بضم الصاد المهملة وفتح الموحدة وتشديد التحتية مصغر صحابية اسمها خولة بنت قيس على الاصح جدة خارجة بن الحرث وزعم ابن منده انها خولة بنت قيس بن فهد والصواب الاول وقد رواه أيضا القضاعى فى مسند الشهاب وفيه عبد الله بن أسلم ضعفه الدارقطنى ورواه الحاكم والبيهقى والديلمى بسند فيه ضعفاء عن أبى سعيد الخدرى وذكروا فيه قصة أنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة الى خباء فقالت يارسول الله حلنى حتى أذهب فارضع خشفى ثم ارجع فقال صيد قوم وربيطة قوم ثم أخذ عليها فحلها فلم يكن الاقليلا حتى رجعت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له يعنى فاطلقها ثم قال لو تعلم الحديث ولفظ الديلمى لو علمت البهائم من الموت ما أكلتم منها سمينا وعنده من حديث أنس بلا سند لوان البهائم التى تأكلون لحومها علمت ماتريدون بها ما سمنت وكيف تسمن أنت يا ابن آدم والموت امامك (وقالت عائشة رضى الله عنها) قلت (يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة) قلت تقدم هذا للمصنف فى آخر كتاب التوحيد والتوكل انه من حديث أنس وعائشة ولفظه قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة وتقدم هنالك ان العراقى قال لم أقف له على اسناد وذكرنا ان حديث عائشة رواه الطبرانى فى الاوسط نحوه وفيه من قال فى يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد وعزاه السيوطى فى شرح الصدور للطبرانى من حديث عمار بلفظ المصنف (وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور) أى البعد عنها (ويتقاضى الاستعداد للآخرة) أى يطالب (والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا) والاكباب عليها (وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن اه قلت ورواه كذلك ابن المبارك فى الزهد والبيهقى فى الشعب ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث جابر (وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن) كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة (اذلا يزال فيها فى عناء) أى تعب (من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه) فقد روى أحمد من حديث ابن عمرو الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة ورواه ابن المبارك فى الزهد بلفظ الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فجعل يتقلب فى الارض ويتفسح فيها ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف بلفظ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاذا مات المؤمن يخلى سربه حيث شاء والسرب بالفتح الطريق كما فى الصحاح وروى ابن أبى شيبة فى المصنف والمروزى فى الجنائز والطبرانى وأبو نعيم عن ابن مسعود قال ذهب صفو الدنيا فلم يبق الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم (وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم) أى لما يلقاه من الآلام والاوجاع وفى رواية لكل ذنب وقال ابن الجوزى وفى بعض طرق الحديث ما يفهم ان المراد بالموت الطاعون فانهم كانوا فى الصدر

وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذلا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم

الاول يطلقون الموت و يريدونه به اهـ وكانه يشير الى خبر البخارى الطاعون كفارة لكل مسلم قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين انه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء اهـ قلت وكذلك رواه القضاعى فى مسند الشهاب كلهم من طريق يزيد بن هرون عن عاصم الاحول عن أنس به وقال العراقى فى أماليه انه ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن ولم يصب ابن الجوزى والصغانى فى ذكرهما له فى الموضوعات وقال الحافظ ابن حجر انه لم يتهيأ الحكم عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق قال ومع ذلك فليس هو على ظاهره بل هو محمول على موت مخصوص ان ثبت الحديث اهـ ولهذا المعنى احتاج المصنف الى تأويله فقال (وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا) أى الكامل فى اسلامه وايمانه (الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده) وقد روى الحاكم من حديث جابر أكمل المؤمنين من سلم المسلمون من لسانه ويده وروى ابن النجار من حديث على وانما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامة الفرائض) وقال العامرى فى شرح الشهاب معنى الحديث ان الله تعالى يتكرم على عبده المسلم بتطهيره للقائه بتكفير ذنوبه بما يلاقى غصص الموت وسكراته كما كفرت الامراض والمصائب عنه ذنوبا أخر قبل موته وروى أبو نعيم فى الحلية عن الاوزاعى قال قال عمر بن عبد العزيز ما أحب ان يهون على سكرات الموت انه آخر ما يكفر به المسلم (وقال عطاء الخراسانى) هو عطاء بن أبى مسلم كنيته أبو أيوب ويقال أبو عثمان ويقال أبو محمد ويقال أبو صالح البلخى نزيل الشام مولى المهلب بن أبى صفرة الازدى واسم أبيه أبى مسلم عبد الله ويقال ميسرة روى عن ابن عباس وعنه ابن جريج ثقة صدوق وقال الدارقطنى الا أنه لم يلق ابن عباس مات سنة خمس وثلاثين ومائة وكانت ولادته سنة خمسين ودفن ببيت المقدس روى له مسلم والاربعة وقيل بل روى له البخارى أيضا وقال الحافظ ابن حجر لم يثبت (مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا) أى اخلطوا (مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت هكذا مرسلا ورويناه فى أمالى الخلال من حديث أنس ولا يصح اهـ قلت ورواه البيهقى من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يضحكون ويمزحون فقال اكثروا ذكر هاذم اللذات وروى العسكرى فى الامثال من حديث أبى هريرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس من مجالس الانصار وهم يمزحون ويضحكون فقال اكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه لم يذكر فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا كثره ولا فى ضيق الا وسعه ولا فى سعة الا ضيقها وروى البيهقى من حديث أبى سعيد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ناسا يكثرون فقال لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات الموت وانه لم يأت على القبر يوم الا وهو يقول أنا بيت الوحدة وبيت الغربة أنا بيت التراب أنا بيت الدود ولفظه عند العسكرى دخل النبى صلى الله عليه وسلم مصلى فرأى ناسا يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات فاكثروا ذكر هاذم اللذات (وقال أنس) رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه) أى اكثاره (يمحص الذنوب) أى يزيلها (ويزهد فى الدنيا) أى يقللها فى أعينكم وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص لذته الحاضرة وزهده فيما كان يؤمل لكن النفوس الذاكرة والقلوب العاطلة تحتاج الى تطويل الوعظ وتزويق الالفاظ قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف جدا اهـ قلت وتمامه عند ابن أبى الدنيا فان ذكرتموه عند الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم وهو فى مكارم الاخلاق لابن لال بلفظ اكثروا ذكر الموت فان ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد فى الدنيا الموت القيامة والموت المقيمة (وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا) قال العراقى رواه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده من حديث أنس

وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراسانى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا

وعن الك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلا اهـ قلت كذا هو فى النسخ ابن المبارك ولعله ابن أبى الدنيا فانه الذى رواه فى البر والصلة وأما حديث أنس فرواه ابن السنى فى عمل يوم وليلة والعسكرى فى الامثال بلفظ كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا وذكر اله قصة تقدم ذكرها وروى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى الدرداء قال موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا كفى بالدهر مفرقا اليوم فى الدور وغدا فى القبور (وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد اهـ قلت لفظ الطبرانى كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى ورواه العسكرى فى الامثال والطبرانى أيضا والقضاعى والبيهقى فى الشعب بلفظ كفى بالموت واعظا وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلا ورواه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار وتقدم قريبا من قول أبى الدرداء رواه سعيد بن منصور (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف اهـ قلت هذا الشطر الاخير لو تعلمون ما أعلم الخ متفق عليه من حديث أنس وعائشة وفى الباب عن أبى هريرة وجماعة تقدم ذكره وقد روى البيهقى فى الشعب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا اكثروا ذكر هاذم اللذات فانه لا يكون فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا كثره (وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أنبأنا مالك بن مغول فذكره بلاغا بزيادة فيه اهـ قلت وكذلك رواه البزار من حديث أنس وروى ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد عن ابن سابط قال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل فاثنى عليه فقال صلى الله عليه وسلم كيف ذكره للموت فلم يذكر ذلك منه فقال ما هو كما تذكرون وأخرجه الطبرانى عن سهل بن سعد نحوه (وقال ابن عمر) رضى الله عنهما (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) قال العراقى رواه ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا فى الموت بكماله باسناد جيد اهـ قلت ورواه الطبرانى والحاكم عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى المؤمنين أكيس قال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل نزول الموت أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة ورواه ابن المبارك فى الزهد وأبو بكر فى الغيلانيات من طريق يحيى بن أيوب عن عبيد بن زهر عن سعد بن مسعود الكندى له صحبة وقيل انه تابعى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المؤمنين أكيس فقال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا اسحق بن ابراهيم الحربى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا اسمعيل بن عياش عن العلاء بن عتبة عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر قال قام فتى فقال يا رسول الله أى المؤمنين أكيس قال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل ان ينزل به أولئك الاكياس ثم قال رواه أبو سهيل بن مالك وحفص بن غيلان ويزيد بن مالك وقرة بن قيس ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه اهـ ومما يحسن ايراده من الاخبار فى فضل الموت روى الديلمى من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما الموت ريحانة المؤمن وروى البيهقى فى الشعب وضعفه والديلمى من حديث عائشة الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والعقل هدية من الله والجهل ضلالة والظلم ندامة والطاعة قرة العين والبكاء من خشية الله النجاة من النار والضحك هلاك البدن والتائب

وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضى الله عنهما أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

(وأما الآثار) فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع ابن خيثم ماغائب ينتظره المؤمن خير له من الموت

من الذنب كمن لاذنب له و روى أحمد وسعيد بن منصور فى سننه باسناد صحيح من حديث محمود بن لبيد اثنان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب و روى ابن السكن وأبوموسى فى المعرفة والبيهقى فى الشعب من حديث زرعة بن عبد الله الانصارى يحب الانسان الحياة والموت خير لنفسه و يحب الانسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب وهو مرسل لان زرعة تابعى وقيل هو صحابى وهو بضم الزاى ثم راء وقيل براء ثم زاى ساكنة و روى الشيخان من حديث أبى قتادة قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال مستريح أومستراح منه قالوا يارسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها الى رحمة الله تعالى والفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب و روى أبونعيم من حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر يا أباذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره يا أباذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره و روى النسائى والطبرانى وابن أبى الدنيا من حديث عبادة بن الصامت ما على الارض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب ان ترجع اليكم ولها نعيم الدنيا ومافيها الا الشهيد فانه يحب ان يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له و روى الطبرانى من حديث أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الموت الى من يعلم انى رسولك و روى الاصبهانى فى الترغيب عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان حفظت وصيتى فلا يكونن شئ أحب اليك من الموت و روى ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى الموت والبيهقى فى الشعب من حديث الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مزهدا فى الدنيا مرغبا فى الآخرة و روى الديلمى من حديث أبى هريرة اكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكره الا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت و روى ابن عساكر من حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا و روى ابن المبارك فى الزهد من مرسل محمد بن عبد الرحمن بن نوفل لو تعلمين علم الموت يابنت زمعة لعلمت انه أشد مما تقدرين عليه وقد رواه الطبرانى عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن سودة بنت زمعة موصولا ومما يحسن ايراده فى ذكر فضيلة ذكر الموت والاستعداد له من الاخبار روى ابن أبى الدنيا عن سفيان قال حدثنا شيخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال اكثر ذكر الموت يسليك عما سواه و روى أبونعيم من حديث أبى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالى لا أحب الموت قال لك مال قال نعم قال قدمه فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب ان يلحق به وان أخره أحب أن يتأخر معه و روى الطبرانى عن طارق المحاربى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق استعد للموت قبل الموت و روى الديلمى من حديث أنس أفضل الزهد فى الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة و روى الترمذى من حديث أبى هريرة ما من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يارسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع (وأما الآثار فقد قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا) لان ذا اللب يراها ببصيرته زائلة والموت واقعا فلا يفرح بشئ من زهرتها (وقال) أبو يزيد (الربيع بن خيثم) الثورى الكوفى العابد أحد الزهاد الثمانية (ماغائب ينتظره المؤمن خير له من الموت) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن المبارك فى الزهد والمروزى فى الجنائز وقال أبونعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبى يعلى عن الربيع بن خيثم فذكره وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا جعفر بن الصباغ حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا الاشجعى سمعت سفيان يقول قال الربيع بن خيثم ارتدوا هذا الخير بالله تنالوه لا بغيره واكثروا ذكر هذا الموت الذى لم تذوقوا مثله فان الغائب اذا طالت غيبته رجيت جيئته وانتظره أهله وأوشك ان يقدم عليهم وحدثنا عبد الرحمن بن العباس

حدثنا ابراهيم الحربى حدثنا أبو بكر حدثنا سعيد بن عبد الله عن نسير عن بكر بن ماعز قال كان الربيع
يقول اكثروا ذكر هذا الموت الذى لم تذوقوا قبله مثله (وكان يقول لاتشعروابى أحدا وسلونى الى ربى سلا)
رواه أبو نعيم فى الحلية ورواه صاحب كتاب المتفجعين عن الفريابى قال حدثنا سفيان عن ابن حيان ان
الربيع بن خيثم قال عند موته لاتعلموابى أحدا وسلونى الى ربى مرسلا (وكتب بعض الحكماء الى رجل
من اخوانه يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلاتجده) رواه ابن أبى
الدنيا (وكان أبو بكر محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى (اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه) رواه أبو
نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو على محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى ح وحدثنا عبد
الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا اسحق بن اسمعيل ومحمد بن عباد قالوا حدثنا
سفيان بن عيينة حدثنى دهبن الاقطع قال كان محمد بن سيرين اذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته
ورواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الله بن ابراهيم بن العباس عن عثمان بن قرزاذ عن ابراهيم بن بشار
عن ابن عيينة وفيه على حياله بدل على حدته (وكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (يجمع كل ليلة
الفقهاء) عنده (فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ومافيهما من الاهوال) والشدائد (ثم يبكون
حتى كان بين أيديهم جنازة) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال) أبو اسحق (ابراهيم) بن يزيد بن شريك
(التيمى) الكوفى وكان من العباد (شيآن قطعاعنى لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله
عزوجل) رواه ابن أبى الدنيا فى الموت (وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (من عرف الموت هانت
عليه المصائب) رواه ابن أبى الدنيا بلفظ مصائب الدنيا وغمومها رواه عن محمد بن الحسين قال حدثنا الحرث
ابن خليفة حدثنا ذريد أبو سلمان عن ابراهيم بن أبى عبد الله الشامى عن كعب فذكره ورواه أبو نعيم فى
الحلية من طريقه (وقال أبو بكر مطرف) بن معقل التميمى الشقرى بالشين المعجمة والقاف محركة
منسوب الى شقرة قبيلة من تميم وهو لقب معاوية بن الحرث بن تميم ومطرف هذا روى عن ابن سيرين والحسن
والشعبى وعنه النضر بن شميل وأبو داود الطيالسى (رأيت فيما يرى النائم كان قائلا يقول فى وسط مسجد
البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ماتراهم الاوالهين) رواه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد
عبد العزيز بن سلمان فقال حدثنا أبو بكر المؤذن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد
حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أبو عقيل زيد بن عقيل قال سمعت مطرفا الشقرى يقول لعبد العزيز بن
سلمان رأيت فيما يرى النائم فذكره وفى آخره فخر عبد العزيز مغشيا عليه (وقال أبو) هانئ (أشعث) بن
عبد الملك الحمرانى البصرى منسوب الى حمران مولى عثمان بن عفان قال يحيى بن سعيد لم ألق أحدا يحدث
عن الحسن أثبت منه وكان عالما بمسائل الحسن الرقاق قال شعبة عامة ماروى يونس فى الرقائق كانرى
انها عنه وقال ابن سعد كان الحسن اذا راى الاشعث قال هات يا أبا هانئ ماعندك وفى طريق آخر أنشر بزك
أى هات مسائلك وقال الدارقطنى هم ثلاثة يروون عن الحسن جميعا أحدهم الحمرانى ثقة وأشعث الحدانى
يعتبر به وابن سواد الكوفى يعتبر به وهو أضعفهم روى له البخارى تعليقا والباقون سوى مسلم (كنا
ندخل على الحسن) البصرى (فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقالت
صفية) بنت شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة العبدرية تابعية جليلة لها رواية وأكثر حديثها عن عائشة (ان
امرأة اشتكت الى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق
قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وكان عيسى عليه السلام اذا
ذكر الموت عنده يقطر جلده دما) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وروى ابن عساكر عن الشعبى قال كان
عيسى اذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لاينبغى لابن مريم ان يذكر عنده الساعة فيسكت وروى أبو
نعيم فى الحلية من طريق أبى طارق التبان قال كان عبد العزيز بن سلمان اذا ذكر القيامة والموت صرخ

وكان يقول لاتشعروابى
أحدا وسلونى الى ربى سلا
وكتب بعض الحكماء الى
رجل من اخوانه ياأخى
أحذر الموت فى هذه الدار قبل
أن تصير الى دار تتمنى فيها
الموت فلاتجده وكان ابن
سيرين اذا ذكر عنده الموت
مات كل عضو منه وكان عمر
ابن عبد العزيز يجمع كل
ليلة الفقهاء فيتذاكرون
الموت والقيامة والآخرة
ثم يبكون حتى كأن بين
أيديهم جنازة وقال ابراهيم
التيمى شيآن قطعاعنى
لذة الدنيا ذكر الموت
والوقوف بين يدى الله
عز وجل وقال كعب من
عرف الموت هانت عليه
مصائب الدنيا وهمومها
وقال مطرف رأيت فيما
يرى النائم كأن قائلا يقول
فى وسط مسجد البصرة قطع
ذكر الموت قلوب
الخائفين فوالله ماتراهم
الاوالهين وقال أشعث كنا
ندخل على الحسن فانما هو
النار وأمر الآخرة وذكر
الموت وقالت صفية رضى
الله عنها ان امرأة اشتكت
الى عائشة رضى الله عنها
قساوة قلبها فقالت أكثرى
ذكر الموت يرق قلبك
ففعلت فرق قلبها فجاءت
تشكر عائشة رضى الله عنها
وكان عيسى عليه السلام
اذا ذكر الموت عنده يقطر
جلده دما

وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر ابن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

كما تصرخ الثكلى و يصرخ الخائفون من جوانب البحر قال ورعا رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه (وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه) رواه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في الموت عن ثابت ابن صفوان عن عروة قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها الا الله فاذا ذكر رحمته تراجعت وروى أحمد في الزهد عن أبي العالية قال كان دعاء داود عليه السلام سبحانك الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ردت الي روحي سبحانك الهي أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلني (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ما رأيت عاقلا قط الا أصبته حذرا من الموت وعليه حزينا) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي مروان بشر الرحال عن الحسن قال يحق لمن يعلم ان الموت مورده وان الساعة موعده وان القيامة بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق فضيل بن عياض عن السري بن يحيى عن عمر بن عبد العزيز قال والله ان رجلا ليس بينه و بين آدم الا اب له قد مات لمعرق له في الموت وروى أيضا في ترجمة عبد العزيز بن سلمان من طريق محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال كنت أسمع أبي يقول عجبت ممن عرف الموت كيف تقر عينه في الدنيا أم كيف تطيب بها نفسه أم كيف لا ينصدع فيها قلبه قال ثم يصرخ هاه هاه حتى يخر مغشيا عليه (وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي الزاهد (قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن هو ابن صالح قال قيل للربيع بن خيثم يا أبا عبد الله لو جالستنا قال لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد علي (وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير) الحرشي العامري البصري التابعي الزاهد (ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه) رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم ابن اسحق الحربي حدثنا أبو كريب حدثنا اسحق بن سلمان عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن مطرف قال فساقه (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لعنبسة) بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبي خالد الاموي أخي عمر والاشدق ثقة وكان عند الحجاج بالكوفة مات على رأس المائة روى له البخاري ومسلم وأبو داود (أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا ابن أبي بكر حدثنا سعيد بن عامر عن أسماء بن عبيد قال دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين ان من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها ولي عيال وضيعة افتاذن لي أخرج الى ضيعتي ومايصلح عيالي فقال عمر أحبكم الينا من كفانا مؤنته فخرج من عنده فلما صار عند الباب قال عمر أبا خالد أبا خالد فرجع فقال أكثر من ذكر الموت فان كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وان كنت في سعة من العيش ضيقه عليك حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى المروزي حدثنا خالد بن خراش حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن عمر قال قال عنبسة بن سعيد دخلت على عمر فذكر نحوه (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قلت لام هرون) وكانت من العارفات (أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت ومما يحسن ايراده من ذكر الآثار في فضل الموت روى المروزي في الجنائز وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر والموت وروى

ابن

ابن أبي شيبة والمروزي عن طاوس قال لا يحرز دين المرء الا حفرته وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال بلغني ان أول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وروى سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي الدرداء قال مامن مؤمن الا الموت خير له ومامن كافر الا الموت خير له فمن لم يصدقني فان الله يقول وماعند الله خير للابرار ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير الآية وروى ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال مامن نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة ان كان برا فقد قال الله تعالى وماعند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية وروى ابن المبارك وأحمد في الزهد عن حبان بن جبلة ان أباذر أو أبا الدرداء قال لاحبذا المكروهات الثلاث الموت والمرض والفقر وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة وروى ابن سعد في الطبقات والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال أحب الفقر تواضعا لربي وأحب الموت اشتياقا لربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي وروى أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري أنه كان اذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فان سئل عن شئ قال لا أدري لا أدري وروى ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء أنه قيل له ماتحب لمن تحب قال الموت قالوا فان لم يمت قال يقل ماله وولده وروى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال أتمنى لحبيبي ان يقل ماله ويعجل موته وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء قال ما اهدى الى أخ صالح هدية أحب الي من السلام ولا بلغني خبر أعجب لي من موته وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال قيل لعبد الاعلى التيمي ماتشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك قال الموت وقال سهل بن عبد الله التستري لا يتمنى الموت الا ثلاثة رجل جاهل بما بعد الموت أو رجل يفر من أقدار الله تعالى أو مشتاق محب للقاء الله تعالى وقال حبان بن الاسود الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة وقال بعضهم ان المشتاقين يجدون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من ان روح الوصول أحلى من الشهد وروى ابن عساكر عن ذي النون المصري قال الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات اذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقا الى ربه وحبا للقائه والنظر اليه وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عبد ربه أنه قال لمكحول أتحب الجنة قال ومن لا يحب الجنة قال فاحب الموت فانك لن ترى الجنة حتى تموت وروى عن عبد الله بن أبي زكريا أنه كان يقول لو خيرت بين ان أعمر مائة سنة في طاعة الله تعالى وان أقبض يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت ان أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه شوقا الى الله ورسوله والى الصالحين من عباده وروى أبو نعيم وابن عساكر عن أحمد بن الحواري قال سمعت أبا عبد الله النباجي يقول لو خيرت بين ان تكون لي الدنيا منذ يوم خلقت أتنعم فيها حلالا لا أسأل عنها يوم القيامة وبين ان تخرج نفسي الساعة لاخترت ان تخرج نفسي الساعة أما تحب ان تلقى من تطيع وروى ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا عن مسروق قال ماغبطت شيأ بشئ كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا ورواه ابن أبي شيبة بلفظ مامن شئ خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وامن من عذاب الله وروى ابن المبارك في الزهد عن الهيثم بن مالك قال كنا نتحدث عند أيفع ابن عبدة وعنده أبو عطية المذبوح فتذكروا النعيم فقال من أنعم الناس قالوا فلان وفلان فقال ماتقول يا أبا عطية فقال أنا أخبركم عن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب وروى عن محارب بن دثار قال قال لي خيثمة أيسرك الموت قال لا قال ما أعلم أحدا لا يسره الموت الا منقوص وهو عند عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بلفظ فقال ان هذا بك لنقص كبير وروى عن أبي عبد الرحمن ان رجلا قال في مجلس

أبي الاعور السلمي والله ماخلق الله شيأ أحب الى من الموت فقال أبو الاعور لان أكون مثلك أحب الى من حمر النعم. وروى ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم قال في الموت راحة للؤمن من شدائد الدنيا وان كان الموت ذاغصص وكرب وروى عن محمد بن زياد قال حدثت عن بعض الحكماء أنه قال للموت أهون على العاقل من زلة عالم غافل وروى عن سفيان قال كان يقال الموت راحة العابدين ومن الآثار التي يناسب ايرادها في فضل ذكر الموت والاستعداد له ماقال بعضهم في قوله تعالى ولاتنس نصيبك من الدنيا هو الكفن فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا بصرفها فيما يوصل اليها ولاتنس انك تترك جميع مالك الانصيبك الذي هو الكفن كماقيل

نصيبك مماتجمع الدهر كله * رداآن تلوى فيهما وحنوط

وقال حامد اللفاف من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة وقال بعضهم لايدخل ذكر الموت بيتا الارضي أهله بماقسم لهم قال أبونواس

ألاأين الذين فنوا وماتوا * أماوالله ماماتوا لتبقى

وقال أبو حمزة الخراساني من أكثر ذكر الموت حبب اليه كل باق وبغض اليه كل فان وروى ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال ماأكثر عبد ذكر الموت الاترك الفرح والحسد وروى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال من أكثر ذكر الموت قل حسده وقل فرحه وروى ابن أبي شيبة عن عون بن عبد الله قال ماأحد ينزل الموت حق منزلته الاعبد اعد غدا ليس من أجله كم من مستقبل يوما لايستكمله وراج غدا لايبلغه انك لوترى الاجل ومسيره لابغضت الامل وغروره وروى عن ابي حازم قال كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لايضرك متى مت وروى أبونعيم في الحلية عن أبي عمران قال قال عمر بن عبد العزيز من قرب الموت من قلبه استكثر مافي يديه وروى عن القداح قال كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته وعن عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد قال كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وعن عمر بن ذر قال قال عمر بن عبد العزيز ماأحب ان يهون على الموت لانه آخر مايؤجر عليه المؤمن وعن الاوزاعي قال قال عمر فذكر نحوه وروى عن جابر بن نوح قال كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض أهل بيته أما بعد فانك ان استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض اليك كل فان وحبب اليك كل باق والسلام وروى عن مجمع التيمي قال ذكر الموت غنى وعن سميط قال من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولابسعتها وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال ماالزم عبد قلبه ذكر الموت الاصغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع مافيها وعن قتادة قال كان يقال طوبى لمن ذكر ساعة الموت وعن مالك بن دينار قال قال حكيم كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعمل وعن أبي حازم قال ياابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر وروى عن علي رضي الله عنه قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد نظم هذا المعنى الحافظ العراقي فقال

وانما الناس نيام من يمت * فهم ازال الموت عنه وسنه

وروى أبونعيم في الحلية ان عمر بن عبد العزيز قال لميمون بن مهران ياميمون ماأرى القبر الازيارة ولابد للزائر ان يرجع الى منزله يعني الى الجنة أو النار وعن رجاء بن حيوة قال ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوما فقال يتمثل

أم تران الموت أدرك من مضى * فلم ينج منه ذو جناح ولاظفر

(بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان الموت هائل) فظيع (وخطره عظيم و) انما (غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه) فلايخطر لهم ببال (و) لقلة (ذكرهم له) على ألسنتهم (ومن يذكره) قليلا أو كثيرا

(بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)* اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره

ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شئ الا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى يريدان يسافر الى مفازة مخطرة أو يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه

وأنجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وانه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر فى نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضى الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا الى الله عز وجل

(ليس يذكره بقلب فارغ) عن الشواغل (بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا) معلق بها (فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه) لاجل ذلك (فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه) عن كل شئ الا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى (يريدان يسافر الى مفازة مخطرة أو) يريدان (يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه) ان قام أو قعد (فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك) اى اذا تحقق التأثير فمن علاماته أنه (يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه) منها فلا يكون له فى باطنه ميل اليها أصلا (وأوقع طريق فيه) أى أكثره وقعا فى القلب (ان يكثر ذكر أشكاله وأقرانه) ولداته (الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب و يتذكر صورهم) الجميلة (فى مناصبهم وأحوالهم) التى كانوا يتقلبون فيها (و يتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم) أى تركوهن أرامل بلا أزواج (وايتموا أولادهم) أى تركوهم يتامى (وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم) ومدارسهم (ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب) أى موافقتها (وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق و) الآن (قد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك و) الآن (قد أكل التراب أسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك) القابض للروح وهو عزرائيل عليه السلام (وقرع سمعه النداء اما بالجنة أو بالنار) يشير الى ما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن عمرو اذا توفى الله المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى الى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى الى غضب الله فتخرج كانتن جيفة وقد رواه أبو بكر المروزى فى الجنائز من حديث أبى هريرة نحوه وسيأتى (فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة قال قال أبو الدرداء أعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (السعيد من وعظ بغيره) رواه مسلم من طريق عمرو بن الحرث عن أبى الزبير المكى عن عامر بن واثلة عنه بزيادة والشقى من شقى فى بطن أمه وهو عند العسكرى فى الامثال من طريق عون عن أبى وائل وعند القضاعى من طريق ادريس بن يزيد الاودى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص كلاهما عن ابن مسعود مرفوعا ورواه العسكرى أيضا من طريق عبد الله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جده زيد بن خالد رفعه بلفظ المصنف ورواه القضاعى من هذا الوجه بتمامه وروى من حديث عبد الله بن مصعب عن أبيه أيضا فقال عن عقبة بن عامر بدل زيد وهما ضعيفان ولذا قال ابن الجوزى لا يثبت كذلك مرفوعا (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى فى خطبته (ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا الى الله عز وجل

تضعونه فى صدع من الارض) أى شق منها (قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب) هكذا أورده هنا مختصرا وسيأتى بتمامه فى آخر الباب الذى يليه أخرجه أبو نعيم فى الحلية مطولا كما سنذكره (فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى) وأهل البلاء (هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له و يتجافى عن دار الغرور والافالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان) أى طرفه (قليل الجدوى) أى الفائدة (فى التحذير والتنبيه) وسيأتى ذكر الخطب التى فيها مجال أفكار المعتبرين من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى آخر الباب الذى يليه (ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته نظر ابن مطيع) هو عبد الله بن مطيع بن الاسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى المدنى ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولابيه صحبة كان من رجال قريش جلدا وشجاعة كان على قريش يوم الحرة وقتل مع ابن الزبير بمكة وكان قد استعمله على الكوفة روى له مسلم حديثا واحدا (ذات يوم الى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والله الموفق

(الباب الثانى فى طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته)

وفيه أربعة فصول * الفصل الاول فى (فضيلة قصر الامل) اعلم ان الامل هو توقع حصول الشئ وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله فمن عزم على سفر الى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت الا ان قرب منها فان الطمع ليس الا فى القريب والرجاء بين الامل والطمع فان الراجى قد يخاف ان لا يحصل مأموله و يقال لما فى القلب مما ينال من الخير أمل ومن الخوف ايحاش ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه خطر ومن الشر وما لا خير فيه وسواس وقصره حبس النفس عنه يقال قصرت نفسى على هذا الامر اذا لم يطمح الى غيره وقصرت من طرفى لم أرفعه الى مكروه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر) بن الخطاب رضى الله عنهما (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا) قال العراقى رواه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر فى آخر حديث كن فى الدنيا كأنك غريب اهـ قلت ورواه البخارى من طريق الاعمش عن مجاهد عنه به الى قوله عابر سبيل مرفوعا من حديث ابن عمر وما سوى ذلك فانه من قول مجاهد و روى ابن المبارك فى الزهد وأحمد والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والعسكرى فى الامثال من طريق سفيان عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال يا عبد الله بن عمر كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا الحرث بن أبى اسامة حدثنا اسحق بن عيسى الطباع حدثنا حماد بن زيد ح وحدثنا حبيب بن الحسن حدثنا يوسف القاضى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا زائدة ح وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصرى حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير ح وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان واللفظ له قالوا عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال لى وأحب فى الله وأبغض فى الله ووال فى الله وعاد فى الله فانك لا تنال ولاية الله الا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت موافاة الناس فى أمر الدنيا وان ذلك لا يجزى عن أهله شيأ قال وقال لى ابن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فانك يا عبد الله بن عمر لا تدرى ما اسمك غدا قال وأخذ

تضعونه فى صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له و يتجافى عن دار الغرور والافالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

(الباب الثانى فى طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الامل)

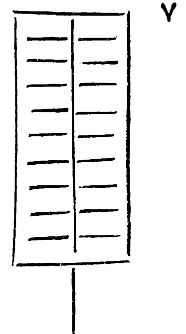
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال كن فى الدنيا غريبا أو عابر سبيل وعد نفسك فى أهل القبور وقال أبو نعيم ولم يذكر خلاد و زهير زائدة قوله فى الموالاة ووافقوه فى الباقى ورواه الحسن بن الحر وفضيل ابن عياض وجرير وأبو معاوية فى آخرين عن ليث ورواه الاعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه (وروى عن على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتين) كذا فى النسخ قال العراقى صوابه خصلتان (اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فان يصد) أى يمنع (عن الحق) أى عن قبوله وفى لفظ يضل بدل يصد (وأما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب و يبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان الا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية) أى مدبرة الى دارها (الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة) بوجهها (الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل) قال العراقى رواه بطوله ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الامل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف اه قلت روى ابن عدى من حديث جابر أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل ورواه ابن النجار من حديثه بلفظ أخوف ما أخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى فاما اتباع الهوى فيضل عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة الا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل قال العقيلى فيه يحيى بن مسلمة بن قعنب حدث بالمناكير وقد رواه ابن عساكر فى التاريخ من حديث على موقوفا وذكره الشريف الموسوى فى نهج البلاغة فى جملة خطبه ولفظه أيها الناس ان أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة الا وان الدنيا قد ولت فداء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بامه يوم القيامة وان اليوم عمل لا حساب وغدا حساب ولا عمل ورواه الحاكم فى التاريخ والديلمى من حديث جابر بلفظ ان أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل فاما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مقبلة صادقة ولكل واحدة منهما بنون فان استطعتم ان تكونوا من بنى الآخرة ولا تكونوا من بنى الدنيا فافعلوا فانكم اليوم فى دار عمل ولا حساب وأنتم غدا فى دار حساب ولا عمل وروى ابن النجار من حديث على ان أشد ما أتخوف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فالحب للدنيا (وقالت أم المنذر) الانصارية رضى الله عنها (اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم اه قلت الذى تقدم انه من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب ذكرها الدارقطنى فى الاخوة وقال روى حديثها الطبرانى وفيها نظر اه قال الحافظ فى الاصابة حديثها أنها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس ألا تستحيون قالوا وما ذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبرانى من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منده ورواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن ثابت عن الوازع بن نافع نحوه وقال الحافظ والطريقان ضعيفان (وقال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (اشترى اسامة بن زيد) الكعبى رضى الله عنهما حب رسول الله وابن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زيد بن ثابت) الانصارى رضى الله عنه

وروى على كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال ألا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ألا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وقال أبو سعيد الخدرى اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت

وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهران اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا ابن آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء عنك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا

٧



قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها أمر به أخذه فان أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنهشه ان أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج

(وليدة) أى جارية (بمائة دينار الى شهر) قال (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهران اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفرى) بضم الشين المعجمة وسكون الفاء وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب والجمع أشفار (لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك ابن عساكر فى التاريخ (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج) أى الى الخلاء (يهريق الماء فيتمسح بالتراب) أى يتيمم به (فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه) قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الامل والبزار بسند ضعيف (وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الآخر فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل) قال العراقى رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى قصر الامل واللفظ له والرامهرمزى فى الامثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى واسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا من رواية أبى المتوكل مرسلا اه قلت لفظ ابن المبارك عن أبى المتوكل الناجى هو الذى ساقه المصنف هنا وأما لفظ أحمد عن أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم غرز عودا ثم غرز الى جنبه آخر ثم غرز الثالث فابعده قال هل تدرون ما هذا هذا الانسان وهذا أجله وهذا أمله يتعاطى الامل فيختلجه الاجل دون ذلك وروى ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والديلمى من حديث أنس مثل الانسان والامل والاجل فمثل الاجل الى جانبه والامل امامه فبينما هو يطلب الامل امامه اذ أتاه الاجل فاختلجه (وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم) قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن اه قلت هو هكذا فى السنن بزيادة حتى يموت وقال حسن غريب ورواه كذلك الطبرانى والبيهقى والضياء كلهم من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه ورواه أبو نعيم فى الحلية عن الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن فراس حدثنا سليم بن قتيبة حدثنا عمر عن قتادة عن مطرف به فذكره (قال ابن مسعود) رضى الله عنه (هذا المرء وهذه الحتوف) أى المنايا المهلكة (حوله شوارع اليه) أى بارزة اليه مشرعة نحوه (والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها ما أمر به أخذه فان أخطأته الحتوف) ولم تصبه (قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله) بن مسعود رضى الله عنه (٧ خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنهشه ان أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج) قال العراقى رواه البخارى قلت قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا

حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ح وحدثنا سليمان حدثنا حفص بن عمر حدثنا قبيصة بن عقبة قالا حدثنا سفيان ح وحدثنا أبو اسحق بن حمزة حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي حدثنا أبو خيثمة حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى منذر الثوري عن الربيع بن خيثم عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا مربعا وجعل في وسط الخط خطا وجعل خطا خارجا من المربعة دارة وجعل حوله حروفا وخط حولها خطوطا فقال المربع الاجل والخط الوسط الانسان وهذه الدارة الخارجة الامل وهذه الحروف الاعراض والاعراض تصيبه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة والاجل قد حال دون الامل لفظ سليمان وقال يحيى بن سعيد هذه الخطوط التي الى جنبه الاعراض تنهشه من كل مكان ان أخطاه هذا أصابه هذا والخط المربع الاجل المحيط به والخط الخارج الامل قال الشيخ أبو نعيم حديث صحيح متفق على صحته لم يروه عن الربيع الا منذر (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم) أي يكبر (ابن آدم ويبقى منه) خصلتان (اثنتان) استعارة يعني تستحكم في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشاب في شبابه (الحرص والامل) فالحرص فقره ولو ملك الدنيا والامل همه وتعبه وانما لم تكبرهاتان لان المرء جبل على حب الشهوات وانما تنال هي بالمال والعمر قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد صحيح اه قلت بل رواه بهذا اللفظ أحمد والشيخان تعليقا والنسائي كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس وفي لفظ البخاري يكبر بدل يهرم (وفي رواية) يهرم ابن آدم (وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر) قال العراقي رواه مسلم بهذا اللفظ قلت وكذلك رواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس ولفظ الطيالسي يكبر ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية ورواه الطبراني من حديث سمرة وفي المقاصد للسخاوي وفي لفظ يشيب ابن آدم وتشب منه اثنتان وذكر صاحب البستان عن أبي عثمان النهدي قال بلغت نحوا من ثلاثين ومائة سنة وما من شئ الا وقد أنكرته الا أملي فاني أجده هو (وقال صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الامة) وهم الصحب والتابعون باحسان ومن داناهم من السلف (باليقين والزهد) أي بالثقة بالله في أمورهم والتجافي عن الدنيا بالزهد فيها (ويهلك) أي يكاد يهلك (آخر هذه الامة بالبخل والامل) أي بالاسترسال فيهما والمراد من ذلك ان الصدر الاول قد تحلوا باليقين والزهد وتخلوا عن البخل والامل وذلك من اسباب النجاة من العقاب وفي آخر الزمان ينعكس الحال وذلك من الاسباب المؤدية للهلاك قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اه قلت وكذلك رواه أبو بكر بن لال في مساوى الاخلاق والخطيب في كتاب البخلاء وابن لهيعة لا يحتج به ثم ان المذموم من ذلك الاسترسال فيه لا قطع أصله واليه أشار المصنف بقوله (وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة) بكسر الميم آلة من حديد (يثير بها الارض) أي يخدمها (فقال عيسى) عليه السلام في نفسه (اللهم انزع منه الامل) فاستجيب له (فوضع الشيخ المسحاة) وترك الشغل (واضطجع) على جنبه يستريح (فلبث ساعة) على ذلك (فقال) عيسى عليه السلام في نفسه (اللهم اردد اليه الامل) فاستجيب له (فقام) الشيخ (فجعل يعمل) في الارض (فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل هكذا من حديث الحسن مرسلا اه قلت والشطر الاخير رواه أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود والخرائطي من حديث عائشة

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء

والطبرانى فى الاوسط من حديث الحكم بن عمير (وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذبك من حياة تمنع خير الممات وأعوذبك من أمل يمنع خير العمل) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل من رواية حوشب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى اسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب اهـ قلت ورواه ابن أبى الدنيا أيضا فى كتاب اليقين ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودى مانصه هو تابعى صغير وله رواية عن الحسن فى كتاب ابن أبى الدنيا أيضا اهـ قلت هذا التابعى الذى ذكره له ذكر فى الحلية فى ترجمة محمد بن واسع من طريق عبد الواحد بن زياد قال سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب لاتبت وأنت شبعان ودع الطعام وأنت تشتهيه فقال حوشب هذا وصف اطباء أهل الدنيا قال ومحمد بن واسع يسمع كلامهما فقال نعم ووصف اطباء أهل الآخرة فقال مالك بخ بخ دواء الدين والدنيا وفى الصحابة اثنان يقال لهما حوشب كل منهما غير منسوب لاحدهما رواية فى مسند أحمد والثانى فى مسند الحسن بن سفيان والنوادر للحكيم فليحرر والله أعلم (الآثار قال مطرف بن عبد الله) بن الشخير رحمه الله تعالى (لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنوا بعيش ولاقامت بينهم الاسواق) رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ وجدت الغفلة التى ألقاها على خلقه رحمة رحمهم بها ولو ألقى فى قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ماتهنالهم العيش (وقال الحسن البصرى) رحمه الله تعالى (السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما مامشى المسلمون فى الطريق) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (بلغنى ان الانسان خلق أحمق) أى قليل العقل (ولولاذلك لم يهنه العيش) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال) أبو عبد الله (سعيد بن عبد الرحمن) بن عبد الله بن جميل بن عامر بن حذيم ابن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشى الجمحى المدنى قاضى بغداد زمن الرشيد روى عن هشام ابن عروة قال ابن معين ثقة مات سنة ست وسبعين ومائة روى له مسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه (انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وقال سلمان الفارسى) رضى الله عنه (ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزننى حتى أبكيننى فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى ربى لاأدرى الى الجنة يؤمر بى أو الى النار) رواه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية قال وحدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال بلغنا ان سلمان الفارسى كان يقول أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ولا يغفل عنه وضاحك ملء فيه لايدرى أمسخط ربه أم مرضيه وأبكانى ثلاث فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدى رب العالمين حين لاأدرى الى النار انصرافى أم الى الجنة (وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبى أوفى) العامرى الحرشى البصرى العابد رحمه الله تعالى (بعد موته فى المنام فقلت أى الاعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وروى أبو نعيم فى الحلية قال لقى سلمان عبد الله بن سلام فقال ان مت قبلى فاخبرنى ماتلقى وان مت قبلك فاخبرك قال فمات سلمان فرآه عبد الله بن سلام فقال كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير قال أى الاعمال وجدت أفضل قال وجدت التوكل شيأ عجيبا (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباء) رواه أبو نعيم فى الحلية عن سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبيد بن آدم العسقلانى حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا وكيع قال قال سفيان فذكره قال وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى حدثنا العباس بن اسمعيل حدثنا سهل حدثنا وكيع قال قال سفيان ليس الزهد فى الدنيا باكل الجشب ولبس الخشن انما الزهد فى الدنيا قصر الامل وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الاحوص بن الفضل بن غسان الغلابى حدثنا ابراهيم بن

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم انى أعوذبك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذبك من حياة تمنع خير الممات وأعوذبك من أمل يمنع خير العمل

(الآثار) قال مطرف ابن عبد الله لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما مامشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الانسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا أدرى الى الجنة يؤمر بى أو الى النار * وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام قلت أى الاعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل

ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائى لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار * وحكى انه جاء شقيق البلخى الى استاذله يقال له أبو هاشم الرمانى وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل * وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله مابسط أمل من لايدرى لعله لايصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا

سعد الجوهرى سمعت الحسن بن عبد الملك يقول (قال الثورى ليس الزهد فى الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الجشب انما الزهد قصر الامل وحدثنا أبو بكر الطلحى حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا اسمعيل الطلحى قال قال وكيع كان سفيان يقول الزهد فى الدنيا قصر الامل (وسأل) أبو مالك (المفضل بن فضالة) بن أبى أمية البصرى روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه (ربه أن يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وفيه اشارة الى ان المذموم منه انما هو الاسترسال فيه لا أصله (وقيل للحسن) البصرى (يا أباسعيد ألا تغسل قميصك فقال الامر أعجل من ذلك) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا أبو الحسن بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنا سعدويه واسحق بن ابراهيم قالا حدثنا أبو معاوية عن الحسن قال قيل يا أباسعيد فذكره (وقال الحسن) البصرى (الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال انكم أصبحتم فى أجل منقوص وعمل محفوظ والموت فى رقابكم والنار بين أيديكم وما ترون والله ذاهب فتوقعوا قضاء الله فى كل يوم وليلة ولينظر امرؤ ماقدم لنفسه (وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (لو أملت ان أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع) أى بغتات المصائب (تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وحكى انه جاء شقيق البلخى) رحمه الله تعالى (الى استاذله يقال له أبو هاشم الرمانى) كان ينزل قصر الرمان بواسط اسمه يحيى بن دينار وقيل يحيى بن الاسود رأى أنس بن مالك قال أبو حاتم وكان فقيها صدوقا مات سنة ١٢٢ وقيل سنة ١٤٥ روى له الجماعة (وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها الى أخ لى وقال أحب ان تفطر عليها فقال) استاذه (ياشقيق وانت تحدث نفسك أنك تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فى خطبته ان لكل سفر زاد الامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى) يشير الى قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب (وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا) فيه لف ونشر مرتب (ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم) يشير الى قوله تعالى طال عليهم الامد فقست قلوبهم (وتنقادوا لعدوكم) اى ابليس (فانه والله مابسط أمل من لايدرى لعله لايصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لايداوى كلما) أى جرحا (الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى ويظهر عيبى) كذا فى النسخ ولفظ الحلية عيلتى (وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا أبى ومحمد بن أحمد قالا حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنى أبو عبد الرحمن حاتم بن عبد الله الازدى عن الحسين بن محمد الخزاعى عن

وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من أمن من أهوال القيامة فأما من لايداوى كلما الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما

وكتب رجل الى أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب وللبلاء فى جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل ان يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره * وقال عبد الله بن سميط سمعت أبى يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترؤن ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال أبو زكريا التيمى بينما سليمان ابن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتى بوهب ابن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن ابن يوسف سلام عليك فانى أحمد الله اليك لا اله الا هو أما بعد فانى أحذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى قرار باطن الارض بعد ظاهرها .

رجل من ولد عثمان ان عمر بن عبد العزيز قال فى بعض خطبته فذكره سواء بسواء (وكتب رجل الى أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام والسلام) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وكتب آخر الى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب وللبلى فى جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام) رواه أبو نعيم فى الحلية قال كتب عمر بن المنهال القرشى الى ابراهيم بن أدهم وهو بالرملة ان عظنى موعظة أحفظها عنك فكتب اليه أما بعد فان الحزن على الدنيا طويل فذكره وفيه بعد قوله بالرحيل واجتهد بدار الممر قبل الانتقال الى دار المقر (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (كان آدم عليه السلام قبل ان يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حوّل فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره) رواه أحمد فى الزهد قال حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا هشام هو الدستوائى عن الحسن قال كان آدم عليه السلام قبل ان يصيب الخطيئة فذكره ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه (وقال عبيد الله بن شميط) بن عجلان الشيبانى البصرى ثقة مات سنة احدى وثمانين ومائة روى عن أبيه وعمه الاخضر بن عجلان وعنه عبد الرحمن بن مهدى وسيار وعبد الله بن عيسى الطفاوى وأبو داود الطيالسى ومحمد بن عبيد بن حساب روى له الترمذى (سمعت أبى) هو أبو همام شميط بالمعجمة مصغرا أخو الاخضر روى عن أبى بكر الحنفى وزهير العامرى وعطاء وابن عمرو وعنه ابنه المذكور وجعفر بن سليمان الضبعى وعبد الرحمن ابن مهدى ورياح بن عمرو القيسى وأبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العبادانى وابراهيم بن عبد الملك والصعق ابن حزن (يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترؤن ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا اعمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد قال أخبرت عن سيار عن عبيد الله بن شميط قال سمعت أبى يقول فساق نحو ذلك (وقال أبو زكريا) يحيى بن طلحة بن عبيد الله (التيمى) المدنى ثقة روى له الترمذى والنسائى وابن ماجه (بينما سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتى بوهب بن منبه) اليمانى (فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا محمد بن أحمد ابن ابان حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن عبيد حدثنا أبو عبد الله بن ادريس عن أبى زكريا التيمى قال بينما سليمان بن عبد الملك فساقه (وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف) صورته (سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانى أحذرك متحولك من دار مهلتك) وهى الدنيا (الى دار اقامتك وجزاء أعمالك) وهى دار الآخرة (فتصير فى قرار باطن الارض بعد ظاهرها

فيأتيك منكرونكير فيقعدانك و ينتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع

وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من أهلها والسموات من سكانها فباحت

الاسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من

مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ماحالي وحالك يومئذ ففي هذا ماهدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الامل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله السلام * وخطب عمر ابن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي غدا عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه

في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وأيم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا أعلم عند

أحد كم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على

وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وماعاد الى مجلسه حتى مات

فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك) ويسألانك (و ينتهرانك فان يكن الله معك) بان هداك للجواب (فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع) أي في لحدك (ثم تبلغك صيحة الحشر من القبور ونفخ الصور وقيام الجبار) جل جلاله (لفصل قضاء الخلائق وجلاء الارض من أهلها والسموات من سكانها) يوم يقول لمن الملك اليوم (فباحت الاسرار) أي ظهر ما كان مخفيا منها (وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ماحالي وحالك يومئذ ففي هذا ماهدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الامل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة عن قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل ومحمد بن يوسف المذكور يحتمل ان يكون هو الفريابي أو الزبيدي الراوي عن أبي قرة وعبد الرحمن بن يوسف يحتمل ان يكون أخاه أو رجلا آخر فليحرر (وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي غدا عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بلت دموعه لحيته وماعاد الى مجلسه حتى مات) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا سعدان بن نصر المخرمي حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب حدثني رجل ان عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض واعلموا ان الامان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير وخوفا بامان أولا تدرون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلكم حتى يردوا الى خير الوارثين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو الحسن بن ابان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنا اسحق بن اسماعيل حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الله بن الفضل التميمي قال آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان مافي أيديكم اسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ألا ترون انكم في كل يوم وليلة تشيعون غاديا أو رائحا الى الله تعالى وتضعونه في صدع من الارض ثم في بطن الصدع غير ممهد ولا موسد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب أسكن التراب وواجه الحساب فقير الى ماقدم امامه غني عما ترك بعده أما والله اني لاقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي قال ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ثم نزل فما خرج حتى أخرج الى حفرته

وقال القعقاع بن حكيم
قد استعددت للموت منذ
ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت
تأخير شيء عن شيء وقال
الثوري رأيت شيخا في مسجد
الكوفة يقول أنا في هذا
المسجد منذ ثلاثين سنة
انتظر الموت ان ينزل بي ولو
أتاني ما أمرته بشيء ولا
نهيته عن شيء ولا لي على
أحد شيء ولا لاحد عندي
شيء وقال عبد الله بن ثعلبة
تضحك ولعل أكفانك
قد خرجت من عند القصار
وقال أبو محمد بن علي الزاهد
خرجنا في جنازة بالكوفة
وخرج فيها

وقال أيضا حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي
الغمر المصري حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر
خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال انكم لن تخلقوا عبثا وانكم لن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل
الله فيه فيحكم فيكم ويفصل بينكم وخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات
والارض ألم تعلموا انه لا يأمن غدا الا من حذر الله اليوم وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير وخوفا بأمان
ألا ترون انكم في أسلاب الهالكين وستصير بعدكم للباقين وكذلك حتى تردون الى خير الوارثين ثم انكم
تشيعون كل يوم غاديا ورائحا قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الارض في شق صدع ثم
تتركوه غير ممهد ولا موسد قد فارق الاحباب وباشر التراب ووجه للحساب مرتهن بعمله غني عما ترك
فقير الى ما قدم فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم أما والله اني لاقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب
أكثر مما عندي واستغفر الله وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا الا تمنيت ان يبدأ بي
وبحاجتي يكون عيشه وعيشنا واحدا أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولا
وكنت بأسبابه عالما ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيهما على طاعته ونهى فيها عن معصيته
ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال حدثنا عبد الله بن
الهيثم بن عثمان حدثنا أبو وهب عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي حدثنا بشر أبو نصر قال خطبنا عمر
ابن عبد العزيز بخناصرة فقال يا أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا فساقه بمثله وقال أبو نعيم أيضا حدثنا أبو
حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا اسمعيل بن
ابراهيم بن أبي حبيب ان عمر بن عبد العزيز كتب الى بعض الاجناد أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله
ولزوم طاعته فان بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها تحق لهم ولايته وبها رافقوا أنبياءهم وبها
نضرت وجوههم وبها نظروا الى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن والمخرج من كرب يوم القيامة
ولن يقبل ممن بقي الا بمثل ما رضي به عمن مضى ولمن بقي عبرة فيما مضى وسنة الله فيهم واحدة فبادر بنفسك
قبل ان يؤخذ بكظمك ويخلص اليك كما خلص الى من كان قبلك فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف
يتفرقون ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الامل أمله وذا السلطان سلطانه وكفى بالموت
موعظة بالغة وشاغلا عن الدنيا ومرغبا في الآخرة فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده ونسأل الله خيره
وخير ما بعده ثم ساقه بطوله وفيه كان لم يكن كل يوم تشيعون غاديا أو رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى
أجله وتغيبونه في صدع من الارض تدعونه غير متوسد ولا ممهد فارق الاحبة وخلع الاسلاب وسكن
التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيرا الى ما قدم غنيا عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء
موافاته وأيم الله اني لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي واستغفر
الله وأتوب اليه (وقال القعقاع بن حكيم) الكناني المدني ذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة
الا البخاري (قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء) رواه ابن أبي
الدنيا في قصر الامل (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا
في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على
أحد شيء ولا لاحد عندي شيء) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال عبد الله بن ثعلبة) الحنفي رحمه
الله تعالى من رجال الحلية حكى عنه حامد بن عمر البكراوي وغيره (تضحك ولعل أكفانك قد خرجت
من عند القصار) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد حدثنا أبو بكر بن
سفيان حدثنا علي بن محمد حدثنا يوسف بن أبي عبد الله قال سمعت عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول فذكره
(وقال أبو محمد) صدقة (الزاهد) رحمه الله تعالى (خرجنا بجنازة بالكوفة وخرج فيها داود) بن نصير

(الطائي)

داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله
وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان أهل الدنيا جميعا من أهل القبور انما يندمون على ما
يخلفون و يفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة

يختصمون و روى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك ان تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا * وعن أبي

بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه كان يقول في خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن
وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا
النجا النجا

(الطائي) رحمه الله تعالى (فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان أهل الدنيا جميعا من أهل القبور انما يندمون على ما يخلفون و يفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق ح وحدثنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن الحسين حدثنا الحسين بن اسماعيل قالا حدثنا محمد بن يحيى الازدي حدثنا بشر بن مصلح حدثنا أبو محمد صدقة الزاهد قال خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة قال فقعد داود ناحية وهي تدفن فجاء الناس فقعدوا قريبا منه فتكلم فقال فذكره (وروى ان) أبا محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم) فصل بنا وذلك لان معروفا كان لا يؤم انما يؤذن ويقيم و يقدم غيره قال (فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم) صلاة أخرى (غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك ان تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل) رواه ابن الجوزي في طبقات النساك فقال أخبرنا يحيى بن علي المدير أخبرنا يوسف بن محمد المهرواني أنبأنا محمد بن أحمد بن رزقويه حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق حدثنا جعفر بن محمد بن العباس البزاز حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثني السري بن يوسف الانصاري قال أقام معروف الصلاة فذكره وروى أيضا بسنده الى محمد ابن منصور الطوسي قال كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت اعطوني شيأ أفطر عليه فاني صائمة فدعاها معروف فقال يا أختي سر الله افشيتيه وتأملين ان تعيشي الى الليل (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا يعقوب بن اسماعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عمر بن محمد المكي قال خطب عمر بن عبد العزيز فقال ان الدنيا ليست بدار قراركم فساقه وفي آخره وتحزن طويلا وأبو بكر بن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا هكذا رواه في كتاب القبور له (وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا) رواه أحمد في الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير ان أبا بكر كان يقول في خطبته أين الوضاءة فذكره وأخرجه أبو نعيم أيضا في ترجمة بنان الحمال المصري فقال حدثنا محمد بن عبيد الله بن المرزبان حدثنا علي بن سعيد حدثنا بنان الصوفي حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير قال خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه أين الوضاءة فذكره وروى أبو نعيم أيضا من طريق عبد الله بن حكيم قال

خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال أما بعد فساقه وفيه ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل ان تنقضي آجالكم فيردكم الى أسوأ أعمالكم فان أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فانهاكم ان تكونوا أمثالهم الوحا الوحا النجا النجا ان وراءكم طالبا حثيثا مره سريع وروى الطبراني من طريق عمرو بن دينار قال خطبنا أبو بكر فذكر نحو حديث عبد الله بن حكيم وزاد ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم أين الملوك وأين الذين كانوا اثاروا الارض وعمروها قد نسوا ونسي ذكرهم فهم اليوم كلا شئ فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وأين من تعرفون من أصحابكم واخوانكم فقد وردوا على ما قدموا فحلوا الشقوة والسعادة ان الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوأ الا بطاعته واتباع أمره وانه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وروى أيضا من طريق نعيم بن نحيحة قال كان في خطبة أبي بكر أما تعلمون انكم تغدون وتروحون في أجل معلوم فذكر نحو حديث عبد الله بن حكيم وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له اتق الله يا عمر فساقه وفيه فان أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجزه

(فصل) ومن كلام علي رضي الله عنه بعد تلاوته الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر يا له مراما ما أبعده وزورا ما أغفله وخطرا ما أفظعه لقد استخلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم أجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا أحق بان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا مقام عزة لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في أعقابهم جهالا تطؤن في هامهم وتثبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينهم وبينكم بوالك ونوائح عليكم أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا يفزعهم ورود الاحوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا وآلافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا عن بعد محلهم عميت أخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الاخاء والتعاطف فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا فكلا الغايتين مدت الى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجساد النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك

او

أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت أبصارهم بالتراب
فخسفت وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل
جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا أيد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان
قلوب واقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي وكم أكلت الأرض من عزيز جسد
وأنيق لون كان في الدنيا غذي ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان
مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش
غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الأيام قواه ونظرت اليها الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه
ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الأطباء فلم يطفأ
ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا أمد منها كل ذات داء
حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي
خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله
فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ بطنه
ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من
كبير كان يعظمه أو صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على
عقول أهل الدنيا ومن كلامه رضي الله عنه فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة
ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع
والدعاء يسمع والحال هادية والأقلام جارية وبادروا بالأعمال عمرا ناكسا أو مرضا حابسا أو موتا خالسا
فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير
مطلوب قد أعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله وأقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت
عليكم عروته وقلت عنكم نبوته فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته
وغواشي سكراته وأليم ازهاقه ودجو أطباقه وجشوبة مذاقه فكأن قد أتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق
نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب
محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزود في منزل الزاد
ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها وأصابوا
غرتها وأفنوا عدتها وأخلقوا جدتها أصبحت مساكنهم أجداثا وأموالهم ميراثا لا يعرفون من أتاهم ولا
يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غدارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع
لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها وقال رضي الله عنه في خطبة له الا وانكم في أيام أمل من
ورائه أجل فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون
في الرهبة وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عياش عن أبيه ان عمر بن عبد العزيز شيع
جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها
تأخرت عنها وتركتها فقال نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز الا تسألني ما صنعت بالأحبة قلت
بلى قال خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم الا تسألني ما صنعت بالأوصال
قلت بلى قال نزعت الكفين من الذراعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين والوركين من
الفخذين والفخذين من الركبتين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر وقال الا ان
الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابها يهرم وحيها يموت فلا يغرنكم اقبالها مع معرفتكم
بسرعة ادبارها والمغرور من اغتر بها أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها

أقاموا فيها أياما يسيرة غرتهم بصحتهم وغروا بنشاطهم فركبوا المعاصي انهم كانوا والله مغبوطين في الدنيا بالاموال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه ماصنع التراب بابدانهم والرمل باجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضدة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون فاذا مررت فنادهم ان كنت مناديا وادعهم ان كنت لابد داعيا ومر بعسكرهم وانظر الى تقارب منازلهم وسل غنيهم مابقي من غناه وسل فقيرهم مابقي من فقره وسلهم عن الالسنة التى كانوا بها يتكلمون وعن الاعين التى كانوا الى اللذات بها ينظرون وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والاجساد الناعمة ماصنع بها الديدان محت الالوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وابانت الاعضاء ومزقت الاشلاء أين حجالهم وقبابهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنوزهم والله مازودوهم فراشا ولاوضعوا هناك متكأ ولاغرسوا لهم شجرا ولا أنزلوهم من اللحد قرارا ليسوا في منازل الخلوات والفلوات أليس الليل والنهار عليهم سواء أليس هم في مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الاحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم نائية وأوصالهم ممزقة وقد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الافواه دما وصديدا ودبت دواب الارض في أجسادهم ثم لم يلبثوا والله الا يسيرا حتى عادت العظام رميما فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة الى المضايق قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطريق أبناؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم فنهم والله الموسع له في قبره المتنعم بلذته ياساكن القبر غدا ماالذى غرك من الدنيا هل تعلم انك تبقى أوتبقى لك أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد أين ثمرك الحاضر ينعه وأين رقاق ثيابك وأين طيبك وأين بخورك أين كسوتك لصيفك وشتائك اما رأيته قد نزل به الامر فما يدفع عن نفسه دخلا وهو يرشح عرقا ويتلمظ عطشا يتقلب في سكرات الموت وغمراته جاء الامر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء جاء أمر الامير الاجل مالايمتنع مثله هيهات هيهات يامغمض الوالد والاخ والولد وغاسله يامكفن الميت وحامله يامخليه في القبر وراجعا عنه ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى ياليت شعري باى خديك بدأ البلى يامجاور الهلكات صرت في محلة الموتى ليت شعري مايلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي ثم تمثل

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا * كما غر باللذات في النوم حالم

نهارك يامغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم

وتعمل فيما سوف تكره غبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قال ثم انصرف فمابقي بعد ذلك الاجمعة وروى عن أبي صالح الشامي قال قال عمر بن عبد العزيز

أناميت وعز من لايموت * قد تيقنت انني سأموت

ليس ملك يزيله الموت ملكا * انما الملك ملك من لايموت

وروى عن مفضل بن يونس قال قال عمر بن عبد العزيز لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ماهم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها فبيناهم كذلك وعلى ذلك أتاهم جاد من الموت فاخترمهم مماهم فيه بالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء فيقدم لنفسه خيرا يجده بعد مافارق الدنيا وأهلها قال ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء فقام وروى عن جعونة قال قال عمر بن عبد العزيز ياأيها الناس انما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا انكم لاتؤتون نعمة الابفراق أخرى واية أكلة ليست معها غصة واية جرعة ليست معها شرقة وان أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف في أيديكم حكمة وان اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن وان غدا آت بمافيه وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه انه لاأقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب انما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار انما أنتم فروع أصول قد مضت فمابقاء فرع بعد ذهاب أصله وروى عن أبي الحسن المدائني قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن

(بيان السبب فى طول الامل وعلاجه) اعلم ان طول الامل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيأ دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وانما يوافق البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه و يقدره مراده فى نفسه و يقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له (٢٤٩) سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضى به شغل الى شغل بل الى أشغال الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدرى أن الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها

فما قضى أحد منها لبانته * وما انتهى أرب الا الى أرب

وأصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبب من أحببت فانك مفارقه وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى ان يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن

عبيد الله بن عتبة يعزيه على ابنه أما بعد فانا قوم من أهل الآخرة اسكنا الدنيا أموات أبناء أموات والعجب لميت يكتب الى ميت يعزيه عن ميت والسلام وروى عن عون بن معمر قال كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قيل قد مات فاجابه عمر أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل هذا وأمثال ذلك كثير فى تراجم السلف ومن طالع كتاب الحلية ظفر منها بالكثير

(الفصل الثانى فى بيان السبب فى طول الامل وعلاجه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان طول الامل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو انه اذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيأ دفعه عن نفسه) لامحالة (والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه و يقدره فى نفسه و يقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار واصدقاء ودواب) وملابس وضياع (وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه) وحبسا لديه (فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى أن تصير شيخا) فتتوب (فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له) وما يحتاج اليه فى معيشته (أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك) فتتوب (فلا يزال يسوّف و يؤخر ولا يخوض فى شغل الا و يتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم و يفضى به شغل الى شغل بل الى أشغال الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه) ولم يكن فى باله (فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف) وقد ورد ذلك فى بعض الاخبار بنحوه وتقدم للمصنف وقال العراقى هناك لم أجد له أصلا (والمسوّف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا و يظن أنه يتصور أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها) والمنهمك فى تحصيلها (فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها) و راجع نفسه عنها (فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب الا الى أرب وأصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها) ولذا ورد حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى مفهومه ان بغضها رأس كل حسنة (والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم) ان روح القدس نفث فى روعى (أحبب من أحببت فانك مفارقه) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وقد تقدم غير مرة (وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشرة من رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى ان يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن

ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الاول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لابد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو من القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا الاقدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى فما على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض

ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه) أي طلباه (الى طول الامل والى الغفلة من تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لابد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه) والثوب الذي يكفن فيه قد نسج وخرج من عند القصار (وهو لا يدري) فتسويفه جهل محض (واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال) الصعب (الذي اعيا الاولين والآخرين علاجه) لشدة تعلقه بالقلب (ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل من قلبه حب الدنيا) اذ الدنيا والآخرة بمنزلة ضرتين ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى (فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا الاقدر يسير ومع ذلك) فانه (مكدر منغص) متعب (فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة) ايمانا يقينيا (فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا (ولا علاج في تقدير الموت في القلب) الا ان يفرغ قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت بجميع قلبه ولا أنفع في ذلك (مثل النظر الى من مات من) النظر و(الاقران والاشكال) والاتراب واحدا واحدا (وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا) ويتذكر مرضهم وأملهم وركونهم الى الدنيا والجاه والمال ثم يذكر مصارعهم وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه (أما من كان مستعدا) لمجيئه (فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه وأعضائه) نظر عبرة (وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة وكيف تتفتت عظامها) حتى تصير نخرة (وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى) بعد ان تسيل على خده (فما على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض

الاكبر

الا كبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له *(بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره)*

اعلم ان الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء و يشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره وأما للغد فلا *قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة و يقول لعلي لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد مانقل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ماخطوت خطوة الا ظننت اني لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال له

لا كبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له) وفيما ذكرناه من خطب أمير المؤمنين ومن خطب عمر بن عبد العزيز مقنع للمتفكر والله الموفق

(الفصل الثالث في بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يأمل البقاء و يشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم) وهو سن سقوط القوة (وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال اهـ قلت بل رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاها من الكبر الا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ماهم ورواه الحكيم الترمذي عن مكحول مرسلا وأما حديث أبي هريرة فلفظه عند مسلم وابن ماجه قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال وعند ابن عساكر بلفظ في اثنتين طول الامل وحب المال وروى أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم بلفظ على حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي ورواه كذلك ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس وأما البخاري فلفظه لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الامل (ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو) مدة (الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره وأما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم) رواه أحمد في الزهد عن سفيان نحوه (ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله) بن عمر (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح) تقدم قريبا (ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة و يقول لعلي لا أبلغه) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث ابن عباس وتقدم قريبا (ومنهم من يكون الموت نصب عينيه) لا يفارقه (كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع) روى الديلمي من حديث أنس اذكر الموت في صلاتك فان الرجل اذا ذكر الموت في صلاته لحري ان تحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن انه يصلي صلاة غيرها واياك وكل أمر يعتذر منه وروى ابن ماجه من حديث أبي أيوب اذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع وعند القضاعي من حديث ابن عمر صل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها وعند العسكري في الامثال من حديث سعد بن أبي وقاص وصل صلاتك وأنت مودع (وفيه ورد مانقل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ماخطوت خطوة الا ظننت اني لا أتبعها أخرى) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف (وكما نقل عن الاسود وهو حبشي) أي أسود اللون (انه كان يصلي ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال له

قائل ماهذا قال انتظر ملك الموت من أي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي أنه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول أمله وانما علامة التوفيق أنه يكون الموت

نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكرا الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يامسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه

(بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير) اعلم ان من له أخوان غائبان وينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر أو سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا

قائل ماهذا) الالتفات (قال انتظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي أنه قصير الامل وهو كاذب) في دعواه (وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول أمله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكرا الله تعالى على طاعته وفرح فانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يامسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه) اعلم ان العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حاله الغني في التوحيد لا التفات له الى ماض ولا مستقبل ولا الى الحال من حيث انه حال بل هو ابن وقته وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحال التي ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت والعارف قد مات في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة أيضا فضلا عن الدنيا بل قد ينغص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا ليزداد يقينا وهو معنى قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل يزداد وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا ليعلم أنه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها فتأمل ذلك

(الفصل الرابع في بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير)

(اعلم) بصرك الله تعالى بنور توفيقه (ان من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم عليه الى شهر وسنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ماينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا) أي يكسبه الطغيان عن الحدود (أو فقرا منسيا) عن أمور الآخرة (أو مرضا مفسدا) لحاله (أو هرما مفندا) أي مورثا للفند محركة وهو ضعف الرأي والخطأ فيه (أو موتا مجهزا) أي سريعا (أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة هل تنتظرون من الدنيا الا غنى الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الامل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم اه قلت وروى هناد بن السري في الزهد ومن طريقه صاحب الحلية قال حدثنا ابن المبارك عن شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال ماننتظر من الدنيا الا كلا محزنا أو فتنة

فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم تنتظر
وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ماينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر

وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه

تنتظر (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس) أي فعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء (شبابك قبل هرمك) أي اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله (وصحتك قبل سقمك) أي اغتنم العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد (وغناك قبل فقرك) أي اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا في الدنيا والآخرة (وفراغك قبل شغلك) أي اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك باهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الامكان لعلك تسلم من العذاب والهوان (وحياتك قبل موتك) أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فان من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك فهذه الخمسة لا يعرف قدرها الا بعد زوالها قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الاودي مرسلا اهـ قلت ورواه أيضا الحاكم في الرقاق والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي في التلخيص ورواه أحمد في الزهد والنسائي في المواعظ وأبو نعيم في الحلية والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا ولفظ الجميع اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك (وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان) من نعم الله تعالى كما في رواية (مغبون فيهما) من الغبن بالسكون والتحريك قال الجوهري في البيع بالسكون وفي الرأي بالتحريك فيصح كل هنا اذ من لا يستعملها فيما ينبغي فقد غبن ولم يحمد رأيه (كثير من الناس الصحة والفراغ) من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة شبه المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الارباح ومقدمات النجاح فمن عامل الله بامتثال أوامره ربح ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله ونبه بكثير على ان الموفق لذلك قليل رواه البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم وروى نعمتان الناس فيهما مغبونون الصحة والفراغ (أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما) وقال الحسن يقول ابن آدم نعمتان عظيمتان المغبون فيهما كثير الصحة والفراغ فهلا مهلا اثواء هنا قليل أخرجه العسكري في الامثال وقال الصحة عند بعضهم الشباب قال والعرب تجعل مكان الصحة الشباب (وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج) أي سار من أول الليل هذا اذا كان بالتخفيف أو معناه سار من آخره اذا كان بالتشديد (ومن أدلج بلغ المنزل) والمراد التشمير في الطاعة والمعنى من خاف ألزمه خوفه السلوك الى الآخرة والمبادرة للعمل الصالح خوف القواطع والعوائق (الا ان سلعة الله غالية) أي رفيعة القدر (الا ان سلعة الله الجنة) قال الطيبي هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فان الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه فان تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق اهـ وقال العلاء أخبر ان الخوف من الله هو المقتضي للسير اليه بالعمل الصالح المشار اليه بالادلاج وعبر ببلوغ المنزل عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن قلت وكذلك رواه الرامهرمزي في الامثال والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي ورواه الحاكم أيضا وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي بن كعب وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح في مسند الترمذي والحاكم يزيد بن سنان ضعفه أحمد وابن المديني اهـ وقال ابن طاهر يزيد متروك والحديث لا يصح مسندا وانما هو من كلام أبي ذر (وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب اهـ قلت ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وفي رواية تكرار ذلك مرتين في كل كلمة ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم في الحلية فقال حدثنا حفص بن عمر حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آنس من أصحابه غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة امابشقاوة واما بسعادة وقال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه

عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل فساقه وزاد يقولها ثلاثا والمراد بالراجفة النفخة الاولى والرادفة النفخة الثانية ورواه عبد بن حميد عن أبي صالح وعن الحسن (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنس من الناس غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة امابشقاوة وامابسعادة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث زيد السلمي مرسلا اه قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب وروى البيهقي أيضا عن الوضين بن عطاء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحس من الناس بغفلة من الموت جاء فاخذ بعضادتي الباب ثم هتف ثلاثا يا أيها الناس يا أهل الاسلام أتتكم المنية راتبة لازمة جاء الموت بما جاء به جاء بالروح والراحة والكرة المباركة لاولياء الرحمن من أهل الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها الا ان لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت سابق ومسبوق (وقال أبوهريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد فيه لين اه قلت وكذلك رواه أبو يعلى في مسنده وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثنا عبيدالله بن محمد حدثنا يحيى بن بكير وسويد بن سعيد قالا حدثنا ضمام ابن اسمعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ياصفية بنت عبد المطلب يافاطمة بنت محمد انا النذير والى الموت المصير والساعة الموعد (وقال ابن عمر) رضي الله عنه (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال مابقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا فيما مضى منه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد حسن والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه اه قلت ورواه الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ يا أيها الناس لم يبق من دنياكم هذه الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وأما حديث أبي سعيد فقد رواه أحمد بلفظ صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر نهارا ثم قام فخطبنا فلم يترك شيأ قبل قيام الساعة الا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وجعل الناس يلتفتون الى الشمس هل بقي منها شئ فقال ألا انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وروى الخطيب من حديث عبدالله بن عمرو مابقي لامتي من الدنيا الا كمقدار الشمس اذا صليت العصر (وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث أنس ولا يصح اه قلت ورواه أيضا البيهقي في الشعب وفي مسنده يحيى بن سعيد العطار ضعفه ابن عدي ورواه أيضا أبونعيم في الحلية من حديث أبان عن أنس بلفظ مثل هذه الدنيا من الآخرة مثل ثوب والباقي سواء وقال غريب لم نكتبه الا من حديث ابراهيم بن الاشعث وأبان بن أبي عياش لم تثبت صحبته لانس كان لهجا بالعبادة والحديث ليس من شأنه (وقال جابر) رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه) شبه حاله في خطبته وانذاره بقرب القيامة وتهالك الناس فيما يرديهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الاحاطة بهم بغتة بحيث لا يفوته منهم أحد فكما ان المنذر يرفع صوته وتحمر عيناه ويشتد غضبه على تغافلهم فكذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الانذار قال العراقي رواه مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الامل واللفظ له اه قلت ظاهره يقتضي أن صحابي الحديث هو جابر الانصاري كما هو المتبادر عند الاطلاق وليس كذلك بل هو جابر بن سمرة كما صرح به مسلم في روايته وقوله واللفظ له يشعر ان هذا السياق ليس عند أحد من الستة والا لما اقتصر على ابن أبي الدنيا وقد رواه بهذا اللفظ ابن ماجه وابن حبان والحاكم مع زيادة بلفظ كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصابعه السبابة والوسطى ثم يقول أما بعد فان خير الامور كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولفظ مسلم في الجمعة بعد قوله صبحكم ومساكم

وقال ابن مسعود رضى الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر
انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله وقال السدى الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء الا ومناد ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر فى الموت وقال سحيم مولى بنى تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال أرحنى بحاجتك فانى أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج نفسى قال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى أعمال الخير للآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر ويحك بادرى قبل أن يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة
اسمعه ولا يرانى وكان الحسن يقول فى موعظته المبادرة المبادرة فانما هى الانفاس

ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله الخ وأما لفظ بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة فانه روى هكذا من طرق فرواه أحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذى والدارمى وابن حبان من حديث أنس ورواه أحمد وهناد والطبرانى والضياء من حديث جابر بن سمرة ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث بريدة ورواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث سهل بن سعد ورواه البخارى وهناد من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى من حديث المستورد ورواه ابن ماجه وابن سعد من حديث جابر بن عبد الله (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) رواه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طرق عديدة وقد تقدم وقد روى نحوه من مرسل أبى جعفر المدائنى عند ابن المبارك فى الزهد ومن مرسل الحسن عند ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وقال السدى) هو محمد بن مروان بن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفى مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهذا هو المفسر ويعرف بالصغير روى عن يحيى بن عبيد الله والكلبى وعنه هشام بن عبد الله ومحمد بن عبيد المحاربى قال أبو حاتم هو ذاهب الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه البتة وأما السدى الكبير فهو أبو محمد اسمعيل بن عبد الرحمن كان يبيع الخمر بسدة الجامع بالكوفة والسدة هى الباب حجازى الاصل روى عن أنس وعنه شعبة والثورى قال ابن أبى حاتم كان أعلم بالقرآن من الشعبى مات فى امارة ابن هبيرة على العراق (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال (أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والبيهقى فى الشعب (وقال حذيفة) رضى الله عنه (مامن صباح ولا مساء الا ومناد ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وان تصديق ذلك) فى (قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر قال فى الموت) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل هكذا وقال لمن شاء منكم ان يتقدم قال الموت أو يتأخر قال الموت والضمير راجع للنار أى ان البلايا الكبرى كثيرة والنار واحدة منها (وقال سحيم) المدنى (مولى بنى تميم) وقيل هو مولى بنى زهرة روى له النسائى (جلست الى عامر بن عبد الله) بن الزبير مدنى عابد ثقة روى عن أبيه وعن عدة من الصحابة وعن جماعة من التابعين (وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال أرحنى بحاجتك فانى أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج نفسى) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا عبد الله بن سلمة بن سعد قال لقى داود الطائى رجل فسأله عن حديث فقال دعنى فانى أبادر خروج نفسى (وقال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى أعمال الآخرة) وهذا قد روى مرفوعا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ الا فى عمل الآخرة رواه الحاكم والبيهقى من رواية مصعب بن سعد عن أبيه وروى ابن سعد من طريق سليمان بن أبى حثمة عن أمه الشفاء بنت عبد الله قالت كان عمر اذا مشى أسرع وهذا محمول لمن يخشى من البطء فى السير تفويت أمر دينى ونحوه وعليه يحمل ما تقدم من قوله وهذا كما فى شرب السويق وتقديمه على القيت فلا يعارض ما ورد سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن (وقال المنذر) بن ثعلبة العبدى القطعى ويقال الطائى أبو النضر البصرى ثقة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه (سمعت مالك بن دينار) البصرى العابد الثقة (يقول لنفسه ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول فى موعظته المبادرة المبادرة فانما هى الانفاس

لوحبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها الى الله عزوجل رحم الله امرأ أنظر الى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما
نعدلهم عدا يعنى الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك فى قبرك واجتهد أبو موسى الاشعرى قبل موته
اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها
والذى بقى من أجلى أقل من ذلك قال (٢٥٦) فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدى رحالك فليس على جهنم معبر وقال بعض
الخلفاء على منبره عباد
الله اتقوا الله مااستطعتم
وكونوا قوما صيح بهم
فانتبهوا وعلموا ان
الدنيا ليست لهم بدار
فاستبدلوا واستعدوا
للموت فقد أظلكم
وترحلوا فقد جدبكم
وان غاية تنقصها اللحظة
وتهدمها الساعة لجديرة
بقصر المدة وان غائبا
يحدبه الجديدان الليل
والنهار لحرى بسرعة
الاوبة وان قادما يحل
بالفوز أو الشقوة لمستحق
لافضل العدة فاتقى عبد
ربه من ناصح نفسه
وقدم توبته وغلب
شهوته فان أجله مستور
عنه وأمله خادع له
والشيطان موكل به
يمنيه التوبة ليسوفها
ويزين اليه المعصية
ليرتكبها حتى تهجم
منيته عليه اغفل مايكون
عنها وانه مابين أحدكم
وبين الجنة أو النار
الا الموت ان ينزل به
فيالها حسرة على ذى
غفلة أن يكون عمره
عليه حجة وان ترديه
أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت
حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم
قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هى أيام
قلائل وانما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل

منكم

لوحبست عنكم انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها الى الله عزوجل رحم الله امرأ أنظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعدلهم عدا يعنى الانفاس) أى نعدلهم الانفاس عدا (آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك فى قبرك) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل هكذا ورواه صاحب كتاب المتفجعين من طريق عبد الواحد بن زيد قال سمعت الحسن يقول يا ابن آدم لقد أعذر الله اليك ان عمرك أربعين سنة تركض وترتع فبادر المهلة قبل حلول الاجل ونزول الموت وكانك بك قد لحقت بمن مضى من اخوانك فندمت على مافرطت فيه أيام حياتك ثم يبكى ويقول المبادرة رحمكم الله المبادرة فانما هى الانفاس فساقه (واجتهد أبو موسى الاشعرى) رضى الله عنه (قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت) الى السباق (فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها) أى من القوة (والذى بقى من أجلى أقل من ذلك قال) الراوى (فلم يزل على ذلك حتى مات) قال (وكان يقول لامرأته شدى رحالك فليس على جهنم معبر) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وقال بعض الخلفاء على منبره) هو أمير المؤمنين على رضى الله عنه كما ذكره الشريف الموسوى فى نهج البلاغة وهذا لفظه مع بعض اختلاف فى السياق كما ننبه عليه (عباد الله اتقوا الله مااستطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدبكم) وسياق النهج واتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد أظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى ومابين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت ان ينزل به (وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه) وفى نسخة يحدوه (الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الاوبة وان قادما يحل) وفى نسخة يقدم (بالفوز أو الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته) ولفظ النهج بحذف الواوات (فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها) ولفظ النهج بتقديم الجملة الثانية على الاولى وفيه ليركبها (حتى تهجم منيته عليه أغفل مايكون عنها وانه مابين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت ان ينزل به) هذه الجملة فى سياق النهج مقدمة كما أشرنا اليها (فيالها حسرة على) كل (ذى غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم) ولفظ النهج نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم (ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية) ولفظ النهج عن طاعة ربه غاية (ولا تحل به بعد الموت حسرة) ولفظ النهج ندامة ولا كآبة (انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال) أى (بالشهوات واللذات) فان النفوس تفتتن بها بمقتضى ميلها اليها (وتربصتم قال) أى (بالتوبة) أى سوفتم بها (وارتبتم قال أى شككتم) أى داخلكم الارتياب والشك (وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله قال) أى (الموت) أى فاجأكم (وغركم بالله الغرور) وهو كل مايغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان وبالدنيا لانها تغر وتمر وأما الشيطان فانه أقوى الغارين وأخبثهم (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (تصبروا وتشددوا فانما هى أيام قلائل وانما أنتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل

منكم فيجيب) الداعى (ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (ما منكم من أحد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة) الى أهلها رواه الطبرانى وأبو نعيم من طريق الضحاك بن مزاحم عنه وقد تقدم (وقال أبو عبيدة) بكر بن الاسود ويقال ابن أبى الاسود (الناجى) الزاهد من بنى ناجية بن سامة بن لؤى روى عن الحسن وابن سيرين قال الذهبى متروك ومشاه بعضهم (دخلنا على الحسن) البصرى (فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم) وفى نسخة أيقنتم (فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون) أى تقفون (أتيتم ورب الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وابن حبان فى الالقاب وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه (وقال) أبو عبد الرحمن (عاصم) بن سليمان (الاحول) البصرى ثقة مات بعد الاربعين من المائة روى له الجماعة (قال لى فضيل) بن مرزوق الاغر (الرقاشى) الكوفى أبو عبد الرحمن صدوق مات فى حدود سنة ستين روى له مسلم والاربعة (وأنا أسائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقول اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لا شئ فان الامر محفوظ عليك ولم ترشيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا صالح بن زياد حدثنا سعيد بن عامر عن جسر قال كان الحسن يقول أيها المرء انك لا تدرى لعلك ان تكون الشخص المختطف انك لا تدرى بأى ميتة تموت انك لا تدرى لعلك ان يحبس طعامك وشرابك فى بطنك فيخرج به نفسك داو نفسك واحذر مصرعك بكرب الموت وشدته انك لا تدرى بما يأتيك به الموت بخير أو بشر ليكن الموت منك على بال أدب نفسك بتواتر نعم الله عليك وانت غير مستحق لها ثم يقبل على أصحابه فيقول الموت أول وارد عليك من الآخرة بخير يسر تراه أو بشر يسوء ثم يبكى قال وحدثنا صالح بن زياد وعبد الله بن الهيثم قال حدثنا السهمى قال حدثنا أبو عبيدة الناجى عن الحسن قال يا ابن آدم طأ الارض بقدمك فانها عن قليل قبرك انك لم تزل فى هدم عمرك منذ خرجت من بطن امك انما أنت عدد فاذا ذهب يوم فقد ذهب بعضك وكل بك ملكان كريمان يكتبان عليك ما تجنى على نفسك فاذا مت طويت صحيفتك ثم قلدتها فى عنقك ثم تلا وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لقد عدل عليك ثم جعلك حسيب نفسك وبهذا السند عن الحسن قال يا ابن آدم لا يلهينك أهلك الذين انت ضيف فيهم عن أهل لا تزايلهم ولا تلهك مساكن انما تمر بها عن مساكن انت خالد فيها يا ابن آدم لو رأيت رجلا نزل منزلا فى سفر لا يقيم فيه تجمع فيه المقام ألم تكن فى الناس ضحكة يا ابن آدم لكل أمر عدة وعتاد وعدة الآخرة وعتادها ثلاث صقل القلب وصحة البدن والسعة فى الدنيا فاذا فعل الله بك ذلك فقد أعذر اليك ولا معذرة لك ان لم تحسن يا ابن آدم انما تدخل القبر وحدك ليس عليك من الناس شئ ولا عليهم منك شئ ما أقل جد الهم عنك فى ذلك الموطن فقد نفروالله يا أحمق منك أقرباؤك وأحباؤك كل امرئ منهم يقول نفسى نفسى يامسكين انما يكرمك اليوم منهم من أكرمك لهذه الروح التى فى جسدك فلو قد انتزع منك نبذوك عنهم وان تركت بينهم فروا من البيت الذى انت فيه قال وحدثنا عبد الله بن الهيثم عن سعيد بن عامر عن عبد الله بن المبارك قال قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لاخ له يا أخى أترضى حالك هذه للموت قال لا قال فهل انت مجمع على الانتقال الى حال ترضاها للموت قال ما دعتنى نفسى الى ذلك بعد قال فهل بعد الموت دار فيها معتمل قال لا قال فهل تأمن الموت ان يأتيك على حالك هذه قال لا قال ما رأيت مثل هذه الحال رضى بها

والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لى فضيل الرقاشى وأنا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لا شئ فان الامر

 محفوظ عليك ولم ترشيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

(الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الاحوال عنده) اعلم انه لولم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولاهول ولاعذاب
سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه و يتكدر عليه سروره و يفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره
و يعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لاتدرى متى يغشاك* وقال لقمان لابنه يابنى
أمر لاتدرى متى يلقاك استعدله قبل أن يفجأك والعجب ان الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه
جندى فيضرب به خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الامن ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التى أدركها واما بالاستدلال باحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فاما القياس الذى يشهد له فهو أن كل عضو لاروح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسرى الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الالم وما أشده* والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع
أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو أصابته شوكة فالالم الذى يجده
انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة وانما يعظم أثر الاحتراق لان أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا
يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فانما تصيب
الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار وألم النزع يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع
المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من

عاقل قال وحدثنا عبدالله بن الهيثم حدثنا العتبى عن أبيه قال عاد الحسن عليلا فوجده قد افرق فقال يا أيها
الرجل ان الله قد ذكرك فاذكره وقد أقالك فاشكره ثم قال ضربة سوط من ملك كريم فاما فرس جواد واما
حمار عثور و بهذا السند قال الحسن ضرب الله ابن آدم بالامراض وضربه بالحاجة و بالعجز وجعل مصيره الى
الموت وانه مع ذلك لوثاب وبهذا السند قال كتب الحسن الى فرقد أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والعمل بما
علمك الله والاستعداد لما لا حيلة لاحد فى دفعه ولا ينفع الندم عند نزوله فاحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه
من رقدة الموتى وشمر للسبق فان الدنيا ميدان مسابقة وان لى ولك من الله مقاما يسألنى فيه واياك عن الحقير
الدقيق والجليل الجافى ولا آمن ان يكون فيما يسألنى واياك فيه عن وساوس الصدور ولحظ العيون واصغاء
الاسماع وما أعجز عن وصفه

(الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الاحوال عنده)

(اعلم) وفقك الله تعالى (انه لولم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولاهول) ولاشدة (ولاعذاب سوى سكرات
الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه و يتكدر عليه سروره و يفارقه سهوه وغفلته وحقيق بان
تطول فيه فكرته و يعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك
لاتدرى متى يغشاك وقال لقمان لابنه يابنى أمر لاتدرى متى يلقاك استعدله قبل ان يفجأك) أى يأتيك فجأة
(والعجب ان الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندى مثلا فيضربه
خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات
النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور) بالامانى الباطلة (واعلم ان شدة الالم فى سكرات الموت
لا يعرفها بالحقيقة الامن ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التى أدركها واما بالاستدلال
باحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فأما القياس الذى يشهد له فهو أن كل عضو لاروح فيه فلا يحس
بالالم) وقد تقدم الكلام على ذلك فى تشريح الانسان (فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما
أصاب العضو جرح أو حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسرى الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم
والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما
أعظم ذلك الالم وما أشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء
من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو أصابته شوكة فالالم الذى يجده انما يجرى فى
جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة) فان قيل فما بال أثر الاحتراق بالنار يعم سائر البدن
فالجواب ما أشار اليه المصنف بقوله (وانما يعظم أثر الاحتراق لان أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن
فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء
اللحم وأما الجراحة فانما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون النار فألم النزع
يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من

الاعصاب

الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى أعالى أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى أصله وترتفع الانثيان الى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد مالم يغرغر وقال مجاهد فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهون على هذه السكرة

الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض) كما ورد كل ذلك فى الاخبار على ما سيأتى ذكرها (لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه) وأخرسه (وأما الاطراف فقد ضعفها) وهد قوتها (ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره) كخوار الثور العقير (وقد تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى أعلى أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى أصله وترتفع الانثيان الى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه) حتى ينحشر الروح فى الصدر (ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم) واليه يشير قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى وقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون (فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها) وروى ابن ماجه عن أبى موسى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال اذا عاين (ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر اه قلت ورواه كذلك ابن زنجويه وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى كلهم من حديث ابن عمر ورواه أيضا ابن جرير من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث أبى أيوب بشير بن كعب ورواه ابن زنجويه وابن جرير عن الحسن بلاغا ورواه أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ مالم يغرغر بنفسه (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا عاين الرسل) الموكلة بقبض الروح (فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته) قال ابن عمر وهل الحضور الا السوق كما رواه ابن جرير (ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت) روى ذلك من حديث عائشة بنحوه كما سيأتى (والناس انما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهون على هذه السكرة

يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت وروى أن نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذاهم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال ياقوم ماأردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لاأغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه عليه السلام كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته

يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وقال القرطبي لتشديد الموت على الانبياء عليهم السلام فائدتان احداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم وليس ذلك نقصا ولا عذابا بل هو كما جاء ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل والثانية ان تعرف الخلق مقدار ألم الموت وانه باطن وقد يطلع الانسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا بل يرى سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه فلما ذكر الانبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقا لاخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ماثبت في الحديث اهـ (وروى ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه) فيخبركم عن أحوال البرزخ (فدعوا الله تعالى فاذاهم برجل قد قام وبين عينيه آثر السجود وقد خرج من قبر من القبور فقال ياقوم ماأردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ماسكنت مرارة الموت من قلبي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث جابر بهذا اللفظ ورواه ابن أبي شيبة في مسنده وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن منيع والضياء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحدثوا عن بني اسرائيل فانه كان فيهم أعاجيب ثم أنشأ يحدثنا قال خرجت طائفة منهم فاتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الاموات يخبرنا عن الموت ففعلوا فبينما هم كذلك اذ طلع رجل أسود اللون بين عينيه اثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم الي لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله ان يعيدني كما كنت ويقرب من ذلك ما رواه أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب ان رجلين من بني اسرائيل عبدا الله حتى سئما من العبادة فقالا لو خرجنا الى القبور فجاورناها لعلنا ان نراجع فجاورا القبور فعبدا الله فنشر لهما ميت فقال لهما لقد مت منذ ثمانين سنة واني لاجد الم الموت بعد (وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الترمذي بلفظ لا أغبط أحدا بهون موت والباقي سواء والهون بالفتح الرفق وروى البخاري عنها قالت لا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم (وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فأعني على الموت وهونه علي) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث طعمة بن غيلان الجعفي وهو معضل سقط منه الصحابي والتابعي اهـ قلت رواه عن محمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن علي الجعفي حدثنا طعمة بن غيلان الجعفي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة طعمة من طبقة اتباع التابعين روى عن الشعبي وغيره وعنه السفيانان وذكره ابن حبان في الثقات اهـ قلت هو كوفي روى له النسائي في مسند علي (وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلا ورجاله ثقات اهـ قلت وفي بعض الاخبار انه قدر مائة ضربة وفي بعضها قدر ألف ضربة كما سيأتي وذكر المصنف في الدرة الفاخرة حديث لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف قال السيوطي في تخريجه لم أجده بهذا اللفظ لكن بنحوه ثم ذكر حديث الضحاك بن حمزة وسأذكره بعد (وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة) كانت (في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلا اهـ قلت شهر أشعري شامي صدوق كثير الارسال والاوهام روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة (ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات اهـ قلت ورواه كذلك البزار والطبراني من حديث سلمان ولفظه انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار وهو

في الموت فقال ما تجد قال أجدني بخير وقد حضرني اثنان أحدهما اسود والآخر أبيض فقال صلى الله عليه وسلم أيهما أقرب منك قال الاسود قال ان الخير قليل وان الشر كثير قال فمتعني منك يارسول الله فقال اللهم اغفر الكثير وانم القليل ثم قال ما ترى قال خيرا بابي أنت وأمي أرى الخير ينمي وأرى الشر يضمحل وقد استأخرعني الاسود قال أي عملك أملك بك قال كنت أسقي الماء ثم قال صلى الله عليه وسلم انى أعلم ما يلقى مامنه عرق الا وهو يألم الموت على حدته وقد روى نحوه عن عطاء بن يسار رفعه في أثناء حديث ومامن مؤمن يموت الا وكل عرق منه يألم على حدة رواه الحرث بن أبي اسامة بسند جيد وأما مرسل عبيد بن عمير فلفظه عاد النبي صلى الله عليه وسلم مريضا فقال مامنه عرق الا وهو يألم منه غير أنه قد اتاه آت فبشره ان ليس بعده عذاب رواه كذلك البيهقي في الشعب وروى أبونعيم في الحلية في أثناء حديث لواثلة بن الاسقع والذى نفسي بيده لاتخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي حسين البرجمي مرفوعا نحوه (وكان علي رضي الله عنه يحض) الناس (على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وفي نهج البلاغة للشريف الموسوي قال ومن كلامه رضي الله عنه في وقت الحرب وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء ورأى من أحد من اخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ان أكرم الموت القتل والذى نفس ابن أبي طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش (وقال الاوزاعي) رحمه الله تعالى (بلغنا ان الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى أبونعيم في الحلية عن كعب قال لايذهب عن الميت ألم الموت مادام في قبره وانه لاشد ما يمر على المؤمن وأهون ما يصيب الكافر (وقال شداد بن أوس) رضي الله عنه (الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وفيه فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ورواه أيضا عن وهب بن منبه بلفظ الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وغلي في القدور ولو ان ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الارض لاوسعهم المأثم هو وأول شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن (وعن) أبي عبد الله (زيد بن أسلم) العدوي مولاهم المدني ثقة عالم كان يرسل مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (عن أبيه) أسلم العدوي مولى عمر ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة روى له الجماعة (قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجزبه هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن محمد بن الحسين حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولفظه اذا بقي على المؤمن من ذنوبه شئ لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة وان الكافر اذا كان قد عمل معروفا في الدنيا يهون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير الى النار فالمراد بابيه هو زيد بن أسلم والضمير راجع الى عبد الرحمن وفي سياق المصنف خطأ ولو قال عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه لاصاب (وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي تخرج من ثقب ابرة) المراد بالبعض هو عمرو بن العاص فروى ابن سعد عن عوانة بن الحكم قال كان عمرو بن العاص يقول عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فوصف لنا الموت ٧ قال يابني الموت أجل من أن يوصف ولكن سأصف لك منه شيأ أجدني كان على عنقي جبال رضوى وأجدني كان في جوفي شوك السلا وأجدني كان نفسي تخرج من ثقب ابرة وروى ابن أبي الدنيا في المحتضرين عن ابي زيد النميري حدثنا محمد بن يحيى الكناني عن عبد العزيز بن عمران

وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فاخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي تخرج من ثقب ابرة

٧ هكذا بالاصل ولعل فيه سقطا هو فلما نزل به قال له ابنه صف لنا الموت

الزهري عن معاوية بن محمد بن عبد الله بن بجير عن أبيه قال لما احتضر عمرو بن العاص قال له ابنه يا أبتاه انك كنت تقول ليتني ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال يا بني والله لكان جنبي في تخت وكأني أتنفس من سم ابرة وكأن غصن شوك يجر به من قدمي الى هامتي وقال صاحب كتاب المتمنعين حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو عاصم أخبرنا حيوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة أخبره ان عمرو بن العاص لما حضره الموت قال له عبد الله ابنه يا أبا عبد الله أجزعا من الموت قال لا ولكن لما بعد الموت قال فقد كنت أسمعك تقول اني لأعجب ممن يدركه الموت ومعه عقله كيف لا يخبر به وقد جاءك الموت وعقلك معك قال نعم يا بني كان السماء قد أطبقت على الارض وأنا بينهما وكان سفود المحمى ينزع من سعري وكان روحي تجذب من خرق ابرة ومامن عضو من اعضائي الا وهو يألم على ذي حدته ثم قال اي بني اني كنت على حالات ثلاث كنت جاهليا لا أعرف الدين فلو مت على ذلك كانت النار ثم قذف الله الاسلام في قلبي وأحببت رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا حتى لو ذهبت أصفه لم استطع ذلك لاجلالي اياه وكان لي محبا مقدما فلو مت على ذلك كانت الجنة ان شاء الله تعالى ثم أصابتنا بعده أمور ماندري ما حالنا فيها ثم قال اللهم اني لست ببريء فاعتذر ولست بقوي فانتصر يا بني اذا حملتموني فاسرعوا بي فانما هو خير تردوني اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ولا تتبعوني نائحة ولا بجمرة وسنوا على التراب سنا فاذا دفنتموني فاجلسوا عند قبري مقدار ما ينحر جزور ويقسم لحمه لكي اعلم ما أراجع به رسل ربي عز وجل (وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر) قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح بلفظ وأخذة أسف للكافر ولابي داود من حديث عبيد بن خالد السلمي موت الفجأة أخذة أسف اهـ قلت حديث عبيد بن خالد رواه أيضا أحمد وابن ماجه وأما حديث عائشة فرواه أيضا البيهقي في الشعب عن عبيد بن عمير قال سألت عائشة رضي الله عنها عن موت الفجأة أيكره قالت لاي شئ يكره سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال راحة المؤمن وأخذ أسف للفاجر وقال السخاوي في المقاصد وفي الباب عن أنس وابن مسعود بينهما الزيلعي في سورة طه من تخريجه (وروي عن) أبي عبد الله (مكحول) الشامي ثقة فقيه كثير الارسال مشهور مات سنة بضع عشرة ومائة روى له البخاري في خبر القراءة ومسلم والاربعة (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الامات) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية أبي ميسرة رفعه وفيه لو أن ألم شعرة وزاد وان في يوم القيامة لساعة تضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد اهـ قلت عمرو بن شرحبيل كوفي ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين روى له الجماعة سوى ابن ماجه (ويروى لو ان قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها الذابت) قال العراقي لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال ويروى اهـ قلت بل روى أبو بكر المروزي في الجنائز عن أبي ميسرة رفعه لو ان قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء والارض لماتوا جميعا وان في القيامة لساعة تضعف على شدة الموت سبعين ضعفا (وروي ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك) رواه أحمد في الزهد والمروزي في الجنائز من طريق ابن أبي مليكة بلفظ ان ابراهيم عليه السلام لما لقي الله قيل له كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كانها تنزع بالسلا قيل له قد يسرنا عليك الموت (وروي عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور) الحي (حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير) رواه أحمد في الزهد (وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب) رواه أيضا أحمد في الزهد وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن الحسن قال قيل لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كسفود دخل جوفي له شعب كثيرة

وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الامات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروي أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك وروي عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك اذا أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث (الاولى) شدة النزع كما ذكرناه *(الداهية الثانية)* مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه

تعلق كل شعبة منه بعرق من عروقي ثم انتزع من جوفي نزعا شديدا فقيل لقد هون عليك وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أبي اسحق قال قيل لموسى عليه السلام كيف وجدت طعم الموت قال كسفود ادخل في جزة صوف فامتلخ قال يا موسى هونا عليك (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة اه قلت لفظ البخاري من حديثها أنه كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ورواه كذلك أحمد ورواه الترمذي عن قتيبة حدثنا الليث عن ابن الهاد عن موسى بن سرجس عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت أو منكرات الموت (وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم) قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس بلفظ واكرب ابتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرباه اه (وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار) رحمه الله تعالى (يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وابقى ما أبقى) هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن حدثنا أبو الحسن بن أبان حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا خالد بن خراش حدثنا حماد بن زيد عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ان عمر قال لكعب أخبرني عن الموت قال يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم وليس منه عرق ولا مفصل الا فيه شوك ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها فارسل عمر دموعه وأبو بكر بن سفيان هذا هو ابن أبي الدنيا وهكذا رواه في كتاب الموت عن خالد بن خراش وقد ساقه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من طريق ابن أبي الدنيا ثم أعقبه بقوله ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن خراش فاوهم انه من طريق أخرى وليس كذلك بل هو من طريق ابن أبي الدنيا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة) قال العراقي رويناه في الاربعين لابي هدبة ابراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك اه قلت ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس وأبو الفضل الطوسي في عيون الاخبار والقشيري في الرسالة وابراهيم بن هدبة قال الذهبي كذاب واه وقال الدارقطني متروك (فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبابه) وهم المتقربون الى الله تعالى (فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي) والمخالفات (ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع) من أعماق البدن ومن كل عضو عضو (كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن ابن مسعود وابن عباس قالا لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له بذلك فأذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله ثم قال يا ملك الموت أرني كيف تقبض انفاس الكفار

قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض فاعرض ثم نظر فاذا برجل اسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده الا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فارني كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال اعرض فاعرض ثم التفت فاذا هو رجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه وروى أيضا عن كعب أن ابراهيم عليه السلام رأى في بيته رجلا فقال من أنت قال أنا ملك الموت فقال ابراهيم عليه السلام ان كنت صادقا فارني منك آية أعرف انك ملك الموت قال له ملك الموت اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فاراه الصورة التي يقبض فيها المؤمنين قال فرأى من النور والبهاء شيأ لا يعلمه الا الله ثم قال اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار فرعب ابراهيم عليه السلام رعبا حتى أرعدت فرائصه وألصق بطنه بالارض وكادت نفسه تخرج وروى أيضا عن عبيد بن عمير قال بينما ابراهيم عليه السلام يوما في داره اذ دخل عليه رجل حسن الشارة فقال يا عبد الله من أدخلك داري قال أدخلنيها ربها قال ربها أحق بها فمن أنت قال ملك الموت قال لقد نعت الى منك أشياء ما أراها فيك قال أدبر فأدبر فاذا عيون مقبلة وعيون مدبرة واذا كل شعرة منه كأنها انسان قائم فتعوذ ابراهيم عليه السلام من ذلك وقال عد الى الصورة الاولى قال يا ابراهيم ان الله اذا بعثني الى من يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيت أولا (وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج أغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا) أي شدة وحرجا (فجاء داود) عليه السلام (فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه) قال العراقي رواه أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه اهـ قلت لفظ أحمد كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع فخرج ذات يوم ورجع فاذا في الدار رجل قائم فقال له من أنت قال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال داود عليه السلام أنت اذا والله ملك الموت مرحبا بامر الله فزمل داود مكانه فقبضت نفسه حتى فرغ من شأنه فطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فاظلت عليه حتى أظلت عليه الارض فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا وغلبت عليه يومئذ المضرحية (وروى ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا الى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة) روى أبو حذيفة اسحق ابن بشر في المبتدأ نحو ذلك فقال حدثنا محمد بن عبد الله البصري وعامر بن عبد الله شيخ من أهل نهرتيرى يرفعانه الى كعب قالا قال كعب الاحبار ان عيسى عليه السلام مر ذات يوم بوادي القيامة وهي عشية يوم الجمعة عند العصر فاذا هو بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ أربعة وتسعين سنة فوقف عليها متعجبا منها وقال يا رب ائذن لهذه الجمجمة ان تكلمني بلسان حتى تخبرني ماذا لقيت من العذاب وكم أتى عليها منذ ماتت وماذا عاينت وبأي هيئة ماتت وماذا كانت تعبد قال فأتاه نداء من السماء فقال يا روح الله وكلمته سلها فانها ستخبرك فصلى عيسى ركعتين ثم دنا منها فوضع يده عليها فقال عيسى بسم الله وبالله فقالت الجمجمة خير الاسماء دعوت وبالذكر استعنت فقال عيسى أيتها الجمجمة النخرة قالت لبيك وسعديك سلني عما بدالك قال كم أتى عليك مذ مت قالت لا نفس بعد الحياة ولا روح تحصى السنين فأتاه نداء انها قد ماتت منذ أربعة وتسعين سنة فسلها قال فيما ذا مت قالت كنت جالسة ذات يوم اذ أتاني مثل السهم من السماء فدخل جوفي مثل

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج أغلق الابواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا الى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة

فهذه داهية يلقاها العصاة و يكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا

غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عنى فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال ياملك الموت لولم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لاجزاك الله خيرا عنا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا

فلاجزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا (الداهية الثالثة) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك

الحريق وكان مثلى مثل رجل دخل الحمام فأصابه حره فهو يلتمس الروح مخافة على نفسه ان تهلك قال فأتانى ملك الموت ومعه أعوان وجوههم مثل وجوه الكلاب بادية أنيابهم زرق أعينهم كأنهم النار بأيديهم المقامع يضربون وجهى ودبرى فانتزعوا روحى فكشطوها عنى ثم وضعه ملك الموت على جمرة من جمار جهنم ثم لفه فى قطع مسح من مسوح جهنم فرفعوا روحى الى السماء فنعتهم السماء أن يدخل وأغلقت الابواب دونه فاتانى نداء ان ردوا هذه النفس الخاطئة الى مثواها ومأواها ثم ساق الخبر بطوله فى نحو ورقتين وقد رواه أبو نعيم فى الحلية من هذا الطريق وأورده بطوله وروى أبو نعيم أيضا عن كعب قال مر عيسى بجمجمة بيضاء فقال يارب هذه الجمجمة أحيها فأوحى الله اليه ان أشج بوجهك قال ففعل ثم حول وجهه فاذا شيخ متكئ على كارة من بقل ثم ساقه (فهذه داهية يلقاها العصاة و يكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة) أبو عبد الله القرشى المدنى مولى ابن عباس روى له الجماعة وأخرج له مسلم مقرونا بطاوس وسعيد بن جبير (عن ابن عباس) رضى الله عنه (ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال ياملك الموت لولم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وهو بعض سياق من الخبر السابق ذكره وروى نحوه من رواية كعب ومن رواية عبيد بن عمير وكل ذلك ذكر قريبا (ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب) بن الورد المكى العابد الثقة أبو عثمان قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لاجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلاجزاك الله عنا خيرا) قال (فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت فقال حدثنا عبد الكريم أبو يحيى حدثنا عبيد الله بن محمد ابن يزيد بن خنيس حدثنا أبى عن وهيب بن الورد قال بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله فى الدنيا فان كان صحبهما بطاعة قالا له جزاك الله عنا من جليس خيرا فرب مجلس صدق قد أجلستناه وعمل صالح قد أحضرتناه وكلام حسن قد أسمعتناه فجزاك الله عنا من جليس خيرا وان كان صحبهما بغير ذلك مما ليس لله رضا قلبا عليه الثناء فقالا لاجزاك الله عنا من جليس خيرا فرب مجلس سوء قد أجلستناه وعمل غير صالح قد أحضرتناه وكلام قبيح قد أسمعتناه فلاجزاك الله عنا من جليس خيرا قال فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا ورواه أبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد هو ابن أبى الدنيا فساقه (الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم) أى انقادت (ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك

الموت باحدى البشريين اما أبشر ياعبدالله بالنار او أبشر ياولى الله بالجنة وعن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن على مرفوعا لايخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم الى اين مصيره الى الجنة أم الى النار وفى رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى ام من أهل النار وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث اه قلت وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف من حديث ابن عباس مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه) قال العراقى متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت اه قلت المتفق عليه انما هو الى قوله كره الله لقاءه هكذا روياه من رواية أنس عن عبادة بن الصامت ورواه كذلك الطيالسى وأحمد والترمذى والنسائى وابن حبان وقد روى هذا القدر أيضا من حديث عائشة رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى ومن حديث أبى موسى رواه الشيخان ومن حديث أبى هريرة رواه مسلم والنسائى ومن حديث معاوية رواه النسائى والطبرانى وأما تلك الزيادة فرويت عن عدة من الصحابة فمن ذلك مارواه أحمد والنسائى من حديث أنس بلفظ قالوا يارسول كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه وان الفاجر اذا حضر جاءه ماهو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وروى عبد بن حميد من رواية أنس عن عبادة بن الصامت رفعه وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ قالت عائشة انا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأما الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره اليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ قالوا انما نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه اذا حضر فامان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله عز وجل للقائه أحب وأمان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه أكره (وروى ان حذيفة بن اليمان) رضى الله عنهما (قال لابن مسعود) كذا فى النسخ كلها وهو خطأ والصواب لابى مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصارى البدرى صحابى جليل وكان ملازما لحذيفة فى مرضه الذى مات فيه (وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود) كذا فى النسخ والصواب أبو مسعود (ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء) وهى النجمة التى تطلع قبل الفجر بقليل (فقال حذيفة) رضى الله عنه (أعوذ بك من صباح الى النار) وقال ابن أبى الدنيا حدثنى الربيع بن تغلب حدثنا فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال لما مرض حذيفة مرضه الذى مات فيه قالوا له ماتشتهى فساق الحديث وفيه ثم قال أصبحنا قالوا نعم قال اللهم انى أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد ابن اسحق السراج حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم حدثنا حصين عن أبى وائل قال لما ثقل حذيفة أتاه ناس من بنى عبس فاخبرنى خالد بن الربيع العبسى قال أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا أى ساعة هذه فقلنا جوف الليل أو آخر الليل فقال أعوذ بالله من صباح الى النار ثم قال أجئتم معكم با كفان قلنا نعم قال فلا تغالوا با كفانى فانه ان يكن لصاحبكم عند الله خير فانه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها والا يسلب سلبا وروى من طريق جرير عن اسمعيل عن قيس عن أبى مسعود قال لما أتى حذيفة بكفنه وكان مستندا الى أبى مسعود فاتى بكفن جديد فقال ماتصنعون بهذا الحديث وروى أيضا من طريق أبى اسحق

الموت باحد البشريين
اما أبشر ياعـدو
الله بالنار أو أبشر
باولى الله بالجنـة
ومن هذا كان خوف
أرباب الالباب وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم
لن يخرج أحدكم من
الدنيا حتى يعلم أين
مصيره وحتى يرى مقعده
من الجنة أو النار وقال
صلى الله عليه وسلم من
أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه فقالوا كلنا
نكره الموت قال ليس
ذاك بذاك ان المؤمن
اذا فرج له عما هو
قادم عليه أحب لقاء
الله وأحب الله لقاءه
وروى أن حذيفة بن
اليمان قال لابن مسعود
وهو لما به من آخر الليل
قم فانظر أى ساعة هى
فقام ابن مسعود ثم
جاء فقال قد طلعت
الحمراء فقال حذيفة
أعوذ بالله من صباح الى
النار

ان

ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبي هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر احدى البشريين من ربي بجنة أم بنار وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال ياملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما

ان صلة بن زفر حدثه ان حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعناله كفنا فساق الحديث وانما ذكرت هاتين الروايتين ليظهر ان الذي في سياق المصنف هو أبو مسعود لا ابن مسعود (ودخل مروان) بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي أبو عبد الملك ويقال أبو القاسم ويقال أبو الحكم المدني ولد بعد الهجرة بسنتين وقيل بأربع لم يصح له سماع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الحديبية بطوله وهو عند البخاري وأبي داود والنسائي وكان كاتبا لعثمان وولي امرة المدينة لمعاوية والموسم وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية وكان الضحاك بن قيس قد غلب على دمشق وبايع بها لابن الزبير ثم دعا الى نفسه فقصده مروان فواقعه بمرج راهط فقتل الضحاك وغلب على دمشق وذلك في أواخر سنة أربع وستين ومات بها في رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين وكانت خلافته تسعة أشهر وقيل عشرة الا أياما ونقل عن عروة بن الزبير انه قال كان مروان لا يتهم في الحديث روى له الجماعة الا مسلما (على أبي هريرة) رضي الله عنه وذلك حين مرض المرض الذي مات فيه (فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة) رضي الله عنه (اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة) رضي الله عنه (وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظار احدى البشريين من ربي بجنة أم بنار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن يحيى بن معين حدثنا معن حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه فقال شفاك الله فقال أبو هريرة اللهم اني أحب لقاءك فاحب لقائي فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات رحمه الله تعالى وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن بندار حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحارث حدثنا عباس النرسي حدثنا عبد الوهاب بن الورد عن مسلم بن بشير بن عجل ان أبا هريرة بكى في مرضه فقيل له ما يبكيك فقال أما اني لا أبكى على دنياكم هذه ولكن أبكى على بعد سفري وقلة زادي واني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار لا أدري أيهما يؤخذبي (وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل اذا رضي عن عبد قال ياملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري باسناد ضعيف بزيادة كثيرة فيه ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع وللنسائي من حديث أبي هريرة باسناد صحيح اذا حضر الميت أرسل الله اليه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب راض غير غضبان الحديث اهـ قلت أما حديث تميم فقال ابن أبي الدنيا في كتاب الموت حدثني محمد بن الحسين حدثنا عمرو بن جرير الاحمسي حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال كان تميم الداري يحدثنا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ذات يوم يقول الله تبارك وتعالى لملك الموت انطلق ياملك الموت الى وليي فائتني به فاني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب فائتني به لاريحه من هموم الدنيا وغمومها فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك الاذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الابيض والمسك الاذفر تحت ذقنه ويفتح له باب الى الجنة قال فان نفسه عند ذلك لتعلل بطرف الجنة مرة بأزواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبي أهله اذا بكى وان أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشا قال وتنزو الروح نزوا ويقول ملك الموت أخرجي أيتها الروح

الطيبة الى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال وملك الموت أشد تلطفا به من الوالدة بولدها
يعرف ان ذلك الروح حبيب الى ربه كريم على الله فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه فيسل روحه كما
تسل الشعرة من العجين قال وان روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وذلك قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم قال روح من جهد الموت وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم امامه أو قال مقابله فاذا قبض ملك
الموت روحه يقول الروح للجسد جزاك الله بي خيرا لقد كنت بي سريعا الى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فهنيئا
لك اليوم فقد نجوت وأنجيت و يقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الارض التي كان يطيع
الله عليها وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله و ينزل منه رزقه أربعين ليلة فاذا قبضت الملائكة روحه اقامت
الخمسمائة ملك عند جسده لا تقلبه بنو آدم بشق الا قلبته الملائكة قبلهم وعلته باكفان قبل أكفانهم وحنوط
قبل حنوطهم و يقوم من باب بيته الى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار و يصيح ابليس عند ذلك
صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده و يقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون ان
هذا كان معصوما فاذا صعد ملك الموت بروحه الى السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفا من
الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من ربه فاذا انتهى ملك الموت الى العرش خرت الروح ساجدة لربها فيقول الله لملك
الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب فاذا وضع في قبره
جاءت الصلاة فكانت عن يمينه وجاء الصيام فكان عن يساره وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه وجاء
مشيه الى الصلوات فكان عند رجليه وجاء الصبر فكان ناحية القبر و يبعث الله عنقا من العذاب فيأتيه عن
يمينه فتقول الصلاة وراءك والله مازال دائبا عمره كله وانما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره
فيقول الصيام مثل ذلك قال فيأتيه من قبل رأسه فيقال له مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد
له مساغا الا وجد ولي الله قد أحرزته الطاعة قال فيخرج عنه العذاب عندما يرى و يقول الصبر لسائر الاعمال
أما انه لم يمنعني ان أباشره انا بنفسي الا اني نظرت ما عندكم فلو عجزتم كنت انا صاحبه فاما اذا أجزأتم عنه فانا
ذخر له عند الميزان قال و يبعث الله اليه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف
وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا
قد نزعت منهما الرأفة والرحمة الا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها
الثقلان لم يقلوها فيقولان له اجلس فيستوي جالسا في قبره فتسقط أكفانه في حقويه فيقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وحده لا شريك له والاسلام ديني ومحمد نبي وهو خاتم النبيين فيقولان له
صدقت فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه
ثم يقولان له انظر فوقك فينظر فاذا هو مفتوح الى الجنة فيقولان له هذا منزلك ياولي الله لما أطعت الله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفس محمد بيده انه لتصل الى قلبه فرحة لا ترتد أبدا فيقال له انظر تحتك فينظر تحته
فاذا هو مفتوح الى النار فيقولان ياولي الله نجوت من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انه لتصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا و يفتح له سبعة وسبعون بابا الى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه
الله من قبره قال و يقول الله تعالى لملك الموت انطلق الى عدوي فأتني به فاني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي
وأبى الا معصيتي فأتني به لانتقم منه اليوم فينطلق اليه ملك الموت في أكره صورة يراها أحد من الناس له ثنتا
عشرة عينا ومعه سفود من نار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعهم
سياط من نار تأجج فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل
شعرة وعرق من عروقه ثم يلويه ليا شديدا فينزع روحه من اظفار قدميه فيلقيها في عقبيه فيسكر عدو الله عند
ذلك سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط ثم يجبذه جبذة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها في

ركبتيه فيسكر عدوالله سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره ثم كذلك الى حقويه ثم كذلك الى صدره ثم كذلك الى حلقه ثم يبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه ثم يقول ملك الموت أخرجي ايتها النفس اللعينة الملعونة الى سموم وحموم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم فاذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عني شرا لقد كنت سريعا بي الى معصية الله بطيئا بي عن طاعة الله فقد هلكت وأهلكت ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الارض التي كان يعصي الله عليها وتنطلق جنود ابليس اليه فيبشرونه بانهم قد أوردوا عبدا من بني آدم النار فاذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فتدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ويبعث الله اليه حيات دهما فتأخذ بارنبته وابهام قدميه فتقوضه حتى تلتقي في وسطه قال ويبعث الله اليه الملكين فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربا يتطاير الشرار في قبره ثم يعود فيقولان له انظر فوقك فينظر فاذا باب مفتوح من الجنة فيقولان عدو الله لو أطعت الله كان هذا منزلك قال فوالذي نفس محمد بيده انه لتصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا ويفتح له باب الى النار فيقال عدو الله هذا منزلك لما عصيت الله ويفتح له سبعة وسبعون بابا الى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله يوم القيامة الى النار قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة بعد ان أورده من طريق ابن أبي الدنيا هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير عن أحمد ابن ابراهيم الدورقي عن محمد بن بكر البرساني عن أبي عاصم البصري عن بكر بن خنيس عن ضرار عن يزيد عن أنس عن تميم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لملك الموت انطلق الى وليي فذكره بطوله قال الحافظ ابن حجر وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء المشهور لكن هذا عجيب السياق غريب الاسناد لا نعرف أحدا روى عن أنس عن تميم الا من هذا الوجه ويزيد الرقاشي سيئ الحفظ جدا كثير المناكير كان لا يضبط الاسناد ودونه من هو مثله أو أشد ضعفا اه قال السيوطي ومن شواهده حديث أبي هريرة وله طرق قلت وسيأتي حديث البراء وحديث أبي هريرة فيما بعد ان شاء الله تعالى وقول الحافظ ودونه من هو مثله أو أشد ضعفا يعني ان رواته من بعد يزيد ضعفاء ضرار بن عمرو الملطي الراوي له عن يزيد قال الذهبي متروك والراوي عنه بكر بن قيس الكوفي قال الدارقطني متروك وقال الحافظ في تهذيب التهذيب كوفي عابد سكن بغداد صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان وهو من رجال الترمذي وابن ماجه وأبو عاصم البصري في سياق أبي يعلى هو العباداني اسمه عبد الله بن عبيد الله او بالعكس ويقال ابن عبد بغير اضافة من رجال ابن ماجه لين الحديث وقال الذهبي روى عن الفضل الرقاشي له حديث منكر وعمرو بن جرير الاحمسي في سياق ابن أبي الدنيا ويقال البجلي أبو سعيد قال الذهبي كذلك ومحمد بن الحسين شيخ ابن أبي الدنيا هو أبو الفتح الازدي الحافظ صاحب مناكير ضعفه البرقاني

(فصل) في ضبط ألفاظ تقدمت في الحديث قوله ضبائر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء قال ابن الاثير في النهاية هي الجماعات في تفرقة واحدتها ضبارة بالكسر مثل عمارة وعمائر وكل مجتمع ضبارة وقوله بطرف الجنة بضم المهملة وفتح الراء جمع طرفة وهي المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد وقوله ليبتهشن في النهاية يقال للانسان اذا نظر الى شئ فاعجب واشتهاه وأسرع نحوه قد بهش اليه وفي الصحاح بهش اليه يبهش بهشا اذا ارتاح له وخف اليه وقوله تنزو الروح في الصحاح ينزو الى كذا أي ينازع اليه ويسرع ويثب اليه وفي النهاية نحوه وقيل تنزو أي تنسل وقوله دائبا من الدؤب أي جاد اتعبا وقوله عنقا من العذاب أي طائفة منه وقوله كالصياصي بمهملتين وهي قرون البقر جمع صيصية بالتخفيف والسفود كتنور الحديدة التي يشوى بها اللحم والنحاس لا لهب فيه والتأجج بجيمين التوقد وقوله دهما يحتمل ان يكون بضم أوله أي سودا فيكون جمع دهماء ويحتمل ان يكون بفتحه أي عددا كثيرا فيكون مفردا والجمع دهوم وقوله فتقوضه بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة في الصحاح قوضت البناء نقضته من غير هدم وتقوضت الحلق والصفوف انتقضت وتفرقت وفي النهاية تقويض الخيام قلعها وازالتها وقوضت الحمرة جاءت وذهبت ولم تقر وأما حديث أبي هريرة الذي

عزاه العراقى للنسائى فسيأتى للمصنف فى بيان عـذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكذا حـديث البراء الذى أشار اليـه الحافظ ابن حجر وسنتكلم عليهما هنالك ان شاء الله تعالى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (لا راحـة للمؤمن الا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره) رواه أبو نعيم فى الحلية وقد رواه وكيع وأحمد كلاهما فى الزهد عن ابن مسعود من قوله بلفظ لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه قال السخاوى ورفعه بعضهم واستشهد له بحديث عائشة من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وكذا من شواهده ما عند أحـمد من حديث عائشة انما المستريح من غفر له (وقيـل لجابر بن زيد) أبى الشعثاء الازدى البصرى التابعى الثقة مشهور بكنيته مات سنة ثلاث وتسعين روى له الجماعة (عند الموت ماتشتهى قال نظرة الى الحسن) وهو البصرى (فلما دخل عليه الحسـن قيل له هـذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم الى النار أو الى الجنة) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن يونس حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حـدثنا أبو عمير الحارث بن عمـير قال قالوا لجابر بن زيد عند الموت أى شئ تريد ان تشتهـى قال نظرة الى الحسن أخبرنا محمد بن أحمد فى كتابه حدثنا محمد بن أيوب حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا حبيب بن الشهيد عن ثابت قال لما ثقل جابر بن زيد قيـل له ماتشتهـى قال نظرة من الحسن قال فأتيت الحسن فأخبرته فركب اليه فلما دخـل عليه قال لاهله اقعدونى فجلس فما زال يقول أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب وقال محمود بن محمد بن الفضـل فى كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود الحنفى حدثنا مسـلم بن ابراهيم حدثنى صلت بن دينار حدثنى عروة صاحب الخمر انه شهد جابر بن زيد عند موته يتبرأ من قريب وزحاف ومن الاباضـية قال وقيل ماتشتهى قال نظرة من الحسن فاعلم الحسن فجاءه فقال يا أبا سعيد قـد نزل بى الموت فما تأمرنى فقال ليست بساعة صلاة ولا صيام ولكن عليك بحسن الظن بالله (وقال) أبو عبـد الله (محمد بن واسع) البصرى العابد رحمه الله تعالى (عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار أو يعفو الله) رواه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن محمد حـدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حـدثنا سعيد بن عامر قال سمعت حزما يحدث قال قال محمد بن واسع يا اخوتاه تدرون أين يذهب بى والله الذى لا اله الا هو الى النار أو يعفو الله عنى وقال ابن الجوزى فى كتاب الثبات أخبرنا عبد الملك بن أبى القسم أنبأنا محمد بن على العمرى أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامى أخبرنا أبو سعيد محمد بن أحمد المروانى حدثنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الله بن يحيى حدثنا العتبى قال حدثنى محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضى فقال يا اخوتاه هبونى واياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم (وتمنى بعضهم ان يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب لخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهى من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشـدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهـذا الموضع ولكننا لا نطول بذكره واعادته) هذه فصول نذكر فيها مايتعلق بمقدمات الموت وبمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته وما جاء فى ملك الموت وأعوانه ومن يحضر الميت من الملائكة وغيرهم

(فصل) فى نذير الموت قال القرطبى ورد فى الخـبر ان بعض الانبياء قال لملك الموت أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون على حذر منك قال نعم والله لى رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغـير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته اذا قبضته ألم أقدم اليك رسولا بعـد رسول ونذيرا بعد نذير فانا الرسول الذى ليس بعدى رسول وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير وروى أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد قال ما من مرض يمرضه العبد الا رسول ملك الموت عنده حتى اذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبابه وقال أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا وروى البخارى من حديث أبى هريرة عذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة يقال أعذر الامر أى بالغ فيه فلم يترك لصاحبه عذرا

(فصل) فيمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته روى عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد الزهـد عن يوسف بن

يعقوب

وقال الحسـن لا راحة للمؤمن الا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر ابن زيد عنـد الموت ما تشتهـى قال نظـرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسـن قيـل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم الى النار أو الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب *لخوف سوء الخاتمـة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهى العظيمة عنـد الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

يعقوب الحنفي قال بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال له ما أدري ما أثيبك اليوم الا انه هون الله عليك سكرات الموت وروى الطبراني وأبو نعيم من حديث ابن مسعود ان نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار وان المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وان الكافر ليعمل الحسنة فيهون عليه عند الموت فيجزى بها وروى الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول الله تعالى اني لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد ان أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقا في معاشه واقتارا في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي عليه شئ شددت عليه الموت حتى يفضى الي كيوم ولدته أمه وعزتي لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد ان أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده وسعة في رزقه ورغدا في عيشه وأمنا في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي له شئ هونت عليه الموت حتى يفضى الي وليس له حسنة يتقي بها النار وروى ابن ماجه من حديث عائشة ان المؤمن ليؤجر في كل شئ حتى في الكظ عند الموت وروى ابن أبي الدنيا عن عمار بن نصر عن قتيبة قال سمعت شيخا يقول سمعت الضحاك بن حمزة يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت فقال أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف قال السيوطي في الامالي هو حديث ضعيف معضل والضحاك بن حمزة بضم الحاء المهملة وسكون الميم واسطي نزل الشام من اتباع التابعين أرسل عن أنس ضعفه يحيى بن معين والنسائي وغيرهما ووثقه ابن حبان وبقية مدلس وقد ابهم شيخه ويقرب منه ما رواه الحارث بن أبي أسامة من طريق ابن أبي داود عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار رفعه معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وما من مؤمن يموت الا وكل عرق منه يألم على حدته وأقرب ما يكون عدو الله منه في تلك الساعة ورواه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن حاتم عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن مروان بن سالم عن أبي حسين البرجمي رفعه باطول منه وفيه وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الاحباء وروى أبو نعيم من حديث واثلة بن الاسقع والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وروى الخطيب من حديث أنس لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وروى أحمد في الزهد من حديث أنس ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت قال في الصحاح اكتنفوه أحاطوا به وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن الفضيل بن عياض انه قيل له ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة قال ان الملائكة توثقه وروى أحمد في الزهد عن ابن عباس قال آخر شدة يلقاها المؤمن الموت وروى أبو نعيم والمروزي والبيهقي في الشعب عن عمر بن عبد العزيز قال ما أحب ان يهون علي سكرات الموت لانه آخر ما يؤجر به المسلم وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال لم يلق ابن آدم شيأ قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت وروى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال ان أشد ما يلقى ابن آدم من أمر الآخرة الموت وروى عن زيد بن أسلم ان رجلا قال لكعب ما الداء الذي لا دواء له قال الموت قال زيد بن أسلم ان الموت دواؤه رضوان الله وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال أشد ما يكون من الموت على العبد اذا بلغت الروح التراقي فعند ذلك يضطرب ويعلو نفسه قال السيوطي قد اختص الشهيد بان لا يجد من ألم الموت ما يجد غيره روى الطبراني من حديث أبي قتادة الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم القرصة وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان آخر من يموت ملك الموت يقال له يا ملك الموت مت فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والارض لماتوا فزعا ثم يموت وروى عن زياد النميري قال قرأت في بعض الكتب ان الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق

(فصل) فيما يتعلق بدواهي الموت الثلاثة روى ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس في قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قال أعوان ملك الموت من الملائكة وروى أبو الشيخ في تفسيره عن ابراهيم النخعي مثله وزاد ثم يقبضها ملك الموت منهم بعد وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب

ابن منبه قال ان الملائكة الذين يقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم فاذا توفوا النفس دفعوها الى ملك الموت وهو كالعاقب يعني العشار الذي يؤدي من تحته وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال لما أراد الله تعالى ان يخلق آدم عليه السلام بعث ملكا من حملة العرش يأتي بتراب من الارض فلما هوى ليأخذ قالت الارض أسألك بالذي أرسلك ان لا تأخذ مني اليوم شيأ يكون للنار منه نصيب غدا فتركها فلما رجع الى ربه قال مامنعك ان تأتي بما أمرتك قال سألتني بك فارسل آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم فارسل ملك الموت فقالت له مثل ذلك فقال ان الذي أرسلني أحق بالطاعة منك فأخذ من وجه الارض كلها من طيبها وخبيثها فجاء به الى ربه فصب عليه من ماء الجنة فصار حمأ مسنونا فخلق منه آدم عليه السلام وروى أبو حذيفة اسحق بن بشير في كتاب المبتدأ عن ابن اسحق عن الزهري نحوه وسمى الملك المرسل اولا اسرافيل والثاني ميكائيل وروى ابن عساكر من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه وسمى المرسل أولا جبريل والثاني ميكائيل وروى ابن عساكر أيضا عن يحيى بن خالد نحوه وسمى الاول جبريل والثاني ميكائيل وقال في آخره فسماه ملك الموت ووكله بالموت وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فاما جبريل فصاحب الجنود والريح وأما ميكائيل فصاحب القطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر وفي لفظ بما يؤمرون وروى أبو الشيخ في العظمة عن الربيع بن أنس انه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذي يقبض الارواح قال هو الذي يلي أمر قبض الارواح وله أعوان على ذلك غير ان ملك الموت هو الرئيس وكل خطوة منه من المشرق الى المغرب قلت أين تكون أرواح المؤمنين قال عند السدرة وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى فالمدبرات أمرا قال ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم فمنهم من يعرج بالروح ومنهم من يؤمن على الدعاء ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلى عليه ويدلى في حفرته وروى أيضا عن عكرمة في قوله تعالى وقيل من راق قال أعوان ملك الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه من أسفل قدمه الى موضع خروج نفسه

(فصل) روى أبو نعيم عن الاعمش قال كان ملك الموت يظهر للناس فيأتي الرجل فيقول اقض حاجتك فاني أريد ان أقبض روحك فشكى فانزل الداء وجعل الموت وروى أحمد والبزار والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة كان ملك الموت يأتي الناس عيانا فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقا عينه فأتى ربه فقال يارب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه قال له اذهب الى عبدي فقل له فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فاتاه فقال له ما بعد هذا قال الموت قال فالآن قال فشمه شمة فقبض روحه ورد الله اليه عينه فكان بعد يأتي الناس خفية وروى أبو حذيفة اسحق بن بشر في المبتدأ عن ابن عمر قال قال ملك الموت يارب ان عبدك ابراهيم جزع من الموت فقال قل له الخليل اذا طال به العهد من خليله اشتاق اليه فبلغه قال نعم يارب قد اشتقت الى لقائك فاعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها وروى أبو الشيخ عن محمد بن المنكدر ان ملك الموت قال لابراهيم عليه السلام ان ربك يأمرني ان أقبض نفسك بايسر ما قبضت نفس مؤمن قال فاني أسألك بحق الذي أرسلك ان تراجعه في فقال ان خليلك سأل ان أراجعك فيه فقال آته وقل له ان ربك يقول ان الخليل يحب لقاء خليله فاتاه فقال له فقال امض لما أمرت به قال يا ابراهيم هل شربت شرابا قط قال لا فاستنكهه فقبض نفسه على ذلك

(فصل) روى ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الله بن عيسى قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله أربعين سنة في البر ثم قال يارب قد اشتقت ان أعبدك في البحر فأتى قوما فاستحملهم فحملوه وجرت بهم سفينتهم ماشاء الله ان تجري ثم قامت فاذا شجرة في ناحية الماء فقال ضعوني على هذه الشجرة فوضعوه وجرت بهم سفينتهم فاراد

ملك ان يعرج الى السماء فتكلم بكلامه الذى كان يعرج به فلم يقدر على ذلك فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه فأتى صاحب الشجرة فسأله ان يشفع الى ربه فصلى ودعا لله الملك وطلب الحبر به ان يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت فأتاه حين حضر أجله فقال انى طلبت الى ربى ان يشفعنى فيك كما شفعك فى وان أكون أنا اقبض نفسك فمن حيث شئت قبضتها فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات وروى ابن عساكر فى تاريخه عن أبى زرعة قال قال لى نجيب بن أبى عبيد البشرى رأيت ملك الموت فى النوم وهو يقول قل لابيك يصلى على حتى أرفق به عند قبض روحه فحدثت أبى بما رأيت فقال يابنى لانا بملك الموت آنس منى بالملك وروى ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال ذكرت حديثا رواه ابن عمر ما حق امرئ مسلم يبيت ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فدعوت بدواة وقرطاس لاكتب وصيتى فغلبنى النوم فنمت ولم أكتبها فبينا أنا نائم اذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الريح فقلت يا هذا من أدخلك دارى قال أدخلنيها ربها قلت من انت قال ملك الموت فرعبت منه فقال لا ترع انى لم أومر بقبض روحك قلت فاكتب لى اذا براءة من النار قال هات دواة وقرطاسا فمددت يدى الى الدواة والقرطاس الذى نمت عنه وهو عند رأسى فناولته فكتب بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله استغفر الله حتى ملأ ظهر الكاغد و بطنه ثم ناولنيه وقال هذا براءتك رحمك الله وانتبهت فزعا ودعوت بالسراج ونظرت فاذا القرطاس الذى نمت وهو عند رأسى مكتوب ظهره و بطنه استغفر الله استغفر الله

(فصل) قال القرطبى لا تنافى بين قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقوله توفته رسلنا تتوفاهم الملائكة وقوله الله يتوفى الانفس لان اضافة التوفى الى ملك الموت لانه مباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه لانهم يأخذون فى جذبها من البدن فهو قابض وهم معالجون والى الله لانه الفاعل على الحقيقة وقال الكلبى يقبض ملك الموت الروح ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

وفيه بيان علامة الخير والامر بتحسين الظن بالله والخوف منه و بيان ما يشاهد من أسرار الملكوت (اعلم) وفقك الله تعالى (ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر) يقال حضره الموت واحتضره اشرف عليه فهو فى النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (هو الهدء والسكون) أى عدم الانزعاج فى ظاهره من الجوارح (و) المحبوب (من لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة) أى بكلمتها وهى لا اله الا الله (و) المحبوب (من قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت) وفى نسخة ذرفت (عيناه و يبست شفتاه فهى من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به) قال العراقى رواه الحكيم والترمذى فى نوادر الاصول من حديث سلمان ولا يصح اهـ قلت وكذلك رواه الخليلى فى مشيخته ولفظهما ارقبوا الميت عند وفاته فاذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهى رحمة من الله قد نزلت به واذا غط غطيط البكر المخنوق وكمد لونه وازبد شدقاه فهو عذاب من الله قد نزل به وقد وردت فى رشح الجبين أحاديث أوردها السيوطى فى أمالى الدرة الفاخرة

(فصل) ومن علامات خاتمة الخير ما رواه الترمذى والحاكم من حديث أنس اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت وروى أحمد والحاكم من حديث عمرو بن الحمق اذا أحب الله عبدا عسله قالوا وما عسله قال يوفق له عملا صالحا بين يدى أجله حتى يرضى عنه جيرانه وروى ابن أبى الدنيا من حديث عائشة اذا أراد الله بعبد خيرا بعث اليه قبل موته بعام ملكا يسدده و يوفقه حتى يموت على خير أحايينه فيقول الناس مات فلان على خير أحايينه فاذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتهوع نفسه من الحرص على ان تخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه واذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته بعام

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)
اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدء والسكون و من لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت عيناه و يبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به

شيطانا يضله ويغويه حتى يموت على شر أحايينه فيقول الناس قد مات فلان على شر أحايينه فاذا حضر ورأى ما أعدله جعل يتبلع نفسه كراهية ان تخرج فهنالك كره لقاء الله وكره الله لقاءه قال ابن هبيرة فى الافصاح فى معنى هذا الحديث اعلم ان خروج الروح عند دعاء ملك الموت له من جنس دعاء الحاوى بالحية من جحرها وخروج الجسمين عند الدعاء على حد سواء فأما المؤمن فيتهوع نفسه أى يستدعى اخراجها اذ التهوع انما هو استدعاء القىء للبروز وأما الكافر فيتبلع روحه والتبلع رد الجسم الذى فى الفم فهو يريد الخروج الى الجوف اهـ وقال بعض العلماء الاسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة التهاون بالصلاة وشرب الخمر وعقوق الوالدين واذى المسلمين (واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله) قال ابن حبان وغيره أراد به من حضره الموت أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا على بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسنى أخبرنا الجلال أبو الفضل الحافظ أخبرتنى أم الفضل ابنة محمد قراءة قالت أخبرنا ابراهيم بن أحمد المقرى أخبرنا أحمد بن أبى طالب أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو الحسن الداودى أخبرنا أبو محمد السرخسى أخبرنا أبو اسحق الشاشى أخبرنا عبد بن حميد حدثنا عبد الله بن عمرو حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن يحيى بن عمارة عن أبى سعيد رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن حبان من طرق عن عمارة بن غزية ورواه مسلم أيضا وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه النسائى من حديث عائشة ورواه العقيلى من حديث حذيفة بن اليمان ورواه النسائى أيضا وابن ماجه من حديث عروة (وفى رواية) من حديث (حذيفة) رضى الله عنه لقنوا موتاكم لا اله الا الله (فانها تهدم ماقبلها من الخطايا) هكذا قاله المصنف وقد تقدم والذى فى كتاب المحتضرين لابن أبى الدنيا أنه من حديث ابن مسعود وقد روى نحوه الديلمى من حديث أبى هريرة ولفظه فانها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان فقالوا كيف هى للاحياء قال اهدم واهدم وقد روى هذا الحديث بزيادات أخر روى ابن ماجه والحكيم والطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر لقنوا موتاكم لا اله الا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قالوا يارسول الله كيف هى للاحياء قال أجود وأجود وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود لقنوا موتاكم لا اله الا الله فان نفس المؤمن تخرج رشحا ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار وروى الديلمى من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة وجعلت السموات والارض فى كفة لرجحت بهن لا اله الا الله وروى ابن حبان من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانه من كان آخر كلامه لا اله الا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وان أصابه قبل ذلك ما أصابه وروى الديلمى من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله ولا تملوهم فانهم فى سكرات الموت وروى الطبرانى فى الاوسط والصغير من طريق وصيف الانطاكى حدثنا سليمان بن سيف حدثنا سعيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رفعه لقنوا موتاكم لا اله الا الله وقولوا الثبات الثبات ولا قوة الا بالله *(تنبيه)* وقع للمصنف فى كتابه الدرة الفاخرة بلفظ لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله قال السيوطى فى أماليه ليس فى روايات هذا الحديث لفظ شهادة الا فى حديث ابن عباس وهو فى المعجم الكبير للطبرانى بسند رجاله ثقات لكنه من رواية ابن أبى طلحة ولم يسمع منه اهـ قلت ولفظه لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يارسول الله فمن قالها فى صحته قال تلك أوجب وأوجب الحديث (وقال عثمان) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة) رواه أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة ومسلم والنسائى وابن حبان وابن خزيمة وقد تقدم ورواه أبو يعلى بلفظ وهو

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفى رواية حذيفة فانها تهدم ماقبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة

يعلم ان الله حق (وقال عبيد الله) وفى بعض النسخ عبد الله (وهو يشهد) وهذا قد رواه البيهقى من حديث معاذ بلفظ من مات وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة وروى الخطيب من حديث جابر من مات وهو يشهد ان لا اله الا الله فقد حل له ان يغفر له (وقال عثمان) رضى الله عنه (اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة حدثنا يحيى بن صالح الوحاظى حدثنا سليم بن عطاء الجزرى حدثنا سلمة بن عبد الله الجهنى عن عمه أبى مشجعة قال عدنا مع عثمان مريضا فقال له عثمان قل لا اله الا الله فقالها فقال والذى نفسى بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطما فقلت أشئ تقول أم شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هذا هى للمريض فكيف هى للصحيح فقال هى للصحيح احطم (وقال عمر رضى الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا ترون ولقنوهم لا اله الا الله) هذا استدل به المصنف على قوله فى الدرة الفاخرة وربما كشف للميت عن الامر الملكوتى وساق هذا الاثر وقد رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين عن على بن الجعد عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول قال قال عمر فساقه وقال أبو بكر المروزى فى كتاب الجنائز حدثنا القواريرى حدثنا يزيد بن زريع أخبرنا يونس عن الحسن قال قال عمر رضى الله عنه أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون ويقال لهم وقال المروزى أيضا حدثنا سريج حدثنا هشيم أخبرنا يونس بمثله وقال أيضا حدثنا الثعلبى حدثنا وكيع عن سفيان عن برد عن مكحول قال قال عمر لقنوا موتاكم لا اله الا الله واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فانه يخيل اليهم أمور صادقة وقال أيضا حدثنا سريج حدثنا اسمعيل عن برد عن مكحول بمثله قال السيوطى فى الامالى هذا اثر لا بأس به ورجال هذه الاسانيد ثقات الا ان الحسن ومكحولا لم يدركا عمر (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت) أى فى حالة النزع لقبض الروح (فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص) بين به ان التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقى معه ذنب فنجاسة الذنوب عارضة والدافع لها قوى وانما سميت كلمة الاخلاص لان كل شئ يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص منه سمى خالصا قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب واسناده جيد الا ان فى رواية البيهقى رجلا لم يسم وسمى فى رواية الطبرانى اسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف اه قلت وكذلك رواه الخطيب فى التاريخ وابن لال فى مكارم الاخلاق والديلمى فى مسند الفردوس ولفظهم فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحييه والباقى سواء ومما يناسب فى الباب ما رواه الحاكم فى تاريخه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله ولقنوهم عند الموت لا اله الا الله فانه من كان أول كلامه لا اله الا الله وآخر كلامه لا اله الا الله ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد قال البيهقى متن غريب لم نكتبه الا بهذا الاسناد وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق مكحول عن واثلة بن الاسقع رفعه أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع الحديث وروى الطبرانى والبيهقى فى كتابيه الشعب والدلائل عن عبد الله بن أبى أوفى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فيقال له لا اله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها فى حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبى صلى الله عليه وسلم ونهضت معه حتى أتى الغلام فقال يا غلام قل لا اله الا الله قال لا أستطيع ان أقولها قال ولم قال لعقوق والدتى قال أحية هى قال نعم قال ارسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو أن نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعى فيه دفناه فى هذه النار فقالت اذا

وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضى الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا يرون ولقنوهم لا اله الا الله وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص

كنت أشفع له قال فاشهدي الله واشهدينا بانك قد رضيت فقالت قد رضيت عن ابني فقال يا غلام قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أنقذه من النار وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال حضرت رجلا الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله قال لا أقدر كنت أصحب قوما يأمروني بشتم أبي بكر وعمر وروى أبو يعلى والحاكم بسند صحيح من حديث طلحة وعمر رضي الله عنهما انى لأعلم كلمة لا يقولها رجل حضره الموت الاوجد روحها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة وفي لفظ الا نفس الله عنه وأشرق لونه ورأى مايسره لا اله الا الله وروى أبو نعيم في الحلية عن فرقد السبخي قال اذا حضر العبد الوفاة قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين خفف فيقول صاحب اليمين لا أخفف لعله يقول لا اله الا الله فأكتبها وروى الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معا من قال عند موته لا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله لا تطعمه النار أبدا وروى الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص هل أدلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فايما مسلم دعا بها في مرضه أربعين يوما مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وان برئ برئ مغفورا له وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات وابن منيع في مسنده من حديث أبي هريرة يا أبا هريرة ألا أخبرك بامر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى قال لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت وسبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا ان كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت له منك الحسنى وأعذني من النار كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى فان مت في مرضك ذلك فالى رضوان الله والجنة وان كنت قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك وروى ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة لا اله الا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والمروزي عن أم الحسن قالت كنت عند أم سلمة فجاءها انسان فقال فلان بالموت فقالت انطلق فاذا رأيته احتضر فقل سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله التلقين وكراهيته الكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة) كما روى الديلمي من حديث أبي هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله ولا تملوهم فانهم في سكرات الموت وقد تقدم قريبا وروى أبو القاسم القشيري في أماليه من حديث أبي هريرة اذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا اله الا الله ولكن لقنوهم فانه لم يختم به لمنافق قط *(تنبيه)* وقع للمصنف في الدرة الفاخرة ونهى عن الاكثار بها عليهم قال السيوطي في أماليه ينبغي ضبط نهى بضم النون مبنيا للمفعول لا بالفتح مبنيا للفاعل معطوفا على قال لان النهي عن ذلك لم يرد في الحديث وانما ذكره السلف والفقهاء اهـ قلت بل قد ورد في ذلك من حديث أبي هريرة الذي عند الديلمي والذي عند القشيري وقد ذكرا قبل ذلك

(فصل) ومن أظرف ما وقع في ذلك ما قال البيهقي في الشعب أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز الواعظ يقول سمعت أبا جعفر محمد بن علي الساوي وراق أبي زرعة يقول حضرت أبا زرعة وهو في السوق يعني بفتح السين وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين واستحيوا من أبي زرعة ان يلقنوه التوحيد فقالوا تعالوا نذكر الحديث فقال محمد بن مسلم حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح وجعل يقول ابن ابن ولم يجاوز فقال أبو حاتم حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر وسكت ولم يجاوز والباقون سكتوا فقال أبو زرعة وهو في السوق حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابن أبي عريب عن كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة

وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله التلقين وكراهيته الكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة

وانما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا أن يتفضل الله تعالى بالقبول وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يابني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يابني قد كنت احذرك

وتوفي أبو زرعة رحمه الله تعالى هكذا أخرجه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من هذا الوجه ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا أبو علي عبد الرحمن ابن محمد بن فضالة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان سمعت أبا جعفر التستري يقول حضرنا أبا زرعة وكان في السوق فساقه قال والحديث أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني من هذا الوجه وأخرجه ابن منده من حديث أبي شيبة الخدري وأنشد السيوطي لنفسه في هذا المعنى

لقن أخاك لدى الممات شهادة * لا تستهبه ولا تلح وتبرم
من كان آخر ما يقول شهادة الا * خلاص يخلد في الجنان ويرحم

(وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله) كما قال القائل احسبي ربي جل الله ما في قلبي غير الله (فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق) جل شأنه (كان قدومه بالموت على حبيبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها) خائفا على فواتها (وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول) وقد روى الطبراني من حديث معاذ من مات يقول لا اله الا الله يقينا من نفسه دخل الجنة وروى أحمد والبيهقي من حديثه من مات وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة (وأما حسن الظن) بالله تعالى (فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله) من ذلك (دخل) واثلة بالمثلثة (بن الاسقع) بالقاف بن كعب الليثي رضي الله عنه صحابي مشهور نزل الشام وعاش الى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين روى له الجماعة (على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة) رضي الله عنه (وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) قال العراقي رواه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا اهـ قلت ورواه بالرفع فقط ابن أبي الدنيا والحكيم والطبراني وابن عدي والحاكم وتمام بلفظ قال الله عز وجل فساقه ورواه الشيرازي في الالقاب من حديث أنس وفي لفظ للطبراني وابن حبان من حديث واثلة بلفظ انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فخير وان ظن شرا فشر وروى الجملة الاولى فقط الطبراني من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم في كتاب الخوف والرجاء ورواه القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي حدثنا سوار حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس فذكره وروى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن الحسن قال بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة ورواه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس موصولا وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال اذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله واذا كان حيا فخوفوه (وقال ثابت) بن أسلم (البناني) التابعي العابد رحمه الله تعالى (كان شاب به حدة) أي نشاط الى اللهو واللعب (وكانت له أم تعظه كثيرا وتقول له يابني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه تقول له يابني قد كنت أحذرك

مصرعك هذا وأقول ان لك يوما فقال) الشاب (يا أمه ان لي ربا كثير المعروف واني لا رجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي محمد بن حيان حدثنا الحسن بن هرون حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ثابت قال كان شاب به رهق فكانت أمه تعظه فساقه وفي آخره قال ثابت رحمه الله حسن ظنه بالله في حالته تلك (وقال جابر بن وداعة) بفتح الواو (كان شاب به رهق) محركة أي نشاط (فاحتضر) اى حضره الموت (فقالت له أمه يا بني توصي بشئ قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال اخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بي فقالوا الى الله قال فما كراهتي ان أذهب الى من لا يرى الخير الا منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (وقال) أبو محمد (المعتمر بن سليمان) البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين روى له الجماعة (قال أبي) سليمان بن طرخان التيمي نزل في التيم فنسب اليهم ثقة عابد مات سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين روى له الجماعة (لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله عز وجل وأنا حسن الظن به) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق قال سمعت سوار بن عبد الله قال سمعت المعتمر يقول قال أبي فذكره (وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عن ابراهيم النخعي بلفظ ان يلقنوا العبد بمحاسن عمله ورواه أيضا محمود بن محمد في كتاب المتفجعين ومما يليق ايراده في الباب ما رواه الشيخان عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن وزاد فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وروى ابن عساكر من حديث أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله ثمن الجنة وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال والله الذي لا اله غيره لا يحسن أحد الظن بالله الا أعطاه الله ظنه وروى ابن المبارك وأحمد والطبراني من حديث معاذ ان شئتم انبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة وما أول ما يقولون له قلنا نعم يا رسول الله قال فان الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتي وروى ابن أبي الدنيا في حسن الظن والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن أبي غالب صاحب أبي امامة قال كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه فمرض الفتى فبعث الى عمه فأبى ان يأتيه فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه فاقبل عليه يشتمه ويقول أي عدو الله ألم تفعل كذا قال أرأيت أي عم لو ان الله دفعني الى والدتي ما كانت صانعة بي قال كانت والله تدخلك الجنة قال فوالله لله ارحم بي من والدتي فقبض الفتى ودفنه عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه فتأخر قلت ما شأنك قال ملئ قبره نورا وفسح له مد البصر وروى ابن أبي الدنيا فيه والبيهقي في الشعب عن حميد قال كان لي ابن أخت مرهق فمرض فارسلت الى أمه فاتيتها فاذا هي عند رأسه تبكي فقال يا خال ما يبكيها قلت ما تعلم منك قال أليس انما ترحمني قلت بلى قال فان الله أرحم بي منها فلما مات انزلته القبر مع غيري فذهبت أسوي لبنة فاطلعت في اللحد فاذا هو مد بصري فقلت لصاحبي وأنت ما رأيت قال نعم فليهنك ذاك قال فظننت انه بالكلمة التي قالها

(فصل) في بيان ما يقرأ عند الميت وما يقال اذا مات وغمض روى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والديلمي من حديث أبي الدرداء ما من ميت يقرأ عند رأسه يس الا هون الله عليه وروى ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان من حديث معقل بن يسار اقرؤا على موتاكم يس قال ابن حبان أراد به من حضره الموت يقرأ عليه وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال كان يستحب اذا حضر الميت ان يقرأ

مصرعك هذا وأقول ان لك يوما فقال يا أمه ان لي ربا كثير المعروف واني لا رجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشئ قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي * ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي أن أذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال أبو المعتمر بن سليمان قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

عنده سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت وانه أهون لقبضه وأيسر لشأنه وكان يقال قبل ان يموت الميت بساعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لفلان بن فلان وبرد عليه مضجعه ووسع عليه في قبره واعطه الراحة بعد الموت وألحقه بنبيه وتول نفسه وصعد روحه في أرواح الصالحين واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرر ذلك حتى يقبض وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانت الانصار يقرؤن عند الميت سورة البقرة وروى الطبراني في الاوسط عن أبي بكرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وهو في الموت فلما شق بصره مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاغمضه فلما اغمضه صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان النفس اذا خرجت تبعها البصر وان الملائكة تحضر الميت فيؤمنون على ما يقول أهل البيت ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين واخلفه في عقبه في الفائزين واغفر لنا وله يوم الدين وروى الحاكم من حديث شداد بن أوس اذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فان الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت وروى المروزي عن بكر المزني قال اذا اغمضت ميتا فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله

(بيان الحسرة عند لقاء الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها)

وفيه بيان قطع الآجال كل سنة (قال اشعث بن أسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل) بفتح العين (وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال) اشعث (ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وأبو الشيخ في العظمة عن اشعث وروى أحمد في الزهد وأبو الشيخ في العظمة وابو نعيم في الحلية عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء وجعل له أعوانا يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحسن بن عمارة عن الحكم ان يعقوب عليه السلام قال لملك الموت ما من نفس منفوسة الا وأنت تقبض روحها قال نعم قال فكيف وأنت عندي ههنا والانفس في أطراف الارض قال ان الله سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي اطرافها شاء كذلك الدنيا عندي وروى الدينوري في المجالسة عن أبي قيس الاودي قال قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح قال ادعوها فتجيبني وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وابو نعيم عن شهر بن حوشب قال ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه وبين يديه ملائكة قيام وهو يعرض اللوح لا يطرف فاذا أتوا على أجل عبد قال اقبضوا هذا وروى ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس انه سئل عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين واحد في المشرق وآخر في المغرب كيف قدر ملك الموت عليهما قال ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والنجوم الا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء وروى جويبر في تفسيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال ملك الموت الذي يتوفى الانفس كلها وقد سلط على ما في الارض كما سلط أحدكم على ما في راحتيه ومعه ملائكة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاذا توفى نفسا طيبة دفعها الى ملائكة الرحمة واذا توفى نفسا خبيثة دفعها الى ملائكة العذاب وروى ابن أبي الدنيا وابو الشيخ عن أبي المثنى الحمصي قال ان الدنيا سهلها وجبلها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فيقبض الارواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب قيل فاذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق قال يدعوها فتأتيه الانفس وروى ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال قيل يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك فقال ان الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم فهل يفوته منها شئ (قال) الراوي وهو أشعث بن أسلم الذي تقدم ذكره (وهو) الذي (بشره بانه خليل الله عز وجل) هذا القول قد رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود وابن عباس قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل

(بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها) قال أشعث بن أسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الارواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد دحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال ما أنا بذلك بأعلم منك انما هي صحف أو كتب تلقى الي فيها أسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع الى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي ثم اقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له

ملك الموت ربه ان يأذن له بذلك فأذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله وقد ذكر بتمامه قريبا (وقال سليمان بن داود عليه) وعلى أبيه (السلام لملك الموت عليه السلام مالي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال ما أنا بذلك بأعلم منك انما هي صحف أو كتب تلقى الي فيها أسماء) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن خيثمة قال أتى ملك الموت سليمان بن داود عليهما السلام وكان له صديقا فقال له سليمان مالك تأتي أهل البيت فتقبضهم جميعا وتدع أهل البيت الى جنبهم لا تقبض منهم أحدا قال لا أعلم بما أقبض منهما انما أكون تحت العرش فتلقى الي صكاك فيها أسماء وروى ابن عساكر عن خيثمة قال قال سليمان عليه السلام لملك الموت اذا أردت أن تقبضني فاعلمني بذلك قال ما أنا أعلم بذلك منك انما هي كتب تلقى الي فيها تسمية من يموت وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ان ملكا استأذن ربه ان يهبط الى ادريس عليه السلام فأتاه فسلم عليه فقال له ادريس عليه السلام هل بينك وبين ملك الموت شئ قال ذلك أخي من الملائكة قال هل تستطيع ان تنفعني عنده بشئ قال أما ان يؤخر شيأ أو يقدمه فلا ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت فقال اركب بين جناحي فركب ادريس عليه السلام فصعد الى السماء العليا فلقي ملك الموت وادريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك ان لي اليك حاجة قال علمت حاجتك تكلمني في ادريس وقد محي اسمه ولم يبق من أجله الا نصف طرفة عين فمات ادريس عليه السلام بين جناحي الملك وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن معمر قال بلغني ان ملك الموت لا يعلم متى يحضر أجل الانسان حتى يؤمر بقبضه وروى ابن أبي الدنيا عن ابن جريج قال بلغنا انه يقال لملك الموت اقبض فلانا في وقت كذا في يوم كذا (وقال) أبو عبد الله (وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى (كان ملك من الملوك أراد ان يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له رأسه) أي قربه اليه (فساره) أي تكلم في اذنه سرا (وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع الى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر ميتا كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حال شئت ان أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي واقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (وقال) أبو عبد الله (بكر بن عبد الله المزني) البصري ثقة ثبت جليل مات سنة ست ومائة روى له الجماعة (جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشئ كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له

ما يكفيك فو الذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه * وروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمى لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل اليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا الى مولاكم فقالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع فانى لست بخارج منها حتى أخرج روحك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى فانطق الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد المتقى عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بى وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتنى فى سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب

فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الارض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لا متعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء * قال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبنى البنيان وان اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى

ما يكفيك فو الذى خولك) أى أنعم عليك به (ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة) أى اعطنى امهالا (حتى أفرقه) على من يستحقه (قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وروى ان رجلا جمع مالا فاوعى) أى استكثر منه وحفظه (ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين) أى محكمين (وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمى سنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل اليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فى عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمة وقالوا ما شأنك فقال ادعوا الى مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من القرعة الاولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه انى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما أنت صانع فانى لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى ان أتخلى لربى فانطق الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على السلطان بى ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتنى فى سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لا متعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وقال) أبو محمد (عطاء بن يسار) الهلالى المدنى مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة أربع وتسعين روى له الجماعة (اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبنى البنيان وان اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت الا انه قال وان اسمه قد نسخ فى الموتى ومما يؤيد ذلك ما رواه الديلمى من حديث أبى هريرة تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وروى ابن أبى الدنيا وابن جرير مثله من طريق الزهرى عن عثمان بن المغيرة ابن الاخنس مرفوعا ورواه البيهقى فى الشعب من طريق الزهرى عن عثمان عن محمد بن المغيرة بن الاخنس ورواه ابن أبى حاتم بنحوه عن ابن عباس موقوفا وروى أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه

وقال الحسن مامن يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وان لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن

وسلم كان يصوم شعبان كله فسألته فقال ان الله يكتب فيه كل نفس ميت تلك السنة فاحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم وروى ابن جرير عن عمر مولى غفرة قال ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر الى مثلها فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه فى الاموات وروى ايضا عن عكرمة قال فى ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وروى الدينورى فى المجالسة عن راشد بن سعد رفعه قال فى ليلة النصف من شعبان يوحى الله الى ملك الموت يقبض كل نفس يريد قبضها فى تلك السنة وروى ابن أبى الدنيا والحاكم فى المستدرك عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال أول من يعلم بموت العبد الحافظ لانه يعرج بعمله وينزل برزقه فاذا لم يخرج له رزق علم انه ميت وروى أبو الشيخ فى تفسيره عن محمد بن جحادة قال الله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق الا له فيها ورقة فاذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده فذلك قوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (مامن يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انقصت له أجلا وان لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وأبو الشيخ فى العظمة وروى سعيد بن منصور وأحمد فى الزهد عن عطاء بن يسار قال مامن أهل بيت الا يتصفحهم ملك الموت فى كل يوم خمس مرات هل منهم أحد أمر بقبضه وروى ابن أبى حاتم عن كعب قال مامن بيت فيه أحد الا وملك الموت على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد امر به يتوفاه وروى أحمد وأبو الشيخ فى الزهد عن مجاهد قال ماعلى ظهر الارض من بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف به كل يوم مرتين وروى ابن أبى شيبة وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن عبد الاعلى التيمى قال مامن أهل دار الا ملك الموت يتصفحهم فى اليوم مرتين وروى أبو نعيم عن ثابت البنانى قال الليل أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتى على ذى روح الا وملك الموت قائم عليها فان أمر بقبضها قبضها والا ذهب وروى أبو الفضل الطوسى فى عيون الاخبار وابن النجار فى تاريخ بغداد من طريق ابراهيم بن هدبة عن أنس مرفوعا ان ملك الموت ينظر فى وجوه العباد فى كل يوم سبعين نظرة فاذا ضحك العبد الذى بعث اليه يقول عجبا بعثت اليه لاقبض روحه وهو يضحك وروى أبو الشيخ فى العظمة وابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم قال يتصفح ملك الموت المنازل كل يوم خمس مرات ويطلع فى وجه ابن آدم فى كل يوم اطلاعة قال فمنها الزعرة التى تصيب الناس يعنى القشعريرة والانقباض وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال مامن يوم الا وملك الموت ينظر فى كتاب حياة الناس قائل يقول ثلاثا وقائل يقول خمسا وروى الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم وابن منده كلاهما فى الصحابة من طريق جعفر عن محمد عن أبيه عن الحرث بن الخزرج عن أبيه رفعه قال يقول ملك الموت يا محمد انى لاقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ قمت فى الدار ومعى روحه فقلت ماهذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره ومالنا فى قبضه من ذنب فان ترضوا بما صنع الله تؤجروا وان تسخطوا تأثموا وتؤزروا وان لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر ومامن أهل بيت شعر ولا مدر بر ولا فاجر سهل ولا جبل الا وأنا أتصفحهم فى كل يوم وليلة حتى لانا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو أردت ان أقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأذن بقبضها قال جعفر بن محمد بلغنى انه انما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة والحرث مجهول وكذا أبوه الخزرج لا يعرف والحديث غريب وقد رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلا وفيه عمرو ابن شمر وهو كذاب (وقال يزيد) بن أبان (الرقاشى) أبو عمرو البصرى القاص زاهد ضعيف مات قبل العشرين روى له البخارى فى الادب المفرد والترمذى وابن ماجه بينما جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن

أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه اليه مستخذيا متذللا له فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى أين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الي كأنه يريدني قال فماذا تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني الى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت أتعجب منه لاني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

أدخلك على داري فقال اما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذي لا يمنع من الحجاب) جمع حاجب وهو البواب الذي يمنع الداخل من الدخول في الدار ويحتمل ان يكون صيغة مبالغة من الحجب وفي بعض النسخ لا يمنع مني الحجاب (ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال) الراوي (فاسقط في يد الجبار وارتعد) جسمه (حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه اليه مستخذيا) أي مستكينا (متذللا فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو فقال فهل أنت ممهلي) أي تعطيني المهلة (حتى أحدث عهدا) أي انابة ورجوعا (قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت) أي فرغت (ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى أين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته) بين يديك (والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فالى لظى) وهي دركة من دركات جهنم (نزاعة للشوى) اطراف العظام (ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن صارخ) عليه (و باك قال يزيد الرقاشي) وهو الراوي لهذا الخبر (لو يعلمون سوء المنقلب) وما أعد الله لهم من الشدائد (كان العويل على ذلك أكثر) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (وعن الاعمش) هو سليمان بن مهران الاسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي ثقة حافظ ورع مولده أول سنة احدى وستين ومات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة (عن خيثمة) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي ثقة مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني الى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان) عليه السلام (لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت أتعجب منه لاني كنت أمرت ان أقبضه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك) رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن خيثمة فذكره

(فصل) قال المصنف في الدرة الفاخرة في حال المحتضر وتزور عيناه قال السيوطي قال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن عبد الملك عن عبد الله بن الجراح الخراساني عن جرير عن حصين قال بلغني ان ملك الموت اذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس وروى الدينوري في المجالسة عن لا سفيان الثوري قال ان ملك الموت اذا غمز وتين العبد انقطعت معرفته وانقطع كلامه ونسي الدنيا وما كان فيها فلولا انه يسقى من سكرات الموت لضرب من حوله بالسيف لشدة ما يعالج وقال المصنف أيضا فمنهم من يطعنه الملك بحربة قال القرطبي لم أر لهذه الحربة ذكرا في الآثار الا في أثر عن معاذ انتهى قال السيوطي في الامالي وبالاسناد الى أبي نعيم قال حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فاذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الاموات قال السيوطي هذا موقوف في معنى المرفوع لان مثله لا يقال بالرأي وقال في شرح الصدور وروى ابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا ان لملك الموت حربة مسمومة طرف لها بالمشرق وطرف لها بالمغرب يقطع بها عرق الحياة قال ابن عساكر رفعه منكر قال السيوطي وعلى هذه الرواية اعتمد الغزالي في الدرة الفاخرة ولم يقف عليها القرطبي فقال لم أجد لهذه الحربة ذكرا الا في أثر معاذ اه وقال المصنف أيضا وعند استقرار النفس في التراقي تعرض عليه الفتن قال السيوطي وشاهده مرسل عطاء بن يسار وأقرب ما يكون عدو الله منه تلك الساعة رواه الحرث بن أبي اسامة في مسنده وعند ابن أبي الدنيا من حديث أبي الحسين البرجي وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الاحباء وعند أبي نعيم في الحلية من حديث واثلة بن

الاسقع وان الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع وقد تقدم كل ذلك قال وماذكره المصنف من ان جبريل يأتيه فيطرد عنه الشياطين ويقول يافلان الخ لم أره هكذا لكن ورد في آثار ان ملك الموت يطردهم ويلقنه الشهادة وفي حديث ان جبريل يحضر الميت على طهارة أما الاول فروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد بلغني انه انما يتصفحهم ملك الموت عند مواقيت الصلاة فاذا نظر عند الموت ان كان ممن يحافظ على الصلوات دنا منه الملك وطرد عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في ذلك الحال العظيم وهو حديث معضل وأما الثاني ففي المعجم الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قالت قلت يارسول الله هل يرقد الجنب قال ما أحب ان يرقد حتى يتوضأ فاني أخشى ان يتوفى فلا يحضره جبريل قال ومن الناس من اذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن أهله شاهده مارواه أبونعيم من طريق ابن المبارك عن ليث عن مجاهد قال مامن ميت يموت الا عرض عليه أهل مجلسه ان كان من أهل الذكر ففي أهل الذكر وان كان من أهل اللهو ففي أهل اللهو ورواه أيضا ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والبيهقي في الشعب ورواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة وهو صحابي قال مامن ميت يموت حتى يمثل له جلساؤه عند موته ان كانوا أهل لهو فاهل لهو وان كانوا أهل ذكر فاهل ذكر وروى البيهقي في الشعب عن الربيع بن برة وكان عابدا بالبصرة قال أدركت الناس بالشام وقيل لرجل قل لا اله الا الله فقال اشرب واسقني وقيل لرجل بالاهواز يافلان قل لا اله الا الله فجعل يقول ده يازده دوازده وقيل لرجل ههنا بالبصرة يافلان قل لا اله الا الله فجعل يقول

يارب قائلة يوما وقد تعبت * كيف الطريق الى حمام منجاب

قال أبو بكر هذا رجل استدلته امرأة الى الحمام فدلها الى منزله فقاله عند الموت وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد بن علي قال ليس من ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيشخص الى حسناته ويطرق من سيئاته وروى عن الحسن في قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر فاذا رأى حسنة بهش واشرق واذا رأى سيئة غض وقطب وروى عن حنظلة بن الاسود قال مات مولى لي فجعل يغطى وجهه مرة ويكشفه أخرى فذكرت ذلك لمجاهد فقال بلغنا ان نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(و) وفاة (الخلفاء الراشدين من بعده) رضي الله عنهم (اعلم) هداك الله تعالى بتأييده وأوصلنا واياك الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان اعلم (ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة) الاسوة بالكسر وبالضم القدوة (حيا وميتا وفعلا وقولا) يجب التأسي به في جميع الاحوال قال ابو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاءه اخوه فصافحه وتقول له ياعبد الله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (وجميع أحواله) صلى الله عليه وسلم (عبرة للناظرين) المتأملين (وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن أحد) من المخلوقات (أكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه) وقد شهدت بذلك الآيات والاخبار الصحيحة (فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء موته وهل اخره لحظة بعد حصول منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام) وهم ملك الموت مع الاعوان كما تقدمت الاشارة لذلك (فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر) المطهر (الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه) وهو ما كان يجده صلى الله عليه وسلم من شدة الموت لانه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الاجر (وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره) من الرجال والنساء (وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن أحد أكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه

مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود) الذى يحمده الاولون والآخرون (والحوض المورود) كما وردت بذلك الاخبار وسيأتى ذكرها (وهو أول من تنشق الارض عنه) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب ولفظه أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وروى ابن أبى شيبة والطبرانى من حديث ابن عباس أنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وهو صاحب الشفاعة يوم العرض روى أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد أنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وروى مسلم وأبو داود من حديث أبى هريرة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وروى الطبرانى من حديث جابر فاذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معى وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم (فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع) سيدنا (محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين) صلى الله عليه وسلم (لعلنا نظن أننا مخلدون) فى الدنيا (أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون) روى ابن المبارك وأحمد كلاهما فى الزهد وابن عساكر عن بكر بن عبد الله المزنى قال لما نزلت هذه الآية وان منكم الا واردها ذهب عبد الله بن رواحة الى بيته فبكى فجاءت المرأة فبكت وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقطعت عبرتهم قال يا أهلاه فما الذى أبكاكم قالوا لا ندرى ولكن قد رأيناك بكيت فبكينا قال أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية ينبئنى فيها ربى تبارك وتعالى انى وارد النار ولم ينبئنى انى صادر عنها فذلك الذى أبكانى وروى أبو نعيم فى الحلية عن عروة بن الزبير قال لما أراد ابن رواحة الخروج الى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وان منكم الا واردها فقد علمت انى وارد النار ولا أدرى كيف الصدر بعد الورود وروى ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأحمد وهناد معا فى الزهد وعبد بن حميد والحاكم والبيهقى فى البعث عن قيس بن أبى حازم قال بكى عبد الله بن رواحة فقالت امرأته ما يبكيك قال انى أنبئت انى وارد النار ولم أنبأ انى صادر وروى ابن أبى شيبة عن الحسن قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يقول الرجل لصاحبه هل أتاك انك وارد فيقول نعم فيقول هل أتاك انك خارج فيقول لا فيقول ففيم الضحك اذا وروى ابن المبارك وهناد عن أبى ميسرة انه اوى الى فراشه فقال ياليت أمى لم تلدنى فقالت امرأته يا أبا ميسرة ان الله قد أحسن اليك هداك الى الاسلام فقال أجل ولكن الله قد بين انا واردون النار ولم يبين انا صادرون عنها وروى ابن المبارك عن الحسن قال قال رجل لاخيه يا أخى هل أتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك فما رؤى ضاحكا حتى مات (لا بل ظلمنا أنفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها) أى داخلها كما قاله ابن عباس وابن مسعود وروى ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين ان يدخلوها (كان على ربك حتما مقضيا) أى قسما واجبا (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أى على ركبهم ولا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب نزل به (فلينظر كل عبد الى نفسه أنه الى الظالمين أقرب أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد أن تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى) لما نالت الموت مكروه

واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن اننا مخلدون أو نتوهم انا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين أقرب أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد أن تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى

بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة ولذا لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وأول ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد قرب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد قيل ان هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى فى حجة الوداع وقيل عاش بعدها احدى وثمانين يوما وعند ابن أبى حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابى يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع وروى الطبرانى من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه السورة نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا فى أمر الآخرة وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله فى آخره فانه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (قال ابن مسعود) رضى الله عنه (دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله) قال العراقى رواه البزار وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن بن الاصبهانى لم يسمع هذا من مرة وانما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة قلت وروى من غير ما وجه رواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن عون عن ابن مسعود ورويناه فى مشيخة القاضى أبى بكر الانصارى من رواية الحسن العرنى عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العرنى انما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الاوسط اه قلت أورده الواحدى فى التفسير بسنده الى ابن مسعود قال نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلف الله عليكم وأحذركم الله انى لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين الحديث بطوله وسيأتى قريبا رواه ابن منيع فى مسنده بلفظ أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم وأودعكم اليه وانى أشهدكم انى لكم نذير مبين والباقى سواء (وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل) عليه السلام (عند موته من لامتى بعدى فاوحى الله تعالى الى جبريل) عليه السلام (ان بشر حبيبى انى لا أخذله فى أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض) أى من قبره (اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال) صلى الله عليه وسلم (الآن قرت عينى) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس من حديث طويل فيه من لامتى المصطفاة من بعدى قال ابشر يا حبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الانبياء والامم حتى تدخلها انت وامتك قال الآن طابت نفسى هو باسناد ضعيف اه قلت فيه عبد المنعم بن ادريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس وعبد المنعم وأبوه ضعيفان والحديث طويل جدا فى ورقتين كبار سيأتى ذكره قريبا (وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على

قال ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدى فاوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عينى وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على

هيئتها التى هى عليها اليوم وان الانصار عيبتى التى أويت اليها) أى موضع سرى (فاكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا و بين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه) أى لما فهم الرمز الذى أشار به النبى صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك فى مرض موته فاستشعر منه انه أراد نفسه فلذلك بكى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر) قال العراقى رواه الدارمى فى مسنده وفيه ابراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة اهـ قلت يعنى بذلك انه بهذا السياق والا ففى عدة مواضع من الصحيح للبخارى من رواية الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه صبوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى استريح فاعهد الى الناس قالت عائشة فاجلسناه فى مخضب لحفصة من نحاس وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير الينا ان قد فعلتن ثم خرج وهو عند النسائى فى سننه الكبرى من رواية عروة عن عائشة ورواه أحمد عن محمد ابن يحيى بن عبد الله عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة ورواه أيضا عن معاوية بن صالح عن يحيى بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر قال قال الزهرى فذكره وفى بعض سياقات البخارى بعد قوله ثم خرج الى الناس فصلى بهم وخطبهم وفى لفظ للبخارى والنسائى اهريقوا على بدل صبوا وروى صاحب كتاب المتفجعين هذا الحديث فقال حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحرانى الحافظ حدثنا أبو عمرو سعيد بن بزيع قال حدثنا ابن اسحق قال حدثنى يعقوب بن عتبة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فساق الحديث وفيه ثم اشتد وجعه فقال اهريقوا على سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فاعهد اليهم فاقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده حسبكم حسبكم قال الزهرى وحدثنى أيوب بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر فاول ما تكلم به ان صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فاكثر ثم قال ان عبدا من عباد الله عز وجل خيره الله بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده ففهمها أبو بكر رضى الله عنه وعرف ان نفسه يريد فبكى وقال نحن نفديك بانفسنا وابنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر انظروا هذه الابواب الشارعة فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل عندى فى الصحبة منه ورواه الدارمى مثله وأبو داود الحرانى حافظ ثقة وسعيد بن بزيع ما عرفت أحدا تكلم فيه وقد صرح فيه ابن اسحق بالتحديث وروى أحمد والشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين أيديكم فرط وانى عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه وأنا فى مقامى هذا وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض وانى لست أخشى عليكم ان تشركوا بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وروى مالك والشيخان والترمذى من حديث أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوّة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر رواه الطبرانى من حديث معاوية ورواه أحمد من حديث موهبة أوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى والجنة فاخترت لقاء ربى والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس مرفوعا خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى و بين التعجيل فاخترت التعجيل ورواه

هيئتها التى هى عليها اليوم وان الانصار عيبتى التى أويت اليها فاكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر

ابن السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي المعلى بلفظ ان عبدا خيره الله بين ان يعيش في الدنيا ماشاء ان يعيش فيها يأكل ماشاء ان يأكل منها وبين لقائه *(تنبيه)* هذا الاغتسال لم يكن سببه اغماء كما ظنه بعضهم وانما كان مقصوده النشاط والقوة وقد صرح بذلك في قوله لعلي استريح وقوله في رواية الدارمي من سبع آبار شتى أي متفرقة وهذه زيادة على رواية البخاري وغيره فيحتمل انها معينة ويحتمل انها غير معينة وانما يراد تفرقها خاصة فعلى الاول في تلك الآبار المعينة خصوصية ليست في غيرها وعلى الثاني الخصوصية في تفرقها والله أعلم وقد تقدم للمصنف في آخر كتاب الحج ذكر الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب من مائها ويغتسل وهي سبعة بئر أريس وبئر حاء بئر رومة وبئر غرس و بئر بضاعة و بئر البصة وبئر السقيا أو بئر جمل وفي السابعة تردد وقد تقدم الكلام عليها وروى ابن ماجه في السنن من حديث علي باسناد جيد اذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس (قالت عائشة) رضي الله عنها (فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل على أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى) قال العراقي متفق عليه قلت في رواية للبخاري ان من نعم الله علي ان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ودخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم وفي رواية له مر عبد الرحمن وبيده جريدة رطبة فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فأخذتها فنفضت رأسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها أحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وفي رواية له دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فامده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رأيته استن استنانا قط أحسن منه وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت وروى البخاري أيضا من حديثها انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات وقد تقدم ذلك وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا سليمان بن سيف حدثنا سعيد بن بزيع عن ابن اسحق قال قال الزهري حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول ان الله لم يقبض نبيا حتى يخير فلما حضر صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه بل الرفيق الاعلى من الجنة قلت اذا لا يختارنا وعرفت انه الذي كان يقول لنا ان الانبياء لا تقبض حتى تخير قال وحدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني ومحمد بن علي بن ميمون قالا حدثنا القعنبي عن مالك عن هشام بن عروة عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت وهو مستند الى صدرها يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى وروى أحمد من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبي تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه نفسه فيخير بين ان ترد اليه أو يلحق فكنت قد حفظت فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى مال عنقه فقلت قضى فعرفت الذي قال فنظرت اليه حتى ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وروى البخاري من حديثها انه صلى الله عليه وسلم لما حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى وفي لفظ اللهم أسألك أو أسأل الله الرفيق الاعلى مع

قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى

فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ماتقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني انكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تؤثروا عليهم ألا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يانبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا

الاسعد جبريل وميكائيل واسرافيل رواه النسائي من حديث أبي موسى وصححه ابن حبان قال ابن حجر في شرح الشمائل ظاهره ان الرفيق مكان يوافق فيه المذكورين وفي النهاية هو جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل هو الله تعالى لانه تعالى رفيق بعباده وقيل حظيرة القدس وختم كلامه بهذه الكلمة لتضمنها التوحيد والذكر بالقلب واشارة الى ان من منع لسانه مانع من الذكر وقلبه مشغول به لم يضره ذلك أشار اليه السهيلي في الروض الانف وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا علي بن عثمان الفضيلي حدثنا أبو علي الخارق بن ميسرة حدثنا عثمان حدثنا حسين بن واقد عن أبي الزبير عن جابر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم على فرس أبلق عليه قطيفة من استبرق فقال عليك السلام يارسول الله ورحمة الله وبركاته جزاك الله من رسول ونبي خيرا فقد بلغت الرسالة ونصحت للامة وجاهدت في السبيل وقضيت الذي عليك فهذه مفاتيح الدنيا قد أتيتك بها لك بما صنعت ولك الجنة بعد الموت أو اللحوق بالله عز وجل قال لا بل اللحوق بالله (وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه) عبد الله بن ضرار بن الازور (قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل) بن العباس (فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان يموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه) اى اجتمعوا (فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني انكم تخافون على الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنع اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس) رضي الله عنه (يانبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا

والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم أول الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني الى من بعدي

والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) قال العراقي هو مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبو عبد الله ابن ضرار بن الازور تابعي روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفي ابنه سعيد ليس بالقوي اهـ قلت أسنده سيف بن عمر في كتاب الفتوح هكذا وأورده الفاكهاني في الفجر المنير من طريقه قال الذهبي سعيد بن عبد الله بن ضرار عن أنس قال أبو حاتم ليس بقوي وعبد الله بن ضرار عن أبيه وغيره قال يحيى لا يكتب حديثه وروى البخاري من حديث أنس مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ورواه عن أحمد ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر الا اني فرط لكم على الحوض وان بعد ما بين طرفيه مثل ما بين صنعاء وايلة كان الاباريق فيه النجوم وروى ابن أبي شيبة وابن جرير من حديث أبي هريرة الناس تبع لقريش في هذا الامر خيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع لشرارهم وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن عوف أوصيكم بالمهاجرين السابقين الاولين وبأبنائهم الا تفعلوا لا يقبل الله منكم صرفا ولا عدلا (وروى ابن مسعود) رضي الله عنه (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى) وهو عبارة عن غاية القرب (فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها ثم انتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني الى من بعدي) قال العراقي رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر هو الواقدي باسناد ضعيف الى ابن عون عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم اهـ قلت ورواه الطبراني في الدعاء والواحدي في التفسير بسند واه جدا الى ابن مسعود بلفظ نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام الحديث وقد ذكر قريبا وفيه قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال أهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصر او حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان

أوّل من يصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا فصلوا وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال من أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة فقلنا يارسول الله من يدخلك قبرك قال أهلي مع ملائكة ربي ورواه الطبراني أيضا في الكبير من حديث وهب بن منبه عن جابر وابن عباس في حديث طويل سيأتي ذكره بعد ذلك وفيه فقال علي يارسول الله اذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيما نكفنك ومن يصلي عليك ومن يدخلك القبر فقال ياعلي أما الغسل فاغسلني انت وابن عباس يصب عليك الماء وجبريل ثالثكما فاذا أنتم فرغتم من غسلي فكفنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل يأتيني بحنوط من الجنة فاذا أنتم وضعتموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني فان أول من يصلي علي الرب عز وجل من فوق عرشه ثم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم الملائكة زمرا زمرا ثم ادخلوا فقوموا صفوفا صفوفا لا يتقدم علي أحد الحديث ورواه أيضا أبو يعلى في مسنده مختصرا وسيأتي ما يتعلق بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في آخر هذا الباب (وقال عبد الله بن زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدي ابن أخت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم واسم أمه قريبة بنت أبي أمية قال عياض في المشارق زمعة بسكون الميم وضبطناه عن ابن بحر بفتح الميم حيث وقع وكلاهما يقال قال الحافظ في الفتح ووقع في الكاشف للذهبي انه اخو سودة أم المؤمنين وهو وهم يظهر صوابه من سياق نسبهما قال البغوي كان يسكن المدينة وله أحاديث ويقال انه كان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين وبه جزم ابو حسان الزيادي روى له الجماعة (جاء بلال) رضي الله عنه (في أوّل) شهر (ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلي بالناس) أي يومهم قال (فلم أر بحضرة الباب الاعمر) بن الخطاب رضي الله عنه (في رجال ليس فيهم أبو بكر) رضي الله عنه (فقلت قم ياعمر فصل بالناس فقام عمر) واصطف الناس (فلما كبر) للصلاة (وكان رجلا صيتا) أي جهير الصوت (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير) لقرب الحجرة من المسجد (فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق) أي قلبه رقيق (اذا قام مقامك غلبه البكاء) أي لما يلاحظ من فقده صلى الله عليه وسلم وما كان يجد من أنسه وأنواره (فقال انكن صواحبات يوسف) عليه السلام جمع صاحبة اي في اظهار خلاف ما في الباطن اى في التظاهر والتعاون على ما تردن وكثرة الحاحكن على ما تملن اليه وهذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة على ان في رواية البخاري انها قالت لحفصة انها تقول ما قالت أى فرعمر فليصل بالناس فقالت ذلك فحينئذ قال ما قال وأقل الجمع اثنان (مروا ابا بكر فليصل بالناس) وفيه انه لا يقدم للامامة الا أفضل القوم فقها وقراءة وورعا وغيرها وفي تكرير أمره بتقديمه الدلالة الظاهرة عند من له أدنى رفق بل ايمان على انه احق الناس بخلافته وقد وافق على ذلك علي وغيره من أهل البيت ووجه الشبه بصواحبات يوسف ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهي ان ينظرن حسن يوسف فيعذرنها في محبته وعائشة رضي الله عنها اظهرت ان سبب محبتها صرف الامامة عن أبيها وعدم استماعه القراءة ومرادها زيادة على ذلك في ان لا يتشاءم الناس به (قال) الراوي (فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر) بالناس سبع عشرة صلاة كما نقله الدمياطي (فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة) رضي الله عنهما (بعد) ذلك (ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك مافعلت فيقول عبد الله اني لم أر أحدا أولى بذلك منك) قال العراقي رواه أبو داود باسناد جيد مختصرا دون قوله فقالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق الخ ولم يقل في أول ربيع الاول وقال مروا من يصلي بالناس وقال يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين وفي رواية له فقال لالا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة يقول ذلك مغضبا واما آخره من قول عائشة ففي الصحيح من حديثها فقالت عائشة يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مكانك لم يسمع الناس من البكاء فقال

---

* وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال في أوّل ربيع الاوّل فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق القلب اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك مافعلت فيقول عبد الله اني لم أر أحدا أولى بذلك منك

قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله وخشيت أيضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا الا أن يشاء الله فيحسدونه و يبغون عليه و يتشاءمون به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين * وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين

وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري و رأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي أرجع وان أذنت لي دخلت و أمرني أن لا أقبضك حتى تامرني فاذا أمرك فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا

بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك ان الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت و جاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام و يقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أنه يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة في أمتك فقال أجدني وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد

انكن صواحبات يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس انتهى قلت رواه الشيخان واللفظ للبخاري وفي رواية ان أبا بكر رجل اسيف وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري فمر عمر فليصل بالناس قالت قلت لحفصة قولي له ان أبابكر اذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم *(تنبيه)* في الحديث السابق سدوا كل خوخة الا خوخة أبي بكر اشارة الى ان أبابكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين ثم أكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا أبابكر ان يصلي بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا (قالت عائشة) رضي الله عنها (وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله وخشيت أيضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي الا ان يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين) رواه البخاري بلفظ فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي انه يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به (وقالت عائشة) رضي الله عنها (فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو يوم الاثنين (رأوا منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) للنساء (اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي) أي يطلب الاذن بالدخول علي (فخرج من في البيت) من النسوة (غيري ورأسه في حجري فجلس) مستعدا للقاء الملك (وتنحيت في جانب البيت) اي صرت في ناحية منه (فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت) يارسول الله (ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اجل ياعائشة (هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني) اليك (وامرني ان لا ادخل عليك) الا باذن فان لم تأذن لي ارجع وان أذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تأمرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها (فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا) اي اندهشنا (وكأنما ضربنا بصاخة) بتشديد الخاء وهي المصيبة الشديدة (ما نحير اليه شيأ) اي ما نرجع (وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل) عليه السلام (في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام و يقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن أراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة في أمتك) أي اذا دخلوا على المريض فيقولون كذلك (فقال أجدني وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد

ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا أن ربك يتم شرفك وهو اليك
مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدني فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام
ثم قال أدني مني رأسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسك وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت
أخبرني وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت
وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك
اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لى فى الارض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذى بعث محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير اليه فى ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء
أطيب منه فكنت أقول له اذا فاق بابي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح
ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه الى أبي فمات رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كأن الخيرة
تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول
الصلاة الصلاة

ان ربك اليك مشتاق ألم أعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا
الا ان ربك يتم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء) فدخلن وفيهن ابنته فاطمة
رضي الله عنها (فقال يا فاطمة أدني) أي اقربي مني (فاكبت عليه فناجاها) أي سارها بشيء (فرفعت رأسها
وعيناها تذرفان) أي تسيلان دموعا (وما تطيق الكلام) من شدة الحزن (ثم قال أدني مني رأسك فاكبت عليه
فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذى رأينا منها عجبا) من البكاء والضحك فى
ساعة واحدة (فسألناها بعد ذلك) أي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم (فقالت أخبرني) أولا (وقال انى ميت
اليوم فبكيت) حزنا على فراقه (ثم قال) ثانيا (انى دعوت الله) تعالى (ان يلحقك بى فى أول أهلى وان يجعلك معى
فضحكت) فرحا للحوق به (وأدنت ابنتها) هي أم كلثوم (منه فشمها) وبرك عليها (قالت وجاء ملك الموت فسلم
واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك
مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك
وخرج قالت وخرج جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحي
وطويت الدنيا وما كانت بى فى الارض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذى بعث
محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع ان يحير اليه فى ذلك كلمة) أي بعيدها (ولا يبعث الى أحد من رجاله
لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي
وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه) أي يعتريه الغشيان (حتى يغلب) لشدة ما يحصل له من فتور الاعضاء
من تمام الحركة وفيه جواز الاغماء على الانبياء عليهم السلام قال ابن حجر فى شرح الشمائل لكن قيده الشيخ
أبو حامد من ائمتنا بغير الطويل وجزم به البلقيني قال السبكي ليس كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم
الظاهرة دون قلوبهم لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء أولى (وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان
قط فجعلت أسلت ذلك العرق) أي أزيله وامسحه (وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له اذا افاق)
من غشيته (بابي) أنت (وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن) أي
روحه (تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار) أي فالرشح من علامات الخير وقد تقدم
(فعند ذلك ارتعنا) أي خفنا (وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي) وهو عبد الرحمن بن أبي
بكر (بعثه الى أبي) لينظر الحال (فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء أحد) من أهلي (وانما صدهم
الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل) عليهما السلام (وجعل) صلى الله عليه وسلم (اذا أغمي عليه قال بل الرفيق
الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة) أي الزموها (انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا) أي مع الجماعة (الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة) قال العراقي
رواه الطبراني فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين
اشتد الامر وأوحى الله الى ملك الموت ان اهبط الى حبيبي وصفيي محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به

فى قبض روحه وفيه دخول الملك واستئذانه وقبضه فقال ياملك الموت أين خلفت حبيبى جبريل قال خلفته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع ان أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له مما أعد الله له وفيه أدن ياملك الموت فانته الى ماأمرت به الحديث وفيه قد دنا ملك الموت يعالج قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك الى ان قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فى ورقتين كبار وهو منكر فيه عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه ادريس أيضا متروك قاله الدارقطنى ورواه الطبرانى أيضا من حديث الحسين بن على ان جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء اسمعيل وان جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخارى ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس فى مجىء ملك الموت أولا واستئذانه وقوله ان ربك يقرئك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب منى الآن فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث قاله البخارى وابن حبان اه قلت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية عن الطبرانى بطوله فقال حدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبرانى حدثنا محمد بن أحمد حدثنا عبد المنعم بن ادريس ابن سنان عن أبيه عن وهب عن جابر بن عبد الله وابن عباس قالا لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال محمد صلى الله عليه وسلم ياجبريل نفسى قد نعيت قال جبريل عليه السلام الآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان ينادى بالصلاة جامعة فاجتمع المهاجرون والانصار الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال أيها الناس أى نبى كنت لكم فقالوا جزاك الله من نبى خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم وكالاخ الناصح المشفق أديت رسالات الله عز وجل وأبلغتنا وحيه ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فجزاك الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته فقال لهم معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقى عليكم من كانت له قبلى مظلمة فليقم فليقتص منى فذكر حديثا طويلا فيه قيام عكاشة لطلب القصاص نحو ورقة كاملة وفيه فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين فلما كان فى يوم الاحد ثقل فى مرضه فاذن بلال بالاذان ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يارسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال فقالت فاطمة يابلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه فدخل بلال المسجد فلما اسفر الصبح قال والله لا أقيمها أو استأذن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقام بالباب ونادى السلام عليك يارسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال فقال ادخل يابلال ان رسول الله اليوم مشغول بنفسه مر أبا بكر يصلى بالناس فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول واغوثاه بالله وانقطاع رجائى وانقصام ظهرى ليتنى لم تلدنى أمى اذ ولدتنى لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم ثم قال ياأبا بكر الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تصلى بالناس فتقدم أبو بكر الناس وكان رجلا رقيقا فلما نظر الى خلوة المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتمالك ان خر مغشيا عليه وضج المسلمون بالبكاء فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجيج الناس فقال ماهذه الضجة فقالوا ضجة المسلمين لفقدك يارسول الله فدعا النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وابن عباس واتكأ عليهما فخرج الى المسجد فصلى بالناس ركعتين خفيفتين ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال معشر المسلمين استودعتكم الله انتم فى رجاء الله وأمانته والله خليفتى عليكم معاشر المسلمين عليكم باتقاء الله وحفظ طاعته من بعدى فانى مفارق الدنيا هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا فلما كان يوم الاثنين اشتد به الامر وأوحى الله الى ملك الموت عليه السلام ان اهبط الى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق

به

به فى قبض روحه فهبط ملك الموت فوقف بالباب شبه اعرابى ثم قال السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ومعدن
الرسالة ومختلف الملائكة أدخل فقالت عائشة لفاطمة رضى الله عنهما أجيبى الرجل فقالت فاطمة آجرك
الله فى ممشاك يا عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه ثم دعا الثانية فقال السلام عليكم
يا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ادخل فقالت عائشة لفاطمة رضى الله عنهما اجيبى
الرجل فقالت فاطمة آجرك الله فى ممشاك يا عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه ثم
دعا الثالثة فذكر مثل الاولى والثانية ثم قال بعد قوله آدخل فلا بد من الدخول فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوت ملك الموت عليه السلام فقال يا فاطمة من بالباب فقالت يا رسول الله ان رجلا يستأذن فى الدخول فاجبناه
مرة بعد أخرى فنادى فى الثالثة صوتا اقشعر منه جلدى وارتعدت فرائصى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم
يا فاطمة اتدرى من بالباب هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرمل الازواج وموتم الاولاد هذا مخرب الدور
وعامر القبور هذا ملك الموت صلى الله عليه ادخل يرحمك الله يا ملك الموت فدخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت جئتنى زائرا أم قابضا قال جئتك زائرا وقابضا وأمرنى الله
عز وجل أن لا أدخل عليك الا باذنك ولا أقبض روحك الا باذنك فان أذنت والا رجعت الى ربى عز وجل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا فبشرنى بمالى عند الله فقال أبشرك يا حبيب الله
انى تركت أبواب السماء قد فتحت والملائكة قد قاموا صفوفا بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد فقال
لوجه ربى الحمد فبشرنى يا جبريل قال أبشرك ان أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها قد اضطربت وأشجارها
قد تدلت وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد قال لوجه ربى الحمد فبشرنى يا جبريل قال أبواب النيران قد
أطبقت لقدوم روحك يا محمد قال لوجه ربى الحمد فبشرنى يا جبريل قال أنت أوّل شافع وأول مشفع فى القيامة
قال لوجه ربى الحمد فبشرنى يا جبريل قال يا حبيبى عما تسألنى قال أسألك عن غمى وهمى من لقراء القرآن من
بعدى ومن لصوّام شهر رمضان من بعدى من لحجاج بيت الله من بعدى من لامتى المصطفاة من بعدى قال
أبشرك يا حبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الانبياء والامم حتى تدخلها أنت وأمتك
يا محمد قال الآن طابت نفسى أدن يا ملك الموت فانته الى ما أمرت فقال على يا رسول الله اذا أنت قبضت فمن
يغسلك وفيم نكفنك فذكر الحديث الى قوله ثم ادخلوا فقوموا صفوفا صفوفا لا يتقدم على أحد وقد تقدم ذكر ذلك
قريبا ثم قال فقالت فاطمة رضى الله عنها اليوم الفراق فمتى ألقاك قال لها يا بنية تلقانى يوم القيامة عند الحوض
وأنا اسقى من يرد على الحوض من أمتى قالت فان لم ألقك يا رسول الله قال تلقانى عند الميزان وأنا أشفع لامتى
قالت فان لم ألقك يا رسول الله قال تلقانى عند الصراط وأنا أنادى يا رب سلم أمتى من النار فدنا ملك الموت عليه
السلام فعالج قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الروح الى الركبتين قال النبى صلى الله عليه وسلم
أوّاه فلما بلغ الروح الى السرة نادى النبى صلى الله عليه وسلم واكرباه فقالت فاطمة كربى لكربك يا ابتاه فلما بلغ
الروح الى الثندوة قال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل عليه السلام وجهه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت النظر الىّ يا جبريل فقال جبريل يا حبيبى
ومن يطيق نفسه ان ينظر اليك وأنت تعالج سكرات الموت فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر بعد ذلك
غسله وتجهيزه والصلاة عليه والدفن وتعزية فاطمة رضى الله عنها كما سيأتى ذلك فهذا السياق هو الذى أشار اليه
العراقى وفيه اختلاف وأما حديث الحسين بن على فلفظه عند الطبرانى ان جبريل هبط على النبى صلى الله عليه
وسلم يوم موته فقال كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغموما وأجدنى مكروبا فاستأذن ملك الموت على الباب
فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال
ائذن له فاذن له فاقبل حتى وقف بين يديه فقال ان الله أرسلنى لك وأمرنى ان أطيعك ان أمرتنى ان أقبض نفسك
قبضتها وان كرهت تركتها قال وتفعل يا ملك الموت قال نعم بذلك أمرت قال له جبريل ان الله قد اشتاق الى

لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امض لما أمرت به و روى البيهقي في دلائل النبوة من حديث جعفر
ابن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال
يا محمد ان الله قد أرسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك
فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في
اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت ثم قال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم
يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال
يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلني اليك وأمرني ان أطيعك اذا حضرت اليك فان أمرتني ان أقبض روحك
قبضتها وان أمرتني ان أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله تعالى قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه
وسلم فامض يا ملك الموت لما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي
من الدنيا فقبض روحه هكذا ساقه صاحب المواهب وفي سياقه نقص فالذي في نسخ الدلائل فلما كان اليوم
الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد السماء قط ولم يهبط الى الارض قط
يقال له اسمعيل موكل على سبعين ألف ملك كل ملك على سبعين ألف ملك والباقي سواء وقد ساقه الشامي في
سيرته على التمام وروى الطبراني أيضا من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه
وسلم في مرضه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال له علي رضي الله عنه ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل
قال ان ربك يقرئك السلام قال فبلغني ان ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده وروى الحاكم
وابن سعد من طرق انه صلى الله عليه وسلم مات ورأسه في حجر علي قال الحافظ في الفتح وهو غير معارض لحديث
عائشة في الصحيح مات صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري لان كل طريق من تلك الطرق لا يخلو عن شيء فلا يلتفت
لذلك وروى البخاري من طريق عروة عن عائشة قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه التي قبض
فيها فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني انه يقبض في وجعه التي
توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني أول أهله يتبعه فضحكت ومن طريق مسروق عن عائشة اقبلت فاطمة تمشي
كان مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا يا بنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله
ثم سارها ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت
ما رأيت أحدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة رضي الله عنها
وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت
ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه فقبلته قال صاحب المواهب اتفقت الروايات على ان الذي سارها به
أولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت في مرضه ذلك واختلفت فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره
اياها انها أول أهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره اياها انها سيدة نساء الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقا
به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات
الضابطين فمما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما
كنت لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الي ان جبريل
كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلي وانك أول أهل بيتي لحوقا
بي وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة ان عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت اني كنت لاظن ان هذه
المرأة من أعقل النساء فاذا هي من اجن النساء ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عروة الجزم انه ميت من
وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن وقد يقال
لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها أول أهله لحوقا به سببا لبكائها ولضحكها معا

باعتبار من ذكر كل من الراويين مالم يذكره الآخر وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها ان سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به وفي سياق المصنف وجبهته ترشح رشحا وفيه ياعائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار رواه الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار ورواه في الاوسط بلفظ نفس المؤمن تخرج رشحا ولا أحب موتا كموت الحمار موت الفجأة وروح الكافر تخرج من اشداقه وفي رواية له قيل له وما موت الحمار قال روح الكافر تخرج من اشداقه وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث بريدة المؤمن يموت بعرق الجبين وتقدم حديث سلمان ارقبوا الميت عند موته ثلاثا ان رشحت جبينه الحديث وروى البيهقي في الشعب من طريق علقمة بن قيس حدثني ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال موت المؤمن برشح الجبين قال عبد الله ولا أحب موتا كموت الحمار وروى ابن أبي شيبة والبيهقي من هذا الوجه عن علقمة عن ابن مسعود من قوله ان نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر أو الفاجر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار وفي سياق المصنف فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة الخ روى ذلك من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة وما ملكت ايمانكم الصلاة وما ملكت ايمانكم رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن سعد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء ورواه ابن سعد أيضا والطبراني من حديث أم سلمة ورواه الطبراني أيضا من حديث ابن عمر (قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين) قال العراقي رواه ابن عبد البر انتهى قلت وجزم موسى بن عقبة عن الزهري بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وروى ابن سعد من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة ان دخول النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين (قالت فاطمة رضي الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لاتزال الامة تصاب فيه بعظيمة) أي بمصيبة شديدة (وقالت أم كلثوم) ابنة علي وأمها فاطمة رضي الله عنهم ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر ولدت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي عمر المدني في مسنده حدثني سفيان عن عمرو عن محمد بن علي ان عمر خطب الى علي بنته أم كلثوم فذكر له صغرها فقيل له انه ردك فعاوده فقال له علي ابعث بها اليك فان رضيت فهي امرأتك فارسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت مه لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده تزوج عمر أم كلثوم على مهر أربعين ألفا وقال الزبير ولدت لعمر ابنيه زيدا ورقية وماتت أم كلثوم وولدها في يوم واحد وذكر الدارقطني في كتاب الاخوة انه تزوجها بعد موت عمر عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها فتزوجها أخوه محمد ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده قال ابن سعد ولم تلد لاحد من بني جعفر (يوم اصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها) أي مثل هذه المقالة (مالقيت من يوم الاثنين مات فيه جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل عمر بعلي وفيه قتل) علي (أبي) رضي الله عنهم فما لقيت من يوم الاثنين هكذا روي عنها ولكن في قتل عمر اختلاف فروى سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة ان عمر أصيب يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكذا قال أبو معشر وغيره عن زيد بن أسلم وزاد اسمعيل بن محمد بن سعد عن زيد انه دفن يوم الاحد مستهل سنة أربع وقال الليث وجماعة قتل يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة (وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس) أي دخلوا (حين ارتفعت الرنة) أي صوت البكاء (وسجي) أي غطي (رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان) أي افصاح (وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (فيمن كذب بموته و) كان (علي) رضي الله عنه (فيمن اقعد) وكان (عثمان) رضي الله

قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لاتزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها مالقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان

عنه (فمن أخرس نخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجلا من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده الله عز وجل كما واعد موسى) عليه السلام (وهو آتيكم وفي رواية انه قال يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا وأما علي فانه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس) رضي الله عنهما (فان الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا) أي لم ينكفوا (الا بقول أبي بكر) رضي الله عنه (جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهرنا انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال العراقي هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلا انتهى قلت بل رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر بسند ضعيف وعزاه صاحب المواهب لابن المنير قال لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق النطق بالكلام ومنهم من أضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن أخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع النطق وكان علي ممن أقعد فلا يستطيع حراكا وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه وأما قول عمر المذكور فرواه البخاري عن عائشة ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قول أبي بكر له أيها الحالف على رسلك كما سيأتي وعزا الطبري في الرياض النضرة الى تخريج الحافظ أبي محمد حمزة بن الحرث عن سالم بن عبيد الأشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس عمر بن الخطاب قال فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبي بكر فلما رأيته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا الحديث وذكر الطبري أيضا انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لأرجو ان يقطع أيدي رجال وأرجلهم وروى أحمد من حديث عائشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة لعمر يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر ان أبا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين (وبلغ أبا بكر) رضي الله عنه (الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج) قبيلة من الانصار وكانت مساكنهم بالسنح قرب المدينة وكان أبو بكر قد تزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر الانصارية كذا نسبها ابن سعد وكان قد سكن بها هنالك وفي رواية عروة عن عائشة استأذن أبو بكر لما رأى من النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتي بنت خارجة فأذن له فجاء (ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين) قيل هو على حقيقته وأشار بذلك الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع أيدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة أخرى فأخبر انه أكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذي مر على قرية وهذا أوضح الاجوبة وأسلمها وقيل أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسأل ثم يموت وقيل لا يجمع بين موتة نفسك وموتة شرعك وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب أي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا آخر كذا في فتح الباري (فقد والله توفي رسول الله صلى

فمن أخرس نخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل

رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم وفي رواية أنه قال يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا * وأما علي فانه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث ابن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت

قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء العيون فأما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ماخلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ) قال العراقي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي وأمي أنت والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ولهما من حديث ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه لكان الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها لفظ البخاري فيهما انتهى قلت وفي لفظ للبخاري عنها ان عمر قام يقول والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر فأثنى عليه وقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال فنشج الناس يبكون وروى الحافظ أبو محمد حمزة بن الحارث بسنده الى سالم بن عبيد الاشجعي قال أقبل أبو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشأ الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم أتل هذه الآية قط قال الطبري في الرياض وأخرج الترمذي معناه بتمامه وروى أحمد من حديث عائشة سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا الحديث وفيه ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما حديث ابن عباس فسيأتي ذكره قريبا وروى ابن أبي شيبة من حديث ابن عمران أبا بكر مر بعمر وهو يقول مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث قال أبو عبد الله القرطبي وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق رضي الله عنه فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت واضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الآية فرجع عمر عن مقالته التي قالها (وفي رواية ان أبا بكر) رضي الله عنه (لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان) أي تسيلان بالدموع (وغصصه ترتفع) جمع الغصة بالضم وهو ما يغص به الانسان من طعام أو غيظ على التشبيه ومعنى ترتفع أي تكثر (كقصع الجرة) الجرة بكسر الجيم ماتخرجه الابل من كرشها فتجتره (وهو مع ذلك جلد العقل والمقال) أي ثابت العقل فيهما (فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكبر ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة) أي بحيث يتسلون بك (وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك) اذ خيرت بينه وبين الخلد (لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا) أي أفنينا (عليك ماء الشؤن) أي مدامع العيون (فأما ما لا نستطيع نفيه عنا) أي لا نقدر على ازالته (فكمد وادكار محالفان) أي ملازمان (لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ماخلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت في الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واخلفه فينا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بسند ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى

* وعن ابن عمر انه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيأ ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجو وبه فثقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم

فكشف الثوب عن وجهه الحديث الخ انتهى قلت ولفظه جاء أبو بكر وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه
تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مالم ينقطع لموت أحد من الناس ولم يقل وهو النبوة وقال
فعظمت عن الصفة والباقي سواء (تنبيه) تقبيله النبي صلى الله عليه وسلم قد قدمناه من حديث ابن عباس وعائشة
عند البخاري وكذا عند غيره فروى أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة انه أتاه من قبل رأسه فقبل
وجهه ثم قال وانبياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال
واخليلاه وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة فوضع فاه على جبين النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله و يبكي
و يقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وفي جزء ابن عرفة من حديث عائشة ان أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه فقال وانبياه واخليلاه واصفياه (وعن ابن عمر)
رضي الله عنهما (انه لما دخل أبو بكر رضي الله عنه البيت) أي حجرة عائشة (وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا)
أي رفعوا أصواتنا (سمعه أهل المصلى) وهم خارج المدينة (كلما ذكر شيأ ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم
رجل على الباب صيت) أي جهير الصوت (جلد) أي قوي (قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة
الموت الآية ان في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجدة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا
له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد
آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل
مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع)
عليهما السلام (قد حضرا) وفاة (النبي صلى الله عليه وسلم) قال العراقي لم أجد فيه ذكر اليسع انتهى قلت هكذا
أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر قال لما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء أبو بكر حتى دخل عليه فلما رآه مسجى قال انا لله وانا اليه راجعون ثم صلى عليه فرفع أهل البيت
عجيجا سمعه أهل المصلى فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جليد يقول فساقه وفيه بعد قوله فثقوا
فان المصاب من حرم الثواب وفيه وعوضا من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب
فقال أبو بكر هذا الخضر واليأس قد حضرا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر في الاصابة بعد
ان أورده وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف اهـ قلت هو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الازور روى عن أبيه
وعن غيره وفيه وفي أبيه مقال وقد تقدم قريبا ثم قال العراقي وأما ذكر الخضر في التعزية فانكر النووي
وجوده في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب قلت بل قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم
يصححه ولا يصح اهـ قلت وجدت بخط الشمس الداودي مانصه قول الشيخ ان الحاكم لم يصححه صحيح لكنه
مشعر بكونه لم يضعفه وليس كذلك فانه ساقه من رواية عباد بن عبد الصمد ثم قال وعباد ليس من شرط هذا
الكتاب اهـ ثم قال العراقي ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في ازار ورداء
يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله
فانيبوا ونظره اليكم في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يعز الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل
فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا صلى الله عليه وسلم جاء يعزينا عليه
ورواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا اهـ قلت قال ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور حدثنا
كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساقه ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في المستدرك وهو الذي أشار اليه العراقي بقوله ولم يصححه ولا يصح
أي لاجل عباد فانه ضعفه البخاري والعقيلي وقال أبو حاتم ضعيف جدا وقد أخرجه الطبراني في الاوسط

عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس ثم قال العراقي ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث
علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آت يسمع حسه ولا يرى شخصه قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ان في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي تدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام
وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن
الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر للخضر اه قلت روى هذا الحديث
من طرق منها قال ابن أبي حاتم في التفسير حدثنا أبي أنبانا عبد العزيز الاويسي حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي
عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه ان علي بن أبي طالب قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت
التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس
ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة فساقه وفيه فان المصاب من حرم
الثواب ولم يقل السلام عليكم ثم قال قال جعفر أخبرني أبي ان علي بن أبي طالب قال تدرون من هذا هذا الخضر
ورواه محمد بن منصور الحوار عن محمد بن جعفر بن محمد وعبد الله بن ميمون القداح جميعا عن جعفر بن محمد عن
أبيه عن علي بن الحسين سمعت أبي يقول لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه
ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة فساقه سياق ابن أبي الدنيا
قال ابن الجوزي تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف قال ورواه الواقدي وهو كذاب
ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر وابن أبي عمر مجهول قال الحافظ في الاصابة وهذا الاطلاق ضعيف فان
ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروي
وهذا الحديث فيه أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال أخبرني أبو محمد بن
القيم أنبانا أبو الحسن بن البخاري عن محمد بن معمر أنبانا سعيد بن أبي رجاء أنبانا أحمد بن محمد بن النعمان
أنبانا أبو بكر بن المقري أنبانا اسحق بن أحمد الخزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن
جعفر قال كان أبي هو جعفر محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب انه دخل عليه نفر
من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبي القاسم قالوا بلى فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وفي آخره فقال جبريل يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل
البيت ورحمة الله في الله عزاء من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر
انتهى ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر وغيره
وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله الى أخيه
المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين وعاش سبعين سنة قال البخاري أخوه اسحق أوثق منه
انتهى ومنها ما أخرجه البيهقي في الدلائل قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو جعفر البغدادي حدثنا
عبد الله بن عبد الرحمن الصغاني حدثنا أبو الوليد المخزومي حدثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص
فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قلت هكذا أخرجه الحاكم وزعم
ان أبا الوليد المخزومي هو هشام بن اسمعيل الصغاني ثقة مأمون كذا قال وقال الداودي كما وجد بخطه والذي
أظن انه خالد بن اسمعيل وهو كذاب قلت أنس بن عياض مدني ثقة روى له الجماعة مات سنة مائتين عن ست

واستوفى القعقاع بن عمرو وحكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد (٣٠٢) أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد ان الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله تقدم اليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فان الله قد عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت

وتسعين والراوي عنه أبو الوليد ان كان كما زعم الحاكم فهو دمشقي يكنى أبا عبد الملك ووفاته سنة ست عشرة فقد أدرك من عمره نحوا اثنتي عشرة سنة وكون راويه عبد الله بن عبد الرحمن صغانيا يقوي انه هو وان كان هو خالد بن اسمعيل فهو مدني قال ابن عدي كان يضع الحديث ولهم رجل آخر سمي بهذا الاسم وروى عن عوف وهو مجهول قال الذهبي ولعله المخزومي وقال البيهقي أيضا أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الاحمسي حدثنا الحسين ابن حميد بن الربيع اللخمي حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيبان بن حاتم حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي حدثنا الحسين بن علي عن محمد بن علي هو ابن الحسين بن علي قال لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبريل فذكر قصة الوفاة بطوله وفيه فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية (واستوفى القعقاع بن عمرو) التميمي أخو عاصم (حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه) وكان القعقاع من الشجعان الفرسان قيل ان أبا بكر كان يقول لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم وهو الذي غنم في فتح المدائن ادراع كسرى وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى فارسلها سعد الى عمر قال ابن عساكر يقال ان له صحبة كان أحد فرسان العرب وشعرائهم شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق وله في ذلك أشعار مشهورة وقال ابن السكن ويقال هو القعقاع بن عمرو بن معبد التميمي (فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد يا أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم) رواه بطوله سيف بن عمر التميمي في كتاب الفتوح له عن عمرو بن تمام عن أبيه عن القعقاع قال ابن أبي حاتم سيف متروك وأخرجه ابن السكن من طريق ابراهيم بن سعد عن سيف بن عمر عن عمرو عن أبيه وقال سيف بن عمر ضعيف قلت هو من رجال الترمذي وهو وان كان ضعيفا في الحديث فهو عمدة في التاريخ مقبول النقل (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت

الذي بلغني انك تقول مامات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وأن الله حي لايموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى أبي بكر * وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ماندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى مابقي منهم رجل الا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لايدري من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغوا من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا مانشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون

الذي بلغني انك تقول مامات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال) عمر رضي الله عنه (والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا) أي من الدهشة والحيرة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشهد أن الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لايموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى أبي بكر) رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس ياعمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت قال قال الله عزوجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع أحدا من الناس الا يتلوها وروى أبو نصر الوائلي في كتاب الابانة عن أنس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب يقول حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال أما بعد فاني قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ماوجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا أي يكون آخرنا موتا فاختار الله عزوجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ وقال صاحب المواهب ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه ورجع الى قوله قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا الى آخره وهو طويل ذكره أبو العباس العقاد في شرحه لبردة البوصيري ونقله الرشاطي في اقتباس الانوار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه (وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ماندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى مابقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل لايدري من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن) رواه البيهقي في الدلائل وفيه ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو غسلوا النبي صلى الله عليه وسلم في ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص (وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لاتخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا مانشاء ان يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون) وقد صح انه غسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا أنت فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه

رواه البزار والبيهقي وروى البيهقي عن الشعبي قال غسل على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى أبو داود والحاكم وصححه عن على قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيأ كان طيبا حيا وميتا وفي رواية لابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وقتل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روى عن جعفر بن محمد قال كان الماء ينتقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم وكان على يحسوه وأما ماروى ان عليا لما غسله امتص ماء محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علم الاولين والآخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت كفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية بيض أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم أما الحلة فانما شبه على الناس انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن أبي بكر فقال لاحبسنها حتى أكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية في ثوبين وبردة حبرة فقالت قد أتى بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة أثواب سحولية جدد وقال الترمذي روى في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عائشة أصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال أبو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن على وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وروى أحمد من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة أثواب فقال ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل أو ممن بعده (فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظانا على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه) قال العراقي الذي وضع المفرشة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا ولمسلم والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس قال جعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء اهـ قلت في حديث عائشة المتقدم في التكفين دلالة ظاهرة على ان القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو أبقى مع رطوبته لافسد الاكفان قال وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب وقميصه الذي توفي فيه فضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقات اهـ والقطيفة التي فرشها شقران هي النجرانية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتغطى بها وروى أنه قال والله لا يلبسها أحد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا بأس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور وأجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهته ان يلبسها أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ونقل الزين المراغي في تحقيق النصرة عن ابن عبد البر أنه قال أخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة

(فصل) روى ابن ماجه من حديث ابن عباس قال لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغوا دخل

الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفي رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا وروى انه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن عباس فأمرهم أن يسألوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الزين المراغي في تحقيق النصرة (فلم يترك بعد وفاته) صلى الله عليه وسلم (مالا) كما تقدم (ولا بنى) صلى الله عليه وسلم (في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة) كما تقدم (ففي وفاته) صلى الله عليه وسلم (عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة) روى ابن ماجه في سننه أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته عن المصيبة التي تصيبه بعدي فان أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي وروى بقي بن مخلد والباوردي وابن شاهين وابن قانع وأبو نعيم كلهم في المعرفة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه رفعه من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها أعظم المصائب وقال أبو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة ولله در القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم فان المرء غير مخلد
واذا أتتك مصيبة تشجى لها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف كما تقدم وذلك وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد حر الضحى ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وعنده أيضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده أيضا عن عثمان بن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعاء وروى أيضا عن أبي بن عباس بن سهل بن سعد الانصاري عن أبيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الاربعاء وقد رثي صلى الله عليه وسلم بمراث كثيرة فمنها قول عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أضحى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
ولو ان رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * سيبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ومنها قول ابن عمه سفيان بن الحرث رضي الله عنه

أرقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول * واسعدني البكاء وذلك فيما
أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة

واضحت ارضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به و يغدو جبرئيل * وذاك احق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلوا الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول * و يهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ومنها قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

بطيبة رسم للرسول ومعهد * منير وقد تعفو الرسوم وتهمد * ولا تمتحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد * وأوضح آيات و باقي معالم * و ربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء و يوقد * معارف لم تطمس على العهد آيها
أتاها البلى فالآي منها تجدد * عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها واراه في الترب ملحد
فبوركت يا قبر الرسول و بوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد * وبورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح منضد * تهيل عليه الترب أيد وأعين * تباكت وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما و رحمة * عشية عالوه الثرى لا يوسد * وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد * يبكون من تبكي السموات موته * ومن قد بكته الارض فالناس أكمد
وقد عدلت رزية مالك * رزية يوم مات فيه محمد

و رثاه حسان أيضا بقوله

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت) رواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني حدثنا خلف بن هشام حدثنا خالد عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابي بكر في مرضه

اباوي مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال لها أبو بكر لا تقولي ذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظري يابنية ثوبي هذين اغسليهما فكفنيني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد انما هما للمهل ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الحناط عن اسمعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما احتضر أبو بكر فساقه كالمصنف وفي آخره هذه قراءة أبي بكر سكرة الحق بالموت ورواه ابن الجوزي من طريقه ورواه أحمد وابن حرب من هذا الوجه الا أنهما قالا تمثلت عائشة بهذا البيت * أعاذل مايغني الحذار عن الفتى * وفيه فقال أبو بكر ليس كذلك يابنية ولكن قولي وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن فضيل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت لما احتضر أبو بكر قال في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت في ثلاثة أثواب سحول قال فنظر الى ثوب خلق عليه فقال اغسلوا هذا وزيدوا عليه ثوبين آخرين فقالت بل نشتري لك ثيابا جددا فقال الحي أحق بالجديد من الميت انما هي للمهلة قال وحدثنا سفيان بن عيينة عن عمر وعن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قال أبو بكر في كم كفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت في ثلاثة أثواب قال فاغسلوا ثوبي هذين واشتروا الى ثوبا من السوق قالت انا موسرون قال يابنية الحي أحق بالجديد من الميت انما هو للمهلة

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت لعمرك مايغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت

والصديد قال وحدثنا على بن مسهر عن عبيد الله عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال كفن أبو بكر فى ثوبين سحوليين ورداءله ممشق أمر به أن يغسل وقال أحمد فى الزهد حدثنا محمد بن مبشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ان أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال أى يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال فان مت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغدوان أحب الايام والليالى الى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحمد وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضى الله عنه قال أى يوم هذا قلنا يوم الاثنين قال فأى يوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا يوم الاثنين قال فانى أرجو ما بينى وبين الليل قالت وكان عليه ثوب به ردع من مشق قال اذا أنا مت فاغسلوا ثوبى هذا وضموا اليه ثوبين جديدين وكفنونى فى ثلاثة أثواب فقلنا أفلا نجعلها جددا كلها قال لا انما هى للمهلة فمات ليلة الثلاثاء (وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه محمد بن محمد بن الفضل عن محمد بن على بن ميمون حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن القاسم بن محمد ان عائشة تمثلت وأبو بكر رضى الله عنه فى الموت فساقه هكذا رواه أبو عبيد فى فضائله وابن المنذر الا انهما قالا ثمال اليتامى بدل ربيع وفيه قال أبو بكر بل جاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد قدم الحق وأخر الموت (ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى طبيبى وقال انى فعال لما أريد) رواه أحمد فى الزهد عن وكيع عن مالك بن مغول عن أبى السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا ألا ندعو لك الطبيب قال قد رآنى قالوا فأى شئ قال قال انى فعال لما أريد ورواه أبو نعيم من طريقه وقال ابن ابى شيبة فى المصنف حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن مالك عن أبى السفر قال دخل على أبى بكر ناس من اخوانه يعودونه فى مرضه فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى قالوا ماذا قال لك قال قال انى فعال لما أريد (ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك) الشطر الاول منه قد يأتى من حديث سلمان حدثه بذلك عند احتضاره والشطر الثانى رواه ابن ماجه وابن عساكر من حديث أبى بكر بلفظ من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى عهده فمن فعله طلبه الله حتى يكبه فى النار على وجهه وقد روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة روى الطبرانى من حديث أبى بكرة من صلى الصبح فهو فى ذمة الله يا ابن آدم لا يطالبنك الله بشئ من ذمته وفى لفظ فمن أخفر ذمة الله كبه الله فى النار على وجهه وروى أحمد من حديث ابن عمر من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله فلا تخفروا الله فى ذمته فان من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه وروى صاحب الحلية من حديث أنس من صلى صلاة الغداة فهو فى ذمة الله فاياكم ان يطالبكم الله بشئ من ذمته ورواه كذلك أبو يعلى والحكيم وروى صاحب الحلية من حديث جندب من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى ذمته وعند الطيالسى وأحمد ومسلم والترمذى بلفظ فلا يطلبنكم الله بشئ من ذمته فانه من يطلبه من ذمته بشئ يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم وعند ابن حبان بلفظ من صلى الغداة فهو فى ذمة الله فاتق الله يا ابن آدم ان يطالبنك الله بشئ من ذمته وروى الترمذى من حديث أبى هريرة من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشئ من ذمته ورواه ابن ماجه والطبرانى من حديث سمرة بلفظ فلا يطلبنكم الله وعند أحمد والرويانى من حديث سمرة مثله وفيه فلا تخفروا الله فى ذمته (ولما ثقل أبو بكر رضى الله عنه وأراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقه لك خير خلقك) رواه صالح بن رستم عن ابن أبى مليكة عن عائشة بلفظ فقالوا يسئلك ان تولى علينا عمر وأنت ذاهب الى ربك فماذا تقول له قال اجلسونى اجلسونى أقول وليت عليهم خيرهم وروى نحوه أبو عاصم

وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى طبيبى وقال انى فعال لما أريد ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك

النبيل عن عبيد الله بن زياد عن يوسف بن ماهك عن عائشة ورواه سيف فى الفتوح عن عمرو بن محمد ومجالد عن الشعبي نحوه أطول منه وفيه فقالوا ماذا تقول لربك قال أقول استخلفت عليهم خير ملك قال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة حدثنا أبو صالح الفراء حدثنا الهيثم بن جبلة عن مبارك عن الحسن قال لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه قال أيها الناس قد حضرنى من أمر الله تعالى وقضائه ما ترون وانه لابد لكم من رجل يلى أمركم و يصلى بكم و يقاتل عدوكم ويقسم بينكم فيئكم فان شئتم اجتمعتم فامرتم فاستعملتم وان شئتم ان اجتهد لكم رأيي فوالله لا آلوكم ونفسى خيرا قال فبكى الناس وقالوا أنت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال فانى أختار لكم عمر بن الخطاب قال الحسن ودموعه تحدر من عينيه فاختار والله الذى لا اله الا هو خيارا يتعرفون منه فى كل يوم يأتى عليهم المزيد فى دنياهم حتى قتل رضى الله عنه قال وحدثنا أبو يعلى محمد بن شداد ابن عيسى المسمعى زرقان حدثنا أبو عبد الرحمن العتبى حدثنا أبو ابراهيم العامرى قال أوصى أبو بكر الصديق عند وفاته هذا ما عاهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل يوم من الآخرة داخلا فيها وآخر يوم من الدنيا خارجا منها انه قد ولى عمر بن الخطاب فان يعدل و يحسن فذلك ظنى به وأملى فيه وان خالف فعليه ما اكتسب ولا أعلم الغيب وانما أردت الخير وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وقال أيضا حدثنا محمد ابن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه انه دخل على أبى بكر فى مرضه الذى توفى فيه فأصابه مضيق فقال له عبد الرحمن أصبحت والحمد لله بارئا قال له أبو بكر أترى ذلك قال نعم قال انى على ذلك لشديد الوجع وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى انى وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك أنفه يريد ان يكون الامر له ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الازرى ولان يقام أحدكم على حسك السعدان خير له من المكاثرة ولان يقدم أحدكم فتضرب رقبته فى غير حد خير له من ان يخوض غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غدا فتصفحونهم عن الطريق يمينا وشمالا يا هادى الطريق انما هو الفجر أو البحر فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس فى أمرك بين رجلين اما رجل وافقه ما صنعت فهو معك واما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك ولم تزل صالحا مصلحا مع انك لا تأسى على شئ من الدنيا قال أبو بكر أجل انى لا آسى على شئ من الدنيا الا على ثلاث فذكر الحديث بطوله وفى آخره قال يحيى قدم علينا علوان بعد وفاة الليث فسألته فحدثنى به كما حدثنا الليث حرفا حرفا وأخبرنى ان اسمه علوان بن داود قلت ورواه الطبرانى مختصرا فقال حدثنا أبو الزنباع حدثنا سعيد بن عفير حدثنى علوان ابن داود البجلى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال دخلت على أبى بكر فى مرضه الذى توفى فيه فسلمت عليه فقال رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل فساقه الى قوله فى غمرة الدنيا قال الذهبى فى الضعفاء علوان بن داود و يقال ابن صالح البجلى قال البخارى منكر الحديث وقال صاحب كتاب المتفجعين أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا محمد بن عبد الله بن السطر أبو عبيد حدثنا شهاب بن عباد حدثنا على بن المنذر القرشى حدثنى عثمان بن يزيد الكنانى عن رجل من قريش عن معيقيب بن أبى فاطمة قال كنت ألى نفقة أبى بكر فدخلت عليه فى مرضه الذى توفى فيه فوجدت عنده نسوة من بنى تيم بن مرة عوائد فهن فى جانب البيت وهو مستخل بطلحة بن عبيد الله وهو يعاتبه فى عمر بن الخطاب فسمعت أبا بكر رافعا صوته يقول لا ولا كرامة ولا نعمة عين لو فعلت لجلعت أنفك فى قفاك ولما أخذت من أهلك حقا ولا رفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله الذى يضعك أتيتنى وقد دلكت عينك تريدان تفتننى عن دينى وتلفتنى عن رأيى قم لا أقام الله رجليك فلان بلغنى انك غمصته اوذكرته بسوء لالحقنك بحمضات قنة حيث كنتم ترعون فلا تشبعون وتوردون فلا تردون وأنتم تجعون راضون ستعلمون اذا فقدتموه وفارقتموه كيف تقتلون وأين تقتلون هو والله خير لكم وأنتم والله شر لهم فقام فخرج اذ قيل له هذا عثمان وعلى بالباب فاذن لهما فدخلا فسلما وقالا كيف تجدك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

أجدني وجعا وأظنها هي قالا بل العافية ان شاء الله قال أنا ميت في مرضي هذا ثم ذكر لهما رؤيا رآها ثم قال فلعلكما تقولان في عمر ما قال طلحة آنفا قالا وما قال قال زعم ان عمر أدنا كم بيتا وأقلكم عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى قال عثمان كذب طلحة وبئس ما قال عمر بحيث تحب من فضله وسابقته وقال علي انك طلحة وبئس ما قال عمر من سابقته وفضله ولا نعلم الا خيرا وقد كان والياً معك تحتظي برأيه فدع عنك مخاطبة الرجال وامض لما أردت فان يكن ما أردت فله عمدت وان يكن ما لا يكون ان شاء الله فلا نعلمك أردت الا خيرا قال رحمكما الله ونهضا والتفت الي فقال يا ابن أبي فاطمة ما يقول الناس في عمر قلت أحبه قوم وكرهه آخرون قال فمن أحبه أكثر أم من كرهه قلت بل من كرهه أكثر فوجم لها ثم قال قد يحب الشر ويكره الخير فلم ألبث ان قيل هذا عمر بالباب فندمت على ما فرط مني وكان عمر لي صديقا فاذن له فدخل فقال يا عمر خافك الناس كرهك الناس قال عمر دعها عني يا خليفة رسول الله فلا حاجة لي بها قال اسكت لا سكت لكن بها اليك أعظم الحاجة قال له كيف تجدك قال أجدني وجعا وأظنها هي وقص رؤياه عليه قال عمر ما نرى بك بأسا وما أتهمك على الله والخوف من الموت وان خير يوميك اليوم الذي تقدم فيه على ربك قال أبو بكر رضي الله عنه وددت انه كذلك فلم أبال متى مت قال فان كنت ترى أنك ميت فذم لي في أهل دباء قال اليك عني فطالما خاطبتني في أهل دباء ولم أر سوالك خاطبني فيهم وما ترددت في شيء ترددي فيهم ولكن احفظ عني اذا جبت فلتهعر يدك فالك حتى يشبع من حبيت له فان نازعتك نفسك في مشاركتهم فشاركهم غير مستأثر عليهم واياك والذخيرة فان ذخيرة لامام تهلك دينه وتسفك دمه وخرج عمر رضي الله عنه فالتفت الي فقال ما الحساب بيننا وبينك قلت بقيت لي عليك ثمانية عشر درهما أنت منها في حل فقال مه لا تزودني حراما يا عائشة ائتيني بثمانية عشر درهما فدفعها الي وخرجت فكان آخر العهد به رضي الله عنه (ثم أرسل الى عمر رضي الله عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر أهل الجنة باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر أهل النار باسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجزه) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا عبد الله بن ادريس عن اسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل الى عمر فقال اني موصيك بوصية ان حفظتها فساقه وفيه ألم تر ان الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا وفيه وذكر أهل النار بسيء ما عملوا وفيه فيكون المؤمن راغبا راهبا وفي آخره ولن يعجزه والباقي سواء ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا مطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الموت دعا عمر فقال له اتق الله يا عمر واعلم ان لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل فساقه وفيه وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه فاذا ذكرتهم قلت اني لاخاف ان لا الحق بهم وان الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم باسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه فاذا ذكرتهم قلت اني لارجو ان لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبا راهبا والباقي سواء (وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من أصحابه) عائدين (قالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال أبو بكر رضي الله عنه

ثم أرسل الى عمر رضي الله عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم أن لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان لله حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يخف وان الله ذكر أهل الجنة باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار باسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل انا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب ابغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه وقال سعيد ابن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك فقال أبو بكر

من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل

(وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بينى وبينه الا عبد الله ابن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى اذا لم يرفيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول امرت قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة ابن شعبة فقال عمر رضى الله عنه قاتله الله لقد كنت

من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع) أى موضع واسع (بين يدى العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان) وهى هذه (اللهم أنت ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك جعلت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك ان أشاء ما يقربنى اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم ومن أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فانك ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر) رضى الله عنه (هذا كله فى كتاب الله عز وجل) أى معانيها منتزعة منه وماذكره من الجزاء المترتب لقائل هذه الكلمات مثله لا يكون من قبل الرأى والله أعلم

(وفاة عمر رضى الله عنه)

(قال عمرو بن ميمون) بن مهران الجزرى أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل مات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة (كنت قائما غداة أصيب عمر) رضى الله عنه (ما بينى وبينه الا عبد الله بن عباس) رضى الله عنه (وكان) عمر (اذا مر بين الصفين) من صفوف الصلاة (قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا) أمرهم بتسوية الصف (حتى اذا لم ير خللا تقدم فكبر) للصلاة (قال وربما قرأ) فى صلاة الغداة (سورة يوسف أو سورة النحل أو نحو ذلك) من السور الطوال (فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس) ويدخلون فى الصلاة (فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلنى أو) قال (أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة) غلام المغيرة بن شعبة (وطار العلج) يريد به المذكور فانه كان مجوسيا (بسكين ذات طرفين) نصابها فى الوسط (لا يمر على أحد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا) فى المسجد (فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين) من حاج العراق (طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ) اذ كثرت عليه الناس (نحر نفسه) بتلك السكين (وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه) للصلاة اذ كان قريبا منه (فاما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأى وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر) رضى الله عنه (وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال) عمر (يا ابن عباس انظر من قتلنى قال فغاب) ابن عباس (ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت

أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت أي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما أدبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام

فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من أموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم وأدعني هذا المال انطلق الى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع

صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان أذنت فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كهيئة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا

أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت أي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس به (فاتي) بالطبيب فامره (بنبيذ فشرب فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت) لنفوذ الجرح الصفاق (قال فدخلت عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض) أي من طوله (فقال ردوا علي الغلام) فردوه (فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك) عن الارض (فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك) روى أحمد وابن سعد والبيهقي عن الاشعث بن سليم عن عمته عن عمها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل ارفع ازارك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك امالك في اسوة (ثم قال) لولده عبد الله بن عمر (يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا) درهما (ونحوه فقال ان وفى به مال آل عمر) هم أهله من أولاد وأزواج (فاده من أموالهم والا فسل في بني عدي ابن كعب) وهم عشيرته الادنون (فان لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم) أي لا تجاوزهم (الى غيرهم وادعني هذا المال انطلق الى أم المؤمنين عائشة) رضي الله عنها (فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله) ابن عمر الى عائشة رضي الله عنها (فسلم) على الباب (واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل) من عندها (قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين) قد (أذنت) ان تدفن مع صاحبيك (فقال الحمد لله الذي ما كان شئ أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني) الى حجرتها (ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة) رضي الله عنها (والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة) وسيأتي انه منعها من النوح والتعديد (واستأذن الرجال فولجت داخلا) معهم (فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا اوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر) الستة (الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد) بن أبي وقاص (وعبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنهم (وقال يشهدكم عبد الله بن عمر) يعني ولده (وليس له من الامر شئ) أي لا يستحق في الامارة شيأ (كهيئة التعزية) له والتسلية (فان أصابت الامارة سعد) بن

فذاك والا فليستعن به أيكم أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم فضلهم و يحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بأهل الانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الامصار خيرا فانهم رده الاسلام وجباة الاموال و غيظ العدو وان لا يؤخذ منهم الافضلهم عن رضامنهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام وان يأخذ من حواشي أموالهم و يرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله عزوجل وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل لهم من ورائهم ولا يكلفهم الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبدالله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فادخلوه في موضع هنالك مع صاحبيه الحديث

أبي وقاص (فذاك) هو المظنون فيه (والا فليستعن به) أي برأيه ومشورته (أيكم أمر) أي جعل أميرا (فاني لم أعزله) عن الكوفة (من عجز) في رأيه (ولا من خيانة) في دينه وكان عمر قد أمره على الكوفة سنة احدى وعشرين ثم عزله (وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي) بجنازته الى حجرة أم المؤمنين عائشة (فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث) الخ وهو فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى الى علي وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت امرى الى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن فقال عبد الرحمن لهما أيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لننظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة قال فاسكت الشيخان فقال اجعلاه الى والله على لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي فقال لك من القدم في الاسلام والقرابة ما قد علمت آلله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال لعثمان ارفع يدك فبايعه ثم بايع له علي ثم ولج أهل الدار فبايعوه رواه بهذا السياق البخاري فقال حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن ميمون انه رأى عمر قبل ان يصاب بأيام وقف على حذيفة وابن حنيف الى ان قال فاذا رأى خللا قال استووا فساقه وفيه فتلني الكلب ولم يشك وفيه بسكين ذى طرفين ولم يذكر بعده الى ان قال فاما نواحي المسجد فانهم لا يدرون بل فقدوا صوت عمر ولم يقل فاما من كان يليه وفيه لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الاسلام وفيه فقال ابن عباس ان شئت ولم يقل فعلت وفيه فاستقى لبنا فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت ولم يذكر فيه قصة رد الغلام ولا وصيته في قضاء الدين ولا وصيته بالمهاجرين وأهل الامصار والاعراب وقد رواه بهذه الزيادات البخاري والنسائي من طريق جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب قبل ان يصاب بثلاث أو أربع واقفا على ناقته على حذيفة وعثمان بن حنيف وهو يقول لعلكما حملتما الارض يعني من الخراج ما لم تطق فساق الحديث وفيه فما أتت عليه ثلاث حتى أصيب قال وكان اذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة قام بين كل صفين فساقه كسياق المصنف وفيه مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من حاج العراق برنسا فاخذه وفيه فخال ابن عباس ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال آلصنع قال آلصنع قال قاتله الله وفيه والناس يقولون لا بأس عليك فاتى بنبيذ فشرب به فخرج من جرحه فعرف انه الموت فقال لابنه عبد الله انظر ما كان على من دين قال ستة وثمانون ألفا قال ان وفى الخ الى ان قال واذهب الى عائشة فساقه الى ان قال فلما جاء ابن عمر قال عمر اقعدوني فاسنده رجل الى صدره فقال لابن عمر ما لديك الخ وفيه وليس له من الامر شئ فمن استخلفوه فهو الخليفة بعدى فان أصابت سعدا والا فليستعن به الخليفة فاني لم أنزعه من ضعف ولا خيانة ثم ذكر قصة الغلام وقوله يا ابن أخي ارفع ازارك ثم ذكر وصيته بالمهاجرين وأهل الامصار والاعراب وأهل الذمة وفيه فلما توفي جعل فكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ حتى اذا دنا ابن عمر سلم على عائشة ثم قال استأذن عمر فاذنت له وقالت له ادخله هذا آخر سياقها بن طريق جرير وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني حدثنا شبابة ابن سوار حدثني فرات بن السائب عن ميمون بن مهران قال لقيت ابن عمر بالمدينة فقلت اني لاحب ان أعلم كيف كان قتل عمر رضي الله عنه فقال صنع فيروز غلام المغيرة مدية لها رأسان مقبضها في وسطها فدخل المسجد صلاة الفجر وعمر رضي الله عنه معه درته يأمر الناس بتسوية الصفوف فطعنه تسع طعنات فقال عمر دونكم الكلب فقد قتلني

فثار بالناس فجعل لايدنو اليه أحد الا أهوى اليه فطعنه فطعن يومئذ ثلاثة عشر انسانا فمات منهم ستة فى المسجد واحتمل عمر رضى الله عنه الى بيته وأدخل الناس الى منزله فقال لى اى بنى أخرج الى الناس فسلهم أعن ملامنهم كان هذا فلما ذكرت ذلك لهم قالوا معاذ الله وحاشا الله لوددنا انا فديناه بالآباء والابناء والله ماأتى علينا يوم قط بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا اليوم وكان أول من دخل عليه على بن أبى طالب وعبد الله ابن عباس فنظر اليه ابن عباس فبكى وقال ابشر يا أمير المؤمنين بالجنة فقال يا ابن عباس اتشهد لى بذلك فكأنه كاع فضرب على كاع منكبه وقال أجل فاشهد له وأنا على ذلك من الشاهدين فقال عمر بن الخطاب وكيف فقال ابن عباس كان اسلامك عزا وولايتك عدلا ومنيتك شهادة فقال والله لاتغر وانى من ربى وذنبى ثكلت عمر أمه ان لم يغفر له ربه ثم قال لى ضع رأسى بالارض ثكلتك أمك قال وحدثنا عبد الملك الميمونى حدثنا حوذة حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال لما طعن عمر رضى الله عنه جعل الناس يقولون انه لا بأس عليك فقال عمر للطبيب انظر فادخل يده فنظر فقال ماوجدت فقال قد بقى من وتينك ماتقضى منه حاجتك قال أنت أصدقهم وأخبرهم فقال له رجل قال ابن عون أراه ابن عباس والله انى لارجو ان لاتمس النار جلدك فنظر اليه نظرا اشديدا حتى وثيناله ثم قال ان علمك بذلك يا ابن فلان لقليل لو ان لى ماعلى الارض من شئ لافتديت به هول المطلع وقال الذهبى فى مناقب عمر روى الاعمش عن ابراهيم التيمى عن عمرو بن ميمون رأيت عمر يوم طعن وعليه ثوب أصفر فجروهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وروى يحيى بن أيوب عن يونس عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله ان ابن عباس أخبره انه جاء عمر حين طعن فاحتمله هو ورهط حتى ادخل بيته قال ثم غشى عليه فلم يزل فى غشيته حتى اسفر ثم أفاق فقال هل صلى الناس قلنا نعم قال لا اسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ وصلى وقال الحمد لله الذى قتلنى من لايحاجنى عند الله بصلاة صلاها وكان مجوسيا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا ويستأذنه ان يدخل المدينة ويقول ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس انه حداد نقاش نجار فاذن له أن يرسله الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر قال فجاء الى عمر يناشده شدة الخراج فقال له عمر ماخراجك بكثير فى كنه ماتعمل فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالى ثم دعاه فقال ألم أحدث انك تقول لوشاء لصنعت الطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر أوعدنى العبد آنفا ثم اشتمل أبولؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فخرج عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر فلما دنا منه عمر وثب فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهى التى قتلته ثم مال على أهل المسجد حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا ثم انخنس بخنجره فقال عمر قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلب عمر نزف الدم حتى غشى عليه قال ابن عباس فاحتملت عمر فى رهط حتى أدخلناه فلم أزل عنده ولم يزل فى غشيته واحدة حتى أسفر ثم أفاق فنظر فى وجوهنا فقال أصلى الناس قلت نعم قال لا اسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ ثم صلى يعنى فى دمائه وكان أبولؤلؤة مجوسيا وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال جئت من السوق وعمر يتوكأ على فمر أبولؤلؤة فنظر الى عمر نظرة ظننت انه لولا مكانى بطش به فجئت بعد ذلك الى المسجد لصلاة الفجر فانى لبين النائم واليقظان اذ سمعت عمر يقول قتلنى الكلب فماج الناس ساعة ثم اذا قراءة عبد الرحمن بن عوف وقال ثابت البنانى عن أبى رافع قال كان أبولؤلؤة عبد المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقى عمر فقال يا أمير المؤمنين ان المغيرة قد أثقل على فكلمه فقال أحسن الى مولاك ومن نية عمر ان يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه فجاء فقام خلف عمر فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر مات منهم ستة وحمل عمر الى أهله وكادت الشمس ان تطلع فصلى عبد الرحمن بالناس بأقصر سورتين وسقى عمر نبيذا فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا لابأس عليك فقال ان يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال اما

والله وددت انى خرجت منها كفافا لا على ولا لى وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى وأثنى عليه ابن عباس فقال لو ان لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى فى هؤلاء الستة وأمر صهيبا ان يصلى بالناس وأجل الستة ثلاثا و روى الاوزاعى ومسعر عن سماك الحنفى عن ابن عباس قال دخلت على عمر حين طعن فقلت أبشر يا أمير المؤمنين والله لقد مصر الله بك الامصار وأوسع بك الرزق وأظهر بك الحق فقال وددت انى أنجو كفافا لا أجر ولا وزر و روى أبو عوانة عن داود بن عبد الله عن حميد بن عبد الرحمن الحميرى قال حدثنا ابن عباس قال أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال احفظ منى ثلاثا انى أخاف ان يدركنى الناس أما انا فلم أقض فى الكلالة قضاء ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لى عتيق فقال له الناس استخلف فقال ان ادع الناس فقد تركه نبى الله صلى الله عليه وسلم وان استخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر و روى عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن كثير النواء عن أبى عبيد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال كنت مع على فسمعت الصيحة على عمر فقام وقمت معه حتى دخلنا على عمر البيت فقلت ماهذا الصوت قالت امرأة سقاه الطبيب نبيذا فخرج وسقاه لبنا فخرج فقال لا أرى ان تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقالت أم كلثوم واعمراه وكان معها نسوة يبكين معها وارتج البيت بكاء فقال عمر والله لو ان لى ما على الارض من شئ لافتديت به من هول المطلع وقال ابن عباس والله انى لارجو أن لا تراها الا مقدار ما قال الله تعالى وان منكم الا واردها ان كنت ما علمنا لامير المؤمنين وأمين المؤمنين وسيد المؤمنين تقضى بكتاب الله وتقسم بالسوية فأعجبه قولى فاستوى جالسا فقال أتشهد لى بهذا يا ابن عباس قال فكففت فضرب على رضى الله عنه كتفى فقال اشهد قلت نعم أنا أشهد و روى مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر من قتلنى قيل أبو لؤلؤة قال الحمد لله الذى لم يقتلنى رجل يحاجنى بلا اله الا الله فوضعت رأسه على فخذى فقال ألصق خدى بالارض ففعلت فقال ويل عمر و ويل أم عمر ان لم يغفر الله لى وقال يزيد بن هرون حدثنا جرير بن عثمان حدثنا حبيب بن عبيد عن المقدام بن معدى كرب قال دخلت حفصة على عمر فقالت يا صاحب رسول الله ويا صهر رسول الله ويا أمير المؤمنين فقال لابنه اجلسنى فلا صبر لى على ما أسمع وقال لها انى أحرج لمالى عليك من الحق ان تندبينى بعدها فاما عينيك فلا أملكهما انه ليس من ميت يندب بما ليس فيه الا مقته الملائكة و روى حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال لما طعن عمر صرخت حفصة فقال يا حفصة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المعول عليه يعذب وجاء صهيب فقال واعمراه فقال ويلك يا صهيب أما بلغك ان المعول عليه يعذب وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا أبو أسامة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد حدثنى يحيى ابن أبى راشد البصرى قال لما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه يا بنى ادن منى فضع ركبتيك بين كتفى وضع راحتك اليمنى على جبينى واليسرى تحت ذقنى وراعنى فاذا مت فاغمض بصرى وغسلونى وأحسنوا غسلى وكفنونى فى ثوبين ولا تغالوا فى كفنى فان يكن ربى عز وجل راضيا عنى فان يرضى لى بثيابكم حتى يكسونى من ثياب الجنة وان يكن على ساخطا فانه يسلبنى سلبا سريعا ويلبسنى شر الثياب فاذا حفرتم قبرى فاحفر واقدر مضجعى فان يكن عنى راضيا فسيوسعه مد بصرى وان يكن على ساخطا فسيضيقه على حتى تختلف أضلاعى فاذا احتملتمونى فاسرعوا بى فانما هو خير تردونى اليه أو شر تلقونه عن أعناقكم ولا تمشين مع جنازتى امرأة ولا تتبعنى نائحة ولا تزكونى فربى أعلم بى فاذا وضعتمونى فى حفرتى فقولوا اللهم باسمك وعلى ملتك وملة رسولك وفى سبيلك أسلمه اليك الاهل والولد والمال والعشيرة فاغفر له اللهم وارحمه ثم اقرأ عليكم السلام حتى ألقاكم

(وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر) قال العراقى رواه الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات انتهى قلت قال فيه حدثنا محمد بن عبد الحميد الواسطى حدثنا محمد بن رزق الله حدثنا حبيب بن ثابت حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن ابن شهاب عن سعيد عن أبى بن كعب رفعه كان جبريل يذاكرنى أمر عمر فقلت

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر

له اذكر لى فقال لو جلست معك كما جلس نوح فى قومه ما بلغت فضائل عمر وليبكين الاسلام بعد موت عمر قال الذهبى فى نعم السمر ابن عامر واه وحبيب مجهول لعل الآفة منه (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال وضع عمر على سريره) بعد ما كفن (فتكنفه الناس) أى أحاطوا حواليه (يدعون ويصلون) أى يترحمون (قبل ان يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى) من ورائى (فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فان كنت لارجو أولاظن أن يجعلك الله معهما) قال العراقى متفق عليه قلت رواه من طريق ابن المبارك عن عمر بن سعيد بن أبى حسين عن ابن أبى مليكة سمعت ابن عباس يقول وضع عمر على سريره فتكنفه الناس فساقاه هكذا وروى أبو معشر نجيح عن نافع عن ابن عمر قال وضع عمر بين القبر والمنبر فجاء على حتى قام بين يدى الصفوف فقال رحمة الله عليك ما من خلق الله أحب الى من ألقى الله بصحيفته بعد النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى عليه ثوبه وروى يونس بن أبى يعفور عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه أن عليا قال فذكر نحوه وروى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن عليا دخل على عمر وهو مسجى فقال صلى الله عليك قال الذهبى اسناده صحيح وقال صاحب كتاب المتفعين قيل لجعفر بن محمد أيصلى على غير النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا على كرم الله وجهه قد صلى على عمر رضى الله عنه

(وفاة عثمان رضى الله عنه)

(الحديث فى قتله مشهور) رواه سيف بن عمر التميمى وابن عائذ كلاهما فى كتاب الفتوح مفصلا ومجمله ما رواه محمد بن يحيى الذهبى قال حدثنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن عيسى بن سميع عن ابن أبى ذئب عن الزهرى قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبرى كيف قتل عثمان قال قتل مظلوما ومن خذله كان معذورا ولما ولى كره ولايته جماعة لانه كان يحب قومه ويوليهم فيجىء منهم ما تنكره الصحابة فلا يعزلهم فلما كان فى الست حجج الاواخر استأثر ببنى عمه فولاهم وما أشرك معهم فولى ابن أبى سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان من قبل هنات من عثمان الى ابن مسعود وأبى ذر وعمار فكانت بنو هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها بحال ابن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابى ذر فى قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت عليه بحال عمار وجاء المصريون يشكون من عبد الله فكتب اليه كتابا يتهدده فيه فابى ان يقبل ما نهاه وضرب بعض من أتاه فقتله فخرج من مصر سبعمائة فنزلوا المدينة وشكوا صنيع ابن أبى سرح بهم فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة اليه تقول انصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال انما يسألونك رجلا بدل رجل وقد ادعوا قبله دما فاقض بينهم وانصف فقال لهم اختاروا رجلا أوليه فاشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر فولاه وكتب عهده وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبى سرح فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة اذا هم بعبد أسود على بعير يخبط البعير خبطا كانه رجل يطلب فسألوه فقال وجهنى أمير المؤمنين الى عامل مصر فقيل له هذا محمد عامل مصر قال ليس هذا أريد فجىء به الى محمد فقال مرة أنا غلام عثمان ومرة قال أنا غلام مروان حتى عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فشقوها فاذا فيها كتاب من عثمان فجمع محمد الصحابة وفكه فاذا فيه اذا أتاك فلان وفلان ومحمد فاحتل قتلهم وابطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجىء الى متظلما ففزعوا وأزمعوا فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم جماعة ودفعه الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا والصحابة ثم فضوا الكتاب فلم يبق أحد الا حنق على عثمان وزاد ذلك غضبا الاعوان ابن مسعود وأبى ذر وعمار وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد ببنى تيم فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة

وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر فانى كنت لارجو أولاظن أن يجعلك الله معهما
(وفاة عثمان رضى الله عنه)
الحديث فى قتله مشهور

وقد قال عبد الله بن سلام
أتيت أخي عثمان لاسلم
عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخي
رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الليلة في هذه
الخوخة وهي خوخة في
البيت فقال يا عثمان
حصروك قلت نعم قال
عطشوك قلت نعم فادلى
الى دلوا فيه ماء فشربت
حتى رويت حتى اني
لاجد برده بين ثديي وبين
كتفي وقال لي ان شئت
نصرت عليهم وان شئت
أفطرت عندنا فاخترت
أن أفطر عنده فقتل
ذلك اليوم رضي الله عنه
وقال عبد الله بن سلام
لمن حضر تشحط عثمان
في الموت حين جرح ماذا
قال عثمان وهو يتشحط
قالوا سمعناه يقول اللهم
اجمع أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ثلاثا قال والذي
نفسي بيده لو دعا الله أن
لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا
الى

والزبير وعمار وسعد وغيرهم ودخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له هذا الغلام والبعير لك قال
نعم قال فهذا كتابك قال لا والله قال فالخاتم خاتمك قال نعم قال كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم
به وعرفوا انه بخط مروان وسألوه أن يدفع اليهم مروان فأبى وكان معه في الدار فخرجوا غضابا وعلموا انه
لا يحلف بباطل ولزموا بيوتهم فحاصره أولئك حتى منعوه الماء فأشرف يوما فقال أفيكم علي قالوا لا قال أفيكم سعد
قالوا لا فسكت ثم قال الا أحد يسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من الموالي
حتى وصل الماء اليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال انما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال لابنيه
اذهبا بسيفيكما حتى تكونا على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه وبعث اليه الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه
وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس عنه ويسألونه أن يخرج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر
ورمى الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر
مولى علي فخشي ابن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن فاستشار صاحبيه وتسوروا من دار حتى دخلوا
على عثمان بغتة والناس فوق البيوت لا يدرون ولم يكن مع عثمان سوى امرأته فقال لهما محمد مكانكما فان
معه امرأته فاذا أنا ضبطته فادخلا فتوجياه حتى تقتلاه ودخل فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك
لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وهربوا من حيث دخلوا وصرخت امرأته
وصعدت الى الناس وقالت قتل أمير المؤمنين فجاؤا فوجدوه مذبوحا وبلغ عليا وطلحة والزبير الخبر فخرجوا
وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وقال علي كيف قتل أمير المؤمنين وانتم على الباب ولطم الحسن
وضرب صدر الحسين وشتم ابن الزبير وابن طلحة وولى مغضبا قال الحافظ الذهبي هو في بادئ الرأي صحيح الاسناد
لكن قال البخاري يقال ان ابن سميع ما سمع هذا الحديث من ابن أبي ذئب وقال صالح جزرة قال لي محمود بن بنت
محمد بن عيسى بن سميع هو في كتاب جدي عن اسمعيل بن يحيى التيمي عن ابن أبي ذئب وكان اسمعيل يضع
الحديث وروى قريش بن أنس حدثنا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد هو مولى أبي اسيد قال دخلوا
على عثمان والمصحف بين يديه فضربوه على يديه فجرى الدم على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال الذهبي
هذا اسناد صحيح وروى خالد بن عبد الله عن عمران بن حدير قال ان لا يكن عبد الله بن شقيق حدثني ان أول
قطرة قطرت من دم عثمان على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فان أبا حريث ذكر انه ذهب هو وسهيل
المري فاخرجوا اليه المصحف فاذا القطرة على فسيكفيكهم الله قال فانها في المصحف ما حكت (وقد قال عبد الله
ابن سلام) رضي الله عنه (أتيت أخي عثمان) رضي الله عنه (لاسلم عليه وهو محصور) في داره (فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال
يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى الى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد
برده بين ثديي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت ان أفطر عنده فقتل ذلك اليوم)
قال عبد الله بن أحمد حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم بن سعد
ان عثمان أعتق عشرين مملوكا ثم دعا بسراويل فشده عليه ولم يلبسه في جاهلية ولا اسلام وقال اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة وأبا بكر وعمر فقال اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ثم دعا بمصحف ففتحه
بين يديه فقتل وهو بين يديه وقال اسحق بن سليمان حدثنا أبو جعفر الرازي عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان
عثمان أصبح يحدث الناس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في المنام فقال افطر عندنا غدا فاصبح
صائما وقتل من يومه قال الذهبي هذا حديث صحيح ورواه ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع نحوه
ورواه عبد الملك بن عمير عن كثير بن الصلت عن عثمان وله طرق أخر بمعناه (وقال عبد الله بن سلام) رضي
الله عنه (لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين خرج ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله على تلك الحال ان لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى

يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي قال فجيء بهما كأنهما جملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه

فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني

يوم القيامة) رواه الليث عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الكريم بن الحرث ان عبد الله بن سلام قال لمن حضر عثمان وهو يتشحط في الموت حين ضربه أبو رومان الاصبحي ماذا كان قول عثمان وهو يتشحط في دمه قال سمعناه يقول فساقه (وقال ثمامة بن حزن) بن عبد الله بن مسلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (القشيري) البصري والد أبي الورد مخضرم وفد على عمر وله خمس وثلاثون سنة قال يحيى بن معين ثقة روى له مسلم والترمذي والنسائي وليس له في الصحيح غير حديث النبيذ قال سألت عائشة عن النبيذ وروى له البخاري في الادب المفرد (قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان) رضي الله عنه (فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم) أي حرضاكم (علي فجيء بهما كأنهما جملان او حماران فأشرف عليهم عثمان) رضي الله عنه (فقال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن والنسائي انتهى قلت ورواه الانصاري في جزئه قال حدثنا هلال بن لاحق عن الجريري عن ثمامة بن حزن قال شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي فدعي له كأنهما جملان أو حماران فساقه وليس فيه ذكر تجهيز جيش العسرة ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن جده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وذكر فيه تجهيز جيش العسرة وزاد ولكن طال عليكم أمري واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله واني لا أخلعه حتى أموت أو أقتل (وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان) رضي الله عنه (حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني) وروى يحيى بن ميمون العدادي عن الحرث بن عمير عن معمر بن عقيل حدثنا أبو خباب رجل شامي قال حدثتني ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت كنت في الدار اذ دخل القوم فساق الحديث وفيه فجاء رجل خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول اللهم لا تطالب بدمي غيرك وروى صاحب كتاب المتفجعين عن الكزبراني عن عمرو بن عاصم الكلابي عن حفص بن أبي بكر عن هياج بن سريع عن مجاهد قال أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال يا قوم لا تقتلوني فاني وال وأخ ومسلم فساق الحديث وفيه فلما أبوا قال اللهم اني لا أرى الا غادرا أو فاجرا اللهم فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا قال مجاهد فقتل الله أكثرهم في تلك الفتنة وروى أيضا عن علي بن عثمان الفضيلي حدثنا أبو مسهر حدثنا اسمعيل بن عياش ان عثمان رضي الله عنه دعا عليهم فقال اللهم ابدلني بخير منهم وأبدلهم بشر مني اللهم خذ لي منهم بثاري اللهم انقل هذا الامر من خذله الى من نصره وروى أيضا عن حبيش بن موسى الصيني حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني عن سعيد بن مسلم بن بانك قال جعلوا يوجؤن عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره وهو يقول

ولقد علمت لو ان علمي نافعي * ان الحياة من الممات قريب

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحرث بن محمد التميمي حدثني أبو الحسن علي بن محمد القرشي عن سعيد بن مسلم بن بانك عن أبيه ان عثمان رضي الله عنه قال متمثلا يوم دخل عليه

أرى الموت لا يبقي عزيزا ولم يدع * لعاد ملاذا في البلاد ومرتقى
يبيت أهل الحصن والحصن مغلق * ويأتي الجبال في شماريخها العلا

(وفاة علي كرم الله وجهه)

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة قد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حراء وقد تحرك الجبل أثبت حراء فانما عليك نبي وصديق وشهيد وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسائر من في الحديث المشهور فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم شهداء وقتل علي رضي الله عنه شهيدا وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك مستخلف مقتول ولابد لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون لابد من ان يكون وذلك درجات لهم رضي الله عنهم عند ربهم يزيدهم فضلا الى فضلهم وكرامة منه لهم وقد روينا عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشقى الناس احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا وأشار الى قرنه وتبتل هذه منها وأخذ بلحيته وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي انك مؤمن مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذا لحيته ورأسه وعن أبي سنان الديلي قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ستضرب ضربة ههنا وأشار الى صدغيه تسايل دما حتى تخضب لحيتك فيكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود وعن عبد الله بن سبع قال سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول ماينتظر الاشقى عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من دم هذا (قال الاصبغ) بن نباتة التميمي (الحنظلي) الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض روى له ابن ماجه (لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن البناح) وهو مؤذنه (حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول

أشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيك
ولاتجزع من المو * ت اذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم) عبد الرحمن رجل من بني مراد (فضربه) رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثني عبد الله بن يونس بن بكير قال حدثني أبي حدثني علي بن أبي فاطمة الغنوي قال حدثني الاصبغ الحنظلي فذكره وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين حدثنا الكزراني حدثنا حجاج بن أبي منيع حدثنا جدي عن الزهري قال لما انتشر أمر علي رضي الله عنه وكثر عليه اختلاف أصحابه اقبل رجل من الخوارج يقال له عبد الرحمن بن ملجم مشتملا على السيف وكان علي رضي الله عنه يتولى التأذين بنفسه فكان اذا أراد ان يقول حي على الصلاة اخرج رأسه من باب طاق المسجد الى السوق واقبل الخارجي فقام عند الطاق من خارج فلما اخرج علي رأسه ضربه الخارجي ضربة أطارت طائفة من قحفه وتنادى الناس قتل أمير المؤمنين واقبلوا نحوه وهو يحمل عليهم حتى أخذوه وانتزعوا السيف من يده وعاش علي رضي الله عنه يومه ذلك ومات في الليلة القابلة فقطعت يدا ابن ملجم ورجلاه وسملت عيناه ثم أدرج في بردين فاحرق وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا الفضل ابن دكين حدثنا قطر بن خليفة حدثني أبو الطفيل قال دعا علي الناس الى البيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فرده مرتين ثم أتاه فقال مايحبس أشقاها لتخضبن أو لتصبغن هذه يعني لحيته من هذا يعني رأسه ثم تمثل بهذين البيتين *اشدد حيازيمك للمو * ت الخ (فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه) وأمها فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقد تقدم ذكرها (فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين) عمر رضي الله عنه (صلاة الغداة) كما تقدم آنفا (وقتل أبي صلاة الغداة) وهذا القول عنها قد تقدم في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين حدثنا الكزراني حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سليمان بن كثير

عن

(وفاة علي كرم الله وجهه)
قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة أصيب فيها علي كرم الله وجهه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول
اشدد حيازيمك للمو
ت فان الموت لاقيك
ولاتجزع من المو
ت اذا حل بواديكا
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة

عن حصين عن هلال بن يساف ان عليا رضي الله عنه كان يخرج الى المسجد قبل الفجر فيقول الصلاة حتى اذا أنار الفجر صلى فبيناهو كذلك ابتدره رجلان احدهما ابن ملجم والآخر شبيب بن بجرة الاشجعي فضربه احدهما على رأسه واخطأه الآخر فاخذ الضارب فسمعهم يقولون ليس عليه بأس قال فعلى من كانوا يبكون لقد سقيت سيفي السم شهرين ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين العرب لافنتهم فمات علي رضي الله عنه من يومه وقتل ابن ملجم لعنه الله تعالى قال وحدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا أبو اسامة حدثنا أبو طلق علي بن حنظلة بن نعيم عن أبيه قال لما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه قال احبسوه فانما هو جرح فان برئت امتثلت أو عفوت وان هلكت قتلتموه فجعل عليه عبد الله بن جعفر وكانت أم كلثوم ابنة علي تحته فقطع يديه ورجليه وفقأ عينيه وجدعه وقال له هات لسانك فقال له اذ صنعت ما صنعت فانما تستقرض في جسدك فاستعد للقصاص فاما لساني فدعه اذكر الله به فاني لا أخرجه اليك أبدا فشق لحييه فقطع لسانه وجعل يجعل المسمار في عينيه فقال انك لتكحلني بملمول مضي وكانت ام كلثوم تبكي فقيل له ما على أمير المؤمنين من بأس فقال فام كلثوم على اذا تبكي والله ما خانني سيفي ولا ضعفت يدي قلت وأخرجه ابو بكر الآجري في كتاب الشريعة عن محمد بن هرون بن المجدر عن ابراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي اسامة وفيه فجاءت أم كلثوم تبكي وتقول يا خبيث والله ما ضر أمير المؤمنين فقال علام تبكين يا أم كلثوم والله ما خانني سيفي ولا ضعفت يدي وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة وأخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا أبو اسامة حدثنا أبو جناب حدثنا أبو عون الثقفي قال كنت اقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وكان الحسن بن علي يقرأ عليه قال أبو عبد الرحمن فاستعمل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجلا من بني تيم يقال له حبيب بن قرة على السواد وأمره ان يدخل الكوفة من كان بالسواد من المسلمين فقلت للحسن بن علي ان ابن عم لي بالسواد أحب ان يقر بمكانه فقال تغدو على كتابك قد ختم فغدوت عليه من الغد فاذا الناس يقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين فقلت للغلام أتقربني الى القصر فدخلت القصر فاذا الحسن بن علي قاعد في المسجد في الحجرة واذا صوائح فقال ادن يا أبا عبد الرحمن فجلست الى جنبه فقال لي خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي في هذا المسجد فقال لي يا بني اني بت الليلة أوقظ أهلي لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك الاود واللدد قال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم وابدلهم بي شرا قال وجاء ابن البناح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فاعتوره الرجلان فاما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق وأما الآخر فاثبتها في رأسه قال ابن صاعد قال ابو هشام قال أبو اسامة اني لاغار عليه كما يغار الرجل على المرأة الحسناء يعني هذا الحديث لا تحدث به ما دمت حيا ورواه صاحب نهج البلاغة وفيه فقلت أبدلني الله بهم خيرا وابدلهم بي شرا لهم مني ثم قال وهذا من افصح الكلام (وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة) رواه محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين عن حنش بن موسى قال أخبرنا أبو الحسن المدائني اخبرني سعيد بن عبد العزيز السلمي قال قال علي فذكره وزاد فقال ابن ملجم ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله (وعن) أبي جعفر (محمد بن علي) بن الحسين بن علي رضي الله عنه (انه) رضي الله عنه (لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن يونس بن بكير عن أبيه عن أبي عبد الله الجعفي عن جعفر بن محمد بن علي ولم يقل عن أبيه وأما وصيته لبنيه فرواها أبو بكر بن ابي شيبة عن ابن فضيل بن غزوان عن جعفر بن محمد قال اوصى علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة هذا ما أوصى به علي بن ابي طالب أوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ثم اني اوصيك يا حسن وجميع أهلي ومن بلغه وفاتي بان تتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ثم اني أوصيكم بالجار فان نبي الله صلى

وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض

الله عليه وسلم مازال يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه الله الله فى القرآن لا يسبق به غيركم الله الله فى الصلاة فانها عمود دينكم الله الله فى صيام رمضان فان الصبر على صيامه نجاة من النار الله الله فى الجهاد باموالكم وأنفسكم وقولوا للناس حسنا ائتلفوا ولا تختلفوا (ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما) ذلك من سم سقته زوجته (دخل عليه) أخوه (الحسين رضى الله عنه) فرآه قد جزع (فقال يا أخى لاى شئ تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما امالك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخى اقدم على أمر لم أقدم على مثله) رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ لما اشتد بالحسن بن على جزع فدخل عليه رجل فقال يا أبا محمد ما هذا الجزع ما هو الا ان يفارق روحك جسدك فتقدم على ابويك على وفاطمة وعلى جديك النبى صلى الله عليه وسلم وخديجة وعلى اعمامك حمزة وجعفر وعلى اخوالك القاسم والطيب وابراهيم ومطهر وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب قال فسرى عنه وقال القشيرى فى الرسالة لما حضر الحسن بن على الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال اقدم على سيد لم أره وقال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنى احمد بن عبد الجبار حدثنا سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال لما احتضر الحسن بن على قال اخرجوا فراشى الى صحن الدار قال فرفع رأسه الى السماء ثم قال انى احتسب نفسى عندك فانها أعز الانفس على وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا احمد بن الاسود الحنفى حدثنا محمد بن أبى صفوان الثقفى قال الاصمعى عن أبى هلال الراسبى قال لما احتضر الحسن بن على قال لقد سقيت السم ثلاث مرات ما منهن واحدة بلغت منى ما بلغت هذه لقد تقطعت كبدى قال وحدثنى هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان الكلابى حدثنا عبيد الله بن عمر وقال نعى الحسن بن على الى معاوية وابن عباس ببابه فحجب حتى أخذ الناس مجالسهم ثم اذن له فقال أعظم الله أجرك يا ابن عباس قال فيمن قال فى الحسن بن على قال اذا لا يزيد موته فى عمرك ولا يدخل عمله عليك فى قبرك وقد فقدنا من هو أعظم منه قدرا وأجل منه أمرا فاعقب الله عقبى صالحه وخرج ابن عباس وهو يقول

أصبح اليوم ابن هند شامتا * ظاهر النخوة ان مات حسن

ولقد كان عليه عمره * مثل رضوى وثبير وحضن

فارتع اليوم ابن هند آمنا * انما يقمص بالبعير السمن

واتق الله واظهر توبة * انما كان كشئ لم يكن

(وعن محمد بن الحسين) وفى بعض النسخ الحسن (قال لما نزل القوم) وهم عسكر عبيد الله بن زياد (بالحسين رضى الله عنه) وذلك بكربلاء (وايقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الا خسيس من عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما) قال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا عبيد الله ابن محمد حدثنا محمد بن خلف حدثنا نصر بن مزاحم العطار عن أبى مخنف حدثنى سليمان بن ابى راشد عن حميد بن مسلم قال سمعت الحسين بن على رضى الله عنه وقد احاطوا به اللهم احبس عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض وان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا ومزقهم مزقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عليهم الولاة ابدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا وضارب حتى كفهم عنه ثم تعادوا عليه فقتلوه قال وحدثنا الكزبرانى حدثنا أبو ربيعة مهد بن عون العامرى حدثنا ابو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال لما خرجت جيوش ابن زياد مع عمر بن سعد الى الحسين رضى الله عنه توجه الحسين رضى الله عنه يريد الشام فلقيه خيولهم فنزل عند كربلاء فناشدهم الله والاسلام ان سيروه الى يزيد فاضع يدى فى يده فابوا عليه الا حكم ابن زياد قال حصين فحدثنى سعد بن عبيدة السلمى قال انى لانظر الى الحسين رضى الله عنه يكلمهم وانى لانظر اليه وعليه جبة من برود فلما كلمهم انصرف فرماه عمير الطهاوى بسهم فانى لانظر الى السهم بين كتفيه متعلقا فى جبته ورجع الى مصافه

ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال يا أخى لاى شئ تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا أخى اقدم على أمر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء ألا خسيس من عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما

(الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين) لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال اقعدونى فاقعد فجعل
يسبح الله تعالى و يذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان

وبكى حتى علا بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك وروى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع الا ما جربنا ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة وأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت الينا أف للدنيا من دار ثم أف لها من دار ويروى ان آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد وانى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى الا وهو شر منى كما كان من قبلى خيرا منى ويا يزيد اذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم

وانهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب على خمسة ومن بنى هاشم ستة عشر ومنهم حليف لهم من بنى سليم قال فحدثنى سعد بن عبيدة قال انا لمستنقعون فى الماء مع عمر بن سعد أتاه رجل فساره فقال قد ارسل اليك حوزة بن بدر التميمى وأمره ابن زياد ان لم تقاتل بضرب عنقك فوثب الى فرسه يقاتلهم فجىء برأس الحسين رضى الله عنه الى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيب معه أرى أبا عبد الله قد شمط وانطلق ابنان لعبد الله بن جعفر فلجآ الى رجل من طيئ فذبحهما وجاء برؤسهما حتى وضعهما بين يدى ابن زياد فامر بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت قال حصين ابثوا اشهرين اوثلاثة كأنما يلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع وقال حدثنا أبو فروة حدثنا ابو الجواب حدثنا يونس بن أبي اسحق عن ابى اسحق عن عمرو بن بعجة قال اول ذل دخل على الاسلام قتل الحسين رضى الله عنه وادعاء معاوية زيادا

(الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين)

(لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال اقعدونى فاقعد فجعل يسبح الله تعالى و يذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علاه بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك) قال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا احمد بن الاسود الحنفى حدثنا العتبى عن عقبة بن هرون عن مسلمة بن محارب عن داود بن ابى هند قال تمثل معاوية عند موته

هو الموت لا منجا من الموت والذى * نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

اللهم فاقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة يارب أين لذى خطيئة مهرب الا اليك قال داود فبلغنى ان ابن المسيب قال حين بلغه ذلك لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله كرما وانى لارجوله وقال حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا الوليد بن هشام بن قحذم قال لما احتضر معاوية جعل بناته يقلبنه وهو يقول انكن لتقلبن حولا قلبا ان نجا من عذاب الله غدا ثم تمثل

لا يبعدن ربيعة بن مكرم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال حدثنا مسلمة بن عبد الملك بن يزيد حدثنى عمى الوليد بن يزيد قال لما احتضر معاوية تمثل

بكى الحرث الجولان من فقد أهله * فحوران منه موحش متضائق

(وروى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه) الذى توفى فيه (فرأوا فى جلده غضونا) أى تكسرا (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال امابعد فهل الدنيا أجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا) أى بنشاطنا (وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلقتنا واستلأمت الينا فأف للدنيا من دار ثم أف لها من دار) رواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين (و يروى ان آخر خطبة خطبها معاوية" اذ قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد وانى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى الا وهو شر منى كما كان من قبلى خيرا منى ويا يزيد) يعنى ولده (اذا وفى اجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد) أى اقصد (الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفى وفمى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون اكفانى ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جديدى وضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وارحم الراحمين) قال ابن أبى الدنيا حدثنى هرون بن سفيان عن عبد الله السهمى حدثنا ثمامة بن كلثوم ان معاوية قال يا يزيد اذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا فذكره الخ وفيه فخلوا

الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفمى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون اكفانى ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جديدى وضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وارحم الراحمين

بين معاوية وارحم الراحمين وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن علي بن ميمون العطار حدثنا أبو طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي حدثنا خالد بن يزيد بن صالح المري عن يونس بن حليس عن الضحاك بن قيس قال شهدت معاوية وهو يموت فقال لقد أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الي فقال الا أكسوك قميصا قلت نعم فخلع قميصه وكساني فلبسته ثم نزعته فدفعته الى رملة بنت معاوية وشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قص من شعره واظفاره فأخذه ودفعه الي فجعلته في صرة وختمت عليه ودفعته الى رملة ثم قال اذا مت فاجعلوا قميصي الذي كسانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلي جلدي وخذوا أظفاره وشعره فاحشوا بها أنفي وفمي وعيني ثم بكى وبكينا فلما مات معاوية فعلنا ذلك (وقال محمد بن عتبة) القاضي الشامي روى له ابن ماجه (لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى) موضع بمكة (واني لم أل من هذا الامر شيأ) رواه ابن أبي الدنيا وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا علي بن عثمان النفيلي حدثنا أبو مسهر حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري حدثني أبي حدثني سعيد بن حريث قال لما كانت الغداة التي مات معاوية في ليلتها فزع الناس الى المسجد ولم يكن خليفة بالشام قبله مات فكنت فيمن أتى المسجد فلما ارتفع النهار وهم يبكون في الخضراء وابنه يزيد غائب في البرية وهو ولي عهده وخليفته يومئذ على دمشق الضحاك بن قيس الفهري اذ قعقع باب النحاس الذي يخرج منه الى المسجد من الخضراء فزلف الناس الى المقصورة ودنوت فيمن دنا منهم الهافبينا نحن كذلك خرج علينا رجل على يده اليسرى ثياب ملفوفة فاذا هو الضحاك بن قيس الفهري فدنا من المنبر فاتكأ عليه بيده اليسرى ودنا الناس منه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس اني قائل لكم قولا فرحم الله امرأ وعى ما سمع مني ولم يزد فيه ولم ينقص تعلمون ان معاوية كان أحد العرب مكن الله له في البر والبحر وأذاقكم معه الخفض والطمأنينة ولذاذة العيش وأهوى بيده الى فيه وانه قد هلك رحمة الله عليه وهذه أكفانه على يدي ونحن مدرجوه فيها ودافنوه واياها ومخلون بينه وبين ربه ثم هي والله البلايا بعده والملاحم والفتن وما توعدون الى يوم القيامة ثم دخل الخضراء ثم خرج لصلاة الظهر فصلى بنا الظهر ثم خرجوا بجنازة معاوية ودفنوه ومما يلحق به ولده يزيد وحفيده معاوية بن يزيد قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا أحمد بن عبد الرحمن السكزواني حدثنا الحسن بن محمد بن أعين حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان عن أبيه قال قال عامر بن مسعود الجمحي كنا جلوسا في مجلس عند الكعبة اذ مر يزيد ينعى معاوية فقلت لاصحابي قوموا بنا الى ابن عباس وهو يومئذ بمكة وقد كف بصره فنكون أول من نخبره ونسمع ما يقول فأتيناه فاستأذنا عليه فدخلنا فاذا بين يديه خوان عليه الكفري ولم يوضع الخبز فسلمنا وقلنا هل أتاك الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا يزيد ينعى معاوية فقال ارفع خوانك يا غلام ثم ظل واجما كئيبا مطأطئا رأسه لا يتكلم طويلا ثم رفع رأسه وقال

جبل تزعزع ثم صال بركنه * في البحر لا ارتفعت عليه الابحر

ثم قال اللهم فانك أوسع لمعاوية أما والله ما كان مثل من كان قبله ولا يكون بعده مثله وان ابنه هذا من صالحي أهل بيته لقومه ومانحن وبنو عمنا هؤلاء الا كعضوي لقمان قتل صاحبنا غيرهم وقتل صاحبهم غيرنا فاغروابنا وأغرينا بهم اما والله ما أغراهم بنا الا انهم لم يجدوا مثلنا وما أغرانا بهم الا انا لم نجد مثلهم وقد قال الاول أطلك لاني لم أجد مثلك فاتقوا الله يا معشر فتيان قريش ولا تقولوا ذهب جد بني أمية ذهب لعمر الله جدهم وبقيت بقية هي أكثر مما مضى الزموا منازلكم وأدوا بيعتكم قرب خوانك يا غلام فانا لنتغدى اذ جاء رسول أمير مكة يقول يدعوك الامير للبيعة قال وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون قل له افرغ مما عندك فاذا سهل المشي أتيتك فصنعت ما تريد فلما خرج الرسول قلنا يا ابن عباس أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر فقال اني قلت لكم آنفا تسمعون ولا تعون كم من شارب للخمر وشر منه من لا يشرب الخمر ستبايعونه على ما أراد حتى يصلب مصلوب قريش فرجع الرسول فقال انه لابد ان تأتيه قال يا نوارهات ثيابي ان كان لابد وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون امتنعوا مما قد أظلكم صبحكم أو مساكم بذلكم ثم قام وقمنا معه فأتينا الامير فبايعه وبايعناه وقال هشام ابن الكلبي عن عوانة لما احتضر يزيد بن معاوية قال

وقال محمد بن عتبة لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الامر شيأ

لعمرى لقد عمرت فى الملك برهة * ودانت لى الدنيا بوقع البواتر
فاضحى الذى قد كان قبل يسرنى * كحلم مضى فى المزمنات الغوابر
فياليتنى لم أغن فى الناس ساعة * ولم أغن فى لذات عيش مفاخر
وكنت كذى طمر بن عاش ببلغة * من العيش حتى صار رهن المقابر

وقال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له اعهد قال لا أتزود مرارتها واترك لبنى أمية حلاوتها وكان ناسكا وقال ليتنى كنت حيضة ولم أعلم أن الله عز وجل خلق نارا يعذب بها من عصاه (ولما حضر عبد الملك بن مروان) بن الحكم بن أبى العاص الاموى (الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ويضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيأ فبلغ ذلك أبا حازم) سلمة بن دينار الاعرج المدنى التابعى (فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه) رواه أبو الحسن المدائنى عن سعيد بن بشير عن أبيه ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة قال اشرفوا بى على الغوطة ففعلوا فرأى غسالا يلوى ثوبا فقال ياليت انى كنت غسالا لا أعيش الا بما كسبت يوما بيوم فبلغت كلمته أبا حازم فقال فساقه (وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه) الذى مات فيه (كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية) رواه ابن أبى الدنيا قال صاحب كتاب صفوة التاريخ يقال هو آخر كلام سمع منه وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا على بن عثمان النفيلى حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال دعا عبد الملك بن مروان بطعامه فوضع بين يديه ثم قال ائذنوا لابن هاشم خالد بن يزيد بن معاوية قالوا أولم يمت قال ائذنوا لابى عثمان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قالوا أولم يمت قال ائذنوا لابى زرعة روح بن زنباع قالوا أولم يمت وقد علم بموتهم ولكن أراد أن يتعظ فقال ارفعوا الطعام ثم انتحب مليا وقال

ذهبت لداتى وانقضت آثارهم * وغبرت بعدهم ولست بغابر
وغبرت بعدهم فاسكن مرة * بطن العقيق ومرة بالظاهر

فلم يحل عليه الحول وقال أيضا حدثنا محمد بن على بن بكر النحوى حدثنا عمر بن خالد العثمانى حدثنا شيبة بن الوليد عن عمه قال حضرت موت عبد الملك فلما دفناه قام عبد الرحمن بن خالد بن يزيد على قبره فبكى ثم قال أنت عبد الملك الذى كنت تعدنى فأرجوك وتوعدنى فأخافك أمسيت ومالك من الارض العريضة التى ملكتها بالسيف الاقيس مضجعك ولا من أموالك التى تملكتها بالغلبة الاثوبك ان الذى يغتر بالدنيا بعدك لمغرور وكان الشعبى حاضرا فأعجبه وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا الاصمعى قال أثيرت صخرة أيام عبد الملك فوجد عليها مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لامر يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت عناء وحسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

فأخبر بذلك عبد الملك فجعل يبكى وقال أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد بن سليمان بن أبى شيخ حدثنا محمد بن الحكم الشيبانى عن عوانة قال لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير تلقاه أهل الكوفة بالنخيلة فاقبل على الهيثم بن الاسود وعمرو بن حريث يحدثهما فجعل عمرو يقول هذا منزل بناه زياد وهذه مقصورة بناها زياد وهذا بناه المختار فتمثل عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى البلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

وقال له الهيثم يا أمير المؤمنين رأيت ابن زياد فى هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه ثم رأيت المختار جالسا ورأس ابن زياد بين يديه ثم رأيت مصعبا جالسا فيه ورأس المختار بين يديه وهذا رأس مصعب بين يديك فوجم لها عبد الملك وقال أبو الحسن المدائنى عن أبى زكريا العجلانى كان عبد الملك يقول أخاف الموت فى شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه ختمت القرآن وفيه بويع لى بالخلافة فانا أخاف الموت فيه فمات فى شوال حين أمن الموت فى نفسه ووثق بالحياة وكان يقول لله در ابن هرمة حيث يقول

ولما حضرت عبد الملك ابن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيأ فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية ومات

كأنى وقد خلفت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبى ردائيا

ويتمثل

رمتنى سهام الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو انها نبل اذا لا تقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

فافنى وما أفنى من الدهر ليلة * ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

قال له الشعبى أفلا كما قال لبيد باتت تشكى الى الموت مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزيدى ثلاثا تبلغى أملا * وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ التسعين قال كأنى وقد خلفت تسعين حجة * خلعت بها عن منكبى ردائيا

فقال عبد الملك فأين قول الذى يقول

تطاردنى يوم جديد وليلة * هما ابلياعظمى وكل امرئ بالى

وما الليالى لا تغير ن صورتى * وابلين أعمامى وابلين اخوالى

اذا ماسلخت الشهر أهللت مثله * كفى قاتلا سلخ الشهور واهلالى

وقال محمود بن محمد حدثنى أحمد بن أبى طاهر حدثنا الزبير بن بكار حدثنى عمى مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه قال دخل ارطاة بن سهية المرى على عبد الملك فقال له أنشدنى من شعرك فانشده

رأيت المرء تأكله الليالى * كأكل الارض ساقطة الحديد * وما تجد المنية حين تأتى

على نفس ابن آدم من مزيد * واعلم أنها ستكر حتى * توفى نذرها بأبى الوليد

فوجم لها عبد الملك وقال له وما أنت وذكرى فى شعرك قال ما أردت والله الا نفسى يا أمير المؤمنين أنا أبو الوليد فقال عبد الملك انى والله أبو الوليد وجمع أصابعه فى صدره قال الزبير سرق أرطاة هذا المعنى من زيان بن منظور الفزارى قال زبان

لئن جمعت بالقرناء يوما * لقد متعت بالامل البعيد * وما عند المنية فوق نفسى

ولا نفس الاحبة من مزيد * خلقنا أنفسا وبنى نفوس * ولسنا بالجبال ولا الحديد

وقال محمود حدثنا ابن الهيثم قال قال العتبى لما احتضر عبد الملك بن مروان تبطح على فراشه ثم قال يادنيا ما أطيب ريحك ونسيمك يا أهل العافية لا تستقلوا شيأ منها حتى سمع كلامه من كان خارج القصر ثم أنشد

ومن يبق مالا عدة وصيانة * فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافره

ومن يك ذا عود صليب يعده * ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

ومما لحق به سليمان بن عبد الملك بن مروان قال الواقدى حدثنا داود بن خالد عن سهيل بن أبى سهيل وكان خيارا غزاء عن رجاء بن حيوة قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وقد احتضر فوجدته قد ثقل واخذته غشية فحرفته الى القبلة فافاق فقال يا رجاء ليأن لذلك بعد ثم كانت ثانية فذهبت لاحرفه فقال يا رجاء لم يأن لذلك بعد ثم أغمى عليه ثالثة فقال يا رجاء ان كنت تريد أن تحرفنى الى القبلة فمن الآن اللهم تجاوز عن ذنوبى فانى أشهد أن لا اله الا أنت ثم مات وقال أبو الحسن المدائنى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال لما احتضر سليمان بن عبد الملك قال ان بنى صبية صغار أفلح من كان له كبار فقال له عمر بن عبد العزيز أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فقال سليمان ان بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون ان بنى صبية أطفال * أفلح من كان له رجال فقال عمر أفلح المؤمنون وتلا الآيات فقال سليمان اللهم اسألك منقلبا كريما ثم قضى وقال محمود بن محمد حدثنا محمد بن جبلة حدثنا عبد الله بن هانئ حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال خطب سليمان بن عبد الملك بدابق فقال فى خطبته لست بضرع صغير ولا هم كبير قد سسنا وساسنا السائسون ثم نزل فما أتت عليه جمعة حتى مات (وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز) وابنة عمه (كنت أسمع عمر) رحمه الله تعالى (فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده

فجلست

فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا

هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لابد لكم منه وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف الله ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فاسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فاجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى خضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض رحمه الله

فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ) أي سكن صوته (فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد ابن اسحق حدثنا أبو كريب حدثنا ابن المبارك عن جرير بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت كنت أسمع عمر كثيرا يقول اللهم اخف عنهم موتي ولو ساعة فقلت له يوما لو خرجت عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين لعلك تغفي فخرجت الى جانب البيت الذي كان فيه فسمعته يقول تلك الدار الآخرة الآية فجعل يرددها ثم أطرق فلبث ساعة ثم قلت لوصيف له كان يخدمه ادخل فانظر قال فدخل فصاح فدخلت فاذا هو قد أقبل بوجهه الى القبلة وغمض عينيه باحدى يديه وضم فاه بالاخرى (وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فانه لابد لكم منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (وروى انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (دعي له طبيب فلما نظر اليه قال الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر) رحمه الله تعالى (بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي الى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا أياما حتى مات) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا هشام بن عبد الله الرازي حدثنا أبو زيد الدمشقي قال لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي اليه طبيب فساق ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات من طريقه (وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا أمير المؤمنين ابشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فاسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات) وقال محمود بن محمد ابن الفضل حدثنا الميموني حدثني عبد الله بن كريم عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال كان أكثر دعاء عمر ابن عبد العزيز بالموت فقلت له لا تفعل فقد أحيا الله بك سننا وأمات بك بدعا فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين جمع الله شمله وأقر عينه قال رب توفني مسلما وألحقني بالصالحين قال الميموني وحدثني أبي عن عمه عمرو عن أبيه ميمون قال رأيت عمر بن عبد العزيز في مرضه وأكثر دعائه الموت فساقه نحوه وزاد فلما حضره الموت قال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين الا نصيب لك بدينار بن الاكفناء غيظا فازدد على ذلك فقال جئني به يا مسلمة فنظر اليه ساعة ثم قال ان يكن عند ربي خير فلن يرضى لي به حتى يبدلني خيرا منه وان كان علي ساخطا فأوشك أن يسلبه أعنف السلب ثم مالي كسوة الا النار أعوذ بالله من سوء القضاء (ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا الحرث بن بهرام حدثنا النضر حدثني الليث بن أبي رقية قال لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي قبض فيه قال أجلسوني فاجلسوه فساقه الا انه لم يقل ثلاث مرات ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين احتضر قال لمن عنده اخرجوا عني فاني أرى وجوها ليست بوجوه جن ولا انس فخرجوا فسمعوه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها الآية ثم دخلوا فوجدوه مغمض العينين مسجى موجها ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي أنبأنا أبو أحمد

محمد بن عبد الله بن جامع أنبأنا محمد بن سعيد الحراني حدثنا هلال بن العلاء حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن عون الرقي عن عبيدة بن حسان قال لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال اخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد نفر جوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه انس ولا جان ثم قال تلك الدار الآخرة الآية ثم هدأ الصوت فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك فوجدوه قد قبض وغمض وسوى وقال حدثنا الميموني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثني فضالة بن أبي سعيد قال سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول يا أهل الشام انه قد بلغني عنكم أحاديث وما أنا بالراجي لخيركم ولا بالآمن لشركم ولقد مللتموني ومللتكم فارا حكم الله مني وأراحني منكم ثم نزل عن المنبر فما علاه حتى مات قال وحدثني الميموني حدثنا الواقدي حدثني محمد ابن سلمة عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القاري ان عمر بن عبد العزيز أوصى بشعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظفار من أظفاره ان يجعل في كفنه ففعلوا وقال الميموني حدثني عبد الله بن كريم عن أبي المليح قال أراد أهله أن يأخذ واماءه ليروه الباذدق الطبيب فأبى عليهم حتى أخذوه في طست ثم جعل في زجاجة فأتوا به الباذدق وهو لا يعرفه وقد غدا الناس عليه بمياه مرضاهم فجعل يصف لكل انسان ما يعالج به فلما نظر الى ماء عمر قال سبحان الله يا غلام ان في هذا الماء لعجبا هذا ماء رجل نقب الحزن عن كبده قال محمد بن محمد وحدثنا محمد بن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد قال كان من دعاء عمر بن عبد العزيز رب رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيرا ولما أخرت تعجيلا حتى مات وانه ليقول لقد أصبحت ومالي في الامور هواء الامواقع قضاء الله فيها وبما يلحق به جماعة من هذا البيت قال محمود بن محمد حدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابن عائشة ان هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر الى أهله وحشمه يبكون عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما احتمل ما أعظم منقلبك يا هشام ان لم يغفر لك ربك الغفور الرحيم وقال أبو الحسن المدائني عن عمرو بن مروان قال لما أحيط بالوليد بن يزيد وعلم انه مقتول وضع المصحف في حجره وقال يوم كيوم عثمان فقتلوه واحتز وارأسه قال وحدثني عالية السوداء عن فاطمة بنت عبد الملك قالت دخلت على يزيد ابن الوليد وهو يموت فسألته عن وجعه فأومأ الى أرنبته فقلت يا يزيد الحق من ربك فلا تكن من الممترين فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فكان آخر ما كلمني به حتى فارق الدنيا قال محمود وحدثنا الحسن بن بشر بن الاخنس الاسدي عن عبد الصمد عن عبيد بن الضحضح الاسدي قال كنت مع مروان بن محمد ببوصير حين لحقته خيول المسودة فدعوه بالامان فلم يقبل وشد عليه ثوبه وجعل يحمل وهو يقول

أذل الحياة وهول الممات * وكلا أراه وخيما وبيلا

فان كان لابد احداهما * فسيري الى الموت سيرا جميلا

الى أن قتله رجل من أهل الكوفة يقال له أبو رمانة وعلى الجيش عامر بن اسمعيل المسلي مضت بنو أمية وشرع المصنف في بني العباس قال أبو الحسن المدائني عن بكر بن عبد الله قال دخلت على أمير المؤمنين أبي العباس فلقيني الطبيب فقال أصبح أمير المؤمنين صالحا فقلت يا أمير المؤمنين قد بشرني الطبيب بصلاحك فقال كيف يكون صالحا من هذا حاله ورفع يده اليمنى بيده اليسرى فتناثر لحمها على النطع قال وجعل يقول اللهم اني ابرأ اليك مما صنع يحيى بن محمد باهل الموصل ومما صنع عبد الله بن علي بنهر ابي نطرس ومما صنع داود بن علي بكداء والطائف وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا محمد بن موسى بن داود العمي حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي حدثني أبي قال شهدت موت أبي جعفر المنصور فدخلت عليه أنا ومحمد بن عون بن عبيد الله بن الحرث بن نوفل فوجدناه قلقا وقال اذا كان غدا نقلني الفراشون نحو الطائف فما أحب ان أقيم عليلا في الحرم كأنه استوبأها ورجا ان نقلته تكسبه عافية ثم غدونا عليه فانا الوقوف على بابه اذ خرج أبو العنبر الخادم وجيبه مشقوق وعلى رأسه التراب وهاج فدخلنا فاذا هو على سريره مكشوف الوجه فدفناه ببئر ميمون وقال محمد بن موسى العمي حدثني علي بن محمد العمي حدثني أبي قال شهدت موت المنصور فقال له عيسى بن ماهان جدد بيعة

اعهد لابنك المهدى فقال تريدونى على مثل ماعمل عبد الملك بن مروان حسبي ماجنيت على نفسي ويكفيني ماتقلدت من هذا الامر ومافى عنقي ثم مات وقال العمى عن عبيد الله بن سعد عن صالح صاحب المصلى عن على ابن يقطين قال تغدينا مع المهدى فى وقت الضحى ثم نهض الى رواق ينام فيه وتنحينا فنمنا فانتبهنا ببكائه فدخلنا فزعين وسألناه عن ذلك قال قام على باب البهو شيخ لو كان بين ألف انسان عرفته فقال

كأنى بهذا البهو قد باد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله * وصار عميد القصر من بعد بهجة
وملك الى رمس عليه جنادله * فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى بليل معولات ثواكله

قال فسليناه فلم يلبث الا قليلا حتى خرج للصيد فاتبع طريدة فسقط وأقبل فرسه عائدا فنظرناه فاذا هو ميت وقال صاحب صفوة التاريخ كان سبب موت المهدى فيما حكى ان جارية حسناء أهدت الى طلة ضرتها جاما فيه قطائف مسمومة فمر بالجام عليه فدعا بها فأخذ قطيفة منها فعضها وابتلع منها القمة ثم ردها وقال احذروا ان تأكلوا منه شيأ فانه مسموم ودعا بكلب فاطعمه باقى القطيفة التى أكل منها فمات الكلب من ساعته فاشير على المهدى ان يشرب من السمن ماأمكنه و يتقيأ ففعل وسكن عنه بلا قذف بعض ما كان يجده وصلى باصحابه الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة ثم التفت اليهم فقال استودعكم الله واليه أرغب فى حسن الخلافة عليكم وأعظم الله أجركم فى خليفتكم فارتاعوا لذلك وقالوا نرجو أن يكون يومنا قبل يومك فقال حدثنى المنصور ان أباه محمد بن على حدثه عن أبيه عن عبد الله بن عباس انه لما نزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الى نفسي قال المهدى فكنت منذ سمعت هذا الحديث أتجنب قراءة هذه السورة فى العلة فلما بليت فى يومى هذا باكل هذا الطعام ثم صليت بكم الظهر فانسيت جميع ماأنزل الله بعد أم الكتاب خلا هذه السورة فقرأتها وتطيرت ثم صليت الركعة الثانية فوالله ماانطلق لساني بغيرها ثم كانت حالى فى العصر والمغرب والعشاء مثل حالى فى الظهر فقلت ان نفسي قد نعيت الى فلما انتصف الليل مات (وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) وكانت وفاته بطوس سنة ١٩٣ وروى على بن محمد النوفلى عن أبى جامع المروزى عن أبيه قال كنت فيمن جاء باخى رافع بن الليث الى الرشيد فادخلناه اليه وهو على سريره والمرآة فى يده وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ماأشد ماقد أثرت فى العلة ثم نظر الى أخى رافع فقال انى لارجو كما تفتنى أن لا يفوتنى أخوك والله لو لم يبق من أجلى الا أن أحرك شفتى بقتلك لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فقال لا تشحذ مداك وفصله عضوا عضوا وعجل لا يحضرنى أجلى وعضو من أعضائه فى جسده ففصله حتى جعله أشلاء ثم قال اعدد مافصلت منه فاذا أربعة عشر عضوا فرفع يديه فقال اللهم كما أمكنتنى من ثارك فمكنى من أخيه ثم مات بعد ساعة وقال العمى حدثنى كهلان عن أبى الخطاب قال أخبرنى من شهد موت الرشيد قال لما اشتد به الوجع قال لعمر بن سادر اخرج الى العراق وامض منها الى الاهواز فاقبض أموال جبريل بن بختيشوع ومال فرج الرخجى ومال هرون بن أبان فارجو أن يكون عوضا من الاموال التى أنفقناها فى سفرنا هذا واعلم انى فى أثرك لا بد لى من أن أنحدر الى البصرة فاطلب أحمد بن عيسى الطالبى فاقتله ثم اعبر الى عمان فاطلب بدم عيسى بن جعفر بن سليمان فانه لم يطل دم رجل من أهل البيت فطوى ومات بعد أربع ليال (وفرش) عبد الله (المأمون) بن الرشيد (رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه) وكانت وفاته سنة ٢١٩ (وكان المعتصم) بالله أبو اسحق محمد بن هرون (يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير مافعلت مافعلت) وكان قد استخلف عند موت أخيه المأمون وتوفى سنة ٢٢٧ وكانت خلافته تسع سنين وعمره ثمانية وأربعون سنة (وكان المنتصر) بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل أبى الفضل جعفر بن المعتصم (يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة) وكانت ولايته فى الليلة التى قتل فيها أبوه المتوكل و وفاته سنة ٢٤٨ ومدة خلافته ستة أشهر (وقال عمرو بن العاص) رضى الله عنه (فى الوفاة وقد نظر الى صناديق

وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير مافعلت مافعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق

فبنيه من يأخذها بما لها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكى ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين)

لما حضر معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم أن قلبي يحبك

لبنيه من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا) رواه هشام بن الكلبي عن صالح بن كيسان وقال أبو الحسن المدائني أخبرني اسحق بن أيوب قال لما حضر عبد الله بن عبد الملك بشر بمجيء مال له كان بمصر فقال مالي وله ليته كان بعرا حائلا بنجد (وقال الحجاج) بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي (عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي) وهذا لما كان فيه من سوء السيرة وثقل الوطأة وقبح السياسة وعسف الرعية والتهاون بالدماء وشدة الاقدام على سفكها على ما قد عرف وشهر وأحصي من قتل صبرا سوى من قتل في عساكره وبعوثه فوجدوا مائة وخمسين ألفا ومات في حبسه خمسون ألفا من الرجال وثلاثون ألفا من النساء وكان حبسه فضاء مكشوفا ليس فيه سقف بظل ولا شئ يستر من شمس ولا مطر ولا حر ولا قر وكان هلاكه لاربع بقين من رمضان سنة ٩٥ من ثلاث وخمسين سنة بواسط ولما أتى الوليد بن عبد الملك نعيه وجم لذلك وقال يرحمك الله أبا محمد والله لاشفعن لك عند الله يوم القيامة (فكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها) رواه أبو نعيم في الحلية (ولما حكى ذلك للحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال أقالها قيل نعم قال عسى) أي ان يغفر له أي نظرا الى حسن ظنه بالله عز وجل قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا عبد الله محمد حدثنا علي بن الجعد أخبرنا الماجشون عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز ما أعجبني قط كلمة بلغني ان الحجاج قالها عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تغفر لي قال وحدثنا علي بن عثمان النوفلي حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال قال عمر بن عبد العزيز ما حسدت أحدا على شئ قط الا الحجاج حسدته على اثنتين حبه للقرآن واعطائه عليه وقوله عند موته اللهم ان الناس يزعمون انك لا تغفر لي فاغفر لي قال وأخبرنا حبش بن موسى أخبرنا المدائني عن جويرية ان الحجاج قال عند الموت اللهم اغفر لي فان هؤلاء يزعمون انك لا تغفر لي فبلغت الحسن كلمته قال أوقالها قالوا نعم قال عسى قال وحدثنا عبد الله بن الهيثم قال أخبرنا الوليد بن هشام قال لما احتضر الحجاج جعل يقول لئن كنت على ضلالة لبئس حين المنزع ولئن كنت على هدى لنعم حين الجزع

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف) رضي الله عنهم أجمعين ذكر فيه من الصحابة معاذا وسلمان وبلالا رضي الله عنهم ونحن نزيد بعون الله تعالى ما وصل الينا من غيرهم قال (لما حضر معاذا) بن جبل رضي الله عنه (الوفاة قال اللهم اني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار) كذا في النسخ وفي بعضها لكرى الانهار أي حفرها واجرائها (ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر) رواه أحمد في الزهد فقال حدثنا شجاع بن الوليد عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل قال لما حضره الموت انظروا أصبحنا فاتي فقيل له لم تصبح فقال انظروا أصبحنا فاتي فقيل له لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له قد أصبحت فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها الى النار مرحبا بالموت مرحبا زائر مغب حبيب جاء على فاقة اللهم اني قد كنت أخافك فانا اليوم أرجوك فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه (ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو جعفر اليقطيني حدثنا الحسين بن عبد الله القطان حدثنا عامر بن سيار حدثنا عبد الحميد ابن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن الحرث بن عميرة قال قال معاذ حين طعن واشتد به النزع نزع الموت فنزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق فذكره ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا شيبان عن الاعمش عن شهر بن حوشب عن الحرث بن عميرة الزبيدي قال اني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت فهو يغمى عليه مرة ويفيق فسمعته يقول عندا فاقته اخنق خنقك فوعزتك اني أحبك ورواه ابن الجوزي من طريقه وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع قال لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل

واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله يرفع عنا هذا الرجز فقال انه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من شاء منكم اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال وانا ستجدانى ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأته فهلكت وطعن هو فى ابهامه فجعل يمسها بفيه و يقول انها صغيرة فيبارك فيها فانك تبارك فى الصغير حتى هلك و رواه أبو نعيم بالسند السابق من طريق الحرث بن عميرة قال طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الاشعرى فى يوم واحد فقال معاذ انه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم اللهم آت آل معاذ النصيب الاوفر من هذه الرحمة فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذى كان يكنى به وأحب الخلق اليه فرجع من المسجد فوجده مكروبا فقال يا عبد الرحمن كيف أنت فاستجاب له فقال يا أبت الحق من ربك فلا تكن من الممترين فقال معاذ وأنا ان شاء الله ستجدنى من الصابرين فامسكه ليلة ثم دفنه من الغد (ولما حضرت سلمان) رضى الله عنه (الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما) قال العراقى رواه أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم اه قلت رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن شعيب التاجر حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى حدثنا جرير عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال دخل سعد على سلمان يعوده فقال ابشر أبا عبد الله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض قال كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب كذا رواه الدامغانى عن جرير عن الاعمش عن ابى سفين عن جابر وقال أبو معاوية وغيره عن الاعمش عن أبى سفيان عن أشياخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله ابن شيرويه حدثنا اسحق بن راهويه أخبرنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبى سفيان عن أشياخه ان سعد بن أبى وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفى رسول الله وهو عنك راض فقال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله عهد الينا فقال ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وهذه الاساود حولى وانما حوله مطهرة أو اجانة ونحوها فقال له سعد اعهد الينا عهدا نأخذ به بعدك فقال اذكر ربك عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند يدك اذا أقسمت رواه مورق العجلى والحسن البصرى وسعيد بن المسيب وعامر بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبى حدثنا زكريا الساجى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلى ان سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب قال فلما مات نظروا فى بيته فلم يروا الا كافا ووطاء ومتاع قوم نحوا من عشرين درهما وممن رواه عن الحسن السرى بن يحيى والربيع بن صبيح والفضل بن دلهم ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن حدثنا أبو محمد محمد بن الحسن بن كوثر حدثنا بشر بن موسى حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنى السرى بن يحيى عن الحسن قال لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكى فقيل له يا أبا عبد الله ما يبكيك أليس فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال والله ما بى جزع الموت ولكن رسول الله عهد الينا عهدا ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبى حدثنا زكريا الساجى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا ما يبكيك أبا عبد الله فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحديث عامر بن عبد الله حدثناه أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب قال أخبرنى أبو هانى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عامر بن عبد الله عن سلمان الخير انه حين حضره الموت عرفنا به

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما

بعض الجزع فقالوا ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازي حسنة وفتوحا عظاما فقال يجزعني ان حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم عهد الينا حين فارقنا فقال ليكف المؤمن كزاد الراكب فهذا الذي أحزنني قال فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا قال عبد الله بن عامر دينارا واتفق الباقون على بضعة عشر درهما ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثناه عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان فقلت له لم تبكي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا ان يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب الى هنا سياق الحلية وروى الطبراني من طريق علي بن بذيمة قال بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهما وقال صاحب الحلية حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن حدثنا علي بن حجر حدثنا حماد بن عمرو عن سعيد بن معروف عن سعيد بن سوقة قال دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون فاطلنا الجلوس عنده فشق عليه فقال لامرأته ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر فقالت هو ذا قال القيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ثم انضحي حول فراشي فانه الآن يأتيني قوم ليسوا بانس ولا جن ففعلت وخرجنا ثم أتيناه فوجدناه قد قبض وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا شيبان عن فراس عن الشعبي قال حدثتني الجزل عن امرأة سلمان بقيرة قالت لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علية لها أربعة أبواب فقال افتحي هذه الابواب يا بقيرة فان لي اليوم زوارا لا أدري من أي هذه الابواب يدخلون علي ثم دعا بمسك له ثم قال أذيبيه في تور ففعلت ثم قال انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فترينني على فراشي فاطلعت فاذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه أو نحوا من هذا (ولما حضر بلالا) رضي الله عنه (الوفاة) وذلك بداريا من دمشق (قالت امرأته واحزناه قال) بلال (بل واطرباه غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه) رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال قال بلال حين حضرته الوفاة غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه قال تقول امرأته واويلاه قال يقول هو وافرحاه قلت سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي روى له مسلم والاربعة وقد أسند عن عدة من التابعين ونذكر هنا بعض الصحابة الذين أقاويلهم على شرط المصنف * عامر بن فهيرة رضي الله عنه قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر عمن سمى من رجاله ان جبار بن سلمى طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فانفذه فقال عامر فزت ورب الكعبة * عمار بن ياسر رضي الله عنه قال الطبراني حدثنا الحسن بن علي المعمري حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء حدثنا أبو معشر حدثنا جعفر بن عمر الضمري عن ابي سنان الدؤلي قال رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه * محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا ضيحة لبن * سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه قال ابن سعد أخبرنا معن حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد قال لما كان يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر سعد بن الربيع فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع ما شأنك قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال اذهب اليه فاقرأه مني السلام واخبره اني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وانه قد أنفذت مقاتلي واخبر قومك انه لا عذر لهم عند الله ان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد منهم حي * عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب حدثنا ابراهيم بن سعد عن محمد ابن اسحق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال لما تجهز الناس للخروج الى مؤتة قال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم فقال ابن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ يقذف الزبدا * أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا * حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه وقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه

ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم ان هرقل قد نزل من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضمت اليه المستعربة فى مائة ألف فاقاموا ليلتين ينظرون فى أمورهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فسمع ابن رواحة فقال يا قوم ان الذى تكرهون الذى خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق وقال ابن أبى الدنيا حدثنى أبى حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد حدثنى الحكم بن عبد السلام ان جعفر بن أبى طالب حين قتل دعا الناس يا عبد الله بن رواحة وهو فى جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينتهشه ولم يكن ذاق طعاما قبل ذلك بثلاث فرمى بالضلع ثم قال وأنت مع الدنيا فتقدم فقاتل فاصيبت أصبعه فجعل يقول هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت * يا نفس الا تقتلى تموتى

هذا حياض الموت قد صليت * وما تمنيت فقد لقيت * ان تفعلى فعلهما هديت

وان تأخرت فقد شقيت

ثم قال يا نفس الى أى شئ تتوقين الى فلانة فهى طالق ثلاثا والى فلان وفلان غلمان له والى معجف حائط له فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يا نفس مالك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه * طائعة أولتكرهنه * فطالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الا نطفة فى شنة * قد أجلب الناس وشدوا الرنة وقتل ابن رواحة فى هذا اليوم رضى الله عنه * عمير بن الحمام قتل ببدر رضى الله عنه قال أحمد فى الزهد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قوموا الى جنة عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من اهلها قال فانك من أهلها قال فاخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال ان أنا حييت حتى آكل تمراتى انها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل * أبو سفيان بن الحرث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن ابن اسحق قال لما حضر أبا سفيان الوفاة قال لاهله لا تبكوا على فانى لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت ورواه محمود بن محمد بن الفضل عن أحمد بن زبيع حدثنا أبو نعيم هو الفضل بن دكين وفيه فما فارقت خطيئة منذ أسلمت * خبيب بن عدى رضى الله عنه قال البخارى حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم أخبرنا ابن شهاب قال أخبرنى ابن أسيد بن جارية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا فاسر منهم خبيب فلما خرجوا به ليقتلوه قال دعونى أصلى ركعتين فركع ركعتين قال والله لولا ان تحسبوا ان مابى جزع لزدت وقال

فلست أبالى حين أقتل مسلما * على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قتلوه وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا الحسن بن على الطوسى حدثنا محمد بن عبد الكريم حدثنا الهيثم بن عدى حدثنا ثور بن يزيد حدثنا خالد بن معدان قال قال سعيد بن عامر بن جذيم سمعت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال ما أحب انى فى أهلى وولدى وان محمدا يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد * زيد بن الدثنة رضى الله عنه أسر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا أنشدك الله أتحب أنك الآن فى أهلك وان محمدا مكانك قال والله ما أحب ان محمدا يشاك فى مكانه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى * ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه قال ابن سعد أخبرنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس ان ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما وقد انهزم القوم فقال اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر اليك مما صنع هؤلاء ثم قال بئس ما عودتم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل * عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان أعرج فلم يشهد بدرا فلما حضرت أحد أراد الخروج فمنعه بنوه وقالوا قد عذرك الله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

ان بنى يريدون ان يحبسونى عن الخروج والله انى لارجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة فقال أما أنت فقد عذرك الله وقال لبنيه لا عليكم ان لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فتركوه قالت امرأته كانى أنظر اليه موليا قد أخذ درقته وهو يقول اللهم لا تردنى الى حزبى وهى منازل بنى سلمة فقتل هو وابنه خلاد * عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن ابن عجلان عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز عن الصنابحى قال دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله لئن استشهدت لاشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله ما حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا سوف احدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار انفرد باخراجه مسلم * أبو الدرداء رضى الله عنه قال أحمد حدثنا يزيد بن يحيى الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثنا اسمعيل ابن عبيد الله ان أبا مسلم الخولانى قال جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ورواه أحمد أيضا عن الوليد بن جابر عن اسمعيل بن عبد الله عن أم الدرداء ان أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول فساقه نحوه وزاد ثم يقول ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة * خالد بن الوليد رضى الله عنه قال ابن سعد حدثنا الواقدى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه ان خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة قال لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا اموت على فراشى حتف انفى فلا نامت عين الجبناء * حرام بن ملحان رضى الله عنه قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا اسحق عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حراما خاله أخا أم سليم يوم بئر معونة قال لهم حرام تؤمنونى أبلغكم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم قالوا نعم فجلس يحدثهم وأوموا الى رجل منهم من خلفه فطعنه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة * أبو بكرة الثقفى رضى الله عنه قال ابن أبى الدنيا حدثنا أبى أخبرنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنى عتبة بن عبد الرحمن قال لما ثقل أبو بكرة بكت ابنته فقال لا تبكى قالت يا أبتاه ان لم أبك عليك فعلى من أبكى قال لا تبكى فوالذى نفسى بيده ما فى الارض نفس أحب الى أن يكون خرجت من نفسى هذه ولا نفس هذا الذباب ثم أقبل على حمران فقال ألا أخبرك لماذا خشيت والله ان يجىء أمر يحول بينى وبين الاسلام * عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال أبو عبد الله المرزبانى حدثنا أحمد بن محمد الجوهرى حدثنا الغزى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الدارع حدثنا الوليد ابن هشام القحذمى أخبرنى عبد الله بن المغيرة عن المطيعى عن أبيه عن عروة قال أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت قد لحق فلان بالحجاج ولحق فلان بالحجاج فقال

فرت سلامان وفرت النمر * وقد نلاقى معهم فلا نفر

فقلت له قد أخذت دار فلان ودار فلان * فقال

اصبر عصام انه شر باق * قد شق أصحابك ضرب الاعناق

* وقامت الحرب بنا على ساق *

فعرفت انه لا يسلم نفسه فغاظنى فقلت انهم والله ان يأخذوك يقطعوك اربا اربا فقال

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى جنب كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على أوصال شلو ممزع

فعرفت انه لا يمكن من نفسه * عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه لما أسروه وأرادوا قتله بكى وقال انما أبكى اذ ليس لى الا نفس واحدة يفعل بها هذا فى الله عز وجل كنت أحب ان تكون لى انفس بعدد كل شعرة فى هذا * انس بن مالك رضى الله عنه قال ابن ابى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنا فهد بن حيان حدثنا حفص بن عبد الملك قال سمعت أنس بن سيرين يقول شهدت أنس بن مالك وحضره الممات فجعل يقول لقنونى لا اله الا الله فلم

يزل يقولها حتى قبض * طلحة رضى الله عنه قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جبلة حدثنا يحيى بن بكير
حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد قال لما رمى طلحة جعل يقول دم شيخ ذهب ضياعا اللهم خذ لعثمان حتى يرضى ثم
قال ندمت ندامة الكسعى لما * شريت رضا بنى حزم برغمى * الزبير رضى الله عنه قال أبو الحسن المدائنى عن
سعيد بن بشير قال قال الزبير بن العوام لما طعنه عمرو بن جرموز ماله قاتله الله يذكر بالله وينساه ثم أنشد

ارى الموت اعداد النفوس ولا ارى * بعيدا غدا ما اقرب اليوم من غد

المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال المدائنى عن يعقوب بن عون عن عبد الملك بن نوفل بن المغيرة قال لما احتضر المغيرة
ابن شعبة قال اللهم هذه يدى بايعت بها رسولك وجاهدت بها فى سبيلك فاغفر لى ما يعلمون من ذنوبى وما لا يعلمون
عائشة رضى الله عنها قال محمود بن محمد حدثنا المأمون حدثنا سريج بن يونس حدثنا اسمعيل بن مجالد عن أبيه عن
الشعبى قال حضرت عائشة رضى الله عنها فقالت انى قد أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثا ولا
أدرى ما حالى عنده فلا تدفنونى معه فانى أكره أن أجاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أدرى ما حالى عنده ثم
دعت بخرقة من قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ضعوا هذه على صدرى وادفنوها معى لعلى أنجو بها
من عذاب القبر * عمرو بن العاص رضى الله عنه قال المدائنى عن الاسود بن شيبان عن أبى نوفل بن عقرب قال لما
احتضر عمرو بن العاص وضع يده موضع الغل فى عنقه وقال اللهم انك أمرتنا فتركنا ونهيتنا فاركبنا ولا يسعنا
الا مغفرتك الواسعة فكانت هجيراه حتى مات وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا أبو صالح المعافى بن مدرك
حدثنا ضمرة عن السرى عن الحسن قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لو اليه البسوا سلاحكم فلبسوه
ثم جاؤه فقال أتستطيعون ان تدفعوا عنى قالوا لا قال الحسن وقد علم ولكنه أراد أن يوبخ نفسه فقال اللهم انك
أمرتنا باشياء فتركناها ونهيتنا عن أشياء فارتكبناها ثم جمع يديه الى عنقه وقال ألا انى أشهد أن لا اله الا الله
فلم يزل يرددها حتى مات قال الحسن كيف اذا جاء بلا اله الا الله وقد قتل أهل لا اله الا الله قال وحدثنا محمد بن جبلة
حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة عن عبد الله بن عمرو
أنه قال لعمرو بن العاص أبيه عند الموت وقد جزع لا تجزع أبا عبد الله فقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاهدت فى سبيل الله فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة ان لا اله الا الله قال وحدثنا عبيد الله بن محمد حدثنى
أبو يحيى محمد بن عبد الحميد الموفى حدثنا هشام بن الكلبى عن صالح بن كيسان قال لما حضرت عمرو بن العاص
الوفاة قال والله لوددت انى كنت عبدا حبشيا أرعى عنزا خصيبات اللهم انى لست بريء فاعتذر ولا قوى فانتصر
ولا حول لى ولا قوة الا بك وأنا معتصم بلا اله الا الله وقبض على يديه وشدهما حتى خرجت نفسه * سعد بن ابى
وقاص رضى الله عنه قال محمود حدثنا محمد بن جبلة حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى
قال لما حضرت سعد بن ابى وقاص الوفاة قال ائتونى بجبتى فاتى بجبة من صوف خلقة فقال كفنونى فيها فانى
لقيت بها المشركين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * معاذ بن جبل رضى الله عنه قال محمود حدثنا
هلال بن العلاء حدثنى عمرو بن عثمان حدثنا سفيان سمعت عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما احتضر
معاذ قال لاحدثنكم حديثا ما كتمتكموه الا لكيلا تتكلوا فاما الآن فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه دخل الجنة * عبد الله بن عامر بن كريز العبشمى له رواية قال محمود حدثنا
عبيد الله بن عمر حدثنا مصعب الزبيرى قال لما احتضر عبد الله بن عامر بن كريز وهو بماله بعرفة خرج اليه ابن
الزبير وابن عباس وكانا صديقيه فقال وهو يجود بنفسه ان أخوى صائمان فلا تغفلوا افطارهما فقال ابن
الزبير لو ألهاك عن الجد شئ لالهاك عنه الموت ولقد مات وان طعامه بين يدى اضيافه ما شغله عنهم ما به وأوصى
ان يدفن بماله بعرفة لئلا يبيعه ولده فيعير وا ببيعهم قبر أبيهم * عنبسة بن ابى سفيان رضى الله عنه يقال له رؤية
وقال ابو نعيم اتفق الائمة على انه تابعى روى له مسلم والاربعة قال محمود حدثنى هلال بن العلاء حدثنى ابو سلمة
حدثنا جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن سالم بن سعد عن عمرو بن اوس قال دخلت على عنبسة بن أبى

سفيان وهو فى النزع فجعل يقول ما أحب انك وذاك ثم قال لاحد ثنك حديثا حدثتنيه اختى ام حبيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى لله اثنى عشرة ركعة صلاة نهار كل يوم بنى الله له بيتا فى الجنة* الوليد ابن عقبة بن أبى معيط اخو عثمان لامه رضى الله عنه قال محمود حدثنا حبيش بن موسى أخبرنا هشام بن الكلبى عن عوانة قال لما احتضر الوليد بن عقبة قال اللهم ان كان أهل الكوفة صدقوا على فلا تلق روحى روحا ولا ريحانا وان كانوا كذبوا على فاجعل ذلك كفارة لذنوبى* سعيد بن العاص رضى الله عنه قال محمود حدثنا أبو جعفر محمد ابن على النحوى حدثنى عمر بن خالد العثمانى عن شيبة بن الوليد عن عمه قال لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه أيكم يكفل لى بثلاث قال قال له عمرو الاشدق أنا قال دينى اقضه وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدنته الافى كريم سددت خلته أو لئيم وقيت عرضى منه قال على دينك يا أبت قال بقيت اثنتان قال وما هما قال بناتى لا تزوجهن الا الا كفاء ولو بفلق خبز الشعير قال افعل قال بقيت واحدة أشدهن على ان فقد اخوانى وجهى فلا يفقدون معروفى يا بنى ثلاثة ضقت بهكافأتهم ذرعا رجل اغبر وجهه فى التردد للتسليم على ورجل ضاق بى مجلس فتزحزح لى ورجل نزل به مهم من الامور فبات متململا على فراشه يقلب أمره ظهرا لبطن فلما اصبح رآنى موضعا لحاجته فلن أكافئه ولو خرجت من جميع ما أملك* شرحبيل بن السمط رضى الله عنه قال محمود حدثنا النفيلى حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما احتضر شرحبيل بن السمط قال لبنيه قوموا فالعبوا فان الله يؤثر قضاءه على يتمكم* أبو رفاعة العدوى رضى الله عنه قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال كان أبو رفاعة العدوى رضى الله عنه من الصحابة فكان كلما صلى قال اللهم ارزقنى شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها وتخليني بها عن نفسى ختلا فغزا سجستان مع عبد الله بن سمرة فطرقه العدو وهو نائم فى المسجد فذبحوه قلت وقبره يبهق كما قاله مسلم وغيره ثم شرع المصنف فى ذكر أقاويل التابعين من بعدهم من الصلحاء عند الموت فقال (وقيل فتح عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون) رواه القشيرى فى الرسالة (ولما حضر ابراهيم) بن يزيد (النخعى) رحمه الله تعالى (الوفاة بكى قيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار) ورواه محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين قال حدثنا حبيش أخبرنا المدائنى عن قيس بن الربيع قال بلغنى ان ابراهيم النخعى حين احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال انما انتظر مبشرا يبشرنى بالجنة أو بالنار ووددت انها تجلجل فى صدرى الى يوم القيامة (ولما حضر ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمى المدنى روى له الجماعة (الوفاة فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما أبكى لذنب أعلم انى أتيته ولكنى أخاف انى أتيت شيأ حسبته هينا وهو عند الله عظيم) رواه ابن أبى الدنيا هكذا وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار حدثنا عفيف بن سالم عن عكرمة عن محمد بن المنكدر انه جزع عند الموت فقيل له لم تجزع قال أخشى آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فأنا أخشى أن يبدو لى من الله مالم أحتسب (ولما حضر عامر بن عبد قيس) العنبرى البصرى الزاهد (الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا خالد بن يزيد العمرى حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن علقمة بن مرثد قال مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقيل له ما يبكيك وقد كنت وقد كنت وقد كنت فيقول مالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى والله ما أبكى حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن لبعد سفرى وقلة زادى وانى أمسيت فى صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدرى الى أيهما أصير قال وحدثنا أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنى أبو حميد أحمد بن محمد الحمصى حدثنا يحيى بن سعيد بن عطاء عن علقمة بن مرثد قال كان عامر بن عبد قيس يقول ما أبكى على دنيا كم رغبة فيها ولكن أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء (ولما حضرت فضيلا) بن عياض رحمه الله تعالى (الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه وقلة زاداه)

وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما أبكى لذنب اعلم انى أتيته ولكن أخاف انى أتيت شيأ حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه وأقلة زاداه

رواه ابن أبي الدنيا (ولما حضرت ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على
التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيرا غريبا) أي في هيت
وكان خرج غازيا (قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني
ولا تعد علي مالم أتكلم بكلام ثان) قال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر بن يوسف حدثنا عبد الرحمن بن الحسن
حدثنا أبو أسامة الكلبي حدثنا الحسن بن الربيع قال سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصر يقول
له يا أبا عبد الرحمن قل لا اله الا الله فقال له يا نصر قد ترى شدة الكلام علي فاذا سمعتني قد قلتها لا تردها علي حتى
تسمعني قد أحدثت بعدها كلاما فانما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك (وقال) أبو محمد
(عطاء بن يسار) الهلالي المدني مولى ميمونة روى له الجماعة (تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت
فقال ما أمنتك بعد) وقد جرى نحو ذلك للامام أحمد كما سيأتي عند ذكره (وبكى بعضهم عند الموت فقيل له
ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن) البصري رحمه الله
تعالى (على رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا أوله لجدير ان يتقى آخره وان أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد
في أوله) رواه أبو نعيم في الحلية وروى نحو ذلك عن الاحنف بن قيس قال اذا مرت به جنازة رحم الله عبدا أجهد
نفسه لمثل هذا رواه محمود بن محمد وهذه أقاويل جماعة من التابعين على شرط المصنف * علقمة بن قيس رحمه الله
تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن علي الجارود حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو
خالد الاحمر عن الاشعث عن الحكم عن ابراهيم عن علقمة انه قال لا تنعوني كنعي الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدا
واغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وان استطعتم أن يكون آخر كلامي لا اله الا الله * عمرو بن عتبة
ابن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد
الرحمن بن يزيد قال خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبة جديدة بيضاء فقال ما أحسن الدم يتحادر
على هذه فخرج فتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه فتحادر عليها الدم ثم مات منها ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها
بيده ويقول انها صغيرة وان الله عز وجل ليبارك في الصغير * الحسن البصري رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في
الحلية حدثنا محمد بن علي حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا بقية عن أبان
ابن محرز عن الحسن انه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا زودنا منك كلمات ينفعنا الله عز وجل
بهن قال اني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا ودعوني وما توجهت له ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس
له وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به واعلموا ان خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم
فانظروا أين تغدون وأين تروحون وقال الحسن بن دينار كان الحسن يغمى عليه ثم يفيق فيقول صبرا واحتسابا
وتسليما لامر الله حتى قضى رحمه الله وقال محمود بن محمد حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا أبو عامر عن صالح بن رستم
قال لما احتضر الحسن جعل يقول نازلة صبر واستسلام اللهم بخير والى خير * محمد بن سيرين رحمه الله تعالى
قال ابن أبي الدنيا حدثنا هارون بن أبي يحيى انه حدث عن الحسن بن دينار ان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى كان
يقول وهو في الموت في سبيل الله نفسي أعز الانفس علي * الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا
حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن سرية للربيع قالت لما احتضر الربيع
بكت ابنته فقال يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى اليوم لقي أبي الخير ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه * مطرف
ابن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثنا خالد بن يزيد حدثنا روح
ابن المسيب عن عبد الله بن سلم العبدي قال قال مطرف لما حضره الموت اللهم خر لي فيما قضيته علي من أمر
الدنيا والآخرة وأمرهم أن يحملوه الى قبره نختم فيه القرآن قبل أن يموت * سعيد بن جبير رحمه الله تعالى
قال ابن الجوزي في كتاب الثبات أخبرنا أحمد بن اسمعيل أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر حدثنا أبو
عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي حدثنا هارون بن عيسى حدثنا أبو

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سألت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي مالم أتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما آمنك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا أوله لجدير ان يتقي آخره وان أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله

عبد الرحمن القرنى حدثنا حرملة بن عمران حدثنا ابن ذكوان ان الحجاج بعث الى سعيد بن جبير فاصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره و يقوم ليله فقال له الرسول والله انى أذهب بك الى من يقتلك فاذهب أى الطريق شئت فقال له سعيد انه سيبلغ الحجاج انك أخذتنى فان خليت عنى خفت أن يقتلك ولكن اذهب بى اليه فذهب به فلما دخل قال له الحجاج ما اسمك قال سعيد بن جبير فقال بل شقى بن كسير فقال أمى سمتنى فقال شقيت قال الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج أما والله لابدلنك من دنياك نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك اليك ما اتخذت الها غيرك فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى ان قال ما تقول فى قال أنت بنفسك أعلم قال بث فى علمك قال اذا أسوءك ولا أسرك قال بث قال نعم ظهر منك جور فى حد الله وجراءة فى معاصيه بقتلك أولياء الله قال والله لاقطعنك قطعا قال اذا تفسد على دنياى وأفسد عليك آخرتك والقصاص امامك قال الويل لك قال الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار قال اذهبوا به فاضربوا عنقه قال سعيد فانى أشهدك انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما ذهبوا به ليقتل تبسم فقال الحجاج مم ضحكت قال من جراءتك على الله عز وجل فقال اضجعوه للذبح فاضجع فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض قال اقلبوا ظهره الى القبلة فقرأ سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه على وجهه فقرأ سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فذبح فبلغ ذلك الحسن فقال اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقى الا ثلاثا حتى وقع الدود فى جوفه فهلك * خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنى سعيد بن خيثم عن محمد ابن خالد الضبى قال لم نكن ندرى كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض فثقل فجاءته امرأته فجلست تبكى فقال ما يبكيك الموت لابد منه فقالت الرجال بعدك على حرام فقال ما كل هذا أردت منك انما كنت أخاف رجلا واحدا وهو أخى محمد وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب الشراب فى بيتى بعد ان كان القرآن يتلى فيه كل ثلاث * طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه قال دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده فقال له أبو كعب شفاك الله قال استخير الله قال الاشج وحدثنا أبو ادريس عن ليث قال حدثت طلحة بن مصرف فى مرضه الذى مات فيه ان طاوسا كان يكره الانين فما سمع طلحة يئن حتى مات * زبيد اليامى رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد حدثنى أبو سعيد الاشج حدثنى المحاربى عن سفيان قال دخلنا على زبيد اليامى نعوده فقلنا شفاك الله فقال استخير الله * أبو الجلد رحمه الله تعالى قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المرى سمعت أبا عمران الجونى قال أوصانى أبو الجلد بان ألقنه لا اله الا الله فكنت عند رأسه وقد أخذه كرب الموت فجعلت أقول له يا أبا الجلد قل لا اله الا الله قال لا اله الا الله بها أرجو نجاة نفسى لا اله الا الله ثم قبض * مكحول الشامى رحمه الله تعالى قال القشيرى فى الرسالة كان الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك فقيل له فى ذلك فقال ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وأؤمله * محمد بن واسع رحمه الله تعالى قال العتبى حدثنى محمد بن عبد الله مولى الثقفى قال دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضى فقال يا اخوتاه هبونى واياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم * ثابت البنانى رحمه الله تعالى قال أحمد حدثنا على بن مسلم حدثنا جعفر حدثنا محمد بن ثابت البنانى قال ذهبت ألقن أبى وهو فى الموت فقلت يا أبت قل لا اله الا الله فقال يا بنى خل عنى فانى فى وردى السادس أو السابع * مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال ابن أبى الدنيا حدثنى أحمد بن عبد الله المكى حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال لولا انى أكره ان أصنع مالم يصنعه أحد قبلى لاوصيت أهلى اذا أنا مت تقيدونى وتجمعوا يدى الى عنقى فتنطلقوا بى على تلك الحال حتى ادفن كما يصنع بالعبد الآبق زاد فى رواية فاذا سألنى ربى قلت أى رب لم أرض لك نفسى طرفة عين قط قال وحدثنى أسيد بن عاصم حدثنا ابن خالد حدثنا حزم قال دخلنا على مالك بن دينار وهو فى مرضه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه الى السماء ثم قال اللهم انك تعلم انى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لبطن ولا لفرج

* أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى قال محمود بن محمد حدثنا علي بن عثمان النفيلي عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال حضرت أبا مسلم الخولاني الوفاة وهو بارض الروم فعاده أمير الجيش فقال له يا أبا مسلم هل لك من حاجة أتوصيني بوصية قال نعم تدعو بقناة وخرقة وتعقد لي لواء على كل من مات بارض الروم ففعل الامير ذلك قال فظننا انه أحب ان يبعث عليهم يوم القيامة * سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد ابن جبلة حدثنا محمد بن اسحق سمعت سوار بن عبد الله يقول سمعت المعتمر يقول قال أبي حين حضره الموت يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وانا حسن الظن به وهذا قد تقدم للمصنف قريبا * حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى قال ابن أخي سمي في جزئه حدثنا جعفر الخواص حدثنا ابن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا حاتم بن سليمان حدثنا عاصم بن فرقد قال دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت فقال له بعض اخوانه أتجد كربا شديدا فبكى ثم قال ان ذلك ثم قال ينبغي للمؤمن أن يسئل عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله عز وجل * أبو بكر عبد الله بن أبي مريم رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد ابن ابراهيم حدثنا عبد الصمد بن سعيد قال سمعت أبا أيوب يقول سمعت يزيد بن عبد ربه يقول عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له رحمك الله لو جرعت جرعة ماء فقال بيده لا ثم جاء الليل فقال اذا فقلت نعم فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات * سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال محمود حدثنا عبد الملك الميموني عن عمرو بن ميمون قال احتضر سعيد بن المسيب وكان له ثمانون دينارا فجعلها في يده وجعل يقول اللهم انما كنت أصون بها ديني وعرضي * عبد الله بن ادريس الاودي الكوفي رحمه الله تعالى قال الخطيب في التاريخ حدثني محمد بن علي الصوري حدثنا عبد الرحمن بن عمر المصري حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا الفضل بن يوسف الجعفي سمعت حسين بن عمرو العنقزي قال لما نزل بابن ادريس الموت بكت ابنته فقال لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة * عبد الله بن عبد العزيز العمري المدني رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثني ابن زيد النميري حدثنا أبو يحيى الزهري قال قال عبد الله بن عبد العزيز العمري بنعمة ربي أحدث اني لم أصبح الاسبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي وبنعمة ربي احدث لو ان الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها الا ان ازيل قدمي عنها ما أزلتها * علي بن صالح بن حي رحمه الله تعالى قال أبو علي بن شاذان أخبرنا أحمد بن كامل حدثنا عيسى بن اسحق الانصاري حدثنا أحمد بن عمران البغدادي حدثنا يحيى بن آدم قال قال الحسن بن حي قال لي أخي علي في الليلة التي توفي فيها اسقني ماء وكنت قائما اصلي فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت يا أخي هذا ماء قال قد شربت الساعة قلت ومن سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك قال أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحه رواه كذلك أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الاولياء وابن منده في كتاب الاحوال وقال صاحب كتاب المتمجعين حدثنا علي ابن عثمان النفيلي حدثنا عبد الله بن موسى قال مات علي بن صالح بن حي وانا غائب فلما قدمت أتيت الحسن بن صالح أخاه اعزيه وأنا أبكي فقال لي لا تبك حتى أحدثك انه لما احتضر واشتد عليه استسقى فجئته بقدح من ماء فقلت له ألا تشرب قال لا قد سقيت قلت ومن سقاك قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الملائكة صفوف فاردت ان استثبت عقله فقلت وكيف صفوف الملائكة فقال هكذا بعضها فوق بعض ورفع يديه فجعل اليمنى فوق اليسرى * أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى قال الخطيب أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد بن نصر أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال سمعت الحماني يقول لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت اخته فقال لها ما يبكيك انظري الى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة

(فصل) في ذكر أقوال جماعة من المحتضرين على غير ترتيب في طبقاتهم أبو عطية بن قيس المذبوح رحمه الله تعالى قال ابن المبارك في الزهد أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم حدثني حماد بن سعيد عن أبي عطية المذبوح قال لما حضر أبا عطية الموت جزع وقال انما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي * عبيد الله بن الحسن رحمه الله تعالى

قال محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين حدثنى عبيد الله بن محمد حدثنا خالد بن خداش عن معاذ بن معاذ قال دخلت على عبيد الله بن الحسن أعوده فقلت أراك بحمد الله صالحا فقال

لا يغرنك عيش ساكن * قد توافى بالمنيات السحر

فلما كان السحر سمعت الواعية عليه رجل من بنى يربوع قال محمود حدثنى عبيد الله بن محمد حدثنى أبو عدنان الهيثم بن الجون أخبرنا الهيثم بن عدى أخبرنا ابن شبرمة قال احتضر رجل من بنى يربوع وكان له بنى يحبه فنظر اليه وهو يجود بنفسه فبكى ثم قال

ألا ليت شعرى عن بنى بعدما * عهدلى فى قبلة القبر مضجع * وعن وصل أقوام أتى الموت دونهم

أيرعون ذاك الامر أم سيضيع * وما يحفظ الابناء الاموفق * من القوم مرضى الامانة مقنع

قال ابن شبرمة فرأيت والله ابنه ضائعا ما يلتفت اليه أحد من اخوانه * رجل من بنى ضبة وبالسند المتقدم الى أبى عدنان قال أخبرنا الهيثم بن عدى عن ابن عياش عن شيخ من ضبة قال حضرت منار جلا يجود بنفسه وابن له يسمى معمرا يدب بين يديه فنظر اليه مليا وتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول لامرأته

وانى لاخشى ان أموت فتنكحى * ويقذف فى أيدى المراضع معمر

فحالت ستور دونه وليدة * ويشغلها عنه خلوق ومجمر

قالت كلا قال فوالله ما لبثت ان انقضت عدتها أن تزوجت شابا من الحى فرأيت معمرا على ما وصف * رجل من الصدر الاول قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين حدثنا داود المحبر حدثنا الحسن بن دينار قال سمعت الحسن يقول احتضر رجل من الصدر الاول فقال لابنه اقعد عند رأسى فاقنى لا اله الا الله فنعم الزاد هى للآخرة * زياد بن أبيه رحمه الله تعالى قال المدائنى عن حباب بن موسى عن قيس الارقط قال طعن زياد فى أصبعه فاقام خمس عشرة ليلة اذا جهده ذلك الموضع وضع أصبعه فى خل حامض فيجد لذلك راحة وجاءه الهيثم بن الاسود بعهده على الحجاز فاعلم بذلك فقال وما أصنع به ليت لى بما جاء به الهيثم شربة من ماء أسيغها وقال له شريح لو قطعت أصبعك فقال اذا أقطع قلبى انما أجد الوجع فى قلبى فقال لهم شريح ما نكفنه به فقال زياد خففوا عليكم فقد تقاربنى سلب عاجل أو كسوة فاخرومات * أبو شعيب صالح بن زياد رحمه الله تعالى قال محمود حدثنى أبو محمد عمرو بن عبيد بن عمر الهوزنى قال دخلت على أبى شعيب صالح بن زياد اعوده فوجدته فى النزع فقال ألا ابشرك رأيت ههنا شخصا فانكرته فقلت من أنت قال أنا ملك الموت فقلت ارفق بى فقال بهذا أمرت * مالك بن أنس الامام رحمه الله تعالى قال الحرث بن أبى اسامة حدثنا محمد بن سعد أخبرنا ابن أبى ادريس قال اشتكى مالك أياما يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت فقال تشهد ثم قال لله الامر من قبل ومن بعد * أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال ابن شاذان حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه قال سمعت عبد الله بن أحمد يقول لما حضرت أبى الوفاة جلست عنده وبيدى الخرقة لاشد بها لحييه فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا الا بعد لا بعد ففعل هذا مرة وثانية فلما كان فى الثالثة قلت يا أبت أى شئ هذا قد لهجت به فى هذا الوقت تغرق حتى نقول قد قضيت ثم تعود فتقول لا بعد لا بعد فقال لى يا بنى ما تدرى قلت لا قال ابليس لعنه الله قائم حذائى عاض على أنامله يقول لى يا أحمد فتنى فاقول له لا بعد حتى أموت * آدم بن أبى اياس العسقلانى رحمه الله قال الخطيب فى التاريخ أخبرنا أحمد بن عبد الواحد حدثنا اسمعيل بن سعيد المعدل حدثنا أبو على الكوكبى حدثنا أبو على المقدسى قال لما حضرت آدم بن أبى اياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجى ثم قال بحبى لك الا رفقت بى فى هذا المصرع كنت أؤملك لهذا اليوم كنت أرجوك ثم قال لا اله الا الله ثم قضى * عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك * قال محمود حدثنا محمد ابن جبلة حدثنا سعيد بن عفير قال كان عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر مقيما بحلوان وخليفته على مصر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فكان ابن خديج يرسل اليه كل يوم باخبار مصر وما يحدث فيها وموت من يموت فيها وأمره أن يختار الرسول حسن الوجه والاسم فاغفل يوما فارسل رجلا فقال له عبد العزيز ما اسمك قال أبو طالب

قال اسألك عن اسمك قال مدرك قال فتغير وجه عبد العزيز وتطير ومرض فلما احتضر قال أروني أكفاني فجاؤه بها فنظر اليها ثم حوّل وجهه وقال اف لك من دنيا ما أشد غرورك وأقل كثيرك وأقصر طويلك ومات فاخرج بجنازته وحولها مجامر العود ولبس نساء اخوانه السواد وخرجن صارخات عليه وذلك لحسن آثاره عندهم * محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قال أبو الحسن المدائني عن عمر بن مساور الاهوازي أخبرني جماعة من موالي محمد بن سليمان بن علي وخاصته انه لما حضره الموت جعلوا يلقنونه الشهادة وهو يقول ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن * لقيت بفخ لا حسينا ولا حسن * ذو الرمة الشاعر قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم عن أبي اليقظان جويرية بن أسماء قال مات ذو الرمة بالبادية فقال وهو يكيد بنفسه

يارب قد أسرفت نفسي وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثاري

يارب فاغفر ذنوبا قد أحطت بها * يوم الحساب وزحزحني عن النار

قال وحدثنا أحمد بن الاسود حدثنا الجمحي أخبرنا الزنادي قال لما احتضر ذو الرمة قيل له كيف تجدك قال أجدني أجد مالا أجد أيام الكذب فازعم اني أجد فاقول

كاني غداة البين يا أم مالك * أجود بنفس قد تدانى حمامها

* جرير الشاعر قال الاصمعي حدثنا عباد بن كسيب العنبري قال احتضر جرير ببادية المردة فدخل عليه اخوانه يعودونه فقال

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبي * وان مرضت فهم أهلي وعوّادي

لو ان ليثا أبا شبلين أوعدني * لم يسلموني لليث الغابة العادي

ان يجر طير بامر فيه صالحة * أو بالفوات فقد أحسنتم زادي

* ابو الدقيش * قال محمود حدثني أحمد بن الاسود حدثني الجمحي قال قيل لابي الدقيش وقد احتضر ما تشتهي فقال اشتهي مالا أجد وأجد مالا اشتهي * بكر بن المعتمر رحمه الله تعالى قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا العتبي قال لما حضرت بكر بن المعتمر الوفاة رأوه مسرورا فقيل له في ذلك فقال ما أخرج الى سلطان غير سلطان ربي عز وجل * هدبة بن الخشرم الشاعر قال محمود حدثني محمد بن موسى حدثني ابن السكيت حدثني ابن الاعرابي قال لما قدم هدبة بن الخشرم ليقتل قال له ابن حسان بن ثابت أنشدني أبياتا قال على هذه الحال قال نعم فانشده

ألا عللاني قبل نوح النوائح * وقبل فراق الروح بين الجوانح * وقبل غد يا لهف نفسي على غد

اذا راح أصحابي ولست برائح * اذا راح أصحابي تفيض دموعهم * وغودرت في لحد على صفائح

يقولون هل أصلحتم لاخيكم * وما اللحد في الارض الفضاء بصالح

* مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال محمود حدثني ابن الهيثم حدثني العتبي عن أبيه قال لما احتضر مسلمة بن عبد الملك جعل يبكي فقيل له ما هذا الجزع فقال والله ما أجزع من الموت واني لواثق ولكن بعد ثلاثين غزاة أموت على الفراش كما تموت النساء * عبد الله بن الفضل بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب رحمه الله تعالى قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن محرر بن جعفر قال دخلت على عبد الله بن الفضل بن ربيعة وهو يكيد بنفسه وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال أبكي لبنيات وراء هذا الستر لولاهن لهان عليّ الموت اني لمؤمن بالله تائب الى الله وان الله لغفور رحيم قلت والذي ترجوه لمغفرة ذنبك فارجه لجبر بناتك فقال صدقت جزاك الله خيرا * اياس بن قتادة العبشمي رحمه الله تعالى قال أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن فائد عن أشياخ من بني تميم ان اياس ابن قتادة العبشمي نظر يوما في المرآة فرأى بياض الشعر في رأسه ولحيته فقال ما بعد هذا الا التشاغل بامور الآخرة هذا وداع من الدنيا فاقبل على الاجتهاد والعبادة فخرج يوم جمعة من المسجد فنظر الى السماء فقال مرحبا بك قد كنت انتظر مجيئك ثم التفت الى من حوله فقال اذا أنا مت فاحملوني الى ملحوب فادفنوني بها ثم سقط ميتا فحمل الى ملحوب فقبره بها * زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى * قال المدائني لما رمي زيد بن علي قال لابنه عيسى بن زيد

ابنيّ اما أهلكن فلا تكن * دنس الفعال مبيض الاثواب

واحذر مصاحبة اللئام فانما * يردى الكرام فسولة الاصحاب

*ارطاة بن سهية الشاعر *قال محمود حدثنى أبو محمد اليقطينى حدثنى أبو السكن الطائى حدثنى عم أبى زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال لما احتضر ارطاة بن سهية جعل يردد هذه الابيات

يقول الفتى ثمرت مالى وانما * لوارثه قد يثمر المال كاسبه * يحاسب فيه نفسه فى حياته
ويتركه نهبا لمن لا يحاسبه * فكلوا طعمه وخالسه وارثا * شحيحا ودهر اتعتريه نوائبه
يخيب الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

*ابراهيم بن هانئ صاحب أحمد بن حنبل رحمه الله *قال الدارقطنى سمعت أبا بكر النيسابورى يقول حضرت ابراهيم بن هانئ يوم وفاته فدعا ابنه اسحق فقال هل غربت الشمس قال لا ثم قال يا أبت رخص لك فى الافطار فى الفرض وأنت متطوع قال امهل ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت نفسه *وكيع بن أبى سود قال محمود حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا ابن أبى شيخ قال لما احتضر وكيع بن أبى سود قال لولده لو قدمت لقد جاءكم قوم قد حفوا شواربهم وحكوا جباههم وشمروا ازرهم فبكوا على وقالوا اقضوا ما على أبيكم من الدين فلا تطيعوهم فان على أبيكم من الذنوب ما ان غفرها الله له كان الدين من أيسرها وان لم يغفرها لم تخدعوا عن أموالكم * أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء رحمه الله تعالى *قال ابن الجوزى لما احتضر عزل أكفان نفسه وأوصى أن لا يكفن بغيرها ولا يخرق عليه ثوب ولا يقعد لعزاء *أبو حكيم الحبرى رحمه الله تعالى *قال ابن الجوزى حدثنى أبو الفضل بن ناصر عن جده أبى حكيم الحبرى انه كان قاعدا ينسخ فوضع القلم من يده وقال ان كان هذا موتا فوالله انه موت طيب فمات *أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى *قال ابن الجوزى حدثت عنه انه لما احتضر بكى أهله فقال لهم لى خمسون سنة أدفع عنه فدعونى أتهنا بلقائه *الامام أبو حامد الغزالى مصنف الكتاب رحمه الله *قال ابن الجوزى قال أخوه أحمد لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى أبو حامد وصلى وقال على بالكفن فأخذه وقبله وتركه على عينيه وقال سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الاسفار *أبو بكر بن حبيب رحمه الله تعالى من مشايخ ابن الجوزى قال لما احتضر شيخنا أبو بكر ابن حبيب قال له أصحابه أوصنا قال أوصيكم بثلاث بتقوى الله عز وجل ومراقبته فى الخلوة واحذروا مصرعى هذا فقد عشت احدى وستين سنة وما كأنى رأيت الدنيا ثم قال لبعض أصحابه انظر هل ترى جبينى يعرق فقال نعم فقال الحمد لله هذه علامة المؤمن ثم بسط يده عند الموت وقال

هاقد مددت يدى اليك فردها * بالفضل لا بشماتة الاعداء

*أبو الوقت عبد الاول بن عيسى راوى البخارى رحمه الله قال ابن الجوزى حدثنى أبو عبد الله التكريتى قال لما احتضر عبد الاول أسندته الى فكان آخر كلمة قالها يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين *أبو محمد بن الخشاب رحمه الله تعالى قال ابن الجوزى دخلت عليه فى مرض موته وهو ساكن غير منزعج فقال لى عند الله أحتسب نفسى ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى فى ذكر أقاويل المحتضرين من السادة الصوفية فقال (وقال الجريرى) وهو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين نسب الى جده جرير مصغرا من أكابر أصحاب الجنيد وصحب سهلا التسترى (كنت عند الجنيد) أبى القاسم (فى حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز) أى أول يوم من السنة العجمية وأصله أنور وز أى النهار الجديد (وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى) نقله القشيرى فى الرسالة وقال أبو نعيم فى الحلية سمعت عبد المنعم بن عثمان يقول سمعت أبا سعيد بن الاعرابى يقول سمعت أبا بكر العطار يقول حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة لاصحابنا فكان قاعدا يصلى ويثنى رجليه كلما أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه وثقل عليه حركتهما فمد رجليه وقد تورمتا فرآه بعض أصدقائه فقال ما هذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى لو اضطجعت قال يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه الله أكبر فلم

وقال الجريرى كنت عند الجنيد فى حال نزعه وكان يوم الجمعة يوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى

وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤس للمنايا عليهم * فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر همومهم جوالة بمعسكر (٣٤١) * به أهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه
وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم
وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر
وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا
وقيل لذي النون عند موته ماتشتهي قال ان أعرفه قبل موتي بلحظة
وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقول الله وأنا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه قال فأشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه
وقالت قدمت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها

بزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله تعالى (وقال) أبو محمد (رويم) بن أحمد البغدادي رحمه الله تعالى (حضرت وفاة أبي سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (وهو يقول في) آخر نفسه (حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر أديرت كؤس للمنايا عليهم * فاغفوا) أي اعرضوا (عن الدنيا كاغفاء ذي السكر * همومهم جوالة بمعسكر * به أهل ود الله كالانجم الزهر * فاجسامهم في الارض قتلى بحبه *) وفي بعض النسخ تبلى بدل قتلى (وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري *) أي تقطعها بسرعة الى نحو العلى حتى لم يبق في قلوبهم حجاب يحجبها عنه لاعراضهم عن الدنيا (فما عرسوا) أي مانزلوا أي في سفرهم (الا بقرب حبيبهم * وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر) أي أحوالهم في الدنيا مع مولاهم هي التي حملتهم على حنين قلوبهم اليه وقت الارتحال ولم يجدوا الماهم فيه من نزع الروح والاهوال ألما لاعراضهم عن الدنيا نقله القشيري في الرسالة (وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه) اشتياقا للقاء ربه نقله القشيري في الرسالة وفيه اشارة الى كمال حال الخراز في دوام شغله بالله وأنسه به في سائر أحواله (وقيل لذي النون) المصري رحمه الله تعالى (عند موته ماذا تشتهي قال) اشتهي (أن أعرفه) فوق معرفتي له (قبل موتي بلحظة) رواه القشيري في الرسالة والمعنى ان ذا النون رأى نفسه مقصرا عن القيام بحق معرفته فعد معرفته كلا معرفة فطلب أن يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك (وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله) أي اذكره بلسانك (فقال الى متى تقولون) لي قل الله (وأنا محترق بالله) فلست بغافل عنه فلا احتاج الى من يذكرني به نقله القشيري في الرسالة وهذا يدل على كمال حضوره مع الله شديد المراقبة له (وقال بعضهم كنت عند) أبي علي (ممشاد الدينوري) رحمه الله تعالى وجماعة (فقدم) عليهم (فقير) من الفقراء أرباب الاحوال (وقال السلام عليكم) فردوا عليه السلام فقال لهم (هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه فاشاروا اليه بمكان) عينوه له (وكان ثم عين ماء فجدد) ذلك (الفقير الوضوء) منها (وركع ماشاء الله ومضى الى ذلك المكان) الذي أشاروا اليه (ومد رجليه ومات) نقله القشيري في الرسالة وابن خميس في مناقب الابرار وابن الملقن في الطبقات وهذا من خرق العوائد وهو مستثنى من عموم خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله فيطلع الولي على ذلك وفائدة هذه الحكاية انه كان في مجلس الدينوري من ينكر خرق العوائد فاتى الله به جهارا مرتبا على سؤال وجواب ليرجع اليه من ينكره و ينتفع به و يتقوى به من ينظره (وكان أبو العباس) أحمد بن محمد (الدينوري) رحمه الله تعالى صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريري وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة يعظ و يتكلم على لسان أهل المعرفة ثم ذهب الى سمرقند فمات بها بعد الاربعين وثلاثمائة (يتكلم) للرجال والنساء (في مجلسه) بنيسابور (فصاحت امرأة) ممن حضرن مجلسه لسماع الوعظ (تواجدا) بما سمعته منه من الحكم ومقامات القرب الى الله تعالى فكره منها ذلك بحضرة الرجال (فقال لها موتي) ان كنت صادقة مغلوبة (فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه) و رجعت الى الله بالاضطرار أن لا يفضحها وأن يميتها لتسلم من نسبتها الى التكلف لاحوال الفقراء فاجاب الله دعاءها (وقالت قدمت ووقعت ميتة) رحمها الله تعالى نقله القشيري في الرسالة قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان أبو العباس فذكره (ويحكى عن فاطمة) ابنة محمد (أخت أبي علي) أحمد بن محمد (الروذباري) البغدادي ثم المصري وكانت من العارفات وهي والدة أبي العباس أحمد بن عطاء لها كلام حسن روى عنها اخوها وعاشت بعده (قالت لما قرب أجل) أخي (أبو علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه) وكان قد أغمي عليه (وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول) لي (يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى) وان لم تسألها وأعطيناك درجة الاكابر وان لم تردها وهذا الان المحتضر قد يكشف

ثم أنشأ يقول وحقك لا نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى أراكا أراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من حياكا وقيل للجنيد

قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال على

درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار ألا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحي من الله أن أوصي بهم الى غيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته

فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم قيل أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول كيف أشكو الى طبيبي ما بي * والذي بي أصابني من طبيبي

له من الامور الملكوتية فيرى مالا يراه الغير كما تقدم (ثم أنشأ يقول

وحقك لا نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من جناكا)

نقله القشيري في الرسالة وابن الملقن في الطبقات وابن حسين في مناقب الابرار وزادوا ثم قال يا فاطمة الاول ظاهر والثاني اشكال أي أول البيتين ظاهر اذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى ان لا يلتفت الى غيره والثاني منهما فيه اشكال على من لم يعرف المراد به ويتوهم انه راجع الى ربه وفي بعض نسخ الرسالة بعد البيت الثاني

فلو قطعتني في الحب اربا * لما حن الفؤاد الى سواكا

(وقيل للجنيد) قدس سره عند النزع (قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره) نقله القشيري في الرسالة يشير الى أن الذكر يكون عن الغفلة عن المذكور وانا لم أغفل عنه طرفة عين فكيف أذكره وهو مقام الاستغراق قال القشيري في الرسالة سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته ما ذكرتك الا عن غفلة ولا قبضتني الا على فترة (وسأل) أبو محمد (جعفر بن) محمد بن (نصير) البغدادي المعروف بالخلدي صحب الجنيد وانتمى اليه وصحب النوري وسمنون مات ببغداد سنة ٣٤٨ (بكران الدينوري خادم الشبلي) رحمه الله تعالى (ما الذي رأيت منه) أي عند وفاته (فقال) بكران (قال) لي الشبلي (على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل أعظم منه) لاجل براءة الذمة (ثم قال) لي (وضئني للصلاة ففعلت) أي وضأته (فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك) بالبناء للمفعول (على لسانه) أي لم يطق التكلم (فقبض على يدي وادخلها في لحيته) لأخللها (ثم مات فبكى جعفر) السائل (وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة) وفيه دلالة على كمال فضيلة الشبلي وتعظيمه للشريعة وثباته عليها عند الموت ورواه القشيري في الرسالة فقال سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي فساقه ورواه ابن الملقن في الطبقات الا أنه سمى خادمه بكيرا الدينوري (وقيل لبشر بن الحرث) الملقب بالحافي قدس سره (لما احتضر وكان يشق عليه كأنك) يا أبا نصر (تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد) رواه القشيري في الرسالة وقد روي عن سفيان الثوري انه لما احتضر قال كنا نتمناه فاذا هو شديد (وقيل لصالح بن مسمار) البصري العابد سكن الجزيرة (الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحي من الله ان أوصي بهم الى غيره) تعالى (ولما احتضر أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد (الداراني) رحمه الله تعالى (أتاه أصحابه فقالوا) له (ابشر فانك تقدم على رب) كريم (غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير) وهذا مقام من غلب على قلبه الخوف فلم يطمئن (ولما احتضر الواسطي) هو أبو بكر محمد بن موسى صحب الجنيد والنوري (قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم) وهي كلمة جامعة للخير كلها فان مراد الحق من عبده أن يكون له خاصة فلا يضاف الا اليه ولا ينتسب الا اليه وهذا هو التوحيد الخالص (واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال) لها (ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد) قدس سره (دخلت على) استاذي (السري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول

كيف أشكو الى طبيبي ما بي * والذي بي أصابني من طبيبي)

وهو مثل قول الصديق رضي الله عنه لما قيل له الا ندعو لك الطبيب قال قد رآني وقول حذيفة رضي الله عنه لما

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لاقرار له * مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب ان يك شئ فيه لى فرج
فامنن على به مادام بى رمق * وحكى ان قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشأ يقول
ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج
وجهك المامول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحجج
لا أتاح الله لى فرجا
يوم ادعو امنك بالفرج
وحكى ان أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى كنت فى وردى ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لولم يقرب أجلى ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم ابن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل سخى رفيق ثم طفئ ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وانى لا أعلم أنى صدقت الله فى شئ من عملى فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله فى شئ من عمله

قيل له ذلك قال الطبيب أمرضنى (فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق * كيف القرار على من لاقرار له
مما جناه الهوى والشوق والقلق * يارب ان يك شئ فيه لى فرج * فامنن على به مادام بى رمق

وحكى ان قوما من أصحاب) أبى بكر (الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشأ يقول

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج * وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحجج * لا أتاح الله لى فرجا * يوم أدعو منك بالفرج)

قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليلته هذه البيتين فساقهما ولم يذكر البيت الثالث (وحكى ان أبا العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الاودى من أقران الجنيد (دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى) الذى التزمته فما أمكننى قطعه لرد السلام (ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات) نقله القشيرى فى الرسالة باللفظ وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فابطأ فى الجواب ثم رد وقال اعذرنى فلقد كنت فى وردى ثم مات (وقيل للكتانى) أبى بكر محمد بن على البغدادى من أصحاب الجنيد مات بمكة سنة ٣٢٢ (لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لولم يقرب أجلى ما أخبرتكم وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب) بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمرو ابن مخزوم المخزومى أحد أجداد بنى مخزوم قدم منبج وسكنها مرابطا ترجمه فى تاريخ حلب مبسوطة ووالده المطلب روى له البخارى فى جزء القراءة والاربعة وهو صدوق كثير التدليس والارسال وأخوه عبد الله بن المطلب مدنى روى له النسائى (حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل سخى رفيق ثم طفئ) رواه الزبير بن بكار فى أنساب قريش قال سمعت القاسم بن محمد بن المعتمر بن عياض بن حميد بن عوف الزهرى يحدث أبى بمنى سنة أربع وتسعين ومائة قال حدثنى حميد بن معيوف الهمدانى عن أبيه معيوف بن يحيى قال كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب المخزومى عند موته بمنبج فاغمى عليه ولقى شدة فقال بعض من حضره اللهم هون عليه فافاق وقال من المتكلم فقال المتكلم أنا فقال هذا ملك الموت يقول لى انى بكل سخى رفيق وقد أخرجه محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين فقال حدثنا أحمد بن الاسود الحنفى حدثنا الزبير بن بكار فساقه وقد عرفت بهذا ان المعتمر فى سياق المصنف ليس هو التيمى كما يظن به عند بادئ الرأى وليس له رواية فى هذه القصة وانما هى لحفيده وقال محمود أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا مصعب الزبيرى قال مات ابن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب يقال له الحرث أبو الحكم وعبد العزيز وكان موته بمكة فجاء أبوه من قابل فلما أتى قبره قال يا بنى * أتيتك زائرا ومشتاقا فلم أرك وشهق شهقة فخر ميتا فدفن الى جنبه (ولما حضرت) أبا محمد (يوسف بن اسباط) الشيبانى الزاهد (الوفاة شهده حذيفة) المرعشى وكان بينهما توادد (فوجده قلقا) أى مضطربا (فقال حذيفة يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله كيف لا أقلق ولا أجزع وانى لا أعلم انى صدقت الله فى شئ من عملى فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله فى شئ من عمله) وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق موسى بن طريف قال سمعت يوسف بن اسباط يقول لى أربعون سنة ما حاك فى صدرى شئ الا تركته

وعن المغازلي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هـذه الصفة وهو عليل وهو يقول بمكنك أن تعمل ماتريد فارفق بي

(وعن) أبي أحمد (المغازلي) له ذكر في الرسالة (قال دخلت على شيخ من أصحاب هـذه القصة وهو عليل) محتضر (وهو يقول) مخاطبا لربه (بمكنك أن تعمل بي ماتريد فارفق بي) طلب من الله تعالى أن يرفق به في قبض الروح (ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى بك وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي) وهو يشير الى مقام الاستغراق بالله فلا يرى شيأ سواه من النعيم ولفظ القشيري في الرسالة مافعل الله بك وصنع فقال منذ ثلاثين سنة الخ وفي بعض النسخ فقالوا ابشر فقد فعل الله بك وصنع وزاد في آخره وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي (وقيل لرويم) بن محمد البغدادي (عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا أحسن غيره ولما حضر) أبا الحسين (النوري) بضم النون (الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال أليس ثم أمر) ولفظ الرسالة أليس ثم أعود وقال القشيري سمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر السراج يقول كان سبب وفاة أبي الحسين النوري انه سمع هذا البيت

لازلت أنزل من ودادك منزلا * تتحير الالباب عند نزوله

فتواجد النوري وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقي أصوله مثل السيوف فكان يمشي عليها ويعيد البيت الى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه فمات وقد تقدم للمصنف ذلك في كتاب الوجد والسماع (ودخل أبو يحيي) اسماعيل (المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي تحت عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما * فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل

تجود وتعفو منة وتكرما * ولولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد أغوى صفيك آدما)

رواه البيهقي في مناقبه (ولما حضر) أباحامد (أحمد بن خضرويه) البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أباتراب النخشبي وكان كبيرا في الفتوة (الوفاة سئل) عن مسئلة (فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو بالشقاوة فاني لي أوان الجواب) ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول كنت جالسا عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة لا أدري بالسعادة أم بالشقاوة اني لي أوان الجواب قال وكان عليه سبعمائة دينار وغرماؤه عنده فنظر اليهم وقال اللهم انك جعلت الرهون وثيقة لارباب الاموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم اللهم فادهم عني قال فدق داق الباب وقال أين غرماء أحمد فقضى عنه ثم خرجت روحه مات سنة أربعين ومائتين ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت منصور بن عبد الله فساقه مثله ومما ذكره القشيري من أحوال المحتضرين قال حكى عن عبد الله بن منازل انه قال ان حمدون القصار أوصى الى أصحابه ان لا يتركوه حال الموت بين النسوان وقيل لما حضر بعضهم الوفاة قال يا غلام أشدد كتافي وعفر خدي ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر أعتذر به ولا قوة انتصر بها أنت لي ثم صاح صيحة ومات فسمعوا صوتا استكان العبد لمولاه فقبله وقال بعضهم كنت عند ممشاد عند مماته فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة عني فقيل له قل لا اله الا الله فحول وجهه الى الجدار وقال أفنيت كلي بكلك * هذا جزاء من يحبك وقيل لابي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة قل لا اله الا الله فقال هذا شئ قد عرفناه وبه نفني ثم أنشأ يقول

ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله لا أحسن غيره ولما حضر النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال أليس ثم أمر ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشا يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد أغوى صفيك آدما ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة تسربل

فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فاني لي أوان الجواب

تسربل ثوب التيه لما عرفته * وصد ولم يرض بان لك عبده

وقيل للشبلي عند وفاته قل لا اله الا الله فقال قال سلطان حبه * أنا لا أقبل الرشا فسلوه فديته * لم يقتلني تحرشا قلت هذا قد رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال أنبأنا ابن ناصر عن ابن المبارك بن عبد الجبار عن أبي علي الحسن بن غالب قال سمعت أبا الحسن السوسنجردي يقول قالت أخت الشبلي كان أخي ينزع وأنا عنده فقلت يا أخي قل لا اله الا الله فقال ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا ثم مات رحمه الله تعالى ثم قال القشيري سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول لما مرض يحيى الاصطخري جلسنا حوله فقال له رجل مناقل أشهد أن لا اله الا الله فجلس مستويا ثم أخذ بيد واحد منا وقال قل أشهد أن لا اله الا الله ثم أخذ بيد الآخر حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات قال وسمعت بعض الفقراء يقول لما قرب وفاة أحمد بن نصر قال له واحد قل اشهد أن لا اله الا الله فنظر اليه فقال له بالفارسية بي حرمتي مكن أي لا تترك الحرمة وقال بعضهم رأيت فقيرا يجود بنفسه غريبا والذباب يقع على وجهه فجلست أذب عن وجهه ففتح عينه وقال من هذا أنا منذ كذا وكذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق الى الآن جئت أنت توقع نفسك مرعافاك الله قال وسمعت منصورا المغربي يقول دخل يوسف بن الحسين على ابراهيم الخواص عائدا له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال للخواص أتشتهي شيأ قال نعم قطعة كبد مشوي قال القشيري لعل الاشارة فيه انه أراد اشتهي قلبا يرق لفقير وكبدا يشتوي لغريب لانه كالمستخفي ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده قال وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سمعت أبا بكر الرقي يقول كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة فقال الهي كم تبقيني ههنا فما بلغ الصلاة الاولى حتى مات قال وحكي عن أبي علي الروذباري انه قال رأيت بالبادية شابا حدثا فلما رآني قال ما يكفيه شغفي بحبه حتى أعلني ثم رأيته يجود بروحه فقلت قل لا اله الا الله فانشأ يقول

أيا من ليس لي منه * وان عذبني بد * ويا من نال من قلبي * منالا ماله حد

أحرني من تجنيك * فقد أقلقني الجهد * اذا لم يرحم المولى * الى من يشتكي العبد

قال وسمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سمعت أبا الحسن الطرسوسي يقول سمعت علوش الدينوري يقول سمعت المزني الكبير يقول كنت بمكة فوقع بي انزعاج فخرجت أريد المدينة فلما وصلت الى بئر ميمونة اذا أنا بشاب مطروح فعدلت اليه وهو ينزع فقلت له قل لا اله الا الله ففتح عينه فانشأ يقول

أنا ان مت فالهوى حشو قلبي * وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من ارادة السفر فرجعت الى مكة قال وقيل لبعضهم أتحب الموت قال القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره قلت رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبدربه بن صالح قال دخل على مكحول في مرضه الذي مات فيه فقيل له أحسن الله عاقبتك يا أبا عبد الله فقال كلا الالحاق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره اه ثم قال وحكي عن الجنيد انه قال كنت عند أستاذي ابن الكريني وهو يجود بنفسه فنظرت الى السماء فقال بعد ثم نظرت الى الارض فقال بعد يعني انه أقرب اليك من ان تنظر الى السماء أو الى الارض بل هو وراء المكان قال وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا كنا في جنازة فتى سمع قائلا يقول

كبرت همة عبد * طمعت في ان يراكا

فشهق شهقة ثم مات وقد تقدم في كتاب السماع ورواه ابن الملقن في الطبقات وزاد بيتا

أوما حسب لعين * ان ترى ما قد رآك

قال القشيري وسمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول قال الوجيهي كان

سبب موت بنان الحمال انه ورد على قلبه شئ فهام على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة بنى اسرائيل فى الرمل ففتح عينه وقال ارتع فهذا مربع الاحباب وخرجت روحه وقال أبو يعقوب النهرجورى كنت بمكة فجاءنى فقير ومعه دينار فقال اذا كان غدا أموت فاصلح لى بنصف هذا قبرا والنصف لجهازى فقلت فى نفسى كأنه أصابته فاقة الحجاز فلما كان بالغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الارض فقلت هو ذا يتماوت فذهبت اليه فحركته فاذا هو ميت فدفنته كما أمر وقيل لما تغيرت الحال على ابى عثمان الحيرى مزق ابنه أبو بكر قميصا ففتح أبو عثمان عينه وقال ان خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن وحكى أبو على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لاضعه فى التراب ليرحم الله غربته ففتح عينه وقال يا أبا على أتذللنى بين يدى من ذللنى فقلت يا سيدى احياة بعد موت فقال بلى أنا حى وكل محب لله حى لانصرنك غدا بجاهى يا روذبارى ورواه ابن الملقن فى الطبقات ولفظه قدم علينا فقير فى يوم عيد فى هيئة رثة فقال هل عندك مكان نظيف يموت فيه فقير غريب فقلت له كالمتهاون به أدخل ومت حيث شئت فدخل فتوضأ وصلى ركعات ثم اضطجع فمات فجهزته والباقى سواء قال ويحكى عن على بن سهل الاصبهانى انه قال أترون انى أموت كما يموت الناس مرض وعيادة انما ادعى فيقال لى يا على فاجيب فكان يمشى يوما فقال لبيك ومات قال وسمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزنى الكبير يقول لما مرض أبو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا اله الا الله فتبسم الى وقال اياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه الا حجاب العزة وانطفأ من ساعته وكان المزنى يأخذ بلحيته و يقول حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة واخجلتاه منه وكان يبكى اذا ذكر هذه الحكاية وقال أبو الحسين المالكى كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل موته بثمانية أيام انا أموت يوم الخميس وقت المغرب وادفن يوم الجمعة بعد الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسين فانسيته الى يوم الجمعة فلقينى من خبرنى بموته فخرجت لاحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال سألت من حضر وفاته فقال انه غشى عليه ثم أفاق ثم التفت الى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذى أمرت به لا يفوتك والذى أمرت به يفوتنى فدعا بماء وجدد وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤى فى المنام بعد موته وقيل له كيف حالك فقال لا تسأل لكن تخلصت عن دنيا كم الوضرة قلت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال سمعت على بن هرون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه انه غشى عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر الى ناحية من باب البيت فساقه وفيه بعد قوله يفوتنى فدعنى أمضى لما أمرت به والباقى سواء قال القشيرى وسمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن قيس يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت رجلا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت ان الاحباء أحياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول بلغنى انه قيل لذى النون عند النزع أوصنا قال لا تشغلونى فانى متعجب من محاسن لطفه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سئل أبو حفص فى حال وفاته ما الذى تعظنا به فقال لست أقوى على القول ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل حتى أحكى عنك فقال الانكسار بكل القلب على التقصير هذا كله سياق القشيرى فى الرسالة ومما نقلته من طبقات ابن الملقن قال الحسين بن الفضل حضرت أبا الحسين النورى وهو فى الموت فقلت له ألك حاجة أو فى نفسك شهوة فرفع رأسه الى وقد انكسر لسانه فقال اى والله أشتهى شهوة كبيرة قلت وما هى قال اشتهى أرى الله تعالى ثم تنفس عاليا كالواجد بحاله وفارق الدنيا قال وقال الجنيد دخلت على السرى وهو فى النزع فجلست عند رأسه ووضعت خدى على خده فدمعت عيناى فوقع دمعى على خده وقال لى من أنت قلت خادمك الجنيد فقال مرحبا فقلت أوصنى بوصية انتفع بها قال اياك ومصاحبة الاشرار وأن تنقطع

عن الله بصحبة الاغيار ولما حضرته الوفاة قلت له يا سيدي لا برون بعدك مثلك قال ولا أخلف عليهم بعدي مثلك
قال وقيل لحبيب العجمي في مرض الموت ماهذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك فقال سفري بعيد بلا زاد وينزل بي
في حفرة من الارض موحشة بلا مؤنس وأقدم على ملك جبار قدقدم الى العذر وروى انه جزع جزعا شديدا عند
الموت فجعل يقول أريد سفرا ماسافرته قط أريد أن أسلك طريقا ماسلكته قط أريد أن أزور سيدي ومولاي
مارأيته قط أريد أن أشرف على أهوال ماشاهدت مثلها قط أريد أن أدخل تحت التراب وأبقى الى يوم القيامة ثم
أقف بين يدي الله تعالى فاخاف أن يقول لي يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر الشيطان
فيها بشئ فماذا أقول وليس لي حيلة أقول يارب هوذا قد أتيتك مقبوض اليد الى عنقي قال الراوي فهذا رجل
عبد الله ستين سنة مشتغلا به ولم يشتغل من الدنيا بشئ قط فكيف حالنا وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات أخبرنا
عمر بن ظفر أخبرنا جعفر بن أحمد حدثنا عبد العزيز بن علي أخبرنا أبو الحسن بن جهضم أخبرنا أحمد بن محمد بن
عيسى حدثني يوسف بن الحسين قال قال فتح بن شخرف دخلت على ذي النون المصري عند موته فقلت كيف
تجدك فقال

أموت وماماتت اليك صبابتي * ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي منى * وأنت الغنى كل الغنى عند اقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي * وموضع آمالي ومكنوف اضماري
وبين ضلوعي منك مالا أبثه * ولم أبد باديه لاهل ولا جار
سرائر لا تخفى عليك خفيها * وان لم أبح حتى التنادي باسراري
فهب لي نسيما منك احيا بروحه * وجد لي بيسر منك يطرد اعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن * من العلم في أيديهم عشر معشار
فابصارهم محجوبة وقلوبهم * تراك باوهام حديدات ابصار
الست دليل الركب ان هم تحيروا * وعصمة من أمسى على جرف هار

قال الفتح بن شخرف فلما ثقل قلت له كيف تجدك فقال

ومالي سوى الاطراق والصمت حيلة * ووضعي على خدي يدي عند تذكاري
وان طرقتني عبرة بعد عبرة * تجرعتها حتى اذا عيل تصباري
افضت دموعا جمة مستهلة * اطفي بها حرا تضمن أسراري
ولست أبالي فائتا بعد فائت * اذا كنت في الدارين يا واحدي جاري

وأورده ابن الملقن في الطبقات من كتاب بهجة الاسرار لابن جهضم وفيه زيادة أبيات منها بعد البيت الرابع

تحمل قلبي فيك مالا أبثه * وان طال سقمي فيك أوطال اضراري
ولي منك في الاحشاء داء مخامر * وقد هد مني الركن وانبث أسراري

ومنها بعد البيت الثامن
حملت لها القدر المفرق والتقى * على قدر والهم يجري بمقدار

ومنها قبل البيت الاخير
فيا منتهى سؤل المحبين كلهم * ابحني محل الانس مع كل زوار

وقال ابن جهضم بسنده الى عبد الجبار قال صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء فرفع
رأسه وفتح عينيه ونظر الى السماء وقال قد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك فما أتى عليه الجمعة حتى مات وقال
صاحب مصارع العشاق بسنده الى أبي اسمعيل الموصلي وكان من أصحاب الفتح بن سعيد شهد فتح العيد ذات يوم
بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه فنظر الى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى ثم قال قد قرب
الناس قربانهم فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحت
به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه الى السماء وقال علمت طول حزني وغمي
وترددي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسني أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحت به وجهه فافاق

فماعاش بعد ذلك أياما حتى مات وقال ابن الجوزى فى كتاب الثبات أخبرنا ابن ناصر أخبرنا أحمد بن احمد حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا أبى اخبرنا ابو عبد الله محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم الطوسى قال دخلت عليه قبل موته باربعة أيام فقال تعال ابشرك بما صنع الله باخيك من الخير قد نزل بى الموت وقد من الله تعالى على انه ليس عندى درهم يحاسبنى عليه اغلق الباب ولا تأذن لاحد على حتى أموت واعلم انى أخرج من الدنيا وليس ادع ميراثا غير كسائى ولبدى وانائى الذى أتوضأ فيه وكتبى وكانت معه صرة كان فيها نحو ثلاثين درهما فقال هذا لابنى اهداه له قريب له ولا أعلم شيأ احل لى منه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال أنت ومالك لابيك فكفنونى منها فان اصبتم لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر وابسطوا على جنازتى لبدى غطوا عليها بكسائى وتصدقوا باناى اعطوه مسكينا يتوضأ منه ثم مات فى اليوم الرابع وقال أبو الحسن بن جهضم فى بهجة الاسرار أخبرنا احمد بن محمد بن على حدثنى عثمان بن سهل قال دخلت على عمرو بن عثمان المكى فى علته التى توفى فيها فقلت له كيف تجدك فقال أجد سرى واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام وقال الخطيب أخبرنا احمد بن على المحتسب حدثنا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا الحسن على ابن ابراهيم البغدادى يقول سمعت أبا عبد الخالق باذى يقول حضرنا يوسف بن الحسين وهو يجود بنفسه فقال اللهم انى نصحت خلقك ظاهرا وغششت نفسى باطنا فهب لى غشى لنفسى لنصحى لخلقك ثم خرجت روحه وقال ابن الجوزى قال أبو الوفاء بن عقيل ونقلته من خطه قال بعض أصحاب عبد الصمد الزاهد حضرته عند موته وهو يقول يا سيدى لليوم خبأتك ولهذه الساعة اقتنيتك حقق حسن ظنى بك (فهذه أقاويلهم) عند سفرهم للآخرة (وانما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم) من خوفهم ورجائهم وحبهم للقاء الله تعالى (فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب) للقاء الله تعالى (فتكلم كل واحد على مقتضى حاله) بما أقامه الله فيه (والكل صحيح بالاضافة الى أحوالهم) وبالله التوفيق

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان الجنازة) بالفتح والكسر أفصح وقال الاصمعى بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير وروى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال بالكسر السرير وبالفتح الميت نفسه (عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز) أى السرر (يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون) أى لا يقدرون الموت على أنفسهم قريبا (ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا) كانوا (يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها وكان قد) حمل عليها (ولعله فى غد أو بعد غد) وما أقرب ذلك اذ كل آت قريب (يروى عن أبى هريرة) رضى الله عنه (انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر) أى لاحقون بكم قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغنى عن أبى هريرة انه كان اذا مر بجنازة قال روحى فانا غادون أو اغدى فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول ويبقى الآخر لا عقل له (وكان) أبو عبد الله (مكحول الدمشقى) فقيه الشام رحمه الله تعالى (اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له) هذا القول روى عن أبى هريرة كما ذكر قبل هذا وعن أبى الدرداء أيضا رواه ابو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا أبو الهيثم بن خارجة حدثنا اسمعيل بن عياش عن شرحبيل ان أبا الدرداء كان اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون أو روحوا فانا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا يذهب بالاول فالاول ويبقى الاخير لا حلم له ورواه صاحب كتاب المتفجعين فقال حدثنا محمد بن جبلة حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا اسمعيل عن شرحبيل بن مسلم عن أبى الدرداء انه كان اذا رأى جنازة قال روحى فانا غادون

فهذه أقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى أحوالهم

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون أنهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد او بعد غد ويروى عن أبى هريرة انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له

وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات مالك بن دينار خرج

موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا يذهب الاول و يبقى الآخر لافكرة له ولا حلم (وقال) أبو
يحيى (أسيد بن حضير) بالتصغير فيهما ابن سماك بن عتيك الانصاري الاشهلي أحد النقباء رضي الله عنه مات
سنة عشرين أو اثنين وعشرين (ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه)
رواه ابن المبارك في الزهد وأحمد في مسنده من طريق فاطمة ابنة الحسين بن علي عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان أسيد من أفاضل الناس وكان يقول لو اني أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين اقرأ القرآن
أو حين أسمعه يقرأ واذا سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شهدت جنازة وما شهدت جنازة فقط
فحدثت نفسي بسوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة اليه (ولما مات أخو مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه
الله تعالى (خرج مالك في جنازته) وهو يبكي (و يقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم مادمت
حيا) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وقال) سليمان بن مهران (الاعمش) رحمه الله تعالى (كنا نشهد
الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن
الحسن حدثنا عمرو الاودي حدثنا وكيع عن الحسن بن صالح عن الاعمش قال ان كنا لنشهد الجنازة فلا ندري
من نعزي لحزن القوم (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) رحمه الله تعالى (كنا نشهد الجنائز فلا نرى
الا متقنعا باكيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الحرث
وعبد الله بن أبي زياد قالا حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ثابت قال كنا نتبع الجنازة فما نرى الا متقنعا باكيا
أو متقنعا متفكرا (فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم
يضحكون و يلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا في الحيلة التي بها
يتناول بعض ما خلفه) نسأل الله التوفيق وقد روى صاحب كتاب المتفجعين عن الميموني عن أحمد بن حنبل
عن سفيان قال رأى ابن مسعود رجلا يضحك في جنازة فقال اتضحك مع الجنازة لا أكلمك أبدا اذ كر سفيان
اسناده فقال قال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من بني عبس يقال له أبو بحر قال الميموني
حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال سمعت أبي يذكر ذلك عن يزيد بن عبد الله عن
بعض أصحابه قال رأى عبد الله رجلا يضحك في جنازة فقال تضحك وأنت تتبع الجنازة والله لا أكلمك أبدا
وقال الميموني حدثنا أحمد بن حنبل قال سمعت وكيعا يقول أبو بحر الذي روى عنه حسن هو صاحب لنا وكان
معنا وقد رأيته يقال له يزيد بن عبد الله حدثني عنه أصحابنا ان ابن مسعود رأى رجلا يضحك في جنازة فقال له
تضحك في الجنازة والله لا أكلمك أبدا ومن طريق ضمرة بن حبيب عن عمه المهاصر قال موطنان لا ينبغي لمؤمن ان
يضحك منهما القبر حين يراه ومطالعه الى القبر (ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا
حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى و) نسينا (اليوم
الآخر) نسينا (الاهوال) العظيمة (التي بين أيدينا فصرنا نلهو) ونلعب (ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا)
ولا يهمنا (فنسأل الله تعالى اليقظة) والانتباه (من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز
بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت) يحكى انه (نظر ابراهيم الزيات) رحمه الله تعالى (الى
أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة) كل منها أعظم
من الآخر الهول الاول (وجه ملك الموت قد راى) فقد وردت الاخبار بان كل ميت يراه بصورته فيذهل من
مشاهدتها (و) الهول الثاني (مرارة الموت وقد ذاق) وناهيك بها مرارة لا تدخل تحت الوصف (و) الهول
الثالث (خوف الخاتمة) بان يسلب الايمان (وقد أمن) منه (وقال أبو عمرو بن العلاء) بن عمار بن العريان
المازني النحوي القارئ ثقة من علماء العربية واختلف في اسمه على أقوال فقيل زبان وقيل العريان وقيل يحيى
وقيل جزء والاول أشهر والثاني أصح عند الصولي مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة روى

مالك في جنازته يبكي و يقول والله لا تقر عيني حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم مادمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت الآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون و يلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه وأقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الى ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر ابراهيم
الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال ابو عمرو بن العلاء

جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وانشا يقول

ترو عنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لاندرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتحامى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بان الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه و يتوضأ و يصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور و يشتغل بالفسق (والثانى

له البخارى معلقا وأبو داود فى كتاب القدر له وابن ماجه فى التفسير له (جلست الى جرير) بن الخطفى واسمه عطية بن حذيفة (وهو يملى على كاتبه شعرا) فيكتبه (فاطلعت جنازة فامسك) عن الاملاء (وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وانشا يقول

ترو عنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات)

الروعة المخافة والثلة جماعة الغنم والمغار الاغارة وقال محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود الحنفى قال أنشدنا نصر بن قديد الليثى لعروة بن اذينة الليثى

نراع اذا الجنائز قابلتنا * ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة لمغار سبع * فلما غاب عادت راتعات

قال وحدثنا أحمد بن الاسود قال سمعت ابن عائشة يقول سمعت سفيان بن عيينة يتعجب لبيتى لبيد

ونحدث فزعات لدى كل روعة * ونسرع نسيانا ولم يأتنا أمن
وانا ولا كفران لله ربنا * لكالبدن ماندرى متى يومها البدن

(فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لايدرى حقيقتها ولذلك روى عن) أبى ذر (عمر بن ذر) بن عبدالله بن زرارة الهمدانى بسكون الميم المرجى الكوفى ثقة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه فى كتاب التفسير له (انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتحامى كثير من الناس عن جنازته) أى لم يحضروها (فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره) أى انزل (وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا) وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق النضر بن اسمعيل قال شهدت عمر بن ذر فى جنازة وحوله الناس فلما وضع الميت على شفير القبر بكى عمر ثم قال أيها الميت أما أنت فقد قطعت سفر الدنيا وطوبى لك ان توسدت فى قبرك خيرا (ويحكى ان رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه) وانهماكه فى الفجور (فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه واحد فحملتها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بان الزاهد المذكور قد نزل) من صومعته (ليصلى على فلان) الفاسق (فخرج أهل البلد) يهرعون اليه (فصلى الزاهد وصلوا عليه) موافقة له (وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه) وسألوه عن ذلك (فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس) من ذلك (فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف) بين الناس (كان طول نهاره فى الماخور) أى بيت الخمر (مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء) الاول انه (كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه) أى يغيرها (و يتوضأ و يصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور و يشتغل بالفسق) من الشرب وغيره

(والثانى انه كان أبدالايخلو بيته عن يتيم أو يتيمين) يكفلهم (وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى و يقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريدان تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره) وأخبر الناس بذلك (وعن) أبى الصهباء (صلة بن اشيم) العدوى البصرى الزاهد (وقد دفن أخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لااخالك ناجيا)

هذا السياق مزال عن أصله وقد رواه أبو نعيم فى الحلية على أصله فقال حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن سهل بن الصباح حدثنا حميد بن مسعود حدثنا جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال مات أخ لنا فصبرنا عليه فلما وضع فى قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى يافلان بن فلان انك

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لااخالك ناجيا

قال فبكى وأبكى الناس وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا جعفر بن سليمان عن هشام بن حسان عن الحسن قال كنا فى جنازة فلما دفن الميت قام صلة بن اشيم العدوى على القبر فقال

ان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لااخالك ناجيا

وقال أيضا حدثنا أحمد بن الاسود حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن قيس قال وقف عسعس بن سلامة على قبر فقال

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لااخالك ناجيا

فقيل يا أبا صفرة فى هذا الموضع قال نعم انتهى وقال أحمد فى الزهد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت ان اخا لصلة بن اشيم مات فجاء رجل وهو يطعم فقال يا أبا الصهباء ان أخاك مات فقال هلم فكل فقد نعى الينا فقال والله ماسبقنى اليه أحد فمن نعاه قال يقول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون

(بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور)

(قال الضحاك) بن مزاحم الهلالى أبو القاسم أو أبو محمد الخراسانى المفسر صدوق كثير الارسال مات بعد المائة روى له الاربعة (قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ومن لم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور) رواه البيهقى فى الشعب عن الضحاك مرسلا وقد تقدم فى كتاب الزهد والفقر وقال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن الضحاك بن مزاحم قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال ذساقه وفيه وترك أفضل زينة الدنيا وفيه وعد نفسه من الموتى (وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة) رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن عبد الله بن محمد ابن عمر بن على عن أبيه قال قيل لعلى ماشأنك أباحسن جاورت المقبرة فذكره وروى أبو نعيم فى الحلية من ترجمة زيد بن أسلم قال سكن رجل المقابر فعوتب فى ذلك فقال جيران صدق ولى فيهم عبرة (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا الا والقبر أفظع منه) روى ذلك من حديث عثمان وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب آداب الصحبة وسيأتى له ذكر أيضا (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فاستأذنته ان أستغفر لها فابى على فادركنى مايدرك الولد من الرقة) قال العراقى تقدم فى آداب الصحبة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب انتهى قلت حديث الاستئذان بزيارة قبر الام قد ورد من طرق من حديث أبى هريرة وبريدة بن الحصيب وابن مسعود فحديث أبى هريرة قال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا محمد بن عبيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه

لهم والثالث انه كان يفيق فى اثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لااخالك ناجيا

(بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشانك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا الا والقبر أفظع منه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فاستأذنته أن أستغفر لها فابى على فادركنى مايدرك الولد من الرقة

فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقد رواه كذلك أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان وحديث بريدة بن الحصيب رواه ابن أبي شيبة أيضا فقال حدثنا محمد بن عبد الله الاسدي عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذع قبر فجلس اليه فجعل يحرك يده ورأسه كهيئة المخاطب وأجلس الناس حوله فقام وهو يبكي فتلقاه عمر وكان من أجرأ الناس عليه فقال بابي أنت وأمي يارسول الله ما الذي أبكاك قال هذا قبر أمي سألت ربي الزيارة فاذن لي وسألته الاستغفار فلم يأذن لي فذكرتها فرقت نفسي فبكيت قال فلم يروما كان أكثر باكيا منه يومئذ وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثني محمد بن علي بن ميمون حدثنا الفريابي حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة قال أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم رسم قبر فجلس وجلس الناس عنده فجعل يحرك يده ورأسه كالمخاطب وقام يبكي فقال له عمر ما يبكيك يانبي الله قال استأذنت ربي عزوجل في زيارة قبر أم محمد فاذن لي وسألته الاستغفار لها فابى علي قلت هكذا هو في سياق السند عن سليمان بن بريدة قال ولعله سقط لفظ عن أبيه والله أعلم وحديث ابن مسعود رواه الحاكم ولفظه ان القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي فيه واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فاخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني وقال ابن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هرون عن حماد بن زيد حدثنا فرقد السبخي حدثنا جابر بن زيد حدثنا مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني نهيتكم عن زيارة القبور فانه قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها تذكركم وقد تقدم الكلام على شيء من ذلك في كتاب آداب الصحبة (وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة انتهى قلت ورواه كذلك حسان بن السري وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والبيهقي وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة والميموني قالا حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف الصاغاني حدثني عبد الله بن بحير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان انه كان اذا وقف على القبر بكى حتى تبل الدموع لحيته فقيل له انك تذكر الجنة والنار فلا نراك تبكي وتبكي من القبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده شر منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه قال عثمان فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت قال استغفروا لصاحبكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل ورواه أبو نعيم في الحلية مختصرا فقال حدثنا فاروق الخطابي حدثنا أبو مسلم حدثنا علي بن عبد الله المديني حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد الله بن يحيى عن هانئ مولى عثمان بن عفان قال كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته (وقيل ان عمرو بن العاص) رضي الله عنه (نظر الى المقبرة) يوما (فنزل) عن دابته (وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه) فهل له من سبب (فقال) نعم (ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب الى الله بهما) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما ذا أعددت لي) ويروى نحوه مرفوعا من حديث أبي الحجاج الثمالي والبراء ابن عازب وغيرهما وأقرب السياق اليه حديث البراء وقول عبيد بن عمير كما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى في بيان كلام القبر للميت (وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه (ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه (يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال

اجلس الى قوم يذكرونى معادى واذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد لا يأتى القبور ليلا و يقول يا أهل القبور ما لى اذا دعوتكم لا تجيبونى

ثم يقول حيل والله بينهم و بين جوابى وكانى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر * وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول أيها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الارض باعماله ليت شعرى باى أعمالك استبشرت وباى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بى عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من أين تجيبه ان أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك

أجلس الى قوم يذكرونى معادى واذا قمت لم يغتابونى) ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان) أبو عبد الله (جعفر بن محمد) بن على بن الحسين رحمه الله تعالى (يأتى القبور ليلا ويقول يا أهل القبور ما لى اذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكانى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لبعض جلسائه يا فلان) كذا فى النسخ وفى الحلية أبا فلان (لقد أرقت الليلة أتفكر) قال فيم أمير المؤمنين قال (فى القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثالثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به) ولفظ الحلية بناحيته (ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد ابن أحمد بن أبان حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عمر بن جرير حدثنى أبو السريع الشامى قال قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه فساقه وزاد بعد قوله مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مزاحم ويحك أخرج هذا الرجل عنا فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولى فليته لم يل قال فخرج الرجل فجاءت فاطمة تصب على وجهه الماء وتبكى حتى أفاق من غشيته فرآها تبكى فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فذكرت به مصرعك بين يدى الله تعالى للموت وتخليك من الدنيا وفراقك لنا فذاك الذى أبكانى فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم مال ليسقط فضمته الى نفسها فقالت بابى أنت يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك فى قلوبنا فلم يزل على حاله تلك حتى حضرته الصلاة فصبت على وجهه ماء ثم نادته الصلاة يا أمير المؤمنين فأفاق فزعا قلت أبو بكر بن سفيان فى سياق السند هو ابن أبى الدنيا وهكذا أورده بهذا السياق كله فى كتاب القبور له (وكان يزيد) بن أبان (الرقاشى) البصرى التابعى رحمه الله تعالى (يقول أيها المقبور فى حفرته المتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الارض باعماله ليت شعرى باى أعمالك استبشرت وباى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور بلفظ قال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا ورواه الخطيب فى التاريخ وزاد ثم يبكى يزيد ويقول فطوبى لمن كان أنيسه صالحا والويل لمن كان أنيسه عليه وبالا وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى اسحق الحميسى قال كان يزيد الرقاشى يقول فى قصصه يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون قال فبكى حتى سقطت أشفار عينيه (وقال) أبو عبد الرحمن (حاتم) بن يوسف (الاصم) مولى المثنى المحاربى رحمه الله تعالى (من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان بكر) بن محمد (العابد) رحمه الله تعالى حكى عن مالك بن دينار له ذكر فى الحلية (يقول) لامه (يا أماه ليتك كنت بى عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا وبعد ذلك منه رحيلا) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من أين تجيبه ان أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان أجبته من قبرك منعتها) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان الحسن بن صالح) بن حى بن حيان بن شفى الهمدانى الثورى الكوفى العابد مولده سنة مائة ومات سنة تسع وستين روى له البخارى فى الادب المفرد ومسلم والاربعة اذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك) رواه ابن أبى الدنيا

وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في
القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة

ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت
المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من
نفس مغمومة فيها وروي أن فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين

في كتاب القبور وروى أبو نعيم من طريق يحيى بن يونس قال كان الحسن بن صالح ينظر الى المقبرة فيصرخ
ويغشى عليه (وكان عطاء السلمي) البصري العابد رحمه الله تعالى (اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم
يقول يا أهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه
حتى يصبح) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم
حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن قال سمعت عبد الخالق بن عبد الله العبدي قال كان عطاء اذا جن عليه الليل خرج
الى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال يا أهل القبور متم فوا موتاه ثم يبكي ويقول يا أهل القبور عاينتم
ما عملتم فوا عملاه فلا يزال كذلك حتى يصبح قال وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد
ابن ابراهيم حدثنا سيار بن حاتم حدثني بشر بن منصور قال كنت أسمع عطاء السلمي كل عشية بعد العصر
يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر وبالسند الى أحمد بن ابراهيم قال حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن
حدثني أبي عن حماد بن زيد قال كان عطاء لا يتكلم فاذا تكلم قال عطاء غدا هذه الساعة في القبر قال وحدثنا
محمد بن أحمد بن النضر حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا محمد بن مخزوم حدثنا محمد بن الحسين حدثنا
الصلت بن حكيم حدثنا العلاء بن محمد البصري قال شهدت عطاء السلمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع
مرات حتى صلى عليها كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق فاذا نظر الى الجنازة خر مغشيا عليه (وقال سفيان) الثوري
(من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار) رواه
ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي العابد (قد حفر في داره قبرا فكان
اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما
تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال أحمد بن حرب)
النيسابوري الزاهد روى عن ابن عيينة قال الذهبي صاحب مناكير (تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه
ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شئ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
القبور (وقال ميمون بن مهران) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز (خرجت مع عمر بن عبد العزيز
الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل
الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في
أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله) رواه ابن أبي الدنيا
في كتاب القبور قال حدثني محمد بن الحسين حدثني أبو منصور الواسطي حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي
حدثنا خالد بن صفوان عن ميمون بن مهران قال خرجت مع عمر بن عبد العزيز فذكره الا أنه قال ثم أقبل علي
فقال يا أيوب وفيه ثم بكى حتى غشي عليه ثم أفاق فقال انطلق بنا فوالله ما أعلم أحدا والباقي سواء وقد أخرجه
أبو نعيم في الحلية من طريقه فقال حدثنا محمد بن أحمد بن أبان حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن سفيان وهو ابن
أبي الدنيا نسبه الى جده (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) رحمه الله تعالى (دخلت المقابر فلما قصدت
الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها) رواه ابن أبي
الدنيا في كتاب القبور بلفظ كنت في مقبرة فحدثت نفسي اذ هتف بي هاتف يا ثابت ان تراهم ساكتين فكم
فيهم من مغموم فالتفت فلم أر أحدا وروى صاحب الحلية عن ابن السماك قال لا يغرنكم سكون هذه القبور
فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشدها وهم فيها (وروي ان فاطمة بنت الحسن نظرت
الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين) هكذا في نسخ الكتاب ولعل الصواب ان فاطمة بنت الحسين نظرت
الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن وهي والدة عبد الله المحض وانما لقب بذلك لمكان امه فاطمة بنت الحسين

ابن

فغطت وجهها وقالت وكانوار جاء ثم أمسوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه
سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من

ابن علي بن أبي طالب ووالده هو الحسن المثنى بن الحسن السبط (فغطت وجهها وقالت
وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة
فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا) وكان وفاة
الحسن المثنى في زمن الوليد بن عبد الملك وعمره خمس وثلاثون سنة وكان قد شهد الطف مع عمه الحسين وأثخن
بالجراح فحماه أسماء بن خارجة الفزاري وهو من أخواله وكان عبد الرحمن بن أحمد بن الاشعث قد دعا اليه
وبايعه فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى مات وكان الحسن قد خطب الى عمه الحسين احدى بناته فابرز
اليه فاطمة وسكينة فقال يا ابن أخي اختر أيتهما شئت فاستحيا الحسن وسكت فقال الحسين قد زوجتك فاطمة
فانها أشبه الناس بابي (وقال أبو موسى التميمي) البصري اسرائيل بن موسى ثقة روى له البخاري وأبو داود
والترمذي والنسائي (توفيت) النوار (امرأة الفرزدق) غالب بن ناجية بن عقال بن صعصعة التميمي الشاعر
المشهور (فخرج في جنازتها وجوه البصرة) أي رؤساؤها (وفيهم الحسن) البصري رحمه الله تعالى (فقال
له الحسن يا أبا فراس) وهي كنية الفرزدق (ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين
سنة فلما دفنت أقام على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا * اذا جاءني يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا * لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا)

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق حجاج بن تميلة قال شهدت الحسن والفرزدق عند قبر فقال الحسن
للفرزدق ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة فسكت الحسن قال لبطة بن الفرزدق
فرأيت أبي في النوم بعد موته فقال لي يا بني نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن وقال محمود بن محمد في كتاب
المتفجعين حدثنا محمد بن موسى العمي حدثنا محمد بن عبد المنعم بن ادريس حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه
وعوانة قالا بلغ الفرزدق سنا حتى قارب المائة فاصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به البصرة فأتى برجل من بني
قيس بن ثعلبة يتطبب فسقاه القار الابيض فجعل يقول ويحكم أتعجلون الى القار في الدنيا قبل الآخرة فمات
وصلى عليه بلال بن أبي بردة قال وحدثنا أحمد بن الاسود الحنفي حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي عن الاصمعي
قال لما احتضر الفرزدق أوصى وأعتق رقيقه ثم أنشأ يقول

أروني من يقوم لكم مقامي * اذا ما الامر جل عن الخطاب
الى من تفزعون اذا حثوتم * بايديكم علي من التراب

فقالت جارية ممن كان أعتق نفزع الى الله تعالى فقال يا فاعلة أمحوا اسمها من العتق (وقد أنشدوا في أهل
القبور) أبياتا سنذكر بعضها منها قول بعضهم

(قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها * ومن المكرم منكم في قعرها
قد ذاق برد الامن من روعاتها * أما السكون لذي العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها * أما المطيع فنازل في روضة
يفضي الى ما شاء من روحاتها * والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (على امرأة تبكي على قبر وهي تقول

الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال أبو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال
أخاف وراء القبر ان لم تعافني
أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى
الى النار مغلول القلادة أزرقا
وقد أنشدوا في أهل القبور
قف بالقبور وقل على ساحاتها
من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها
قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد
* لا يستبين الفضل في درجاتها لو جاوبوك لاخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها أما المطيع فنازل في روضة *
الى ما شاء من روحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوي الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها
ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول

عدمت الحياة ولانلتها * اذا كنت فى القبر قد ألحدوكا فكيف أذوق طعم الكرى * وأنت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابتاه ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول اتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ماافتخر

قال فنوديت من بينهما أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فياسائلى عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر قال فرجعت وأنا باك *(أبيات وجدت مكتوبة على القبور)* (وجد مكتوبا على قبر) تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت أياجامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ووجد على قبر آخر مكتوبا أياغانم أماذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم وماينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب يمر أقاربى جنبات قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى ذو والميراث يقتسمون مالى * ومايألون ان جحدوا ديونى وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ماانسونى ووجدوا على قبر مكتوبا لا ان الحبيب من الاحباب مختلس * لايمنع الموت بوّاب ولاحرس فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يامن يعد عليه اللفظ والنفس أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا * وأنت دهرك فى اللذات منغمس

عدمت الحياة ولانلتها * اذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى * وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابتاه ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه) رواه القشيرى فى الرسالة وقيل كان ذلك سبب توبته (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى الزاهد رحمه الله تعالى (مررت بالمقبرة فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ماافتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر * تروح وتغدو بنات الثرى
فتمحو محاسن تلك الصور * فياسائلى عن أناس مضوا * أمالك فيمن ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك) وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال كنا نخرج مع مالك بن دينار زمن الحطمة فيجىء الموتى فيجهزهم ثم يخرج على حمار قصير وعليه عباءة مرتديا بها قال فيقول فيعظنا فى الطريق حتى اذا أشرف على القبور وأحس بنا أقبل بصوت له محزون يقول

ألاحى القبور ومن بهنه * وجوه فى التراب أجنهنه * فلوان القبور أجبن حيا
اذا لاجبننى اذ زرتهنه * ولكن القبور صمتن عنى * فعدت حزينا من عندهنه

قال فاذا سمعنا صوته جئنا اليه فيقول انما الخير فى الشباب انما الخير فى الشباب قال ثم يجمعهم فيصلى عليهم هذه (أبيات وجدت مكتوبة على القبور) فمن ذلك (وجد مكتوب على قبر

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أياجامع الدنيا لغير بلاغه * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت)

اورده ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

أياغانم أماذراك فواسع * وقبرك معمور الجوانب محكم
وماينفع المقبور عمران قبره * اذا كان فيه جسمه يتهدم)

نقله ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال ابن السماك) محمد بن صبيح البغدادى الواعظ (مررت بالمقابر فاذا قبر مكتوب) عليه ماصورته

(يمر أقاربى جنبات قبرى * كأن أقاربى لم يعرفونى * وذو والميراث يقتسمون مالى
ومايألون ان جحدوا ديونى * وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ماانسونى)

ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق عبد الله بن محمد بن عصمة بن أبى الصهباء قال قال محمد بن السماك لايغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشد نهارهم فيها (ووجد على قبر مكتوب) ماصورته

(ان الحبيب من الاحباب مختلس * لايمنع الموت بوّاب ولاحرس * فكيف تفرح بالدنيا ولذتها
يامن يعد عليه اللفظ والنفس * أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا * وأنت دهرك فى اللذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس * كم أخرس الموت فى قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس * قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس)
رواه بن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى)

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر طبيب مكتوب) ما صورته

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار لقمان الى رمسه * فاين ما يوصف من طبه
وحذقه فى الماء مع جسه * هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه)

أورده ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل * فليتق الله ربه رجل
أمكنه فى حياته العمل * ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل)

كذا فى كتاب القبور لابن أبى الدنيا وقال ابو نعيم فى الحلية حدثنا فاروق حدثنا هشام بن على السيرافى حدثنا قطر بن حماد بن واقد حدثنا أبى حدثنا مالك بن دينار قال أتيت على قبر فاذا عليه مكتوب

يا أيها الركب سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا * حثوا المطايا وارخوا من أزمتها
قبل الممات ونصوا ما ينصونا * كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فسوف كما كنا تكونونا

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن سليمان بن يسار الحضرمى قال كان قوم يسيرون يوما بالمقابر اذ سمعوا من قبر قائلا يقول

أيها الركب سيروا * من قبل ان تسيرونا *
فكما كنتم كنا فغيرنا * ريب المنون وسوف كما كنا تكونونا

قلت ووجدت فى رحلة الامام أبى سالم العياشى انه أمر بعضهم ان يكتب على قبره

اذا أمسى فراشى من تراب * وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنونى أخلائى وقولوا * هنيأ قد قدمت على كريم

وقد كتبتهما على قبر زوجى أم الفضل زبيدة ابنة المرحوم ذى الفقار الدمياطى رحمهما الله تعالى وأمر آخر أن يكتب على قبره

ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكى عليا

وروى ابن عساكر فى التاريخ عن صدقة بن يزيد قال نظرت الى ثلاثة أقبر على شرف من الارض بناحية اطرابلس أحدها مكتوب عليه

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بان المنايا بغتة ستعاجله
وتسلبه ملكا عظيما ونخوة * وتسكنه البيت الذى هو آجله

وعلى القبر الثانى

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بان اله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده * ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

وعلى القبر الثالث

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدث تبلى الشباب منازله
وتذهب حسن الوجه من بعد ضوئه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله

فنزلت قرية بالقرب منها فقلت لشيخ بها لقد رأيت عجبا قال وما ذاك قلت هذه القبور قال حديثها أعجب مما رأيت عليها قلت حدثنى قال كانوا ثلاثة اخوة واحد يصحب السلطان ويؤمر على الجيوش والبلدان وآخر تاجر موسر مطاع فى تجارته وآخر زاهد قد تخلى وتفرد لعبادة ربه فحضرت العابد الوفاة فاتاه أخوه صاحب السلطان وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه بلادنا وأتاه التاجر فقالا له توصى بشئ قال والله مالى مال أوصى فيه ولا على دين أوصى به ولا أخلف من الدنيا عرضا ولكن أعهد اليكما عهدا فلا تخالفاه اذا مت فادفنانى على نشز من الارض

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته
ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف
فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا
وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كافراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى
رأت عيناى بينهم مكانى
ووجد على قبر طبيب مكتوبا
قد قلت لما قال لى قائل
قد صار لقمان الى رمسه
فاين ما يوصف عن طبه
وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره
من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا
يا أيها الناس كان لى أمل
قصر بى عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل
أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى
كل الى مثله سينتقل

فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذلم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخالي في الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا ومافيها ثم قال الم ترحيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان أن أكون أقدر على ان أصليهما أحب الى من الدنيا ومافيها

واكتبا على قبري وكيف يلذ العيش البيتين ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلكما تتعظان ففعلا ذلك فلما كان اليوم الثالث أتى أخوه صاحب السلطان القبر فلما أراد الانصراف سمع من داخل القبر هدة أرعبته وأفزعته فانصرف مذعورا وجلا فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال أي أخي ما الذي سمعت من قبرك قال تلك هدة المقمعة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره فأصبح فدعا أخاه وخاصته فقال اني أشهدكم اني لا أقيم بين ظهرانيكم أبدا فترك الامارة ولزم العبادة وكان مأواه البراري والجبال وبطون الاودية فحضرته الوفاة فحضره أخوه فقال يا أخي ألا توصي قال مالي مال ولا على دين ولكن أعهد اليك يا أخي اذا أنا مت فاجعل قبري الى جنب قبر أخي واكتب عليه وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثا فلما مات فعل أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من اتيانه القبر أراد أن ينصرف فسمع وجبة من القبر كادت تذهل عقله فرجع مرهوبا فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال كيف أنت قال بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير قال فكيف أخي قال مع الائمة الابرار قال فما أمرنا قبلكم قال من قدم شيأ وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك فأصبح الاخ الثالث معتزلا للدنيا وفرق ماله وأقبل على طاعة الله وأنشأ ابن له في المكاسب حتى أتت أباه الوفاة فقال يا أبت ألا توصي فقال يابني مالي مال فاوصي فيه ولكن أعهد اليك اذا أنا مت أن تدفنني مع عميك وان تكتب على قبري وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثا ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا هاله فانصرف مهموما فلما كان الليل رأى أباه في منامه فقال يابني أنت عندنا عن قليل والامر جد فاستعد وتأهب لرحيلك وطول سفرك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن الى المنزل الذي أنت له قاطن ولا تغتر بما اغتر به البطالون من طول آمالهم فقصروا في أمر معادهم فندموا عند الموت وأسفوا على تضييع العمر فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الاسف على التقصير أنقذهم أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر قال الشيخ فدخلت على الفتى صبيحة رؤياه فقصها علي وقال ما أرى الامر الذي قال أبي الا وقد أظلني ولا أحسب بقي من أجلي الا الثلاثة اشهر او ثلاثة أيام لانه أنذرني بالمبادرة ثلاثا فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم ثم استقبل وتشهد ثم مات من الليل (فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت) لاجل أن يعتبر بها قارئها ويترحم على الاموات (والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون عن مكانهم مالم يلحق بهم) ولذلك قال داود الطائي لما سأله رجل النصيحة ان عسكر الموتى ينتظرونك كما في الحلية (وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها) أي باجمعها (لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور) التي كانت غائبة عنهم (فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ويستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذلم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخالي في الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا ومافيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على أن أصليهما أحب الى من الدنيا ومافيها) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس انه كان يمر على المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة فسمع قائلا يقول هذا يونس بن حلبس قد هجر تجمعون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه قال سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم عليكم فلا تردون قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيآت قلت هو يونس بن ميسرة بن حلبس تابعي ثقة وقد نسب الى جده روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه وروى ابن عساكر من طريق الاوزاعي قال مر يونس بن حلبس بمقابر باب توما وقائد يقوده وكان مكفوفا فقال السلام

عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله واياكم وغفر لنا ولكم فكأنا قد صرنا الى ما صرتم اليه فرد الله الروح فى رجل منهم فاجابه فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون فى الشهر أربع مرات نقال والى أين يرحمك الله قال الى الجمعة أفما تعلمون انها حجة مبرورة متقبلة قال ما خير ما قدمتم قال الاستغفار وقد غلقت رهوننا فلا فى حسنة نزيد ولا من سيئة ننقص وروى صاحب كتاب المتفجعين من طريق قتادة قال كان العلاء بن زياد يقول لينزل أحدكم نفسه انه قد حضره الموت فاستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل ومن طريق الاصمعى قال كان حماد بن سلمة اذا نعى اليه أحد من اخوانه صلى ركعتين وترحم على الميت وقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر الحمد لله الذى أعطانيهن بعده

(بيان أقاويلهم عند موت الولد)

أعم من أن يكون ذكرا أو أنثى اعلم انه (حق على من مات ولده أوقريب من أقاربه أن ينزله فى تقدمه عليه فى الموت منزلة مالو كان فى سفر فسبقه الولد الى البلد الذى هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه) ولا يشتد به حزنه (لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر) فتقدم هذا وتأخر هذا (وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر) وهذا معنى قول داود الطائى لمن طلب منه النصيحة عسكر الموتى ينتظرونك (واذا اعتقد هذا قل جزعه و) سكن (حزنه) قال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا عبد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال اتى الحسن رجلا يعزيه عن ابنه فرأى الجزع قد بلغ منه فقال كان ابنك يغيب عنك قال نعم قال فهبها غيبة غابها عنك فكانك عليه قدمت (لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب ما تعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الى من ان أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله) أى بعد موتى وذلك لان الوالد اذا مات ولده قبله يكون أجر مصابه بفقده فى ميزان الاب واذا مات الوالد قبله يكون أجر المصيبة فى ميزان الابن وهذه تسلية عظيمة فى موت الاولاد وفيه رد على العز ابن عبد السلام فى ذهابه الى أنه لا أجر فى المصيبة لانها ليست من كسب العبد بل فى الصبر عليها قال العراقى لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة لسقط أقدمه بين يدى أحب الى من فارس أخلفه خلفى انتهى قلت بل روى ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميدى مرسلا بلفظ لان أقدم سقطا أحب الى من مائة مستلئم رواه كذلك أبو عبيد فى الغريب والبيهقى فى الشعب والمستلئم المتسلح وحديث أبى هريرة المذكور رواه أيضا أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلى عن يزيد بن رومان عن أبى هريرة ويزيد بن عبد الملك ضعيف قاله الذهبى فى الكاشف (وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب) والسقط بالتثليث الولد يسقط قبل تمامه (وقال زيد بن أسلم) العدوى مولاهم أبو عبد الله المدنى العالم الثقة روى له الجماعة (توفى ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك الاجر فى الآخرة مثل ذلك) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة) كانت جالسة (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان) رواه مسلم وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه الا دخلت الجنة قالت امرأة أو اثنان قال واثنان وعند ابن حبان أيضا لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفى المتفق عليه لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم وقد تقدم فى كتاب النكاح (وليخلص الوالد الدعاء لولده بعد الموت) فانه أرجى دعاء وأقربه الى الاجابة (وقف محمد بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس أحد الاشراف وهو أخو جعفر وعبد الله وعلى واسحق (على قبر ولده فقال اللهم انى أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائى وآمن خوفى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووقف أبو سنان) ضرار بن مرة

فى سفر فسبقه الولد الى البلد الذى هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الى من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفى ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر فى الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كان له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقربه الى الاجابة وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم انى أصبحت أرجوك له وأخاف عليه فحقق رجائى وآمن خوفى ووقف أبو سنان

على قبر ابنه فقال اللهم انى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فانك أجود وأكرم ووقف اعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى
قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب له ماقصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ماوضع فى لحده
فقال ياذر لقد شغلنا
الحزن لك عن الحزن
عليك ليت شعرى ماذا
قلت وماذا قيل لك ثم
قال اللهم ان هذا ذر
متعتنى به ما متعتنى
و وفيته أجله ورزقه ولم
تظلمه اللهم وقد كنت
ألزمته طاعتك وطاعتى
اللهم وما وعدتنى عليه
من الاجر فى مصيبتى فقد
وهبت له فى ذلك فهب لى
عذابه ولاتعذبه فابكى
الناس ثم قال عند
انصرافه ماعلينا بعدك
من خصاصة ياذر وما
بنا الى انسان مع الله حاجة
فلقد مضينا وتركناك
ولو أقمنا مانفعناك
ونظر رجل الى امرأة
بالبصرة فقال مارأيت
مثل هذه النضارة وما
ذاك الا من قلة الحزن
فقالت ياعبد الله انى لفى
حزن مايشركنى فيه
أحد قال فكيف قالت
ان زوجى ذبح شاة فى
يوم عيد الاضحى وكان
لى صبيان مليحان يلعبان
فقال أكبرهما للآخر
أتريد أن أريك كيف
ذبح أبى الشاة قال نعم
فاخذه وذبحه وماشعرنا
به الا متشحطا فى دمه
فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فأكله
وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردنى الدهر كما ترى

الشيبانى الكوفى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له مسلم والترمذى والنسائى (على قبر ابنه فقال اللهم انى قد
غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فانك أجود وأكرم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور
(ووقف اعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب له ماقصر فيه من طاعتك) رواه
ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر) بن عبد الله بن ذر الهمدانى الكوفى
العابد (بعد ماوضع فى لحده فقال ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك
ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى
اللهم وما وعدتنى عليه من الاجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولاتعذبه فابكى الناس ثم قال عند
انصرافه ماعلينا بعدك من خصاصة ياذر ومابنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك)
قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا محمد
ابن كناسة قال لما مات ذر بن عمر الهمدانى وكان موته فجاءة جاء أباه أهل بيته يبكونه فقال مالكم انا والله ماظلمنا
ولاقهرنا ولاذهب لنا بحق ولا أخطئ بنا ولا أريد غيرنا ومالنا على الله معتب فلما وضعه فى قبره قال رحمك الله يابنى
والله لقد كنت بى بارا ولقد كنت عليك حدبا ومابى اليك من وحشة ولا الى أحد بعد الله فاقة ولا ذهبت لنا بعز
ولا أبقيت علينا من ذل ولقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ماصرت
اليه فليت شعرى ياذر ماقيل لك وماذا قلت ثم قال اللهم انك وعدتنى الثواب بالصبر على ذر اللهم فعلى ذر صلواتك
ورحمتك اللهم انى قد وهبت ماجعلت لى من أجر على ذر لذر صلة منى فلا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك أرحم منى
به اللهم انى قد وهبت لذر اساءته الى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم فلما ذهب لينصرف قال ياذر
انصرفنا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك قال وحدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح
حدثنا سفيان بن عيينة ح وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن أبى عمر العدنى
حدثنا سفيان بن عيينة قال لما مات ذر بن عمر بن ذر قال عمر بن ذر شغلنا ياذر الحزن لك عن الحزن عليك فليت
شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك اللهم انى قد وهبت لذر مافرط فيه من حقى فهب له ماقصر فيه من حقك قال وحدثنا
عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن على بن المثنى حدثنا عبد الصمد بن يزيد سمعت عمرو بن جرير الهجرى صاحب محمد
ابن جابر يقول لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه الآن يضيع الشيخ لانه كان بارا بوالديه فسمعها الشيخ فبقى
متعجبا انى أضيع والله حى لايموت فسكت حتى واراه التراب ثم وقف على قبره ليسمعهم فقال رحمك الله ياذر
وماعلينا بعدك من خصاصة ومالى الى أحد بعد الله حاجة ومايسرنى ان أكون المقدم قبلك ولولا هول المطلع لتمنيت
أن أكون مكانك لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك فياليت شعرى ماذا قيل لك وماذا قلت يعنى منكرا ونكيرا
ثم رفع رأسه فقال اللهم انى قد وهبت حقى فيما بينى وبينه له اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له قال فبقى القوم
متعجبين مما جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له (ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال مارأيت مثل
هذه النضارة وماذاك الا من قلة الحزن فقالت ياعبد الله انى لفى حزن مايشركنى فيه أحد قال فكيف قالت ان
زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الاضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد ان أريك كيف
ذبح أبى الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وماشعرنا به الا متشحطا فى دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل
فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردنى الدهر) رواه ابن أبى الدنيا
فى كتاب العزاء ويشبه هذه القصة مارواه صاحب كتاب المتفجعين عن حبش بن موسى قال أخبرنا المدائنى قال
حدثنى رجل من أهل الجزيرة من الازد قال كان رجل يجالسنا باحسن مجالسة فربما أخذته غشية حتى يغلب ثم
يفيق فقلت له يوما ماهذا الذى نراه بك قال أنا رجل من أهل الموصل وكان لى ابن من أنفس الاولاد فلما استعرض

يحيى بن محمد بن على أهل الموصل فقتلهم هربت أنا وابنى الى جبل من جبال الموصل فلجأنا الى غار فيه فأقمنا حتى بلغ الجوع منا فقلت لابنى لو خرجت فالتمست لنا زادا وأخفيت شخصك فخرج من الغار فأبطأ عنى يومين فلما كان اليوم الثالث سمعت حس رجل عليه خف يطؤ به وطأ شديدا فقلت هذا رجل من المسودة من أصحاب يحيى بن محمد قد ظفر بابنى وقد جاء به ليدله على فانتضيت سيفى فلما أدخل رجليه ضربتهما بسيفى فقطعتهما فسقط وهو يقول قتلتنى يا أبت فأقام ساعة ينزف ثم مات وكان ابنى فى خروجه من الغار وجد خفا ملقى فلبسه فكان ما ذكرته أصابنى هذا الذى ترون وقال أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الاعرابى ان اعرابيا من اعراب بنى سعد حبس فى دوّار سجن اليمامة فى تهمة فمات فى السجن فدفع الى أمه فلما نظرت اليه قالت يا بنى خرجت من دار البلاء الى دار البلى (فأمثال هذه المصائب ينبغى ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ماهو أعظم منها ومايدفعه الله فى كل حال فهو الاكثر) وأحسن مايتسلى به قول بعضهم

أرى ولد الفتى ضررا عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما * فاما أن يخلفه عدوّا

واما أن يربيه يتيما * واما أن يوافيه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت ومايتعلق به)

اعلم ان (زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين) خاصة (محبوبة) أى مرغوب اليها (لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد) كما رواه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم (وقد روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير ان لاتقولوا هجرا) بضم فسكون اى قبيحا أوفحشا وكان سبب النهى عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر ثم لما امحت آثار الجاهلية واستحكم الاسلام وصاروا أهل يقين وتقوى أذن لهم فى الزيارة ولكن بشروط يأتى ذكرها للمصنف بعد وقال القاضى الفاء متعلق بمحذوف أى نهيتكم عن زيارتها مباهاة بتكاثر الاموات فعل الجاهلية وأما الآن فقد جاء الاسلام وهدم قواعد الشرك فزوروها فانها تورث رقة القلب وتذكر الموت والبلى اهـ ونعم الدواء هى لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه فان انتفع بالاكثار منها فذاك والا اكثر من مشاهدة المحتضر بن فليس الخبر كالعيان وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قد أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارتها بعد النهى وعلله بانها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن اذنا عاما فى زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذى ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر والعلة موجودة فى ذلك كله وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين اهـ وقال المناوى فى شرح الجامع الصغير نهيتكم خطاب رجال فلاتدخل فيه الاناث على المختار عند أصحابنا فلا يندب لهن لكن يجوز على الكراهة ثم الزيارة بمجرد هذا القصد يستوى فيها سائر القبور ولايخص قبر دون قبر قال السبكى متى كانت الزيارة بهذا القصد لايشرع فيها قصد قبر بعينه ولاتشد الرحال لها وعليه يحمل مافى شرح مسلم من منع شد الرحال لزيارة القبور وكذا بقصد التبرك الاللانبياء فقط اهـ وقال بعضهم استدل به على حل زيارة القبور ذهب الزائر ذكرا أم أنثى والمزور مسلما أم كافرا قال النووى وبالجواز قطع الجمهور وقال صاحب الحاوى لايجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط اهـ قال العراقى هذا الحديث رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى غير ان لاتقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدعان بن ربيعة بن النابغة قال البخارى لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات اهـ قلت ورواه أيضا ابن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن ربيعة بن النابغة عن أبيه عن على قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ثم قال انى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها تذكركم الآخرة أما لفظ أحمد وأبى يعلى انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة وقد روى هذا الحديث من طرق عن بريدة وعائشة

فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ماهو أعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الاكثر

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت ومايتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لاتقولوا هجرا

وابن مسعود وأنس وابن عباس وأبي سعيد وواسع بن حبان وأم سلمة فحديث بريدة عند مسلم كنت نهيتكم عن
زيارة القبور فزوروها زاد الترمذي فانها تذكركم الآخرة وهو عند الحاكم بزيادة ولتذكركم زيارتها خيرا
وعند أبي داود بزيادة فان في زيارتها تذكرة وحديث عائشة رواه الحاكم في معجم شيوخه وابن النجار بلفظ
الترمذي وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجه والحاكم بلفظ فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر
الآخرة وحديث أنس رواه الحاكم وابن النجار كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي ألا فزوروها فانها ترق
القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا وحديث ابن عباس عند الطبراني بلفظ فزوروها ولا
تقولوا هجرا وحديث أبي سعيد وواسع بن حبان عند الحاكم بلفظ فان فيها عبرة وحديث أم سلمة عند
الطبراني بلفظ فان لكم فيها عبرة وروى الطبراني في الصغير من حديث زيد بن ثابت زوروا القبور ولا تقولوا
هجرا (وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال
أذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما أوردنا من قبل) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من
حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الاخنسي متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كما معه قريبا من ألف
راكب وفيه انه لم يأذن له في الاستغفار ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ربي ان أستغفر لامي فلم
يأذن لي واستأذنت ان أزور قبرها فاذن لي اهـ قلت وروى ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن عبيد حدثنا
يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله
فقال استأذنت ربي في ان أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها
تذكركم الموت وروى أيضا من طريق مسروق عن عبد الله رفعه اني نهيتكم عن زيارة القبور فانه قد أذن لمحمد
في زيارة قبر أمه فزوروها فانها تذكركم (وقال ابن أبي مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله وأبو مليكة بالتصغير اسمه
زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المدني تابعي جليل أدرك ثلاثين من الصحابة روى له الجماعة (أقبلت عائشة
رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور
باسناد جيد اهـ قلت ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا عيسى بن يونس عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي
مليكة قال توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي قال ابن جريج الحبشي على اثني عشر ميلا من مكة فدفن بمكة فلما
قدمت عائشة أتت قبره فقالت

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك مازرتك (ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في
الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر) أي الفحش من القول (على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها
ولا يخلون في الطريق عن تكشف) للعورة (وتبرج) أي تزين (وهذه عظائم والزيارة سنة) مستحبة (فكيف
يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة) أي حقيرة (ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط
الاقتصار على الدعاء) والاستغفار (وترك الحديث على رأس القبر) الا ما أهم (وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله
عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة
بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور
والحاكم باسناد جيد قلت رواه الحاكم من طريق موسى الضبي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى بن سعيد عن
أبي مسلم الخولاني عن ابن عمير عن أبي ذر وزاد في آخره يوم القيامة يتعرض لكل خير ثم قال رجاله ثقات قال
الذهبي لكنه منكر ويعقوب واه ويحيى لم يدرك أبا مسلم فهو منقطع اهـ ورواه البيهقي كذلك وقال هذا متن
منكر وفيه يعقوب بن ابراهيم أظنه المدني المجهول والشطر الاول من الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة
بلفظ زوروا القبور فانها تذكر الموت وروى ابن ماجه وابن منيع بلفظ زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة

وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما أوردنا من قبل * وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر * وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله

(وقال ابن أبي مليكة) عبد الله بن عبيد الله التيمي التابعي (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا واسناده حسن اهـ قلت لفظ ابن أبي الدنيا فسلموا عليهم وصلوا عليهم وقد رواه الديلمي من حديث عائشة متصلا بلفظ زوروا اخوانكم وسلموا عليهم وصلوا فان لكم فيهم عبرة (وعن نافع عن ابن عمر) رضي الله عنه (انه كان لا يمر بقبر أحد الا وقف عليه وسلم عليه) قال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا يحيى بن آدم عن زهير عن موسى بن عقبة انه رأى سالم بن عبد الله لا يمر بليل ولا نهار بقبر الا سلم عليه ونحن مسافرون معه يقول السلام عليكم فقلت له في ذلك فاخبرني عن أبيه انه كان يصنع ذلك قال وحدثنا حفص بن غياث عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم وقدمات بعض ولده قال دلوني على قبره فيدلونه عليه فينطلق فيقوم عليه ويدعو له (وعن جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عن أبيه) محمد بن علي (ان) جدته (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ورضي عنها (كانت تزور قبر عمها) أي عم أبيها (حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه (في الايام فتصلي وتبكي عنده) وروى البيهقي في الشعب عن الواقدي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الشهداء باحد في كل حول واذا بلغ رفع صوته فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم أبو بكر كل حول يفعل مثل ذلك ثم عمر ثم عثمان وكانت فاطمة رضي الله عنها تأتيه وتدعو وكان سعد بن أبي وقاص يسلم عليهم ثم يقبل على أصحابه فيقول ألا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام (وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه) وفي لفظ والديه (أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا) بهما قال العراقي رواه الطبراني في الصغير والاوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك اهـ قلت وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة ورواه أيضا البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع في كل جمعة مرة وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان روى عنه محمد بن المثنى وغيره لكن قال مجهول ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه قال أحمد كذاب يضع الحديث وقال أبو حاتم ليس بالقوي وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدة أخبار منها مارواه الحكيم وابن عدي من حديث ابن عمر من زار قبر أبويه أو أحدهما احتسابا كان كعدل حجة مبرورة ومن كان زوارا لهما زارت الملائكة قبره وروى أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافعي من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعا من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها (وعن ابن سيرين) محمد رحمه الله تعالى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وهو مرسل صحيح الاسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد ابن جحادة عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن أبي جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف اهـ قلت ورواه ابن عساكر من حديث أنس وقال فيه يحيى بن عقبة كذبه ابن معين ولفظه ان الرجل يموت والداه أو أحدهما وانه لعاق لهما فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله برا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري) أي من زارني في قبري فقصد البقعة نفسها ليس بقربة كذا ذكره السبكي في شفاء السقام وحمل عليه مانقل عن مالك من منع شد الرحل لمجرد زيارة القبر من غير ارادة اتيان المسجد للصلاة فيه (وجبت له شفاعتي) أي حقت وثبتت ولزمت قال السبكي يحتمل كون المراد له بخصوصه بمعنى ان الزائرين يخصون بشفاعة لاتحصل لغيرهم ويكون افرادهم بذلك تشريفا وتنويها بهابسبب الزيارة او المراد ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تناله الشفاعة وفائدته البشرى بانه يموت مسلما وعليه يجب اجراء اللفظ على عمومه اذلو أضمر فيه شرط الوفاة على الاسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى اذ الاسلام وحده كاف في نيلها وعلى الاولين يصح هذا الاضمار والحاصل ان أثر الزيارة اما الموت على الاسلام مطلقا لكل زائر واما شفاعة تخص

* وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي

وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى

الزائر أخص من العامة وقوله شفاعتي في الاضافة اليه تشريف لها اذ الملائكة وخواص البشر يشفعون فالزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب أسرار الحج قال ابن القطان وفيه عبد الله بن عمر العمري قال أبو حاتم مجهول وموسى ابن هلال البصري قال العقيلي لا يصح حديثه ولا يتابع عليه وقال السبكي بل حسن أو صحيح وقال الذهبي طرقه كلها لينة ولكن يتقوى بعضها ببعض وقال ابن حجر حديث غريب أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال في القلب من سنده شيء وأنا أبرأ الى الله من عهدته قال ابن حجر وغفل من زعم ان ابن خزيمة صححه وبالجملة قول ابن تيمية موضوع غير صواب (وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة) أي في حياتي أو بعد وفاتي (محتسبا) أي ناويا بالزيارة وجه الله تعالى وثوابه وقيل له محتسبا لاعتداده بعمله فجعل حال مباشرته الفعل كانه معتد به (كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة) هكذا في النسخ بالواو والصحيح أو أي شهيدا للبعض وشفيعا لباقيهم أو شهيدا للمطيع شفيعا للعاصي وأو فيه بمعنى الواو أو للتقسيم كما تقرر وجعلها الشك لم يرده عياض قالوا وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج بل عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة الى قبره ميتا كهي اليه حيا رواه البيهقي من حديث أنس وقد تقدم في كتاب أسرار الحج (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة يحفون بالقبر) أي بقبره صلى الله عليه وسلم (يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا) الى السماء (وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا) تم عمر الدنيا و (انشقت الارض) بمن فيها (خرج) صلى الله عليه وسلم (في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن كعب انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكر وارسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر فذكره الا انه قال في آخره فيقودونه بدل فيوقرونه ورواه كذلك ابن النجار في تاريخ المدينة والقرطبي في التذكرة (فالمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم) عليه بالخصوص فيقول السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته أو هو مع غيره فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي أو يقول ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون كما في حديث عائشة عند الترمذي أو يقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالاثر كما في حديث ابن عباس عند الترمذي أيضا أو يقول السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم كما في معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال اذا مررت بالقبور قد كنت تعرفهم فقل السلام عليكم أصحاب القبور واذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقل السلام على المسلمين * (تنبيه) * روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي جري الهجيمي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى فهذا يشعر بان السنة في السلام على الموتى بتقديم الصلة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال لهم السلام عليكم دار قوم مؤمنين فيحتاج الى الجمع حتى ان بعضهم قال ان هذا أصح من حديث النهي وذهب آخرون ان السنة ما دل عليه حديث النهي وقد أجاب ابن القيم في البدائع بان كلا من الفريقين انما أتوا من عدم فهم مقصود الحديث فان قوله صلى الله عليه وسلم عليك السلام تحية الموتى ليس تشريعا منه واخبارا عن أمر شرعي وانما هو اخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على السنة الناس في الجاهلية فانهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في اشعارهم كثير والاخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلا عن الاستحباب فتعين المصير الى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من تقديم لفظ السلام حيث يسلم على الاموات قال فان تخيل متخيل في الفرق ان السلام على الاحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت قلنا والسلام على الميت يتوقع جوابه أيضا كما ورد به الحديث (وأن لا يمسح القبر ولا يمسه) بيده أو ثوبه (ولا يقبله) بفمه (فان ذلك من عادة النصارى) وكذا السجود عليه

أو اليسه وكل ذلك بدعة منكرة انما يفعلها الجهال كما قاله السبكي (قال نافع كان ابن عمر) رضي الله عنه (رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي) صلى الله عليه وسلم (السلام على أبي بكر) رضي الله عنه (السلام على أبي) رضي الله عنه (وينصرف) رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا أبو معاوية عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا أراد ان يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه ثم يلوي وجهه وكان اذا قدم من سفر أتى المسجد ففعل ذلك قبل أن يدخل منزله وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا خلاد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال سمعت نافعا يقول كان عبد الله اذا قدم المدينة أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على أبي بكر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على عمر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم يقول يا أبتاه يا أبتاه ورواه حماد بن زيد عن أيوب مثله (وعن أبي امامة) بن سهل بن حنيف رضي الله عنه (قال رأيت أنس بن مالك) رضي الله عنه (أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشبيلي اه قلت ان كان هو عبد الله بن محمد بن أبي يحيى لقبه سحبل واسم أبيه سمعان فهو ثقة وهو الظاهر فانه ينسب الى جده روى له البخاري في الادب المفرد وأبو داود ومات سنة اثنتين وستين ويحتمل أن يكون هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني وهو أحد الضعفاء المشهورين اتهمه أبو داود بالكذب وقد روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه وهذا هو الذي استقر عليه رأي السيوطي في أمالي الدرة ولم يذكر الذي قبله وقرأت في مشارق الانوار للقاضي عياض ما لفظه وأما عبد الله بن سمعان فأكثر الناس يقولونه مفتوحا وكذلك ضبطه الشيوخ وسمعناه من كافتهم وحكى ابن مكي انه غلط وان صوابه بالكسر وحكى القاضي الحافظ أبو علي ان شيخه أبا بكر بن عبد الباقي كان يقول بكسر السين اه قلت وهو هكذا بفتح السين بخط الحافظ الذهبي في الديوان وقال فيه تركوه وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وقد رواه كذلك في الاستذكار وهذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة وروى نحو ذلك من حديث أبي هريرة ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم عليه ويقعد عنده الا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده رواه أبو الشيخ والديلمي (وقال سليمان بن سحيم) أبو أيوب المدني صدوق روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وأورده أيضا عياض في الشفاء وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ورواه البيهقي بلفظ ما من عبد يسلم علي عند قبري الا وكل الله بها ملكا يبلغني وكفى أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته قال صاحب المواهب ولا شك ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم من حياة سائرهم فان قال سقيم الفهم لو كان حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه أحدها ان ذلك اعلام بثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند وجود ملزومه أو ملزوم ملزومه فوصف الحياة لازم ثابت دائما لان ملزوم ملزومه ثابت دائما وهذا من نفائس سحر البيان في اثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

*قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وينصرف * وعن أبي امامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت
أليس قدمت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع
كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن
سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة
فانصرفت الى أهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر
قلت ما جاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك

وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعا وفي لفظ آخر من حديثه ما من عبد يمر على قبر رجل يعرفه في الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام رواه كذلك ابن أبي الدنيا في القبور والصابوني في المائتين (وقال رجل من آل عاصم الجحدري) منسوب الى جحدر قبيلة من ربيعة بن نزار (رأيت عاصما) المذكور (في منامي بعد موته بسنتين) وفي نسخة بسنين (فقلت أليس قدمت قال بلى فقلت فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نحن نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون سائر الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب (وكان محمد بن واسع) البصري الزاهد رحمه الله تعالى (يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب (وقال الضحاك) بن مزاحم الهلالي المفسر (من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب وفي شرح الصدور للسيوطي قال السبكي عود الروح الى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وانما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أو حيا بدونها وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا أي ان البدن يصير بها حيا كحالته في الدنيا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا نشك ان ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى وقال ابن القيم في مسئلة تزاور الارواح وتلاقيها ان الارواح قسمان منعمة ومعذبة فاما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقها الذي هو مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقال اليافعي مذهب أهل السنة ان أرواح الموتى ترد في بعض الاوقات من عليين أو من سجين الى أجسادهم في قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصا ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال وتختص الارواح دون الاجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد وقال ابن القيم الاحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت في ذلك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت (وقال) أبو محمد (بشر ابن منصور) السليمي الازدي البصري ثقة عابد روى له مسلم وأبو داود والنسائي مات سنة ثمانين (لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان) أي المقبرة (فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك

هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك" رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب (وقال بشار بن غالب النجراني رأيت) أم اسمعيل (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية (العابدة) المتوفية في سنة ١٣٥ (في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هدايا تأتينا على أطباق من نور مخمرة) أي مغطاة (بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفي قولها فاستجيب لهم اشارة الى ان الدعاء للميت ينفع اذا استجيب فيمنع الاطلاق ولكن قد يقال ان الدعاء للميت مستجاب كما أطلقوا اعتمادا على فضل الله الواسع وقد أثنى الله على القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث) أي طالب الغوث (ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل اهـ قلت لفظ الديلمي ما الميت في قبره الاشبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال وان هدية الاحياء للاموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم ورواه البيهقي في الشعب قال وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك لم يقع عند أهل خراسان وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أبي التياح قال كان مطرف يبدو فاذا كان يوم الجمعة أدلج وكان ينور له في سوطه فاقبل ليلة حتى اذا كان عند المقابر هوم وهو على فرسه فرأى كان أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا هذا مطرف أتى يوم الجمعة قلت وتعلمون عندكم يوم الجمعة قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الطير قلت وما يقولون قالوا يقولون سلام سلام يوم صالح يقال هوم الرجل اذا طار أسه من النعاس وروى أيضا عن الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت جزعا شديدا فكنت آتي قبره في كل يوم ثم اني قصرت عن ذلك فرأيته في النوم فقال يا بني ما أبطأ بك عني قلت وانك لتعلم بمجيئي قال ما جئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك قال فكنت آتيه بعد كثيرا وروى أيضا عن سفيان قال كان يقال الاموات أحوج الى الدعاء من الاحياء الى الطعام والشراب وروى البيهقي عن أبي الدرداء هاشم بن محمد قال سمعت رجلا من أهل العلم يقول انه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك قال فقلت أزور التراب فأريته في منامي فقال يا بني مالك لا تفعل كما كنت تفعل فقلت أزور التراب فقال لا تقل ذلك يا بني فوالله لقد كنت تشرف علي فيبشرني بك جيراني ولقد كنت تنصرف فما أزال أراك حتى تدخل الكوفة وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عثمان بن سودة وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما ماتت كنت آتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر لها ولاهل القبور فرأيتها ليلة في منامي فقلت يا أمه كيف أنت فقالت يا بني ان الموت لشديد كربه وأنا بحمد الله في برزخ محمود افترش فيه الريحان واتوسد فيه السندس والاستبرق فقلت ألك حاجة قالت نعم قلت ماهي قالت لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فاني آنس بمجيئك يوم الجمعة اذا أقبلت من أهلك زائرا فابشر ويبشر بذلك من حولي من الاموات وقال الحافظ أبو طاهر السلفي سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسي بالاسكندرية يقول سمعت والدتي تقول رأيت أمي في المنام بعد موتها وهي تقول يا بنتي اذا جئتيني زائرة فاقعدي عند قبري ساعة أتملى من النظر اليك ثم ترحمي علي فانك اذا ترحمت علي صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتني وقال الحافظ ابن رجب أنبأني علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي عن أبيه قال أخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي سمعت أسد بن موسى يقول كان لي صديق فمات فرأيته في المنام وهو يقول سبحان الله جئت الى قبر فلان صديقك فقرأت عنده وترحمت عليه وأنا ما جئت الي ولا قربتني قلت له وما يدريك قال لما جئت الى قبر صديقك فلان رأيتك قلت كيف رأيتني والتراب عليك قال

هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هدايا تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار

مارأيت الماء اذا كان في الزجاج ما يتبين قلت بلى قال فكذلك نحن نرى من يزورنا (وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حيث) وفي نسخة حين (وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني به) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له) بالتثبيت قال الحكيم في نوادر الاصول الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للميت بعد الصلاة لان الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للعسكر وذلك ساعة شغل الميت لانه يستقبل هول المطلع وسؤال الفتانين (وقال سعيد بن عبد الله الاودي) من بني أود بن سعد العشيرة وفي بعض النسخ الازدي فان كان كذلك فهو سعيد ابن عبد الله بن ضرار بن الازور وضرار بن الازور أسدي ويقال في الازدي الاسدي وسعيد ضعيف كما تقدم (شهدت أبا أمامة) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه (وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات أحدكم فسوى عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب) أي لا يستطيع الجواب (ثم ليقل يا فلان بن فلانة) المرة (الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة) المرة (الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون) وفي لفظ لا تشعرون (فيقول) وفي لفظ فليقل (له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما) وفي لفظ يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه (فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما) وفي لفظ ولكن الله حجيجه دونهم (فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه الى حواء) أي فليقل يا فلان بن حواء قال العراقي رواه الطبراني باسناد ضعيف اهـ قلت لعله لمكان سعيد بن عبد الله ان كان هو ابن ضرار فقد قال أبو حاتم انه ليس بقوي نقله الذهبي هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي كتاب الدعاء وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي ورواه ابن منده من وجه آخر عن أبي أمامة قال اذا مت فدفنتموني فليقم انسان عند رأسي فليقل يا صدي بن عجلان اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ورواه ابن عساكر من وجه آخر عن أبي امامة رفعه اذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع فليقل يا فلان بن فلانة فانه يستوي قاعدا فليقل يا فلان ابن فلانة فانه سيقول له أرشدني يرحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله باعث من في القبور فان منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول قم ما تصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجهما دونه ومما ورد في الاخبار والآثار من التلقين ما رواه البزار عن علي بن أبي طالب قال اذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير القبر فاذا أدلي في قبره فقل بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عبدك نزل بك وأنت خير منزول به خلف الدنيا خلف ظهره فاجعل ما قدم عليه خيرا مما خلف فانك قلت وما عند الله خير للابرار وروى ابن أبي شيبة عن قتادة ان أنسا دفن ابنا له فقال اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وأبدله دارا خيرا من داره وروى سعيد بن منصور عن أنس انه كان اذا وضع الميت في قبره قال اللهم جاف الارض عن جنبيه وصعد روحه وتقبله وتلقه منك بروح وروى ابن ماجه والبيهقي في السنن عن ابن المسيب قال حضرت ابن عمر في جنازة ابنته فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله فلما أخذ في تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى الكثيب عليها قام جانب القبر ثم قال اللهم جاف الارض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضوانا ثم قال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد انه كان يقرأ بسم الله وفي سبيل الله اللهم افسح له في قبره ونور له فيه وألحقه بنبيه وروى الحكيم عن عمرو بن مرة قال كانوا يستحبون اذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم وروى

---

* وقال بعضهم مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت أبا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات أحدكم فسوى عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال الرجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه الى حواء

ابن

ابن أبي شيبة عن خيثمة قال كانوا يستحبون اذا دفنوا الميت أن يقولوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد ما يسوى عليه فيقول اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسئلة منطقه ولا تفتنه في قبره بما لا طاقة له به وروى سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا اذا سوى على قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل لا اله الا الله ثلاث مرات يا فلان قل ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ثم ينصرف وقال أبو بكر الآجري يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته تسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره وروى ابن سعد في الطبقات قال قال لي النزال بن سبرة اذا أدخلتني قبري فقل اللهم بارك في هذا القبر وفي داخله وروى ابن أبي شيبة عن أنس انه كان اذا سوى على الميت قبره قام عليه فقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه أو قال فزد في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه (ولا باس بقراءة القرآن على القبر) وفي نسخة القبور وقال السيوطي في شرح الصدور وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم قال الزعفراني سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به وقال النووي في شرح المهذب يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الاصحاب زاد في موضع آخر وان ختموا القرآن على القبر كان أفضل انتهى وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكناني السمنودي الشافعي عرف بابن القطان المتوفى في سنة ٨١٣ وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فاجاب ومنها وهل يصل ثواب القراءة للميت أم لا فاجاب عنها في رسالة سماها القول بالاحسان العميم في انتفاع الميت بالقرآن العظيم وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار * قال رحمه الله تعالى اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثيرون منهم يصل وبه قال الامام أحمد بعد ان قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عنه انه يصل الى الميت كل شئ من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك ونقل ذلك عن جماعة من السلف ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيرا وقرأ عنده ختمة وقال أرجو أن تدوم فكان الامر كذلك وقد أفتى القاضي حسين بان الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للاذان وتعليم القرآن قال النووي في زيادات الروضة ظاهر كلامه صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستأجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى المستأجر أو ميته لكن المستأجر لا ينتفع بان يقرأ الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب اجابة وأكثر بركة وقال في كتاب الوصية الذي يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فائدتها الى الميت وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة اذا أهدى الثواب الى القارئ وعبارة الروضة اذا أوصل الثواب الى القارئ انتهى وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارئ والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة وقال عبد الكريم الشالوسي القارئ ان نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير وان قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير وقال القرطبي وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي

ولا باس بقراءة القرآن على القبور

شقه النبي صلى الله عليه وسلم باثنين ثم غرس على قبر نصفها وعلى قبر نصفها وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا رواه الشيخان قال ويستفاد من هذا غرس الاشجار وقراءة القرآن على القبور واذا خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن وقال النووي استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا اذا وصل النفع الى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فان قراءة القرآن من انسان أعظم وانفع من التسبيح من عود وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك قال ابن الرفعة الذي دل عليه الخبر بالاستنباط ان بعض القرآن اذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه اذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته وأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وما يدريك انها رقية واذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى لان الميت يقع عنه من العبادات بغير اذنه ما لا يقع من الحي نعم يبقى النظر في ان ما عدا الفاتحة من القرآن الكريم اذا قرئ وقصد به ذلك هل يلتحق به انتهى نعم يلتحق به فروى ابن السني من حديث ابن مسعود انه قرأ في اذن مبتلى فافاق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت في اذنه قال قرأت أفحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى فرغت من آخر السورة فقال صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا قرأ بها على جبل لزال ومثل ذلك ما جاء به في القراءة بالمعوذتين والاخلاص وغير ذلك وفي الرقية بالفاتحة دليل على صحة الاجارة والجعالة لينتفع بها الحي فكذلك الميت ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار اقرؤا على موتاكم رواه أبو داود وحديث اقرؤا يس على موتاكم رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان وحديث يس ثلث القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له فاقرؤها على موتاكم رواه أحمد وأول جماعة من التابعين القراءة للميت بالمحتضر والتأويل خلاف الظاهر ثم يقال عليه اذا انتفع المحتضر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحي الحاضر يسمع كالحي الحاضر كما ثبت في الحديث انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان (وروى عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري) الانصاري أبو جعفر البغدادي فيه لين وقال أبو داود ضعيف روى له البخاري في خبر القراءة خلف الامام مات سنة سبع وثلاثين ومائتين (معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي) أبي اسمعيل الكلبي مولاهم صدوق مات سنة مائتين بحلب روى له الجماعة (فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيأ قال نعم قال أخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج) نزيل حلب مقبول روى له الترمذي (عن أبيه) العلاء بن اللجلاج الشامي يقال انه أخو خالد ثقة روى له الترمذي ولابيه اللجلاج صحبة عاش مائة وعشرين خمسين في الجاهلية وسبعين في الاسلام قال أبو الحسن بن اسمعيل اللجلاج والد العلاء غطفاني واللجلاج والد خالد عامري (انه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر) رضي الله عنه (يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ) وهكذا أورده القرطبي في التذكرة وعند الطبراني من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال قال لي أبي يا بني اذا وضعتني في لحدي فقل بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ثم سن علي التراب سنا ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك هكذا هو عند الطبراني وكانه سقط منه فاني سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الصحبة للجلاج لا للعلاء واما قول ابن عمر فقد روي مرفوعا رواه البيهقي في الشعب عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مات أحدكم فلا تحبسوه واسرعوا به الى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة ورواه الطبراني كذلك الا انه قال عند رأسه بفاتحة الكتاب والباقي سواء (وقال محمد بن أحمد المروزي) هكذا في النسخ والصواب أحمد بن محمد المروزي كنيته أبو بكر والمروزي نسبة الى مرو الروز مدينة بخراسان بينها وبين مرو الشاهجان خمس مراحل وأما محمد بن أحمد المروزي يكنى

روى عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال كتبت عنه شيأ قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه انه أوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ * وقال محمد بن المروزي

أبازيد فهو من أئمة الشافعية حدث عن الفربري مات سنة ٣٧١ (سمعت أحمد بن حنبل) رحمه الله (يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم) كذا أورده عبد الحق الازدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي على الصواب وروى النسائي والرافعي في تاريخه وأبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الاخلاص من حديث علي من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الاجر عدد الاموات قال الشمس بن القطان ولقد حكى لي من أثق به من أهل الخير انه مر بقبور فقرأ قل هو الله أحد واهدى ثوابه اليهم فرأى واحدا منهم في المنام وأخبره بان الله تعالى غفر له ولسائر القبور نخصه ثواب رأس واو من سورة قل هو الله أحد وتقسم الباقون باقيها ببركة سورة قل هو الله أحد وفي العاقبة لعبد الحق قال حدثني أبو الوليد اسمعيل بن أحمد عرف بابن افرند وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لي أبو الوليد مات أبي رحمة الله عليه فحدثني بعض اخوانه ممن يوثق بحديثه نسيت أنا اسمه قال لي زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبا من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لي قال فهبت على نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني الا وقد مشيت نحو نصف الطريق (وقال أبو قلابة) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي البصري يكنى أبا محمد وأبو قلابة لقب صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد روى له ابن ماجه مات سنة ست وسبعين ومائتين وله ست وثمانون سنة (أقبلت من الشأم الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر) من القبور التي هنالك (فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم) تعملون (ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وروى صاحب كتاب المنفعين عن محمد بن جبلة حدثنا محمد بن قدامة حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن مياس قال خرجت الى الظهر ثم صليت ركعتين ثم جئت الى قبر فاتكأت عليه فأخذتني نعسة الشيوخ فسمعت صوتا من القبر أعل عني فقد آذيتني انكم تعملون ولا تعلمون وانا نعلم ولا نعمل والله لوددت اني خيرت بين الدنيا وبين ركعتيك اذا كنت اختار ركعتيك هكذا قال عن مياس وأخاله تحريفا وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الدلائل من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن ابن ميناء قال دخلت الجبانة فصليت ركعتين خفيفتين ثم اضطجعت الى قبر فوالله اني لنبهان اذ سمعت قائلا في القبر يقول قم فآذيتني انكم لتعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل فوالله لان أكون صليت مثل ركعتيك أحب الي من الدنيا وما فيها قلت وابن ميناء هو الحكم انصاري مدني صدوق من أولاد الصحابة روى له مسلم وأبو داود في كتاب فضائل الانصار له والنسائي وابن ماجه وليس له عندهم الا حديث واحد وروى ابن أبي الدنيا أيضا والبيهقي في الشعب عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال كنت بالمقبرة فصليت قريبا من قبر ركعتين خفيفتين لم أرض اتقانهما ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال ركعت ركعتين لم ترض اتقانهما قلت قد كان ذلك قال تعملون ولا تعلمون ونعلم ولا نستطيع ان أعمل لان أكون ركعت مثل ركعتيك أحب الي من الدنيا بحذافيرها وهذا السياق أشبه بسياق المصنف وقد تقدم شيء من ذلك بعد ذكر الابيات التي كتبت على القبور وروى القرطبي في التذكرة من حديث أنس انك لتتصدق من بيتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادي يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا اليك هذه الهدية فاقبلها قال فيدخلها اليه في قبره ويفسح له في مدخله وينور له فيه قال فيقول جزى الله عني أهلي خير الجزاء قال فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لي ولدا ولا أحد يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة قلت هو عند الطبراني في الاوسط بلفظ ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون بعد موته الا أهداها اليهم جبريل على طبق من نور ثم يقف على شفير القبر فيقول يا صاحب القبر العميق هذه هدية أهداها

سمعت احمد بن حنبل يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم تنبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا اهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال

اليك أهلك فاقبلها فيدخل عليه فيفرح بها و يستبشر و يحزن جيرانه الذين لا يهدى اليهم شئ وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عمرو بن جرير قال اذا دعا العبد لاخيه الميت أتاه بها الى قبره ملك فقال يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق وروى أيضا عن بعض المتقدمين قال مررت بالمقابر فترحمت عليهم فهتف بي هاتف نعم فترحم عليهم فان فيهم المهموم والمحزون وقال الحافظ ابن رجب روى جعفر الخلدى قال حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الانبارى سمعت أبي يقول رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له يا بنى لم قطعتم هديتكم عنا قال يا أبت وهل تعرف الاموات هدية الاحياء قال يا بنى لولا الاحياء لهلكت الاموات وروى ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال دخلت المقبرة ليلة الجمعة فاذا أنا بنور مشرق فيها فقلت لا اله الا الله نرى ان الله عز وجل قد غفر لاهل المقابر فاذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين الى اخوانهم من أهل المقابر قلت بالذى أنطقك الا أخبرتني ما هو قال رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال اللهم انى قد وهبت ثوابها لاهل المقابر من المؤمنين فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب قال مالك فلم أزل أقرؤها في كل جمعة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامى يقول لى يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذى أهديته الى أمتى ولك ثواب ذلك ثم قال لى وبنى الله لك بيتا في الجنة في قصر يقال له المنيف قلت وما المنيف قال المطل على أهل الجنة وقال السيوطي في شرح الصدور فصل في قراءة القرآن للميت أو على القبر اختلف في وصول ثواب القراءة للميت فجمهور السلف والائمة الثلاثة على الوصول وخالف في ذلك امامنا الشافعي رضى الله عنه مستدلا بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وأجاب الاولون عن الآية بوجوه أحدها انها منسوخة بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية أدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء الثانى انها خاصة بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام فاما هذه الامة فلها ما سعت وما سعى لها قاله عكرمة الثالث ان المراد بالانسان هنا هو الكافر فاما المؤمن فله ما سعى وما سعى له قاله الربيع بن أنس الرابع ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل الخامس ان اللام بمعنى على أى ليس على الانسان الا ما سعى قلت وقد أورد ابن القطان في الرسالة المذكورة هذه الاجوبة وقال القول بالنسخ روى عن ابن عباس قال فجعل الولد الطفل في ميزان ابيه و يشفع الله تعالى الآباء في الابناء والابناء في الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا وذكر القول الثالث ونقل عن القرطبي ان كثيرا من الاحاديث يدل على هذا القول ونقل عنه أيضا انه قال و يحتمل أن يكون قوله الا ما سعى خاصة بالسيئة لما في الحديث وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها له حسنة قال ابن القطان وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقيني بالخشابية بجامع عمرو بن العاص هل تضعف هذه الحسنة أيضا قلت و ينبغى ان تضعف لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فقال نعم وتضعف من جنس ما هم به ثم قال ومن المفسرين من قال المراد بالانسان أبو جهل أو عقبة بن أبي معيط او الوليد ابن المغيرة قال ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب وأسدى لهم الخير وتردد اليهم فصار ثوابه لهم بعد موته من سعيه وهذا حسن ومنهم من قال الانسان في الآية الحى دون الميت ومنهم من قال لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعى غيره له وانما نفى عمله بسعى غيره و بين الامرين فرق ثم نقل عن الزمخشرى ما لفظه فان قلت أما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان أحدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا مصدقا فكذلك كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تبعا له وقائما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم قال والصحيح من الاجوبة ان قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص لما تقدم من الادلة وكذا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وكذا اذا مات الانسان انقطع

عمله الامن ثلاث هذا كله كلام ابن القطان ثم قال السيوطي واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فانه لافرق فى نقل الثواب بين أن يكون عن حج أوصدقة أووقف أودعاء أوقراءة وبالاحاديث الواردة فيه وهي وان كانت ضعيفة فمجموعها يدل على ان لذلك أصلا وبان المسلمين مازالوا فى كل مصر يجتمعون و يقرؤن لموتاهم من غير نكير فكان ذلك اجماعا ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي فى جزء ألفه فى المسئلة قال القرطبي وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام يفتى بانه لايصل الى الميت ثواب مايقرأ فلما توفى رآه بعض أصحابه فقال له انك كنت تقول انه لايصل الى الميت ثواب مايقرأ أو يهدى اليه فكيف الامر قال له كنت أقول ذلك فى دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك ثم قال السيوطي ومن الوارد فى قراءة القرآن على القبور ماتقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعا كلاهما وأخرج الخلال فى الجامع عن الشعبي قال كانت الانصار اذا مات لهم ميت اختلفوا الى قبره يقرؤن له القرآن وأخرج أبو القاسم سعد بن على الزنجانى فى فوائده عن أبي هريرة رفعه من دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والهاكم التكاثر ثم قال انى جعلت ثواب ماقرأت من كلامك لاهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له الى الله تعالى وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقى الانصارى فى مشيخته عن سلمة بن عبيد قال قال حماد المكى خرجت ليلة الى مقابر مكة فوضعت رأسى على قبر فنمت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت قامت القيامة قالوا لا ولكن رجل من اخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ سنة وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات وقال القرطبي فى حديث اقرؤا على موتاكم يس يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت فى حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره قال السيوطي و بالاول قال الجمهور و بالثانى قال ابن عبد الواحد المقدسي فى جزئه الذى تقدم ذكره و بالتعميم فى الحالين قال المحب الطبرى من متأخرى أصحابنا وقال القرطبي وقيل ان ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة ولا يبعد فى كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معا ويلحقه ثواب مايهدى اليه من القرآن وان لم يسمع كالصدقة والدعاء اهـ *(تنبيه)* سئل ابن القطان هل يكفى ثواب أو يتعين مثل ثواب فاجاب فى الرسالة المذكورة مالفظه ولا يشترط فى وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب بل تكفى النية قبل القراءة و بعدها خلافا لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسى فى القبلية نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير و يكفى للقارئ ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب وقال النووى المختار أن يدعو بالجعل فيقول اللهم اجعل ثوابها واقعا لفلان وقال فى الاذكار الاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ماقرأته الى فلان وليس ثواب على تقدير المثل بل لو قال مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الاقوال فى قوله تعالى ليس كمثله شئ نعم ان قيل للقارئ ثواب قراءته وللمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقديره وخلاف ظاهر مختار النووى وخلاف الائمة المهدين فانهم حين يهدون يقولون اجعل ثواب والاصل عدم التقدير و يقدح فى قوله اجعل ثواب احتمالان أن يكون للمهدى له وللقارئ مثلها الثانى أن يكون للمهدى وهو القارئ والمهدى له مثلها والله أعلم (فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت) وهل يقدم الدعاء لنفسه ثم للميت أو بالعكس الظاهر الثانى اذ الدعاء للميت مستجاب لامحالة قياسا على دعاء الغائب ثم يكون الدعاء لنفسه فهو احرى أن يستجاب نظرا الكرم الله تعالى وسعة فضله (و) لا يغفل أيضا (عن الاعتبار به وانما يحصل الاعتبار بان يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه) بعد ان كانت مجموعة (وكيف يبعث عن قبره) بعد ذلك التفرق (وانه على القرب سيلحق به) فتصور هذه الثلاثة من أعظم مايعتبر به الزائر من الميت وفى اثناء ذلك تصورات كثيرة لاتحصى (كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذلى) رحمه الله (قال كانت عجوز فى) بنى (عبد القيس متعبدة) أى كثيرة العبادة (فكان اذا جاء الليل

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذلى قال كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل

تحزمت) أي شدت حزامها لتستعين به على القيام (ثم قامت الى المحراب تصلي) عامة الليل (واذا جاء النهار خرجت الى القبور فتكون عامة النهار) هنالك (فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى) أي النظر اليها (واني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للانفس وأشد تلفها للابدان) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته) وتبدل حليته عما كان عليها (لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان) أي يبستا (وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن) أي ارتفع (فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وروى أبو نعيم في الحلية نحوا منه من طريق أبي حازم الخناصري الاسدي قال قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة والناس رائحون الى الجمعة ثم ساق الحديث وفيه فلما ان بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم الي مقبلا فدنوت من المحراب فلما ان صلى بالناس التفت الي فقلت له تالله لقد كنت عندنا بالامس بخناصرة أميرا لعبد الملك بن مروان وكان وجهك وضيا وثوبك نقيا ومركبك وطيئا وطعامك شهيا وحرسك شديدا فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين فقال لي يا أبا حازم اناشدك الله الا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة قلت له نعم سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين أيديكم عقبة كؤدا لا يجوزها الا كل ضامر مهزول قال أبو حازم فبكى أمير المؤمنين بكاء عاليا حتى علا نحيبه ثم قال يا أبا حازم أفتلومني ان أضمر نفسي لتلك العقبة لعلي ان أنجو منها وما أظنني منها بناج (ويستحب الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم) أي المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقرابة أو صهارة أو جوار أو صداقة أو نحو ذلك (فدعوه) أي اتركوه من الكلام فيه بما يؤذيه لو كان حيا (ولا تقعوا فيه) أي لا تتكلموا في عرضه بسوء ولا بشيء من أخلاقه الذميمة فغيبة الميت أفظع من غيبة الحي لانه يرجى استحلاله بخلافه وتخصيص الصاحب للاهتمام وبيان انه بذلك أحرى والا فالكف عن مساوي الاموات مطلقا مطلوب قال العراقي رواه أبو داود باسناد جيد اهـ قلت ووجد في بعض نسخ المتن بدون واو (وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات) أي المسلمين كما دل عليه لام العهد فالكفار سبهم قربة (فانهم افضوا) أي وصلوا (الى ما قدموا) من خير وشر والله هو المجازي ان شاء عفا وان شاء عذب فلا فائدة في سبهم ويستثنى منه ما فيه مصلحة شرعية كسب أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم وكجرح المجروح من الرواة حيا وميتا لابتناء أحكام الشرع على بيان حالاتهم قال العراقي رواه البخاري من حديث عائشة اهـ قلت ورواه كذلك أحمد والنسائي ورواه ابن النجار بلفظ الى ما كسبوا (وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائي من حديثها باسناد جيد مقتصرا على الجملة الاولى بلفظ هلكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعليه علامة النسائي والطبراني اهـ قلت وروى النسائي أيضا عن صفية بنت شيبة قالت ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم هالك بسوء فقال لا تذكروا هلكاكم الا بخير وفي الباب عن عمر بن الخطاب رفعه اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا وروى الديلمي من حديث عائشة الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته (وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه (مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال) صلى الله

ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للانفس وأشد تلفها للابدان بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت وأن لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا عليه وأن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال أنس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال عليه السلام

عليه وسلم (وجبت ومروا بأخرى فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت فسأله عمر) رضي الله عنه (عن ذلك فقال ان هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله في الارض) قال العراقي متفق عليه قلت وكذلك رواه الطيالسي وأحمد والنسائي ولفظهم جميعا من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض وروى الطبراني من حديث سلمة بن الاكوع أنتم شهداء الله في الارض والملائكة شهداء الله في السماء (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي منه) قال العراقي رواه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فتشهد ثلاثة أبيات من جيرانه الادنين بخير الا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم اه قلت ورواه ابن النجار بلفظ اذا مات المؤمن وقال رجلان من جيرانه ما علمنا منه الا خيرا وهو في علم الله غير ذلك قال الله تعالى لملائكته اقبلوا شهادة عبدي في عبدي وتجاوزوا عن علمي فيه

(الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة) وآراء مختلفة (قد أخطؤا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم) المحض (وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهم طوائف من العرب الذين انكروا الاحياء والاعادة بعد الموت وهم الذين أخبر الله عنهم انهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين وقال في بعض هذه الطائفة وضرب لنا مثلا ونسي خلقه الآية وهؤلاء من العرب في الجاهلية غير من مال منهم الى النصرانية فتنصر من عرب الشام من قضاعة وغسان و بعض ربيعة وغير من تهود منهم من ملوك حمير وبني كنانة وبني كندة وغير من تمجس منهم لقربهم من الفرس كبني زرارة بن عدس ومنهم من غلاة الامامية المنصورية أصحاب منصور العجلي كفروا بالقيامة وبالاحياء بعد الموت واستحلوا المحارم والمحرمات ومنهم المعمرية صنف من الخطابية زعموا ان الدنيا لا تفنى وانكروا الاعادة والاحياء بعد الموت (وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام في القبر الى أن يعاد في وقت الحشر) وهو مذهب الجهمية والخوارج قالوا ان احياء الاموات لا يكون الا في القيامة و ينكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير والى هذا القول ذهب ضرار و بشر المريسي والنجارية وقال ضرار ان منكرا هو العمل السيئ ونكيرا هو النكير من الله عز وجل على صاحب الفعل المنكر و يقرب من ذلك قول من زعم من المعتزلة ان احياء الاموات ورد أهل القبور انما يكون بين النفختين لان الله عز وجل قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون قالوا فجائز أن يكونوا معذبين بين النفختين وأن يكونوا منعمين بينهما وهذا قول أبي الهذيل و بشر بن المعتمر واتباعهما من القدرية ومنهم من شك في وقت الاحياء بعد الموت وقبل القيامة وقال يجوز أن يكون احياء الميت بعد دخول القبر و يجوز أن يكون بعده ولم يقطعوا على وقته وهذا قول الجبائي واتباعه من القدرية (وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا) والقائلون بهذا أصناف منهم من قال ان الاحياء يكون في القيامة دون القبر الا أن عذاب القبر لاهل العذاب صحيح ثابت على الوجه الذي يشعر به الميت وهو ميت وشبه الميت في ذلك بالنائم والمغلوب على عقله وهذا القول حكاه الكعبي عن غسان القاضي قال أبو منصور التميمي وغلط الحاكي عنه فان غسانا كان من أصحابنا وقوله في هذه المسئلة كقولنا وانما يصح هذا القول على مذاهب الكرامية

وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال ان هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله في الارض وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني القوم عليه الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي *(الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور) *(بيان حقيقة الموت)* اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام في القبر الى أن يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد امامعذبة وامامنعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ماهو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وماهو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد فى القبر ولا يبعد أن تؤخر الى يوم البعث

الذين زعموا ان الميت يصح أن يكون فيه علم بالالم وغيره ولا أعلم أحدا قال بمثل هذا من أصحاب الحديث الا محمد ابن جرير الطبرى ومنهم من زعم ان الاحياء يكون فى القيامة وان الميت فى قبره قد يحدث الله فيه الالم وهو لا يشعر فاذا حشر وجد ذلك الالم فى وقته الذى حشر فيه وشبهوه بسكران نام فى الشمس فاثرت فيه وهو لا يشعر بذلك فاذا أفاق وجد ألم ذلك فى نفسه وكذلك المغشى عليه اذا ضرب فى حال الغشى (وكل هذه ظنون فاسدة) وآراء (مائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط) وانتقال من دار الى دار وليس بعدم محض ولا فناء صرف (وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد امامعذبة وامامنعمة) وهذا قول أهل السنة والجماعة وفقهاء الحجاز والعراق ومتكلمى الصفاتية (ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها تبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ماهو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وماهو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن تعاد الروح الى الجسد) قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كل جسد روحان احداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة انها اذا كانت فى الجسد كان الانسان مستيقظا فاذا خرجت من الجسد نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة انها اذا كانت فى الجسد كان حيا فان فارقته مات فاذا رجعت اليه حيي وهاتان الروحان فى باطن الانسان لا يعرف مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك فهما كجنينين فى بطن امرأة واحدة وقال بعض المتكلمين الذى يظهر ان الروح بقرب القلب قال ابن عبد السلام ولا يبعد عندى أن تكون الروح فى القلب قال ويدل على روح الحياة قوله تعالى الله يتوفى الانفس الآية تقديره يتوفى الانفس التى لم تمت أجسادها فى منامها فيمسك الانفس التى قضى عليها الموت عنده ولا يرسلها الى أجسادها ويرسل الانفس الاخرى وهى أنفس اليقظة الى أجسادها الى انقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت فحينئذ تقبض أرواح الحياة وأرواح اليقظة جميعا من الاجساد ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع الى السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا تفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السماء لارواح المؤمنين الى أن تعرض على رب العالمين فيالها من عرضة ما أشرفها اهـ قال السيوطى فى شرح الصدور وماذكره من ان الروح فى القلب قد جزم به الغزالى فى كتابه الانتصار وقد ظفرت له بحديث أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن الزهرى ان خزيمة بن حكيم السلمى ثم البهزى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال يارسول الله أخبرنى عن ظلمة الليل وضوء النهار وحر الماء فى الشتاء وبرده فى الصيف ومخرج السحاب وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة وعن موضع النفس من الجسد فذكر الحديث الى ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما موضع النفس ففى القلب والقلب معلق بالنياط والنياط يسقى العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق الحديث بطوله وهذا مرسل وله طرق أخرى مرسلة وموصلة فى المعجم الاوسط للطبرانى وتفسير ابن مردويه وكتاب الصحابة لابى موسى المدينى وابن شاهين قال ابن حجر فى الاصابة والحديث فيه غريب كثير واسناده ضعيف جدا انتهى قلت قال فى الاصابة فى ترجمته رواه ابن مردويه فى التفسير من طريق أبى عمران الجونى عن ابن جريج عن عطاء عن جابر ان خزيمة بن ثابت وليس بالانصارى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن البلد الامين فقال مكة رواه الطبرانى فى الاوسط من هذا الوجه مطولا جدا وقال لم يروه عن ابن جريج الا أبو عمران قال أبو موسى رواه أبو معشر وعبيد بن حكيم عن ابن جريج عن الزهرى مرسلا لكن قال خزيمة بن حكيم السلمى وكذا سماه ابن شاهين من طريق يزيد بن عياض عن الزهرى فذكره مطولا فى نحو ورقتين وفيه غريب كثير واسناده ضعيف جدا مع انقطاعه ورويناه فى تاريخ ابن عساكر من طريق عبيد بن حكيم عن ابن جريج مطولا كذلك وروى عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن خزيمة بن حكيم أيضا (ولا يبعد ان تعاد الى الجسد فى القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث) من القبر

(والله

والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله

(والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده) وأهل السنة اثبتوا الاحياء في كل من الحالين وأما بين النفختين فهو حال خمود وهمود يموت الخلق بينهما من غير أن يكون بينهما حي سوى الملك الاله الواحد القهار والدليل على الاحياء في القبر مبني على صحة ما ورد به الخبر ونزل عليه القرآن من عذاب القبر لان العذاب والالم لا يصح الا لحي (وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية) قال السيوطي في شرح الصدور ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم الى أن الروح تبقى بعد موت البدن وخالف فيه الفلاسفة دليلنا كل نفس ذائقة الموت والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق وعلى هذا فهل يحصل لها فناء ثم تعاد توفية بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان أولا بل تكون من المستثنى في قوله الا من شاء الله قولان حكاهما السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم وقال الاقرب انها لا تفنى وانها من المستثنى كما قيل في الحور العين انتهى وفي كتاب الروح لابن القيم اختلف في ان الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده على قولين والصواب انه ان أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى وان أريد انها تعدم فلا بل هي باقية بعد خلقها بالاجماع في نعيم أو عذاب انتهى وقد أخرج ابن عساكر عن محمد بن وضاح أحد أئمة المالكية قال سمعت سحنون بن سعيد وذكر له عن رجل يذهب الى ان الارواح تموت بموت الاجساد فقال معاذ الله هذا قول أهل البدع وقد قال بهذا القول جماعة من فقهاء الاندلس قديما منهم عبد الاعلى بن وهب بن محمد بن عمر وبن لبابة ومن متأخريهم كالسهيلي وابن العربي وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الارواح بعد تفارقها الابدان ترد ذلك وتبطله وأما ما أخرجه ابن السني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المقابر قال السلام عليكم أيتها الارواح الفانية والابدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحا منك وسلاما فانه مع ضعف سنده مؤول بان المراد بفناء الارواح ذهابها من الاجساد المشاهدة (نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بسبي الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله

ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره و ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا و ينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في أمره أو على ان الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح

وهتك

ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه الشواغل والعوائق اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله) ومانعة من الانس به (فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له) قبل (في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا في النوم والناس) كما قيل (نيام فاذا ماتوا انتبهوا) روى ذلك من قول علي رضي الله عنه كما سبق الكلام عليه مرارا وانكشاف الاحوال لهم عند الموت دل عليه قول عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون و يقال لهم وفي رواية واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فانه يخيل لهم أمور صادقة وقد تقدم (وأول ما ينكشف له ما يضره و ينفعه من حسناته وسيآته) فيفرح ويحزن (وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله من الاطلاع عليه شواغل الدنيا) وعلائقها (فاذا انقطعت الشواغل) و بطلت العوائق (انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا و يتحسر عليها تحسرا يؤثر) أي يختار (ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة) فلا يمكنه ذلك (وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقد روى الديلمي من حديث جابر اذا احضر الانسان الوفاة جمع له كل شئ يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (و ينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة) أي القدر الذي يتبلغ به الى أعمال الآخرة (فان من طلب الزاد للبلغة) أي المقصد (فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد بعينه) بل لاجل التبلغ (وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة) الداعية (وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه) كما روى عن مالك بن دينار انه كان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول لوددت ان هذه أجدتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب وكان يقول لو صلح لي ان آكل الرماد لا كلته ولو صلح لي ان أعمد الى بردى فاقطعه باثنين فاتزر بقطعة وأتردى بقطعة لفعلت رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يوسف بن عطية السفار وروى عنه أيضا انه قال خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره رواه أبو نعيم من طريق يعلى الوراق (فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه فهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه) عند انقطاع النفس (قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد) كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه) ان أدركه الفضل (و يكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في أمره) فلا يؤاخذه (أو) اعتمادا (على ان الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة) من غير ترقب (وعرض عليه جريدة) وهي شبه الدفتر (قد دونت) أي حررت وجمعت (فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح

وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة (٣٧٩) الى حال الميت عند الموت شاهدها

أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى فليس لاحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات فما ورد فى الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب

وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فان كلا من الضرب والقطع يرجى برء ألمه وهتك الستر والفضوح لابرء له واليه يشير الخبر فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة (فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة) منوطة (بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من أمر ربى) روى الشيخان من حديث ابن مسعود قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى خرب المدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا يا محمد ما الروح فما زال متوكئا على العسيب فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد تقدم وأخرج ابن جرير بسند مرسل ان الآية لما نزلت قالت اليهود هكذا نجده عندنا وقد اختلف الناس فى الروح على فرقتين فرقة أمسكت عن الكلام فيها لانها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمها البشر وهذه الطريقة هى المختارة قال الجنيد الروح شئ استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه باكثر من انه موجود وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف وقد ثبت عن ابن عباس انه كان لا يفسر الروح فأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن الروح قال الروح من أمر ربى لا تنالوا هذه المسئلة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله وعلم نبيه وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال السيوطى مسئلة أبهمها الله فى القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها من أين للمتعمقين الاطلاع على حقيقة أمرها وقد نقل ابن القاسم السعدى فى الافصاح أن أماثل الفلاسفة أيضا توقفوا عن الكلام فيها وقالوا هذا أمر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول اليه قال ووقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر قال ابن بطال الحكمة فى ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبى حكمته اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب الاولى وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال النووى وأصح ما قيل فى ذلك قول امام الحرمين انها جسم لطيف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر (فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه) وقد اختلف أهل الطريقة الاولى هل علمها النبى صلى الله عليه وسلم فروى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عبد الله بن بريدة قال لقد قبض النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقالت طائفة بل علمها وأطلعه الله عليها ولم يأمره ان يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف فى علم الساعة (وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار أما الآيات فما ورد فى) حق (الشهداء) وهم المقتولون فى المعركة (اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) أما الاخبار فقد روى أنه (لما قتل صناديد قريش) أى رؤساؤهم (يوم بدر) فى الوقعة الكبرى وأمر بهم فسحبوا الى قليب هناك (ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد ان وقف على شفير القليب (فقال يا فلان يا فلان يا فلان) وسماهم باسمائهم (قد وجدت ما وعدنى ربى حقا) من النصرة (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) من الخزى والقتل (فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات) القائل لذلك عمر بن الخطاب (فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب) قال العراقى رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب انتهى قلت وروى الطبرانى من حديث أنس قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما أخطأ الحدود التى حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا

فهذا نص فى بقاء روح الشقى وبقاء ادرا كها ومعرفتها والآية نص فى أرواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح على ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة

وفى رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وفى بعضه نظر فقد روى عروة بن الزبير من حديث عائشة قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب فطرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فلأها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودى فيمن نودى لكونه كان من جملة رؤسائهم وقال ابن اسحق حدثنى بعض أهل العلم انه صلى الله عليه وسلم قال يا أهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ وفى رواية اتخاطب قوما قد جيفوا (فهذا نص فى بقاء روح الشقى وبقاء ادراكها ومعرفتها) وقال قتادة أحياهم الله تعالى لو بخاو تصغيرا ونقمة وحسرة وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت انما أراد النبى صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون أن الذى أقول لهم الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى الآية فهذا فيه الانكار وأجيب بانه روى انها رجعت عن ذلك لما روى أحمد من حديثها انها قالت ما أنتم بأسمع لما أقول منهم وهو فى المغازى لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد وقال الاسماعيلى الجمع بينهما ممكن لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى أذن السامع فالله تعالى هو الذى أسمعهم بان أبلغهم صوت النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاز أن يكونوا فى تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين اما بآذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد أو الى بعضه عند المسئلة وهو قول أكثر أهل السنة واما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجيه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد أو الى بعضه قال وقد روى عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما أنت بمسمع من فى القبور الآية وهذه الآية كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى أى ان الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت فاذا لا تعلق بالآية من وجهين أحدهما انها انما نزلت فى دعاء الكفار الى الايمان الثانى انه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير انتهى (والآية) المذكورة (نص فى) بقاء (أرواح الشهداء) قال ابن عباس نزلت فى قتلى أحد استشهد منهم سبعون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الانصار رواه الحاكم وصححه جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش رواه أحمد وأبو داود والبيهقى فى الدلائل وابن جرير وابن المنذر (ولا يخلو الميت من سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذى والطبرانى من حديث أبى سعيد لكن بتقديم الجملة الثانية على الاولى ورواه الطبرانى أيضا من حديث أبى هريرة وسندهما ضعيف ورواه البيهقى فى كتاب عذاب القبر من حديث ابن عمر بلفظ القبر حفرة من حفر جهنم والباقى سواء وقد تقدم فى كتاب الرجاء والخوف (وهذا نص صريح فى ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله وروى أنس) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت باسناد ضعيف وقد تقدم ورواه الديلمى وابن لال فى مكارم الاخلاق بلفظ اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته وقد تقدم فى أكثروا ذكر هادم اللذات وروى الطبرانى من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته (وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن عمر اه قلت وكذلك رواه الترمذى وابن ماجه وتمامه عندهم يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وفى لفظ لهما ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة

فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة ورواه كذلك أيضا الطيالسى وأحمد والنسائى وأبو يعلى والطبرانى فالبخارى والنسائى روياه من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ومن طريق الليث عن نافع والترمذى وابن ماجه من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع ومسلم من طريق الزهرى عن سالم عن ابن عمر وأبو يعلى والطيالسى من طريق جويرية عن نافع عن ابن عمر والطبرانى من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ورواه هناد فى الزهد بلفظ ان الرجل ليعرض عليه مقعده من الجنة والنار غدوة وعشية فى قبره ورواه اللالكائى فى السنة بلفظ ما من عبد يموت الا ويعرض روحه والباقى سواء وروى ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال فهم اليوم يغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة (وليس يخفى ما فى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال) قال القرطبى قيل هذا العرض مخصوص بالمؤمن الذى لا يعذب وقيل لا ويحتمل ان المؤمن الذى يعذب يرى مقعديه جميعا فى وقتين أو فى وقت واحد ثم قيل هذا العرض انما هو على الروح وحدها ويجوز أن يكون عليها مع جزء من البدن ويجوز أن يكون عليها مع جميع الجسد فترد اليه الروح كما ترد عند المسئلة اهـ (وعن أبى قيس) عبد الرحمن بن ثابت مولى عمرو بن العاص مات قديما سنة أربع وخمسين روى له الجماعة (قال كنا مع علقمة) بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى مات بعد الستين روى له الجماعة (فى جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته) رواه الطبرانى من طريق سفيان عن أبى قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته (وقال على كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم) انها (من أهل الجنة هى أم من أهل النار) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا وكذلك رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفى رواية لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم الى أين مصيرها الى الجنة أم الى النار وتقدم للمصنف بلفظ ان يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتانى القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة) قال العراقى رواه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فيه القبور وقال ابن أبى الدنيا فتنان اهـ قلت وفى لفظ لابن ماجه فتنة القبر وهكذا رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب قال القرطبى هذا عام فى جميع الامراض لكن يقيد بالحديث الآخر من قتله بطنه لم يعذب فى قبره وقال النسائى وغيره المراد به الاستسقاء وقيل الاسهال والحكمة فى ذلك انه يموت حاضر العقل عارفا بالله تعالى فلم يحتج الى اعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الامراض فانهم تغيب عقولهم قال السيوطى فى شرح الصدور ولا حاجة الى شئ من هذا التقييد فان الحديث غلط فيه الراوى باتفاق الحفاظ وانما هو من مات مرابطا لا من مات مريضا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات لاجل ذلك اهـ قلت وقد رواه ابن ماجه أيضا بهذا اللفظ من مات مرابطا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع ورواه أحمد بلفظ من مات مرابطا وقى فتنة القبر وأومن من الفزع الاكبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط الى يوم القيامة وروى نحوه الحكيم من حديث سلمان من مات مرابطا فى سبيل الله أجير من فتنة القبر وجرى عليه صالح عمله الذى كان يعمل الى يوم القيامة ورواه البغوى وابن حبان وابن عساكر بلفظ من مات مرابطا فى سبيل الله أمن من عذاب القبر ونمى له أجره الى يوم القيامة وروى مسلم من حديث سلمان رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وروى الترمذى وصححه من حديث فضالة بن عبيد كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر وأخرجه أبو داود بلفظ ويؤمن من فتانى القبر وروى أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه يجرى عليه أجر عمله حتى يبعثه الله

وليس يخفى ما فى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن أبى قيس قال كنا مع علقمة فى جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته وقال على كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا ووقى فتانات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة

وقال مسروق ماغبطت أحدا ماغبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت أمشي يوما مع أبي
الدرداء فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما أحب الموت لانه لايحبه الا المؤمن

والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما أحب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما أقدموا على القتال الاقاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا

ويؤمن من فتاني القبر وروى البزار من حديث عثمان من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح
وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله تعالى آمنا من الفزع الاكبر وروى الطبراني في الاوسط من
حديث أبي سعيد الخدري من توفي مرابطا وقي فتنة القبر وأجري عليه رزقه فهذه الاحاديث التي سردناها
دالة على ان الصواب من الحديث المتقدم من مات مرابطا لامريضا (وقال مسروق) بن الاجدع الهمداني
التابعي الثقة اسمه عبد الرحمن (ماغبطت أحدا ماغبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من
عذاب الله) رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في الموت وهذا لفظ الاخير ولفظ ابن المبارك ماغبطت شيئا
بشئ كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن مسعر
عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال مامن شئ خير للمرء من لحد قد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن
من عذاب الله هكذا رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وفي رواية مامن شئ خير للمؤمن وقد روي نحو هذا
القول عن عمر بن عبد العزيز رواه أبو نعيم في الحلية وعن أبي عطية المذبوح رواه ابن المبارك في الزهد ولفظه
أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب وقد تقدم شئ من ذلك في فضل الموت (وقال يعلى بن
الوليد كنت أمشي يوما مع أبي الدرداء) رضي الله عنه (فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل
ماله وولده) رواه ابن سعد في الطبقات وابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد قال ابن أبي شيبة حدثنا محمد
ابن فضيل عن الاعمش عن غيلان بن بشر عن يعلى بن الوليد قال كنت أمشي مع أبي الدرداء قال قلت يا أبا
الدرداء فذكره (وانما أحب الموت لانه لايحبه الا المؤمن ولذلك كان غنيمته كما في حديث عائشة وتحفته كما في
حديث عبد الله بن عمرو (و) لما كانت الدنيا سجن المؤمن كان (الموت اطلاق المؤمن من السجن) وقد روى
ابن أبي الدنيا انه قيل لعبد الاعلى التيمي ماتشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك قال الموت (وانما أحب قلة المال
والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس
به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة) وقد روى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال أتمنى لحبيبي أن يقل
ماله ويعجل موته وروى ابن السكن في المعرفة من حديث زرعة بن عبد الله يحب الانسان الحياة والموت خير
لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب وروى أحمد في الزهد من حديث محمود بن لبيد
اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب (ولهذا
قال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما (انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو) قال (روحه) شك من
الراوي (مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها) رواه ابن المبارك في الزهد
بلفظ الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فاخرج منه
فجعل يتقلب في الارض ويتفسح فيها وقال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا غندر حدثنا يعلى بن عبيد عن يحيى بن
قطة عن عبد الله بن عمر وقال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاذا مات المؤمن يخلى سربه حيث شاء (وهذا الذي
ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن
محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان
به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين
قتلوا في سبيل الله) فقد روى النسائي وابن أبي الدنيا والطبراني من حديث عبادة بن الصامت ماعلى الارض
من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع اليكم ولها نعيم الدنيا ومافيها الا الشهيد فانه يحب أن يرجع
فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله (لانهم ما أقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا
مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لايلتفت
قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما أعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما أقل التفاته

مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا الى
بالآخرة والبائع لايلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما أعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما أقل التفاته

الى ماباعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم أن ينال الانسان ما يريده (٣٨٣) قال الله تعالى ولهم ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله عز وجل قد أحيا أباك واقعده بين يديه وقال تمن على عبدي ما شئت أعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني الى الدنيا فاقتل مع نبيك فاقتل فيك مرة أخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لاني لم أقتل في الله الا قتلة واحدة فكنت أشتهي أن أرد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الاشجار والازهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود الى السجن المظلم

الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة) وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي المخارق عن عبد الله بن عمرو قال ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلة يوم القيامة الذين يلقون العدو وهم في الصف الاول فاذا واجهوا أعدوهم لم يلتفت يمينا ولا شمالا واضع سيفه على عاتقه يقول اللهم اني اخترتك اليوم بما أسلفت في الايام الخالية فيقبل فيقتل على ذلك فذلك من الشهداء الذين يتلبطون في الغرف الاعلى من الجنة حيث شاؤا (فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم أن ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون) كذا في النسخ والتلاوة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم (فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه) دلالة صريحة أو ضمنية (و) كذا (كل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (ألا أبشرك يا جابر وقد كان استشهد أبوه) عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي السلمي معدود في أهل العقبة وبدر وكان من النقباء واستشهد باحد (قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك فاقعده بين يديه فقال تمن على عبدي ما شئت أعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني الى الدنيا فاقتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت باسناد فيه ضعف والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبدي تمن على أعطك قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون اهـ قلت وكذلك رواه البيهقي في الدلائل وابن مردويه في التفسير ولفظهم جميعا عن جابر قال لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر مالي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقي الله أباك قال بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن على أعطك قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية قال الرب تعالى قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال أي رب فابلغ من ورائي فانزل الله هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وأما حديث عائشة فرواه كذلك الحاكم في المستدرك بلفظ ألا أبشرك أشعرت ان الله أحيا أباك فساقه سياق ابن أبي الدنيا وصححه وتعقبه الذهبي وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين الوقتين ست وأربعون سنة (وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي اني لم أقتل في الله الا قتلة واحدة فكنت أشتهي أن أرد فاقتل فيه قتلات) رواه ابن أبي الدنيا في الموت (واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله وعظمته ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف) بعيد الاقطار (لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن الضيق المظلم) وقد نقل ابن القيم في كتاب الروح ان للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها الاولى بطن الام

وذلك محل الحصر والضيق والظلمات الثلاث الثانية هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر الثالثة دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار اليها كنسبة الدار الاولى الى هذه الرابعة التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الاخرى اهـ (وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات اهـ قلت وكذلك عزاه السيوطي في شرح الصدور لابن أبي الدنيا ولفظه قال عمرو بن دينار ان رجلا مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح هذا مرتحلا فذكره (فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم) وعالم البرزخ داخل في الآخرة (وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع الى بطن أمه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الخبائري مرسلا هكذا اهـ قلت بقية بن الوليد الكلاعي من رجال مسلم صدوق كثير التدليس عن الضعفاء وجابر بن غانم السلفي بضم السين المهملة وفتح اللام نسبة الى السلف بطن من الكلاع روى عن سليم بن عامر وأسد بن وداعة وعنه يحيى بن صالح الوحاظي وبقية وكان ينزل حاء وسليم بن عامر الكلاعي ويقال له الخبائري بخاء معجمة وموحدة أبو يحيى الحمصي ثقة تابعي روى له مسلم والاربعة قال أبو حاتم في المراسيل روى عن عوف بن مالك مرسلا ولم يدرك المقداد بن الاسود ولا عمرو بن عبسة وأرخوا وفاته سنة ثلاثين ومائة ومما يقوي هذا المرسل ما رواه الحكيم في نوادره من حديث أنس ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا الا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيا (وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي قتادة بلفظ مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنف اهـ قلت ورواه كذلك مالك وأحمد وعبد بن حميد والترمذي بلفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت جنازة فقال مستريح أو مستراح منه الحديث (أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه) قلت هو في حديث أبي قتادة عند الشيخين قالوا يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها الى رحمة الله تعالى والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وعند النسائي من حديث أبي قتادة المؤمن يموت فيستريح من أوصاب الدنيا ونصبها وأذاها والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن يزيد بن أبي زيادة قال مر بجنازة على أبي جحيفة فقال استراح واستريح منه (وقال أبو عمر صاحب السقاية مر بنا) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنه (ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيأ وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وانه نزل ابن عمر الى جانب قبور قد درست فاذا جمجمة الخ ونحو ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند أسماء بنت أبي بكر حين صلب الحجاج ابنها عبد الله بن الزبير فأتاها ابن عمر يعزيها فقال يا هذه اتقي الله واصبري فان هذه الجثث ليست بشيء وانما الارواح عند الله قالت وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بغي من بغايا بني اسرائيل وروى سعيد ابن منصور في سننه ان ابن عمر عزاها فقال لا تحزني فان الارواح عند الله تعالى في السماء وانما هذه جثة وروى ابن سعد في الطبقات عن خالد بن معدان قال لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا الى موضع لا يعبره الا انسان انسان فجعلت الروم تقاتل عليه فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل ووقع على تلك الثلمة

وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع الى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيأ وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة

فسدها

وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك ابن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان ابن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور

فسددها فلما انتهى المسلمون اليها هابوا أن يوطئوه الخيل فقال عمرو بن العاص ان الله قد استشهده ورفع روحه وانما هو جثة فأوطئوه الخيل ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه وروله الواقدي كذلك وزاد ثم جمعه عمرو بعد ذلك وجعله في نطع فواراه قال السيوطي في شرح الصدور قال ابن رجب هذه الآثار لا تدل على ان الارواح لا تتصل بالابدان بعد الموت انما تدل على ان الاجساد لا تتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها ومن أكل التراب لها فان عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا وانما هو نوع آخر يصل الى الميت بمشيئة الله تعالى (وعن عمرو بن دينار) المكي أبو محمد الاثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة (قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم) رواه أبو نعيم في الحلية وسيذكر قريبا نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وغيره وقد ورد ما يدل ان ذلك للشهيد خاصة وأخرج ابن منده من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حبان بن جبلة قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشهيد اذا استشهد انزل الله جسدا كاحسن جسد كان ثم يقال لروحه ادخلي فيه فينظر الى جسده الاول ما يفعل به ويتكلم فيظن انهم يسمعون كلامه وينظر اليهم فيظن انهم يرونه حتى تأتيه أزواجه يعني من الحور العين فيذهبن به (وقال مالك بن أنس) رحمه الله تعالى (بلغني ان أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن خالد بن خداش سمعت مالك بن أنس يقول ذلك ورواه ابن منده من طريقه فقال أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره ومسئلة مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الاجساد مشهورة مختلف فيها وهذا أحد الاقوال وروى نحو هذا القول عن سلمان رضي الله عنه قال أما المؤمنون فان أرواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت رواه البيهقي في البعث وفي لفظ ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت رواه ابن المبارك في الزهد وفي لفظ ان أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الارض حيث شاءت بين السماء والارض حتى يردها الله الى جسدها (وقال النعمان بن بشير) الانصاري رضي الله عنهما (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور) أي تضطرب (في جوها) وهو ما بين السماء والارض (فالله الله في اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكماله الازدي في الضعفاء وقال لا يصح اسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي اسمعيل السكوني عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه ان كلا منهما مجهول وقد ذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدى اه قلت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المقامات وكذا الحكيم في النوادر والبيهقي في الشعب كلهم عن النعمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم ورواه بكماله أيضا الحكيم وابن لال ووقع في نسخة الكمال الدميري الا مثل الذباب يمر في وعلى الهامش التي الارض القفر الخالية (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا والمحاملي باسناد ضعيف ولاحمد من رواية من سمع أنسا عن أنس ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الاموات الحديث اه قلت حديث أبي هريرة رواه أيضا الديلمي في مسند الفردوس والاصبهاني في الترغيب وأما حديث أنس فرواه أيضا الحكيم في النوادر وابن منده في كتاب الاحوال وتمامه فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا ونحو ذلك ما رواه الطيالسي في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم في قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم ان يعملوا بطاعتك وروى ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال تعرض أعمالكم على الموتى فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وان رأوا سوأ قالوا اللهم راجع به وروى الحكيم في النوادر من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه

تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وروى ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر عن أحمد بن عبد الله بن أبي الحوارى قال حدثني أخي محمد بن عبد الله قال دخل عباد الخواص على ابراهيم بن صالح الهاشمي وهو أمير فلسطين فقال له ابراهيم عظني فقال قد بلغني ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك (ولذلك قال أبو الدرداء) رضي الله عنه (اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة) بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الانصاري أحد السابقين رضي الله عنه (وكان قدمات) شهيدا بمؤتة وكان ثالث الامراء بها في جمادى الاولى سنة ثمان وتأخر أبو الدرداء الى خلافة عثمان (وهو خاله) أخو أمه وأبو الدرداء اسمه عويمر وهو ابن عامر بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الانصاري الخزرجي وقال خليفة بن خياط أم أبي الدرداء محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وهذا القول قدر واه ابن المبارك في الزهد والاصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء انه كان يقول اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا يخزى به عبد الله بن رواحة وكان يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عنه انه كان يقول اللهم اني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبد الله بن رواحة اذا القيته وفي الباب ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف والحكيم في النوادر وابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن ميسرة قال غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر بقاص وهو يقول اذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه اذا أمسى من أهل الآخرة واذا عمل العبد العمل في آخر النهار عرض على معارفه اذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب اللهم اني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم فقال القاص والله لا يكتب الله ولايته لعبد الاستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله وروى ابن المبارك في الزهد عن عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له استأذن على ابنة أخي وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو ابن أوس فاستأذن له عليها فدخل فقال كيف يفعل بك زوجك قالت انه الى لمحسن ما استطاع فقال يا عثمان أحسن اليها فانك لا تصنع بها شيأ الا جاء عمرو بن أوس فقلت وهل يأتي الاموات أخبار الاحياء قال نعم ما من أحد له حميم الا ويأتيه أخبار أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وهنئ به وان كان شرا ابتأس وحزن (وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهم (عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين) تكون (هي قال في صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الارض السابعة) رواه ابن أبي الدنيا في الموت وابن المبارك في الزهد الا ان الاخير قال في صور طير وزاد ابن أبي الدنيا بعد قوله السابعة فاذا مات المؤمن مر به على المؤمنين وهم أندية فيسألونه عن بعض أصحابهم فان قال مات قالوا أسفل به واذا كان كافرا هوى به الى الارض السافلة فيسألونه عن الارض فان قال مات قالوا على به * اعلم ان الاخبار الواردة في مقر الارواح بعد الموت كثيرة وفيها اختلاف فمنها في أرواح المؤمنين عامة ومنها في الشهداء منهم خاصة ومنها في ولدان المؤمنين وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحنث ومنها في أرواح الكفار فالوارد في أرواح المؤمنين عامة هذا القول عن عبد الله بن عمرو انها في صور طير بيض في ظل العرش وقول مالك السابق انها مرسلة تذهب حيث شاءت ونحو قول ابن عمر وما رواه ابن منده والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن حبيب مرسلا قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار قال في سجين وروى البيهقي في البعث والطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن عمرو قال الجنة مطوية في قرون الشمس تنشر في كل عام مرتين وأرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة وأخرجه ابن منده عنه مرفوعا وأخرجه الخلال عنه موقوفا بلفظ أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها وروى ابن منده عن أم كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكى أهل البيت

ولذلك قال أبو الدرداء اللهم اني أعوذ بك ان أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قدمات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين هي قال في حواصل طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الارض السابعة

فقال

فقال ان أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوي الى
قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا الحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان أرواح الكفار في حواصل طير
سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوي الى جحر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا
ويقرب من ذلك ما رواه مالك في الموطا وأحمد والنسائي بسند صحيح عن كعب بن مالك رفعه انما نسمة المؤمن طائر
يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعث وروى أحمد والطبراني بسند حسن عن أم هانئ انها
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال صلى الله عليه وسلم تكون النسم
طيرا تعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها وروى ابن سعد من طريق محمود بن
لبيد عن أم بشر بنت البراء انها قالت يا رسول الله هل يتعارف الموتى قال تربت يداك النفس الطيبة طير خضر
في الجنة فان كان الطير يتعارفون في رؤس الشجر فانهم يتعارفون وروى ابن عساكر من طريق ابن لهيعة
عن أبي الاسود عن أم فروة بنت معاذ السلمية عن أم بشر امرأة أبي معروف قالت سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنتزاور يا رسول الله اذا متنا ويزور بعضنا بعضا فقال تكون النسم طيرا تعلق شجرة حتى اذا كان يوم
القيامة دخلت في جثتها وروى ابن ماجه والطبراني والبيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت يا أبا عبد الرحمن ان لقيت فلانا فاقرأه مني السلام
فقال يغفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل من ذلك فقالت أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نسمة المؤمن
تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين قال بلى قالت فذاك ومنها ما رواه البيهقي في الدلائل وابن أبي
حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث أبي سعيد الخدري أتيت بالمعراج التي تعرج عليه أرواح بني آدم
فلم ير الخلائق أحسن من المعراج اما رأيت الميت يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج فصعدت
أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فاذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس
طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين
وروى أبو نعيم بسند ضعيف من حديث أبي هريرة ان أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون الى منازلهم
في الجنة وروى أبو نعيم أيضا عن وهب بن منبه قال ان لله في السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها
أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الارواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا
قدم عليهم ومن ذلك ما تقدم من قول ابن عمر لاسماء حين عزاها في ابنها عبد الله بن الزبير لا تحزني فان الارواح عند
الله في السماء رواه سعيد بن منصور في سننه وقيل انها بين السماء والارض وروى سعيد بن منصور في سننه وابن
جرير في كتاب الادب له عن المغيرة بن عبد الرحمن قال لقي سلمان الفارسي عبد الله بن سلام فقال له ان مت قبلي
فأخبرني بما تلقى وان مت قبلك أخبرتك قال وكيف وقد مت قال ان الروح اذا خرج من الجسد كانت بين السماء
والارض حتى يرجع الى جسده فقضى ان سلمان مات فرآه في المنام فقال أخبرني أي شئ وجدته أفضل قال
رأيت التوكل شيأ عجيبا وروى ابن المبارك في الزهد والحكيم في النوادر وابن أبي الدنيا وابن منده عن سعيد بن
المسيب عن سلمان قال ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت ونفس الكافر في سجين قال
ابن القيم البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في الارض بين الدنيا والآخرة وروى الحكيم عن سلمان
قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الارض حيث شاءت بين السماء والارض حتى يردها الله الى جسدها
ومنها ما رواه المروزي في كتاب الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال ترفع أرواح المؤمنين الى جبريل فيقال
أنت ولي هذه الى يوم القيامة وروى ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال أرواح المؤمنين اذا قبضت ترفع الى ملك
يقال له رمائيل وهو خازن أرواح المؤمنين وروى عن أبان بن تغلب عن رجل من أهل الكتاب قال الملك الذي على
أرواح الكفار يقال له دومة وروى ابن منده من طريق سفيان عن أبان بن تغلب عن رجل قال بت ليلة بوادي
برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة وحدثنا رجال من أهل الكتاب ان دومة

هو الملك الموكل بأرواح الكفار ومنها ما رواه المروزى فى كتاب الجنائز وابن منده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال أرواح الكفار تجمع ببرهوت سبخة بحضرموت وأرواح المؤمنين تجمع بالجابية برهوت باليمن والجابية بالشام وروى ابن عساكر عن عروة بن رويم قال الجابية تجبى اليها كل روح طيبة وروى أبو بكر بن النجار فى جزئه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال خير وادى الناس وادى مكة وشر وادى الناس وادى الاحقاف واد بحضرموت وفيه أرواح الكفار وروى ابن منده وابن أبى الدنيا عن على قال أبغض بقعة فى الارض الى الله واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وروى ابن أبى الدنيا عن على قال أرواح المؤمنين فى بئر زمزم وروى الحاكم فى المستدرك عن الاخنس بن خليفة الضبى ان كعب الاحبار أرسل الى عبد الله بن عمرو يسأله عن أرواح المسلمين أين تجتمع وأرواح أهل الشرك أين تجتمع فقال عبد الله اما أرواح المسلمين فتجتمع باريحاء وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء فرجع رسول كعب اليه فأخبره بالذى قال فقال صدق

(فصل) وأما أرواح الشهداء فروى مسلم من حديث ابن مسعود أرواح الشهداء عند الله فى حواصل طير خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وروى أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس قال أرواح الشهداء تجول فى أجواف طير خضر تعلق فى ثمر الجنة وروى عن أبى سعيد الخدرى رفعه الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب تعالى هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها فيقولون لا غير انا وددنا انك أعدت أرواحنا الى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل فى سبيلك وروى هناد فى الزهد وابن منده من حديث أبى سعيد ان أرواح الشهداء فى طير خضر ترعى فى رياض الجنة ثم يكون مأواها الى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب وذكر نحوه وروى أبو الشيخ من حديث أنس يبعث الله الشهداء من حواصل طير بيض كانوا فى قناديل معلقة بالعرش وروى ابن منده عن سعيد بن سويد انه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال بلغنى ان أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح الى رياض الجنة تأتى ربها سبحانه وتعالى تسلم عليه وروى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر فى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها وروى عن أبى الدرداء انه سئل عن أرواح الشهداء فقال هى طائر خضر فى قناديل معلقة تحت العرش تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت وروى أحمد وعبد بن حميد وابن أبى شيبة والطبرانى والبيهقى بسند حسن من حديث ابن عباس الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية وروى هناد فى الزهد وابن أبى شيبة عن أبى بن كعب قال الشهداء فى قباب فى رياض بفناء الجنة يبعث اليهم ثور وحوت فيعتركان فيلهون بهما فاذا احتاجوا الى شئ عقر أحدهما صاحبه فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شئ فى الجنة وروى البخارى عن أنس قال لما قتل حارثة قالت أمه يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة منى فان يكن فى الجنة فاصبر وان يكن غير ذلك ترى ما أصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها جنان كثيرة وانه فى الفردوس الاعلى وروى ابن أبى شيبة والبيهقى عن ابن عباس عن كعب قال جنة المأوى فيها طير خضر ترتقى فيها أرواح الشهداء تسرح فى الجنة وأرواح آل فرعون فى طير سود تغدو على النار وتروح وروى هناد فى الزهد عن هزيل قال ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر وأرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها وروى الترمذى من حديث كعب بن مالك ان أرواح الشهداء فى طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة قوله تعلق بضم اللام أى تأكل العلقة وهى ما يتبلغ به من العيش وروى ابن أبى شيبة عن عكرمة قال أرواح الشهداء طير بيض فقاقيع فى الجنة وروى عبد الرزاق عن قتادة قال بلغنا ان أرواح الشهداء فى صور طير بيض تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش

(فصل)

(فصل) وأما أرواح أطفال المسلمين فروى ابن أبي حاتم في التفسير عن أبي الدرداء قال ان أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت وروى أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي الدنيا في البعث وابن أبي الدنيا أيضا في كتاب العزاء بطرق من حديث أبي هريرة أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم ابراهيم وسارة حتى يردوهم الى آبائهم يوم القيامة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر كل مولود يولد في الاسلام فهو في الجنة شبعان ريان يقول يارب أورد على أبوي وأخرج فيه أيضا عن خالد بن معدان قال ان في الجنة لشجرة يقال لها طوبى كلها ضروع فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبى وحاضنهم ابراهيم عليه السلام وروى أيضا عن عبيد بن عمير قال ان في الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البقر يغذى بها ولدان أهل الجنة وروى سعيد بن منصور من مرسل مكحول أن ذرارى المسلمين أرواحهم في عصافير خضر في شجر في الجنة يكفلهم أبوهم ابراهيم عليه السلام وروى ابن أبي حاتم عن خالد بن معدان ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى كلها ضروع ترضع صبيان أهل الجنة وان سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن كعب قال ان أطفال المسلمين في عصافير في الجنة وروى هناد في الزهد عن هزيل قال أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح

(فصل) قال ابن القيم في كتاب الروح مسئلة الارواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى الا من السمع فقيل ان أرواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم اذا لم تحبسهم كبيرة لظاهر حديث كعب وأم هانئ وأم بشر وأبي سعيد وضمرة ونحوها ولقوله تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قسم الارواح عقب خروجها من البدن الى ثلاثة مقربين وأخبر انها في جنة نعيم وأصحاب يمين وحكم بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال جماعة من الصحابة والتابعين انه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة ويؤيده قوله تعالى في مؤمن آل يس قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقيل الاحاديث مخصوصة بالشهداء كما صرح به في رواية أخرى ولقوله في غيرهم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث ولحديث أبي هريرة السابق انهم في السماء السابعة ينظرون الى منازلهم في الجنة وقال ابن حزم في طائفة مستقرها حيث كانت قبل أجسادها أي عن يمين آدم وشماله وقال هذا مادل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية فصح ان الله تعالى خلق الارواح جملة وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخذ الله عهدها وميثاقها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المني قال فصح ان الارواح أجسام حاملة لاعراضها من التعارف والتناكر وانها عارفة مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت السماء ولا يدل ذلك على تعادلهم بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وتعجل أرواح الانبياء والشهداء الى الجنة قال وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم وقال ابن حزم وهو قول جميع أهل الاسلام وهو قول الله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم وقوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان الآية فلا تزال الارواح هنالك حتى يتم عددها بنفخها في الاجسام ثم برجوعها الى البرزخ فتقوم الساعة فيعيدها

عز وجل الى الاجساد وهي الحياة الثانية وهذا كله كلام ابن حزم وقيل هي على أفنية قبورها قال ابن عبد البر وهذا أصح ماقيل قال وأحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها ومخاطبتهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك قال ابن القيم هذا القول ان أريد به انها لازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ ترده الكتاب والسنة *(تنبيه)* عرض المقعد لا يدل على ان الارواح في القبر ولا على فنائه بل على ان لها اتصالا به يصح ان يعرض عليها مقعدها فان للروح شانا آخر فتكون في الرفيق الاعلى وهي متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هنالك وانما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس مايعهد من الاجسام التي اذا أشغلت مكانا لم يمكن ان يكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هنالك في مثل البدن ولها اتصال في البدن بحيث يصلي في قبره و يرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الاعلى ولا تنافي بين الامرين فان شأن الارواح غير شان الابدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الارض وان كان غير تام المطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض للشمس وأما الروح فهي نفسها تنزل وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة الاسراء في السموات الصحيح أنه رأى فيها الارواح في مثال الاجساد مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون فلا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء وان لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ وانما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي لانه ليس فيه مايشابه هذا وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم وحكى في موضع آخر للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر مايقتضي عروجها من القبر الى السماء في أدنى لحظة وشاهد ذلك روح النائم فقد ثبت ان روح النائم تصعد حتى تخرق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد الى جسده في أيسر زمان ثم قال ابن القيم بعد ان أورد بقية الاقوال في مستقر الارواح ولا نحكم على قول من هذه الاقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان بل الصحيح ان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الادلة فان كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الاعلى وهم الانبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لاجميعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في حديث محمد ابن عبد الله بن جحش عند أحمد ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس ومنهم من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة انها لتشتعل عليه نارا في قبره ومنهم من يكون محبوسا في الارض لم تصل روحه الى الملا الاعلى لانها كانت روحا سفلية أرضية فان الانفس الارضية لاتجامع الانفس السمائية كما أنها لاتجامعها في الدنيا فان الروح بعد المفارقة تلحق باشكالها وأصحاب عملها فالمرء مع من أحب ومنها أرواح تكون في تنور الزانيات وأرواح في نهر الدم الى غير ذلك فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال باجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى كلام ابن القيم وقال القرطبي الاحاديث دالة على ان أرواح الشهداء خاصة في الجنة دون غيرهم وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء وأما غيرهم فتارة يكون في السماء لافي الجنة وتارة يكون على أفنية القبور وقد قيل انها تزور قبورها كل جمعة على الدوام وقال ابن العربي بحديث الجريدة يستدل على ان الارواح في القبور تنعم أو تعذب ثم قال القرطبي و بعض الشهداء أرواحهم خارج الجنة أيضا كما في حديث ابن عباس على بارق نهر بباب الجنة وذلك اذا حبسهم عنها دين أو شيء من حقوق الآدميين قال وذهب بعض العلماء الى ان أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى ولذلك سميت جنة المأوى لانها تأوي اليها الارواح تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب نسيمها قال والاول أصح وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين

ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا بل أشبه شئ به حال النائم وان كان هو أشد من حال النائم اتصالا قال وبهذا يجمع بين ما ورد ان مقرها في عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور انها عند أفنية قبورها قال ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها من عليين أو سجين قال واذا نقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء وقال القرطبي في حديث كعب نسمة المؤمن طائر وهو يدل على ان نفسها تكون طائرا أي على صورته لا أنها تكون فيها ويكون الطائر ظرفا لها وكذا في رواية عن ابن مسعود عند ابن ماجه أرواح الشهداء عند الله كطير خضر وقال في لفظ عن ابن عباس تجول في طير خضر ولفظ ابن عمر في صورة طير بيض وفي لفظ عن كعب الشهداء طير خضر قال وهذا كله أصح من رواية في جوف طير وقال القابسي أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر لانها حينئذ تكون محصورة مضيقا عليها ورد بان الرواية ثابتة والتأويل محتمل بان يجعل في بمعنى على وجائز ان يسمى الطير جوفا اذ هو محيط به ويشتمل عليه قاله عبد الحق وقال غيره لا مانع من أن تكون في الاجواف حقيقة ويوسعها الله تعالى لها حتى تكون أوسع من الفضاء وقال العز بن عبد السلام في أماليه في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فان قيل الاموات كلهم كذلك فكيف خصص هؤلاء فالجواب ان الكل ليس كذلك فالمجاهد تنقل روحه الى طير اخضر فقد انتقل من جسد الى آخر بخلاف غيره فانها تنفي من الاجساد قال وأما حديث كعب نسمة المؤمن الخ فهذا العموم محمول على المجاهدين فقد ورد ان الروح في القبر يعرض عليها مقعدها من الجنة والنار ولانا أمرنا بالسلام على القبور ولولا ان الارواح تدرك لما كان فيه فائدة انتهى قال السيوطي فاختار في أرواح الشهداء انها كائنة في طير لا أنها نفسها طير ويؤيده ما روى عن ابن عمر وانها تركب في جسد آخر وهو وان كان موقوفا فله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي وقال صاحب الافصاح النعم على جهات مختلفة منها ما هو طائر في شجر الجنة ومنها ما هو في حواصل طير خضر ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش ومنها ما هو في حواصل طير بيض ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة ومنها ما هو في صورة تخلق لهم من ثواب أعمالهم ومنها ما تسرح وتتردد الى جثتها تزورها ومن سوى ذلك ما هو في كفالة آدم ومنها ما هو في كفالة ابراهيم قال القرطبي وهذا قول حسن يجمع الاخبار حتى لا تتدافع وقال الحكيم في النوادر الارواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة الى الجنان الى حيث شاءت على أقدارهم من السعي الى الله أيام حياتهم وقال ابن القيم لا منافاة بين حديث أنه طائر يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد بل تردد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لانه لا يدخله الا يوم الجزاء فدخول الجنة التام انما يكون للانسان التام روحا وبدنا ودخول الروح فقط أمر دون ذلك وفي بحر الكلام الارواح على أربعة أوجه أرواح الانبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتتنعم وتأوي بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون في أجواف طير خضر في الجنة تأكل وتتنعم وتأوي بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح المطيعين من المؤمنين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر في الجنة وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والارض في الهواء وأما أرواح الكفار فهي في سجين في جوف طير سود تحت الارض السابعة وهي متصلة باجسادها فتعذب الارواح وتتألم الاجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الارض انتهى وقال الحافظ ابن رجب في كتاب أهوال القبور الباب التاسع في ذكر أرواح الموتى في البرزخ أما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا شك ان أرواحهم عند الله في أعلى عليين وأما الشهداء فاكثر العلماء على أنهم في الجنة وروى عن مجاهد أنه قال ليس الشهداء في الجنة ولكن يرزقون منها وروى آدم بن أبي اياس عنه قال يرزقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وأما حديث ابن عباس الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فلعله في عموم الشهداء والذين في القناديل

حول العرش خواصهم أو المراد بالشهداء هنا غير قتيل المعركة كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد بالنص انه شهيد أو سائر المومنين فقد يطلق الشهيد على من حقق الايمان كما دل عليه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم وحكم بقية المؤمنين سوى الشهداء فاهل تكليف وغيرهم فاطفال المؤمنين الجمهور على انهم فى الجنة وأما المكلفون من المؤمنين سوى الشهداء فاختلف العلماء فيهم قديما وحديثا فنص الامام أحمد على ان أرواح المؤمنين فى الجنة وأرواح الكفار فى النار واستدل بحديث كعب بن مالك وأم هانئ وأبى هريرة وأم بشر وعبد الله بن عمرو ونحوها وروى عن هلال بن يساف أن ابن عباس سأل كعبا عن عليين وسجين فقال كعب أما عليون فالسماء السابعة ففيها أرواح المؤمنين وأما سجين فالارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد ابليس وقد ثبت بالادلة ان الجنة فوق السماء السابعة وان النار تحت الارض السابعة وقالت طائفة الارواح فى الارض ثم اختلفوا فقالت فرقة الارواح تستقر على أفنية القبور قاله ابن وضاح وحكاه ابن حزم عن عامة أصحاب الحديث ورجح ابن عبد البر ان أرواح الشهداء فى الجنة وأرواح غيرهم على أفنية القبور فتسرح حيث شاءت واستدلوا بحديث السلام عليهم وعرض المقعد ولا دليل فى ذلك على ان الارواح ليست فى الجنة فان العرض على الجنة وللروح بها اتصال والروح وحدها فى الجنة وكذا السلام على أهل القبور لا يدل على استقرار أرواحهم على أفنية قبورهم فانه يسلم على قبور الانبياء والشهداء وأرواحهم فى أعلى عليين ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالجسد لا يعلم كنه ذلك وكيفيته على الحقيقة الا الله تعالى ويشهد لذلك الاحاديث المروية فى أن النائم يعرج بروحه الى العرش هذا مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها اليه عند استيقاظه فارواح الموتى المجردة عن أبدانهم أولى بعروجها الى السماء وعودها الى القبر فى مثل تلك السرعة وقالت فرقة تجمع الارواح بموضع من الارض فارواح المؤمنين تجمع بالجابية وقيل ببئر زمزم وأرواح الكفار تجمع ببئر برهوت ورجحه القاضى ابو على من الحنابلة فى كتاب المعتمد وهو مخالف لنص أحمد ان أرواح الكفار فى النار ولعل لبئر برهوت اتصالا بجهنم فى قعرها كما روى فى البحر ان تحته جهنم وروى صفوان بن عمرو قال سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لانفس المؤمنين مجتمع فقال يقال ان الارض التى يقول الله ان الارض يرثها عبادى الصالحون هى الارض التى تجتمع فيها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث أخرجه ابن منده وهذا غريب جدا وتفسير الآية به أغرب وروى ابن منده عن شهر بن حوشب قال كتب عبد الله بن عمرو الى أبى بن كعب يسأله أين تلتقى أرواح اهل الجنة وأرواح أهل النار فقال اما أرواح أهل الجنة فبالجابية وأما أرواح الكفار فبحضرموت وقالت طائفة من الصحابة الارواح عند الله صح ذلك عن ابن عمر وروى ابن منده من طريق الشعبى عن حذيفة قال ان الارواح موقوفة عند الرحمن تنتظر موعدها حتى ينفخ فيها وهذا لا ينافى ما وردت به الاخبار من محل الارواح على ما سبق وقالت طائفة أرواح بنى آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله لما ثبت فى قصة الاسراء فى الصحيحين فلما فتح علونا السماء فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فقلت لجبريل من هذا فقال آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار الحديث فظاهر هذا اللفظ يقتضى ان أرواح الكفار فى السماء وهو مخالف للقرآن والحديث ان السماء لا تفتح لروح الكافر وقد ورد فى بعض طرق الحديث ما يزيل الاشكال ولفظه واذا هو يعرض عليه أرواح ذريته فاذا كان روح المؤمن قال روح طيبة اجعلوها فى عليين واذا كان روح الكافر قال روح خبيثة اجعلوها فى سجين الحديث ففى هذا أنه تعرض عليه أرواح ذريته من السماء الدنيا وانه يأمر بجعل الارواح فى مستقرها فدل على أن الارواح على استقرارها فى السماء الدنيا وزعم ابن حزم ان الله تعالى خلق الارواح جملة قبل الاجساد وانه جعلها فى برزخ وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا تراب ولا نار الى آخر ما قال حسبما أسلفناه وهذا قول لم يقله أحد من المسلمين ولا هو من جنس كلامهم وانما هو من جنس كلام

المتفلسفة قال والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين احدهما ان أرواح الشهداء تخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الارواح المجردة عن الاجساد فان الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوّضوا عنها بهذه الاجساد في البرزخ والثاني انهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك وان جاء انهم يعلقون في شجر الجنة فقيل معناه التعلق وقيل الاكل من الشجرة فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعيمهم في الاكل والله أعلم انتهى كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى وهو غاية في بابه لامزيد عليه ولنرجع الى شرح كلام المصنف (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره) قال العراقي رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبه عبد الملك بن حسن اهـ قلت وبخط الحافظ ابن حجر الذي في المسند عن عبد الملك عن سعيد بن عمرو بن سليم عن رجل من قومه يقال له فلان بن معاوية أو معاوية بن فلان اهـ قلت قال أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الملك بن حسن حدثنا سعد بن عمرو بن سليم قال سمعت رجلا منا قال عبد الملك نسيت اسمه ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية يحدث عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره فقال ابن عمر وهو في المجلس ممن سمعت هذا قال من أبي سعيد فانطلق ابن عمر الى أبي سعيد فقال يا أبا سعيد ممن سمعت هذا قال من النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه أيضا مسدد في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الاوسط والمروزي في الجنائز وابن منده في كتاب الاحوال بزيادة ومن يكفنه بعد قوله ومن يحمله وفي لفظ في حفرته بدل قبره وفي أخرى باسقاط ومن يحمله ولفظ الطبراني ان الميت ليعلم من يغسله ويكفنه ومن يدليه في حفرته رواه عن محمد بن أبان عن اسمعيل بن عمرو البجلي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد وروى أبو الحسين بن البراء في كتاب الروضة بسند ضعيف من حديث ابن عباس مامن ميت يموت الا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله ان كان بشر بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله وان كان بشر بنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه وروى ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال اذا مات الميت فملك قابض نفسه فما من شئ الا وهو يراه عند غسله وعند حمله حتى يوصله الى قبره وروى أبو نعيم في الحلية عن عمرو بن دينار قال مامن ميت يموت الا روحه في يد ملك ينظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك وروى ابن أبي الدنيا عنه قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وروى أيضا عن بكر بن عبد الله المزني قال بلغني انه مامن ميت يموت الا وروحه في يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى مايصنع أهله به فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل وروى أيضا عن سفيان قال ان الميت ليعرف كل شئ حتى انه ليناشد غاسله بالله الاخففت على غسلي وروى أيضا عن ابن أبي نجيح قال مامن ميت يموت الا روحه في يد ملك ينظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به الى قبره ثم تعاد اليه روحه فيجلس في قبره (وقال) أبو بشر (صالح) بن بشير بن وادع (المري) البصري القاص الزاهد ضعيف مات سنة اثنتين وسبعين ومائة روى له الترمذي (بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال حدثني محمد بن الحسين حدثنا أحمد بن اسحق قال سمعت صالحا المري يقول بلغني فذكره الا انه قال كيف كان ماوراءك ورواه ابن منده من طريقه فقال أخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره (وقال) أبو عاصم (عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي المكي قاص أهل مكة من أكابر التابعين مجمع على ثقته (أهل القبور يتوكفون الاخبار) قال الجوهري في الصحاح التوكف التوقع يقال مازلت أتوكفه حتى لقيته (فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ماقدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا) رواه ابن أبي شيبة في المصنف

وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني أن الارواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول ألم يأتكم أوماقدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا

وابن أبي الدنيا بلفظ ان أهل القبور ليتوكفون للميت كما يتلقى الراكب يسألونه فاذا سألوه مافعل فلان ممن مات فيقول ألم يأتكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير طريقنا ذهب به الى أمه الهاوية هذا لفظ ابن أبي الدنيا وقال ابن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس بن سعد عن عبيد بن عمير قال ان أهل القبور ليتلقون للميت كما يتلقى الراكب يسائلونه فاذا سألوه مافعل فلان ممن قدمات فيقول ألم يأتكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية وفي لفظ لابن أبي الدنيا عن اسحق بن ابراهيم عن محمد بن جابر عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس مولى خباب عن عبيد بن عمير قال اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب مافعل فلان وفلان وذكر الثعلبي مثل ذلك من حديث أبي هريرة وفي آخره حتى انهم ليسألونه عن هر البيت وروى الحاكم عن مرسل الحسن اذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له مافعل فلان فاذا قال مات قالوا ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المرضعة وروى ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني قال بلغنا ان الميت اذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين قد تقدموه من الموتى فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر اذا قدم على أهله (وعن جعفر بن سعيد) كذا في النسخ كلها وهو غلط من النساخ والصواب عن جعفر عن سعيد هو ابن المسيب والراوي عنه جعفر هو ابن سليمان الضبعي البصري الزاهد روى له مسلم والاربعة (قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب) هكذا رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثني محمد بن زيد الرفاعي حدثنا يحيى بن أبان حدثنا أشعث عن جعفر عن سعيد فذكره (وقال مجاهد) بن جبير المكي التابعي (ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره) رواه ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو نعيم بلفظ بصلاح ولده من بعده لتقر عينه وقال السدي في قوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من اخوانه يبشر به فيستبشر به كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا (وروى أبو أيوب) خالد بن زيد بن كليب (الانصاري) البدري رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله) كذا في النسخ والصواب من عباد الله (كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم) وفي لفظ صاحبكم والانظار الامهال (حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي أيوب باسناد جيد ورفعه ابن صاعد في زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة باسناد جيد اه قلت لفظ الطبراني فاذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول ايهات قدمات ذلك قبلي فيقولون انا لله وانا اليه راجعون ذهب الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المربية ورواه هكذا ابن مردويه في التفسير وزاد الطبراني وابن أبي الدنيا بعده وقال ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتم نعمتك عليه وأمته عليها ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقربه اليك هكذا رواه في الاوسط فقال حدثنا أحمد بن يحيى ابن خالد بن حيان حدثنا محمد بن سفيان الحضرمي حدثنا مسلم بن علي عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز عن مكحول عن عبد الرحمن بن سلامة عن أبي رهم عن أبي أيوب مرفوعا ثم قال لم يروه عن مكحول الا زيد وهشام تفرد به مسلمة قال السيوطي وهو ضعيف ولفظ ابن المبارك في الزهد اذا قبضت نفس العبد تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ليسألوه فيقول بعضهم لبعض انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب فيسألونه مافعل فلان مافعلت فلانة هل تزوجت فاذا سألوه عن الرجل قدمات قبله قال لهم انه قد هلك فيقولون انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية وبئست المربية فيعرض عليهم أعمالهم فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا هذه نعمتك على عبدك فأتمها وان رأوا سوأ قالوا اللهم راجع عبدك قال ابن

وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية

المبارك ورواه سلام الطويل عن ثور رفعه قلت وقد روى نحو ذلك من حديث أنس وأبي هريرة ومن مرسل الحسن وعبيد بن عمير الاشعث بن عبد الله الاعمى أما حديث أنس فلفظه اذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فان كان مات ولم يأتهم قالوا اخولف به الى أمه الهاوية بئست الام وبئست المربية حتى يقولوا ما فعل فلان هل تزوج ما فعلت فلانة هل تزوجت فيقولون دعوه يستريح فقد خرج من كرب الدنيا وأما حديث أبي هريرة فقد رواه البزار عن سعيد بن بحر عن الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عنه أحسبه رفعه قال ان المؤمن ينزل به الموت و يعاين ما يعاين ود لو خرجت نفسه والله يحب لقاءه وان المؤمن تصعد روحه الى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا فاذا قال تركت فلانا في الدنيا أعجبهم ذلك واذا قال ان فلانا قد مات قالوا ما جيء به الينا قال السيوطي هذا حديث صحيح رجاله ثقات وروى الثعلبي في تفسيره من حديث أبي هريرة اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان حتى انهم ليسألونه عن هر البيت وأما مرسل الحسن فقد رواه آدم بن أبي اياس في تفسيره عن المبارك ابن فضالة عنه رفعه اذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له ما فعل فلان ما فعل فلان واذا قال مات قبلي قالوا ذهب به الى أمه الهاوية بئست الام وبئست المربية وقد رواه الحاكم من طريقه وروى سعيد بن منصور في سننه وابن أبي الدنيا عن الحسن قال اذا احتضر المؤمن حضر خمسمائة ملك فيقبضون روحه فيعرجون به الى السماء الدنيا فتلقاهم أرواح المؤمنين الماضية فيريدون أن يستخبروه فتقول لهم الملائكة ارفقوا به فانه خرج من كرب عظيم ثم يستخبرونه حتى يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه فيقول هو كما عهدت حتى يستخبروه عن انسان قد مات قبله فيقول أوما أتى عليكم فيقولون أوقد هلك فيقول اي والله فيقولون أراه قد ذهب به الى أمه الهاوية بئست الام وبئست المربية وأما مرسل الاشعث فاخرجه عبد الرزاق وابن جرير قال اذا مات المؤمن ذهب بروحه وروح المؤمنين فتقول روحوا أخاكم فانه كان في غم الدنيا ويسألونه ما فعل فلان فيخبرهم فيقول صالح حتى يسألوه ما فعل فلان فيقول مات أما جاءكم فيقولون لا ذهب به الى أمه الهاوية وروى هناد في كتاب الزهد من طريق أبي اسحق عن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال حدثنا بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشهداء ثلاثة فادنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج منبوذا بنفسه وماله فذكر الحديث وفيه فاذا انتهى الى اخوانه سألوه كما تسألون الراكب يقدم عليكم من بلادكم فيقولون ما فعل فلان ما فعل فلان فيقول أفلس فلان فيقولون ما فعل فلان ماله فوالله ان كان لكيسا جموعا تاجرا انا لا نعد المفلس ما تعدون انما المفلس من الاعمال فما فعل فلان وامرأته فلانة فيقول طلقها فيقولون ما الذي جرى بينهما حتى طلقها فوالله ان كان بها لمعجبا فيقولون ما فعل فلان فيقول مات قبلي بزمان فيقولون هلك والله ما سمعنا له بذكر ان لله طريقين أحدهما علينا والآخر مخالف به عنا فاذا أراد الله بعبد خيرا مر به علينا فعرفنا متى مات واذا أراد الله بعبد شرا اخولف به عنا فلم نسمع له بذكر الحديث

(بيان كلام القبر للميت)

ومخاطبته له ومخاطبة أعماله (وكلام الموتى اما بلسان المقال أو بلسان الحال التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء) ويشهد للاول ما رواه ابن أبي الدنيا عن جابر قال ان القبر لسانا ينطق الحديث كما سيأتي (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي ان كنت تمر بي فدادا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده عليه نورا وتصعد روحه الى الله تعالى) وفي لفظ الى رب العالمين قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في الكنى من حديث أبي الحجاج الثمالي باسناد ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك الحكيم في النوادر وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية وانما قال باسناد ضعيف لان فيه أبا بكر بن أبي مريم فيه ضعف لاختلاطه وبقية مدلس وقد عنعنه وأبو الحجاج الثمالي صحابي اسمه عبد الله

(بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال أو بلسان الحال) التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فدادا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى

والفداد هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها
أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم عليك نقمة أنا الذي من
دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع في قبره فعذب
أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم
عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد من
أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج
وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى
وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيأ طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا

ابن عبدو يقال ابن عابدو يقال عبد بن عبد وغالة بطن من الازد نزل حمص قال ابن السكن معروف بكنيته
(والفداد) كشداد (هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى كذلك فسره الراوي) قال الجماعة المذكورون قيل
لابي الحجاج الثمالي ما الفداد قال الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى يعني الذي يمشي مشية المتبختر وقد روي نحو ذلك
من قول عبد الله بن عمرو قال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح أخبرنا يحيى
ابن سعيد الكلاعي عن عمرو بن عائذ الازدي عن غضيف بن الحرث الكندي قال جلست أنا وأصحاب لي الى
عبد الله بن عمرو قال فسمعته يقول ان العبد اذا وضع في القبر كلمه فقال يا ابن آدم ألم تعلم اني بيت الوحدة وبيت
الظلمة وبيت الحق يا ابن آدم ما غرك بي قد كنت تمشي حولي فدادا قال فقلت لغضيف يا أبا أسماء ما فدادا قال
اختيالا فقال له صاحبي وكان أسن مني فاذا كان مؤمنا قال وسع له وجعل منزله أخضر وعرج بنفسه الى الجنة
وهذا في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للرأي (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي التابعي القاص
روى له الجماعة (ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان
كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت) لربك في حياتك (عاصيا فانا اليوم عليك نقمة
أنا) البيت (الذي من دخلني مطيعا خرج) منه (مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج) منه (مثبورا) أي
حزينا خاسرا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ من دخله في الموضعين قال حدثني محمد بن الحسين حدثنا
محمد بن حرب المكي حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة حدثني أبي عن عبيد بن عمير الليثي فذكره
(وقال محمد بن صبيح) كأمير هو أبو العباس بن السماك الواعظ البغدادي (بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره
فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه) الاخدان
جمع خدن وهو الصاحب وفي نسخة بعد اخوانه (أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في تقدمنا اياك فكرة أما
رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات من اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر
بظاهر الدنيا) وفي لفظ بظهر الارض (هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك
ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لا بد منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
القبور (وقال) أبو عمرو (يزيد) بن أبان (الرقاشي) البصري القاص الزاهد (بلغني ان الميت اذا وضع في
قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا
أنيس لك اليوم غيرنا) ويوجد في النسخ عندنا والرواية ما ذكرناه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ورواه
أيضا الخطيب في تاريخه وزاد ثم يبكي يزيد ويقول طوبى لمن كان أنيسه صالحا والويل لمن كان أنيسه عليه
وبالا وقد تقدم نحوه للمصنف قريبا (وقال كعب) رحمه الله تعالى (اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته
أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول
الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل
لكم عليه فقد أطال ظمأه لله تعالى في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد
اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول
الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء
وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا

من الجنة ودثارا من الجنة و يفسح له فى قبره مد بصره و يؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله
من قبره) رواه ابن أبى الدنيا بنحوه من قول أبى هريرة كما سيأتى للمصنف قريبا فى الباب الذى يلى الباب الآتى
و رواه هناد فى الزهد وابن أبى شيبة من حديثه مرفوعا نحوه كما سيأتى أيضا فى حديث عبادة بن الصامت عند
ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد ان القرآن يصعد الى ربه فيسأل له فراشا ودثارا فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من
نور الجنة فتدخل عليه الملائكة فيحملونه و يفرشونه ذلك ويضعون الدثار تحت رجليه فلا يزال ينظر الى الملائكة
حتى يلجوا فى السماء و رواه البزار من حديث معاذ بنحوه وكل ذلك سيأتى (وقال عبد الله بن عبيد بن عمير) بن
قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث الليثى ثم الجندعى أبو هاشم المكى والد محمد قال أبو زرعة وأبو حاتم ثقة
مات سنة ثلاث عشرة ومائة روى له الجماعة سوى البخارى (فى جنازة بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شئ الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى
وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا
مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى الزهد الا أنه قال عنه بلغنى ولم يرفعه اه قلت ولفظ ابن أبى الدنيا
فلا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول وفيه وضنكى بدل ونتنى وفيه أعددت لهذا فماذا أعددت لى وظاهر سياقه
يدل على ان عبد الله بن عبيد تابعى وهو الذى فهمه الحافظ العراقى حيث قال هكذا مرسلا والصحبة انما هى
لجده عمير بن قتادة ممن شهد الفتح وأما والده عبيد فمن كبار التابعين و يظهر ان هذا من روايته عن أبيه ثم
رأيت ابن أبى شيبة فى المصنف قد صرح بذلك فقال حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا مالك بن مغول عن الفضل عن
عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال ان القبر ليقول يا ابن آدم ماذا اعددت لى ألم تعلم انى بيت الغربة و بيت
الوحدة و بيت الاكلة و بيت الدود و بهذا يصح أن يكون مرسلا وارتفع الاشكال ومما ورد فى مخاطبة
القبر للميت من جنس ما أورده المصنف حديث أبى سعيد الخدرى الذى رواه الترمذى وحسنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر هاذم اللذات فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه فيقول أنا بيت
الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما
ان كنت لاحب من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره
و يفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما كنت لابغض من
يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنعى بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابعه فادخل بعضها فى جوف بعض قال و يقيض له سبعين تنينا
لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ما انبتت شيأ ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضى به الى الحساب قال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار و روى الطبرانى
فى الاوسط عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس الى قبر فقال ما يأتى على
هذا القبر من يوم الا وهو ينادى بصوت طلق ذلق يا ابن آدم كيف نسيتنى ألم تعلم انى بيت الوحدة و بيت الغربة
و بيت الوحشة و بيت الدود و بيت الضيق الا من وسعنى الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر اما
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار و روى ابن منده فى كتاب الروح من طريق مجاهد عن البراء
ابن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا احتضر أتاه ملك فى أحسن صورة فساق الحديث الى
ان قال فاذا وضع المؤمن فى لحده تقول له الارض ان كنت لحبيبا الى وأنت على ظهرى فكيف اذا صرت فى
بطنى سأريك ما أصنع بك فيفسح له فى قبره مد بصره و يفتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد
الله لك من الثواب و يفتح له باب عند رأسه الى النار فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم
قرير العين فليس شئ أحب اليه من قيام الساعة و روى ابن أبى شيبة عن يزيد بن شجرة قال يقول القبر للرجل
الكافر أو الفاجر أماذكرت ظلمتى أماذكرت وحشتى أماذكرت ضيقى أماذكرت غمى و روى ابن أبى الدنيا

من الجنة ودثارا من الجنة و يفسح له فى قبره مد بصره و يؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شئ الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى

عن جابر قال يقول القبر يا ابن آدم كيف نسيتني ألم تعلم انى بيت الوحشة و بيت الدود و بيت الضيق الاما وسع الله عز وجل وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر الفقيه الحنبلي فى كتاب الشافى فى الفقه وقال اسمعيل بن ابراهيم الشيرازى حدثنا محمد بن حمدقرئ على عبد الرزاق وأنا حاضر عن الثورى عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فوجدنا القبر لم يلحد فجلس وجلسنا حوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره ثم سوّى عليه كلمته الارض فقالت أما علمت انى بيت الوحشة والغربة والدود فماذا أعددت لى وروى البيهقى فى الشعب عن بلال بن سعد قال ينادى القبر فى كل يوم أنا بيت الغربة و بيت الدود والوحشة وأنا حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وان المؤمن اذا وضع فى لحده كلمته الارض من تحته فقالت والله لقد كنت أحبك وأنت على ظهرى فكيف وقد صرت فى بطنى فاذوليتك فستعلم ما أصنع فيتسع له مد بصره واذا وضع الكافر قالت والله لقد كنت أبغضك وأنت على ظهرى فاذوليتك فستعلم ما أصنع فتضمه ضمة تختلف منها أضلاعه وروى الديلمى من حديث ابن عباس تجهزوا لقبوركم فان القبر له فى كل يوم سبع مرات يقول يا ابن آدم الضعيف ترحم فى حياتك على نفسك قبل أن تلقانى أترحم عليك وتكفى منى الردة وروى ابن أبى الدنيا فى القبور وابن منده عن عمرو بن ذر قال اذا دخل المؤمن حفرته نادته الارض أمطيع أم عاص فان كان صالحا ناداه مناد من ناحية القبر عودى عليه خضرة وكونى عليه رحمة فنعم العبد كان ونعم المردود اليك فتقول الارض الآن حين استحق الكرامة وروى ابن أبى شيبة فى المصنف والصابونى فى المائتين وابن منده عن على بن أبى طالب انه خطب فقال القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الدود أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال السيوطى فى شرح الصدور قال بعض العلماء عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف الى القبر لانه الغالب والافكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به قبر أو لم يقبر ولو صلب أو غرق فى البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رمادا وذرى فى الريح ومحله الروح والبدن جميعا باتفاق أهل السنة وكذا القول فى النعيم قال ابن القيم ثم عذاب القبر قسمان قسم دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانه يعذب حسب جريمته ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك وقال اليافعى فى روض الرياحين بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لهذا الوقت قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار وعمم النفى فى بحر الكلام فقال ان الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان قال وأما المسلم العاصى فانه يعذب فى قبره لكن يرفع عنه يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود اليه الى يوم القيامة وان من مات يوم الجمعة أو ليلتها يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود الى يوم القيامة انتهى وهذا يدل على ان عصاة المسلمين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها وانهم اذا وصلوا الى يوم الجمعة انقطع ثم لا يعود وهو يحتاج الى دليل وقال ابن القيم فى البدائع نقلت من خط القاضى أبى يعلى فى تعاليقه لابد من انقطاع عذاب القبر لانه من عذاب الدنيا والدنيا وما فيها تنقطع فلابد أن يلحقهم الفناء والبلى ولا يعرف مقدار مدة ذلك قال السيوطى ويؤيد ذلك ما رواه هناد فى الزهد عن مجاهد قال للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فاذا صيح باهل القبور يقول الكافر يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا فيقول المؤمن الى جنبه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (قال البراء بن عازب) بن الحرث بن عدى الانصارى الاوسى صحابى ابن صحابى نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى) انقطاع من الدنيا و (قبل من الآخرة) أى اقبال منها (بعث الله) اليه (ملائكة كان وجوههم الشمس) أى فى الاضاءة والانارة (معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره) أى

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير) قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره

فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله بطيأ عن معصية الله

حيث ينتهى اليه بصره (فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء) أى من غير الذين بعثوا اليه (وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا انه يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة الله من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال واما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ) أى طرح (وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر) أى وأنواع العذاب (انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها) أى يحملوها (لم يستطيعوا) ذلك (ولو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين) الجن والانس (قال ثم ينادى مناد افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار) قال العراقى رواه بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائى وابن ماجه مختصرا انتهى قلت وكذلك رواه أحمد وابن أبى شيبة فى المصنف والطيالسى وعبد ابن حميد فى مسنديهما وهناد فى الزهد وابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما والبيهقى فى كتاب عذاب القبر وغيرهم من طرق صحيحة ولفظ أبى داود فى السنن حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير وحدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو معاوية وهذا لفظ هناد عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله

فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيأ عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا ولو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار

صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في حديث جرير ههنا قال وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وقال هناد ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم قال فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت زاد في حديث جرير فذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها قال ويفتح له فيها مد بصره قال وان الكافر فذكر موته قال وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في حديث جرير قال ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا قال فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا قال ثم يعاد فيه الروح حدثنا هناد بن السري حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا الاعمش حدثنا المنهال عن أبي عمر زاذان قال سمعت البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه انتهى ولفظ الحاكم في المستدرك ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة يقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي قال وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى به في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى

وقال محمد بن علي مامن ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته و يطرق عن سيئاته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين و يقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا و يقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة و مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا و يطوى عليها المسح و يذهب بها الى سجين

الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فيطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه و يأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة قال السيوطي في أمالي الدرة هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود بطوله والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال مختصرا وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بالمنهال و زاذان قال وله شواهد يستدل بها على صحته وقال الحافظ العراقي متعقبا عليه لم يحتج مسلم بالمنهال ولا روى له في صحيحه شيأ وقد وثقه النسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم ولم يحتج البخاري بزاذان وانما روى له في الادب المفرد ووثقه ابن معين وغيره قال السيوطي ليس مراد الحاكم ان كلا الشيخين احتجا بكل من المنهال و زاذان وانما عبر بلف ونشر مجمل ومراده أن واحدا منهما احتج بالمنهال والآخر بزاذان ونظير ذلك قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى أي قال اليهود الاول والنصارى الثاني لكن أهل الحديث غالبا لا يتأملون دقائق هذه العبارات لعدم اعتنائهم بها وانما ذلك دأب أهل البيان والبديع اهـ ومن الشواهد التي أشار اليها الحاكم لحديث البراء حديث تميم الداري رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى في مسنده الكبير من رواية أنس عن تميم مرفوعا وقد تقدم بطوله في آخر الباب الثالث من هذا الكتاب ومن شواهده أيضا حديث أبي هريرة وله طرق وسيأتي ان شاء الله تعالى ومن شواهده أيضا حديث أبي سعيد الخدري ولفظه ان المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وادبار من الدنيا نزلت ملائكة من ملائكة الله تعالى كان وجوههم الشمس بكفنه وحنوطه من الجنة فيقعدون منه حيث ينظر اليهم فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض رواه ابن منده هكذا مختصرا في كتاب الاحوال (وقال) أبو جعفر (محمد بن علي) بن الحسين ابن علي رضي الله عنه (مامن ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص) أي يرفع بصره (الى حسناته) أي فرحا بها (و يطرف) أي يغض بصره (عن سيآته) أي تندما منها رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى أيضا عن الحسن في قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر فاذا رأى حسنة بهش وأشرق واذا رأى سيئة غض وقطب وروى أيضا عن مجاهد قال بلغنا ان نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان) جمع ضبارة بالكسر هي الجماعات في تفرقة قاله ابن الاثير وقد تقدم ضبطه في حديث تميم الداري (فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين و يقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة و بعث بها الى عليين وان الكافر اذا حضر أتته الملائكة بمسح) بالكسر قطعة من الكساء الاسود (فيه جمرة) أي من جهنم (فتنزع روحه انتزاعا شديدا و يقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا) أي صوتا (و يطوى عليها المسح و يذهب بها الى سجين) قال العراقي رواه النسائي وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف اهـ قلت هذا لفظ البزار و رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم واللفظ له والبيهقي بلفظ ان المؤمن اذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك الى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج

كاطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا فيشمونه حتى يأتوا به الى باب السماء فيقولون ما أطيب هذه
الريح التي جاءت من الارض كلما أتوا سماء قالوا ذلك حتى يأتوا به الى أرواح المؤمنين فلهم افرح به من أحدكم
بغائبه اذا قدم عليه فيسألونه مافعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان في غم الدنيا فاذا قال لهم ما أتاكم
فانه قد مات يقولون ذهب به الى أمه الهاوية وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة
مسخوطا عليك الى عذاب الله وسخطه فتخرج كانتن ريح جيفة فينطلقون به الى باب الارض فيقولون ما انتن
هذه الريح كلما أتوا على ارض قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح الكفار لفظ الحاكم الى قوله باب الارض ومابعده
لفظ النسائي واخرجه أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز عن القواريري عن حماد بن زيد عن بديل بن ميسرة
عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فصعدا بها فذكر من طيبها
ويقول أهل السماء ريح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلقون به
الى ربه تعالى والحديث أبي هريرة طريق أخرى روى ابن ماجه والبيهقي عنه مرفوعا قال تحضر الملائكة فاذا
كان الرجل صالحا قال اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح
وريحان ورب راض غير غضبان فلا تزال يقال لها كذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال
من هذا فيقولون فلان بن فلانة فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري
بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة فاذا كان
الرجل السوء قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق
وآخر من شكله ازواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا
فيقال فلان فيقال لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها لاتفتح لك أبواب السماء
فترسل من السماء ثم تصير الى القبر وروى مسلم عن أبي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان
فيصعدانها فذكر من طيبها ويقول أهل السماء ريح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد
كنت تعمرينه فينطلقون به الى ربه تعالى ثم يقول انطلقوا به الى آخر الاجل وان الكافر اذا خرجت روحه
فذكر من نتنها وذكر لعنا وتقول أهل السماء ريح خبيثة جاءت من قبل الارض فيقال انطلقوا به الى آخر
الاجل فحديث أبي هريرة بطرقه المذكورة شاهد جيد لحديث البراء السابق ومن شواهده أيضا مارواه هناد
في الزهد وعبد بن حميد في التفسير والطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عمرو قال اذا توفي الله
العبد المؤمن أرسل اليه ملكين بخرقة من الجنة وريحان من الجنة فقالا أيتها النفس الطيبة اخرجي الى
روح وريحان ورب غير غضبان اخرجي فنعم ماقدمت فتخرج كاطيب ريح مسك وجدها أحدكم بانفه وعلى
ارجاء السماء ملائكة يقولون سبحان الله لقد جاء من الارض اليوم روح طيبة فلا تمر بباب الافتح له ولا ملك
الاصلى عليه وشفع حتى يؤتى به ربه عز وجل فتسجد الملائكة قبله ثم يقولون هذا عبدك فلان توفيناه وأنت
اعلم به فيقول مروه بالسجود فتسجد النسمة ثم يدعى ميكائيل فيقال اجعل هذه النسمة مع نفس المؤمنين حتى
اسألك عنها يوم القيامة فيؤمر بقبره فيوسع له طوله سبعون وعرضه سبعون وينبذ فيه الريحان ويبسط له فيه
الحرير وان كان معه شئ من القرآن نوره والاجعل له نور مثل نور الشمس ثم يفتح له باب الى الجنة فينظر الى
مقعده في الجنة بكرة وعشيا واذا توفي الله العبد الكافر ارسل اليه ملكين وارسل اليه بجاد أنتن من كل نتن
وأخشن من كل خشن فقالا أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك ساخط أخرجي
فساء ماقدمت فتخرج كانتن جيفة وجدها أحدكم بانفه قط وعلى ارجاء السماء ملائكة يقولون سبحان الله
لقد جاء من الارض جيفة ونسمة خبيثة لايفتح لها باب السماء فيؤمر بجسده فيضيق عليه في القبر ويملأ حيات
مثل أعناق البخت تأكل لحمه فلا تدع من عظامه شيأ ثم يرسل عليه ملائكة صم عمي معهم فطاطيس من حديد
لايبصرونه فيرحمونه ولا يسمعون صوته فيرحمونه فيضربونه ويخبطونه ويفتح له باب من نار فينظر الى مقعده

من النار بكرة وعشيا يسأل الله ان يديم ذلك عليه فلا يصل الى ما وراءه من النار ارجاء السماء نواحيها والنجاد الكساء الغليظ والقطاطيس جمع قطيس كسكير المطرقة العظيمة وروى ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي واللالكائي عن أبي موسى الاشعري قال تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحا من المسك فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون من هذا معكم فيقولون فلان ويذكرونه باحسن عمله فيقولون حياكم الله وحيا من معكم فتفتح له أبواب السماء فيشرق وجهه فيأتي الرب ولوجهه برهان مثل الشمس قال وأما الكافر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون من هذا فيقولون فلان ويذكرونه باسوأ عمله فيقولون ردوه فما ظلمه الله شيأ وقرأ ابو موسى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وروى ابن المبارك من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل كعب الاحبار عن قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين قال ان روح المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها الى العرش وتعرج الملائكة فتخرج لها الملائكة تحت العرش رقا فتختم ويرقم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة فذلك قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم قال وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها فيهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فيدخل بها تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو خد ابليس فتخرج لها من خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس لهلاكه للحساب فذلك قوله تعالى وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم وروى ابن أبي الدنيا عن ابراهيم النخعي قال بلغنا ان المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة وريحان من ريحان الجنة فتقبض روحه فتجعل في حرير من حرير الجنة ثم ينضح بذلك الطيب ويلف في الريحان ثم ترتقي به ملائكة الرحمة حتى يجعل في عليين وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها في الجنة أو النار ثم قال فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كان وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم وان كنتم ترون انه ينظر اليكم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة الى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فهم الطف به وارأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه وان كنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه فهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو أشد لزوما لها من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك يستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وصل على جسد خرجت منه فيصعدون بها الى الله ولله خلق في الهواء لا يعلم عدتهم الا هو فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها الى الملك فيقول الجبار جل جلاله مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الرب جل جلاله لشيء مرحبا رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة ادخلوها الجنة واعرضوا عليها ما اعد لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى فوالذي نفسي بيده لهي أشد كراهية للخروج منها حيث كانت تخرج من الجسد وتقول أين تذهبون بي الى ذلك الجسد الذي كنت فيه فيقولون انا مأمورون بهذا فلا بد لك منه فيهبطون بها على قدر فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال الكافر اذا أخذ روحه ضربته ملائكة الارض حتى ترتفع في السماء فاذا بلغ السماء

وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أى شئ تريد
فى أى شئ ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الانهار وقال لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول
الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أى ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى

روضة خضراء و يرحب له فى قبره سبعون ذراعا و يضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله و رسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى أقسام وتلك الصفات باعيانها هى المهلكات وهى باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب ومابينهما
يؤذى ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها
الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة
فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التصديق والتسليم

ضربته ملائكة السماء فهبط فضربته ملائكة الارض فارتفع ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط الى أسفل
الارضين (وعن محمد بن كعب) بن سليم بن أسد أبو حمزة (القرظي) المدنى نزيل الكوفة ولد سنة أربعين
على الصحيح روى له الجماعة (انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل
صالحا فيما تركت قال أى شئ تريد فى أى شئ ترغب أتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى
البنيان وتشقق الانهار قال لالعلى اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أى ليقولنها
عند الموت) رواه ابن أبى الدنيا وروى ابن جرير وابن المنذر فى تفسيريهما عن ابن جريج قال قال النبى صلى الله
عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان قدما الى الله
وأما الكافر فيقولون نرجعك فيقول رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت وروى الديلمى من حديث جابر
اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شئ يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى اعمل
صالحا فيما تركت وفى الآية وجه آخر تقدم ذكره فى كتاب الزكاة (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال
النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب) أى يوسع (له قبره سبعين ذراعا) وفى بعض
النسخ فى قبره سبعون ذراعا (ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة
ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين
تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون) وفى لفظ
الى يوم القيامة قال العراقى رواه ابن حبان اه قلت ورواه كذلك ابن أبى الدنيا فى الموت والحكيم فى النوادر وأبو
يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والآجرى وابن منده وروى أحمد وأبو يعلى والبيهقى فى
عذاب القبر والآجرى من حديث أبى سعيد الخدرى يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تلدغه
حتى تقوم الساعة وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد فى مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن
المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى فى عذاب القبر من حديث أبى سعيد الخدرى فى
قوله معيشة ضنكا قال عذاب القبر ولفظ ابن أبى حاتم ضغطة القبر ولفظ عبد الرزاق قال يضيق عليه قبره حتى
تختلف أضلاعه وروى البزار وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة المعيشة الضنك ان يسلط عليه تسعة وتسعون
حية تنهش لحمه حتى تقوم الساعة وروى ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم من
وجه آخر من حديث أبى هريرة قال معيشة ضنكا عذاب القبر وقد روى عن ابن مسعود وأبى صالح والربيع
مثله وروى ابن منده من حديث أبى هريرة المؤمن فى قبره فى روضة خضراء الحديث الى قوله ليلة البدر وروى على
ابن معبد عن معاذة عن عائشة قالت ان كان مؤمنا فسح له فى قبره أربعون ذراعا (ولا ينبغى ان يتعجب من هذا
العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد
والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها اقسام
تلك الصفات باعيانها هى المهلكات وهى باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف
يلدغ لدغ العقرب ومابينهما يؤذى ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه
المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر
صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى ان ينكر ظواهرها
بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم) قال المصنف فى آخر كتاب الجواهر وأما قولك ان المشهور من

عذاب

عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك لكني أراك عاجزا عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا انى أنبهك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقائق والتشمير للاستعداد لامر الآخرة فانه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون فقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء فذكر الحديث بتمامه ثم قال فانظر الى هذا الحديث واعلم ان هذا حق على هذا الوجه شاهده أهل البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر والجاهل ينكر ذلك اذ يقول انا أنظر فى قبره فلا أرى ذلك أصلا فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت أعنى ذاته وروحه لا ذات جسده فان الروح هى التى تتنعم وتتألم بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه من غلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت وليتحقق ان هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤسه بعدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا فاصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤس بعدد ما يتشعب من حب الدنيا من الحسد والحقد والكبر والرياء والشره والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء واصل ذلك معلوم بالبصيرة وكذا كثرة رؤسه اللادغة وأما انحصار عددها فى تسعة وتسعين انما وقف عليه بنور النبوة فقط فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وقال تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجا عن ذات الميت لكان أهون اذ ربما ينصرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغا أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التى كانت معه فى حياته كان التنين الذى يلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه العشق الذى كان مستكنا فى قلبه استكنان النار فى الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب ألمه وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم انما هى أعمالكم ترد عليكم وسر قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا بل سر قوله تعالى لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لترونها قبل ان تدركوها بعين اليقين بل هو سر قوله تعالى يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال هى محيطة وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ولم يقل انها ستحيط بهم وهو معنى قوله ان الجنة والنار مخلوقتان وقد أنطق الله لسانه بالحق ولعله لم يطلع على سر ما يقوله فانك لم تفهم بعض معانى القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن الا فى قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا فى قشوره الذى هو التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم وفى كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن أشد منه على الخبز المتخذ من اللب فانت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة ولا أن ترقى الى درجة الانسانية فضلا عن الملائكة فدونك الانسراح فى رياض القرآن ففيه متاع لكم ولانعامكم (فان قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيأ من ذلك) أى من أنواع العذاب من الحيات والعقارب (فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات فى التصديق بامثال هذا أحدها وهو الاظهر والاصح والاسلم أن تصدق بانها موجودة وهى تلدغ الميت) نظرا لظاهر الاخبار الصحيحة (ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين) التى تبصر بها الامور الظاهرة (لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت) فانه ضد عالم الشهادة (أما ترى الصحابة) رضوان الله عليهم (كيف كانوا يؤمنون) أى يصدقون (بنزول جبريل) عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم (وما كانوا يشاهدونه) على هيئته التى هو عليها (ويؤمنون) مع ذلك (بانه صلى الله عليه وسلم) كان (يشاهده) مشاهدة عيان (فان كنت لا تؤمن بهذا) القدر (فتصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحى أهم عليك) من كل شئ (وان آمنت به وجوزت أن يشاهد النبى ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا فى الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا) ولا من جنس عقاربه (بل هى من جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى) غير حاسة البصر (المقام

فان قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيأ من ذلك فاوجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات فى التصديق بامثال هذا (أحدهما) وهو الاظهر والاصح والاسلم أن تصدق بانها موجودة وهى تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الايمان بالملائكة والوحى أهم عليك وان كنت آمنت به وجوزت ان يشاهد النبى ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا فى الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هى جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى (المقام

الثانى)* أن تتذكر أمر النائم وانه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح فى نومه و يعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه و يتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد *(المقام الثالث)* انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك فى الاثر الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذى يفضى اليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى

النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد
فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم الى أعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على مافاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على مافاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال أبد الآباد

سكن

الثانى أن يتذكر أمر النائم وأنه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح) من ذلك الالم (ويعرق جبينه) من شدته (وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا) لا يتحرك (ولا ترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك فى الاثر الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذى يفضى اليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه) ويكثر أسفه (ويشتد عذابه ويتمنى) ويتلهف (ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه) ولا أتألم عند انقطاعه (فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة) كما قال الشاعر

(ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم الى أعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على مافاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى) وهو أعظم ما يتحسر عليه (فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على مافاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو الذى يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) فحجابهم عن ربهم سبب لدخولهم الجحيم (وأما من لم يأنس بالدنيا) ولم يطمئن اليها (ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها) فكان الموت فى حقه تحفة واطلاقا عن السجن (وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال أبد الآباد) واليه أشار القطب سيدى على وفا قدس سره

سكن الفؤاد فعش هنيأ يا جسد * هذا النعيم هو المقيم الى الابد

(ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب) على أخذ الفرس منه (فاذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس عن رجوع جميع ذلك كله اليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات وكأنه أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لانه في الحياة يتسلى بأسباب تشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض عنه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون) والمشتهر على الالسنة فاز المخفون وهو بمعناه وفي حديث أبي الدرداء امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون رواه الحاكم في المستدرك وهو في النهاية لابن الاثير بلفظ ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا يجاوزها الا الرجل المخف وفي الحلية لابي نعيم في قصة التقاء عمر ابن الخطاب باويس القرني وعرض عليه نفقة وأباها انه قال يا أمير المؤمنين ان بين يدى و يديك عقبة كؤدا لا يجاوزها الا كل ضامر مخف وعند الطبراني من حديث أنس يا أباذر أعلمت ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا يصعدها الا المخفون وقد قال الشاعر

هذا الزمان الذى قال الرسول لنا * خفوا الرحال فقد فاز المخفونا

(وان كان مثقلا عظم عذابه) واشتد تعبه (وكما ان حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين) قال العراقي لم أجد له أصلا قلت بل رواه الحاكم في تاريخه من حديث أبي هريرة بلفظ ذو الدرهمين أشد حسابا من ذى الدرهم وذو الدينارين أشد حسابا من ذى الدينار وقد روى نحو ذلك من قول أبي ذر قال أحمد في الزهد حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني سليمان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذو الدرهمين أشد حسابا من ذى درهم واحد ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه (ومامن شئ من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي أسماء الرحبي انه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق قال فقال ألا تنظرون الى ما تأمرني به هذه السوداء تأمرني ان آتي العراق فاذا أتيت العراق مالوا على بدنياهم وان خليلي عهد الى ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى ان ننجو من ان نأتي عليه ونحن مواقير (وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها) وانما كثرتها بكثرة صفاتهم الخبيثة (فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه) ويروى أنه (رأى أبو سعيد الخراز رحمه الله

ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فاذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات وكأنه أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لانه في الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا في الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين ومامن شئ من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست بمستكثر الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه رأى أبو سعيد الخدرى

ابناله قدمات فى المنام فقال له يابنى عظنى قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يابنى زدنى قال يا أبت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك و بين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم أن فى الناس من لم يثبت الا الاول وأنكر مابعده ومنهم من أنكر الاول وأثبت الثانى ومنهم لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو أضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به و يألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنه والتصديق بها واجب و رب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع و رب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده و يجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

ابناله قدمات فى المنام فقال له يابنى عظنى قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يابنى زدنى قال يا أبت لا تطيق) أى لصعوبته (قال قل قال لا تجعل بينك و بين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة) أورده القشيرى فى الرسالة الا انه قال يابنى أوصنى فقال يا أبت لا تعامل الله على الجبن فقال يابنى زدنى فقال لا تخالف الله فيما طالبك والباقى سواء (فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان فى الناس من لم يثبت الا الاول وأنكر مابعده ومنهم من أنكر الاول وأثبت الثانى ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك فى حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به و يألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب و رب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع و رب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز) أى يندر (على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا) لانه ليس من جنس معارف هذا العالم (والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته) فتضيع وقتك (بل تشتغل بالتدبير) والاحتيال (فى رفع العذاب) عنك (كيفما كان) و بأى وجه أمكن (فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده و يجدع أنفه) و يمثل به (فأخذ طول الليل يتفكر فى انه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى) أو غير ذلك من آلات القطع (وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع) واليقين (ان العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو عن نعيم مقيم فينبغى أن يكون الاستعداد له فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان) وفيه غاية الخسران قال المصنف فى آخر كتاب الاربعين الذى ختم به كتاب الجواهر ما نصه فان قلت فهل يتمثل هذا التنين تمثلا يشاهده مشاهدة تضاهى ادراك البصر أو هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق اذا حيل بينه و بين معشوقه فأقول بل هو يتمثل له حتى يشاهده ولكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة اذا نظر فى قلبه فان ذلك من عالم الملكوت نعم العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام فيرى حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم فى عالم الشهادة قليلا فلذلك تتمثل له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت والموت أبلغ فى الكشف من النوم لانه أقمع لنوازع الحس والخيال وأبلغ فى تجريد جوهر الروح من غشاوة هذا العالم فلذلك يكون التمثيل تاما محققا دائما لا يزول فانه نوم لا ينتبه منه الى يوم القيامة فيقال لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم ان المستيقظ بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية التى تلدغ النائم فى حقه وحصول الالم به كذلك حال الميت فى قبره ولعلك تقول قد استدعيت قولا مخالفا للمشهور ومنكرا عند الجمهور اذ زعمت ان أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا يجاوز احد التقليد الشرعى فهل يمكنك ان كان كذلك حصر أصناف العذاب وتفاصيله فاعلم ان مخالفتى للجمهور لا أنكرها وكيف ينكر مخالفة المسافر للجمهور والجمهور مستقرون فى البلد الذى هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم وانما يسافر منهم الآحاد واعلم ان البلد منزل البدن والقالب وانما منزل روح الانسان عوالم الادراكات والمحسوسات وهو المنزل الاول والمتخيلات المنزل الثانى والتوهمات المنزل الثالث ومادام الانسان فى المنزل الاول فهو دود وفراش فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخرى وقد تأذى بها أولا فان الطير وسائر الحيوانات اذا تتأذى فى

موضع بالضرب تألم منه ولم تعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس ومادام الانسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة انما حده ان يحذر من شئ تأذى به مرة ومالم يعاود بشئ فلا يدرى انه يحذر منه فاذا صار في المنزل الثالث وهو المتوهمات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر من الاسد اذا راه أولا وان لم يتأذبه قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتأذى به مرة بل الشاة ترى الذئب أولا فتحذره وترى الجمل والثور وهما أعظم منه شكلا وأهول منه صورة فلا تحذرهما اذ ليس من طبعهما أذاها والى الآن في مشاركة البهائم وبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية فيدرك الاشياء لا تدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على الامور العاجلة اقتصار حذر الشاة على ما تشاهد في الحال من الذئب ومن ههنا يصير حقيقته الانسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله تعالى ونفخت فيه من روحي وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن غشاوة القوالب وأعني بهذه الارواح الحقائق المحض المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له وأما العوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة للاجسام وملتصقة بها والاجسام لا يتصور ان تكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله الخيالي المشي على الماء ثم يترقى منه الى المشي على الهواء واما ليزداد على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وفيها تتولد درجات الشياطين حتى يتجاوز الانسان عوالم البهائم فينتهي الى عالم الشياطين ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر وفي هذه العوالم كلها منازل الهدى والهدى المنسوب الى الله تعالى يوجد في العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى قل ان الهدى هدى الله ومقام كل انسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل بقدر ادراكه وهو معنى قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون فالانسان بين أن يكون دودا أو حمارا أو فرسا أو شيطانا ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا والملائكة درجات فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون المرتفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال حضرة الربوبية وملاحظة الوجه الكريم خاصة وهم أبدا في دار البقاء اذ ملحوظهم هو الوجه الباقي وأما ما دار ذلك فالفناء مصيره أعني السموات والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وهذه العوالم منازل سفر الانسان ليترقى من حضيض درجة البهائم الى يفاع رتبة الملائكة ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق وهم منهم فهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون الوجه الكريم ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى خسة الانسان والى شرفه الى بعد مراقيه في معراجه والى انحطاط درجاته في سفله وكل الآدميين مردودون الى أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم أجر غير ممنون وهو ملاحظة جمال الوجه وبهذا يفهم معنى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية لان معنى الامانة التعرض للعهدة لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والمعصية ولا خطر على سكان الارض هم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثاني ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى حضيض علم البهائم فانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف يعرج الى سماء العلو وقيادا يهوى الى الارض السافلة للحقارة هو بامتقلدا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره فيا مسكين كيف تقهرني بالعاقبة وتخوفني بمجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري ان الذي تكرهونه مني هو الذي يشتهيه قلبي فاطووا طور الهذيان ولا تقعقع بعد هذا بالشنان وأما مطالبتك بتفصيل عذاب الآخرة وذكر أصنافه فلا تطمع في التفصيل فذلك داعية الى الاملال والتطويل فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا أوضح من العيان أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة أعني الروحاني منها حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة المفضحات وحسرة فوات المحبوبات فهذه ثلاث أنواع من النيران الروحانية تتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا الى ان ينتهي الى مقاساة النار الجسماني فان ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح هذه الاصناف * الصنف الاول

حرقة فرقة المشتهيات فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل التنين وضعه الشارع صلى الله عليه وسلم وعدد رؤسه وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات يلدغ صميم الفؤاد لدغا مؤلما وان كان البدن بمعزل عنه فقدر في عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع البلاد مستهترا بالوجوه الحسان منهمكا عليها مشغوفا باستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم فقصده رجل فاسترقه ليستعمله في تعهد الكلاب وصار يتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه فانظر الآن هل ترى على قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يود انه لو يبتلى بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فربما تشم قليلا من رائحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة أعدت ان جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده واعلم ان عذاب كل ميت بعدد رؤس هذا التنين وعدد الرؤس بعدد المشتهيات ومن كان أفقر وتمتعه بالدنيا أقل كان العذاب عليهم أخف ومن لا علاقة له مع الدنيا أصلا فلا عقاب عليه أصلا * الصنف الثاني خزي خجلة المفضحات فقدر رجلا خسيسا رذلا فقيرا عاجزا قربه ملك من الملوك وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حرمه وخزائنه اعتمادا على أمانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون في خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وسرياته وهو في جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى الملك يطلع عليه منها وعلم انه كان يطلع عليه كل يوم لكن كان يغضي عنه ويمهله حتى يزداد خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال للتنصب عليه بالآخرة أنواع العذاب فانظر الى قلبه كيف يحترق بنيران خزي الخجلة وبدنه بمعزل عنه وكيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب ويستكتم خزيه فكذلك أنت تتعاطى في الدنيا أعمالا لها حقائق خبيثة قبيحة وأنت جاهل بها فتنكشف لك في الآخرة حقائقها في صورها القبيحة فتخزى وتخجل خجلة تؤثر عليها آلام بدنك فان قلت كيف تنكشف لي حقائقها فاعلم انك لا تفهمه الا بمثال وجلته مثلا أن يؤذن مؤذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان في يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فيقول له ابن سيرين هذا رأيته لاذانك قبل الصبح فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس انكشف له روح عمله لما كان بعد في عالم التخيل لان النائم لا يزيل تخيله غشاوة الخيال الامثال متخيل وهو الخاتم والختم به لكنه مثال أدل على روح العمل من نفس الاذان لان عالم المنام أقرب الى عالم الآخرة والتلبيس به أضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير فلو قال قائل لهذا المؤذن اما تستحي أن تختم أفواه الرجال وفروج النساء لقال معاذ الله أن أفعل هذا ولان أقوم فيضرب عنقي أحب الي من ان أفعل هذا فينكره لانه يجهله مع انه فعل لان روحه قاصرة عن ادراك أرواح الاشياء وكذلك لو أكلت لحما طريا على اعتقاد انه لحم طير فقال قائل اما تستحي أن تأكل لحم أخيك الميت فلان لقلت معاذ الله أن أفعل ذلك ولان أموت جوعا أهون علي من ذلك فنظرت فاذا هو لحم أخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولبس عليك فانظر كيف تخزى وتفتضح به وبدنك بمعزل عن ألمه وكذلك المغتاب يرى نفسه في الآخرة لان روح الغيبة تمزيق أعراض الاخوان والتفكه بهم وفي عالم الآخرة تنكشف أرواح الاشياء وحقائقها وهذا روح حسدك لاخيك فانك تحسده ولا يضره وينعكس عليك ويهلك دينك وتنقل حسناتك الى ديوانه وهي قرة عينك لانها سبب سعادة الابد فهي أعذب من حرقة الولد فاذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنك بمعزل عنه فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح فلذلك قال تعالى في الغيبة أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال في الحسود يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ويكفيك من الامثال مثال الاذان والغيبة والحسد وقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه فذلك يقبح لك معرفة روح الفعل وحقيقته وحسن ظاهره كحسن البصر الظاهر وقبح باطنه كقبح البصيرة الباطنة من مشكاة نور الله تعالى وعن هذا عبر الشارع صلى الله عليه وسلم حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها أحد الا يقول أعوذ بالله منها فيقال هذه دنياكم التي كنتم بها تتهاوشون عليها فيصادفون في أنفسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه وان

أردت أن تفهم كيفية هذه الحالة فاسمع حكاية الرجل من أبناء الملوك تزوج بأجل امرأة من بنات الملوك فشرب تلك
الليلة وسكر واخطأ باب الحجرة وخرج وضل ورأى ضوء سراج فقصده على ظن انه في حجرته فدخل الموضع فرأى
جماعة قياما فصاح بهم فلم يجيبوه وظن انهم قيام فطلب العروس فرأى واحدة نائمة في ثياب جديدة فظن انها
العروس فضاجعها وأخذ يقبلها ويغشاها وجعل لسانه في فيها ولسانها في فيه ويمتص ريقها متلذذا بذلك في سكره
غاية التلذذ ويتمسح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر ادخرته له فلما أصبح أفاق فاذا هو
في ناروس المجوس واذا النيام موتى وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفن جديد واذا هو من
فرقه الى قدمه ملطخ من قاذورات ما يتفكر في غشيانه لها وابتلاع ريقها ومخالطها فيهجم على قلبه من الخزي
ما تمنى أن يخسف الله به الارض حتى نسي ما جرى عليه ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه أصلا بل يجد نفسه ما عملت
من سوء محضرا تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وبدنه بمعزل من هذا الخزي والالم وهو في عذاب دائم من
الغثيان والقيء ويذكر تلك المخازي ويتحرى أن يطلع عليه أحد فيتضاعف خزيه فاذا هو بأبيه وجميع حشمه
جاؤا في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه فهذا حال من تمتع بالدنيا ينكشف له ذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهو
معنى قوله تعالى وحصل ما في الصدور وهو أن يعرض عليه حاصلها وهو روحها وحقيقتها وهو معنى قوله تعالى
يوم تبلى السرائر أي ينكشف من أسرار الاعمال وأرواحها القبيحة والحسنة وكما أن أطيب الاطعمة رجيعها
أقذر وأنتن كذلك تنعمات الدنيا حاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع * الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات فقدر نفسك كونك في جماعة
من أقرانك دخلوا في ظلمة فكان فيها حجارة لا ترى ألوانها فقال أقرانك نحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيه
ما ينتفع به اذا خرجنا من الظلمة فقلت ماذا أصنع بها أتحمل في الحال ثقلها وأكد نفسي فيها وأنا لا أدري عاقبتها
ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقدا لما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه فأخذ كل واحد من أقرانك
ما أطاق وأعرضت أنت عن ذلك وسخرت منهم لانهم يئنون تحت أعبائه وثقله وأنت مترفه في الطريق تغدو
وتضحك منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحدة ألف دينار فأقبلوا على
بيعها وتوصلوا بها على الجاه والنعمة وأصبحوا ملوك الارضين فأخذوك واستخروك لتعهد دوابهم وينفقون
عليك كل يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك بمعزل عنه وكم
تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ويقول لهم أفيضوا علينا مما
أفيض عليكم فيقولون هذا حرام عليك ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد ان نسخر منك اليوم كما كنت تسخر
منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التسخر ولا ينفعك ولكن تتسلى وتقول الموت يخلصني من هذا كله واعلم ان
هذا الحال حال تارك الطاعات في الآخرة وكذلك ينكشف له ولكن لا مطمع في الموت الخلاص بل حسرته أبدية
وألمها يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنها وعنه العبارة بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم
الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين وكذلك انه تعالى يفيض على أهل المعرفة والطاعة من أنوار جمال الوجه
ما يحصل به اللذة مبلغا لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر
لا يعني تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الارواح كما ان الجوهرة تكون قيمتها عشرة أمثال الفرس لا بالوزن
والمقدار بل بروح المالية اذ قيمتها عشر أمثاله واعلم ان تحريم تلك اللذات وافاضتها عليهم ليس من جنس تحريم
الرجل نعمته على عبده بغضب أو باختيار حتى يتصور تغير بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض أن يكون اسود في
حالة البياض وعلى الحار أن يكون باردا في حال حرارته وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك أن يقول للعامل
الكامل رجل شيخ هرم وهو من الجهال الذي كان بليدا في أصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم قط لغة أفض
على من دقائق علومك فيقول ان الله تعالى حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء
فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وأمور أخر كثيرة واذا بطل الاستعداد وفات استحالت

الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البارد مع بقاء البرودة فلا تظن ان الله تعالى يغضب عليك ويعاقبك انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبني ولم تضره معصيتي بل يلزم العقاب من المعصية كما يلزم الموت من السم واعلم ان هذه الحسرة دائمة لان منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما أبدا مثاله ان الذي تعلق بحبل في عنقه أورجله انما يتألم لتضاد صفتين لا لصورة الحبل والتعليق ولكن صفته الطبيعية تطلب الهوى الى أسفل والمنع القهري بالحبل يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الالم فيه من تمانعهما فكذلك الروح الانساني الالهي بأصل فطرته له بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم العلوي عالم الارواح والى موافقة الملأ الاعلى ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها تجذبه الى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا التي هي صفة عارضة قهرت الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والالم يتولد من بينهما فالنار أيضا انما تؤلم للمضادة فان الملائم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بالاجزاء ولو لم تكن قد رأيت النار فحدثت بان شيأ لطيفا اذا ماس بدنك فرق الاتصال لاستنكرته وقلت شئ لا صلابة فيه كيف يؤلمني فاعلم ان التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل فان سم العقرب يلقى بالعضو ويؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظنن ان الآلام كلها تدخل من خارج فان قلت ان العقرب انما لدغته من خارج فاعلم ان ألم العين وألم السن لا يقصر عنه وانما سببه انصباب اخلاط من داخل مضاد لمزاج العين والسن وليس ذلك بأهون من لدغ الحية والعقرب فاعلم أن تضاد الصفات على القلب يؤلم القلب ايلاما لا ينقص عما يؤلم السن والعين ومثاله في تضعيف الصفات أن البخيل المرائي اذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد أن يعرفوه بالسخاء يتألم قلبه لتضاد الصفتين اذ البخل يتقاضاه أن لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه أن يعطي وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار نصفين فهذا مثال حسرة الفوات وعظمها وما ينكشف من جلاله بقدر الفائت ولا يعلمه بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون واعلم ان هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب فالصنف الاول الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تنين حب الدنيا ولذلك أضيف ذلك الى القبر وانما يسبق هذا لان أغلب الاشياء على قلب الميت في حال فراقه ما يفوته من الدنيا من مال وجاه ومنصب ونعمة ثم بعد ذلك تنكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانغمار التام في الموت وبعد العهد بغشاوة صفات الدنيا فكلما كانت صفاته في الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عند ذلك خزي الفضيحة ولذلك أضيف هذا الى القيامة لانه وسط بين منزلة القبر وبين دار القرار ولذلك قال الله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أي يوم القيامة وأما حسرة فوات المحبوبات فتتولى عليه آخرا عند القرار في النار فلها يقول أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وذلك ان بعد العهد من الدنيا بما يخفف عنه عذاب النزوع اليها وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح فان صورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح ثم يألف الخزي والفضيحة فاما ثم عند فتورهما فليلا تنبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلالة الفائت نعم تبقى حسرة الفوت أخرى ويشبه أن يكون ذلك لا آخر له وهذا كله تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت أنك لا تموت لكن تعمى عينك وتصم أذنك وتفلج أعضاؤك وأما الحقيقة التي أنت بها فلا تفنى بالموت أصلا بل يتغير حالك ويبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشؤنك وانما تزيد تعذيبك بفراق ما تحب وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف قدره بعد الموت لا قبله وهذا كله مقدمات العذاب الحسي البدني وذلك أيضا حق وله ميعاد معلوم كما وردت به الآيات والاخبار فاقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حده مثل هذا الكتاب ولا بد أن يحرك سلسلة الحق والجاهلين ولكنهم أخس من أن يلتفت اليهم قال الله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولنقتصر على هذا الى هنا سياق المصنف في آخر كتاب الاربعين الذي ختم به كتابه جواهر القرآن والله الموفق

(بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر)

اعلم ان فتنة القبر هي سؤال الملكين وقد تواترت الاحاديث بذلك عن أبي هريرة والبراء وتميم الداري وعمر بن

(بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر)

الخطاب

الخطاب وانس و بشير بن أكال وثوبان وجابر بن عبد الله وحذيفة وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمرو وابن عمر وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبى امامة وأبى الدرداء وأبى رافع وأبى سعيد الخدرى وأبى قتادة وأبى موسى وأسماء وعائشة رضى الله عنهم أما حديث أبى هريرة فله طرق منها ما أشار اليه المصنف فقال (قال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد) وفى رواية اذا قبر الميت (أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول فى النبى) وفى رواية فى هذا الرجل (فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله) وفى رواية فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفى رواية عبده ورسوله (فيقولان انا كنا نعلم انك لتقول ذلك) وفى رواية لتقول هذا (ثم يفسح له فى قبره سبعين ذراعا فى سبعين ذراعا) وفى رواية ثم يفسح له قبره سبعون ذراعا فى سبعين (وينوّر له فى قبره) وفى رواية ثم ينور له فيه (ثم يقال) وفى رواية فيقال (له نم فيقول دعونى ارجع الى أهلى فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس) وفى رواية فيقولان نم كنومة العروس (الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيأ وكنت أقوله) وفى رواية قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى (فيقولان انا كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه) وفى رواية فتختلف أضلاعه (فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله) عز وجل (من مضجعه ذلك) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف اهـ قلت قال الترمذى حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن ابن اسحق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه اذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه فذكره الى آخره وقال حسن غريب ورواه أيضا ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والآجرى فى كتاب الشريعة وابن أبى عاصم فى كتاب السنة والبيهقى فى عذاب القبر وأما لفظ ابن حبان فسيأتى للمصنف قريبا وفيه مع سياق الترمذى اختلاف كثير وتباين فى الاسنادين ولذلك قال مع اختلاف ومن طرق حديث أبى هريرة ما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال انه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصى البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه فان كان ممن يعبد الله قال كنت أعبد الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات فآمنا به واتبعناه فذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فيقال له على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له فى حفرته وان كان من أهل الشك قال لا أدرى سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقال له على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم فى الدنيا ما أنبتت شيأ تنهسه وتؤمر الارض فتنضم عليه حتى تختلف أضلاعه قال الطبرانى بعد أن رواه عن عبيد الله بن محمد العمرى حدثنا عمرو بن خالد الحرانى حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن جبير الحذاء انه سمع أبا امامة بن سهل بن حنيف ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان يحدثان عن أبى هريرة فذكره ولم يروه عن أبى أمامة ومحمد الا موسى تفرد به ابن لهيعة وقد رواه أبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه ومن طرق حديث أبى هريرة ما رواه ابن ماجه عنه مرفوعا ان الميت يصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت فى الاسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له هل رأيت الله فيقول لا ما ينبغى لاحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعا مشعوفا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدرى فيقال له ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر

قال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول فى النبى فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينوّر له فى قبره ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع الى أهلى فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيأ وكنت أقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك

الى زهرتها وما فيها فيقال له انظر الى ما صرفه الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله تعالى ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر كيف أنت اذا رأيت منكرا ونكيرا قال وما منكر ونكير قال فتانا القبر أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يطآن في أشعارهما و يحفران بانيابهما معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه البزار وابن جرير في تهذيب الآثار عنه رفعه ان المؤمن يجلس في قبره فيسئل من ربك فيقول ربي الله فيقول من نبيك فيقول نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ماذا دينك قال ديني الاسلام فيفتح له باب في قبره فيقال انظر الى مجلسك ثم قر العين فيبعثه الله يوم القيامة فكأنما كانت رقدة واذا كان عدوا لله ونزل به الموت فاذا جلس في قبره يقال له من ربك فيقول لا أدري فيقال لا دريت فيقال من نبيك فيقول لا أدري فيقال لا دريت فيقال ما دينك فيقول لا أدري فيقال لا دريت فيفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة الا الثقلين ثم يقال له نم كما ينام المنهوس قيل لابي هريرة ما المنهوس قال الذي تنهسه الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه وأما حديث البراء وتميم الداري فقد تقدم ذكرهما آنفا وأما حديث عمر بن الخطاب فقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا مفضل يعني ابن صالح بن جميلة حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي شمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنت في أربع أذرع في ذراعين ورأيت منكرا ونكيرا قلت يا رسول الله وما منكر ونكير قال فتانا القبر يبحثان الارض بانيابهما و يطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه فامتحناك فان تعاييت أو تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رمادا قلت يا رسول الله وأنا على حالي هذه قال نعم قلت اذا أكفيكهما وقد رواه كذلك الحاكم في التاريخ والبيهقي في عذاب القبر قال السيوطي في أمالي الدرة هذا حديث ضعيف ومفضل أخرج له الترمذي وقال ليس بذلك الحافظ وقال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان يروي المقلوبات عن الثقات فوجب ترك الاحتجاج به وله شاهد مرسل أشار اليه المصنف بقوله (وعن عطاء بن يسار) الهلالي أبي محمد المدني مولى ميمونة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع) كذا في النسخ والرواية ثلاثة أذرع و شبرا في ذراع وشبر (ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب و يدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف) أي الشديد المتجلجل (وأبصارهما كالبرق الخاطف) أي الذي يخطف الابصار (يجران أشعارهما) لطولها (ويحثيان القبر) وفي رواية يبحثان (بانيابهما) ومن قوله يجران الى هنا لا يوجد في أكثر روايات هذا المرسل عند الجماعة وانما هو في حديث عمر المتقدم ذكره (فتلتلاك) هو بمثناتين أي زعزعاك وأقلقاك وأزعجاك (وترتراك) هو أيضا بمثناتين يعني الاول وضبطه السيوطي بمثلثتين وفسره بكثرة الكلام وتزيده وأنت خبير بان هذا المعنى لا يوافق سياق الحديث وفي رواية هنا زيادة وهولاك والتهويل التفزيع (كيف بك) وفي رواية فكيف بك (عند ذلك يا عمر فقال عمر) رضي الله عنه يا رسول الله (ويكون معي مثل عقلي الآن) وفي الرواية يا رسول الله ومعي عقلي (فقال نعم قال اذا أكفيكهما) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقي في الاعتقاد ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا قلت وصله ابن بطة في الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل ولاحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو فقال عمر أترد الينا عقولنا فقال نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر بفيه الحجر اه قلت هذا المرسل رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والآجري في الشريعة والبيهقي في

وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب و يدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما و يبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر و يكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال اذا أكفيكهما

فى عذاب القبر قال أبو نعيم حدثنا أحمد بن يوسف أخبرنا الحرث بن أبى أسامة حدثنا سعيد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن عطاء بن يسار فذكره وأما حديث ابن عباس الذى أشار اليه بانه وصله ابن بطة فقد رواه أيضا البيهقى فى عذاب القبر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك يا عمر اذا انتهى بك الى الارض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر فى ذراع وشبر ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران أشعارهما كان أصواتهما الرعد القاصف وكان أعينهما البرق الخاطف يحفران الارض بانيابهما فاجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك قال يارسول الله وأنا يومئذ على ما أنا عليه قال نعم قال أكفيكهما باذن الله تعالى يارسول الله وأما قوله تفرد به مفضل فقد تقدم الكلام عليه قبل هذا قريبا وأما ما أشار اليه من حديث عبد الله بن عمرو فقال أحمد فى المسند حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله ان عبد الله أبا عبد الرحمن حدثه عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانا القبر فقال عمر أترد الينا عقولنا فذكره وهو حديث صحيح الاسناد أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح وكذلك رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والآجرى فى الشريعة وابن عدى وغيرهم (وهذا نص صريح فى ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء) بالزمانة فيها (فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شئ وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شئ باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لا ينقسم فى نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت أعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذى لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم) وأما حديث أنس فاخرج الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل زاد ابن مردويه الذى كان بين أظهركم الذى يقال له محمد قال فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار فقد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا وأما المنافق او الكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقوله الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين وروى أحمد وأبو داود فى سننه والبيهقى فى عذاب القبر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تبتلى فى قبورها وان المؤمن اذا وضع فى قبره أتاه ملك فسأله ما كنت تعبد فان الله هداه قال أعبد الله فيقال له ما كنت تعبد فان الله هداه قال اعبد الله فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا بيتك كان لك فى النار ولكن الله عصمك ورحمك فابدلك به بيتا فى الجنة فيقول دعونى حتى أذهب فابشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر اذا وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا أدرى فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضربونه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرج الديلمى من حديث أنس رفعه يدخل منكر ونكير على الميت فى قبره فيقعدانه فان كان مؤمنا قالا له من ربك قال الله قالا ومن نبيك قال محمد قالا ومن امامك قال القرآن فيوسعان عليه قبره وان كان كافرا يقولان له من ربك قال لا أدرى قالا ومن نبيك قال لا أدرى قالا ومن امامك قال لا أدرى فيضربانه بالعمود ضربة حتى يلتهب القبر نارا ويضيق عليه حتى تختلف أعضاؤه وأما حديث بشير بن أكال فاخرجه البزار والطبرانى وابن السكن عن أيوب بن بشير عن أبيه قال كانت نائرة فى بنى معاوية فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم فالتفت الى قبر فقال لا دريت فقيل له فقال ان هذا يسئل عنى فقال لا أدرى وأما حديث ثوبان فاخرجه أبو نعيم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن كانت الصلاة عند رأسه والصدقة عن يمينه والصيام عند صدره وذكر حديث القبر نحو حديث البراء هكذا أورده فى الحلية ولم يسقه وأما حديث جابر بن عبد الله

وهذا نص صريح فى أن العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شئ وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شئ باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لا ينقسم فى نفسه هو المدرك الاشياء ولو تناثرت أعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذى لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم

فاخرج أحمد والطبراني في الاوسط وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق ابن الزبير انه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا ادخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول المؤمن أقول انه رسول الله وعبده فيقول له الملك انظر الى مقعدك الذي كان من النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كلاهما فيقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن وأما المنافق فيقعد اذا تولى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلك الله مكانه مقعدك من النار قال جابر فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنة عن جابر رفعه اذا أدخل الميت قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول دعوني أصلي وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو نعيم عن جابر رفعه اذا أدخل الميت قبره رد الروح في جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان الحديث وروى ابن أبي عاصم وابن مردويه والبيهقي من طريق أبي سفيان عن جابر رفعه اذا وضع المؤمن في القبر أتاه ملكان فانتهراه فقام يهب كما يهب النائم فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي فينادي مناد ان صدق فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة فيقول دعوني أخبر أهلي فيقال له اسكن وأما حديث حذيفة فقد تقدم عند ذكر معرفة الميت لمن يغسله ويكفنه وأما حديث عبادة بن الصامت فقد تقدم ذكره مختصرا وهو طويل رواه ابن أبي الدنيا في التهجد وابن الضريس في فضائل القرآن وحميد بن زنجويه في فضائل الاعمال وأوله اذا قام أحدكم في الليل فليجهر بقراءته الحديث وفيه فيصعد القرآن الى ربه فيسأل له فراشا ودثارا فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة وياسمين من الجنة فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا وفيه فيوسع له مسيرة أربعمائة عام قال أبو موسى المديني هذا خبر حسن رواه أحمد وأبو خيثمة وطبقتهما عن أبي عبد الرحمن المقري بسنده الى عبادة وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن عبادة مرفوعا وقال لا يصح وأما حديث ابن عباس فاخرج البيهقي بسند حسن عنه رفعه ان الميت يسمع خفق نعالهم حين يولون قال ثم يجلس فيقال له من ربك فيقول الله ثم يقال له ما دينك فيقول الاسلام ثم يقال له من نبيك فيقول محمد فيقال وما علمك فيقول عرفته وآمنت به وصدقت بما جاء به من الكتاب ثم يفسح له في قبره مد بصره ويجعل روحه مع أرواح المؤمنين وروى الطبراني في الاوسط بسند حسن عنه قال اسم الملكين الذين يأتيان في القبر منكر ونكير وروى ابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال اذا دفن المؤمن أجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول ربي الله فيقال له من رسولك فيقول محمد فيقال له ما شهادتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا الآية فيوسع له في قبره مد بصره وأما الكافر فتنزل الملائكة فيبسطون أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فاذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك فلم يرجع اليهم شيأ وأنساه الله ذكر ذلك واذا قيل له من الرسول الذي بعث اليكم لم يهتد له ولم يرجع اليهم شيأ فذلك قوله تعالى ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولحديث ابن عباس طريق أخرى تقدم ذكرها في ذكر حديث عمر بن الخطاب وطريق أخرى رواها جويبر في التفسير عن الضحاك عنه باطول مما ذكر يشبه سياقه سياق حديث البراء وأما حديث ابن عمر فاخرجه الديلمي في مسند الفردوس عنه رفعه القلوا ألسنتكم قول لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وان الله ربنا والاسلام ديننا ومحمد انبينا فانكم تسئلون عنها في قبوركم وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد تقدم في ترجمة حديث عمر بن الخطاب وأما حديث ابن مسعود فله طرق منها ما أخرج الطبراني في الكبير بسند حسن والبيهقي في عذاب القبر عنه قال ان المؤمن اذا مات أجلس في قبره فيقال له ما ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيوسع له في قبره ويفرج

له فيه ثم قرأ يثبت الله الذين آمنوا الآية وان الكافر اذا أدخل فى قبره أجلس فيه فقيل له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيضيق عليه قبره و يعذب فيه ثم قرأ ابن مسعود ومن أعرض عن ذكرى الآية ومنها ما أخرج ابن أبى شيبة والبيهقى عنه قال ان أحدكم ليجلس فى قبره اجلاسا فيقال له ما أنت فان كان مؤمنا قال أنا عبد الله حيا وميتا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيفسح له فى قبره ماشاء فيرى مكانه من الجنة و ينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة وأما الكافر فيقال له ما أنت فيقول لا أدرى فيقال لادريت ثلاثا فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويرسل عليه حيات من جوانب قبره تنهسه وتأكله فاذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار أو حديد و يفتح له باب الى النار ومنها ماروى الآجرى فى الشريعة عنه قال اذا توفى العبد بعث الله اليه ملائكة فيقبضون روحه فى أكفانه فاذا وضع فى قبره بعث الله اليه ملكين ينتهرانه فيقولان من ربك قال ربى الله قالا ما دينك قال دينى الاسلام قالا من نبيك قال نبيى محمد قالا صدقت كذلك كنت افرشوه من الجنة والبسوه منها وأروه مقعده منها وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره منها نارا و يضيق عليه قبره حتى تختلف عليه اضلاعه وتبعث عليه حيات من حيات القبر كأعناق الابل ومنها ماروى الخلال فى كتاب شرح السنة عنه قال ان المؤمن اذا نزل به الموت أتاه ملك الموت فساقه وفيه فاذا وضع فى قبره اجلس وجىء بالروح وجعلت فيه فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له صدقت فيوسع له فى قبره مد بصره ثم ترفع روحه فتجعل فى أعلى عليين الحديث وأما حديث عثمان فاخرج أبوداود والحاكم والبيهقى عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن فقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل وأما حديث عمرو بن العاص فقد تقدم ذكره فى كلام المحتضرين وأما حديث معاذ فروى البزار عنه رفعه ان البيت الذى يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور فساقه وفيه فاذا وضع فى قبره وسوى عليه وتفرق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير فجلسانه فى قبره الحديث وفيه فيقول القرآن ليس عليك بعد مسئلة منكر ونكير همّ ولا حزن فيسأله منكر ونكير و يصعدان و يبقى هو والقرآن الحديث بطوله وهو غريب وفى اسناده جهالة وانقطاع وأما حديث أبى امامة فقد تقدم فى التلقين وأما حديث أبى الدرداء فاخرج ابن المبارك فى الزهد وابن أبى شيبة والآجرى فى الشريعة والبيهقى عنه ان رجلا قال له علمنى خيرا ينفعنى الله به فقال اما لا فاعقل كيف أنت اذا لم يكن لك من الارض الا موضع أربعة أذرع فى ذراعين جاء بك أهلك الذين كانوا يكرهون فراقك واخوانك الذين كانوا يتحزنون لامرك فتلوك فى ذلك ثم سدوا عليك من اللبن وأكثروا عليك من التراب فجاءك ملكان أزرقان جعدان يقال لهما منكر ونكير فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فان قلت ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فقد والله هديت ونجوت ولن تستطيع ذلك الا بتثبيت من الله تعالى مع ماترى من الشدة والتخويف وان قلت لا أدرى فقد والله هويت وأما حديث أبى سعيد الخدرى فاخرج أحمد والبزار وابن أبى الدنيا وابن أبى عاصم فى السنة وابن مردويه والبيهقى بسند صحيح عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فاقعده قال ما تقول فى هذا الرجل ان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له باب الى النار فيقول هذا منزلك لو كفرت بربك فاما اذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له اسكن و يفسح له فى قبره وان كان كافرا أو منافقا قيل له ما تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيأ فيقول لادريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك لو آمنت بربك فاما اذ كفرت به فان الله أبدلك به هذا و يفتح له الى النار ثم يقمعه مقمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق الا هبل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وأما حديث أبى رافع فاخرج الطبرانى وأبو نعيم فى دلائل النبوة عنه ان رسول الله

وقال محمد بن المنكدر بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه

صلى الله عليه وسلم مر على قبر فقال اف اف فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما معك غيري في أففت قال لا ولكني أففت من صاحب هذا القبر الذي سئل عني فشك في وروى البزار والطبراني والبيهقي عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد وأنا أمشي خلفه اذ قال لا هديت ولا اهتديت قلت مالي يا رسول الله قال لست اياك أردت ولكن أريد صاحب هذا القبر الذي سئل عني فزعم انه لا يعرفني فاذا قبر مرشوش عليه ماء حين دفن في القبر صاحبه وأما حديث أبي قتادة فأخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط وابن منده عنه قال ان المؤمن اذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول الله تعالى فيقال له من نبيك فيقول محمد بن عبد الله فيقال له ذلك ثلاث مرات ثم يفتح له باب الى النار فيقال انظر الى منزلك لو زغت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال انظر الى منزلك في الجنة اذ ثبت واذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك من نبيك فيقول لا أدري كنت أسمع الناس يقولون فيقال له لا دريت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال انظر الى منزلك لو ثبت ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك اذ زغت فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفي الآخرة قال المسألة في القبر وأما حديث أبي موسى فأخرجه البيهقي في عذاب القبر عقب حديث ابن مسعود ولم يسق لفظه بل أحاله عليه وأما حديث أسماء بنت أبي بكر فأخرج ابن أبي شيبة والبخاري عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قد أوحي الي انكم تفتنون في القبور فيقال ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا فيقال له قد علمنا ان كنت لمؤمنا نم صالحا وأما المنافق أو المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس شيأ يقولونه فقلته وروى أحمد عنها رفعته اذا أدخل الانسان في قبره يأتيه الملك فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ما تقول في هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال محمد قال أشهد انه رسول الله قال يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث وان كان فاجرا أو كافرا جاءه الملك فاجلسه و يقول ما تقول في هذا الرجل قال أي رجل قال محمد قال يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيأ فقلته قال فيقول له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث الحديث وأما حديث عائشة فأخرج أحمد والبيهقي بسند صحيح عنها قالت جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت اطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فساق الحديث وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فاذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال فيم كنت فيقول في الاسلام فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال هذا مقعدك منها ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله تعالى واذا كان الرجل السوء جلس في قبره فزعا مشعوفا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فيفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ويقال هذا مقعدك بها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ثم يعذب وأخرج البزار عنها قالت قلت يا رسول الله تبتلى هذه الامة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهذه جملة الاخبار التي وردت في سؤال الملكين (وقال محمد بن المنكدر) التيمي رحمه الله (بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل عرف الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه) رواه ابن ابي الدنيا هكذا عنه بلاغا ورواه أحمد في المسند موصولا من روايته عن أسماء بنت أبي بكر رفعته فقال حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز يعني ابن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال كانت أسماء تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت اذا دخل الانسان في قبره فان كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ثم ساق الحديث على نحو ما ذكر

قريبا وفي آخره وتسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمره جمرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله لا تسمع صوته فترحمه وقد أخرج الطبراني طرفا منه في الكبير وحديثها في الصحيح باختصار وقد تقدم لفظه قال في الصحاح ثمر السوط عقد أطرافها وعرف البعير والفرس الشعر النابت على المعرفة (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (اذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فان أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وان أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان أتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه من قبلي وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما اني لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه قال سفيان) الثوري راويه (تحاجش) بجيم ثم حاء مهملة ثم شين معجمة أي تدافع (عنه أعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء أخلاؤك ونعم الاصحاب أصحابك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه قال وكذلك الصلاة قال والصبر ناحية فيقول أما اني لو رأيت خللا كنت صاحبه وتحاجش عنه أعماله الخ ولم يقل قال سفيان وروى ابن منده والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة رفعه قال يؤتى الرجل في قبره فاذا أتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن وان أتي من قبل يديه دفعته الصدقة واذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه الى المساجد والصبر حجرة فقال أما اني لو رأيت خللا كنت صاحبه قوله حجرة بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء أي ناحية وروى هناد في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الاوسط وابن حبان في صحيحه وابن مردويه والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة والذي نفسي بيده ان الميت اذا وقع في قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والاحسان الى الناس من قبل رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات والمعروف والاحسان الى الناس ليس قبلي مدخل فيقال له اجلس وقد مثلت له الشمس وقد قربت للغروب فيقال أخبرنا عما نسألك فيقول عم تسألوني فيقال ما تقول في هذا الرجل فساقوا الحديث بطوله وهذه احدى طرق حديث أبي هريرة في اثبات السؤال وروى ابن أبي الدنيا وابن منده عن أبي هريرة قال اذا احتضر المؤمن تخرج روحه من جسده تقول الملائكة روح طيبة من جسد طيب فاذا خرج من بيته الى قبره فهو يحب ما أسرع به فاذا أدخل في قبره أتاه آت ليأخذ برأسه فيحول سجوده بينه وبينه ويأتيه ليأخذ ببطنه فيحول صيامه بينه وبينه ويأتيه ليأخذ بيده فيحول صدقته بينه وبينه ويأتيه ليأخذ برجليه فيحول قيامه عليهما في الصلاة ومشاه عليهما الى الصلاة بينه وبينه فما يفزع المؤمن بعدها أبدا وان من شاء الله من الخلق ليفزع فاذا رأى مقعده وما أعد له قال رب بلغني الى منزلي فيقال له ان لك اخوانا واخوات لم يلحقوا بك فنم قرير العين الحديث وروى ابن أبي الدنيا عن عائشة قالت اذا أخرج بسرير المؤمن نادى أنشدكم بالله لما أسرعتم بي فاذا أدخل قبره حفه عمله فتجيء الصلاة فتكون عن يمينه ويجيء الوضوء فيكون عن يساره ويجيء عمله بالمعروف فيكون عند رجليه فتقول الصلاة ليس لكم قبلي مدخل كان يصلي بي فيأتيه من قبل يساره فيقول الصوم انه كان يصوم ويعطش فلا يجدون موضعا فيأتون من قبل رجليه فتخاصم عنه أعماله فلا يجدون مسلكا واذا كان الآخر نادى بصوت يسمعه كل شيء الا الانسان فانه لو سمعه صعق أو جزع

(فصل) في فوائد منثورة تتعلق بالسؤال *الاولى روى أحمد في الزهد عن طاوس قال ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام *الثانية قال الحكيم في نوادر الاصول عن سفيان الثوري قال اذا سئل الميت من ربك تراءى له الشيطان في صورة فيشير الى نفسه انا ربك قال الحكيم ويؤيده من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم عند دفن الميت اللهم أجره من الشيطان فلو لم يكن هناك للشيطان سبيل ما دعا صلى الله عليه وسلم بذلك *الثالثة قال ابن شاهين في السنة حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثني

وقال أبو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فان أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وان أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان أتاه من قبل يده قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما اني لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه قال سفيان تحاجش عنه أعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء أخلاؤك ونعم الاصحاب أصحابك

صفوان حدثني راشد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعلموا حجتكم فانكم مسؤلون حتى ان كان أهل البيت من الانصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه والغلام اذا عقل فيقولون له اذا سألوك عن ربك فقل الله ربي وما دينك فقل الاسلام ديني ومن نبيك فقل محمد نبيي * الرابعة قال القرطبي جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد ولا تعارض بل ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول أنسه بهم وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتي الاثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا قال السيوطي في شرح الصدور وهذا الثاني هو الصواب فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث * الخامسة قال القرطبي اختلف الاحاديث في كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب الاشخاص أيضا فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها قال ويحتمل أن يكون الاقتصار على البعض من بعض الرواة وأتى به غيره تاما قال السيوطي هذا الثاني هو الصواب لاتفاق أكثر الاحاديث عليه نعم يؤخذ منها خصوصا من رواية أبي داود عن أنس فما يسئل عن شئ بعدها ولفظ ابن مردويه فما يسئل عن شئ غيرها انه لا يسئل عن شئ من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا الآية قال الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ماهو قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد * السادسة ورد في رواية أنه يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات وباقي الروايات ساكتة عن ذلك فيحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص وقد تقدم عن طاوس أنهم يفتنون سبعة أيام * السابعة قال الباقلاني ان من لم يدفن ممن بقي على وجه الارض يقع لهم السؤال والعذاب ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين قال بعضهم وترد الحياة الى المصلوب ونحن لا نشعر به كما انا نحسب المغمى عليه ميتا وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر ولا يستنكر شيأ من ذلك من خالط الايمان قلبه وكذلك من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال اليها قاله امام الحرمين قال بعضهم وليس هذا بابعد من الذر الذي أخرجه الله من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى * الثامنة قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الا لمؤمن أو منافق كان منسوبا الى دين الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر فانه لا يسئل وخالفه القرطبي وابن القيم فقالا أحاديث السؤال فيها التصريح بان الكافر والمنافق يسئلان قال السيوطي في شرح الصدور وما قالاه ممنوع فانه لم يجمع بينهما في شئ من الاحاديث وانما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله ذكر الكافر وهو محمول بان المراد به المنافق بدليل قوله في حديث أسماء وأما المنافق أو المرتاب ولم يذكر الكافر انتهى وقال في أمالي الدرة لطيفة رأيت في النوم في العام الماضي اني أملي حديث السؤال واني أقول في آخره وأما الفاسق فيمتحن بما كان يعمل في الدنيا أو كلمة تشبه هذه ولعمري وهذا وان لم يذكر في الحديث حتى تعرض له بعض الائمة وسأل عن حكمته لان المسؤل اما مؤمن فيجاب بالنعيم أولا فيجاب بالجحيم فهل المؤمن الفاسق كالاول أولا فلا يبعد أن يقال انه يسئل عما كان يفسق به بان يقال مثلا لتارك الصلاة ما تقول في الصلاة ونحو ذلك ثم يرى مقعده من الجنة بعد تعذيبه على فسقه ثم وجدت حديثا يشعر بذلك فاخرج الديلمي في مسند الفردوس اذا احتضر المسلم العاصي قيل له ابشر بالجنة بعد انتقام كذا وكذا * التاسعة روى صاحب الحلية عن ضمرة بن حبيب قال فتان القبر ثلاثة أنكر ونا كور ورومان وروى ابن لال وابن الجوزي في الموضوعات عنه مرفوعا فتانو القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان قال ابن الجوزي هذا الحديث لا أصل له وضمرة تابعي ورواية الوقف عليه أثبت انتهى وسئل الحافظ ابن حجر هل يأتي الميت ملك اسمه رومان فاجاب أنه ورد بسند فيه لين قلت ولعل المصنف رحمه الله تعالى نظر الى هذا فذكر في الدرة الفاخرة رومان وعزاه الى حديث ابن

مسعود وأنكر السيوطي في أمالي الدرة هذا وقال ليس في طرق أحاديث السؤال ذكر رومان ولا فتانين قبل منكر ونكير بل هما الفتانان * العاشرة قال الحكيم الترمذي سؤال القبر خاص بهذه الامة لان الامم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الخبيث من الطيب انتهى وخالفه آخرون فقالوا السؤال لهذه الامة ولغيرها قال ابن عبد البر ويدل على الاختصاص قوله ان هذه الامة تبتلى في قبورها وقوله أوحى الى انكم تفتنون في قبوركم وقوله بي تفتنون وعني تسئلون * الحادية عشر قال الحكيم أيضا انما سمي فتانا القبر لان في سؤالهما انتهارا وفي خلقتهما صعوبة وسميا منكرا ونكيرا لان خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين اليهما جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل ان يبعث حتى يحل عليه العذاب قال السيوطي وهذا انما يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس وذكر ابن يونس من أصحابنا الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر وبشير * الثانية عشر قال القرطبي ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب ان عظم جثتهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين انه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى قال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما في الحفظة ونحوهم ثم رأيت الحليمي من أصحابنا ذهب اليه فقال في منهاجه والذي يشبه ان يكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكرا وبعضهم يسمى نكيرا فيبعث الى كل ميت اثنان منهم كما كان الموكل عليه لكتابة عمله ملكين * الثالثة عشر وقع في فتاوى العلم البلقيني ان الميت يجيب السؤال بالسريانية قال السيوطي ولم أقف لذلك على مستند وسئل الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال ظاهر الحديث انه بالعربي قال ويحتمل مع ذلك ان يكون خطاب كل واحد بلسانه * الرابعة عشر في أسئلة تتعلق بهذا الباب سئلها الحافظ ابن حجر سئل عن الميت اذا سئل هل يقعد أم يسئل وهو راقد فاجاب يقعد وسئل عن الروح هل تلبس الجثة حينئذ كما كانت فاجاب نعم لكن ظاهر الخبر انها تحل في نصفه الاعلى وسئل هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب انه لم يرد في حديث وانما ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل ولا حجة فيه لان الاشارة الى الحاضر في الذهن وسئل عن الاطفال هل يسئلون فاجاب الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا * الخامسة عشر قال ابن القيم الاحاديث مصرحة باعادة الروح الى البدن عند السؤال لكن هذه الاعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التي تقوم بها الروح بالبدن وتدبره ويحتاج معها الى الطعام ونحوه وانما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان بالسؤال وكان حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ فان النوم أخو الموت ولا ينفي عن النائم اطلاق الحياة فكذلك حياة الميت عند الاعادة غير حياة الحي وهي حياة لا تنفي عنه اطلاق اسم الموت بل أمر متوسط بينهما ولا دلالة في الحديث على انها مستقرة وانما تدل على تعلق مالها من البدن وهي لا تزال متعلقة به وان بلي وتمزق وتقسم وتفرق وقال ابن تيمية الاحاديث متواترة على عود الروح الى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول طائفة منهم ابن الزاغوني وحكى عن ابن جرير وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن قاله ابن حزم وآخرون منهم ابن عقيل وابن الجوزي وهو غلط والالم يكن للقبر بذلك اختصاص وقد تقدم ذلك في أول الباب * السادسة عشر قال اليافعي في روض الرياحين عن شقيق البلخي أنه قال طلبنا خمسا فوجدناها في خمس طلبنا ترك الذنوب فوجدناه في صلاة الضحى وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة

القرآن وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة * السابعة
عشر قال البزازي من الحنفية في فتاويه السؤال فيما يستقر فيه الميت حتى لو أكله سبع فالسؤال في بطنه فان
جعل في تابوت لنقله الى مكان آخر لا يسئل مالم يدفن ولما فرغ المصنف من بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما
شرع في بيان ضغطة القبر التي هي من جملة الفتن فقال (وعن حذيفة) بن اليماني رضي الله عنهما (قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر) وفي رواية فلما انتهينا الى القبر قعد على شفته (ثم
جعل ينظر فيه) وفي رواية فجعل يردد بصره فيه (ثم قال يضغط المؤمن في هذا) وفي رواية يضغط فيه المؤمن
(ضغطة تزول منها حمائله) وفي رواية تزول منها حمائله قال الازهري الحمائل هنا عروق الانثيين قال ويحتمل أن
يراد موضع حمائل السيف أي عواتقه وصدره واضلاعه قال العراقي رواه أحمد بسند ضعيف اهـ قلت وكذلك
رواه الحكيم في النوادر والبيهقي في عذاب القبر بزيادة ويملأ على الكافر فيه نارا أو ورده ابن الجوزي في
الموضوعات ورد عليه الحافظ ابن حجر في القول المسدد (وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم منها أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ) قال العراقي رواه أحمد بسند جيد اهـ
قلت لفظ أحمد لو كان أحد ناجيا منها لنجا منها سعد بن معاذ وكذلك رواه البيهقي وروى أحمد والحكيم والطبراني
والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال لما دفن سعد بن معاذ سبح النبي صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم
كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت قال لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه وروى
سعيد بن منصور والحكيم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم دفن سعد بن معاذ
وهو قاعد على قبره قال لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخي عنه وروى النسائي
والبيهقي عن ابن عمر رفعه قال هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفا من
الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه يعني سعد بن معاذ قال الحسن تحرك له العرش فرحا بروحه أخرجه البيهقي
في الدلائل وروى الترمذي والحاكم والبيهقي عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر سعد بن معاذ
فاحتبس فلما خرج قيل يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه وروى
هناد في الزهد عن ابن أبي مليكة قال ما أجير من ضغطة القبر أحد الا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في
الجنة خير من الدنيا وما فيها وقال ابن سعد أنبأنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال بلغني ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال وهو قائم عند قبر سعد بن معاذ لقد ضغط ضغطة أو همز همزة لو كان أحد ناجيا منها لنجا سعد
وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن عبد الحميد بن عبد العزيز عن أبيه ان نافعا مولى ابن عمر لما حضرته الوفاة
جعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال ذكرت سعدا وضغطة القبر وروى عن عبد الرزاق عن مجاهد قال أشد حديث
سمعناه من النبي صلى الله عليه وسلم قوله في سعد بن معاذ وقوله في أمر القبر وروى الحكيم والبيهقي من طريق
ابن اسحق قال حدثني أمية بن عبد الله انه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذا فقالوا ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر في بعض الطهور من البول
قلت روى هناد في الزهد عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين دفن سعد بن معاذ انه ضم في القبر ضمة
حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله أن يرفع عنه وذلك بانه كان لا يستبرئ من البول وروى ابن سعد في الطبقات
قال أخبرنا شبابة بن سوار أخبرني أبو معشر عن سعيد المقبري قال لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا قال
لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضم ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول وهذه الاخبار تؤيد
قول من قال ان المراد به تقصيره من بول نفسه وهو الظاهر ويرد قول من وجه بانه كان له ابل كثيرة فلعله كان
يدخل بينها فيصيب ثوبه أو بدنه منها وهو لا يعلم (وعن أنس) رضي الله عنه (قال توفيت زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم) ورضي عنها وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة (وكانت امرأة مسقامة) أي
كثيرة الامراض (فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه

وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد ابن معاذ وعن أنس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه

صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يارسول الله رأينا منك شأنا فم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية الاعمش عن أنس ولم يسمع منه اهـ قلت رأى الاعمش انسا قال ابن المديني ولم يحمل عنه انما رآه يخضب ورآه يصلي وانما سمعهما من يزيد الرقاشي وأبان عن أنس وقال ابن معين كل ماروى الاعمش عن أنس فهو مرسل وعن وكيع عن الاعمش قال رأيت أنسا ومامنعني ان أسمع منه الا استغنائي باصحابي قلت وروى عن أنس في سنن أبي داود والترمذي وقد روى الطبراني من هذا الوجه عن أنس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج نامعه فرأيناه مهتما شديد الحزن فقعد على القبر هنيهة وجعل ينظر الى السماء ثم نزل فيه فرأيته يزداد حزنا ثم خرج فرأيته سرى عنه وتبسم فسألناه فقال كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب فكان ذلك يشق علي فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل ولكن ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين الا الجن والانس وقد روى نحو ذلك في ابنته رقية رضي الله عنها روى سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا عن زاذان أبي عمر قال لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته رقية جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سرى عنه فسأله أصحابه عن ذلك فقال ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين وقد عرف مما تقدم من الاخبار والآثار ان ضمة القبر لكل أحد فدخل فيه الصبيان الذين ماتوا صغارا ومما يشهد لذلك مارواه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب ان صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لافلت هذا الصبي وروى الطبراني في الاوسط عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أو صبية فقال لو أن أحدا نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي وروى علي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان من طريق ابراهيم الغنوي عن رجل قال كنت عند عائشة فمرت جنازة صبي فبكت فقلت لها ما يبكيك قالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر وروى عمر بن شبة في كتاب المدينة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماعفي أحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت أسد قيل يارسول الله ولا القاسم ابنك قال ولا ابراهيم وكان اصغرهما ومن الغريب ماقال الزبير بن بكار في الموفقيات حدثني أبو غزية الانصاري عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحق قال قال عبد الله بن عمر وتوفي سعد بن معاذ فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم يمشون اذ تخلف فوقفوا حتى أدركهم فقالوا يانبي الله ماخلفك عنا قال سمعت سعد بن معاذ حين ضم في قبره قالوا وضم في قبره وقد اهتز له عرش الرحمن فقال سعد أكرم على الله أم يحيى بن زكريا فوالذي نفسي بيده لقد ضم لانه شبع شبعة من خبز شعير * قال السيوطي هذا حديث منكر بمرة واسناده معضل والمعروف ان الانبياء لايضغطون قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لاينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح غير ان الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغطة للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله الى قبره ثم يعود الى الانفساح له فيه قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت وقال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة انه مامن أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التقصير من البول قال وأما الانبياء عليهم السلام فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم وقال النسفي في بحر الكلام المؤمن المطيع لايكون له عذاب القبر وتكون له ضغطة القبر فيجد هول ذلك وخوفه لما انه تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة وروى ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال كان يقال ان ضمة القبر انما أصلها انها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد اليها أولادها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليه لربها وروى البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن سعيد بن المسيب ان عائشة قالت يارسول الله منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال ياعائشة ان أصوات منكر ونكير في اسماع المؤمنين كالاثمد في العين وان ضغطة القبر على المؤمن كالام الشفيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزا رفيقا ولكن

صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يارسول الله رأينا منك شأنا فم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام) اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف بذلك أصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجرى عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيأ من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الانبياء عليهم السلام فلاجرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد اذ أخبره ان الله اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة الا انها أيضا مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهو أيضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه

انس

يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة *(فائدة)* قال بعضهم من فعل سيئة فان عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب أن يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفر له أو يعمل حسنات فتمحوها أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه أو يدعو له اخوانه من المؤمنين ويستغفرون له أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه أو يبتلى في عرصات القيامة باهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه أو رحمة ربه

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام)

(اعلم) بصرك الله تعالى بانوار هدايته (ان أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو) منهم (بعينه فلا ينكشف به أصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له) عند موته (وان عولنا على صلاحه الظاهر) فيما يبدو لنا (فالتقوى محله القلب) كما ورد في الخبر التقوى ههنا وأشار الى القلب (وهو غامض يخفى على صاحب التقوى) بنفسه فكيف على غيره (فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجرى عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا ترى العين الظاهرة) لقصورها (وانما تدرك بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان) وهي عين البصيرة (ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها) اذ صارت محجوبة (ولا يتصور أن يبصر بها شيأ من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه) بالتهذيب والتصفية (ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الانبياء عليهم السلام) من أصل الفطرة (فلاجرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا) عن أحوالهم سعادة وشقاوة (ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ) رضي الله عنه (وفي حق زينب ابنته) رضي الله عنها كما تقدم في الذي قبله قريبا (وكذلك حال) عبد الله بن حرام (أبي جابر) رضي الله عنهما (لما استشهد) باحد (اذ اخبره ان الله) عز وجل (اقعده بين يديه ليس بينهما ستر) أي حجاب كما تقدم في الذي قبله (ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء) عليهم السلام (و) لغير (الاولياء الذين تقرب درجتهم منهم) أي من الانبياء (وانما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة الا انها أيضا مشاهدة نبوية وأعني به المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) رواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث ابن عمر وأبي هريرة وأحمد والطيالسي وابن ماجه من حديث أبي رزين وقد تقدم زاد الطيالسي وهي معلقة برجل طائر مالم يحدث بها وروى مالك وأحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن خزيمة من حديث أنس بلفظ الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (وهو أيضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح) كما وقع به التقييد في حديث أنس (الصادق) أي الذي عود لسانه بالصدق (ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه) فان كثرة الكذب موجبة للذنوب فقد روى العسكري في الامثال من حديث ابن عمر من كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ومنشؤ ذلك من كثرة الكلام وروى الديلمي من حديث

ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو
اشارة الى طهارة الباطن أيضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون
في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الانسان
عن منامات دلت على أمور فوجدها صحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي

وهو من أوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وان الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعا

أنس أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا (ومن كثر فساده ومعاصيه) التي منشؤها كثرة الكذب (أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام) لوجود حجاب الظلمة على القلب فلا ينكشف له الامر على حقيقته والاضغاث أنواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى انه قطع رأسه والثاني أن يرى بعض الانبياء يأمره بمحرم أو محال الثالث ما تحدث به النفس في اليقظة تمنيا فيراه كما هو في المنام (ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا) قال العراقي متفق عليه من حديث البراء اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث اهـ قلت وتمامه ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم أسلمت وجهي اليك وفوضت أمري اليك والجأت ظهري اليك الحديث وفيه فان مت من ليلتك فانت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة (وهو اشارة الى طهارة الباطن أيضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل) من الحوادث الكونية (كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم الآية قال العراقي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلا اهـ قلت ولفظه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحديبية انه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فلما نحر الهدى بالحديبية قال له أصحابه أين رؤياك يا رسول الله فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى قوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا فرجعوا ففتحوا خيبر ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة وهكذا رواه أيضا الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في الدلائل وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كان تأويل رؤياه في عمرة القضاء وأخرج ابن جرير عن قتادة قال أرى في المنام انهم يدخلون المسجد الحرام وانهم آمنون محلقين رؤسهم ومقصرين (وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من أوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور) على ما هي عليها (وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد) كل ذلك (في القرآن) والمعنى به واحد (فجميع ما جرى في العالم وما سيجرى) فيما بعد (مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم) أو غير ذلك (وان الكتاب من كاغد أو رق) أو غير ذلك (بل ينبغي أن تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزأ جزأ لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح

أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان
ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات
القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزأ جزأ لم تشاهد من ذلك الخط
حرفا وان كان ليس هنالك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح

في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا أن يكون بينهما حجاب فالقلب
مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلاهما موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة
اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد
يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب ومادام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت
ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا توردها على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح
المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى اذا ارتفع الحجاب بينهما الا أن النوم مانع سائر
الحواس عن العمل وليس مانعا الخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر الى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم
وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال ما
ألف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم
الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو أخو الموت وانما الموت هو عجب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء
عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى
الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه اما محفوفة بالانكال والخزي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير
لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال أفسحر
هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله

في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت تلك المرآة تتراءى في هذه الا أن
يكون بينهما حجاب) يمنع من الرؤية (فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة
فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو في عالم الملكوت
فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت
ويدوم) وهو النادر (وقد لا يدوم) بل ينمحي بالكلية (وهو الغالب ومادام متيقظا فهو مشغول بما تورده
الحواس) الظاهرة والباطنة (عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم أن تركد
الحواس) أي تسكن (فلا تورد على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى اذا ارتفع الحجاب
بينهما الا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا الخيال عن عمله وتحركه فما يقع في القلب يبتدره
الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا أثبته لم
يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر الى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة
التي بين المتخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن
سيرين) وهو امام المعبرين (رأيت كأن بيدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال) في تعبيره (أنت
مؤذن) في مسجد القوم (تؤذن قبل الصبح في رمضان) فيمتنعون بذلك من الاكل والشرب والجماع (قال صدقت
فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو
عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب) والجماع (ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم
بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم
الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو) أي النوم (أخو الموت) وقد روى البيهقي من حديث جابر النوم أخو
الموت ولا يموت أهل الجنة (وانما الموت هو عجب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء
عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف
الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير) أي متصلا بالانقطاع (نفسه اما محفوفة
بالانكال والخزي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له) كما وردت به
الآثار وتقدم ذكر بعضها (وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال) لهم أيضا (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أي النار
(فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله

مالم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلولم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فلاجرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فتبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل ولا لحبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما أمته من اتبعه وما اتبعه الا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

مالم يكونوا يحتسبون) أي مالم يكن لهم في حسبانهم (فاعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلولم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا) ولا بد لك منها (وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذرياتنا) واتباعنا (بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه) أي قلبه (فيقول له ما قال لسيد النبيين) صلى الله عليه وسلم (أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به) تقدم ذلك (فلاجرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل) وقد روى أحمد وابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ببعض جسد عبد الله بن عمر فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور (لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة) تقدم ذلك (ولم يخلف دينارا ولا درهما) تقدم ذلك (ولم يتخذ خليلا ولا حبيبا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل وقد تقدم (فتبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل ولا لحبيب) واليه أشار الشاعر بقوله

قد تخللت مسلك الحب مني * ولذا سمي الخليل خليلا

قد تقدم الكلام عليه (وقد قال تعالى لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فجعل محبته موجبة لمحبة الله تعالى (فانما أمته من اتبعه) وسلك منهاجه (وما اتبعه الا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته) على الحقيقة (وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل) أي كلنا داخلون تحت هذا الخطاب (لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل الدنيا) ولا يخطر ببالك أمر من أمور الآخرة (ثم تطمع أن تكون غدا من أمته واتباعه) وزمرته وأشياعه (ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده) وهو انكشاف بعض الامور الغيبية في النوم (فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به) عند سماعه (اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات) وهو لفظ الحديث رواه أحمد وابن ماجه من حديث أم كرز الكعبية (وليس ذلك الا المنامات) وقد جاء هكذا مفسرا في حديث حذيفة بن أسيد ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي الا المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له رواه الطبراني

والضياء من رواية أبي الطفيل عنه وهو عند البزار بلفظ لم يبق من مبشرات النبوّة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وروى البخاري من حديث أبي هريرة لم يبق من النبوّة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ورواه البيهقي من حديث عائشة بنحو حديث حذيفة

(بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة)

(فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني) أي في نومه (فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى قلت المتفق عليه من حديث أبي هريرة لفظه من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي وهكذا أورده أبو داود أيضا ورواه الطبراني من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي وأما لفظ المصنف فقد رواه الديلمي من طريق يحيى بن سعيد العطار عن سعيد بن ميسرة وهما واهيان عن أنس وقد روى هذا الحديث بالفاظ مختلفة وروايات متعددة منها من رآني في المنام فقد رآني رواه أحمد وابن أبي شيبة والسراج والبغوي والدارقطني في الافراد من رواية أبي مالك الاشجعي عن أبيه مرفوعا ومنها من رآني في المنام فقد رآني ان الشيطان لا يتمثل في صورتي رواه ابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وجابر ومنها من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتصوّر بصورتي رواه ابن النجار من حديث البراء ومنها من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن مسعود ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس والخطيب عن أبي مالك الاشجعي عن أبيه وابن أبي شيبة وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري وابن النجار من حديث عمران بن حصين ومنها من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتصور بي رواه الروياني والضياء من حديث البراء ومنها من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة فمن رآني فقد رآني حقا فان الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي رواه الطبراني من حديث ابن عمر وابن عساكر من حديث عمر وابن ماجه وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي جحيفة ومنها من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتشبه بي رواه ابن عساكر من حديث أبي جحيفة ومنها من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتراءى بي رواه أحمد والشيخان من حديث أبي قتادة ومنها من رآني في المنام فقد رآني انه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر ورواه أحمد من حديث ابن مسعود ومنها من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتكونني رواه أحمد والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري ومنها من رآني فاني أنا هو فانه ليس للشيطان أن يتمثل بي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ومنها من رآني في المنام فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتشبه بي رواه أحمد من حديث أبي هريرة ومنها من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري والترمذي في الشمائل وأبو عوانة من حديث أنس ورواه أحمد أيضا ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة ومنها من رآني في المنام فقد رآني فاني أرى في كل صورة رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ومنها من رآني في المنام فقد رأى الحق ان الشيطان لا يتمثل بي رواه الخطيب في المتفق والمفترق عن ثابت بن عبيد بن أبي بكرة عن أبيه عن جده فهذه ألفاظ هذا الحديث وهو متواتر كما ذكره السيوطي وغيره والمعنى من رآني في المنام بصفتي التي أنا عليها وكذا بغيرها على ما يأتي بيانه فقد رآني أي فليبشر بانه رآني حقيقة أي رأى حقيقتي كما هي فلم يتحد الشرط والجزاء وهو في معنى الاخبار أي من رآني فاخبره بان رؤيته حق ليست باضغاث أحلامية ولا تخيلات شيطانية ثم أردف ذلك بما هو تتميم للمعنى وتعليل للحكم فقال فان الشيطان لا يتمثل بي فانه صلى الله عليه وسلم وان ظهر بجميع أسماء الحق وصفاته تخلقا وتحققا فمقتضى رسالته للخلق أن يكون الاظهر فيه حكما وسلطانة من صفات الحق الهداية والاسم الهادي والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة وهما ضدان فلا يظهر أحدهما بصورة الآخر والنبي خلق للهداية فلو ساغ ظهور ابليس بصورته زال الاعتماد عليه فلذلك عصم صورته عن أن يظهر بها شيطان فان قيل عظمة

(بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة)
فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فرأيته لا ينظر الى فقلت يا رسول الله ما شأنى فالتفت الى وقال ألست المقبل وأنت صائم قال والذى نفسى بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا وقال العباس رضى الله عنه كنت ودا لعمر فاشتهيت أن أراه فى المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغى ان كان عرشى ليهد لولا أنى لقيته رؤفا رحيما

الحق تعالى أتم من عظمة كل عظيم مع ان المعين يتراءى لكثير ويخاطبهم بانه الحق فيضلهم قلنا كل عاقل يعلم ان الحق تعالى لا صورة له معينة توجب الاشتباه بخلاف النبى وأيضا مقتضى حكمة الحق أن يضل ويهدى من يشاء بخلاف النبى فانه مقيد بالهداية ظاهر بصورتها فتجب عصمة صورته من مظهر به الشيطان وقال عياض لم يختلف العلماء فى جواز صحة رؤية الله تعالى فى النوم وان رؤى على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجسام لتحقق ان المرئى غير ذات الله اذ لا يجوز عليه التجسيم ولا اختلاف الحالات بخلاف النبى فكانت رؤية الله تعالى فى النوم من باب التمثيل والتخييل وقال القرطبى اختلف فى الحديث فقال قوم من القاصرين هو على ظاهره فمن رآه فى النوم رآه حقيقة كما يرى فى اليقظة وهو قول يدرك فساده ببادئ العقل اذ يلزم عليه أن لا يراه أحد الا على صورته التى مات عليها وأن لا يراه اثنان فى وقت واحد فى مكانين وان يحيا الآن ويخرج من قبره ويخاطب الناس ويخلو قبره عنه فيزار غير جثته ويسلم على غائب لانه يرى ليلا ونهارا على اتصال الاوقات وهذه جهالات لا يتق بالتزامها من له أدنى مسكة من عقل وملتزم ذلك مختل مجنون وقال قوم من رآه بصفته فرؤياه حق أو بغيرها فاضغاث أحلام ومعلوم انه قد يرى على حالة مخالفة ومع ذلك تكون تلك الرؤيا حقا كما لو رؤى قد ملأ بلدا أو دارا بجسمه فانه يدل على امتلاء تلك البلد بالحق والشرع وتلك الدار بالبركة وكثيرا ما وقع ذلك قال والصحيح أن رؤيته على أى حال كان غير باطلة ولا من الاضغاث بل حق فى نفسها وتصور تلك الصورة وتمثيل ذلك المثال ليس من الشيطان بل مثل الله ذلك للرائى بشرى فيتسبب للخير أو نذارى فيتبرأ عن الشر أو تنبيها على خير يحصل وقد ذكرنا ان المرئى فى المنام أمثلة المرئيات لا أنفسها غير أن تلك الامثلة تارة تطابق حقيقة المرئى وتارة لا ثم المطابقة قد تظهر فى الصفة على نحو ما أدرك فى النوم وقد لا فاذا لم تظهر فى اليقظة كذلك فالمقصود بتلك الصورة معناها لا عينها وكذا مخالفة المثال صورة المرئى بزيادة أو نقص أو تغير لون أو زيادة عضو أو نقصه فكله تنبيه على معانى تلك الامور انتهى قال المناوى فى شرح الجامع وحاصل كلامه أن رؤيته بصفته ادراك لذاته وبغيرها ادراك لمثاله فالاولى لا تحتاج لتعبير والثانية تحتاجه قال ولسلفنا الصوفية ما يوافق معناه ذلك وان اختلف اللفظ حيث قالوا ههنا ميزان يجب التنبه له وهو ان الرؤيا الصحيحة أن يرى بصورته الثابتة بالنقل الصحيح فان رآه بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه وحصول الجزم فى نفس الرائى بانه رأى النبى غير حجة بل ذلك المرائى صورة الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائى أو حاله أو صفته أو حكم من أحكام الاسلام أو بالنسبة للمحل الذى رأى فيه تلك الصورة قال القونوى كابن عربى قد جربناه فوجدناه لم يخرم والله الموفق (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فرأيته لا ينظر الى فقلت يا رسول الله ما شأنى فالتفت الى وقال ألست المقبل وأنت صائم قال والذى نفسى بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو بكر الطلحى حدثنا عبيد بن غنام حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا عمر بن حمزة أخبرنا سالم عن ابن عمر قال قال عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فذكره وفيه ألست الذى تقبل وأنت صائم فقلت والذى بعثك بالحق لا أقبل وأنا صائم (وقال العباس) بن عبد المطلب (رضى الله عنه كنت ودا) أى خليلا (لعمر) بن الخطاب (فاشتهيت ان أراه فى المنام فما رأيته الا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغى ان كان عرشى ليهد لولا انى لقيته رؤفا رحيما) رواه أحمد فى الزهد وابن سعد فى الطبقات بلفظ كان عمر بن الخطاب لى خليلا وانه لما توفى لبثت حولا أدعو الله أن يرينيه فى المنام قال فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته قلت يا أمير المؤمنين ما فعل بك ربك قال هذا أوان فرغت وان كان عرشى ليهد لولا انى لقيت ربى رؤفا رحيما وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله قال سمعت رجلا من الانصار يقول دعوت الله أن يرينى عمر فى النوم فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبهته فقلت يا أمير المؤمنين ما فعلت فقال الآن فرغت ولولا رحمة ربى لهلكت وأخرج أيضا عن عبد الله بن عمرو قال ما كان شئ أعلمه أحب الى ان أعلمه من أمر عمر فرأيت فى المنام قصرا فقلت

وقال الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك قال
ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن
عبد الله انك لم تسأل شيأ قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا
لابي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولا أن يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الايام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به وأعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة الى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا أنا
نائم اذ أتى آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وأسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت بابي
الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا أنا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس أبي أربعة سودان
معهم أعمدة حديد اذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال قم فقد بيض الله وجه أبيك
فقلت له من أنت

لمن هذا قالوا لعمر فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل فقلت كيف صنعت فقال خيرا كاد عرشي
يهوي لولا اني لقيت ربا غفورا قلت كيف صنعت قال متى فارقتكم قلت منذ ثنتي عشرة سنة قال انما انفلت
الآن من الحساب (وقال الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه (قال لي علي رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما) ذا (لقيت من أمتك) اللدد والاود (قال ادع عليهم
فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلني بهم من هو شر لهم مني فخرج) لصلاة الصبح (فضربه ابن
ملجم) تقدم عند ذكر وفاته وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل عن كثير بن الصلت قال أغمي
على عثمان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي هذا فقال انك
شاهد معنا الجمعة وأخرجاه أيضا عن ابن عمر ان عثمان أصبح فحدث فقال اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم الليلة
في المنام فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح عثمان صائما فقتل من يومه وهذا قد تقدم عند ذكر وفاته وأخرج ابن
عساكر عن مطرف انه رأى عثمان بن عفان في النوم فقال رأيت عليه ثيابا خضرا فقلت يا أمير المؤمنين كيف
فعل الله بك قال فعل الله بي خيرا قلت أي الدين خير قال الدين القيم ليس بسفك الدم (وقال بعض الشيوخ
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) في النوم (فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان
سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر) التيمي (عن جابر بن عبد الله) الانصاري رضي الله عنه (انك لم
تسئل شيأ قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات والحديث المذكور قد
رواه مسلم وتقدم (وروي عن العباس بن عبد المطلب) رضي الله عنه (قال كنت مؤاخيا لابي لهب) عبد العزى
(مصاحبا له) أي في الجاهلية (فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر) وهو قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب الى
آخر السورة (حزنت عليه وأهمني أمره) وفاء لحق المؤاخاة والنسب (فسألت الله حولا ان يريني اياه في المنام
قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في
كل الايام والليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني أميمة) تصغير أمة أي
جويرية (فبشرتني بولادة آمنة) بنت وهب (اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي) أي جارية (فرحا به فاثابني
الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وأخرج ابن عساكر بسند
فيه الكديمي عن أبي سعيد الخدري رفعه بعثت ولي أربع عمومة فاما العباس فيكنى بأبي الفضل فلولده الفضل
الى يوم القيامة وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى فاعلى الله قدره في الدنيا والآخرة وأما عبد العزى فيكنى بأبي لهب
فادخله الله النار وألهبها عليه واما عبد مناف فيكنى بأبي طالب فله ولولده المطاولة والرفعة الى يوم القيامة
(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري التابعي رحمه الله تعالى (خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد
ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة
الى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم اذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود
وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت أسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينما أنا
في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس أبي أربعة سود ان معهم أعمدة حديد اذ أقبل رجل حسن الوجه
بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال قم فقد بيض الله وجه أبيك فقلت له من أنت

بأبي أنت وأمي فقال أنا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس اذ أتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من ان خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ماصنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه وروي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فأوردني في الجنة

بأبي أنت وأمي فقال أنا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فاذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وأورده الحافظ السخاوي في القول البديع (وعن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس اذ أتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع ان خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا ابراهيم بن بكر البصري حدثنا يسار خادم عمر قال دخلت على عمر فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ورأيت عثمان وهو يقول خصمت عليا ورب الكعبة وعلي يقول غفر لي ورب الكعبة وأخرج من طريق أبي هاشم الرماني ان رجلا جاء الى عمر فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبنو هاشم يشكون اليه الحاجة فقال لهم فأين عمر بن عبد العزيز وأخرج من طريق أبي المليح عن خصاف أخي خصيف قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام عن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر وميمون بن مهران جالس امام ذلك فأتيت ميمون بن مهران فقلت من هذا قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هذا قال هذا أبو بكر عن يمينه وهذا عمر عن يساره فجاء عمر بن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي صلى الله عليه وسلم فشح أبو بكر بمكانه ثم جاء ليجلس بين عمر وبين النبي صلى الله عليه وسلم فشح عمر بمكانه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه في حجره ومن طريق أبي هاشم الرماني قال جاء رجل الى عمر فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فذكر نحوه ومن طريق عراك بن حجرة عن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال ادن يا عمر فدنوت حتى كدت أصافحه قال فاذا كهلان قد اكتنفاه فقال اذا وليت من أمر أمتي فاعمل في ولايتك نحو ما عمل هذان في ولايتهما قلت من هذان قال هذا أبو بكر وهذا عمر وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال رأيت كأني أدخلت الجنة فاذا قباب مضروبة قلت لمن هذه قالوا لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية قلت فأين عمار وأصحابه قالوا امامك قلت وقد قتل بعضهم بعضا قيل انهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة قلت فما فعل أهل النهر يعني الخوارج قال لقوا برحا (واستيقظ ابن عباس رضي الله عنه مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ماصنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها الى الله فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه) رواه ابن الدنيا في كتاب المنامات وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا (وروي) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه) في النوم (فقيل له انك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فأوردني الجنة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وأما قوله هذا أوردني الموارد فرواه عبد الله ابن الامام أحمد في زوائد الزهد قال حدثني مصعب الزبيري حدثني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك فقال أبو بكر ان هذا أوردني الموارد

(فصل) قال أبو محمد خلف بن عمر العكبري في فوائده حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري حدثنا اسمعيل بن بهرام العكبري حدثنا الأشجعي عن شيخ عن ابن سيرين قال ما حدثك الميت بشيء في النوم فهو حق لأنه في دار الحق وأخرج أبو الشيخ في كتاب الوصايا والحاكم في المستدرك والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن عطاء الخراساني قال حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس ان ثابتا قتل يوم اليمامة وعليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم اذ أتاه ثابت في منامه فقال أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم

فتضيعه انى لما قتلت أمس مربى رجل من المسلمين فاخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فمره أن يبعث الى درعى فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا بكر الصديق فقل له ان على من الدين كذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فاجاز وصيته قال ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس وقال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا هاشم ابن القاسم الحرانى حدثنا بشر بن بكير التنيسى حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراسانى قال أتيت المدينة فلقيت بها رجلا قلت حدثنى بحديث ثابت بن قيس بن شماس يرحمك الله فقال قم معى فانطلقت معه حتى انتهينا الى باب دار فدخل فلبث لبثة ثم خرج الى فادخلنى فاذا بامرأة جالسة فقال هذه ابنة ثابت بن قيس فاسألها عما بدا لك قلت حدثينى عن أبيك رحمه الله قالت لما أنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية أغلق عليه بابه وطفق يبكى فساق الحديث وفيه قوله صلى الله عليه وسلم لست منهم ولكن تعيش حميدا وتقتل شهيدا ويدخلك الله الجنة بسلام فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة وفيه وكانت على ثابت درع نفيسة وفيه فرأى رجل من الصحابة فى منامه أتاه ثابت فساقه الى آخره نحو السياق الاول وفيه قالت ولا نرى أحدا من المسلمين أجيزت وصيته بعد موته الا وصية ثابت بن قيس وأخرج الحاكم فى المستدرك عن حسين بن خارجة قال لما جاءت الفتنة الاولى أشكلت على فقلت اللهم أرنى من الحق أمرا أمسك به فاريت فيما يرى النائم الدنيا والآخرة وكان بينهما حائط غير طويل واذا أنا تحته فقلت لو تسفلت هذا الحائط حتى أنظر الى قتلى أشجع فيخبرونى قال فانهبطت بارض ذات شجر فاذا بنفر جلوس فقلت أنتم الشهداء قالوا نحن الملائكة قلت فاين الشهداء قالوا تقدم الى الدرجات فارتفعت درجة الله أعلم من الحسن والسعة فاذا أنا بمحمد صلى الله عليه وسلم واذا ابراهيم شيخ واذا هو يقول لابراهيم استغفر لامتى وابراهيم يقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك أهراقوا دماءهم وقتلوا امامهم فهلا فعلوا كما فعل سعد خليلى فقلت والله لقد رأيت رؤيا لعل الله أن ينفعنى بها اذهب فانظر مكان سعد فاكون معه فاتيت سعدا فقصصت عليه القصة فما أكثر بها فرحا وقال قد خاب من لم يكن ابراهيم خليله قلت مع أى الطائفتين أنت قال أنا مع واحد منهما فقلت فما تأمرنى قال ألك غنم قلت لا قال فاشتر شيأ فكن فيها حتى تنجلى وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب المنامات وابن سعد فى الطبقات عن محمد بن زياد الالهانى ان غضيف بن الحرث قال لعبد الله بن عائذ الصحابى حين حضرته الوفاة ان استطعت ان تلقانا فتخبرنا ما لقيت بعد الموت فلقيه فى منامه بعد حين فقال له ألا تخبرنا قال نجونا ولم نكد ان نجو نجونا بعد المشيبات فوجدنا ربنا خير رب غفر الذنب وتجاوز عن السيئة الا ما كان من الاحراض قلت له وما الاحراض قال الذين يشار اليهم بالاصابع فى الشر وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى الزاهرية قال عاد عبد الاعلى عدى بن أبى بلال الخزاعى فقال له عبد الاعلى اقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وان استطعت ان تلقانا فتعلمنى بذلك وكانت أم عبد الله أخت أبى الزاهرية تحت ابن أبى بلال فرأته فى منامها بعد وفاته بثلاثة أيام فقال ان ابنتى بعد ثلاث لاحقتى فهل تعرفين عبد الاعلى قالت لا قال فاسألى عنه ثم اخبريه انى قد أقرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه السلام فرد عليه فاخبرت أخاها أبا الزاهرية بذلك فابلغه

(بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين)

(قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقى فى المنام فقلت له يا سيدى ما فعل الله بك فقال درنى فى الجنان فقيل لى يا متمم هل استحسنت فيها شيأ قلت لا يا سيدى فقال لو استحسنت منها شيأ لوكلتك اليه ولم أوصلك الى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المنامات (وروؤى يوسف بن الحسين) أبو يعقوب الرازى شيخ الرى والجبال فى وقته وكان نسيج وحده فى اسقاط التصنع صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز توفى سنة أربع وثلاثمائة (فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى قيل بماذا قال) لانى (ما خلطت جدا بهزل) نقله القشيرى فى الرسالة وفيه اشارة الى

(بيان منامات المشايخ رضى الله عنهم أجمعين) قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقى فى المنام فقلت يا سيدى ما فعل الله بك فقال درنى فى الجنان فقيل لى يا متمم هل استحسنت فيها شيأ قلت لا يا سيدى فقال لو استحسنت منها شيأ لوكلتك اليه ولم أوصلك الى وروؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل

وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت مافعل الله بك قال أوقفني بين يديه فغفرلي كل ذنب أقررت به الاذنباواحدا فاني استحييت أن أقر به فاوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان أذكره وقال أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينمانحن كذلك اذا انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طشت وبيد الآخر ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من أحب قال بلى قلت يارسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كاني أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ماتقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله وري مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فاشخص رجلا يقتلني

كمال ورعه وان أكثر أحواله جدوان مزح فمزحه حق وقال ابن الملقن في الطبقات رؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا عبد السوء فعلت وصنعت قلت يا سيدي لم أبلغ عنك هذا بلغت أنك كريم والكريم اذا قدر عفا فقال تعلقت لي بقولك هبني لمن شئت من خلقك اذهب فقد وهبتك لك وروى ابن عساكر في التاريخ عن أبي خلف الوزان قال رؤي يوسف بن الحسين الرازي الصوفي في النوم فقيل له مافعل الله بك قال رحمني وغفرلي قيل بماذا قال بكلمات قلتها عند الموت قلت اللهم نصحت الناس قولا وخنت نفسي فعلا فهب خيانة فعلي لنصيحة قولي (وعن منصور بن اسمعيل) المغربي هو شيخ القشيري (قال رأيت عبد الله البراد) كذا في نسخة وفي أخرى البزاز والصواب أبا عبد الله الزراد كما هو نص الرسالة (في النوم فقلت مافعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فغفرلي كل ذنب أقررت به الاذنبا واحدا فاني استحييت أن أقر به فاوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي) ثم غفرلي (فقلت) له (ما كان ذلك الذنب) أي ما سببه (قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى أن أذكره) رواه القشيري في الرسالة بلفظ وروي أبو عبد الله الزراد في المنام فقيل له والباقي سواء وفيه ان الاستحياء من ذكر الذنب يوم القيامة لا يفيد لان ذلك اليوم ليس يوم عمل وانما هو يوم جزاء (وقال أبو جعفر الصيدلاني) رحمه الله تعالى (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينمانحن كذلك) وفي بعض نسخ الرسالة فبينماهو كذلك وفي أخرى فبينماهم كذلك (اذا انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده) الكريمة من الابريق (ثم أمر) الملكين بمثل ذلك مع الجماعة وأمر بمثل مافعله هو (حتى غسلوا) أيديهم (ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب عليه فانه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من أحب) ورواه الشيخان من وجوه وقد تقدم (قال بلى قلت يارسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم) حكاه رواه القشيري في الرسالة بلفظ وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فذكره (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (رأيت) في المنام (كاني أتكلم على الناس) أي أوعظهم (فوقف على ملك) في صورة آدمي (فقال) لي (أقرب) أي أفضل (ماتقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت) له (عمل خفي) أي مستور عن الاغيار (بميزان وفي) اي بوقوعه على وجهه شرعا ففي الخبر ان عمل السر يزيد على عمل العلانية بسبعين ضعفا لكونه بين العبد وربه قال الجنيد (فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله) رواه القشيري في الرسالة (وروى مجمع) كمحدث ابن صمعان التيمي الورع السخي من رجال الحلية (في النوم فقيل له كيف رأيت الامر قال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد) بن مطر العدوي البصري أبي نصر أحد العباد ثقة روى له النسائي وابن ماجه (رأيتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال له لعل الشيطان أراد) مني (أمرا) أعصى الله به (فعصمت منه فاشخص) أي أرسل اليه (رجلا) وهو أنت (يقتلني) هكذا في النسخ ولفظ الرسالة وقال رجل للعلاء بن زياد رأيت في النوم كانك من أهل الجنة فقال لعل الشيطان أراد مني أمرا فعصمت منه فاشخص الى رجلا يعينه أي على مقصوده من اضلالي وقال أحمد في الزهد حدثنا محمد بن مصعب سمعت مخلد بن الحسين ذكران العلاء بن زياد قال له رجل رأيتك كانك في الجنة فقال ويحك أما وجد الشيطان أحدا يسخر به غيري وغيرك وأما حديث رجل من أهل الشام فقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا عبد الله ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يسال هشام بن زياد العدوي عن هذا الحديث

وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وسئل زرارة بن أبي أوفى في المنام أي الاعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناي وقال ابن عيينة رأيت أخي في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي

فحدثنا به يومئذ قال تجهز رجل من أهل الشام وهو يريد الحج فأتاه آت في منامه فقال له ائت العراق ثم ائت البصرة ثم ائت بني عدي فائت بها العلاء بن زياد فانه رجل ربعة أقصم الثنية بسام فبشره بالجنة قال فقال رؤيا ليست بشئ حتى اذا كانت الليلة الثانية رقد فأتاه آت فقال ألا تأتي العراق فذكر مثل ذلك حتى اذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد فقال ألا تأتي العراق فقال مثل ذلك قال فاصبح فاعد جهازه الى العراق فلما خرج من البيوت اذا الذي آتاه في منامه يسير بين يديه ما سار فاذا نزل فقده فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ففقده قال فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة فاتى بني عدي فدخل دار العلاء بن زياد فوقف الرجل على باب العلاء فسلم قال هشام فخرجت اليه فقال لي أنت العلاء بن زياد فقلت لا وقلت انزل رحمك الله فتضع رحالك وتضع متاعك قال لا أين العلاء بن زياد قال قلت هو في المسجد قال وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث قال هشام فاتيت العلاء فخفف من حديثه وصلى ركعتين ثم جاء فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته فقال هذا والله صاحبي قال فقال العلاء هلا حططت رحل الرجل الا أنزلته قال قلت له فابى قال فقال العلاء انزل رحمك الله قال فقال أخلني قال فدخل العلاء منزله وقال يا أسماء تحولي الى البيت الآخر ودخل الرجل فبشره بالرؤيا ثم خرج فركب فقام العلاء فاغلق بابه فبكى ثلاثة أيام أو قال سبعة لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا ولا يفتح بابه قال هشام فسمعته يقول في حال بكائه أنا أنا فكنا نهاب ان نفتح بابه وخشيت أن يموت فاتيت الحسن فذكرت ذلك له قلت لا أراه الا ميتا لا يأكل ولا يشرب باكيا قال فجاء الحسن حتى ضرب عليه بابه وقال افتح يا أخي فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه وبه من الضر شئ الله به عليم وكلمه الحسن ثم قال رحمك الله ومن أهل الجنة ان شاء الله أفقاتل نفسك أنت قال هشام حدثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا وقال لا تحدثوا بها ما كنت حيا (وقال محمد بن واسع) البصري العابد رحمه الله تعالى (الرؤيا تسر المؤمن) أي تبشره بالسرور (ولا تغره) أي لا توقعه في الغرور رواه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو بشر (صالح بن بشير) بن وادع المري القاص روى له الترمذي (رأيت عطاء السلمي) البصري العابد (في النوم) وكان شديد الوله (فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا) أي على التقصير في حق الله تعالى فما فعل الله بك (قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية) رواه القشيري في الرسالة بلفظ وقيل رؤي عطاء السلمي في المنام فقيل له فساقه (وسئل) أبو حاجب (زرارة بن أوفى) العامري الحرشي البصري ثقة عابد مات فجأة في الصلاة روى له الجماعة (في المنام أي الاعمال أفضل عندكم فقال الرضا) بالله وعن الله (وقصر الامل) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال يزيد بن مذعور رأيت) أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو (الاوزاعي) رحمه الله (في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال) الراوي (وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وابن عساكر في التاريخ وهو في الرسالة للقشيري مختصرا بلفظ ورؤي الاوزاعي في المنام فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين (وقال) سفيان (بن عيينة) رحمه الله تعالى (رأيت أخي) محمدا وهو صدوق له أوهام مات قبل أخيه (في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال علي الطلحي) منسوب الى جده طلحة (رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها) رواه ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور (وقال ابراهيم ابن اسحق الحربي) منسوب الى الحربية احدى محال بغداد امام فاضل له تصانيف منها غريب الحديث وغيره ولد سنة ١٩٨ وتوفي سنة ٢٨٥ (رأيت) أم جعفر (زبيدة) بنت أبي الفضل جعفر الاكبر بن المنصور العباسية وهي زوج هرون الرشيد بنى بها في سنة ١٦٥ في قصر العباسية (في المنام فقلت ما فعل الله بك

وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت

قالت غفر لي فقلت لها بما أنفقت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها الى أربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان

الثوري رئي في المنام فقيل له مافعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الحواري

رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها بماذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له مافعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها مافعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله أفني بها عمري لا اله الا الله أدخل بها قبري لا اله الا الله أخلو بها وحدي لا اله الا الله ألقى بها ربي ورؤي بشر في المنام فقيل له مافعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤي أبو سليمان في النوم فقيل له مافعل الله بك قال رحمني وما كان شئ أضر علي من اشارات القوم الي وقال

أبو بكر الكتاني رأيت في النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له من أنت قال التقوى قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت من أنت قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتعاهدت

قالت غفر لي فقلت لها بما أنفقت في طريق مكة) من أبنية وسبل فيها مرافق للحاج وأجرت عينا من عرفات الى مكة وصرفت على كل ذلك أموالا هائلة (قالت أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها الى أربابها) اذ الاموال السلطانية الغالب عليها انها لم تؤخذ بوجه شرعي وانها باقية على ملك أربابها (ولكن غفر لي بنيتي) يعني بقصدها للناس الخير وفيه اشارة الى ان الاموال اذا أخذت من غير وجهها وتاب آخذها ولم يعرف أربابها ليردها اليهم تصرف في وجوه البر ويكون أجرها لاربابها وللصارف أجر طاعته ونيته وذلك بعد توبته وصدق نيته ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وأورده القشيري في الرسالة بلفظ وقيل رأيت زبيدة فقيل لها مافعل الله بك قالت غفر لي فقيل بكثرة نفقتك في طريق مكة فقالت لا أما ان أجرها عاد الى أربابها ولكن غفر لي بنيتي (ولما مات سفيان الثوري) رحمه الله (رؤي في المنام فقيل له مافعل الله بك قال وضعت أول قدمي في الصراط والثاني في الجنة) أورده القشيري في الرسالة وهذا من التسهيل في جواز الصراط (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) بفتح المهملة والواو الخفيفة وكسر الراء عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحرث التغلبي الدمشقي ثقة زاهد مات سنة ست وأربعين كذا في التهذيب أي بعد مائتين وعند السلمي والقشيري ثلاثين ومائتين والصواب سنة أربعين كما نبه عليه ابن عساكر عن اثنين وثمانين سنة روى له أبو داود وابن ماجه (رأيت فيما يرى النائم جارية) من الحور العين (ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها بماذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك) أي شيأ منه (فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى) أورده القشيري في الرسالة وفيه فقلت ما نور وجهك وفيه فقالت جئت الى دمعتك فمسحت بها وجهي فصار وجهي هكذا (وقال) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) قدس سره (رأيت) أبا القاسم (الجنيد) قدس سره (في المنام فقلت مافعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل) ولفظ الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول رأى الجريري الجنيد في المنام فقال له كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (ورؤيت) أم جعفر (زبيدة) بنت جعفر رحمها الله تعالى (في المنام فقيل لها مافعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله أفني بها عمري لا اله الا الله أدخل بها قبري لا اله الا الله أخلو بها وحدي لا اله الا الله ألقى بها ربي) (ورؤي بشر الحافي) رحمه الله (في المنام فقيل له مافعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال) قبل أن رحمني على وجه العتاب اللطيف (يا بشر اما استحييت مني) حيث (كنت تخافني كل ذلك الخوف) الذي يخشى منه أن يكون قنوطا رواه القشيري في الرسالة بلفظ غفر لي بدل رحمني ورواه ابن عساكر في التاريخ من طريق خشنام بن أخت بشر الحافي قال رأيت خالي في النوم فقلت له مافعل الله بك قال غفر لي وجعل يذكر مافعل الله به من الكرامة فقلت ماقال لك شيأ قال لي نعم قال لي يا بشر ما استحييت مني تخاف ذلك الخوف كله على نفس هي لي (ورؤي) الامام (أبو سليمان) الداراني رحمه الله (في النوم فقيل له مافعل الله بك قال رحمني وما كان شئ أضر علي من اشارات القوم الي) رواه القشيري في الرسالة ولم يذكر الي (وقال أبو بكر) ويقال أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) رحمه الله تعالى رأيت في النوم شابا لم أر أحسن منه فقلت له (من أنت قال) أنا (التقوى قلت) له (فأين تسكن قال في كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت) لها (من أنت قالت أنا السقم قلت) لها (فأين تسكنين قالت) في (كل قلب فرح) أي مسرور (مرح) أي شديد الفرح لدلالتها على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين والمراد الفرح بالدنيا اما الفرح بنعم الله تعالى وبما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال الله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله (قال فانتبهت واعتقدت) أي عزمت

أن لا أضحك الا غلبة وقال أبو سعيد الخراز رأيت فى المنام كان ابليس وثب على فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بى هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون فى القلب وقال المسوحى رأيت ابليس فى النوم يمشى عريانا فقلت ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفى النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى وأشار بيده الى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخراز كنت فى دمشق فرأيت فى المنام كان النبى صلى الله عليه وسلم جاءنى

على (ان لا اضحك الا غلبة) رواه القشيرى فى الرسالة الا انه قال أنا الضحك بدل السقم (وقال أبو سعيد) أحمد ابن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (رأيت فى المنام كان ابليس وثب على فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف لى هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون فى القلب) نقله القشيرى فى الرسالة والمراد بالنور كمال معرفة الله (وقال المسوحى) هو أبو على أحمد بن أيوب من كبار المشايخ صحب السرى وسمع ذا النون وعنه جعفر الخلدى (رأيت ابليس فى النوم) وهو (يمشى عريانا فقلت ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفى النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى وأشار بيده الى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (كنت فى دمشق) المدينة المعروفة (فرأيت فى المنام كان النبى صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فجاء ووقف على وأنا أقول شيأ من الاصوات) أى من الانغام المعروفة (وأدق فى صدرى) كهيئة الواجد (فقال شر هذا أكثر من خيره) وقد تقدم فى كتاب السماع والوجد (وعن) سفيان (بن عيينة) رحمه الله تعالى (قال رأيت سفيان الثورى فى النوم كانه فى الجنة يطير من شجرة الى شجرة ويقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصنى قال أقلل من معرفة الناس) رواه ابن عساكر فى التاريخ بزيادة قلت زدنى قال ستردفتعلم وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو أحمد الغطريفى حدثنا محمد بن موسى حدثنا محمد بن ميمون قال سمعت سفيان ابن عيينة يقول قال لى بشر بن منصور الزاهد يا سفيان أقلل من معرفة الناس لعله أن يكون فى القيامة هذا أقل لفضيحتك اذا نودى عليك بسوء عملك (وروى أبو حاتم) محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلى (الرازى) منسوب الى الرى مدينة من بلاد الديلم مشهورة أحد الحفاظ مات سنة سبع وسبعين روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه فى كتاب التفسير له (عن) أبى عامر (قبيصة بن عقبة) بن محمد بن سفيان السوائى الكوفى صدوق مات سنة خمس عشرة روى له الجماعة (قال رأيت سفيان الثورى) فى النوم (فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربى شفاها فقال لى * هنيأ رضائى عنك يا ابن سعيد * فقد كنت قواما اذا أظلم الدجا
بعبرة مشتاق وقلب عميد * فدونك فاختر أى قصر أردته * وزرنى فانى منك غير بعيد)

رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن ابراهيم بن الحسن بن أحمد بن ميمون الميمونى قال سمعت أبا موسى هرون بن موسى بن حيان قال سمعت أبا الحسن بن أحمد بن ميمون يقول سمعت أبا حاتم الرازى يقول سمعت قبيصة يقول رأيت سفيان الثورى فى المنام فقلت ما فعل بك ربك فقال وساق الابيات الا انه قال كفاحا بدل شفاها وأقبل بدل أظلم (وروى أبو بكر الشبلى) رحمه الله (بعد موته بثلاثة أيام) فى المنام (فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشنى) فى الحساب (حتى أيست) من نفسى (فلما رأى يأسى تغمدنى) أى غمرنى (برحمته) وفضله رواه القشيرى فى الرسالة ولم يقل بعد موته بثلاثة أيام (وروى مجنون بنى عامر) قيس بن الملوح (بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المنامات (وروى) سفيان (الثورى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمنى فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين) رواه القشيرى فى الرسالة (وروى بعضهم) فى المنام (فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا) رواه القشيرى فى الرسالة (وروى مالك بن أنس) الامام رحمه الله تعالى فى النوم

متكئا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فجاء فوقف على وأنا أقول شيأ من الاصوات وأدق فى صدرى فقال شر هذا أكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثورى فى النوم كانه فى الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصنى قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازى عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثورى فقلت ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربى كفاحا فقال لى
هنيأ رضائى عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا أظلم الدجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته
وزرنى فانى منك غير بعيد

وروى الشبلى بعد موته بثلاثة أيام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشنى حتى أيست فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته فقيل
وروى مجنون بنى عامر بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين وروى الثورى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمنى فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين وروى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا وروى مالك بن أنس

فقيل له مافعل الله بك قال غفرلي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت

ورؤى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي ألا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورؤى الجاحظ فقيل له مافعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجنيد في المنام عريانا فقال ألا تستحي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤى النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له مافعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيأ فيحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السختياني

(فقيل له مافعل الله بك قال غفرلي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت) هكذا هو في الرسالة مالك بن أنس وقال صاحب كتاب المتنجعين حدثنا محمد بن علي بن ميمون حدثنا عبد الاعلى بن حماد عن رجل رأى مالك بن دينار في نومه فقال له مافعل الله بك قال غفرلي قال بأي شئ قال بكلمة بلغني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقولها اذا رأى الجنازة لا اله الا الله الحي الذي لا يموت (ورؤى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري) رحمه الله (كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض) نقله القشيري في الرسالة (ورأى) عمرو بن بحر أبو عثمان البصري (الجاحظ) لقب به لانه كانت عيناه جاحظتين روى عن يزيد بن هرون وأبي يوسف القاضي وعنه يموت ابن المزرع واليه تنتسب الجاحظية من المعتزلة مات سنة خمس وخمسين ومائتين قال الذهبي في الديوان قال ثعلب الجاحظ ليس بثقة ولا مأمون (فقيل له مافعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه)

نقله القشيري في الرسالة (ورأى) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (ابليس في المنام) وهو (عريان) على عادته من التظاهر بكشف عورته عند أهل الشر ليحسن لهم ذلك ويتعودوا به (فقال له ألا تستحي من الناس) تكشف عورتك (فقال وهؤلاء ناس) أي ليسوا بناس يستحى منهم انما (الناس) الذين يستحى منهم (أقوام في مسجد الشونيزية) أحد مساجد بغداد وفي نسخة الشونيزي (قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي) بكثرة مراقبتهم وتوجههم الى الله تعالى (قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد) المذكور (فرأيت جماعة) استقبلوا القبلة (قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون) في آلاء الله ويذكرون الله (فلما رأوني قالوا) لي مكاشفة بما رأيته في النوم (لا يغرنك حديث الخبيث) يعني ابليس فان كل ما يقوله شر لا خير فيه هكذا نقله القشيري في الرسالة ولفظ ابن الملقن في الطبقات قال الجنيد رأيت ابليس في المنام كأنه عريان فقلت له أما تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا منهم لما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير هؤلاء فقلت ومن هم قال قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا بالله فا كاد أحرق فانتبهت فلبست ثيابي وأتيت مسجد الشونيزي وعلى ليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس رؤسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل (ورؤى) أبو القاسم ابراهيم بن محمد (النصراباذي) شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية (بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له مافعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف) أي عتابا يسيرا (ثم نوديت يا أبا القاسم) نودي بكنيته زيادة في تكرمته (أبعد الاتصال انفصال) أي أيليق بعد ان أوصلناك ان تلتفت لغيرنا هكذا قاله شارح الرسالة والانسب للسياق أيليق بعد ان أوصلناك ان نقطعك عنا (فقلت لا يا ذا الجلال) أي لا يليق بكرمك (فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي) رواه القشيري في الرسالة الا انه قال حتى لحقت بالاحد أي صرت عند الله في منزلة رفيعة من التقريب والاكرام وهذا من تتمة جواب مافعل الله بك ولهم في الاتصال والانفصال اختلاف وقد فرقوا بين الوصول والاتصال بما هو مذكور في آخر العوارف (ورأى عتبة) بن أبان (الغلام) رحمه الله تعالى (حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر) ان (لا تعمل من الاعمال شيأ يحال) به (بيني وبينك فقال) لها (عتبة) ليطمئن قلبها (طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى ألقاك) نقله القشيري في الرسالة واستشهد عتبة باذنة بقرية الحباب أخرج أبو نعيم عن مخلد بن الحسين قال رأيت شابا في المنام بعد ما قتل عتبة بسنة فقلت له ما صنع الله بك قال ألحقني بالشهداء المرزوقين فقلت فأخبرني عن عتبة وأصحابه ألك بهم علم قال قتلى قرية الحباب قلت نعم قال انهم معروفون في ملكوت السموات (وقيل رؤى) أبو بكر (أيوب) بن أبي تميمة كيسان (السختياني) البصري الفقيه الثبت

جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها فرأى الميت بعضهم فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى وقال قل لايوب قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشييخ قلت تلك الاحوال التى شاهدتها فقال لم تغن عنا فقلت مافعل الله بك قال غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز وقال أبو بكر الرشيدى رأيت محمد الطوسى المعلم فى النوم فقال لى قل لابى سعيد الصفار المؤدب

وكنا على أن لانحول عن الهوى * فقد وحياة الحب حلتم وماحلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كان مناديا ينادى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا

او يس

مات سنة احدى وثلاثين روى له الجماعة (جنازة عاص) عربها (فدخل الدهليز) واختفى فيه (لئلا يصلى عليها) قصد بذلك الزجر لامثاله عن المعصية (فرأى) ذلك (الميت بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال) ذلك الميت (قل لايوب) السختيانى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم) أى لبخلتم (خشية الانفاق أى خوف نفادها) نقله القشيرى فى الرسالة وفيه اشارة الى سعة رحمة الله (وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (نورا وملائكة نزولا الى الارض وملائكة صعودا) الى السماء (فقلت أى ليلة هذه فقالوا) هذه (ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه) على أهلها نقله القشيرى فى الرسالة (وقال أبو سعيد الشحام) نسبة الى بيع الشحم من مشايخ القشيرى (رأيت) أبا الطيب (سهلا) بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هرون بن موسى بن عيسى العجلى النيسابورى امام الشافعية (الصعلوكى) بفتح الصاد روى عن أبى بكر بن خزيمة وأبى العباس السراج وتفقه على أبى بكر الثقفى روى عنه الحاكم أبو عبد الله توفى سنة ٣٩٦ (فى المنام فقلت) له (أيها الشيخ قال دع التشييخ) أى اترك الدعاء بلفظ المشيخة (قلت) له أين (تلك الاحوال التى شاهدتها) فيك (فقال) لى (لم تغن عنا) شيأ (فقلت مافعل الله بك قال غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز) بضمتين جمع عاجز يعنى بهم العوام من الناس فاجيبهم عنها نقله القشيرى سماعا عن أبى سعيد الشحام وفيه دلالة على فضيلة المفتى للعوام فيما يحتاجون الى معرفة الاحكام (وقال أبو بكر) محمد بن محمود بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن القاسم النيسابورى (الرشيدى) الفقيه رحمه الله (رأيت) ربانى هذه الامة (محمدا) بن أسلم (الطوسى المعلم) من الطوس على مرحلتين من نيسابور (فى النوم فقال لى قل لابى سعيد الصفار المؤدب

وكنا على أن لانحول عن الهوى * فقد وحياة القلب حلتم وماحلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له) أى لابى سعيد (فقال لى) انى (كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة) نقله القشيرى فى الرسالة سماعا عن أبى بكر الرشيدى ومعنى البيت كنا متعاهدين على أن لانتغير عن الحب فقد حلتم عن الهوى وماحلنا عنه فقوله فقد داخلة على حلتم وقوله وحياة القلب قسم معترض بينهما وفى بعض نسخ الرسالة بعد هذا البيت

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ماهكذا كنا

لعل الذى يقضى الامور بعلمه * سيجمعنا بعد الممات كما كنا

(وقال ابن راشد) هو محمد بن راشد المكحولى الخزاعى الدمشقى نزيل البصرة روى له الاربعة (رأيت عبد الله) (ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت) له (أليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المنامات (وقال الربيع بن سليمان) المرادى (رأيت) محمد بن ادريس (الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت) له يا أبا عبد الله (ماصنع الله بك قال اجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب) رواه ابن عساكر فى التاريخ والبيهقى فى المناقب (ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كان مناديا ينادى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن أبى الحسن البصرى على أهل زمانه) ولفظ الرسالة ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى الا ان الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض (وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى) نسبة الى عمل الدقيق وبيعه (رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا فقالوا

أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني أرشدك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة

قالت يا أبت قد قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة الغلام في حائط البيت يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين نعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رحمة الله عليه دهمني في هذه الايام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع ان آخذ الا ما أعطيتني ولا أتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في

أويس القرني) التابعي الزاهد المعروف (فاتبعته فقلت) له (أوصني رحمك الله فكلح في وجهي) أي عبس (فقلت مسترشد لا متعنت فارشدني أرشدك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند [illegible] واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال أبو بكر) ابن عبد الله (بن أبي مريم) الغساني الشامي وقد ينسب الى جده قيل اسمه بكير وقيل [illegible] ضعيف مات سنة ست وخمسين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي [illegible]) له (ما فعلت يا ورقاء) وما فعل بك (قال نجوت بعد كل جهد) أي مشقة (قلت فأي الاعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال يزيد بن نعامة) الضبي أبو عودة البصري تابعي روى عن أنس مقبول روى له الترمذي (هلكت جارية في الطاعون الجارف) الذي كان وقع بالبصرة وكان عظيما سمي بالجارف لكونه جرف الناس بأجمعهم فلم يبق منهم الا القليل وهو من أعظم طواعين الاسلام (فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب الي من الدنيا وما فيها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال بعض أصحاب عتبة) بن أبان (الغلام) هو قدامة بن أيوب العتكي قال (رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك قال فلما أصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة الغلام في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين أنعمت الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو زرعة حدثنا هارون حدثنا سيار قال حدثني قدامة بن أيوب العتكي وكان من أصحاب عتبة الغلام قال رأيت عتبة في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوة [illegible] ساقه وفيه ذا الخطر اليسير والذنب العظيم والباقي سواء (وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم) بن صهيب الواسطي مات سنة احدى ومائتين وقد جاوز التسعين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له) رواه البيهقي في الزهد من رواية عبد العزيز بن أبي رواد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا رسول الله أوصني فقال من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات وقد تقدم ذلك ورواه الديلمي من رواية محمد بن سوقة عن الحرث عن علي به مرفوعا وسنده ضعيف (وقال) محمد بن ادريس (الشافعي رحمة الله عليه دهمني في هذه الايام أمر أمضني) أي أقلقني وآلمني (ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتني ولا أتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في

عافية) قال (فلما أصبحت أعدت ذلك) أي كررته (فلما ترحل النهار) أي ارتفع (أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه) من الشدة (فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها) رواه البيهقي في المناقب وقد بقي على المصنف رحمه الله تعالى مما أورده القشيري في هذا الباب من الرسالة ما لفظه وسمعت الاستاذ أبا علي يقول تعوّد شاه الكرماني السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق سبحانه وتعالى في النوم فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له في ذلك فقال رأيت سرور قلبي في منامي * فأحببت التنعس والمناما

وقال بعضهم في النوم معان ليست في اليقظة منها انه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالحين في النوم ولا يراهم في اليقظة وكذلك يرى الحق في النوم وهذه مزية عظيمة وقيل رأى أبو بكر الآجري الحق سبحانه وتعالى في المنام فقال سل حاجتك فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال أنا أولى بهذا منك سل حاجتك [illegible] اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شانه الله وقال [illegible] رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت ادع الله تعالى أن لا يميت قلبي فقال قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله الا أنت فانه لا يموت قلبك ويكون قلبك حيا أبدا ورأى الحسن بن علي رضي الله عنه عيسى بن مريم عليه السلام فقال اني أريد أن أتخذ خاتما فما الذي أكتب عليه فقال اكتب عليه لا إله الا الله الملك الحق المبين فانه آخر الانجيل وروي عن أبي يزيد انه قال رأيت ربي في المنام فقلت كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال وقيل رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال يا أحمد كل الناس يطلبون مني الا أبا يزيد فانه يطلبني وقال يحيى بن سعيد القطان رأيت ربي في المنام فقلت يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لي فقال يا يحيى اني أحب أن أسمع صوتك وقال بشر بن الحرث رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت يا أمير المؤمنين عظني فقال ما أحسن عطف الاغنياء على الفقراء طلبا لثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله فقلت يا أمير المؤمنين زدني فقال

قد كنت ميتا فصرت حيا * وعن قريب تصير ميتا

عز بدار الفناء بيت * فابن لدار البقاء بيتا

قلت وأخرجه ابن عساكر في التاريخ عن أبي يزيد البسطامي قال رأيت علي بن أبي طالب في النوم فقلت يا أمير المؤمنين علمني كلمة تنفعني فساقه وفيه تواضع بدل عطف وفيه ثقة بما عند الله وفيه قلت زدني ففتح كفه فاذا فيها مكتوب بماء الذهب فذكر البيتين والبيت الثاني فابن بدار البقاء بيتا * واهدم بدار الفناء بيتا

ثم قال القشيري سمعت الاستاذ أبا علي يقول رأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان الزجاجي يقول بوعيد الابد فقال له ما فعل الله بك فقال الزجاجي الامر ههنا أسهل مما كنا نظنه ورؤي الحسن بن عاصم الشيباني في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وايش يكون من الكريم الا الكرم ورؤي حبيب العجمي في المنام فقيل له ما فعل الله بك يا حبيب العجمي فقال هيهات هيهات ذهبت العجمة وبقيت في النعمة وقيل دخل الحسن البصري مسجد البصرة لصلاة المغرب فوجد امامه حبيبا العجمي فلم يصل خلفه لانه خاف أن يلحن لعجمة في لسانه فرأى في المنام تلك الليلة قائلا يقول له لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك سمعت أبا بكر بن اشكيب يقول رأيت الاستاذ أبا سهل الصعلوكي في النوم على حالة حسنة فقلت يا استاذ بم وجدت هذا قال بحسن ظني بربي ورؤي ذو النون المصري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا فاعطاني البعض وأرجو أن يعطيني الباقي كنت أسأله أن يعطيني من العشرة التي على يد رضوان واحدا ويعطيني بنفسه وأن يعذبني عن الواحد الذي بيد مالك بعشرة ويقول هو وأن يرزقني أن أذكره بلساني الابدية وقيل رؤي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى الا على شيء واحد قلت وما لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لي وأي خسارة أعظم من خسران لقائي وقال الناجي اشتهيت شيأ فرأيت في المنام قائلا يقول أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد وقال ابن

عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها

الجلاء دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت الى القبر وقلت أنا ضيفك فغفوت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أعطاني رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف الآخر وقال بعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لز وروا ابن عوف فانه يحب الله ورسوله سمعت منصورا المغربي يقول رأيت شيخا في بلاد الشام كبير الشان وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لى ان أردت ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له رزقك الله الحور العين فانه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل انه رأى شيأ من الحور في منامه فبقي في قلبه شئ من ذلك فضيت اليه وسلمت عليه وقلت رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معي وقيل روى الليلة التي مات فيها مالك ابن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلا يقول ألا ان مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة قال ورأيت الاستاذ أبا على في المنام فقلت له مافعل الله بك فقال ليس للمغفرة ههنا كبير خطر أقل من حضرها ههنا خطرا فلان أعطى كذا وكذا ووقع لى في المنام ان ذلك الانسان الذى عناه قتل نفسا بغير حق وقيل لما مات كرز بن وبرة رأى في المنام كان أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل ماهذا فقالوا ان أهل القبور كسوا لباسا جددا بيضا لقدوم كرز عليهم وحكى عن بعضهم انه كان يقول ابدا العافية العافية فقيل له مامعنى هذا الدعاء فقال كنت حمالا في ابتداء أمرى وكنت حملت يوما صدرا من الدقيق فوضعته لاستريح فكنت أقول يارب لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما فاذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسى بشئ أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهي فجاء صاحب الربع وأخذهما فلما رآنى ملوثا بالدم أخذنى فظن انى ممن تشاجر فادخلني في السجن فبقيت فيه مدة أوتى كل يوم رغيفين فرأيت ليلة في المنام انك سألتني الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسألني العافية فانتبهت وقلت العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل أين عمر الحمال وأخرجوني وخلوا سبيلي وحكى عن الكتاني انه قال كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له ألا تعالجها فقال عزمت أن لا أعالجها حتى تبرأ قال فرأيت في المنام كان قائلا يقول لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لاخرجناهم من النار وقال البناجى قيل لى في المنام من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه وسمحت نفسه في نفقته وقلت وساوسه في صلاته وقيل رأى يزيد الرقاشي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقرأ عليه فقال هذه القراءة فاين البكاء وقال الجنيد رأيت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما ما الصدق فقلت الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ثم صعدا وقال على بن الموفق كنت أفكر يوما في سبب عيالي والفقر الذى بهم فرأيت في المنام رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك فلما كان وقت الغلس أتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال خذها اليك ياضعيف اليقين وقال الجنيد رأيت في المنام كأني واقف بين يدى الله تعالى فقال لى يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذى تقول فقلت لا أقول الاحقا قال صدقت وحكى عن ابي عبد الله بن خفيف قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه قال لى من عرف طريقا الى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذابا لم يعذب به أحدا من العالمين وقال أبو عثمان المغربي رأيت في المنام كان قائلا يقول لى يا أبا عثمان اتق الله في الفقراء ولو بقدر سمسمة وقيل كان بعضهم يقول في دعائه اللهم الشئ الذى لا يضرك وينفعنا لاتمنعه عنا فرأى في المنام كأنه قيل له فانت فالشئ يضرك ولا ينفعك فدعه وحكى عن أبي الفضل الاصبهاني انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يارسول الله سل الله تعالى أن لا يسلبني الايمان فقال ذلك شئ قد فرغ الله منه وروى عن سمالك بن حرب انه قال كف بصرى فرأيت في المنام كان قائلا يقول لى ائت الفرات فانغمس فيه وافتح عينك قال ففعلت فابصرت وقيل روى بشر الحافي في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال لما رأيت ربي عز وجل قال لى مرحبا يابشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الارض أحب الى منك اه نص القشيري في الرسالة وقد تركت منها بعض أشياء تقدم للمصنف ذكرها فيما سبق ومما نقلته من تاريخ ابن عساكر أخرج فيه عن أبي بكر الفزاري قال بلغني ان بعض اخوان أحمد بن حنبل رآه في النوم فقال يا أحمد مافعل الله بك فقال أوقفني

بين يديه وقال لي يا أحمد صبرت على الضرب ان قلت ولم تتغير ان كلامي منزل غير مخلوق وعزتي لاسمعنك كلامي الى يوم القيامة فأنا أسمع كلام ربي عز وجل وعن محمد بن عوف قال رأيت محمد بن المصفى الحمصي في النوم فقلت الام صرت قال الى خير ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين فقلت يا أبا عبد الله صاحب سنة في الدنيا وصاحب سنة في الآخرة فتبسم الي وعن محمد بن مفضل قال رأيت منصور بن عمار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه وقال لي كنت تخلط ولكن قد غفرت لك لانك كنت تحببني الى خلقي قم فمجدني بين ملائكتي كما كنت تمجدني في الدنيا فوضع لي كرسي فمجدت الله بين ملائكته ومن طريق أبي الحسن الشعراني قال رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال قال لي أنت منصور بن عمار قلت بلى يا رب قال أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك ولكني ما اتخذت مجلسا الا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك وثلثت بالنصيحة لعبادك قال صدق ضعوا له كرسيا يمجدني في سمائي كما مجدني في أرضي بين عبادي وعن سليم بن منصور بن عمار قال رأيت أبي في المنام فقلت ما فعل بك ربك قال قربني وأدناني وقال لي يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك قلت لا يا الهي قال انك جلست للناس يوما مجلسا فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبته له وعن سلمة بن عفان قال رأيت وكيعا في المنام فقلت له ما صنع بك ربك قال أدخلني الجنة قلت بأي شيء قال بالعلم وعن أبي يحيى مستملي ابن همام قال رأيت أبا همام في المنام وعلى رأسه قناديل معلقة فقلت يا أبا همام ماذا نلت هذه القناديل قال هذا بحديث الحوض وهذا بحديث الشفاعة وهذا بحديث كذا وهذا بحديث كذا وعن أبي الربيع الزهراني قال حدثني جار لي قال رأيت ابن عون في النوم فقلت ما صنع الله بك قال ما غربت الشمس من يوم الاثنين حتى عرضت على صحيفتي وغفر لي وكان مات يوم الاثنين وعن أبي عمرو الخفاف قال رأيت محمد بن يحيى الذهلي في النوم فقلت ما فعل بك ربك فقال غفر لي قلت فما فعل علمك قال كتب بماء الذهب ورفع في عليين وعن الاستاذ أبي الوليد قال رأيت أبا العباس الاصم في المنام فقلت ماذا انتهى حالك أيها الشيخ فقال أنا مع أبي يعقوب البويطي والربيع بن سليمان في جوار أبي عبد الله الشافعي نحضر كل يوم ضيافته وعن سهيل القطعي أخي حزم قال رأيت مالك بن دينار بعد موته فقلت له ماذا قدمت به على الله قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله وعن امرأة من أهل اليمن قالت رأيت رجاء بن حيوة في النوم فقلت ألم تمت قال بلى ولكن نودي في أهل الجنة ان تلقوا الجراح بن عبد الله وذلك قبل ان يأتي خبر الجراح ثم جاء نعي الجراح فحسب فوجدته استشهد باذربجان ذلك اليوم وعن عقبة بن أبي حكيم عن امرأة من بيت المقدس قالت كان رجاء بن حيوة جليسا لنا وكان نعم الجليس فمات فرأيته بعد شهر فقلت الام صرتم قال الى خير ولكنا فزعنا بعدكم فزعة ظننا ان القيامة قد قامت قلت وفيم ذلك قال دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها وعن الاصمعي عن أبيه قال رأى رجل في المنام جريرا الشاعر فقال له ما فعل بك ربك قال غفر لي قال بماذا قال بتكبيرة كبرتها في ظهر ماء بالبادية قال فما فعل أخوك الفرزدق قال انما أهلكه قذف المحصنات وعن ثور بن يزيد الشامي قال رأيت الكميت بن يزيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي ونصب لي كرسيا وأجلسني عليه وأمر بانشاد طربت فلما بلغت الى قولي

حنانيك رب الناس من ان يغرني * كما غرهم شرب الحياة المصرد

قال صدقت يا كميت انه ما غرك ما غرهم فقد غفرت لك بصدقك في صفوتي من بريتي وخيرتي من خليقتي وجعلت لك بكل منشد أنشد بيتا من مدحك آل محمد رتبة أرفعها لك في الآخرة الى يوم القيامة وعن ابن الشعشاع المصري قال رأيت أبا بكر النابلسي أحد من قتله بنو عبيد على السنة بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة فقلت له ما فعل الله بك فقال حباني مالكي بدوام عزه ووعدني بقرب الانتصار وأدناني اليه وقال انعم بعيش في جواري وعن عبد الرحمن بن مهدي قال رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال لم يكن الا ان وضعت في اللحد ووقفت بين يدي الله فحاسبني حسابا يسيرا ثم أمر بي الى الجنة فبينا أنا بين رياحينها وأشجارها لا أسمع حسا ولا

حركة فاذا بصوت يقول يا سفيان بن سعيد هل تعلم انك آثرت الله على نفسك فقلت اى والله فأخذتنى صوانى
النثار من كل جانب وعن أحمد بن حنبل قال رأيت الشافعى فى النوم فقلت مافعل الله بك قال غفر لى وتوجنى
وزوجنى وقال لى هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكبر فيما أعطيتك وعن اسمعيل بن ابراهيم الفقيه قال رأيت
الحافظ أبا أحمد الحاكم فى النوم فقلت أى الفرق أكثر نجاة عندكم فقال أهل السنة وعن خيثمة بن سليمان
قال رأيت عاصما الاطرابلسى أحد الغزاة فى النوم بعدما توفى فقلت ايش حالك يا أبا على فقال انا لا نكنى بعد
الموت ولم يجبنى بغير هذا فقلت ايش حالك يا عاصم والام صرت قال صرت الى رحمة واسعة والى جنة عالية قلت
بماذا قال بكثرة جهادى فى البحر وعن مالك بن دينار قال رأيت مسلم بن يسار فى النوم فقلت ماذا لقيت بعد الموت
قال لقيت أهوالا وزلازل عظاما شدادا قلت فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منى الحسنات
وعفا عنى السيآت وضمن لنا التبعات وعن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى قال رأيت أبا جعفر محمد بن جرير
الطبرى فى النوم فقلت كيف رأيت الموت قال مارأيت الاخيرا قلت كيف رأيت هول المطلع قال مارأيت الاخيرا
فقلت ان ربك بك حفى اذ كرنا عند ربك قال يا أبا على تقول اذ كرنا عند ربك ونحن نتوسل بكم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن حبيش بن بشر قال رأيت يحيى بن معين فى المنام فقلت مافعل الله بك قال قربنى وأعطانى
وأدنانى وحبانى وزوجنى ثلثمائة حوراء وأدخلنى عليه مرتين فقلت بماذا فأخرج شيأ من كمه وقال بهذا يعنى
الحديث وعن سليمان العمرى قال رأيت أبا جعفر يزيد بن القعقاع القارى فى النوم فقال اقرأ اخوانى منى
السلام واخبرهم ان الله جعلنى من الشهداء الاحياء المرزوقين واقرأ أبا حازم السلام وقل له يقول لك أبو جعفر
الكيس الكيس فان الله وملائكته يتراؤن مجالسك بالعشيات وعن زكريا بن عدى قال رأيت ابن المبارك فى
النوم فقلت ماصنع الله بك قال غفر لى برحلتى وعن محمد بن فضيل بن عياض قال رأيت ابن المبارك فى النوم فقلت
أى العمل وجدت أفضل قال الامر الذى كنت فيه قال الرباط والجهاد قال نعم وعن عبد العزيز قال رأيت أبى فى
النوم بعد موته فقلت أى الاعمال وجدت أفضل قال الاستغفار يابنى وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال رأيت
الخليفة المتوكل فى النوم فقلت مافعل الله بك قال غفر لى قلت غفر لك وقد عملت ماعملت قال نعم بالقليل من السنة
التى أظهرتها وعن عبد الله بن صالح الصوفى قال رؤى بعض أصحاب الحديث فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال
غفر لى قيل باى شئ قال بصلاتى فى كتبى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يزيد بن نعامة قال رأى رجل
ميتا فقال له الميت يافلان أخبر الناس ان وجه عامر بن قيس يوم القيامة مثل القمر ليلة البدر وعن عبد الرحمن بن
زيد بن أسلم قال رأيت أبى فى المنام وعليه قلنسوة طويلة فقلت له مافعل الله بك قال زيننى بزينة العلم قلت فاين
مالك بن أنس قال مالك فوق فوق فلم يزل يقول فوق فوق ويرفع رأسه حتى سقطت القلنسوة من رأسه وعن يحيى بن
اسمعيل المحاملى قال رأيت القاشانى فى النوم فقلت مافعل الله بك فاومأ الى انه نجا بعد شدة قلت فما تقول فى أحمد
ابن حنبل قال غفر الله له قلت فبشر الحافى قال تجيئه الكرامة من الله فى كل يوم مرتين وعن عاصم الحربى قال
رأيت فى المنام كأنى دخلت درب هشام فلقينى بشر الحافى فقلت من أين قال من عليين قلت مافعل أحمد بن حنبل
قال تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدى الله يأكلان ويشربان ويتنعمان قلت فانت
قال علم الله قلة رغبتى فى الطعام فاباحنى النظر اليه وعن أبى جعفر السقاء قال رأيت بشرا الحافى ومعروفا
الكرخى فى النوم كانهما جائيان فقلت من أين فقالا من جنة الفردوس وقد زرنا موسى كليم الرحمن عز وجل
وعن القاسم بن منبه قال رأيت بشرا الحافى فى النوم فقلت مافعل الله بك قال غفر لى وقال لى يابشر قد غفرت لك
ولكل من تبع جنازتك فقلت يارب ولكل من أحبنى قال ولكل من أحبك الى يوم القيامة وعن أحمد الدورقى
قال مات جارلى فرأيته فى النوم وعليه حلتان فقلت ايش قصتك قال دفن فى مقبرتنا بشر الحافى فكسى أهل المقبرة
حلتان حلتان وعن حجاج بن الشاعر قال رؤى بشر الحافى فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى وقال يابشر
ماعبدتنى على قدر مانوهت باسمك وعن رجل انه رأى بشرا فى النوم فقال مافعل الله بك قال غفر لى وقال لى

يابشر لو سجدت لي على الجمر ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي وعن محمد بن خزيمة قال لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غما شديدا فبت ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت يا أبا عبد الله أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني والبسني نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك ان القرآن كلامي ثم قال لي يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا فقلت يا رب كل شيء فقال هيه فقلت بقدرتك على كل شيء فقال لي صدقت فقلت لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء قال قد فعلت ثم قال يا أحمد هذه الجنة فقم فادخل اليها بسلام فدخلت فاذا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة الى نخلة و يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فقلت له ما فعل عبد الوهاب الوراق قال تركته في بحر من نور في زلال من نور يزار به الملك الغفور فقلت فما فعل بشر الحافي فقال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل و بين يديه مائدة من الطعام والجليل يقبل عليه ويقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم يتنعم في دار الدنيا وعن دلف بن أبي دلف العجلي قال رأيت أبي في المنام في دار وحشة وعرة سوداء الحيطان واذا في أرضها أثر الرماد واذا أبي عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم دلف قلت نعم اصلح الله الامير فانشأ يقول

ابلغن أهلها ولا تخف عنهم * ما لقينا في البرزخ الخناق
قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا * فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمت قلت نعم ثم أنشأ يقول

فلو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * فنسئل بعده عن كل شي

انصرف قال فانتبهت وعن الاصمعي عن أبيه قال رأيت الحجاج في المنام فقلت ما فعل الله بك قال قتلني بكل قتلة قتلت بها انسانا ثم رأيته بعد حول فقلت ما صنع الله بك فقال اما سألت عن هذا عام أول وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت في النوم جيفة ملقاة فقلت ما هذا قالوا انك ان كلمته كلمك فوكزته برجلي فرفع رأسه الي وفتح عينيه فقلت له من أنت قال أنا الحجاج قدمت على الله فوجدته شديد العقاب فقتلني بكل قتلة قتلة وها أنا ذا موقوف بين يدي الله انتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم اما الى جنة واما الى نار وعن أبي الحسين قال رأيت فيما يرى النائم كأني أدخلت موضعا واسعا واذا رجل على السرير قاعد و بين يديه رجل يقلي قلت من هذا القاعد قيل ان ذا يزيد النحوي وهذا أبو مسلم يعني الخراساني صاحب الدعوة يقلي بين يديه قلت فما حال ابراهيم الصائغ قال ذاك في أعلى عليين من يصل اليه وعن أحمد بن عبد الرحمن المعبر قال رأيت صالح بن عبد القدوس ضاحكا مستبشرا فقلت ما فعل بك ربك وكنت أتخوف مما كنت ترمى به من الزندقة قال اني وردت على رب لا تخفى عليه خافية فاستقبلني برحمته وقال قد علمت براءتك مما كنت ترمى به وعن بعض المكيين قال رأيت سعيد بن سالم القداح في النوم فقلت من أفضل من في هذه المقبرة قال صاحب هذا القبر قلت بم فضلكم قال انه ابتلي فصبر قلت ما فعل فضيل بن عياض قال هيهات كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها وعن أبي الفرج غيث بن علي الارمنازي قال رأيت أبا الحسن العاقولي المقري في النوم في هيئة صالحة فسألته عن حاله فذكر خيرا قلت أليس قد مت قال بلى قلت فكيف رأيت الموت قال حسن أو جيد وهو مستبشر قلت غفر لك ودخلت الجنة قال نعم قلت فاي الاعمال أنفع قال ما ثم شيء أنفع من الاستغفار أكثر منه وعن الحسن بن قريش الحراني قال رأيت أبا جور الامير في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي قلت بماذا قال بضبطي لطرق المسلمين وطريق الحاج وعن أبي نصر بن ماكولا قال رأيت في المنام كاني اسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة فقيل لي ذاك يدعى في الجنة الامام وعن عبد الله بن صالح قال رؤي أبو نواس في المنام وهو في نعمة كبيرة فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي واعطاني هذه النعمة قيل و بماذا وقد كنت مخلطا قال جاء بعض الصالحين الى المقابر في ليلة من الليالي فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة قل هو الله أحد و جعل ثوابهما لاهل المقابر فغفر الله لاهل المقابر عن آخرهم فدخلت أنا في جملتهم وعن محمد بن

نافع قال قال رأيت أبا نواس وأنا بين النائم واليقظان فقلت أبو نواس قال لات حين كنية قلت الحسن بن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بابيات قلتها هي تحت الوسادة فاتيت أهله فرفعت الوسادة فاذا برقعة فيها مكتوب

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم

ادعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل عفوك ثم اني مسلم

وعن أبي بكر الاصبهاني قال رؤي أبو نواس في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بابيات قلتها في النرجس

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك

عيون في لجين فاخرات * واحداق كالذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك

وعن عبدان بن محمد المروزي قال مات يعقوب بن سفيان الحافظ فرأيته في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي وأمرني أن أحدث في السماء كما كنت أحدث في الارض فحدثت في السماء الرابعة فاجتمع على الملائكة واستملى على جبريل وكتبوا باقلام من ذهب وعن أبي عبيد بن حربويه ان رجلا حضر جنازة السري السقطي فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال ما فعل الله بك قال غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي قال فاني ممن حضر جنازتك وصلى عليك فاخرج درجا فنظر فيه فلم ير فيه اسمه فقال بلى قد حضرت قال فنظر فاذا اسمه في الحاشية وعن أبي القاسم ثابت بن أحمد بن الحسين البغدادي قال رأيت أبا القاسم سعد بن محمد الزنجاني في النوم يقول لي مرة بعد أخرى يا أبا القاسم ان الله عز وجل يبني لاهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتا في الجنة وعن محمد بن مسلم بن دارة قال رأيت أبا زرعة في المنام فقلت له ما حالك قال أحمد الله على الاحوال كلها اني أحضرت فوقفت بين يدي الله تعالى فقال لي يا عبيد الله لم تذرعت في القول في عبادي قلت يا رب انهم حاولوا دينك قال صدقت ثم أتي بطاهر الخلقاني فاستعديت عليه الحربي فضرب به الحد مائة ثم أمر به الى الحبس ثم اطلقوا عبيد الله باصحابه بابي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وعن حفص بن عبد الله قال رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة قلت بم نلت هذا قال كتبت بيدي الف ألف حديث أقول فيها على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وعن يزيد بن مخلد الطرسوسي قال رأيت أبا زرعة بعد موته يصلي في السماء الدنيا بقوم عليهم ثياب بيض وعليه ثياب بيض وهم يرفعون أيديهم في الصلاة فقلت يا أبا زرعة من هؤلاء قال الملائكة قلت باي شيء أدركت هذا قال برفع اليدين في الصلاة فقلت ان الجهمية قد آذوا أصحابنا بالري قال اسكت فان أحمد بن حنبل قد سد عليهم الماء من فوق وعن أبي العباس المرادي قال رأيت أبا زرعة في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال لقيت ربي فقال لي يا أبا زرعة اني أوتى بالطفل فآمر به الى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي فتبوأ من الجنة حيث شئت انتهى ما اخترته من تاريخ ابن عساكر ومما انتقيته من كتاب المنامات لابن أبي الدنيا أخرج عن شهر ابن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراء له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات الصعب فرآه عوف في المنام فقال ما فعل بك قال غفر لي بعد المشاق قال ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت ما هذه قال عشرة دنانير أسلفتها من فلان اليهودي فهي في قرني والقرن محركة جعبة النشاب فاعطوه اياها واعلم انه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي الا قد لحق بي خبره حتى هرة ماتت منذ أيام واعلم ان بنتي تموت الى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا قال عوف فلما أصبحت أتيت أهله فنظرت الى القرن فانزلته فاذا فيه عشرة دنانير في صرة فبعثت الى اليهودي فقلت له هل كان لك على صعب شيء فقال رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه قال هي والله باعيانها

فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت الصعب قالوا نعم حدث فينا كذا احدث فينا فمازالوا يذكرون حتى ذكروا موت الهرة قلت أين ابنة أخي قالوا تلعب فسستها فاذا هي محمومة فقلت استوصوابها معروفا فماتت لستة أيام

وعن محمد بن النضر الحارثي قال رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين ليت شعري الى أي الحالات صرت بعد الموت قال يا مسلمة هذا أوان فراغي والله ما استرحت الى الآن قلت فاين أنت قال أنا مع أئمة الهدى في جنات عدن وعن أبي بكر الخياط قال رأيت كاني دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان واذا أنا بمحفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجيء فقلت يا محفوظ ما صنع بك ربك أوليس قدمت قال بلى ثم قال

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم في الناس احياء

وعن سلمة البصري قال رأيت بزيع بن مسور العابد في منامي وكان كثير الذكر لله كثير الذكر للموت طويل الاجتهاد قلت كيف رأيت موضعك قال

وليس يعلم ما في القبر داخله * الا الاله وساكن الاجداث

وعن بشر بن المفضل قال رأيت بشر بن منصور في النوم فقلت له يا أبا محمد ما صنع بك ربك قال وجدت الامر أهون مما كنت أحمل على نفسي وعن حفص المرهبي قال رأيت داود الطائي في منامي فقلت أبا سليمان كيف رأيت خير الآخرة قال رأيت خير الآخرة كثيرا قلت فماذا صرت اليه قال صرت الى خير والحمد لله قلت فهل لك من علم بسفيان بن عيينة فقد كان يحب الخير وأهله قال فتبسم ثم قال رقاه الخير الى درجة أهل الخير وعن عتبة ابن حمزة عن أبيه قال لقيت عمتي في المنام فقلت كيف أنت قالت بخير قد وفيت عملي حتى أعطيت ثواب خلاط أطعمته والخلاط اللبن بالبقل وعن عبد الملك الليثي قال رأيت عامر بن قيس في النوم فقلت ماوجدت قال خيرا قلت أي العمل وجدت أفضل قال كل شيء أريد به وجه الله عز وجل وعن أبي عبد الله الجري قال مات عم لي فرأيته في النوم وهو يقول الدنيا غرور والآخرة للعاملين سرور ولم نر شيأ مثل اليقين والنصح لله وللمسلمين لا تحقرن من المعروف شيأ واعمل عمل من يعلم انه مقصر وعن الاصمعي قال رأيت شيخا من البصريين من أصحاب يونس بن عبيد وقد مات فقلت من أين أقبلت قال من عند يونس الطبيب قلت من يونس الطبيب قال الفقيه اللبيب قلت ابن عبيد قال نعم قلت وأين هو قال في مجالس الارجوان مع الجواري الابكار قرت عيناه بصحة تقواه وعن ميمون الكردي قال رأيت عروة البزاز في النوم بعد موته فقال ان لفلان السقاء على درهما وهو في كوة في بيتي فخذه وادفعه اليه قال فلما أصبحت لقيت السقاء فقلت له لك عند عروة شيء فقال نعم درهم فدخلت بيته فوجدت الدرهم في الكوة فدفعته الى السقاء وعن رجل من أهل الكوفة قال رأيت سويد بن عمرو الكلبي في النوم بعد ما مات في حال حسنة قلت يا سويد ما هذه الحال الحسنة قال اني كنت أكثر من قول لا اله الا الله فاكثرمنها ثم قال ان داود الطائي ومحمد بن النضر الحارثي طلبا أمرا فادركاه وعن ابراهيم بن المنذر الحزامي قال رأيت الضحاك بن عثمان في النوم فقلت ما فعل بك ربك قال في السماء تمار يد من قال لا اله الا الله تعلق بها ومن لم يقلها هوى وعن محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال رأى رجل ابن عائشة التميمي في النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفرلي بحبي اياه وعن السري بن يحيي عن والان بن عيسى عن رجل من قزوين وكان من الصالحين قال اغترني القمر ليلة فخرجت الى المسجد فصليت وسبحت ودعوت فغلبتني عيناى فرأيت جماعة اعلم انهم ليسوا بالآدميين بايديهم اطباق عليها أربعة أرغفة ببياض الثلج فوق كل رغيف در امثال الرمان فقالوا كل فقلت اني أريد الصوم قال يأمرك صاحب هذا البيت ان تأكل فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقيل لي دعه نغرسه لك شجرا ينبت لك خيرا من هذا قلت أين قال في دار لا تخرب وثمر لا يتغير وملك لا ينقطع وثياب لا تبلى فيها رضوى وعيناء وقرة عين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يتغيرن فعليك بالانكماش فيما أنت فيه فانما هي غفوة حتى ترتاح فتنزل الدار قال فما مكث الا جمعتين حتى توفي قال السري فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي ألا تعجب من شجر غرس لي يوم حدثتك وقد حمل قلت حمل ماذا قال لا تسأل ما لا يقدر على صفته أحد لم نر مثل الكريم اذا حل به

مطيع وعن اسمعيل بن عبد الله بن ميمون قال رأيت على بن محمد بن عمران بن أبي ليلى فى النوم فقلت أى الاعمال وجدت أفضل قال المعرفة قلت ما تقول فى الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فقال قال انى أبغض المباهاة وعن بعض أصحاب مالك بن دينار انه رأى مالك بن دينار فى النوم فقال ما صنع الله بك قال خير الم نر مثل العمل الصالح لم نر مثل الصحابة الصالحين لم نر مثل السلف الصالح لم نر مثل مجالس الصالحين وعن عبد الوهاب بن يزيد الكندى قال رأيت أبا عمر الضرير فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى ورحمنى قلت فاى الاعمال وجدت أفضل قال ما أنتم عليه من السنة والعلم قلت فاى الاعمال وجدت شرا قال احذر الاسماء قلت وما الاسماء قال قدرى ومعتزلى ومرجئ فجعل يعد أسماء أصحاب الاهواء وعن أبى بكر الصيرفى قال مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويرى رأى جهم فاريه رجل فى النوم كانه عريان وعلى رأسه خرقة سوداء وعلى عورته أخرى فقال ما فعل الله بك قال جعلنى مع بكر القس وعون بن الاعسر وهذان نصرانيان وعن شيخ قال مات جار لى وكان ممن يخوض فى هذه الامور فرأيته فى النوم كانه أعور فقلت يا فلان ما هذا الذى أرى بك قال تنقصت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فنقصنى هذا ووضع يده على عينه الذاهبة وعن أبى جعفر المدينى قال رأيت محمود ابن حميد فى منامى وكان من العاملين وعليه ثوبان أخضران فقلت الام صرت بعد الموت فنظر الى ثم أنشأ يقول

نعم المتقون فى الخلد حقا * بجوار نواهد أبكار

قال أبو جعفر ما سمعته من أحد قبله وعن اياس بن دغفل قال رأيت أبا العلاء يزيد بن عبد الله فيما يرى النائم فقلت كيف وجدت طعم الموت قال وجدته مرا كريها قلت فاذا صرت اليه بعد الموت قال صرت الى روح وريحان ورب غير غضبان قلت فاخوك مطرف قال فاتنى بيقينه وعن المنكدر بن محمد بن المنكدر قال رأيت فى منامى كانى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الناس مجتمعون على رجل فى الروضة فقلت من هذا قيل رجل قدم من الآخرة يخبر الناس عن موتاهم فجئت أنظر فاذا الرجل صفوان بن سليم قال والناس يسألونه وهو يخبرهم فقال اما ههنا أحد يسألنى عن محمد بن المنكدر فطفق الناس يقولون هذا ابنه هذا ابنه ففرجت الناس فقلت أخبرنا رحمك الله قال اعطاه الله من الجنة كذا واعطاه كذا وارضاه واسكنه منازل فى الجنة وبوأه فلا طغى عليه ولا موت وعن أبى كريمة قال جاءنى رجل قال رأيت كانى أدخلت الجنة فانتهيت الى روضة فيها أيوب ويونس وابن عون والتيمى فقلت أين سفيان الثورى قالوا اما ترى ذاك الا كما ترى الكوكب الدرى وعن مالك بن دينار قال رأيت محمد بن واسع فى الجنة ورأيت محمد بن سيرين فى الجنة فقلت أين الحسن قالوا عند سدرة المنتهى وعن يزيد بن هرون قال رأيت محمد بن يزيد الواسطى فى المنام فقلت ما صنع الله بك قال غفر لى قلت بماذا قال بمجلس جلسه الينا أبو عمرو البصرى يوم جمعة بعد العصر فدعا وامنا فغفر لنا وعن عقبة بن أبى ثبيت قال رأيت خليد بن سعيد فى منامى بعد موته فقلت ما صنعت قال افلتنا ولم نكد قلت متى عهدكم بالقرآن قال لا عهد لنا به منذ فارقناكم انتهى نص ابن أبى الدنيا (فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الاحوال المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين) وبه انقضى ذكر الابواب الثمانية التى هى من الشطر الاول من هذا الكتاب وهذا شروع فى ذكر الشطر الثانى قال رحمه الله تعالى

(الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت)

(فى) بيان (أحوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار) أى الشدائد والامور العظيمة (وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر وأهله وصفة عرق المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المسألة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة) جهنم (وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها

فهذه من جملة المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدى الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين

(الشطر الثانى من كتاب ذكر الموت فى أحوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار) وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها

وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله
تعالى وبه ختم الكتاب ان شاء الله تعالى *(صفة نفخة الصور)* قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت وخطره فى خوف
العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك

كله الاخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه

الذى أخبره صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال ما
النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له ان يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له ان يكذبنى أما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وأما
تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى

وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله
تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب ان شاء الله تعالى) ختم الله بالصالحات أعمالنا

(صفة نفخ الصور)

اعلم أيدك الله بنور البصيرة (قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت) مما يلقاه (فى سكرات الموت وخطره فى
خوف العاقبة ثم مقاساته ظلمة القبر وديدانه) وضيقه ووحشته (ثم لمنكر ونكير وسؤالهما) وانتهارهما (ثم
لعذاب القبر وخطره ان كان معتوبا عليه وأعظم من ذلك كله الاخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث
يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط
مع رقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لابد لك من
معرفتها) أولا (ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق) العاريين عن الريب والتردد (ثم تطويل الفكر
فى ذلك لتنبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها) فمن لم يستعد لها لم تفده معرفته شيأ والاستعداد انما يحصل أولا
بمزاولة الفكر ومعاودته مرة بعد أخرى (وأكثر الناس) ان تأملت فى أحوالهم (لم يدخل الايمان باليوم
الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم) لفقدان علاماته (ويدل على ذلك شدة تشمرهم
واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها) وأى نسبة بينهما (مع ما تكتنفه) أى
تحيط به (من المصائب والاهوال نعم اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم) بانه حق (ثم غفلت عنه قلوبهم
و) أنت خبير بان (من أخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذى أخبره صدقت ثم مد يده
لتناوله كان مصدقا بلسانه مكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبى صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى شتمنى ابن آدم) هكذا بلفظ الماضى وروى بلفظ المضارع والشتم الوصف بما يقتضى النقص
وهو عموم يراد به الخصوص وهم بعض بنى آدم ممن أنكر البعث ومن ادعى ندا (وما ينبغى له ان يشتمنى) أى
لا يجوز له ان يصفنى بما يقتضى النقص (وكذبنى وما ينبغى له ان يكذبنى) أى ليس له ذلك من حق مقام العبودية
مع الربوبية (أما شتمه اياى فيقول) وفى رواية فقوله (ان لى ولدا) لاستلزامه الامكان المتداعى للحدوث وذلك
غاية النقص فى حق البارى (وأما تكذيبه) اياى (فقوله لن يعيدنا كما بدأنا) قال العراقى رواه البخارى من
حديث أبى هريرة اهـ قلت لفظ البخارى أما شتمه اياى فقوله ان لى ولدا وأنا الله الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم
يكن لى كفوا أحد وأما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون على من اعادته وهكذا
رواه أحمد والنسائى ولفظ البخارى فى تفسيره سورة البقرة من حديث ابن عباس كذبنى ابن آدم ولم يكن له
ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا أقدر ان أعيده كما كان وأما شتمه اياى فقوله لى ولد
فسبحانى ان أتخذ صاحبة أو ولدا قال الطيبى فان قيل أى الامرين أعظم قلنا كلاهما عظيم لكن التكذيب
أقدم لان المكونات لم تكون الا للجزاء فمن أنكر الجزاء لزمه العبث فى التكوين أو اعدام السموات والارض
فينتفى جميع الصفات التى أثبتها الشارع فيلزم منه التعطيل على ان الصفات الثبوتية اذا انتفت يلزم منه
انتفاء الذات وكذا السلبية وقال القاضى فى الحديث اشارة الى برهان تحقق المعاد وامكان الاعادة وهو ان
ما يتوقف عليه تحقق البدن من مواده واجزائه وصورته لو لم يكن وجوده ممكنا لما وجد أولا وقد وجد واذا أمكن
لم يمتنع لذاته وجوده ثانيا والا لزم انقلاب الممكن لذاته ممتنعا لذاته وهو محال وتنبيه على تمثيل يرشد العامى وهو

وانما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات
وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله
تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني

ما يرى في الشاهد ان من عمد الى اختراع صفة لم ير مثالها اصعب ذلك عليه وتعب وافتقر الى مكابدة أفعال ومعاونة أعوان ومرور ازمان ومع ذلك كثيرا مالا يتم له الامر ومن أراد اصلاح منكسر واعادة منهدم هان عليه فيا معشر الغواة أتحيلون اعادة أبدانكم وانكم معترفون بجواز ماهو اصعب منها بالنسبة لقدركم وأما بالنسبة لله فيستوى عنده تكوين بعوض طيار وتخليق فلك دوار وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال الطيبي ومما في التكذيب والشتم من الفظاعة والهول ان المكذب منكر الحشر يجعل الله كاذبا والقرآن الذي هو مشحون باثباته مفترى ويجعل حكمة الله في خلق السماء والارض عبثا والشاتم يحاول ازالة المخلوقات باسرها ويزاول تخريب السموات من أصلها تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا (وانما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور) فانه (لقلة الفهم لامثال تلك الامور) وعدم الفهم بها (ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف) في الامور (لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) فيه تسلية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة الجحود والقدرة على ماهو أهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لامزيد عليها وهي خلقه من أخس شئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه (وقال تعالى) ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين أي بقدرتنا أو على الاعادة وقال تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي مهملا لا يكلف ولا يجازى (ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) أي قدره فعدله (ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها وأسهل منها) كما مر في الحديث المتقدم وليس أول الخلق باهون عليه من اعادته (وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار وتشتغل بالتشمر) والتهيؤ (للعرض على الجبار) جل جلاله (وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون) منها (دفعة واحدة) كما نطق به القرآن (فتوهم نفسك وقد وثبت) من القبر (مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا) أي متحيرا (من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور) يعني المرة الاولى (فصعق من في السموات ومن في الارض) أي خر ميتا أو مغشيا عليه (الامن شاء الله) سيأتي قريبا (ثم نفخ فيه أخرى) أي نفخة أخرى (فاذا هم قيام) أي قائمون من قبورهم أو متوقفون (ينظرون) أي يقلبون أبصارهم من الجوانب كالمبهوتين و ينظرون ما يفعل بهم وأشار الى النفخة الاولى بقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهذه النفخة عندها خراب العالم (وقال تعالى فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور) أي الصور فعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت (فذلك يومئذ يوم

يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها وأسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من

شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير

وقال تعالى و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم
يرجعون ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن

وصدق المرسلون فلولم يكن بين يدى الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والارض يعنى يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص بصره تحت العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات والارض أى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث

عسير) على الكافرين غير يسير (وقال تعالى و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ماينظرون) ماينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون فى معاملاتهم لايخطر ببالهم أمرها (فلا يستطيعون توصية) عن شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (ونفخ فى الصور) أى مرة ثانية (فاذاهم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يسرعون (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) فيه رمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا ابعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث لو أرسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال (فلولم يكن بين يدى الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والارض يعنى يموتون بها) أو يغشى عليهم وبكل منهما فسرت الآية (الا من شاء الله وهو) أى المستثنى (بعض الملائكة) قيل جبريل وميكائيل واسرافيل وانهم لايموتون بعد وقيل حملة العرش كما سيأتى قريبا (ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة) أى امالها (وأصغى بالاذن) ليسمع (متى يؤمر) بالنفخ (فينفخ) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ ان صاحبى القرن بايديهما أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفى رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه اه قلت حديث أبى سعيد رواه أيضا سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ فى العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث والضياء فى المختارة بزيادة قالوا يارسول الله كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ورواه أحمد أيضا والطبرانى من حديث زيد بن أرقم وأحمد أيضا والطبرانى فى الاوسط والحاكم والبيهقى من حديث ابن عباس ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وأبو الشيخ فى العظمة من حديث أبى هريرة والباوردى من حديث الارقم بن الارقم وقال كذا فى كتابى ولا أدرى من أو من حدثنى وقال أو زيد بن أرقم ورواه أيضا من حديث أنس وروى الخطيب من حديث أنس بلفظ كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى ظهره ينظر تجاه العرش كان عينيه كوكبان دريان لم يطرف قط مخافة ان يؤمر من قبل ذلك وأما لفظ ابن ماجه فرواه كذلك البزار وابن مردويه وقد روى نحو ذلك من حديث ابن عمر النافخان فى السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ينتظران متى يؤمران فينفخان رواه أحمد والحاكم (قال مقاتل) بن سليمان بن بشير الازدى البلخى أبو بسطام صدوق فاضل روى له أبو داود فى كتاب المسائل له (الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الارض أى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث) قوله الصور هو القرن هكذا قد روى مرفوعا من حديث ابن عمر ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه رواه ابن المبارك فى الزهد وعبد بن حميد والترمذى وحسنه والنسائى وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث وابن مردويه وقد روى نحو ذلك

عن

عن ابن مسعود عند عبد بن حميد ومسدد وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال الصور مع اسرافيل وفيه أرواح كل شئ تكون فيه فينفخ فيه نفخة الصعقة فاذا نفخ فيه نفخة البعث قال الله عز وجل ابرجعن كل روح الى جسده قال ودارة منها أعظم من سبع سموات ومن الارض واسرافيل شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فينفخ فى الصور واختلف فى المستثنى من الصعق فقيل جبريل وميكائيل وملك الموت رواه ابن مردويه من حديث أنس وقيل زيادة على هؤلاء الثلاثة اسرافيل وحملة العرش رواه الفريابى وابن جرير من حديث أنس أيضا وقيل موسى عليه السلام لانه صعق قبل رواه ابن المنذر عن جابر وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة فأكون أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان فيمن استثنى الله وقال عكرمة الا من شاء الله هم حملة العرش رواه عبد بن حميد وابن المنذر وقيل الا من شاء الله هم الشهداء ثنية الله رواه أبو يعلى والدارقطنى فى الافراد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى من حديث أبى هريرة ورواه سعيد بن منصور وهناد عن سعيد بن جبير أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنى عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ عن النور على بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا عبد الرحمن بن أبى بكر الحافظ أخبرنى عبد الرحمن بن أحمد الفخرى قراءة على أبى الحسن الدمشقى ان أبا العباس الصالحى أخبره عن جعفر بن على عن الحافظ أبى طاهر السلفى قال اخبرنا محمد بن الحسن اخبرنا أحمد بن عبد الله المحاملى أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعى قال حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسمعيل بن رافع بن زياد عن محمد ابن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يارسول الله وما الصور قال القرن قلت كيف هو قال عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله فيسير الله الجبال فتمر كمر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة فى البحر تضربها الامواج أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجرجه الارواح فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا فبينما هم كذلك تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشئ من ذلك قلت فمن استثنى الله فى قوله الا من شاء الله قال اولئك الشهداء فيمكثون فى ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول ملك الموت قد مات أهل السماء والارض الا من شئت فيقول الله وهو أعلم فمن بقى فيقول أى رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتوا ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله تعالى أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد طوى السماء والارض كطى السجل للكتاب وقال أنا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار ويبدل الله الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل ما كانوا فيه من الاولى فمن كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر

السماء ان تمطر فتمطر أربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعا ثم يأمر الله الاجساد ان تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم وكانت لحما كما كانت قال الله تعالى ليحيى حملة العرش فيحيون ويأمر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل ثم يدعو الله بالارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها فى الصور ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله ليرجع كل روح الى جسده فتدخل الارواح فى الخياشيم ثم تمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وأنا أول من تنشق عنه الارض الحديث بطوله فى نحو ثلاثة أوراق أخرجه هكذا بطوله عبد بن حميد وعلى بن معبد فى كتاب العصيان والطاعة وابن جرير فى تفسيره والطبرانى فى الطوالات وأبو يعلى فى مسنده وأبو الحسن القطان فى الطوالات وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى البعث ومداره على اسمعيل بن رافع وهو قاص أهل المدينة وتكلم فيه بسبب هذا الحديث وفى بعض سياقه نكارة وقيل انه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقا واحدا ورواه عنه الوليد بن مسلم وعبدة بن سليمان ومكى بن ابراهيم وآخرون واختلف عليه فيه فقيل عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن رجل عن أبى هريرة ومنهم من أسقط الرجل ومنهم من زاد رجلا من الانصار بين ابن زياد وابن كعب غير الرجل المبهم وقال أبو موسى المدينى هذا الحديث وان كان فى اسناده من تكلم فيه فالذى فيه يروى مفرقا فى أسانيد ثابتة والله أعلم وروى الفريابى وابن جرير وابن مردويه من حديث أنس اذا قبض الله أرواح الخلائق قال الملك الموت من بقى وهو أعلم فيقول سبحانك ربى بقى اسرافيل فيقول خذ نفس اسرافيل فيقول يا ملك الموت من بقى فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول يا ملك الموت من بقى فيقول سبحانك ربى يا ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وهو من الله بالمكان الذى هو به فيقول يا جبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام أنت الباقى وجبريل الميت الفانى فيأخذ روحه فى الخلقة التى يخلق فيها زاد ابن مردويه ثم ينادى أنا بدأت الخلق ثم أعيده فاين الجبارون المتكبرون فلا يجيبه أحد ثم ينادى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله الواحد القهار ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة ينفخ فى الصور والصور كهيئة القرن فصعق من فى السموات والارض وبين النفختين أربعون عاما يمطر الله فى تلك الاربعين مطرا فينبتون من الارض كما ينبت البقل وروى ابن المبارك عن الحسن قال بين النفختين أربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حى والثانية يحيى الله بها كل ميت روى أبو الشيخ فى العظمة عن ابى بكر الهذلى قال ان ملك الصور الذى وكل به احدى قدميه لفى الارض السابعة وهو جاث على ركبتيه شاخص بصره الى اسرافيل ما طرف منذ خلقه ينتظر متى يشير اليه فينفخ فى الصور وروى أيضا عن وهب بن منبه قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء فى صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم كن فكان اسرافيل فامره ان يأخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة وفى وسط الصور كوة كاستدارة السماء والارض واسرافيل واضع فمه على تلك الكوة ثم قال له الرب قد وكلتك بالصور فانت للنفخة والصيحة فلم يطرف منذ خلقه الله لينظر ما يؤمر به

(وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة) قال العراقى لم أجده هكذا بل قد ورد ان اسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى فى التاريخ وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخارى ولم يصح وفى رواية لابى الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة ان يؤمر قبل ان يرتد اليه طرفه كان عينيه كوكبان دريان واسنادها جيد انتهى

وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة

قلت

فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظار المايقضى عليهم من سعادة أو شقاوة

وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المنعمين فاولئك

الارض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع واصغرهم وأحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لاترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض

قوله بل رواه عبد بن حميد في تفسيره من حديث ابن عمر بلفظ لما بعث الى بعث الى صاحب الصور فاخذه فاهوى بيده الى فيه فقدم رجلا وأخر رجلا متى يؤمر فينفخ فاتقوا النفخة وأما حديث ماطرف صاحب الصور الخ فرواه أيضا الحاكم وصححه وابن مردويه (فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظار المايقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم) ومن جملتهم (منكسرا كانكسارهم متحيرا كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المنعمين فاولئك الارض في ذلك اليوم هم أذل أهل الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر) يشير الى مارواه أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان الحديث وقد تقدم (وعند ذلك يقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت) قال البيضاوي أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم اذا أجحفت السنة الناس حشرتهم وقرئ بالتشديد اهـ وقال أبي بن كعب حشرت أي اختلطت وذلك اذا وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماجوا بعضهم في بعض رواه ابن أبي الدنيا في الاهوال وابن جرير وابن أبي حاتم وقال الضحاك حشرت أي ماتت رواه عبد بن حميد وروى عكرمة عن ابن عباس قال حشر البهائم موتها وحشر كل شئ الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة رواه الحاكم وصححه وقال الربيع بن خثيم حشرت أي أتى عليها أمر الله رواه سعيد بن منصور وقال قتادة ان هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضى الله فيها ما يشاء رواه عبد ابن حميد (ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله) روى الطبراني وغيره من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم ذكره قريبا وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع الحديث (تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أي قعودا على ركبهم رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وروى البيهقي في البعث من حديث عبد الله بن باباه كاني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين وقيل جثيا أي قياما رواه ابن أبي حاتم عن السدى (فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك) كيف يكون ان كنت من المتيقظين

(صفة أرض المحشر وأهله)

(ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور) من قبورهم (وهم حفاة) جمع حاف (عراة) جمع عار (غرلا) جمع أغرل وهو الاقلف (الى أرض المحشر) وهي (بيضاء) كانها درمكة (قاع صفصف) مستو (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) العوج محركة يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنصوب ونحوه وبالكسر فيما يدرك بالفكر وبصيرة وقد يكون في أرض بسيط عوج يعرف تفاوته بالبصر وروى الحاكم من طريق ورقاء بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قاعا صفصفا قال مستويا لاترى فيها عوجا أي تخفضا ولا أمتا أي مرتفعا (ولا ترى عليها ربوة) أي بقعة مرتفعة (يختفي الانسان وراءها ولا وهدة) بقعة منخفضة (ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا) أي جماعة كما قال تعالى فتأتون أفواجا (فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم) من الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور (من أقطار الارض) أي جوانبها روى الحكيم من حديث ابن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الله الخلائق الانس والجن والدواب والوحوش الحديث ومن حديث جابر تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون

لابن آدم منها الاموضع قدميه (اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي) الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي (النفخة الاولى) لانها ترجفهم وتزلزلهم عن مواضعهم (والرادفة هي) النفخة (الثانية) لانها تردفها أي تتبعها وبينهما أربعون عاما كما في حديث أبي هريرة وبه فسر قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقيل المراد بالرادفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة هي السماء والكواكب تنشق وتنتشر وماذكره المصنف هو المنقول عن أبي صالح رواه عبد بن حميد وروى أيضا عن قتادة قال هما الصيحتان أما الاولى فتميت كل شئ باذن الله تعالى وأما الاخرى فتحيي كل شئ باذن الله تعالى وروى نحوه عن الحسن وروى أبو الشيخ وابن مردويه من حديث أبي هريرة ترجف الارض رجفا وتزلزل بأهلها وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة يقول مثل السفينة في البحر تكفأ بأهلها أومثل القنديل المعلق بارجائه وروى أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقد تقدم في أول هذا الكتاب (فحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة) أي وجلة متحركة أو خائفة مضطربة من الوجيف وهو شدة الاضطراب والخفقان (ولتلك الابصار أن تكون خاشعة) أي ذليلة من الخوف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص) وفي لفظ كقرصة (النقي ليس فيها معلم لاحد) قال العراقي متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخاري قوله ليس فيها معلم لاحد فجعلها من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيها اه قلت وكذلك رواه ابن حبان في الصحيح وابن جرير وابن مردويه كلهم كرواية مسلم وروى ابن أبي حاتم عن سهل بن سعد في تفسير قوله تعالى فاذاهم بالساهرة قال أرض بيضاء عفراء كالخبزة من النقي (قال الراوي) حين سئل عن المعنى (فالعفرة) بالضم (بياض ليس بالناصع) أي الخالص هكذا قاله الخطابي وقال عياض بياض يضرب الى حمرة قليلة وقال ابن فارس معنى عفراء خالصة البياض وقال الداودي شديدة البياض كذا قال والاول المعتمد كذا في الفتح (والنقي) كامير (هو النقي) الخالص (من القشر والنخالة) ولذلك جاء تشبيهها في حديث آخر بالدرمكة وهي الخبز النقي (و) قوله (لامعلم فيها لاحد) (اى لابناء يستر ولا تفاوت يرد البصر) وهو مفعل من العلامة مصدر ميمي (ولا تظنن ان تلك الارض مثل أرض الدنيا) في الهيئة والصفة هيهات (لا تساويها الا في الاسم) فقط (قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات وفي الصفة والآية تحتملهما ويدل على الثاني ما (قال ابن عباس) رضي الله عنهما (يزاد فيها وينقص) منها (وتذهب أشجارها) وآكامها (وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي) منسوب الى عكاظ وهو موضع بالحجاز ينسب اليه السوق والاديم الجلد منسوب اليه (أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها) رواه البيهقي في البعث والنشور هكذا موقوفا على ابن عباس وقد روى نحوه من حديث ابن مسعود في تفسير هذه الآية قال أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم تعمل فيها خطيئة رواه البزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث هكذا عنه مرفوعا وروى عنه أيضا موقوفا عليه وهكذا رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وقال البيهقي في البعث والموقوف أصح وروى ابن جرير وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال أتى اليهود النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه فقال جاؤا يسألوني سأخبرهم قبل ان يسألوني يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض بيضاء كالفضة فسألهم فقالوا أرض بيضاء كالنقي وروى الشيخان وابن جرير وابن مردويه من حديث أبي سعيد تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفرة الحديث وروى ابن مردويه عن أفلح مولى

اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة الابصار ولتلك ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ومعلم أي لابناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها

أبي أيوب ان رجلا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ما الذي تبدل به قال خبزة
فقال اليهودي درمكة بأبي أنت قال فضحك ثم قال قاتل الله اليهود هل تدرون ما الدرمكة لباب الخبز وروى ابن
جرير عن سعيد بن جبير قال تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وروى البيهقي في البعث عن
عكرمة قال تبدل الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب وروى ابن جرير
عن محمد بن كعب القرظي قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم ومما يدل على القول الاول ما رواه
ابن جرير وابن مردويه عن أنس قال يبدلها الله يوم القيامة بارض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ثم ينزل
عليها الجبار عز وجل وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي قال تبدل
الارض من فضة والسماء من ذهب وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال أرض كأنها فضة
والسموات كذلك وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال بلغنا ان هذه الارض تطوى والى جنبها أخرى يحشر
الناس منها اليها وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال تغير السموات جنانا ويصير مكان البحر
نارا وتبدل الارض غيرها وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال الارض كلها نار يوم القيامة (فانظر يا مسكين
في هول اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء) كما قال تعالى
واذا الكواكب انتثرت أي تساقطت متفرقة (وطمس الشمس والقمر) كما قال تعالى واذا النجوم طمست
أي ذهب ضوءها وقال تعالى اذا الشمس كورت أي لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره
(وأظلمت الارض لخمود سراجها) وذهاب ضوئه (فبينما أنت كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم
وانشقت) بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام أو لنزول الملائكة كما قال تعالى وانشقت السماء
فهي يومئذ واهية وروى ابن أبي حاتم عن علي قال تنشق السماء من المجرة (مع غلظها وشدتها خمسمائة
عام) كما تقدم في كتاب التفكر (والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها) كما قال تعالى والملك على أرجائها أي
جوانبها وهو تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها الى أطرافها وحواليها (فيا هول صوت
انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة
تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال فكانت وردة يقول حمراء مثل
الدهان قال هو الاديم الاحمر وروى ابن جرير عنه قال كالدهان يقول تغير لونها وروى الفريابي وسعيد بن
منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال مثل لون الفرس الورد وروى عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك
قال حمراء كالدابة الوردة وروى عبد بن حميد عن أبي الجوزاء فكانت وردة كالدهان قال وردة الجبل
كالدهان قال لصفاء الدهن وروى أبو الشيخ في العظمة عن عطاء قال لون السماء كلون دهن الورد في الصفرة
وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال هي اليوم خضراء كما ترون وان لها يوم
القيامة لونا آخر وروى محمد بن نصر عن لقمان بن عامر الحنفي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشاب وهو يقرأ
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف فاقشعر وخنقته العبرة فجعل يبكي ويقول ويلي من يوم
تنشق فيه السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما أتى فوالذي نفسي بيده لقد بكت الملائكة من بكائك
(وصارت السماء كالمهل) الرصاص المذاب وروى السدي عن مرة عن ابن مسعود قال السماء تكون
ألوانا تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتشقق فتكون حالا بعد حال (وصارت الجبال
كالعهن) الصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال ألوان مختلفة فاذا نسفت وتطيرت في الهواء أشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح (واشتبك الناس كالفراش المبثوث) أي المنتشر في الجو وكل ذلك في القرآن (وهم
عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم
الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس
ابن عبد شمس القرشية العامرية وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رواه

فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث

ابن اسحق وهي التي جعلت يومها وليلتها لعائشة توفيت سنة أربع وخمسين في قول الواقدي (قلت يارسول الله
واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال) صلى الله عليه وسلم (شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن
يغنيه) قال العراقي رواه الثعلبي والبغوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهي القائلة واسوأتاه اهـ قلت
و روى أيضا الطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث وأما حديث عائشة قال أبو بكر بن أبي داود
في كتاب البعث حدثنا محمد بن مصفى عن بقية بن الوليد قال حدثني الزبيري عن الزهري عن عروة عن عائشة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قالت عائشة يارسول الله فكيف بالعورات
قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وأخرجه الشيخان من طريق حاتم بن أبي صغيرة عن عبد الله بن أبي
مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة و رواه كذلك الحاكم وابن مردويه و روى ابن جرير وابن المنذر وابن
مردويه عن أنس أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كيف يحشر الناس قال حفاة عراة
قالت واسوأتاه قال انه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا قالت أي آية هي قال لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه و روى الطبراني في الاوسط بسند صحيح من حديث أم سلمة يحشر الناس يوم القيامة عراة
حفاة فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف
فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل و روى ابن مردويه من حديث ابن عمر يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم
أمهاتهم حفاة عراة غرلا قالت عائشة ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بابصارهم
الى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون وفي رواية لمسلم قالت عائشة يارسول الله النساء
والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال ياعائشة الامر أشد من ان ينظر بعضهم الى بعض وكذلك رواه الحاكم
والبيهقي وعند الطبراني من حديث سهل بن سعد يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قيل يارسول الله ينظر
الرجال الى النساء فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ومن حديث الحسن بن علي يحشر الناس يوم القيامة
حفاة عراة قالت امرأة يارسول الله فكيف يرى بعضنا بعضا قال ان الابصار يومئذ شاخصة و روى عبد بن حميد
والترمذي والحاكم وصححاه وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث ابن عباس يحشرون حفاة عراة غرلا
فقالت زوجته أينظر بعضنا الى عورة بعض فقال يافلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه و روى الشيخان
من طرق عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوعظه فقال انكم محشورون عراة غرلا فاول الخلائق يكسى ابراهيم و روى ابن مردويه من حديث ابن عمر
يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلا قالت عائشة ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس
يومئذ عن النظر وسموا بابصارهم الى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون و روى أحمد وأبو
يعلى والخرائطي في مساوي الاخلاق والطبراني والحاكم والضياء من حديث عبد الله بن أنيس الانصاري
يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة عراة غرلا بهما قالوا وما بهما قال ليس معهم شئ ثم يناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان و يكون القصاص بالحسنات والسيئات (فاعظم بيوم
تنكشف فيه العورات و يؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات) لشغلهم عن ذلك (كيف و بعضهم يمشون على
بطونهم و وجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف
يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم) قال العراقي رواه الترمذي
وحسنه وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذي
أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة اهـ قلت لفظ الترمذي يحشر الناس يوم
القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم
قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب

قلت يارسول الله واسوأتاه أينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات و يؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم

وشوك

في طبع الآدمي انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها

فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة

(صفة العرق) ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب

وشولو رواه كذلك أحمد وأما حديث أنس فرواه كذلك البخاري عن عبيد الله بن محمد ومسلم عن زهير بن حرب وغيرهم كلهم عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس رواه الشاشي عن عبد بن حميد عن يونس به وفي حديث أبي ذر ان الناس يحشرون على ثلاثة أفواج فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشر الناس من ورائهم رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي من رواية أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر وهم ثلاثة صحابيون (وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عاريا) عن اللباس (مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة)

(صفة العرق)

وهو محركة ما سال من بدن الانسان مما تخرج فوهات العروق ومسامها قال ابن فارس ولم يسمع له جمع (ثم تفكر) يا مسكين (في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع و) أهل (الارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير) أولهم وآخرهم بحيث لا يشذ منهم أحد (فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها) واشتد وهجها (وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين) كناية عن كمال القرب يقال انها تكون منهم على ميل كما سيأتي وقد روى نحو هذا السياق عن سلمان رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل قال سلمان حتى يقول الرجل غرغر (فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون) أضاف الظل الى العرش لانه محل الكرامة والا فالشمس وسائر العالم تحت العرش في القيامة حتى تدنو الشمس من رؤس الخلائق روى ابن المبارك في الزهد عن سلمان قال بعد ان ساق كل ماذكر قريبا ولا يضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان كما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم (فمن بين مستظل بالعرش) وهم أصناف ذوو خصال متعددة كما وردت به الاخبار وقد جمعها الحافظ ابن حجر في أماليه ثم أفردها بكتاب سماه معرفة الخصال الموصلة الى الظلال ثم ألف في ذلك بعده الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي ومجموعها نحو تسعين خصلة (وبين مضح لحر الشمس قد صهرته) أي أحرقته (بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها) محركة هو شدة اللهيب (ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام) حتى انه ما ملك أحد منهم الا موضع قدميه كما جاء في الخبر (وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء) واحتراق القلوب (من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء) جل جلاله (فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق) أي سال (من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة) وهو موقفهم (ثم ارتفع الى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر) رضي الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب

العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد

العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه) قال العراقي متفق عليه قلت ورواه كذلك مالك وهناد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه ورواه البخاري أيضا وابن ماجه بلفظ يقوم أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم) كلاهما (في الصحيح) هو كما قال وفي لفظ ذراعا بدل باعا وفي آخره حتى يبلغ (وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدي لا أظن انه كان يتعمد الكذب لكن لعله يشبه عليه اهـ قلت ورواه البيهقي في البعث بلفظ اذا حشر الناس قاموا أربعين عاما شاخصة أبصارهم الى السماء لا يكلمهم الله والشمس على رؤسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر ورواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة عن ابن مسعود موقوفا عليه ومن حديث أبي هريرة نحوه قلت وحديث أبي هريرة هو الاقرب لسياق المصنف من حديث ابن مسعود رواه البيهقي في البعث ولفظه يحشر الناس قياما شاخصة أبصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب (وقال عقبة بن عامر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه) هو تفسير لما أشار به يعني انه جعل يده في فيه كما يجعل اللجام في الفم (ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا) قال العراقي رواه أحمد وفيه ابن لهيعة اهـ قلت هذا السياق هو للحاكم وأما سياق أحمد المشار اليه فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه ومنهم من يبلغ الى نصف الساق ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ حلقه ومنهم من يلجمه ومنهم من يغمره وكذلك رواه الطبراني والحاكم أيضا من وجه آخر وقد روى ذلك من حديث أبي أمامة والمقدام بن معدي كرب والمقداد بن الاسود أما حديث أبي أمامة فرواه أحمد وابن منيع والطبراني تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منه الهوام كما تغلي القدور على الاثافي يعرقون منها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ كعبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ومنهم من يلجمه العرق والهوام جمع هامة وهي قمة الرأس وأما حديث المقدام بن معدي كرب فرواه الطبراني في الكبير تدنو الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من الناس على قدر ميلين ويزاد في حرها فيصهرهم فيكونوا في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه العرق الى كعبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما وأما حديث المقداد فرواه مسلم تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وهذا ظاهر في انهم يستوون في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله منهم فان قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل والالف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع قلت يجوز أن تقام بنفسها دانية من الناس في الحشر ليقوى هوله وكربه وقال ابن أبي هبيرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبياء والشهداء ومن شاء الله فاشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم (فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار) فيود أن يذهب الى النار ولا يصطلي بنار الانتظار ومن هنا قولهم الوقوع في البلاء ولا الانتظار فيه وقولهم الانتظار أشد من النار وروى أبو يعلى وابن حبان وصححه والطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب أرحني ولو الى النار وهذا صريح في ان ذلك كله في الموقف (وكل ذلك ولم يلقوا بعد

حسابا

حسابا ولا عقابا) ولم يظهر لهم عاقبة الامر (فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق) وما أظن الا أنه يلجمك الجاما الا أن يتداركك الله بعفوه (واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف) غدا (فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب) وتشتد المشقة (ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم شديد) كربه (طويلة مدته) واليه يشير قوله تعالى ليوم عظيم

(صفة طول يوم القيامة)

(يوم يقف فيه الخلائق) بأجمعهم جنهم وانسهم وملائكتهم ودوابهم ووحوشهم (شاخصة أبصارهم) الى السماء (منفطرة قلوبهم) من الخوف والرعب (لا يكلمون) ولا يخاطبون (ولا ينظر فى أمورهم يقفون) فى ذلك الصعيد الواسع (ثلاثمائة عام) كما فى الخبر الآتى (لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة) وهم فى شغل عن ذلك كما مر ذلك فى حديث ابن عمر (ولا يجدون فيه روح نسيم) ولا ولى حميم (قال كعب) الاحبار (وقتادة) ابن دعامة البصرى رحمهما الله تعالى فى قوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين قال) كل منهما (يقومون مقدار ثلاثمائة عام) أما قول كعب فرواه ابن المنذر بزيادة لا يؤذن لهم بالقعود وأما قول قتادة فرواه عبد بن حميد بلفظ سنة بدل عام وقد روى نحو هذا عن حذيفة قال يقوم الناس على أقدامهم يوم القيامة مقدار ثلاثمائة سنة رواه ابن مردويه وروى ابن مردويه من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغفارى كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا لا يأتيهم خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر قال بشير المستعان بالله يا رسول الله الحديث ورواه ابن النجار فى تاريخه بلفظ آخر يأتى ذكره قريبا (حتى قال عبد الله بن عمر) هكذا فى النسخ وفى بعضها عبد الله بن عمرو (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية) يعنى قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم) قال العراقى انما هو عبد الله بن عمرو رواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبى حاتم راويا غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى أربعة هذا أحدهم مصرى والثلاثة الآخرون شاميون اه قلت وكذلك رواه أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى البعث وعن عبد الرحمن بن ميسرة المصرى يكنى أبا ميسرة مقبول مات سنة ثمان وثمانين وله سبعون سنة ولم يخرج له فى الستة شئ وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى أبو سلمة الحمصى مقبول أيضا روى له أبو داود وابن ماجه وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى أبو شريح مجهول روى عنه شئ من كلامه فى التفسير وعبد الرحمن بن ميسرة الكلبى أو الحضرمى أبو سليمان الدمشقى مقبول وهذان لم يرو لهما شئ فى الستة وروى ابن النجار فى تاريخه من حديث أبى هريرة أن رجلا كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مقعد يقال له بشير ففقده فذكر الحديث وفيه فكيف بيوم مقداره خمسون ألف سنة يوم يقوم الناس لرب العالمين وروى أحمد فى الزهد عن القاسم بن أبى بزة قال حدثنى من سمع ابن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين قال بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة وروى الطبرانى عن ابن عمرو انه قال يا رسول الله كم تقام الناس بين يدى رب العالمين يوم القيامة قال ألف سنة لا يؤذن لهم وروى ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم عن عبد الله بن العيزار قال ان الاقدام فى يوم القيامة كمثل النبل فى القرن والسعيد من وجد لقدمه موضعا وروى النقاش من رواية ابن مسعود عن على بن أبى طالب ان فى القيامة خمسين موقفا كل موقف منها ألف سنة الحديث بطوله وفيه عجائب واسناده مظلم (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى يصف أهوال ذلك اليوم (ما ظنك فى يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود

وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته *(صفة طول يوم القيامة)* يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود

منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه لا علم لكون الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا للتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

(صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه)

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب قد من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض

منهم مالا طاقة لهم به طلب بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن لهم فيه لاعلم لكون الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) رواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي بعضه مرفوعا في حديث الشفاعة (فتأمل) يامسكين (في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي) والمخالفات (في عمرك) القصير (المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا) قال العراقي رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ابن لهيعة ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث بدل ابن لهيعة وهو حسن ولابي يعلى من حديث أبي هريرة باسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى أن تغرب ورواه البيهقي في الشعب الا انه قال أظنه رفعه بلفظ ان الله ليخفف على من يشاء من عباده طول ذلك اليوم كوقت صلاة مفروضة اهـ قلت حديث أبي سعيد رواه أيضا أحمد وابن جرير وابن حبان والضياء في المختارة بلفظ من صلاة مكتوبة وروى أحمد في الزهد عن القاسم بن أبي بزة عمن سمع عمر يقول يهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلي الشمس من الغروب حتى تغرب وروى ابن المنذر عن كعب فاما المؤمن فيهون عليه كالصلاة وروى عبد بن حميد عن قتادة يخفف الله ذلك اليوم ويقصره على المؤمن كمقدار نصف يوم أو كصلاة مكتوبة وروى ابن مردويه عن حذيفة قال يهون ذلك اليوم على المؤمن كقدر الصلاة المكتوبة (فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك واعمل في أيام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة) بالهلالي يزيد منها نحو مائتين سنة (فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا للتخلص من يوم مقداره خمسون ألفا لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا)

(صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه)

(فاستعد يامسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه) الشديد هوله وحسابه وجزاؤه (القريب أوانه) لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا لانه آت وكل آت قريب (يوم ترى السماء فيه قد انفطرت) أي انشقت (والكواكب من هوله قد انتثرت) أي وقعت متفرقة (والنجوم الزواهر) أي المضيئة (قد انكدرت) أي تغيرت ألوانها (والشمس قد كورت) أي لفت كما تلف العمامة أو لف ضوءها فذهب أثره أو ألقيت مجتمعة (والجبال قد سيرت) عن وجه الارض أو في الجو (والعشار قد عطلت) جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وعطلت أي تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر (والوحوش قد حشرت) أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم (والبحار قد سجرت) أي أججت وأحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه (والنفوس الى الابدان قد زوجت) أي قرنت بها أو المعنى قرن كل منها بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (والجحيم قد سعرت) أوقدت ايقادا شديدا (والجنة قد أزلفت) قربت من المؤمنين (والجبال قد نسفت) أي جعلت كالرمل حتى صارت قاعا مستويا (والارض قد مدت) بسطت بان تزال جبالها وآكامها (يوم ترى الارض

قد زلزلت فيه زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة (وأخرجت الارض أثقالها) ما في جوفها من الدفائن والاموات (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة) أي بسطتا بسطة واحدة يقال اكمة دكاء أي منبسطة (فيومئذ وقعت الواقعة) أي حدثت القيامة سميت واقعة لتحقق وقوعها (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي يومئذ واهية) أي ضعيفة (والملك على أرجائها) أي أطرافها وجوانبها (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الارض السفلى والارضون والسموات الى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل بالتسبيح كما ورد ذلك في الخبر (يومئذ تعرضون) على ربكم لاجل الحساب (لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال) أي تقلع من الارض فتجعل هباء منثورا (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها (يوم ترج الارض رجا) أي تحرك تحركا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل (وتبس الجبال بسا) أي تفتت حتى تصير كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو تساق وتسير من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) في كثرتهم وانتشارهم واضطرابهم (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف ذي الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو (يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت) الذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود ان هولها بحيث اذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت (وتضع كل ذات حمل حملها) أي جنينها (وترى الناس سكارى) أي كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم (يوم تبدل الارض غير الارض) اما في الذات أو في الصفات وقد تقدم (والسموات) غير السموات (وبرزوا لله الواحد القهار) في أرض المحشر لاجل الحساب (يوم تنسف فيه الجبال نسفا) أي تصير كالرمل فتنسفه الريح (فتترك قاعا صفصفا) مستويا (لا ترى فيها عوجا) وهدة (ولا أمتا) ولا ارتفاعا (يوم ترى الجبال تحسبها جامدة) أي ثابتة قارة (وهي تمر مر السحاب) في سرعة مروره (يوم تنشق فيه السماء) بالغمام (فتكون وردة) صفراء (كالدهان) الاديم الاحمر أي على هيئة لونه (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم لا يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففي يحاسبون في المجمع (يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجرام) جمع جرم بالضم وهو الذنب (بل يؤخذ بالنواصي والاقدام) مجموعا بينهما أو يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام أخرى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت) من خير أو شر (وتشهد ما قدمت) من عمل أو صدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع (يوم تخرس فيه الالسن) بعد ان كانت فصاحا (وتنطق الجوارح) وأول من ينطق منها الفخذ كما ورد في الخبر (يوم شيب ذكره سيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (اذ قال له) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه أراك قد شبت يا رسول الله قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) رواه الترمذي وقال حسن غريب والحاكم من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا عنه عن أبي بكر وعند الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة واذا الشمس كورت وقد تقدم الكلام عليه مفصلا (فيا أيها القارئ العاجز انما حظك من قراءتك أن تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه) متأملا

ولا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم ترج الارض فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر الحساب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت

وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق رضي الله عنه أراك قد شبت يا رسول الله قال شيبتني هود وأخواتها وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا أيها القارئ العاجز انما حظك من قراءتك ان تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرؤه

فيما في باطن ألفاظه من المعاني (لكنت تجد ريا بان تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن عبد الله بن بحير عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت ورواه الترمذي عن عباس العنبري عن عبد الرزاق به وحسنه وقال روى هشام بن يوسف وغيره هذا الحديث بهذا الاسناد ولم يذكروا اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت (وأكثر من أساميها) وصفاتها في مواضع منه متعددة (لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه أولي الالباب) وتذكيرهم بها ليتنبهوا ويدركوا معانيها (فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى) غريب (فاحرص على معرفة معانيها) ان كنت من أولي الالباب المتنبهين (ونحن الآن نجمع لك أساميها وهي يوم القيامة) وهو أشهر أسمائها وقد ذكره الله تعالى في كتابه بهذا الاسم في مواضع كثيرة ومنها سورة مخصوصة بهذا الاسم وانما سميت بها لمفتتحها ولقوله يسأل أيان يوم القيامة ولاشتمالها على بيان هول القيامة وهيبتها او بيان اثبات البعث وتأثير القيامة في أعيان العالم والوعد باللقاء والرؤية والخبر عن حال السكرة والرجوع الى برهان القيامة وتقرير القدرة على بعث الاموات وأصل القيامة قوامة قلبت الواو ياء جوازا مع الكسرة والتاء للصفة سمي اليوم بها لان الناس يقومون فيه أي ينتصبون لرب العالمين فلا يؤذن لهم بالقعود وقال المناوي القيامة عبارة عن قيام الساعة وأصلها ما يكون من الانسان دفعة واحدة (ويوم الحسرة) لان الناس يتحسرون فيه فالمسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه (ويوم الندامة) لانهم يندمون فيه على ما فاتهم من الاعمال الصالحة والحسرة الغم على ما فات والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه وعبر بعضهم بقوله الحسرة بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيرا لا موضع فيه لزيادات التلهف والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت وقيل هو أن يلوم نفسه على تفريط وقع منه وقيل غم يصحب الانسان يتمنى ان ما وقع منه لم يقع (ويوم المحاسبة) وهو مفاعلة من الحساب وهو استيفاء الاعداد فيما للمرء وعليه فهم يحاسبون فيه أعمالهم على القليل والكثير (ويوم المساءلة) مفاعلة من السؤال وهو استدعاء معرفة أو ما يؤدي الى معرفة فهم يسألون فيه عن كل شيء جليل وحقير (ويوم المسابقة) مفاعلة من السبق لانهم بعد فراغهم من الحساب يتسابقون الى مراتبهم (ويوم المناقشة) مفاعلة من النقش وهو التدقيق في الحساب فهم يدقق عليهم في كل قليل وكثير (ويوم المنافسة) مفاعلة من النفس وحقيقتها مجاهدة النفس باللحوق الى درجات الصالحين (ويوم الزلزلة) أي الاضطراب فان الجبال والارضين تضطرب فيه فتزول عن مواضعها (ويوم الدمدمة) سمي بذلك لانه يدمدم عليهم العذاب فيه أي يطبق من قولهم ناقة مدمدمة اذا كبسها السمن (ويوم الصاعقة) لانه يصعق من في السموات والارض (ويوم الواقعة) ولا يقال الا في الشدة والمكروه وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد نحو اذا وقعت الواقعة أي القيامة (ويوم القارعة) سمي باسم الساعة أو الحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار (ويوم الراجفة) سمي باسم الساعة أو الحالة وهي النفخة التي ترجف الناس والاجرام أي تزلزلهم عن مواضعهم (ويوم الرادفة) سمي باسم النفخة الثانية فانها تردف الاولى أي تتبعها وبينهما أربعون سنة كما تقدم (ويوم الغاشية) سمي باسم الساعة أو الحالة التي تغشى الناس بشدائدها (ويوم الداهية) التي تدهى الناس بشدائدها وهي النائبة والنازلة والجمع الدواهي وهي اسم فاعل من دهاه الامر يدهاه اذا نزل به (ويوم الآزفة) بالمد سمي باسم الساعة القريبة لدنوها وقربها ازفت الآزفة أي دنت القيامة وقد أزف الرحيل كتعب أزفا وأزوفا دنا وقرب (ويوم الحاقة) بتشديد القاف سمي باسم الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الامور أي تعرف حقيقتها أو تقع فيه حواق الامور من

الحساب

لكنت تجد ريا بان تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه أولي الالباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميها وهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المساءلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة

الحساب والجزاء على الاسناد المجازى (ويوم الطامة) بتشديد الميم يقال طم الماء طموما غمر وطم الاناء ملأه والركية دفنها وسوّاها والشئ كثر وعلا وسميت القيامة طامة لذلك (ويوم الصاخة) بتشديد الخاء وهى فى الاصل شدة صوت ذى النطق صخ يصخ صخا سميت القيامة به لانهم يصخون فيه لشدة اضطرابهم واختلاطهم (ويوم التلاق) وهو تفاعل من اللقى لانهم يلاقى بعضهم فيه بعضا (ويوم الفراق) لانهم يفارقون فيه مألوفاتهم (ويوم المساق) لانهم يساقون فيه الى المحشر (ويوم القصاص) لانهم يقاصون فيه حتى تقتص الشاة القرناء من الشاة الجماء (ويوم التناد) بتخفيف الدال لانهم ينادون فيه بعضهم بعضا لشدة اضطرابهم (ويوم الحساب) وهو ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه (ويوم المآب) أى المرجع لانهم يرجعون فيه الى الله أو يرجعون الى احدى الدارين الجنة أو النار (ويوم العذاب) وهو كل عقوبة مؤلمة واستعير للامور الشاقة فانهم يعاقبون فيه بقدر معاصيهم (ويوم الفرار) لانه يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه (ويوم القرار) لانهم يستقرون فيه اما فى جنة أو فى نار (ويوم اللقاء) لانهم يلاقون فيه ربهم (ويوم البقاء) لانهم يثبتون فيه على أحوالهم التى قرروا فيها (ويوم القضاء) لانه يقضى فيه وينفذ الامر المقدر (ويوم الجزاء) لانهم يجازون فيه باعمالهم (ويوم البلاء) وهو الشدة والامتحان لانهم يمتحنون فيه ويشتد عليهم الامر فيه (ويوم البكاء) لانهم يبكون فيه على أنفسهم حسرة وندامة (ويوم الحشر) لانه يحشر فيه الخلق باجمعهم الى الصعيد الواسع (ويوم الوعيد) لانه يحقق فيه ايعادهم بالشر وينجز (ويوم العرض) لانه تعرض فيه أعمالهم على الله تعالى ويوصف بالاكبر فيقال يوم العرض الاكبر (ويوم الوزن) لانه توزن فيه أعمالهم بالميزان (ويوم الحق) لانه يحق فيه العذاب والثواب أو تحق فيها الامور أى تعرف حقيقتها (ويوم الحكم) لان الله تعالى يحكم فيه بحكمه لامعقب لحكمه ولاراد له (ويوم الفصل) لانه تفصل فيه الاحكام (ويوم الجمع) لانه يجمع فيه الاولون والآخرون (ويوم البعث) لانه تبعث فيه الارواح فتدخل فى الاجسام (ويوم الفتح) لانه يزال فيه الانغلاق والاشكال فتنكشف الامور على حقيقتها (ويوم الخزى) لانه تظهر فيه القبائح التى يستحيا من اظهارها عقوبة فيلحق بذلك الغم والانكسار والهوان (ويوم عظيم) لعظم هوله وحسابه وجزائه (ويوم عسير) لعسره وشدته (ويوم الدين) أى يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الامور فيه (ويوم اليقين) لانه تظهر فيه الحقائق ظهورا لايحتمال الشك فيه (ويوم النشور) لانه تنشر فيه الاجسام من القبور الى الموقف (ويوم المصير) أى المرجع الى الله تعالى (ويوم النفخة) لانه ينفخ فيه الصور (ويوم الصيحة) لان الله تعالى يأمر اسرافيل فى النفخة الاولى أن يمدها ويطولها فلا يفتر وهو الذى يقول الله فيه ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق كما فى خبر أبى هريرة (ويوم الرجفة) أى الاضطراب الشديد ترجف فيه الجبال والارضون (ويوم الرجة) ترج فيه الارض باهلها فتميد الناس على ظهرها (ويوم الزجرة) لان الملائكة تزجر فيه العصاة والمذنبين (ويوم السكرة) لانه تسكر فيه العقول لشدة هوله (ويوم الفزع) لما يعترى لهم فيه من الانقباض والخوف ويقال يوم الفزع الاكبر (ويوم الجزع) لما يعترى لهم فيه من الحزن الذى يصرفهم عما هم بصدده ويقطعهم عنه (ويوم المنتهى) لانه ينتهى فيه الامر الى الله تعالى (ويوم المأوى) أى المرجع اما الى الجنة أو الى النار (ويوم الميقات) أى الوقت وهو مقدار من الزمان مفروض لامر ما فهو ميقات مقدر له غاية (ويوم الميعاد) وهو يكون زمانا ومكانا (ويوم المرصاد) لانه يرتقب فيه وينتظر لما يحل من الثواب والعقاب (ويوم الغلاق) محركة لانه تغلق فيه الامور وتتغير الاحوال ويبدل السرور بالوحشة والوحشة بالسرور (ويوم العرق) محركة لانه تسيل فيه الاعراق فتجتمع تحت القدمين وتفور الى فوق فمنهم من يوسطه ومنهم من يغمره كما فى الخبر السابق (ويوم الافتقار) لانه يظهر فيه شدة الاحتياج الى المعين والشفيع (ويوم الانكدار) لانه تنكدر فيه النجوم أى تتغير لونها (ويوم الانتشار) لانه تنتشر فيه النجوم أى تتساقط على الارض مبددة (ويوم الانشقاق) لانه تنشق فيه

ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزى ويوم عظيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم الغلاق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق

السموات لنزول الملائكة (ويوم الوقوف) لانهم يقفون فيه أربعين يوما لا يؤذن لهم بالقعود (ويوم الخروج) أي البروز من مقارهم وهي القبور (ويوم الخلود) أي البقاء اما في الجنة أو في النار (ويوم التغابن) سمي به لظهور الغبن في المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله وقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وقوله الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فعلموا انهم قد غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الاشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا وقيل سمي بذلك لان أهل الجنة تغبن أهل النار (ويوم عبوس) أي شديد يقال عبس اليوم اذا اشتد ومنه قولهم أعوذ بالله من ليلة بوس ويوم عبوس (ويوم معلوم) لانهم قد علموه وأخبرهم الرسل بذلك فهو لا يتقدم ولا يتأخر (ويوم موعود) قد وعد الله بذلك وهو حق (ويوم مشهود) لانه تشهده الملائكة أو لانه يشهده الاولون والآخرون (ويوم لاريب فيه) أي لاشك ولا تردد (ويوم تبلى السرائر) أي تمتحن البواطن فتنكشف على جليتها (ويوم لاتجزي نفس عن نفس شيأ) لكمال شغلهم بانفسهم (ويوم تشخص فيه الابصار) أي ترتفع نحو السماء لما يعتريهم من الذهول (ويوم لا يغني مولى عن مولى شيأ ويوم لاتملك نفس لنفس شيأ ويوم يدعون الى نار جهنم دعا) أي يدفعون اليها دفعا شديدا (ويوم يسحبون في النار على وجوههم) يتقون بوجوههم كل حدب وشوك (ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لايجزي والد عن ولده) ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) وهم الاقربون اليه فيفر منهم لشغله بما دهاه من الفزع روى أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة قال ليس شئ أشد على الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطالبه بظلامة (ويوم لا ينطقون) لغلبة الذهول عليهم (ولا يؤذن لهم) بالاعتذار (فيعتذرون) روى ابن مردويه عن عبد الله بن الصامت قال قلت لعبد الله بن عمرو أرأيت قول الله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قال ان يوم القيامة يوم له حالات وتارات في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون وفي حال يعتذرون وروى الحاكم وصححه من طريق عكرمة ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن قوله يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرؤا كتابيه قال ويحك هل سألت عن هذا أحدا قبلي قال لا قال انك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال بلى قال ان لكل مقدار يوم من الايام لونا من الالوان (يوم لامرد له من الله يوم هم بارزون) أي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شئ (يوم هم على النار يفتنون) أي يحنون (يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذر) جمع معذرة (وتبلى) فيه (السرائر) أي البواطن (وتظهر) فيه (الضمائر) أي ما أضمر وأخفى (وتكشف) فيه (الاستار يوم تخشع فيه الابصار) أي تذل لشدته (وتسكن) فيه (الاصوات) فلا تكون الا كالهمس والسرار (ويقل فيه الالتفات) الى يمين وشمال (وتبرز) فيه (الخفيات) الامور المكتوبة (وتظهر) فيه (الخطيئات) بعد ان كانت مكتوبة (يوم يساق العباد) الى العرض (ومعهم الاشهاد) جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم أعضاؤهم فانها تشهد عليهم (ويشيب) فيه (الصغير) أي يهرم (ويسكر الكبير) أي يذهل عقله كهيئة السكران ومما بقي عليه من أسمائه الساعة وهو من أشهر الاسماء وانما عبر بها عنها تشبيها بذلك لسرعة حسابها كما قال تعالى وهو أسرع الحاسبين وكما نبه عليه بقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله تعالى يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة فالاولى القيامة والثانية الوقت اليسير وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث الساعة الكبرى وهي البعث للحساب ومنه الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار وذكر أمورا لم تحدث في زمانه ولا بعده والساعة الوسطى وهي موت أهل القرن الواحد وذلك نحو ما روى انه رأى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس فقال ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة فقيل انه كان آخر من مات من الصحابة والساعة الصغرى هي موت الانسان فساعة كل انسان موته وهي المشار اليها

ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لاريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لاتجزي نفس عن نفس شيأ ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيأ ويوم لاتملك نفس لنفس شيأ ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لايجزي والد عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لامرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذر وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار يوم تخشع فيه الابصار وتسكن الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير

الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولنستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع رحمته

(صفة المساءلة)

ثم تفكر يامسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما أنت في

بقوله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا ومعلوم ان هذه الحسرة تنال الانسان عند موته كقوله لولا أخرتني الى أجل قريب وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح تغير لونه وقال تخوفت الساعة وقال ما أمد طرفي ولا أغضها الا وأظن الساعة قد قامت يعني موته صلى الله عليه وسلم والله أعلم *ومن نعوته يوم ثقيل ويوم الوعيد ويوم الوعد والخافضة والرافعة ويوم تغشى وجوههم النار ويوم ينفع الصادقين صدقهم (فيومئذ وضعت الموازين) لوزن الاعمال (ونشرت الدواوين) هي صحائف الاعمال (وبرزت الجحيم) أي أظهرت (وأغلي الجحيم) أي أوقد (وزفرت النار) أي رددت نفسها (ويئس الكفار وسعرت النيران) أي أججت (وتغيرت الالوان) الى الصفرة والزرقة والحمرة والكدرة وغيرها بحسب اختلاف الاحوال (وخرس اللسان) عن النطق (ونطقت الجوارح) فشهدت بالخير والشر (فيا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم حيث أغلقت الابواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور) وشققت ستر الديانة ولا يخفى حالك على الخالق (فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك) وأبرز وامنك كل ما سترته (فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله تعالى لنا سيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (وينزل عليه الكتاب المبين) المفصل لكل شئ (ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى أو عند الله أولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى والمراد بالناس الكفار لتقييدهم بقوله (وهم في غفلة معرضون) عن التفكر فيه (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم محدث) تنزيله كي يتعظوا (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب (لاهية قلوبهم) أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتسلي والذهول عن التفكر فيه (ثم يعرفنا قرب القيامة) بالاضافة لما عنده (فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر) ويقول (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) ويقول (ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) ويقول ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون (ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع رحمته) وهو الموفق

(صفة المساءلة)

(ثم تفكر يامسكين بعد هذه الاحوال) وماذكر من الاهوال (فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها) أي مشافهة (من غير ترجمان) أي واسطة يترجم لك وعنك (فتسئل عن القليل والكثير والنقير والقطمير) والجليل والحقير (فبينما أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء) أي جوانبها وأقطارها (باجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين) مجموعة الى أقدامهم (الى موقف العرض على الجبار) جل جلاله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملكا بين شفري عينيه) أي طرفيهما (مسيرة مائة عام) قال العراقي لم أره بهذا اللفظ ولابي داود من حديث جابر أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنيه الى عاتقه سبعمائة عام انتهى قلت وحديث جابر رواه بهذا اللفظ أيضا ابن عساكر والضياء ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه ومن حديث ابن عباس بلفظ أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الارض السابعة السفلى على قرنه العرش ومن شحمة أذنه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة مائة عام وروى أبو الشيخ في العظمة من حديث جابر بلفظ ان لله ملائكة ما بين شحمة أذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران ورواه ابن

 كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء باجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا ان يأخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينه مسيرة مائة عام

فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين

لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا

ويخرون لاذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ سبحانه بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فيا لشدة يوم تذهل فيه

عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فاندهش عقولهم فلا يدرون بما ذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون

عساكر بلفظ ان لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه وروى الخطيب في المتفق والمفترق من حديث ابن عمر أذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة حملة العرش ما بين عاتقه الى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة تخفقان الطير قدماه في الارض السابعة والعرش على قرنه يقول سبحانك حيثما كنت وفي سنده أبو معشر المدني وهو ضعيف (فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا اليك ليأخذوك) فيجروك (الى مقام العرض) على الله تعالى روى ابن منده في التوحيد والديلمي من حديث معاذ ان الله تعالى ينادي يوم القيامة يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب (وتراهم على عظم أشخاصهم) وهائل خلقتهم (منكسرين) اذلاء (لشدة اليوم) وصعوبته (مستشعرين مما بدا من غضب الجبار) جل جلاله (على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذين) نظرا الى خوف مكر الله تعالى (فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين) من المؤمنين (وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم) وتنزيها له (عن أن يكون فيهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم) كما قال تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا روى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال في الآية جاء أهل السموات كل سماء صفا (وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) قال ابن عباس أي نسأل الناس عما أجابوا المرسلين ونسأل المرسلين عما بلغوا فلنقصن عليهم بعلم قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وقال سفيان الثوري فلنسألن الذين أرسل اليهم هل بلغكم الرسل ولنسألن المرسلين ماذا ردوا عليكم رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد في الآية الناس نسألهم عن لا اله الا الله ولنسألن المرسلين قال جبريل رواه ابن أبي حاتم وقال يزيد هم الانبياء والمرسلون والملائكة (وقوله فوربك لنسألنهم عما كانوا يعملون فيبدأ بالملائكة) روى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن وهيب بن الورد قال بلغني ان أقرب الخلق الى الله اسرافيل والعرش على كاهله فاذا نزل الوحي دلى اللوح من نحو العرش فيقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فيرسل الى جبريل فيدعوه فيرسله فاذا كان يوم القيامة دعي اسرافيل فيؤتى به ترعد فرائصه فيقال له ما صنعت فيما أدى اليك اللوح فيقول رب أديته الى جبريل فيدعى جبريل فيؤتى به ترعد فرائصه فيقال له ما صنعت فيما أدى اليك اسرافيل فيقول أي رب بلغت الرسل فيدعى الرسل فيؤتى بهم ترعد فرائصهم فيقال ما صنعتم بما أدى اليكم جبريل فيقولون أي رب بلغنا الناس فهو قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين وروى أبو الشيخ في العظمة عن أبي سنان قال أقرب الخلق من الله اللوح وهو معلق بالعرش فاذا أراد الله أن يوحي بشئ كتب في اللوح فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة اسرافيل واسرافيل قد غطى بصره بجناحيه اعظاما له فينظر فيه فان كان الى أهل السماء دفعه الى ميكائيل وان كان الى أهل الارض دفعه الى جبريل فاول من يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائصه فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقول ربنا من يشهد لك فيقول اسرافيل فيدعى اسرافيل فترعد فرائصه فيقال له هل بلغك اللوح فاذا قال نعم قال اللوح الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب ثم كذلك (ثم بالانبياء) كما قال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فاندهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون) في

قولهم

اذطارت منهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله

فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا العظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان ابن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش وأشرقت الارض بنور ربها وأيقن كل عبد باقبال الجبار لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك ياجبريل ائتني بالنار فيجيء لها جبريل و يقول ياجهنم أجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا احتياعلى الركب وولوا مدبرين يوم ترى كل أمة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين و ينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور

قولهم (اذطارت فيه العقول) وطاشت الحلوم (وانمحت العلوم الى أن يقويهم الله تعالى) بتسكين قلوبهم من الرعب (فيدعى نوح) عليه السلام (فيقال له هل بلغت فيقول نعم) يارب قد بلغت ما أرسلت به (فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير) ينذرنا من عقابك (و يؤتى بعيسى) عليه السلام (فيقول الله تعالى أءنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال سنين) روى ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله اذا كان يوم القيامة جمعت الامم ودعى كل أناس بامامهم قال و يدعى عيسى فيقول له يا عيسى أءنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيقول سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق الآية الى قوله صدقهم وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ميسرة قال لما قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله أرعد كل مفصل منه حتى وقع وروى ابن أبي حاتم عن الحسن ابن صالح قال لما قال أأنت قلت للناس الآية زال كل مفصل له عن مكانه خيفة (فيا العظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يافلان بن فلانة) ويسمونه باسمه واسم أمه (هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول و يتمنى أقوام أن يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار) جل جلاله (ولا يكشف ستره على تلك الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش وأشرقت الارض بنور ربها) وروى أبو الشيخ في العظمة والبيهقي في البعث من حديث ابي هريرة الطويل المتقدم ذكر بعضه فبينما نحن وقوف اذ سمعنا حسا من السماء شديدا فينزل اهل السماء الدنيا بمثل من في الارض من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل ما نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من نزل من الملائكة وبمثل من فيها من الجن والانس حتى اذا دنوا من الارض أشرقت الارض بنورهم ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف الى السموات السبع ثم ينزل الجبار في ظلل من الغمام الحديث (وأيقن كل عبد باقبال الجبار) جل جلاله (لمساءلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه أحد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك ياجبريل ائتني بالنار فجاءها جبريل) عليه السلام (وقال ياجهنم أجيبي خالقك ومالكك فيصادفها جبريل) عليه السلام (على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه) لها (ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت) والزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره ثم استعير ذلك للنار لها زفير وشهيق (وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره) وروى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله سمعوا لها شهيقا قال صياحا وروى عبد بن حميد عن يحيي قال ان الرجل ليجر الى النار فتشهق اليه النار شهيق البغلة الى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف وروى هناد عن مجاهد في قوله وهي تفور قال تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تميز من الغيظ قال أي تتفرق وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد يجيء بجهنم سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع ومن حديث على نحوه وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا) من مشاهدة هول ذلك الموقف (فتساقطوا احتياعلى الركب) كما هو شان كل مرعوب (وولوا مدبرين) على أعقابهم (يوم ترى كل أمة جاثية) أي مستوفزين على الركب قاله مجاهد وزاد الضحاك عند الحساب وروى البيهقي في البعث من حديث عبد الله بن باباه كاني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيان وترى كل أمة جاثية (وسقط بعضهم على الوجوه منكبين و ينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور) على أنفسهم وهم

و ينادي الصديقون نفسي نفسي فبينماهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول

من السعداء والاشقياء أجمعين و بعد ذلك اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم فاذا رأوا ماقد أقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من أخيه والزوج من زوجته و بقي كل واحد منتظر الامر يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبوهريرة قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك واسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني أنساك كما نسيتني فتوهم نفسك يامسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ألم أمهل قال لك في العمر ففيماذا أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك * قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم

أصحاب الكبائر (و ينادي الصديقون والصالحون نفسي نفسي) كما سيأتي في حديث الشفاعة (فبينماهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم) أي تراخت (وظنوا أنهم ماخوذون) لامحالة (ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم) منكبين (وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع) أي ذليل منكسر (وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين) أي انكسرت (فبلغت الحناجر) أي الحلوق (كاظمين) ساترين حنقهم (وذهلت العقول من السعداء والاشقياء أجمعين و بعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم) فيما أرسلتم (فاذا رأوا ماقد أقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة) وكادوا يذوبون (ففر الوالد من ولده والاخ من أخيه والزوج من زوجته و بقي كل واحد منتظر الامر ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون) بتشديد الراء مفاعلة من الضرر (في رؤية الشمس في الظهيرة) أي وسط النهار (ليس دونها سحاب) يمنع من الرؤية (قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك) أي أجعلك سيدا أي رئيسا (وأزوجك واسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس) على الناس (وتربع) يقال ربع القوم يربعهم من حد منع اذا أخذ منهم المرباع وهو ربع الغنيمة وكان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية (فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك ملاقي) بتشديد الياء أي ملاق اياي (فيقول لا فيقول فاني أنساك كما نسيتني) قال العراقي متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد بها مسلم اهـ قلت الا ان لفظ مسلم فيلقى العبد فيقول أي فل و زاد بعد قوله كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك فساقه مثل الاول وفيه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت و يثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذن ثم يقال الآن نبعث شاهدنا عليك و يتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه و يقال لفخذه انطق فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله عليه وروى البيهقي في البعث بلفظ يقول الله لعبده يوم القيامة يا ابن آدم ألم أحملك على الخيل والابل وأزوجك النساء وأجعلك تربع وترأس فيقول بلى أي رب فيقول أين شكر ذلك و روى أيضا من حديث عبد الله بن سلام يقول الله للعبد يوم القيامة ألم تدعني لمرض كذا وكذا فعافيتك ألم تدعني ان أزوجك كريمة قومها فزوجتك ألم ألم ورواه كذلك أبو الشيخ (فتوهم نفسك يامسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت) روى ابن أبي حاتم عن القاسم بن عبد الرحمن أنه تلا هذه الآية فلنسألن الذين أرسل اليهم الآية فقال يسئل العبد يوم القيامة عن أربع خصال يقول ربك ألم أجعل لك جسدا ففيم أبليته ألم أجعل لك علما ففيم عملت بما علمت ألم أجعل لك مالا ففيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي ألم أجعل لك عمرا ففيم أفنيته وقد روي نحو ذلك من حديث ابن مسعود وابن عباس كما سيأتي قريبا (فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت) وطلبت شاهدا (شهدت عليك جوارحك قال أنس) رضي الله عنه (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قالوا الله ورسوله اعلم

قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره * سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا واني أغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة فهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم فتوهم نفسك انك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم

قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل) أي أدافع رواه أحمد ومسلم والنسائي وقال غريب وأبو عوانة وابن حبان والحاكم وقد أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته وروى أحمد من حديث معاوية بن حيدة ان ربي داعي وسائلي هل بلغت عبادي واني قائل يارب اني قد بلغتهم فليبلغ الشاهد منكم الغائب ثم انكم تدعون مفدم أفواهكم بالفدام ان أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه (فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره) فقد روى انه (سأل ابن عمر) رضي الله عنه (رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها) عليك (في الدنيا واني أغفرها لك اليوم) قال العراقي رواه مسلم انتهى قلت وفي رواية له ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وهكذا رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة) رواه عبد الرزاق في مصنفه من حديث عقبة بن عامر بلفظ من ستر مؤمنا في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة وروى الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة لم يسم من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة وقد تقدم (فهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عوراتهم) وفي نسخة عيوبهم (واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم من شدة الهول مظلم فقدر في نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب) أي المجرور في الموكب (وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم) ينظرون اليك (فتوهم نفسك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق) مضطرب (محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) ضبطها وعدها (فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم

تقف بين يديه وباى لسان تجيب وباى قلب تعقل ما تقول ثم تفكر فى عظم حيائك اذ اذكرك ذنوبك شفاهاً اذ يقول ياعبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فاظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك فماذا غرك بى أظننت انى لا أراك وانك لا تلاقانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود مامنكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماعملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها الى مالا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنيك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما ذا أنفقه فاعظم يامسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون

تقف به بين يديه وباى لسان تجيب وباى قلب تعقل ما تقول ثم تفكر فى عظم حيائك اذ اذكرك ذنوبك) واحداً واحداً (شفاهاً اذ يقول ياعبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى واظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك فماذا غرك بى أظننت انى لا أراك وانك لا تلقانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان) قال العراقى متفق عليه من حديث عدى بن حاتم بلفظ الا سيكلمه الله الحديث اهـ قلت وتمامه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة هكذا رواه أيضاً أحمد والترمذى وابن ماجه (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة) قال العراقى رواه البخارى من حديث عدى بن حاتم اهـ قلت سياق البخارى هو الذى قدمه قبل هذا الحديث وهو عند الترمذى وقال حسن غريب يتقى أحدكم وجهه حر جهنم ولو بتمرة ولو بشق تمرة فان أحدكم لاقى الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً فيقول بلى فيقول ألم أجعل لك مالا وولداً فيقول بلى فيقول له أين ما قدمت لنفسك فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقى به وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة فانى لا أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة بين يثرب والحيرة أكثر ما يخاف على مطيتها السرق وعند الطبرانى فى الاوسط ليتصدق ذو الدينار من ديناره وذو الدرهم من درهمه وذو البر من بره وذو الشعير من شعيره وذو التمر من تمره من قبل أن يأتى عليه يوم فينظر امامه فلا يرى الا النار وينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا يرى الا النار وينظر من قدامه فلا يرى الا النار (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (مامنكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماعملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها الى مالا يحل لك ألم أكن رقيباً على اذنيك وهكذا حتى عد سائر أعضائه) رواه أبو نعيم فى الحلية مختصراً فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا أبو عوانة عن هلال الوزان عن عبد الله بن حكيم قال سمعت ابن مسعود فى هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام فقال مامنكم من أحد الا ان ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما ذا أنفقه) وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود ولفظه لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم رواه الترمذى وضعفه وأبو يعلى والطبرانى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر ورواه الطبرانى أيضاً من حديث ابن عباس نحوه مع تقديم وتأخير ومع زيادة خامسة وعن حبه أهل البيت (فاعظم يامسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والآخرون

والآخرون واما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه) أى شدوه بالغل فى عنقه (ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على مافرطت فيه من طاعة الله وعلى مابعت آخرتك عن دنيا دنية لم تبق معك) والله الموفق

(صفة الميزان)

ولما فرغ المصنف عن ذكر الموقف والحساب ذكر الميزان لان وزن الاعمال يكون بعد انقضاء الحساب اذ الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها فقال (ثم لاتغفل عن التفكر فى الميزان) ذى الكفتين واللسان توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها والايمان به واجب وهو مذهب أهل السنة والجماعة كما تقدم فى كتاب قواعد العقائد خلافا لمن أنكره من الجهمية والقدرية وقوم من قدماء المعتزلة يقال لهم الوزنية أنكروا الميزان وقالوا انما هو العدل وهو اختيار الجهمية ومنهم من شك فى ذلك لكن قال يجوز أن ينصب الله تعالى فى القيامة ميزانا يجعل رجحانه علامة لمن يدخل الجنة وخفته علامة لمن يدخل النار ويروى عن مجاهد والضحاك والاعمش ان الميزان بمعنى العدل والقضاء قال القرطبي فى التذكرة وهذا القول ليس بشئ وان كان شائعا فى اللغة للسنة الثابتة فى الميزان الحقيقى ووصفه بكفتين ولسان وان كل كفة منها طباق السموات والارض قال ولو جاز حمل الميزان على ماذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما ترد على الارواح دون الاجسام من الاحزان والافراح والشياطين والجن على الاخلاق المذمومة وهذا كله فاسد لماجاء به الصادق صلى الله عليه وسلم اه وممن كان ينكر الميزان أبو سلمة عثمان بن مقسم البرى وهو ثقة صدوق الا انه سقط الوثوق به لهذه البدعة ولذا قال أبو داود فيه انه قدرى معتزلى وقال حنبل بن اسحق من أنكر الميزان فقد رد على الله سبحانه ورد على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الميزان بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على أن المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله وذهبت طائفة الى أنها ميزان واحد يوزن به للجميع وانما ورد فى الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون والله أعلم (ثم انظر فى تطاير الكتب) هى صحف أعمال العباد التى أثبتها الكرام الكاتبون من حسن وسيئ (الى الايمان والشمائل) فمنهم من يعطى صحيفته بيمينه وأولئك السعداء ومنهم من يعطى بشماله وأولئك الاشقياء (فان الناس بعد) الفراغ من (السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم) على رؤس الاشهاد لقد شقوا (شقاوة لاسعادة بعدها) وروى أحمد والترمذى وابن مردويه والبيهقى من حديث أبى هريرة يخرج عنق النار يوم القيامة له عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وروى أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول انى وكلت اليوم بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر فتنطوى عليهم فتطرحهم فى غمرات جهنم ورواه ابن أبى شيبة وأبو داود وأبو يعلى أيضا والطبرانى فى الاوسط والدارقطنى والخرائطى فى مساوى الاخلاق بلفظ يخرج من النار يوم القيامة عنق أشد سوادا من النار فيتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولسان تتكلم به فتقول انى أمرت بكل جبار عنيد ومن دعا مع الله الها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنضم عليهم فتقذفهم فى النار قبل الناس بخمسمائة سنة (وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد) ألا (ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى) يشير بذلك الى مارواه ابن ماجه وهناد فى الزهد ومحمد بن نصر فى الصلاة وابن أبى حاتم وابن مردويه

والآخرون واما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على مافرطت فيه من طاعة الله وعلى مابعت آخرتك من دنيا دنية لم تبق معك

(صفة الميزان)

ثم لاتغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى

من حديث أسماء بنت يزيد يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر فيقوم
مناد فينادي أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب
ثم يعود فينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون وروى
الحاكم وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم من حديث عقبة بن عامر يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر
و يسمعهم الداعي و ينادي مناد سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول أين الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع ثم يقول أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي مناد أين الحامدون
الذين كانوا يحمدون ربهم (و ينادي عليهم) على رؤس الاشهاد قد سعدوا (سعادة لا شقاوة بعدها) و يلحق
بهؤلاء العافون عن الناس وروى الخطيب من حديث ابن عباس اذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان
العرش ليقم من على الله أجره فلا يقوم الا من عفا عن ذنب أخيه (و يبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا
صالحا وآخر سيأ وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن
يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب) وهذا أحد أوجه الحكمة في نصب الميزان بين الخلق
والوجه الثاني ان ذلك لامتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا والثالث لاظهار علامة السعادة والشقاوة يوم
القيامة والرابع لاقامة الحجج عليهم والخامس ليعرف العباد ما لهم من خير وشر وهذه الاقوال كلها ذكرها
الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في منهاج الاستقامة ومما يستأنس لهذا التقسيم قول ابن عباس فيما أخرجه ابن
أبي حاتم قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت
سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ فمن ثقلت موازينه الآيتين ثم قال ان الميزان يخف بمثقال
حبة و يرجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط (فتطاير الصحف
والكتب) هي كتب الاعمال (منطوية على الحسنات والسيئات وتنصب الميزان) واختلف في كيفية وضعها
والذي جاء في أكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش وتنصب الميزان بين يدي الله
تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الحكيم في نوادر الاصول (وتشخص
الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أتميل الى جانب السيئات أو الحسنات)
واختلف في الموزون نفسه فالمشهور والراجح انه توزن الصحف التي كتب فيها أعمال العباد وأقوالهم و يدل لذلك
حديث البطاقة المشهور الآتي ذكره في آخر الكتاب وقال بعضهم توزن الاجسام بان يخلق الله عز وجل بازاء كل
عمل جسما فتحمل الاجسام التي تقابل الحسنات في كفة والاجسام التي تقابل السيئات في كفة فاي الكفتين
حصل فيها الرجحان وقع بها الاعتبار ومن قال ان الثواب والعقاب يصيران أجساما وتوزن فقد أخطأ لان من
الثواب ما لا نهاية له وكذلك العقاب ولا يصح وزن ما لا نهاية له وكذلك لا يثبت قول من قال ان الحسنات والسيئات
تتراءى في الميزان كما يتراءى الوجه في المرآة وان لم يكن في الحقيقة فيها وهل توزن الاعمال جميعها أو بعضها فقيل
انما يوزن من الاعمال خواتيمها فاذا أراد الله بعبد خيرا ختم الله بخير عمله واذا أراد الله به شرا ختم له بشر عمله
رواه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه وروى عن وهب أيضا انه قال يوزن أول الاعمال وآخرها والمشهور
ما ذكرناه أولا * (تنبيه) * قد ورد ان صاحب الميزان جبريل عليه السلام قال حنبل بن اسحق حدثنا أبو نعيم
حدثنا يوسف بن صهيب حدثنا موسى بن أبي المختار عن بلال العبسي عن حذيفة رضي الله عنه قال صاحب
الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام يرد من بعضهم على بعض ورواه البخاري في تاريخه الكبير و يعقوب
وسفيان في فوائده وأبو الشيخ في كتاب السنة بنحوه وفي بعض طرقه ان جبريل عليه السلام يقول له ربه عز وجل
زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وروي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال ان ميزان رب العالمين

و ينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها و يبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا ان يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت و ينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أتميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات

ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل عليه السلام آخذ بعموده ينظر الى لسانه (وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق) فان قلت ان شأن الميزان ان يوضع فى كفته شئ وفى الاخرى ضده فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة والذى يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان يأتى عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان فى كفة والكفر فى أخرى أجاب الحكيم فى النوادر بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات اه وروى النقاش فى تفسيره عن على رضى الله عنه قال يحشر الناس الى الميزان فيقومون عنده ألف عام فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا فى طرفة عين ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام فى الغم والهم والحزن والعذاب والجوع والعطش واسناده مظلم (وروى الحسن) البصرى رحمه الله (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فان أحدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط) قال العراقى رواه أبو داود من رواية الحسن عنها انها ذكرت النار فبكت فقال وما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم فى حجرها وانه نعس واسناده جيد انتهى قلت وتمامه عند أبى داود قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال اما فى ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحدا حيث يوضع الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الكتب حتى يقال هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أومن وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا وهكذا رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وعبد بن حميد والآجرى فى الشريعة والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث وأما سياق المصنف فرواه الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى فى كتاب الزهد والرقاق من طريق عصام بن طليق وهو رواه عن داود عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرى فقطرت دموعى على خده فاستيقظ فقال ما يبكيك فقلت ذكرت القيامة وهولها فهل تذكرون أهاليكم يارسول الله فقال ياعائشة ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد الا نفسه عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل وعند الصحف حتى يأخذ صحيفته بيمينه أو بشماله وعند الصراط حتى يجاوزه وروى يعقوب بن سفيان فى فوائده من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة الباهلى قالت عائشة يارسول الله كيف نكون يوم لا يغنى عنا من الله شيأ قال نعم فى ثلاثة مواطن وذكر الحديث يعنى الذى قبله واسناده واه وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال ياعائشة اما عند ثلاث فلا اما عند الميزان حتى تثقل أو تخف فلا واما عند تطاير الكتب فاما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا ثم حين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد قال فينطوى عليهم ويرمى بهم فى غمرات جهنم اسناده ثقات سوى ابن لهيعة وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة فى قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون قال قال للنبى صلى الله عليه وسلم بعض أهله هل يذكر الناس أهليهم يوم القيامة قال اما فى ثلاث مواطن فلا عند الميزان وعند تطاير الصحف فى الايدى وعند الصراط (وعن أنس) رضى الله عنه (قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خفت ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فان أحدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا

وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة

وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار) هكذا ذكره موقوفا على أنس وقد رواه البزار في مسنده مرفوعا فقال حدثنا اسمعيل بن أبي الحرث حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المرى عن ثابت وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس رفعه ان ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف نادى الملك شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا قال البزار لا نعلم رواه عن ثابت عن أنس الا صالح المرى ولا عن جعفر أيضا الا صالح وأخرجه أبو نعيم في الحلية وقال تفرد به داود بن المحبر وكذلك رواه ابن مردويه واللالكائي في كتاب السنة والبيهقي في البعث وقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده في فوائده أخبرني عماى أبو القاسم وأبو الحسن قالا أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه كتابة حدثنا أبو محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الوهاب البغوي حدثنا أبو بكر ابراهيم بن محمد بن اسحق البصري حدثنا حكامة بنت عثمان بن دينار قالت حدثني أبي عثمان بن دينار عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع العبد في الميزان فرجحت حسناته على سيآته نادى مناد الا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان رجحت سيئاته على حسناته نادى مناد الا شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبد الله بن العيزار قال عند الميزان ملك ينادي فلان بن فلان ثقلت موازينه وسعد سعادة لم يشق بعدها أبدا الا ان فلان بن فلان خفت موازينه وشقى شقاوة لم يسعد بعدها أبدا وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاهوال حدثنا محمد بن العباس بن محمد حدثنا عبد الله بن صالح العجلي حدثنا أبو الاحوص قال افتخرت قريش عند سلمان فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم يؤتى بالميزان فان ثقلت فانا كريم وان خفت فانا لئيم قال أبو الاحوص تدرى من أى شئ نجا اذا ثقل ميزان عبد نودي في مجمع فيه الاولون والآخرون الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا واذا خف ميزانه نودي على رؤس الخلائق الا ان فلان بن فلان قد شقى شقاء لا يسعد بعده أبدا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عند أصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي سعيد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم اهـ قلت لفظ المتفق عليه يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال ابشروا فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف والذي نفسي بيده ارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة ارجو ان تكونوا ثلث أهل الجنة ارجو ان تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود أو كالرقمة في ذراع الحمار ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فبكى أصحابه وبكوا فقال ارفعوا رؤسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الامم الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ورواه أحمد بلفظ ان الله تعالى يقول يوم القيامة لآدم قم فجهز الحديث وفي المتفق عليه من حديث ابن مسعود والذي نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة وما أنتم في أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو

(صفة الخصماء ورد المظالم) قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
ومن خفت موازينه فامه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع
اعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وانما حسابه لنفسه أن
يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة
ويستحل كل من تعرض
له بلسانه ويده وسوء
ظنه بقلبه ويطيب
قلوبهم حتى يموت ولم
يبق عليه مظلمة ولا
فريضة فهذا يدخل
الجنة بغير حساب وان
مات قبل رد المظالم
أحاط به خصماؤه فهذا
يأخذ بيده وهذا يقبض
على ناصيته وهذا يتعلق
بلببه هذا يقول ظلمتني
وهذا يقول شتمتني
وهذا يقول استهزأت بي
وهذا يقول ذكرتني في
الغيبة بما يسوءني وهذا
يقول جاورتني فاسأت
جواري وهذا يقول
عاملتني فغششتني وهذا
يقول بايعتني فغبنتني
واخفيت عني عيب
سلعتك وهذا يقول
كذبت في سعر متاعك
وهذا رأيتني محتاجا
وكنت غنيا فما أطعمتني
وهذا يقول وجدتني
مظلوما وكنت قادرا على
دفع الظلم عني فداهنت
الظالم وما راعيتني فبينا
أنت كذلك وقد أنشب
الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في
مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك
لعله يخلصك من أيديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة
وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم

كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر

(صفة الخصماء ورد المظالم)

(اعلم انك قد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان) وهو عذبته (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فهو في عيشة راضية) أي عيش ذات رضا أي مرضية هي الجنة قاله قتادة رواه عبد بن حميد وابن جرير (ومن خفت موازينه) عنها بان لم تكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيآته على حسناته (فامه هاوية) هي النار مأواهم وأمهم ومصيرهم قاله قتادة وقال عكرمة أم رأسه هاوية في جهنم رواه ابن أبي حاتم وروى عن الوالبي مثله وقال أبو صالح يهوون في النار على رؤسهم رواه ابن جرير وعند الميزان ملك ينادي الا ان فلان ابن فلان ثقلت موازينه الا ان فلان بن فلان خفت موازينه رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن العيزار كما تقدم ومما يؤيد قول من قال ان الهاوية من أسماء النار قوله (وما أدراك ماهيه نار حاميه) أي ذات حمى (واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان) يوم القيامة (الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا قبل ان توزنوا) رواه كثير بن هشام عن جعفر بن برقان ان عمر كتب الى عامل له حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة فمن فعل رجع الى الرضا والغبطة ومن الهته حياته وشغله اهواؤه عاد أمره الى الندامة والحسرة فتذكر ما توعظ به لكيما تنتهي عما تنتهي عنه وتكون عند الموعظة الى النهى (وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا) خالصة لا يخالجها العزم على العود (ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم) الي أهلها (حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه) بالشتم والغيبة (ويده) بالضرب والاشارة (وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم) على قدر الامكان (حتى يموت ولم تبق عليه مظلمة) لاحد (ولا فريضة) لله تعالى (فهذا يدخل الجنة بغير حساب) فهو من القسم الثاني من الاقسام الثلاثة المذكورة في أول المحاسبة (وان مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه) أي بعنقه (وهذا يقول ظلمتني وهذا) يقول (شتمني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا أنت كذلك قد أنشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار) أي الهلاك (وتتذكر ما أنذرك الله تعالى) به (على لسان رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) قال ميمون بن مهران هي تعزية المظلوم ووعيد للظالم رواه ابن جرير (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين) مديمي النظر رواه ابن جرير عن مجاهد وقال قتادة مسرعين (مقنعي رؤسهم)

لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في
ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فعند
ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتي من يأتي يوم

القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف

ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى طال
شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل
الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى
صحيفتك خالية عن حسنات

أي رافعين (لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) تمور في أفواههم الى حلوقهم ليس لها مكان تستقر فيه رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير وقال مرة أي مخوفة لا تغني شيئا رواه ابن جرير وروى ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال يحشر الناس هكذا ووضع رأسه بيمينه على شماله عند صدره (فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين) أي ذليل (لا تقدر على ان ترد حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة فيأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فانظر الى معصيتك في مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء) هي الشاة التي لا قرن لها (من القرناء) هي التي لها قرون (فقد روى أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة) قال العراقي رواه أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر اهـ قلت ورواه كذلك الطيالسي في مسنده وروى أحمد بسند حسن من حديث أبي هريرة ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا ومن حديث أبي سعيد الخدري والذي نفسي بيده ليختصم يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا (وقال أبو هريرة في) تفسير (قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عذاب) كذا في النسخ وهو غلط من النساخ والصواب من عدل (الله عز وجل ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وقال يحيى بن جعدة ان أول خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضي بينها حتى لا يذهب شيء بظلامة ثم يجعلها ترابا ثم يبعث الثقلين الجن والانس فيومئذ يتمنى الكافر ان يكون ترابا رواه الدينوري في المجالسة وقال مجاهد تقاد المنقورة من الناقرة والمركوضة من الراكضة والجلحاء من ذات القرنين والناس ينظرون ثم يقال كوني ترابا لا جنة ولا نارا رواه ابن المنذر وقال أبو الزناد اذا قضى بين الناس وأمر أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون رواه ابن شاهين في كتاب العجائب والغرائب (فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات

طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد أيس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد يجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما يزال عبد يجيء فيقول يارب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا ان أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب) قال العراقي رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصرا على آخره اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا الحديث واسناده جيد اما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر ان الشيطان قد أيس ان يعبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم اه قلت أول الحديث قد روي من طرق منها حديث عبادة بن الصامت ان الشيطان قد أيس ان يعبد في جزيرة العرب رواه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة وفي لفظ للطبراني ان تعبد الاصنام في جزيرة العرب ورواه كذلك من حديث أبي الدرداء ومنها حديث ابن عباس ان الشيطان قد أيس ان يعبد بأرضكم ولكن رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا الحديث رواه الحاكم ومنها حديث العباس بن عبد المطلب ان الشيطان قد يئس ان يعبد في جزيرة العرب ولكن خفت ان يضل من يبقى منهم بالنجوم رواه الطبراني في الكبير ومنها حديث أبي هريرة ان الشيطان قد أيس ان يعبد بأرضكم هذه ولكن رضي منكم بما تحقرون رواه أبو نعيم في الحلية ومنها حديث معاذ ان الشيطان قد أيس ان يعبد بأرضي هذه ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم رواه الطبراني في الكبير وأما حديث جابر فلفظه ان الشيطان قد أيس ان يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم رواه أحمد ومسلم والترمذي والتحريش هو اغراء بعض على بعض وأما لفظ حديث ابن مسعود عند أحمد والبيهقي اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه كرجل كان في أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سوادا وأججوا نارا فانضجوا ما فيها وكذلك رواه الطبراني وقد روي نحو ذلك من حديث سهل بن سعد اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد وجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه رواه أحمد والطبراني والبيهقي وروى الخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث ابن مسعود اتقوا المظالم ما استطعتم فان الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى انها ستنجيه فما زال عند ذلك يقول ان لفلان قبلك مظلمة فيقول امحوا من حسناته فما تبقى له حسنة ومثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فالنار وانضجوا ما أرادوا فكذلك الذنوب وهذا السياق هو الذي عناه المصنف وروى الخرائطي أيضا من حديث أبي امامة ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيقول رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له محيت عنك باغتيابك الناس واسناده ضعيف (ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير) بن العوام رضي الله عنه (يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم) ذلك (حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد) قال العراقي رواه أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح اه قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن منيع وابن أبي عمر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم

طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد

في الحلية والبيهقي في البعث ورواه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم من حديث عبد الله بن الزبير
بمثل سياق المصنف (فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم
للمظلوم من الظالم قال أنس) رضي الله عنه هكذا في سائر النسخ وهو غلط صوابه عبد الله بن انيس كما سيأتي
(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شئ
ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد من أهل
الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه ولا لاحد من أهل النار ان يدخل النار
ولاحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عراة غبرا بهما فقال
بالحسنات والسيئات) قال العراقي ليس من حديث أنس وانما هو عبد الله بن أنيس رواه أحمد باسناد حسن
وقال غرلا بدل بهما اهـ قلت ورواه أبو يعلى والخرائطي في مساوي الاخلاق والطبراني في الكبير والحاكم
والضياء ولفظهم بهما كما عند المصنف وعبد الله بن أنيس جهني حالف بني سلمة من الانصار فلذلك يقال له
الانصاري قال ابن يونس صلى الى القبلتين ودخل مصر وخرج الى افريقية قلت وهو المدفون في جربة وحديثه
هذا في القصاص هو الذي رحل له جابر لسماعه منه الى مصر رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن محمد بن
عقيل عن جابر قال بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر فرحلت اليه مسيرة شهر فذكره وقال البخاري
في كتاب العلم من الصحيح ورحل جابر الى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر وقال في كتاب التوحيد ويذكر عن عبد الله
ابن أنيس فذكر طرفا من الحديث أخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر الزبيري أخبرنا محمد بن أحمد بن سعيد أخبرنا
عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني أخبرنا أبو
الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ أنبأنا محمد بن مقبل الحلبي مكاتبة عن أبي طلحة محمد بن علي بن يوسف
الحرادي أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أخبرنا أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن
الحنبلي أخبرنا أبو طاهر الخشوعي أخبرنا أبو محمد هبة الله بن الاكفاني أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن
ثابت الخطيب في كتابه الرحلة في طلب الحديث ما لفظه ذكر عن رجل في حديث واحد من الصحابة الاكرمين
رضوان الله عليهم أجمعين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصياد والحسن بن أبي بكر قالا أخبرنا أحمد بن
يوسف بن خلاد العطار ح وأخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الاسكافي قالا حدثنا
الحرث بن محمد بن أبي أسامة ح وأخبرتنا أم الفرج فاطمة بنت هلال بن أحمد الكرخي قالت أخبرنا عثمان
ابن أحمد بن عبد الله الدقاق حدثنا الحرث بن أبي أسامة التميمي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا همام بن يحيى عن
القاسم بن عبد الواحد المكي ح وحدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظا باصبهان
وسياق الحديث له حدثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي المقرى حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان حدثنا همام
حدثنا القاسم بن عبد الواحد حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ان جابر بن عبد الله حدثه قال بلغني
عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه قال
فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي فسرت اليه شهرا حتى أتيت الشام فاذا هو عبد الله بن أنيس الانصاري قال
فارسلت اليه ان جابرا على الباب قال فرجع الى الرسول فقال جابر بن عبد الله قلت نعم قال فرجع الرسول اليه
فخرج الي فاعتنقني واعتنقته قال قلت حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه
فخشيت ان أموت أو تموت قبل ان أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد أو قال
يحشر الله الناس قال وأومأ بيده الى الشام عراة غرلا بهما فساقه مثل سياق المصنف قال الخطيب وهكذا رواه
عبد الوارث بن سعيد عن القاسم بن عبد الواحد أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقرى أخبرنا محمد بن عبد الله بن
ابراهيم الشافعي حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت

فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شئ ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه ولا لاحد من أهل النار ان يدخل النار ولاحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات

فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم

بعيرا فشددت عليه رحلا ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت مصر قال فخرج الى غلام أسود فقلت استأذن لى على فلان قال فدخل فقال ان اعرابيا بالباب يستأذن فاخرج فخرج اليه فقال له من أنت قال فقال له أخبره انى جابر بن عبد الله قال فخرج اليه فالتزم كل واحد منهما صاحبه قال فقال ما جاء بك قال حديث بلغنى انك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القصاص ما أعلم ان أحدا يحفظه غيرك فاحببت ان تذاكرنيه قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة حشر الله عباده عراة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد منهم كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا تظالموا اليوم لا ينبغى لاحد فساقه وفيه قالوا يا رسول الله وكيف وانما نأتى الله عراة غرلا بهما قال من الحسنات والسيآت قال وروى عن أبى جارود العبسى عن جابر أخبرنيه عبد العزيز بن على الازجى حدثنا على بن عمر بن محمد الحربى حدثنا حامد بن بلال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله المقرى البخارى حدثنا بحير بن النضر حدثنا عيسى غنجار عن عمر بن الصبح عن مقاتل ابن حيان عن أبى جارود العبسى ان جابر بن عبد الله قال بلغنى حديث فى القصاص وكان صاحب الحديث بمصر فاشتريت بعيرا وشددت عليه رحلا ثم سرت شهرا حتى وردت مصر فسألت عن صاحب الحديث فدللت عليه فاذا هو باب لاطئ فقرعت الباب فخرج الى مملوك له أسود فقلت ههنا أبو فلان فسكت عنى فدخل فقال لمولاه بالباب اعرابى يطلبك فقال اذهب فقل له من أنت فقلت جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرج الى فرحب بى وأخذ بيدى قلت حديث فى القصاص لا أعلم أحدا ممن بقى أحفظ له منك فقال أجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلا وهو تعالى على عرشه ينادى بصوت له رفيع غير فظيع يسمع البعيد كما يسمع القريب يقول أنا الديان لا ظلم عندى وعزتى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة ولو ضربة يد على يد ولاقتص للجماء من القرناء ولاسألن الحجر لم نكب الحجر ولاسألن العود لم خدش صاحبه فى ذلك أنزل على فى كتابه ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى من بعدى عمل قوم لوط ألا فليرتقب أمتى العذاب اذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء (فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد باخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر) أى ليخف (ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه) ذلك (الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لاحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس) رضى الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر) رضى الله عنه (ما يضحكك) وفى نسخة ما أضحكك (يا رسول الله بابى أنت وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شئ قال يا رب يحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع بصرك) وفى رواية ارفع رأسك (فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا أولاى صديق هذا أولاى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال ما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب انى قد عفوت

القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لاحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بابى أنت وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شئ قال يا رب يحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا أولاى صديق هذا أولاى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب انى قد عفوت

عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين
المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت
صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى (٤٨٠) عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد

خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص

الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة وجهك
كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود
وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب
خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون الى اسوداد

عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخله الجنة) وفي رواية فادخلا الجنة (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في حسن
الظن بالله والحاكم في المستدرك وقد تقدم اهـ قلت ورواه كذلك أبو يعلى والبيهقي في البعث وقد صححه
الحاكم وتعقبه الذهبي بان في سنده عباد بن شيبة الحبطي روى عنه عبد الله بن بكر السهمي ضعف وبقية
رجاله ثقات (وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق)
وقد تقدم الكلام على معنى التخلق بأخلاق الله ونقل صاحب المواهب عن المصنف انه يؤتى برجل يوم القيامة
فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالتسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من
يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد أحدا يكلمه في ذلك الامر الا قال له أنا أحوج لذلك منك فييأس فيقول
له رجل لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني شيأ خذها هبة فينطلق بها
فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو أعلم فيقول يارب اتفق من أمري كيت وكيت قال فينادي الله صاحبه
الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا الى الجنة وكذا استوى كفتا
الميزان برجل فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة
الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب الرجل أن يرد الى
الله فيقول الله ردوه فيقول له أيها العبد العاق لاي شئ تطلب الرجوع الي فيقول الهي اني سائر الى النار
وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار مثلي فضعف علي العذاب وانقذه منها قال فيضحك الله ويقول عققته في
الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أبيك وانطلقا الى الجنة (فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن
المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك عن مفصل القضاء
وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك
سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا
رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين
ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون
على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا) وقد تقدم
معنى ذلك من حديث أنس من عند صاحب الحلية وروى نحوه عن سلمان في كتاب الاهوال لابن أبي الدنيا
(فترى ان هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك
وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه المرتبة) العالية (بالاخلاص
الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله تعالى بان
خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة) ولو نحو أف للوالدين (فمقتك لاجلها فقال
عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك) بل هي مردودة عليك (فلا تسمع هذا النداء الا ويسود
وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك يتناول اليك
الزبانية) وهم الملائكة الموكلة بالنار (وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها
المنكرة فأخذوا بناصيتك) وأقدامك (يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى اسوداد

وجهلك والى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدى الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطار الاعظم وهو خطر الصراط (٤٨١)

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الاهوال فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفى قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى أول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم كيف يتنكسون فتتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر الى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد اليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون

وجهلك والى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا) كما روى معناه فى حديث أنس المتقدم (وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة) الفانية عن قرب (ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم) وقد ورد فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة كما تقدم (مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدى الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر) بعد (بالخطر الاعظم) والخطب الافزع الاهم (وهو خطر الصراط)*

(صفة الصراط)

(ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) أى عطاشا (وفى قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون) أى عن أعمالهم وأقوالهم ونياتهم (فالناس بعد هذه الاهوال) فى الموقف (يساقون الى الصراط وهو) كما فى الاخبار الواردة (جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم) المشار اليه بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقد اختلف فى تفسيره على أقوال كثيرة أشهرها طريق الحق (خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى أول قدم من الصراط وتردى) وروى الحاكم عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمامكم عقبة كؤد لا يجوزها المثقلون وذكر صاحب المواهب ان فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع الى النار أحد من هؤلاء ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخارى من حديث أبى سعيد يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى فى الجنة بمنزله فى الدنيا (فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها) وزفيرها (وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت الى أن ترفع القدم الثانى والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم كيف يتنكسون فتتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر الى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد اليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون)

في النار والرسول عليه السلام يقول يارب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من
الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت أمي لم تلدني وعند ذلك تختطفك النيران
والعياذ بالله و ينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك
وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير (٤٨٢) مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه
غافلا و بالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا و رعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال أبو سعيد الخدري

أي يتساقطون (في النار والرسول عليه السلام يقول يارب سلم سلم) وكذلك الملائكة وهو شعار المؤمنين يومئذ كما في الخبر وسيأتي (والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه) في الدنيا (فياليتني قدمت لحياتي ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ياليتني كنت ترابا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت أمي لم تلدني) والقائلون ذلك المجرمون والكفار كما ورد التصريح بذلك في بعضها وفي بعضها بمناسبة السياق و يدل لذلك قوله (وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت) به (مؤمنا وعنه غافلا و بالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري) وفي لفظ بين ظهراني (جهنم) أي أجزائها (فأكون) أنا (أول من يجيز بامته من الرسل) وفي لفظ فأكون أنا وأمتي أول من يجوز (ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) وهو نبت بالبادية شوكه مفرطح (هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان) في الصورة والهيئة (غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل) أي يصير قطعا كالخردل (ثم ينجو) الحديث بطوله قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل اه قلت أخرجاه من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة وعند مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يأتي الرجل لا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوات سقط في النار قاله ابن العربي و يؤخذ من قوله فمخدوش الخ ان المار ين على الصراط ثلاثة أصناف ناج بلا خدش وهالك من أول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المؤمنين يومئذ على الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين فيسمى ذلك شعارا لهم (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه) أي على طرفي الجسر (ملائكة يقولون اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة وذكر الى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس آخر
يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى
ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون
وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة وذكر الى

آخر الحديث) وتمامه فيؤخذون ضبارات فيقذفون على نهر من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل اما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت فى الغثاء فيكون فى آخر من أخرج من النار رجل على شفتها فيقول يارب اصرف وجهى عنها فيقول عهدك وذمتك لاتسألنى غيرها وعلى الصراط ثلاث شجرات فيقول يارب حولنى الى هذه الشجرة آكل من ثمرها وأكون فى ظلها فيقول عهدك وذمتك لاتسألنى غيرها ثم يرى أخرى هى أحسن منها فيقول يارب حولنى الى هذه آكل من ثمرها وأكون فى ظلها فيقول عهدك وذمتك لاتسألنى غيرها ثم يرى أخرى فيقول يارب حولنى الى هذه آكل من ثمرها وأكون فى ظلها ثم يرى سواد الناس ويسمع كلامهم فيقول يارب أدخلنى الجنة فيعطى الدنيا ومثلها قال العراقى متفق عليه مع اختلاف ألفاظه اهـ قلت هذا السياق بتمامه لاحمد وأبى يعلى وابن حبان والحاكم ولاحمد وعبد بن حميد من حديث أبى سعيد وأبى هريرة معا آخر من يخرج من النار رجلان يقول الله عز وجل لاحدهما يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم هل عملت خيرا قط هل رجوتنى فيقول لا يارب فيؤمر به الى النار فهو أشد أهل النار حسرة ويقول للآخر يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم هل عملت خيرا قط ورجوتنى فيقول لا يارب الا أنى كنت أرجوك فترفع له شجرة فساق الحديث نحو السياق المتقدم وروى مسلم من طريق جعفر بن عون أخبرنا هشام بن سعيد أخبرنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فساق الحديث وفيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد لتلحق كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد ما كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صورة الا ذهبوا يتساقطون فى النار ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب قال ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ثم يضرب الجسر على جهنم قلنا وما الجسر يارسول الله بابينا وأمنا قال دحض مزلة له كلاليب وخطاطيف وحسك تكون بنجد يقال لها عقيقاء يقال له السعدان فيمر المؤمن كلمح البرق وكالطرف وكالريح وكالطير وكأجود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم فوالذى نفسى بيده ما أحد بأشد مناشدة فى الحق يراه مضيئا له من المؤمنين فى اخوانهم وأول الحديث عند البخارى هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب هل تمارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب فانكم ترونه كذلك يحشر الله الناس يوم القيامة فساق الحديث وفيه ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بامته ثم ساقه كما ساق المصنف وقال بعد قوله ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيأ ممن يقول لا اله الا الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود الحديث بطوله وفى آخره حتى اذا انتهت به الامانى قال الله عز وجل لك مثل ذلك وعشرة أمثاله ورواه كذلك أحمد ومسلم ورواه كذلك أحمد والشيخان من حديث أبى هريرة الا أن فى حديث أبى هريرة لك ذلك ومثله معه (وعن ابن مسعود) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى وقت سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضىء مرة ويخبو مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم كشد الرجل) أى كجريه (حتى يمر الذى أعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا اذ نجانى منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل) قال العراقى رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا اهـ قلت هذا

آخر الحديث وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضىء مرة ويخبو مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى أعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحدا اذ نجانى منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل

السياق بتمامه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاهوال وقد روي بعض ذلك من قول ابن مسعود روى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن مسعود وقال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره على ابهامه يطفأ مرة ويتقد أخرى وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين يوم القيامة من يضيء له نوره كما بين المدينة الى عدن أبين الى صنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وروى أحمد ومسلم والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب ادنني من هذه الشجرة الحديث بطوله (وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب وقال هذا اسناد ضعيف قال وروي عن زياد النميري عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهي رواية صحيحة اهـ ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة اهـ قلت وروى مسلم عن أبي سعيد قال بلغني ان الصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة وفي رواية ابن منده من هذا الوجه قال سعيد بن هلال بلغني ووصله البيهقي عن أنس رفعه بجزم وما به وفي سنده لين وقيل انه شعرة من جفن مالك خازن النار ولم يرله مستند ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب انه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم سلم وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعر وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله قال الحافظ في الفتح وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط أرق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع رواه ابن المبارك وهو مرسل أو معضل وقد ذهب بعض الناس الى أن المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول وروي ذلك عن جابر بن عبد الله مرفوعا رواه أحمد والبيهقي باسناد حسن ويروى مرفوعا الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء قال ابن الجوزي في روضة المشتاق اذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش يافرط الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما أعظم خوفها وأشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا مهينا ويتأخر عنها من كان فيها عظيما امكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه وامحمداه فيبادر صلى الله عليه وسلم من شدة اشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي رافعا صوته رب أمتي أمتي لا أسأل اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط وعن يساره ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما أنذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي المختار اهـ نقله صاحب المواهب وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيامة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وأمة أمة ويضرب الجسر على جهنم وينادي أين أحمد وأمته فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون بعده فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم

وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير

على

فهذه أهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع بين
خوفين على عبد فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك
و يرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما هذا من الخوف في شئ بل من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى و يحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء و وراءه حصن فاذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه وأحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني ذلك عنه من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له
مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن
محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركا بادعيتهم فعساك أن تنفع من
شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة *(صفة الشفاعة)*

على الطريق على عينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش وحكى القرطبي عن
بعض أهل العلم لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل في سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسئل عن الايمان بالله
وهو شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسئل في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها مخلصا جاز ثم
يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في القنطرة الرابعة عن الزكاة فان جاء بها
تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل
والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل في القنطرة السابعة عن ظلامات الناس وليس في القناطر أصعب منها
(فهذه أهوال الصراط وعظائمه) أي شدائده (فطول فيه فكرك فان أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من
طال فيه فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في الرجاء والخوف
(فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا أمنها في الآخرة) لا محالة (ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع
عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما هذا من الخوف في شئ بل من خاف
شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (فلا ينجيك) من هول ذلك اليوم (الا خوف
يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى) الذين عدموا جوهر العقل
(اذا سمعوا) تلك (الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعنت بالله) أو المستعان بالله أو (نعوذ
بالله) من تلك الاهوال أو رب (سلم سلم) أو ما أشبه هذه الكلمات (وهم مع ذلك مصرون على المعاصي)
ومقيمون على القبائح والزلات (التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من
يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن) منيع يمكنه أن يفر من بين يديه و يتحصن بذلك الحصن (فاذا رأى
أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين) من شر هذا السبع (واستعين بشدة
بنيانه واحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة
ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا) فمن قالها صادقا فقد تحصن من تلك الاهوال وأمن شرها وروى ابن النجار
من حديث علي قال الله عز وجل لا اله الا الله كلامي وأنا هو فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن
عقابي و رواه الشيرازي في الالقاب بلفظ قال الله عز وجل اني أنا الله لا اله الا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني
ومن دخل حصني أمن من عذابي وروى ابن النجار من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه من قال لا اله الا الله
يصدق لسانه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء وروى أحمد والبيهقي من حديث معاذ من مات وهو
يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة (ومعنى صدقه أن لا يكون لك مقصود سوى
الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخاطر في نفسه) وهو المفهوم
من خبر أبي سعيد من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة رواه البزار والطبراني في الاوسط (فان عجزت عن ذلك
كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من أمته
ومتبركا بأدعيتهم فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة) والله الموفق

(صفة الشفاعة)

اعلم انه قد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من أدخل من المذنبين النار وتمسكوا بقوله تعالى
فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * وأجاب أهل السنة بأن هذه
الآيات في الكفار قال القاضي عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا و وجوبها سمعا لصريح قوله
تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن و رضي له قولا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله عسى أن

يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما سيأتي وقد جاءت الروايات من الاخبار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وقد أشار المصنف الى ذلك فقال (اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية أصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل غضب الله فيه ولا تستحقر طاعة أصلا فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيه) نقل هذا السياق عن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين كما في القوت وتقدم وساقه باطول منه الزندوستي في كتابه روضة العلماء (ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة) الصغيرة (أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار) المروية (كثيرة) ومن أدلها (ما قال الله تعالى) في كتابه العزيز عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجبة قال أهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا في شئ ثم أحرمه كان عارا والله تعالى أكرم من أن يطمع أحدا في شئ ثم لا يعطيه ذلك فقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال أحدها انه الشفاعة قال الواحدي أجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه قال الفخر الرازي اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاما أنعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخلص من العقاب أعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به اليها لان احتياج الانسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب أهل السنة ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره فيجب حمل اللفظ عليه وقال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني في مقام الدعاء كما في حديث حذيفة عند الطبراني القول الثالث مقام تحمد عاقبته وضعفهما الفخر القول الرابع هو اجلاسه صلى الله عليه وسلم على العرش أو على الكرسي وقد روى ذلك عن ابن مسعود ومجاهد وضعفه الواحدي جدا وبالغ في رده وأجاب ابن عطية بقوله وهو كذلك اذا حمل على ما يليق به وقال الحافظ في الفتح هو غير مدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر ومن شواهد الشفاعة قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال الحسن هي الشفاعة رواه ابن أبي حاتم وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال اي والله حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشفع لامتي حتى يناديني ربي رضيت يا محمد فاقول نعم يارب رضيت ثم أقبل على فقال انكم لتقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول كذلك قال فكلنا أهل البيت نقول ان أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة قلت وكون أرجى آية في القرآن يا عبادي الذين أسرفوا الآية قد رواه الشيرازي في الالقاب وابن مردويه من حديث ابن مسعود ولا تعارض بين القولين وقد ذكر السيوطي في الاتقان في أرجى آية في القرآن بضعة عشر قولا وروى ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس قال في الآية من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وعند البيهقي

اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا أصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية أصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فان الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى

في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه بلفظ رضاه ان تدخل أمته الجنة كلهم وعند الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عنه قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار (وروى عمرو بن العاص) رضي الله عنه كذا في نسخ الكتاب وصوابه عبد الله بن عمرو (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) قال العراقي ليس هو من حديث عمرو بن العاص وانما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الاحياء ذكر عبد الله من بعض النساخ اه قلت رواه مسلم عن يونس بن عبد الاعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحرث ان بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمر وقد ذكره ورواه اللالكائي في كتاب السنة من هذا الوجه (وقال صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا) أي من الخصال قاله في تبوك آخر غزواته (لم يعطهن) الفعلان مبنيات للمفعول والفاعل الله (أحد) من الانبياء (قبلي) أي لم تجتمع لاحد منهم أو كل واحدة لم تكن لاحد منهم فهي من الخصائص وليست خصائصه منحصرة في الخمس بل هي تزيد على ثلاثمائة كما بينه الائمة والتخصيص بالعدد لا ينفي الزيادة ولا مانع من كونه اطلع أولا على البعض ثم على البقية فان قيل ذا انما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة قلنا ان ثبت فذاك والاحمل على انه اخبار عن زيادة مستقبلا عبر عنه بالماضي تحقيقا لوقوعه (نصرت بالرعب) بالضم الفزع أو الخوف مما يتوقع نزوله (مسيرة شهر) أي نصرني الله بالقاء الخوف في قلوب أعدائي من مسيرة شهر بيني وبينهم من سائر نواحي المدينة وجعل الغاية شهرا اشارة الى انه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر اذ ذاك فلا ينافي ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير وهذه خصوصية له ولو بلا عسكر وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو وفي اختصاص أمته بذلك احتمالات رجح بعضهم منها انهم رزقوا منه حظا وافرا لكن ذكر ابن جماعة انه جاء في رواية انهم مثله (وأحلت لي الغنائم) جمع غنيمة اسم لما أخذ من الكفار بقهر وغيره فيعم الفيء اذ كل منهما اذا انفرد عم الآخر والمراد باحلالها له انه جعل له التصرف فيها كما شاء وقسمها كما أراد أو المراد اختصاصه بها هو وأمته دون الانبياء فان منهم من لم يؤذن بالجهاد فلم تكن له غنائم ومنهم المأذون الممنوع منها فتجيء نار فتحرقها الا الذرية ويرجح الثانية قوله (ولم تحل) يجوز بناؤه للفاعل وللمفعول (لاحد) من الامم السابقة وفائدة التقييد بقوله (قبلي) التنبيه على المخصص عليه من الانبياء وانه أفضلهم حيث خص بما لم يخصوا (وجعلت لي الارض) زاد أحمد ولامتي (مسجدا) أي محل سجود ولو بغير مسجد فلا يختص بمحل بخلاف الامم السابقة فان الصلاة لا تصح منهم الا في مواضع مخصوصة من نحو بيعة أو كنيسة فابيحت الصلاة لنا بأي محل كان ثم خص منه نحو حمام ومقبرة ومحل نجس على اختلاف المذاهب تحريما وكراهة (وترابها طهورا) وفي رواية وتربتها لنا طهورا أي مطهرا ومنهم من فسره فقال أي طاهرا الا أن الخصوصية هنا في التطهير لا في الطاهرية واستدل به على ان الطهور هو المطهر لغيره لان الطهور لو كان المراد به طاهرا لم تثبت الخصوصية والحديث انما سيق لاثباتها وفسر المسجد بقوله (فايما رجل من أمتي) وفائدته بشارتهم بهذا الحكم التيسيري (أدركته الصلاة) أي صلاة كانت (فليصل) بوضوء أو تيمم ذكر ذلك لدفع توهم انه خاص به (وأعطيت الشفاعة) العامة والخاصة الخاصتان فاللام للعهد ان عهد اختصاص والا فللجنس والمراد المختصة بي (وكل نبي بعث الى قومه خاصة) وهو صريح في اختصاص عموم البعثة واستشكل بآدم فانه بعث لجميع بنيه وكذا نوح بعد خروجه من السفينة وأجيب بأجوبة أصحها ان المراد البعثة الى الاصناف والاقوام وأهل الملل المختلفة وآدم ونوح ليسا كذلك (وبعثت الى الناس عامة) وفي رواية لمسلم كافة بدل عامة والمراد ناس في زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ولم يذكر الجن لان الانس أصل أو مقصود بالذات أو

روى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه جبريل فسأله فاخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل وأعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الارض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه

المتنازع فيه أو أكثر اعتناء أو ان الناس يشمل الثقلين بل خبر وأرسلت الى الخلق يفيد ارساله للملائكة كما عليه السبكى قال العراقى متفق عليه من حديث جابر اهـ قلت رواه فى الصلاة وغيرها ورواه أيضا النسائى فى الطهارة والدارمى وعبد بن حميد وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعا أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة وروى أحمد والحكيم من حديث ابن عباس أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ولا أقوله فخرا بعثت الى الناس كافة الاحمر والاسود وكان النبى قبلى يبعث الى قومه ونصرت بالرعب امامى مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخرتها لامتى فهى لمن لم يشرك بالله شيأ وعند البيهقى فى البعث بلفظ جعلت لى الارض طهورا ومسجدا ولم يكن نبى من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه وأعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بينى وبين المشركين مسيرة شهر فيقذف الله الرعب فى قلوبهم وكان النبى يبعث الى خاصة قومه وبعثت أنا الى الجن والانس وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجىء النار فتأكله وأمرت أن أقسمها فى فقراء أمتى ولم يبق نبى الا أعطى سؤله وأخرت شفاعتى لامتى وروى الطيالسى وأحمد والدارمى وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء من حديث أبى ذر أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى أرسلت الى الابيض والاسود والاحمر وجعلت الارض لى مساجد وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد كان قبلى ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو منى مسيرة شهر وقيل لى سل تعطه فاختبأت دعوتى شفاعة لامتى وهى نائلة منكم ان شاء الله تعالى من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيأ وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى أرسلت الى الاحمر والاسود وكان النبى يرسل الى الناس خاصة ونصرت بالرعب حتى ان العدو ليخافنى من مسيرة شهر أو شهرين وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقيل لى سل تعطه فادخرت دعوتى شفاعة لامتى فهى نائلة ان شاء الله تعالى لمن مات لا يشرك بالله شيأ وروى أيضا من حديث ابن عمر أعطيت خمسا لم يعطها نبى قبلى بعثت الى الناس كافة الاحمر والاسود وانما كان يبعث كل نبى الى قريته ونصرت بالرعب يرعب منى العدو مسيرة شهر وأعطيت المغنم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخرتها لامتى ورواه كذلك الحكيم فى النوادر وروى أحمد والطبرانى من حديث أبى موسى أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى كان قبلى وأعطيت الشفاعة وانه ليس من نبى الا وقد سأل الشفاعة وانى أخرت شفاعتى ثم جعلتها لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ (وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر) قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى بن كعب قال الترمذى حسن صحيح اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والرويانى والحاكم والضياء (وقال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم) فى الدنيا والآخرة (ولا فخر) حال مؤكدة أى أقول هذا ولا فخر أى لا أفتخر بذلك بل فخرى بمن أعطانى هذه الرتبة وهذا قاله للتحدث بالنعمة واعلاما للامة ليعتقدوا فضله على جميع الانبياء (وأنا أول من تنشق الارض عنه) وفى رواية عن جمجمتى أى أول من يعجل الله احياءه مبالغة فى الاكرام وتعجيلا لجزيل الانعام (وأنا أول شافع) يوم القيامة أو فى الجنة لرفع الدرجات وقد جاء فى الخبر عند مسلم أنا أول شافع فى الجنة (وأول مشفع) بقبول شفاعته فى جميع أقسام الشفاعة له (بيدى لواء الحمد) أى علم يأوى تحته الاولون والآخرون وأضيف اللواء الى الحمد الذى هو الثناء على الله بما هو أهله لان ذلك هو منصبه فى ذلك الوقت دون غيره من الانبياء (تحته آدم فمن دونه) قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى اهـ قلت سياق المصنف رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن سلام الا أنه قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الارض ولا فخر والباقى سواء وأما

سياق حديث أبي سعيد عند الترمذي فهو أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ورواه كذلك أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد سياق آخر طويل أوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر فيفزع الناس ثلاث فزعات الحديث وسيأتي تمامه ورواه كذلك ابن خزيمة في الصحيح (وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة اه قلت روى ذلك من حديث أبي هريرة وجابر وأبي سعيد فحديث أبي هريرة رواه أحمد والشيخان بلفظ لكل نبي دعوة يدعو بها فاريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية لمسلم لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية للشيخين لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له واني أريد ان شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية لمسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيأ ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه وأما حديث جابر فرواه أحمد ومسلم وابن خزيمة بلفظ لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وأما حديث أبي سعيد الخدري فرواه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن عساكر بلفظ كل نبي قد أعطى عطية فتنجزها واني اختبأت عطيتي شفاعة لامتي يوم القيامة (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنصب للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري) فارغا (لا أجلس عليه) لكن أقوم (قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة أن يبعث بي الى الجنة وتبقى أمتي بعدي فاقول يارب أمتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فاقول يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكا كا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك من بقية) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وفي اسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف اه قلت هو محمد بن ثابت بن أسلم روى له الترمذي ضعفه النسائي وغير واحد وقال الحاكم لا باس به (وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر) قال العراقي رواه أحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن اه قلت لكن بزيادة وشجر بعد ومدر وكذلك رواه البغوي وابن شاهين وابن قانع والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث أنيس الانصاري قال الطبراني هو عندي البياضي قال الحافظ في الاصابة روى البغوي وابن شاهين والطبراني في الاوسط من حديث عباد بن راشد عن ميمون بن سياه عن شهر بن حوشب قال قام رجال خطباء يشتمون عليا ويقعون فيه فقام رجل من الانصار يقال له أنيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل وشتمه وأقسم بالله لانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر أترون شفاعته تصل اليكم ويعجز عن أهل بيته قال الطبراني في الاوسط لا يروى عن أنيس الا بهذا الاسناد قال وأنيس الذي روى هذا الحديث هو عندي البياضي له ذكر في المغازي وتبعه أبو موسى المديني (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة) روى بالمهملة وبالمعجمة وعلى الاهمال اقتصر ابن السكيت والمعنى قبض عليها وتناولها بمقدم أسنانه وفرق بينهما الليث وتبعه ابن القوطية وقال ثعلب بالمهملة يكون باطراف الاسنان وبالمعجمة بها وبالاضراس وتمام البحث في شرحي على القاموس (ثم قال أنا سيد المرسلين) وفي لفظ أنا سيد الناس (يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر) وفي لفظ فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي (وتدنو الشمس) أي تقرب من جماجمهم كما تقدم (فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون) أي لما يصيبهم من

وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى أمتي بعدي فاقول يارب أمتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكا كا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال أبو هريرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون

فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ماقد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه الا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول أمتي أمتي يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك

المشقة والحزن (فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون) الى ما أنتم فيه ألا ترون (ماقد بلغكم) وفي رواية الى ما بلغتم (ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام) وفي رواية ائتوا آدم (فيأتون آدم فيقولون له) ياآدم (أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك) وفي رواية بزيادة وأسكنك الجنة (اشفع) وفي رواية ألا تشفع (لنا عند ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول آدم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) وفي رواية ولا يغضب (وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي) نفسي (اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى مانحن فيه) وفي رواية ألا ترى الى مانحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك (فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله) ولا يغضب بعده مثله (وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي) وفي رواية دعوت بها على قومي أي فاستجيب له فلم تبق لى دعوة أخرى وفي رواية فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته سؤاله ربه ماليس له به علم كما قال تعالى اخبارا عنه ونادى نوح ربه الآية (نفسي نفسي) نفسي (اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا عند ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها) وفي رواية فذكرها وهي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لامرأته قولى لهم اني أختك (نفسي نفسي) نفسي (اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته) وفي رواية برسالاته (وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني) قد (قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي) نفسي (اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول عيسى ان ربي) قد (غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي) نفسي (اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني) وفي رواية فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم (فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين) وفي رواية الانبياء (و) قد (غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي) ثم (يفتح الله لي) وفي رواية علي (من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه) كذا في النسخ وهكذا هو في حديث أنس عند البخاري والرواية هنا تعط بلا هاء وهي تحتمل أن تكون هاء السكت أو ضميرا والمفعول محذوف تقديره وسل ماشئت تعط (واشفع تشفع) أي تقبل شفاعتك (فارفع رأسي فاقول أمتي) يارب (أمتي يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك

من لا حساب عليهم) وفى رواية عليه (من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصاريع أبواب الجنة كما بين مكة وحميرى) بضم الحاء المهملة وآخره ألف مقصورة كذا فى النسخ وهو تحريف من النساخ والصواب هجر (وكما بين مكة وبصرى) بضم الموحدة موضع بالشام وفى لفظ أو كما (وفى حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم عليه السلام وهو قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم وقوله انى سقيم) قال العراقى متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم اه قلت وقد رواه من طريق أبى زرعة عن أبى هريرة ورواه كذلك أحمد والترمذى وللشيخين أيضا من حديث أنس يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذى اصابه فيستحى ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر لهم خطيئته سؤاله ربه ماليس له به علم فيستحى ربه من ذلك ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التى قتل بغير نفس فيستحى ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاقوم فامشى بين سماطين من المؤمنين حتى أستاذن على ربى فيؤذن لى فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا لربى تبارك وتعالى فيدعنى ماشاء أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسى فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم أعود اليه ادعوه الثانية فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا لربى تبارك وتعالى فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسى فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا لربى تبارك وتعالى فيدعنى ماشاء أن يدعنى ثم يقول ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسى فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول يارب مابقى الا من حبسه القرآن فيخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة وهكذا رواه أيضا الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وروى مسلم والنسائى وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم من حديث أبى هريرة وحذيفة معا يجمع الله الناس يوم القيامة فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيقول لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا وراء وراء اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا فيمر اولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم الحديث وقد تقدم تمامه عند ذكر الصرط وروى أحمد والنسائى والدارمى وابن خزيمة والضياء من حديث أنس انى لاول الناس تنشق الارض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر وأعطى لواء الحمد ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر وآتى باب الجنة فاذا الجبار عز وجل مستقبلى فاسجد له فيقول ارفع رأسك فاذا بقى من بقى من أمتى فى النار قال أهل النار ما اغنى عنكم انكم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به شيأ فيقول الجبار فبعزتى لاعتقنهم من النار فيخرجون وقد امتحشوا ويدخلون فى نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة فى غثاء السيل ويكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله عز وجل فيقول أهل الجنة هؤلاء الجهنميون

من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحجر أو كما بين مكة وبصرى وفى حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم

فيقول الجبار بل هؤلاء عتقاء الجبار وروى أحمد وابن خزيمة والضياء من حديثه أيضا انى لقائم أنتظر أمتى تعبر الصراط اذ جاءنى عيسى فقال هذه الانبياء قد جاءتك يا محمد يسألون ويدعون الله أن يفرق بين جميع الامم الى حيث شاء الله لغم ماهم فيه والخلق ملجمون فى العرق وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبى الله فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفعت فى أمتى أن أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا فمازلت أتردد الى ربى عز وجل فلا أقوم منه مقاما الا شفعت حتى أعطانى الله من ذلك ان قال يا محمد ادخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد ان لا اله الا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك وروى أبو داود والبيهقى من حديث عامر بن سعد عن أبيه رفعه انى سألت ربى وشفعت لامتى فاعطانى ثلث أمتى فخررت ساجدا شكرا لربى ثم رفعت رأسى فسألت ربى لامتى فاعطانى ثلث أمتى فخررت ساجدا لربى شكرا ثم رفعت رأسى فسألت ربى لامتى فاعطانى الثلث الآخر فخررت ساجدا لربى وروى الحاكم وابن عساكر من حديث عبادة بن الصامت انى لسيد الناس يوم القيامة غير فخر ولا رياء ومامن الناس من أحد الا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج وان بيدى لواء الحمد فامشى ويمشى الناس معه حتى انى باب الجنة فاستفتح فيقال من هذا فاقول محمد فيقال مرحبا بمحمد فاذا رأيت ربى عز وجل خررت له ساجدا شكرا له فيقال ارفع رأسك وقل تطاع واشفع تشفع ويخرج من النار من قد احترق برحمة الله وشفاعتى وروى الترمذى وابن خزيمة من حديث أبى سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر الحديث وفيه فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا آدم فاشفع لنا الى ربك فيقول انى أذنبت ذنبا أهبطت منه الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول انى دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول انى كذبت ثلاث كذبات مامنها كذبة الاماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول انى قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتونى فانطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فاقول محمد فيفتحون لى ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود وروى ابن أبى شيبة من حديث سلمان يأتون محمدا فيقولون يانبى الله أنت فتح الله بك وختم وغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر وجئت فى هذا اليوم وترى مانحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول أنا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهى الى باب الجنة وروى البخارى واللالكائى فى السنة من طريق أبى الاحوص عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر يقول الناس يوم القيامة يصيرون جثاء كل أمة تتبع نبيها تقول يافلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وروى البخارى من حديث ابن عمر ان الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما كذلك استغاثوا بآدم ثم بنوح فيقول لست بصاحب ذلك ثم موسى فيقول كذلك ثم محمد بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا وروى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصى عددهم الا الله بما عصوا الله واجترءوا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لى فى الشفاعة فاثنى على الله ساجدا كما أثنى عليه قائما فيقال ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع

(فصل) فى الكلام على بعض مايتعلق بالاخبار المتقدمة قال الحافظ فى الفتح قد استشكل فى حديث البخارى قولهم لنوح أنت أول الرسل من أهل الارض فان آدم نبى مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح وأجيب بما حاصله ان الاولية مقيدة بقوله أهل الارض لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى أهل الارض أوان الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلا والى هذا جنح ابن بطال فى حق آدم وتعقبه القاضى عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبى ذر فانه كالصريح فى أنه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة آدم كانت الى بنيه وهم موجودون ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الى

قوم

قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر المصنف رحمه الله تعالى فى الدرة الفاخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبي ونبي الى نبينا صلى الله عليه وسلم قال الحافظ فى الفتح ولم أقف لذلك على أصل ولقد أكثر فى هذا الكتاب من ايراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشئ منها ووقع فى رواية حذيفة وأبى هريرة معا قول الخليل عليه السلام انما كنت خليلا من وراء وراء هو بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز البناء على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء ويجوز فيه النصب والتنوين جوازا جيدا والمعنى لم أكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل المراد ان الفضل الذى أعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤيا والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذى هو وراء محمد وأما ماذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوى الحق انها انما كانت فى معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان من كان أعرف بالله وأقرب اليه منزلة كان أعظم خوفا وأما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع فى حديث ابن عباس عند أحمد والنسائى انى اتخذت الها من دون الله وفى حديث أنس عند أحمد وابن خزيمة انى لقائم أنتظر أمتى عند الصراط الخ أفادت هذه الرواية تعيين موقف النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذى وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصرط بعد تساقط الكفار فى النار وان عيسى هو الذى يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبياء يسألونه فى ذلك وفى حديث سلمان عند ابن أبى شيبة حتى ينتهى الى باب الجنة قد يقال ما الحكمة فى انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة أجيب بان أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب أن يكون فى مكان اكرام وفى حديث أبى بن كعب عند أبى يعلى فاسجد له سجدة يرضى بها عنى ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عنى وفى حديث أبى بكر الصديق فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع رأسك وفى حديث أنس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع رأسك وعلى هذا فالمعنى يقول على لسان جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون فى كل مكان ما يليق به فانه ورد فى رواية فاقوم بين يديه فيلهمنى بمحامد لا أقدر عليها ثم أخر ساجدا وفى رواية فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنى وفى رواية فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال ارفع رأسك يا محمد وعند البخارى من حديث أنس ثم اشفع فيحد لى حدا قال الطيبى أى يبين لى كل طور من أطوار الشفاعة حدا أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى هكذا وهكذا على هذا الاسلوب والذى يدل عليه سياق الاخبار ان المراد بها تفصيل مراتب المخرجين فى الاعمال الصالحة وفى رواية ثابت عند أحمد فاقول أى رب أمتى فيقول أخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة وزاد فى حديث سلمان ثم حبة خردل وفى رواية أبى سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير قال عياض قيل معنى الخير اليقين وأما قوله فى رواية أنس عند البخارى فاخرجهم من النار فقال الداودى كان راوى هذا الحديث ركب شيأ على غير أصله وذلك ان أول الحديث فى الشفاعة فى الاراحة من كرب الموقف وفى آخره ذكر الشفاعة فى الاخراج من النار يعنى وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط فى تلك الحالة فى النار ثم تقع بعد ذلك الشفاعة فى الاخراج وهو اشكال قوى وقد أجاب عنه النووى تبعا لعياض بانه قد وقع فى حديث حذيفة وأبى هريرة فيأتون محمدا ويؤذن له فى الشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبى الصراط أى يقفان فى ناحيته فبهذا ينفصل الكلام لان الشفاعة التى لجأ الناس اليه فيها هى لاراحة الناس من كرب الموقف ثم تجئ الشفاعة فى الاخراج انتهى والمعنى فى قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع فى حديث

أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تمييز بين المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا تجمع متون الاحاديث وتترتب معانيها وقد ظهر أنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع ليقضي بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار أيضا ويمر المؤمنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة

(فصل) في تفصيل الشفاعات هي خمس كما قاله النووي تبعا لعياض *الاولى في الاراحة من هول الموقف *الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب *الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا *الرابعة في اخراج من أدخل النار من العصاة *الخامسة في رفع الدرجات اهـ قال العراقي في شرح التقريب وانما أنكر الخوارج وبعض المعتزلة من هذه الاقسام اخراج قوم من النار بعد دخولهم فيها والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب وفي قوم حوسبوا واستوجبوا النار في عدم دخولهم اياها فهذه أقسام ثلاثة ولم ينكروا الشفاعة العظمى للاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها اهـ ولكل هذه الاقسام دلائل مستنبطة من الاخبار المتقدمة فالشفاعة الاولى يدل عليها حديث أبي هريرة المتقدم وحديث أنس حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم وأما الثانية فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة المتقدم فارفع رأسي فاقول أمتي يارب أمتي فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن وأما الثالثة فيدل عليها قوله في حديث حذيفة ونبيكم على الصراط يقول رب سلم وأما الرابعة فحديث عمران بن الحصين عند البخاري يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين وأما الخامسة وهي في رفع الدرجات فقال النووي في الروضة انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب كما في الصحيح وجدته في غمرات النار فاخرجته الى ضحضاح وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة وتعقبه الحافظ في الفتح بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس المذكورة وبانه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد رفعه أول من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف رواه البزار وأخرى لمن زار قبره الشريف وأخرى لمن أجاب المؤذن ثم صلى عليه صلى الله عليه وسلم وأخرى في التجاوز عن تقصير الصلحاء لكن هذه مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي انه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس وزاد في الفتح أخرى فيمن استوت حسناته وسيآته أن يدخل الجنة وهم أهل الاعراف وشفاعة أخرى وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط كما في حديث أنس قالوا ويرد على الخمسة أربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا فان قلت فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته أما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه يشاركهم فيها بقية الامم والجواب أنه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي للاراحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامم لكنهم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون هذه الامة يشاركونهم فيها أو في بعضها لا ينافي أن يكون عليه السلام ادخر دعوته بشفاعته لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم

انبياؤهم

فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال

أنبياؤهم ويحتمل أن تكون لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله أعلم

(فصل) ومما يدل على اثبات مطلق الشفاعة ما قال الترمذي في السنن حدثنا عبد الله بن الصباح حدثنا بدل بن محبر حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب حدثنا النضر بن أنس عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قال قلت يا رسول الله فاين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قال قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه قال الحافظ ابن ناصر الدين في منهاج السلامة وقد روي من وجه آخر الى حرب رواه القاسم بن عبد الله الروذباري فقال حدثنا اسحق بن الحسن الحربي حدثني حربي بن حفص حدثنا حرب بن ميمون الانصاري حدثنا النضر بن أنس عن أنس بن مالك قال قلت يا رسول الله خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة قال انا فاعل قلت فاين أطلبك قال اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط فان وجدتني والا فانا عند الميزان فان وجدتني والا عند حوضي لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع وحدث به ابن أبي خيثمة في تاريخه مختصرا عن حربي بن حفص وحدث به الامام أحمد في مسنده عن يونس عن حرب فذكره هذا حديث رجاله ثقات سوى حرب بن ميمون ومن أحاديث الشفاعة ما رواه الترمذي والبيهقي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رفعه شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال الترمذي انه حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقال البيهقي انه اسناد صحيح وأخرجه أيضا هو وأحمد وأبو داود وابن خزيمة من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ الشفاعة لاهل الكبائر من أمتي وهو وحده من طريق مالك بن دينار عن أنس بزيادة وتلا هذه الآية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية ومن طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ قلنا يا رسول الله لمن تشفع قال لاهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ومن طريق زياد النميري عن أنس بلفظ ان شفاعتي أو ان الشفاعة لاهل الكبائر وفي الباب عن جابر وكعب بن عجرة وحذيفة بن اليمان وغيرهم وقد تقدم شئ من ذلك في كتاب التوبة (فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر) قال العراقي رويناه في جزء ابن عمرو بن السماك من حديث أبي أمامة الا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان واسناده حسن وللترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله ابن أبي الجدعاء يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم قالوا سواك يا رسول الله قال سواي قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قيل أراد بالرجل أويسا انتهى قلت سياق المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن الحسن مرسلا قال الحسن هو أويس القرني واما حديث أبي امامة فرواه شبابة بن سوار وغيره حدثنا حريز بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال الذهبي حديث صالح السند غريب قال وروي باسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعا ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفا قلت رواه الطبراني في الكبير وأما حديث عبد الله بن أبي الجدعاء فرواه الثوري ويزيد بن زريع عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال جلست الى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابن أبي الجدعاء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة فساقه وزاد يزيد عن الحذاء في حديثه قال أظن الرجل عثمان ولم يسم يزيد في حديثه ابن أبي الجدعاء بل قال رجل قاله الذهبي قلت رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب ورواه البيهقي في الدلائل قال وليس لابن أبي الجدعاء غيره ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس ورواه أبو نعيم وابن عساكر أيضا من حديث واثلة بن الاسقع وقد تقدم ورواه هناد من حديث الحرث بن أقيس وليس له غيره ان من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر ورواه أحمد وأبو يعلى بلفظ لمن يشفع لاكثر من ربيعة ومضر (وقال صلى الله عليه وسلم يقال

للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار و يقول يافلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره و يقول اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اقوم بين يدي ربي عز وجل فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس رضي الله عنهما جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله و روحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين

للرجل قم يافلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد ان من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن وللبزار من حديث أنس ان الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والقبيلة اهـ قلت حديث أبي سعيد رواه أيضا أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وتمامه ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة وأما حديث أنس فرواه أيضا ابن خزيمة بلفظ يشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل وروى الطبراني من حديث أبي امامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ويشفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله * ومما يدل على اثبات الشفاعة لغير الانبياء ما رواه ابن ماجه من حديث عثمان يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وروى أبو داود والطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته يوم القيامة (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار و يقول يافلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره و يقول اني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من أنت فقال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار) قال العراقي رواه أبو يعلى بسند ضعيف وله عنده اسنادان أحدهما حسن بالفاظ أخر انتهى قلت لفظ أبي يعلى ان الرجل من أهل الجنة يشرف على أهل النار وفيه فيقول لا والله ما أعرفك من أنت و يحك وفيه فيدخل ذلك الرجل على الله في زوره فيقول يارب اني أشرفت والباقي سواء (وعن أنس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب اهـ قلت ورواه الدارمي كذلك وفي رواية للترمذي بعد قوله اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وخطيبهم اذا انصتوا وشفيعهم اذا حبسوا وفي آخره زيادة يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور وروى ابن النجار من حديث أم كرز بلفظ أنا سيد المرسلين اذا بعثوا وسابقهم اذا وردوا ومبشرهم اذا أبلسوا وامامهم اذا سجدوا وأقربهم مجلسا اذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني وأشفع فيشفعني وأسأل فيعطيني (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح انتهى قلت وأول الحديث عنده أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى الخ (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما (جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال الآخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال الآخر فعيسى كلمة الله و روحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء

المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر) قال العراقى رواه الترمذى وقال غريب اهـ قلت لانه قال فيدخلنيها بدل فادخلها والباقى سواء ورواه الديلمى مقتصرا على قوله أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لى فيدخلنيه الله ومعى فقراء المؤمنين وأنا سيد الاولين والآخرين من النبيين ولا فخر وروى ابن النجار من حديث أنس أنا أول من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع وروى أحمد وأبو يعلى والدارمى والترمذى من حديثه أيضا أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها وعند مسلم عنه أنا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة

(صفة الحوض)

(اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله به نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ أبدا) لما فرغ المصنف من بيان أحوال الموقف من شدة الازدحام والانضمام واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد فى حرها ويضاعف فى وهجها ولا ظل هنالك الا ظل عرش ربك مع انضمام ذلك من حر الناس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيهم من الكرب ولاريب ان هذا موجب لحصول العطش فى ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء ثم آخر موجود وأعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم فذكر صفة الحوض ولا شك فى كونه مكرمة عظيمة وكونه خص به نبينا صلى الله عليه وسلم فهو المشهور والذى لا يعرف سواه قال القرطبى فى المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص حبيبه صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الاحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة ما نيف على الثلاثين منهم فى الصحيحين ما نيف على العشرين وفى غيرها بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف وأهل السنة من الخلف اهـ ومنهم من قال ان لكل نبى من الانبياء حوضا هنالك يقوم عليه كنبينا صلى الله عليه وسلم ففى حديث سمرة عند الترمذى ان لكل نبى حوضا كما يأتى للمصنف ورواه ابن أبى الدنيا من مرسل الحسن وزاد وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته الا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعا وانى لارجو أن أكون أكثرهم تبعا وروى الطبرانى من حديث أبى سعيد وكل نبى يدعو أمته ولكل نبى حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لا يأتيه أحد وانى لاكثر الانبياء تبعا يوم القيامة فان ثبت ما فى هذه الاخبار فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به فى سورة الكوثر كذا فى الفتح وأما ما ذكر من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ أبدا فقد ثبت ذلك فى أخبار الحوض ومنه ما يأتى ذكره للمصنف ومن حديث أنس عند البزار ومن شرب منه شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا وزاد فى حديث أبى امامة عند أحمد وابن حبان ولم يسود وجهه أبدا وفى حديث عبد الله بن عمرو ومن شرب منه لا يظمأ أبدا

(فصل) فى تعيين محله قال القرطبى فى التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى العكس والصحيح أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه الحافظ فى الفتح بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب فى الحوض ويطلق على الحوض كوثرا لكونه يمد منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبى أن الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف وهم عطاش فيرد المؤمنون وتتساقط الكفار فى النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفى حديث

المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر

(صفة الحوض)

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه وفى الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ أبدا

قال انس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا له يا رسول الله ضحكت فقال آية انزلت على آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أسير في الجنة اذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان

أبي ذر مما رواه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لم يظمأ أن لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره والله أعلم وقد شرع المصنف في ذكر الاخبار الواردة في الحوض فقال (قال أنس) رضي الله عنه (أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال آية انزلت على آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء) قال العراقي رواه مسلم انتهى قلت وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في السنن ولفظهم جميعا انه انزلت على آنفا سورة فقرأ وفي رواية لهم آنيته عدد الكواكب ولفظ ابن أبي شيبة وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم وعند الجميع زيادة في آخره يختلج العبد منهم فأقول يارب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك ورواه مسلم والبيهقي من وجه آخر بلفظ ثم رفع رأسه فقرأ الخ قال البيهقي والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازي ان هذه السورة مكية وهذا اللفظ لا يخالفه فيشبه أن يكون أولى قلت وكون هذه السورة مكية روى عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة نقل ذلك ابن مردويه في التفسير وقد روى عن أنس حديث الحوض بألفاظ مختلفة منها هذا الذي ذكر ومنها قوله (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أسير في الجنة اذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مرفوع وان لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم اه قلت ورواه كذلك ابن حبان ولفظهم بينما أنا أسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت يا جبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نورا عظيما وفي بعض ألفاظه دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله هكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه ومنها قوله (وقال) أنس أيضا (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء أو مثل ما بين المدينة وعمان) صنعاء مدينة باليمن وعمان ضبطه ابن الاثير بتشديد الميم وقال انها مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين اه قال العراقي رواه مسلم اه قلت ورواه أيضا الطيالسي وأحمد وابن ماجه وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان ولفظهم جميعا ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة أو كما بين المدينة وعمان ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء أو أكثر وروى أحمد وابن المنذر وابن مردويه عن أنس انه قرأ هذه الآية انا أعطيناك الكوثر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت الكوثر فاذا هو نهر في الجنة يجري ولم يشق شقا واذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي الى تربته فاذا هو مسكة ذفرة واذا حصباؤه اللؤلؤ فهذه روايات ثلاثة لحديث أنس وروى أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه من حديثه ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير رأعناقها كأعناق الجزر قال عمر يا رسول الله انها الناعمة قال آكلها انعم منها يا عمر ورواه هناد بلفظ الكوثر نهر كما بين صنعاء الى أيلة من أرض

الشام

الشام آنيته عدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق البخت آكلها أنعم منها وروى ابن مردويه من حديثه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد أعطيت الكوثر قلت يارسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيتشعث أبدا لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي (وروى ابن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان) قال العراقي رواه الترمذي مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب الى لفظ المصنف اهـ قلت رواه الترمذي من طريق عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت انا أعطيناك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج وهكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وهناد وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عمر حوضي كما بين عدن وعمان أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك أكاويبه مثل نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه صعاليك المهاجرين الشعثة رؤسهم الشحبة وجوههم المدنسة ثيابهم الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يأخذون الذي لهم (وقال ثوبان) بن بجدد (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (ومن هم يارسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه اهـ قلت قال الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن صالح حدثنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال بعث الى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبي البريد فقال يا أبا سلام ما أردت ان أشق عليك ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحوض فأحببت ان تشافهني به قال أبو سلام حدثني ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حوضي من عدن الى عمان البلقاء فساقه وليس فيه ذكر عمر بن الخطاب وقال ولا تفتح لهم السدد (فقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك) بن مروان بن الحكم (وفتحت لي أبواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ) لفظ الترمذي قال عمر لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد نكحت فاطمة بنت عبد الملك لا جرم اني لا أغسل رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روى هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو سلام اسمه ممطور اهـ وقد رواه الحاكم بهذا اللفظ وقال ابن ماجه في سننه حدثنا محمود بن خالد الدمشقي حدثنا مروان بن محمد حدثني العباس بن سالم الدمشقي قال نبئت عن أبي سلام الحبشي قال بعث الى عمر بن عبد العزيز فأتيته وذكر الحديث بطوله وقد رواه أيضا الطيالسي وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم وأبو يعلى والباوردي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والضياء واللفظ لابي يعلى بعث عمر بن عبد العزيز الى أبي سلام الحبشي فحمل على البريد فلما قدم على عمر قال يا أمير المؤمنين قد شق على محمل البريد ولقد أشققت على رجلي فقال عمر ما أردنا بك المشقة يا أبا سلام ولكن بلغني عنك حديث ثوبان في الحوض فأحببت ان أشافهك به فقال أبو سلام سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان

وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يارسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد فقال عمر ابن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد الا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ

حوضي من عدن الى عمان البلقاء فساقه وقال وأ كاويبه وفيه ذكر لعمر بن الخطاب كما ساقه المصنف وفيه المتمنعات في الموضعين بدل المتنعمات وقال ولا تفتح لهم أبواب السدد وقال بلي جلدي والباقي سواء وعند ابن أبي عاصم في السنة زيادة بعد قوله ولا تفتح لهم أبواب السدد الذين يعطون الحق الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم (وعن أبي ذر) رضي الله عنه (قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل) قال العراقي رواه مسلم اه قلت ورواه كذلك أحمد والترمذي وعندهم بعد قوله المصحية آنيته في الجنة من شرب منها والضمير راجع الى الآنية وقد ساق المصنف حديث أربعة من الصحابة أنس وابن عمرو وثوبان وأبي ذر وقد ورد فيه عن غيرهم منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وبريدة بن الحصيب وابن مسعود وجندب البجلي وجابر بن سمرة وأبو سمرة وأبو برزة الاسلمي وأبو امامة الباهلي وابن عباس وعقبة بن عبد السلمي وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد بن شداد الفهري وأبي بن كعب وعائشة وأبو لبابة والبراء بن عازب وجبير بن مطعم واسامة بن زيد وحمزة بن عبد المطلب وأم محمد خولة بنت قيس وحذيفة ابن أسيد وخباب بن الارت وزيد بن أرقم وأوس بن الارقم وزيد بن أبي أوفى وزيد بن ثابت وسويد بن عامر وأبو بكرة وأبو الدرداء والصنابح بن الاعسر وسهل بن سعد وأسماء بنت أبي بكر وأم سلمة وعقبة بن عامر والصنابحي وهو غير الصنابح بن الاعسر وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فروى الشيخان والبغوي واللالكائي في السنة بلفظ حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا وفي رواية لهما الحوض مسيرة شهر والباقي سواء وفي أخرى ولا ينقص من شرب منه الا كما ينقص المخيط من الماء اذا شرب منه والبخاري وحده حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم ماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين من الزبد من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وللدارقطني في الافراد الحوض عرضه مثل طوله أبيض من الفضة وأحلى من العسل من شرب منه شربة لم يظمأ آخر ما عليه وروى ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا قال يارسول ما الكوثر قال نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله عرضه ما بين ايلة وعدن قالوا يارسول الله أله طين أو حال قال نعم المسك الابيض قال أله رضراض حصى قال نعم رضراضه الجوهر وحصباؤه اللؤلؤ قال أله شجر قال نعم حافتاه قضبان ذهب رطبة شارعة عليه قال لتلك القضبان ثمار قال نعم تنبت أصناف الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر فيه أكواب وآنية وأقداح تسعى الى من أراد ان يشرب منها منتشرة في وسطه بها كأنها الكوكب الدري وأما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فرواه أبو بكر بن أبي داود فقال حدثنا يزيد بن محمد بن المغيرة المهلبي حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت عاصما يحدث عن ذر عن حذيفة قال ان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وان آنيته عدد نجوم السماء تابعه علي بن حرب الطائي عن وهب بن جرير بن حازم وقال عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن ذر عن حذيفة انه قال ما بين طرفي حوض النبي صلى الله عليه وسلم كما بين ايلة ومضر آنيته أكثر أو مثل عدد نجوم السماء ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به ورواه الطبراني في كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد عن هدبة به وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن عاصم عن ذر عن حذيفة قال الحوض أبيض مثل اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك آنيته عدد نجوم السماء ما بين ايلة وصنعاء من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك أبدا وحدث به ابن أبي عاصم في كتاب السنة عن أبي بكر هو ابن أبي شيبة ومن

وعن أبي ذر قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل

طريقه رواه الطبراني في كتاب السنة فقال حدثنا عبيد بن غنام حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي الجعفي فذكره وهو في جميع طرقه المتقدمة موقوف لكن مثله لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع وقد صح ذكر الحوض من رواية حذيفة مرفوعا قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن فضيل عن حصين عن أبي وائل عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليردن على حوضي أقوام فيختلجون دوني ورواه الطبراني في كتاب السنة عن عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلقه البخاري في صحيحه فقال وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ووصله مسلم باختصار متنه فقال عقب حديث الاعمش ومغيرة عن أبي وائل عن ابن مسعود وحدثناه سعيد بن عمرو الاشعثي أنبانا عبثر وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن فضيل كلاهما عن حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث الاعمش ومغيرة ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن حصين عن أبي وائل عن حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليردن على الحوض أقوام حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فاقول يارب أصحابي فيقال انك لاتدري ما أحدثوا بعدك وقال أبو بكر محمد بن هرون الروياني في مسنده حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن شقيق عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه مثله وقال الخلعي في فوائده أخبرنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي المشطاحي حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوي حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن سعد بن طارق عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي لابعد من ايلة وعدن والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل والذي نفسي بيده اني لاذود عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن حوضه قال قيل وتعرفنا يومئذ قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم تابعه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص وأبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق ابن أخي ميمي فروياه عن عبد الله البغوي وعن المخلص رواه اللالكائي في كتاب السنة تابعه مسلم وابن ماجه فحدثا به في كتابيهما عن عثمان بن أبي شيبة به وروى الطبراني في الاوسط عن حذيفة قال الكوثر نهر في الجنة أجوف فيه آنية من الذهب والفضة لايعلمها الا الله وهذا موقوف له حكم الرفع وأما حديث جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه فقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا زكريا بن اسحق حدثنا أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض مسيرة شهر وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله وكيزانه مثل نجوم السماء وهو أطيب ريحا من المسك وأشد بياضا من اللبن من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا هذا الحديث على رسم مسلم فقد روى من طريق روح عن زكريا عن أبي الزبير عن جابر ستة أحاديث غير هذا قاله الامام الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ وروى البزار من طريق الشعبي عن جابر رفعه اني فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الامم فلا ترجعوا بعدي كفارا يقتل بعضكم بعضا فقال رجل يارسول الله ما عرضه قال ما بين ايلة أحسبه قال الى مكة فيه مكاكي أكثر من عدد النجوم لا يتناول مؤمن منها واحدا فيضعه من يده حتى يتناول آخر وقوله مكاكي جمع مكوك على البدل وهو طاس يشرب به ومكيال بالعراق قاله صاحب العين وفيه رد على ابن الانباري حيث منع ان يجمع مكوك على مكاكي وانما جمعه مكاكيك والجمعان جائزان والمكوك له معنيان كما ذكرا والاول يفسر به الحديث وقد نبهنا عليه في شرح القاموس وقال الطبراني في كتاب السنة حدثنا العباس بن الفضل حدثنا اسمعيل بن أبي أويس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرط لكم بين أيديكم فان لم تجدوني فانا على الحوض ما بين ايلة الى مكة وسيأتي رجال ونساء فيطردون عنه فلا يطعمون منه شيأ وقال المحاملي حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري حدثنا اسمعيل بن أبي أويس فساقه ولفظه وسيأتي رجال ونساء بقرب وآنية فلا يطعمون منه شيأ وأخرجه اللالكائي في كتاب السنة من طريقين الى ابي عاصم أخبرني ابن جريج انه سمع جابر بن عبد الله يقول

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره في أحدهما سيأتي رجال ونساء بآنية وقرب وفي الثاني يأتونه
ثم لا يذوقون منه شيئاً وأما حديث أبي هريرة فرواه أبو طاهر المخلص في فوائده وعنه اللالكائي في كتاب السنة من
طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن موسى عن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إني أطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع مما بين أيلة إلى الكعبة وأن فيه الأباريق لأكثر من عدد
الكواكب وروى مسلم في صحيحه بلفظ إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من
العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه قالوا
يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء وروى ابن
عساكر من طريق الفرزدق عن أبي هريرة رفعه إن لي حوضاً كما بين أيلة وعمان وأما حديث أبي سعيد
الخدري فرواه أبو القاسم البغوي فقال حدثنا محمد بن سليمان حدثنا عيسى بن يونس عن زكريا عن عطية
عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أشد بياضاً
من اللبن آنيته عدد النجوم وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة
ومنهم من يأتيه النفر ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل ومنهم من لا يأتيه أحد وإني أكثر الأنبياء تبعاً يوم
القيامة تابعه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال فقال حدثنا محمد بن سليمان الأسدي حدثنا عيسى بن يونس
فذكره بطوله وأورده اللالكائي في السنة من طريق الوليد بن القاسم حدثنا زكريا بن زائدة عن عطية العوفي
عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لي حوضاً فذكره وفيه بعد قوله أحد فيقال قد بلغت
وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رفعه إني كأني قد دعيت فأجبت وإني
تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي وإنهما لن
يزالا جميعاً حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال محمد بن سعد في الطبقات أخبرنا أنس بن
عياض وصفوان بن عيسى ومحمد بن إسمعيل بن أبي فديك عن أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري
قال بينما نحن جلوس في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض الذي توفي فيه عاصباً رأسه
بخرقة فخرج يمشي حتى قام على المنبر فلما استوى عليه قال والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة
الحديث وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الخدري
رفعه إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أبيض مثل اللبن وآنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء
تبعاً يوم القيامة أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة وأما حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه
فقال اللالكائي في كتاب السنة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عبد الله بن
الوضاح اللؤلؤي حدثنا يحيى بن يمان عن عائذ بن نسير عن علقمة بن مرثد عن أبي بريدة عن أبيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين
من الزبد من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً تابعه يحيى بن معين عن يحيى بن يمان أخرجه كذلك أبو يعلى فقال
حدثنا يحيى بن معين حدثنا يحيى بن يمان فذكره وأخرجه الروياني في مسنده فقال حدثنا العباس بن محمد حدثنا
يحيى بن معين تابعهما أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي عن يحيى بن معين يحيى بن يمان ليس بالقوي
وشيخه عائذ ضعفوه واسم أبيه نسير بضم النون وفتح السين المهملة وابن بريدة هو عبد الله وأما حديث ابن
مسعود رضي الله عنه فرواه اللالكائي في السنة أخبرنا عيسى بن علي أنبأنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا
عبيد الله العيشي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا فرطكم على الحوض ورواه البخاري من طريق الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود ورواه الطبراني
والخطيب وابن عساكر بزيادة وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلوا بعدي ورواه أحمد والشيخان بزيادة ولأنازعن
أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وأما حديث جندب بن عبد

الله البجلي رضي الله عنه فاخرجه الحافظ أبو طاهر السلفي من طريق محمد بن أبي السري البخاري عن سفيان بن عيينة قال سمعت عبد الملك بن عمير يقول سمعت جندب بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى فرطكم على الحوض رواه كذلك الحميدي عن سفيان عن عبد الملك بن عمير وفيه قال سفيان وذكر فيه شيأ آخر ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا وكيع عن مسعر عن عبد الملك بن عمير عن جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض حدث به مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ورواه أبو الغنائم محمد بن علي الحافظ بالكوفة في فوائده من طريق قيس ويزيد بن عمير الهمداني وأبي كدينة يحيى بن المهلب البجلي الكوفي وحماد بن حجاج أخي شعبة كلهم عن عبد الملك بن عمير بمثله وقد رواه عن عبد الملك بن عمير جماعة آخرون منهم زائدة عند مسلم وشعبة بن الحجاج عند البخاري وابن أبي شيبة وابراهيم بن سليمان المؤدب عند أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ونسب جندبا الى جده سفيان فيظن انهما اثنان وهما واحد وقد تابعهم عن عبد الملك بن عمير جماعة منهم شعيب بن صفوان الثقفي وأبو عوانة اليشكري وابو الحياة يحيى بن يعلى التيمي الكوفي وأما حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه فقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو همام هو الوليد بن شجاع حدثنا ابى حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى فرطكم على الحوض وان بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وايلة كأن الاباريق فيه النجوم رواه مسلم عن الوليد بن شجاع بلفظ الا انى فرط لكم على الحوض والباقي سواء تابعهما يعقوب بن سفيان عن أبي همام وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا حاتم بن اسمعيل عن المهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد قال كتبت الى جابر بن سمرة أخبرني بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكتب الى سمعته يقول أنا الفرط على الحوض خرجه مسلم في صحيحه فقال وحدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا حدثنا حاتم بن اسمعيل فذكره وفيه كتبت الى جابر بن سمرة مع غلامي نافع والباقي سواء وأخرجه اللالكائي في كتاب السنة من طريق عباد بن يعقوب حدثنا حاتم بن اسمعيل عن مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد قال كتب الى جابر بن سمرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض وأما حديث أبيه سمرة بن جنادة السوائي العامري له ولابنه صحبة فسيأتي حديثه للمصنف قريبا وأما حديث أبي برزة الاسلمي فقال اللالكائي في كتاب السنة أخبرنا عبد الله بن مسلم بن يحيي أخبرنا الحسين بن اسمعيل حدثنا محمد بن يزيد حدثنا روح بن أسلم حدثنا شداد عن أبي الوازع قال سمعت أبا برزة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين جنبي حوضي ما بين ايلة الى صنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله فيه مزرابان يثعبان من الجنة من ورق وذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة اسناد صحيح على شرط مسلم وروى أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي أخبرنا المؤمل بن الحسن حدثنا محمد بن يحيي حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة الاسلمي قال شك عبيد الله بن زياد في الحوض وكان فيه حرورية فقال أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيأ فقال له ناس من صحابته فان ههنا رهطا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهم فسألهم قال فأرسل الى رجل من مزينة فسأله عن الحوض فحدثه ثم أرسل الى أبي برزة الاسلمي فأتاه وعليه ثوبا حبرة وقد ائتزر بواحد وارتدى بالآخر وكان رجلا لحيما الى القصر فلما رآه عبيد الله ضحك ثم قال ان محمديكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال يا عجبا الا أراني قد بقيت في قوم يعدون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عارا فقال له جلساء عبيد الله انما أرسل اليك الامير ليسالك عن الحوض هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيأ قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره فمن كذب به فلا سقاه الله منه قال ثم نفض رداءه وانصرف غضبا وأما حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه فرواه أحمد والطبراني وابن حبان وسمويه بلفظ حوضي مثل ما بين عدن وعمان وهو أوسع واوسع فيه مثعبان من ذهب وفضة شرابه أبيض من اللبن وأحلى مذاقة من العسل وأطيب ريحا من المسك من شرب منه لم يظمأ بعدها ولم

يسود وجهه أبدا ورواه الطبراني والضياء بلفظ حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكاويب عدد نجوم السماء من
شرب منه لم يظمأ بعده أبدا وان ممن يرد علي من أمتي الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم لا ينكحون المتنعمات
ولا يحضرون السدد يعني أبواب السلاطين الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم والاكاويب
جمع كوب وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه فرواه الطبراني في الكبير بلفظ حوضي مسيرة شهر زواياه
سواء أكوازه عدد نجوم السماء ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك من شرب منه
شربة لم يظمأ بعدها أبدا ورواه أيضا بلفظ أنا آخذ بحجزكم عن النار أقول اياكم وجهنم واياكم والحدود
فاذا مت فانا فرطكم وموعدكم الحوض فمن ورد أفلح ويأتي قوم فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب أمتي فيقال
انك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم وروى نحوه عبد الله بن أحمد والسجزي في الابانة وروى ابن
مردويه بلفظ أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم وروى أيضا من قوله الكوثر نهر أعطاه الله محمدا في الجنة وهو
موقوف له حكم الرفع ورواه ابن جرير عنه من قوله الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت
والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وهذا أيضا موقوف له حكم الرفع وروى ابن مردويه عنه من قوله
الكوثر نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه الدر والياقوت
والزبرجد خص الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون الانبياء وهذا أيضا له حكم الرفع وروى البخاري وابن
جرير والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله اياه قال
أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اياه
وروى الطستي في فوائده ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الكوثر فقال نهر في بطنان العرش حافتاه قباب
الدر والياقوت فيه أزواجه وخدمه وهذا أيضا موقوف له حكم الرفع وأما حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله
عنه فرواه الطبراني في الكبير بلفظ حوضي كما بين البيضاء الى بصرى يمدني الله فيه بكراع لا يدري انسان ممن
خلق أين طرفاه وأما حديث حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه فرواه أبو بكر بن أبي داود قال حدثنا أحمد
ابن صالح حدثني حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد سمعت حارثة بن وهب يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول تصدقوا فيوشك الرجل أن يخرج بماله فلا يجد من يتصدق عليه ثم ذكر حوضه فقال هو ما بين
كذا الى كذا تابعه علي بن المديني عن حرمي بن عمارة لكنه بين فيهم مسافة الحوض قال أبو نعيم في الحلية حدثنا
عبد الله بن جعفر حدثنا اسمعيل بن عبد الله حدثنا علي بن عبد الله بن جعفر حدثنا حرمي حدثنا شعبة بن معبد بن
خالد سمعت حارثة بن وهب يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الحوض فقال هو ما بين المدينة وصنعاء رواه
البخاري عن علي بن المديني فقال حدثنا علي بن عبد الله هو ابن المديني حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن
معبد بن خالد انه سمع حارثة بن وهب يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الحوض فقال كما بين
المدينة وصنعاء وأما حديث المستورد بن شداد الفهري رضي الله عنه فرواه البخاري معلقا وهذا لفظه في سياق
حديث حارثة رضي الله عنه وزاد ابن عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال
حوضه ما بين صنعاء والمدينة فقال له المستورد ألم تسمعه قال الاواني قال لا قال المستورد ترى فيه الآنية مثل
الكواكب وهذا قد رواه مسلم في صحيحه فقال حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة
عن معبد بن خالد عن حارثة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضه ما بين صنعاء والمدينة فقال له المستورد ألم
تسمعه قال الاواني قال لا فقال ترى فيه الآنية مثل الكواكب ومن هذه الطريق رواه الطبراني في كتاب السنة
فقال حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا محمد بن أبي عدي فذكره خالفهما
بكر بن بكار عن شعبة في المسافة ووافق ابن أبي عدي في الزيادة رواه أبو بكر بن شاذان من طريق محمد بن
مرزوق حدثنا بكر بن بكار حدثنا شعبة حدثنا معبد بن خالد سمعت حارثة رجلا من خزاعة انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان ما بين حوضي كما بين مكة وصنعاء فقال له المستورد ما سمعت شيأ غير هذا قال لا قال المستورد

وفيه آنية كالكواكب وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه فرواه الحكيم في النوادر بلفظ أول من يدعى يوم القيامة أنا وساق الحديث وفيه يقومون غرا محجلين من آثار الوضوء فيردون على الحوض ما بين بصرى الى صنعاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك فيه من الآنية عدد نجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا ومن صرف عنه لم يروه بعده أبدا وأما حديث عائشة رضي الله عنها فرواه أحمد ومسلم بلفظ اني على الحوض حتى انتظر من يرد على منكم وسيؤخذ اناس دوني فاقول يارب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت بما عملوا بعدك والله مابرحوا بعدك يرجعون على أعقابهم وروى ابن مردويه بلفظ أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم وروى ابن أبي شيبة والبخاري وابن جرير وابن مردويه انها سئلت عن الكوثر فقالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطنان الجنة شاطئاه عليه در مجوف فيه من الآنية والاباريق عدد النجوم وهذا موقوف له حكم الرفع وروى هناد وابن جرير عنها قالت من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه وأما حديث أبي لبابة رضي الله عنه فقد رواه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص في فوائده عن أبي القاسم البغوي في أثناء حديث أنس من طريق الحسن وقتادة عنه أوله جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله يمنع سوادي ودمامتي دخول الجنة قال لا والذي نفسي بيده ما اتقيت الله وآمنت بما جاء به رسوله فذكر الحديث بطوله وفيه تزويجه بابنة حارثة بن وهب الثقفي ثم شهادته قبل أن يدخل بها وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه ورد الحوض ورب الكعبة فقال أبو لبابة بابي أنت وأمي وما الحوض قال حوض أعطانيه ربي عز وجل ما بين صنعاء الى بصرى حافتاه مكلل بالدر والياقوت آنيته كعدد نجوم السماء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا الحديث ورجاله ثقات سوى محمد بن عمر الكلاعي فقال ابن عدي فيه انه يحدث عن الثقات بالمناكير وقد تابع البغوي جماعة منهم الحسن بن اسحق بن يزيد العطار وأحمد بن الجعد الوشاء ومن طريقهما اخرجها الحافظ أبو بكر موسى المديني في كتاب التتمة وأما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه فقال أبو القاسم البغوي حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي حدثني موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي اسحق عن البراء بن عازب رفعه الا اني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال الحسن بن سفيان الضوى في مسنده حدثنا ابراهيم بن اسمعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل حدثني أبي عن أبيه عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب رفعه ان لي حوضا اذود الامم عنه يوم القيامة قيل يارسول الله كيف تعرفهم قال ان أمتي غر محجلون وان عرضه كما بين ايلة وبصرى والى صنعاء وآنيته أكثر من عدد النجوم ولهو أطيب من ريح المسك وأحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وروى أحمد وأبو يعلى والمحاملي من طريق شعبة عن يزيد بن أبي زياد قال سمعت ابن أبي ليلى يقول سمعت البراء يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للانصار انكم ستلقون بعدي أثرة قالوا فما تأمرنا قال اصبروا حتى تلقوني على الحوض وأما حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه فقال البزار في مسنده حدثنا يعقوب بن حميد حدثنا ابراهيم بن محمد بن ثابت حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني فرطكم على الحوض يوم القيامة رواه الطبراني في كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد عن يعقوب بن حميد بن كاسب به وأما حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه فرواه ابن جرير وابن مردويه عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل امرأته عنه فقالت خرج آنفا أولا تدخل يارسول الله فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل فقالت هنيأ لك يارسول الله ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فاهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة انك أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ رواه الحسن بن سفيان في مسنده فقال حدثنا أحمد بن حسين اللهبي المديني حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن حرام بن عثمان عن الاعرج عن المسور ابن مخرمة عن أسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بيت حمزة فذكره ورواه الطبراني في الكبير بلفظ أعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر وعرصته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ هو والله مثل ما بين صنعاء وايلة

فيه أباريق مثل عدد نجوم السماء هكذا أورده من حديث أسامة وأما حديث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
فهو الذي تقدم قبله وأبو عمارة كنية حمزة ورواه محمد بن عبد الله الشافعي عن عبد الله بن محمد بن ناجية قال
حدثني كعب أبو عبد الله الذارع حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني عبد العزيز بن محمد هو الدراوردي عن حرام
ابن عثمان عن عبد الرحمن الاعرج عن المسور بن مخرمة عن أسامة بن زيد عن امرأة حمزة بن عبد المطلب عن
حمزة بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت نهرا في الجنة الكوثر أرضه الياقوت والمرجان واللؤلؤ
وزبرجد ووصف حوضا وأما حديث أم محمد خولة بنت قيس الانصارية رضي الله عنها وهي زوجة حمزة بن عبد
المطلب فهو الذي تقدم قبله قال كعب أبو عبد الله الذارع المتقدم ذكره وحدثني يحيى بن عبد الحميد الحماني مرة
أخرى فقال عن امرأة حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم لفظ الحديث في ترجمة أسامة وهو عند الطبراني
نحوه كما سقناه في حديث أسامة وفي آخره زيادة وهي واحب واردها الى قومك يا ابنة قهد وهذه الزيادة تؤيد ان
الحديث المذكور من روايتها وقد نسبها صلى الله عليه وسلم الى جدها اذ هي خولة بنت قيس بن قهد بالقاف ابن
قيس بن ثعلبة من الانصار وأما حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه فرواه أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك
في فوائده فقال أخبرنا أبو علي حنبل بن اسحق بن حنبل الشيباني حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا زيد بن الحسن
القرشي حدثنا معروف بن خربوذ حدثنا أبو الطفيل هو عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال لما صدر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجة الوداع نزل الجحفة ونهى عن شجرات ان ينزل تحتهن فساق الحديث وفيه ثم
قال الا اني فرطكم وانكم واردون على الحوض حوضا أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من
فضة واني سائلكم حين تردون علي تابعه سمويه في فوائده وغيره قال أبو نعيم الاصبهاني أخبرنا عبد الله بن جعفر
حدثنا اسمعيل بن عبد الله سمويه حدثنا سعيد بن سليمان فذكره ولفظه لما صدر النبي صلى الله عليه وسلم عن
حجة الوداع قال أيها الناس اني فرطكم على الحوض وانكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه
آنية عدد النجوم وقال الطبراني في كتاب السنة حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي
ح وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وزكريا بن يحيى الساجي قالا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء قالا
حدثنا زيد بن الحسن الانماطي حدثنا معروف بن خربوذ فذكره بلفظ أيها الناس اني فرطكم وانكم واردون
على الحوض حوضا أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه عدد نجوم السماء قدحان من فضة ورواه أبو نعيم في
الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء فذكره
بلفظ أيها الناس اني فرطكم وانكم واردون علي الحوض واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا
كيف تخلفوني فيهما الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا
وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير بأنهما لم يتفرقا حتى يردا علي الحوض وأما حديث خباب بن الارت
رضي الله عنه فرواه أحمد وابن أبي عاصم والطبراني كلاهما في كتاب السنة من طريق سماك بن حرب عن
عبد الله بن خباب عن أبيه رفعه سيكون عليكم امراء فلا تعينوهم على ظلمهم ولا تصدقوهم بكذبهم فان من أعانهم
على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض وأما حديث زيد بن الارقم رضي الله عنه فقال أبو القاسم
البغوي حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي حدثنا موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي اسحق عن زيد بن أرقم
رفعه الا اني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الامم يوم القيامة وذكر الحديث وتقدم في ترجمة البراء بن عازب
ورواه أبو علي بن شاذان في فوائده من طريق الاعمش عن صهيب بن ثابت عن زيد بن أرقم رفعه اني كأني دعيت
فأجبت واني تارك فيكم الثقلين الحديث وقد تقدم في ترجمة أبي سعيد الخدري قال أبو داود في سننه حدثنا
حفص بن عمر النمري حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة
أو ثمانمائة وقال أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة أخبرني عمرو بن مرة قال

سمعت أبا حمزة الانصاري يقول سمعت زيد بن أرقم يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في منزل نزلوه ما أنتم بجزء من مائة جزء يعني ألف جزء ممن يرد على الحوض من أمتي قال أبو حمزة قلت لزيد بن أرقم كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أبو حمزة هو طلحة بن يزيد الانصاري مولاهم الكوفي روى له الجماعة سوى مسلم وجاء مصرحا باسمه في الحديث قال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن طلحة مولى قرظة عن زيد بن أرقم رفعه ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قلنا لزيد كم كنتم يومئذ قال ما بين الستمائة الى السبعمائة حدث أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة عن أبي بكر بن أبي شيبة به تابعه جرير بن عبد الحميد الضبي عن الاعمش قال ابن أبي خيثمة في تاريخه وحدثنا أبي حدثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن طلحة بن يزيد الانصاري قال قال لزيد بن أرقم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قلت كم كنتم يومئذ قال ستمائة أو سبعمائة وأما حديث أوس بن الارقم رضي الله عنه وهو أخو زيد بن الارقم المتقدم بذكره استشهد يوم أحد روى أبو محمد المخلدي بسنده المتقدم في ترجمة أخيه زيد الى عبد الله بن بريدة الاسلمي ان عبيد الله بن زياد كان يشك في الحوض وكان فيه حرورية وانه قال أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيأ فقال له ناس من صحابته فان ههنا رهطا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهم فسألهم وساق القصة وفيها فارسل الى زيد بن أرقم فسأله عن الحوض فحدثه حديثا مونقا أعجبه قال أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكن حدثنيه أخي قال لا حاجة لنا في حديث أخيك ورواه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة مثله قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي أوس بن أرقم ذكره ابن منده في المعرفة وانه أخو زيد بن الارقم لكنه قال عن أوس لا يعرف له حديث فيرد عليه ما رويناه من رواية أخيه زيد عنه وما ورد من الحديث ان زيدا لم يسمع حديث الحوض من النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل انه ذلك الحديث الذي حدث به يومئذ بعينه والا فقد حدث زيد في الحوض باحاديث تقدم ذكر بعضها من طرق كل فيها التصريح بان زيدا سمع حديث الحوض من النبي صلى الله عليه وسلم وأما حديث زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه وهو أخو عبد الله بن أبي أوفى فيما جزم به ابن حبان فرواه ابن أبي حاتم والبخاري في التاريخ الصغير والطبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو موسى المديني في طوالات الاخبار والحسن بن سفيان وابن شاهين والبغوي وابن أبي خيثمة كلهم من طريق عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة فجعل يقول أين فلان بن فلان فساقوا الحديث بطوله في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وفيه ثم نظر في وجوه أصحابه فقال ابشروا وقروا أعينا فانتم أول من يرد على الحوض وأنتم في أعلى الغرف الحديث قال أبو موسى المديني هذا حديث غريب وزيد بن أبي أوفى عدوه في أهل البصرة لا يعرف بغير هذا الحديث وأما حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة وأبو بكر بن أبي شيبة والطبراني في كتاب السنة من طريق القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت رفعه اني تارك فيكم الخليفتين من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ورواه الترمذي وقال حسن غريب وابن الانباري في المصاحف والحاكم بلفظ اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ورواه عبد بن حميد وابن الانباري أيضا بلفظ اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به بعدي لم تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ورواه الطبراني بلفظ اني لكم فرط وانكم واردون على الحوض عرضه ما بين صنعاء الى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين الحديث وأما حديث سويد بن عامر رضي الله عنه فاخرجه حميد بن زنجويه وابن عساكر والعقيلي في الضعفاء بلفظ حوضي اشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني ومن استسقاني من الانبياء الحديث وهو حديث منكر وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وأما حديث أبي بكرة رضي الله عنه فرواه أحمد وتمام

وابن عساكر بلفظ أنا فرطكم على الحوض وأما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه فرواه الطبراني في الاوسط بلفظ أنا فرطكم على الحوض أنتظر من يرد على منكم فلا ألفين ما نوزعت في أحدكم فاقول انه من أمتي فيقال لا تدري ما أحدث بعدك وأما حديث الصنابح بن الاعسر رضي الله عنه فرواه أحمد والبغوي وأبو يعلى وابن حبان وابن قانع والطبراني والضياء بلفظ أنا فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الامم فلا تقتتلوا بعدي ورواه البغوي ونعيم بن حماد في الفتن بلفظ أنا فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الامم فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه فرواه أحمد والشيخان بلفظ أنا فرطكم على الحوض من ورد يشرب ومن يشرب لم يظمأ أبدا وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقا لمن بدل بعدي وفي رواية اني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا والباقي سواء ورواه الطبراني في الكبير بلفظ ان لكل قوم فارطا واني فرطكم على الحوض فمن ورد على الحوض فشرب لم يظمأ ومن لم يظمأ دخل الجنة وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فرواه الشيخان بلفظ اني على الحوض حتى أنتظر من يرد على منكم وسيؤخذ أناس دوني فاقول يارب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ورواه اللالكائي في كتاب السنة مقتصرا على قوله أنا فرطكم على الحوض وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها فرواه مسلم بلفظ اني لكم فرط على الحوض فاياي لا يأتيني أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فاقول فيم هذا فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا وأما حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه فرواه أحمد والشيخان بلفظ اني بين أيديكم فرط لكم واني شهيد عليكم وان موعدكم الحوض واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها ورواه ابن المبارك والطبراني بنحوه وفي رواية لمسلم اني فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين ايلة الى الجحفة اني لست أخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكن أخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وأما حديث الصنابحي رضي الله عنه واسمه عبد الله له صحبة وهو غير الصنابح بن الاعسر المذكور وغير أبي عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن بن عسيلة فانه تابعي فرواه ابن ماجه وابن أبي شيبة والشيرازي في الالقاب بلفظ أنا فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الامم فلا تقتتلوا بعدي وأما حديث علي رضي الله عنه فرواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ أول من يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي وأما حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة من طريق علي بن أبي طلحة مولى بني أمية قال حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن خديج فرفي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له الحسن بن علي رضي الله عنه أنت الساب لعلي رضي الله عنه أما والله لتردن عليه الحوض وما اراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لا يأتي المنافقون ذود غريبة الابل قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افترى ورواه الطبراني في كتاب السنة من طريق أبي كثير قال قال الحسن بن علي اياك وبغض أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فانك ان وردت عليه الحوض وما أراك ترد عليه لتجدنه مشمرا حاسرا عن ساعديه يذود المنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تذاد غريبة الابل قول الصادق المصدوق أبي القاسم صلى الله عليه وسلم ورواه الخطيب هكذا في كتاب من وافقت كنيته اسم أبيه من طريق الطبراني ورواه بعضهم من حديث الحسن عن أبيه علي رضي الله عنهما لكنه من رواية سفيان بن الليل الكوفي ولا يصح حديثه والله أعلم فهذا ما تيسر لي من جمع أحاديث الحوض في وقت الكتابة ولو استوفيت النظر في مجموع ما عندي من الفوائد والاجزاء والتعاليق والتخاريج ربما بلغ أكثر مما ذكرت والله الموفق ولنعد الى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى (وعن سمرة) بن جنادة بن جندب بن حجير بن رباب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة العامري ثم السوائي روى له الشيخان وأبو داود والترمذي (ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة واني

وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة واني

أرجو أن أكون أكثرهم واردة) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب قال وقد روى الاشعث بن عبد الملك
هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح اه قلت ووصله
الطبراني كذلك وأشار الترمذي الى وصله وصحح ارساله والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن
رفعه ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته الا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعا
واني لارجو أن أكون أكثرهم تبعا قالوا والحكمة في ذوده صلى الله عليه وسلم عن الحوض هو ارشاد كل أحد
الى حوض نبيه فيكون هذا من انصافه صلى الله عليه وسلم ورعاية اخوانه من النبيين لا أنه يطردهم بخلا
عليهم بالماء ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله أعلم *(تنبيه)* تقدم في أحاديث
الحوض في ذكر المسافة انه ما بين الكعبة الى بيت المقدس وفي بعضها ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعاء
مسيرة شهر عرضه كطوله وفي بعضها من صنعاء الى بصرى وفي بعضها ما بين عدن وعمان وفي بعضها عرضه من
مقامي الى عمان وهذه المسافات كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك وأجاب النووي
عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث فلا يعارضه وحاصله يشير
الى انه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله عز وجل تفضل عليه باتساعه شيأ
بعد شئ فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة وقال الحافظ في الفتح في حديث ابن عمر وان الحوض
مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة تدفع تأويل ٧ بين مختلف الاحاديث في
تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول ونقل صاحب المواهب عن أبي سعيد في شرف النبوة
والغيلاني من حديث أنس رفعه لحوضي أربعة أركان الاول بيد أبي بكر والثاني بيد عمر والثالث بيد عثمان
والرابع بيد علي فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه أبو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه
علي اه قلت ورواه أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان من طريق علي بن عاصم عن حميد عن أنس
رفعه ان على حوضي أربعة أركان فاول ركن منها في يد أبي بكر والركن الثاني بيد عمر والركن الثالث بيد
عثمان والركن الرابع بيد علي فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم
يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي ومن
أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول في
عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن أحسن
القول في أصحابي فهو مؤمن واسناده واه وفي كتاب الثواب لابي الشيخ من حديث جابر لحوضي أربعة أركان
ركن عليه أبو بكر وركن عليه عمر وركن عليه عثمان وركن عليه علي فمن جاء محبا لهم سقوه ومن جاء مبغضا لهم
لم يسقوه قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي لم أقف له على اسناد (فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين) عليه (وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي
للحصاد من بث البذر) أي نثره (ونقى الارض) وحرثها (وسقاها الماء) في وقته (ثم جلس يرجو فضل الله)
تعالى (بالانبات ودفع العوائق الى أوان الحصاد) فهذا هو الذي يعطى رجاءه (فاما من ترك الحراثة والزراعة
وتنقية الارض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين
في شئ وهكذا رجاء أكثر الخلق وهذا غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله أعظم من
الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) والله الموفق

(القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها)

أعاذنا الله والمسلمين منها وجهنم بتشديد النون اسم لنار الآخرة من الجهامة وهي كراهة المنظر وقيل فارسي معرب
أصله جهنام وقيل عربي سميت به نار الآخرة لبعد قعرها من قولهم بئر جهنام أي بعيد القعر والاهوال الشدائد
والانكال أنواع العذاب (أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا) الدنية (المشرفة

لارجو أن أكون أكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى أوان الحصاد فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الارض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شئ وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

(القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها)

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة

على الانقضاء والزوال ودع التفكر فيما أنت مرتحل عنه وأصرف التفكر الى موردك فانك أخبرت بان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى
قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها
وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب

وسمعوا لها زفيرا وجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الامل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار

على الانقضاء والزوال ودع التفكر فيما أنت مرتحل عنه) عن قرب زكان قد (واصرف الفكر الى موردك) أى محل ورودك (فانك) قد (أخبرت) على لسان الصادق المصدوق (بان النار مورد للجميع) أى ممر أو مدخل على اختلاف فى معنى الورود (اذ قيل وان منكم الا واردها) أى داخلها أو مار عليها أو واصلها وحاضر دونها (كان على ربك حتما مقضيا) أى كان ذلك الورود واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن تخلفه وقيل اقسم عليه (ثم ننجي الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرئ ثم بفتح الثاء أى هنالك (ونذر الظالمين) على أنفسهم أى نتركهم (فيها) أى فى النار (جثيا) منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم (وأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك) وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب الخوف والرجاء (فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها بتشفيع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات الشعب) الثلاثة فى مقابلة الحس والخيال والوهم (وأظلت عليهم نار ذات لهب) أى التهاب وتلك الظلمات من دخان جهنم وانما تتشعب لعظمها (وسمعوا لها زفيرا) أى ترديد نفس (وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب) كما قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تعالى تكاد تميز من الغيظ (فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب) أى الهلاك (وجثت الامم على الركب) كما قال تعالى وترى كل أمة جاثية (حتى أشفق) أى خاف (البرآء) جمع بريء وهو من لم يذنب (من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية) وهم خزنة النار (قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الامل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع) جمع المقمعة بكسر الميم وهى خشبة يضرب بها الانسان على رأسه ليذل ويهان ثم بين ان تلك المقامع (من حديد) وهو أقوى من مقامع الخشب (ويستقبلونه بعظائم التهديد) أى التخويف والزجر (ويسوقونه) ذليلا مهانا مجرجرا (الى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم) أى يجعلون رأسه فى القعر ورجليه الى فوق (ويقولون له) من باب التهكم (ذق انك أنت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء) أى الجوانب (مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم) أى الماء الحار (ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم) أى تضربهم بالمقامع (والهاوية تجمعهم) لانها أمهم (أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك) أى خلاص (قد شدت أقدامهم) مجموعة (الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها) أى جوانبها (ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك) وهو رئيس خزنة النار (قد حق علينا الوعيد) أى ثبت ووجب (يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا جلودنا يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود) الى ما كنا فيه (وتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون) ولا ينطقون (وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم) ومناخرهم (مغلولين) مقيدين (النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم) قد أحاطت بجوانبهم الاربع (فهم غرقى فى بحر النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم

نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم (511) وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منها جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين

(نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران) جمع مقطعة وهي الجبب الضيقة الاكمام (وسرابيل القطران) جمع سربال بالكسر قميص أو درع والقطران ما يتحلب من شجر الابهل عند طبخه ويطلى به الابل وغيرها وفيه لغتان فتح القاف وكسر الطاء وبه قرأ السبعة في قوله تعالى سرابيلهم من قطران والثانية كسر القاف وسكون الطاء (وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون) أي يضطربون (في مضايقها يتحطمون) أي يتكسرون (في دركاتها) أو يدفعون (ويضطربون بين غواشيها) أي أطرافها (تغلي بهم النار كغلي القدور) على النيران (ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به) أي يذوب به (ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم) أي تكسرها (فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها) الوجنة ما ارتفع من الخد والاشهر فتح الواو وحكي التثليث والجمع وجنات كسجدة وسجدات (ويتمعط) أي يتساقط (من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها) ليتضاعف العذاب مجددا (وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش) أي تيبس (في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت) الذي هو أيضا هائل للخروج من تلك الاهوال والخلاص منها (فكيف بك لو نظرت اليهم وقد اسودت وجوههم) من لفح تلك النيران (أشد سوادا من الحم) أي الفحم (وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت) أي قطعت (آذانهم وأنوفهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم) بالجامعة (وجمع بين نواصيهم وأقدامهم) أي مجموعة اليها (وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذه جملة أحوالهم) أي بطريق الاجمال (وانظر الآن تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله) قال العراقي لم أجده هكذا بجملته وسيأتي بعده ما ورد في الحيات والعقارب اهـ قلت بل أخرجه ابن قانع في معجمه وغيره من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن حجاج بن عبد الشمالي وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه حجة الوداع ان سفيان بن مجيب الشمالي حدثه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم سبعة آلاف واد الحديث ووقع عند ابن قانع بخيت مصغر بخت بدل مجيب وفيه اختلاف ذكره الحافظ في الاصابة وقال ابن عبد البر في الاستيعاب لا يصح (وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو) قال (وادي الحزن) شك من الراوي (قيل يا رسول الله وما وادي الحزن أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين) قال العراقي رواه ابن عدي بلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو نعيم الاصبهاني باسناد ضعيف ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدي وتقدم في ذم الجاه والرياء اهـ قلت لفظ الترمذي وابن ماجه تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يدخله القراء المراؤن بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء وكذلك رواه البخاري في التاريخ ورواه الطبراني من حديث ابن عباس

بلفظ ان في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله وللحاج الى بيت الله وللخارج في سبيل الله ولفظ أبي نعيم من حديث أبي هريرة ان في جهنم لواديا يقال له لملم ان أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره ولفظ ابن عدي من حديث أبي هريرة ان في جهنم واديا تستعيذ جهنم منه في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وان أبغض الخلق الى الله عالم السلطان وروى البيهقي عن بكر بن محمد العابد قال سمعت سفيان الثوري يقول ان في جهنم لجبا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلاطين (فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض) وهي الدركات (الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية) قال صاحب القاموس في كتاب البصائر أصل السقر بالسين والصاد تغير اللون يقال سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته وجعل سقر علما لجهنم ولما كان السقر يقتضي التلويح في الاصل نبه بقوله وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر ان ذلك مخالف لما تعرفه من أحوال السقر في الشاهد ولظى النار وقيل لهب النار الخالص عن الدخان ولظى معرفة اسم جهنم ولظيت النار بالكسر لظى والتظت التهبت والحطمة النار التي من شأنها الحطم كل ما يطرح فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول وقد سعر النار وأسعرها وسعرها ألهبها والجحيم من الجحمة وهي شدة تأجج النار وكل نار بعضها فوق بعض جحيم وجحمة وجحمها أوقدها والجاحم الجمر الشديد الاشتعال والمكان الشديد الحر والهاوية من هوى اذا سقط على رأسه سميت نار الآخرة لانهم يتساقطون فيها منكوسين (فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها) وذكر صاحب القاموس في البصائر ان في بعض الآثار ان دركات النار سبعة هاوية للفراعنة ولظى لعبدة الاوثان وسقر للمجوس والجحيم لليهود والحطمة للنصارى والسعير للصابئين وجهنم لعصاة المؤمنين قال وورد الجحيم في القرآن على وجهين أحدهما بمعنى النار التي أوقدها نمروذ اللعين للخليل عليه السلام قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم الثاني بمعنى النار التي أعدها الله للمجرمين والكفار (قال أبو هريرة) رضي الله عنه (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة) أي سقطة ومادة وجب تدل على سقوط الشيء ووقوعه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى الى قعرها) قال العراقي رواه مسلم (ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أكب الناس على الدنيا يتفاوت) تفاوتا مختلفا (فمن منهمك) عليها (مستكثر) منها (كالغريق فيها) لا يستفيق من انهماكه (ومن خائض فيها الى حد محدود) أي معلوم (فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي خيرا أو شرا (فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم) لا يتعدى (على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى به من شدة ما هو فيه) فقد روى أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي وابن حبان والحاكم في أثناء حديث أنس يقول الله تعالى لرجل من أهل النار أتفتدي منه بطلاع الارض ذهبا فيقول أي رب نعم فيقول قد كذبت الحديث (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه) قال العراقي متفق عليه من حديث النعمان بن بشير اهـ قلت لفظ البخاري ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم ولفظ مسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا وروى الحاكم من حديث أبي هريرة ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلي منهما دماغه وروى مسلم

العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أكب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه

من

من حديث ابن عباس ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه وفي رواية مسلم من حديث أبي سعيد في حديث طويل آخره وأدنى أهل النار عذابا ينعل من نار بنعلين يغلى دماغه من حرارة نعليه وروى هناد من مرسل عبيد بن عمير ان أدنى أهل النار عذابا الرجل عليه نعلان من نار يغلى منهما دماغه كانه مرجل مسامعه جمر وأدراسه جمر واشفاره لهب النار تخرج احشاء جنبيه من قدميه وسائرهم كالحب القليل في الماء الكثير فهو يفور وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في حق أبي طالب لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه (فانظر الآن الى من خفف عنه واعتبر به ومن شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به) كما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والاحنف بن قيس وقد تقدم (ثم اعلم انك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم) ولا تقاربها (ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها) تقريبا للاذهان (وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا) قال العراقي ذكره ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها وللبزار من حديث أنس بسند ضعيف وما وصلت اليكم حتى احسبه قال نضحت مرتين بالماء لتضيء لكم اهـ قلت قال الترمذي حدثنا عباس بن محمد الدوري أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد رفعه ناركم هذه جزء من سبعين حزأ من نار جهنم لكل جزء منها حرها قال الترمذي حسن غريب وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي ويعلى قالا حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن نفيع بن داود عن أنس رفعه ان ناركم هذه جزء من سبعين حزأ من نار جهنم لولا انها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وانها لتدعو الله تعالى ان لا يعيدها فيها رجاله ثقات الا نفيع ابن الحارث فانه متروك ورواه الحاكم مثله وصححه وأخرج البيهقي في البعث مثله من حديث أبي هريرة من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عنه وعن ابن مسعود موقوفا ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة بلفظ ولولا انها ضربت في اليم سبع مرات لما انتفع بها بنو آدم وروى مالك في الموطأ عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رفعه نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين حزأ من نار جهنم فقالوا يارسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين حزأ وهو حديث صحيح أخرجه البخاري عن اسمعيل بن أبي أويس عن مالك ومسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد ورواه أحمد والبيهقي في البعث بمثله وقوله بتسعة وستين قال العراقي في شرح التقريب وقفت على نسخة صحيحة من التهم بتسعة وتسعين وعليها خط المصنف وصوابه وستين فهو الذي في الحديث ولعل التسعين سبق قلم من الناسخ وما قيل من ان المذكور أولا بالنسبة للقدر والعدد وثانيا بالنسبة للحد غير متعين والذي يظهر ان الكلام أولا وثانيا انما هو بالنسبة للعدد ولهذا قال في الاول جزء واحد من سبعين حزأ من حر جهنم ولا يضر تأكيد الكلام وتكريره فانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر تفضيل جهنم في الحر بهذه الاجزاء وقالت الصحابة ان حر نار الدنيا كان كافيا في العقوبة والانتقام اكد النبي صلى الله عليه وسلم ما أخبر به أولا بعد سؤال الصحابة وقال انها فضلت عليها بهذا القدر في الجزاء والله أعلم (بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى ان يوقد على النار ألف عام حتى احرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة) قال البيهقي في الشعب أخبرنا أبو الحسن ابن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الكديمي هو محمد بن يونس حدثنا سهل بن حماد حدثنا مبارك ابن فضالة حدثنا ثابت البناني عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقودها الناس والحجارة فقال أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قال وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل أسود يهتف بالبكاء فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا الباكي بين يديك قال رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفا قال فان الله يقول وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي

فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به ومن شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى ان يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة

لا تبكي عين عبد فى الدنيا من مخافتى الا أكثرت ضحكها معى فى الجنة رجاله ثقات الا الكديمى ولاوله شاهد قال يعقوب بن سفيان فى مسنده حدثنا العباس بن محمد الدورى حدثنا يحيى بن أبى بكر أخبرنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه أوقدت النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة أخرجه الترمذى عن العباس به وقال لانعلم أحدا رفعه الا يحيى عن شريك ثم رواه من طريق أخرى عن أبى هريرة موقوفا وقال هذا أصح وأخرجه البيهقى فى البعث من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن علقمة عن عاصم عن أبى صالح عن كعب وقال هذا أصح فتبين بهذا انه من الاسرائيليات وروى مالك عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة انه قال أترونها حمراء مثل ناركم هذه التى توقدون انها لاشد سوادا من القار هذا موقوف صحيح وأخرجه البيهقى فى البعث من طريق عبد العزيز بن سهيل مرفوعا (وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ماتجدونه فى الصيف من حرها وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اهـ قلت ورواه كذلك مالك والشافعى وابن أبى شيبة وسعيد بن منصور وابن ماجه وابن مردويه بلفظ المصنف وفى رواية لهم فهو أشد ماتجدون من الحر وأشد ماتجدون من الزمهرير ورواه الترمذى وقال حسن صحيح بلفظ فاما نفسها فى الشتاء فزمهرير وأما نفسها فى الصيف فسموم وروى عبد بن حميد عن قتادة قال ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم حدث ان جهنم اشتكت الى ربها فنفسها فى كل عام نفسين فشدة الحر من حرها وشدة البرد من زمهريرها (وقال أنس بن مالك) رضى الله عنه (يؤتى بانعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا) رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائى وابن ماجه وابو يعلى من حديث أنس مرفوعا بلفظ يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى جهنم صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى باشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ فى الجنة صبغة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب مامر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط ولما لم يصرح المصنف برفعه لم يتعرض له العراقى بالتخريج وهو واجب التنبيه (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا) وهذا أيضا ذكره موقوفا وهو مرفوع من حديثه رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى فى البعث بلفظ لو كان فى هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فاصابهم نفسه لاحرق المسجد ومن فيه وروى الديلمى من حديث أبى سعيد لو أخرج رجل من أهل النار ثم أقيم بالمشرق وأقيم رجل بالمغرب لمات ذلك الرجل من نتن ريحه وروى ابن مردويه عن الحسن عن أبى هريرة الاسلمى من قوله بنحوه (وقد قال بعض العلماء فى) تفسير قوله تعالى (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) يقال لفحته الشمس والسموم غيرت لونه بحرها (انه لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم) والمراد ببعض العلماء ابن مسعود هكذا رواه صاحب الحلية ورواه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد عن أبى الهذيل مثله وقد روى نحوه من حديث أبى الدرداء تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم رواه ابن مردويه والضياء فى صفة النار ومن حديث أبى هريرة ان جهنم لما سيق اليها أهلها لقيتهم بعنق فلفحتهم لفحة فلم تدع لحما على عظم الا ألقته على العرقوب رواه ابن أبى حاتم والطبرانى فى الاوسط وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية (ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق) بالتخفيف والتشديد اسم لما يقطر من جلود أهل النار وفى الاساس مايسيل من جلودهم أسود من غسقت العين وعين غاسقة اذا أظلمت ودمعت انتهى وقيل هو البارد المنتن وقيل هو الزمهرير وروى ذلك عن أبى العالية (قال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لانتن أهل

الارض)

وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ماتجدونه فى الصيف من حرها وأشد ماتجدونه فى الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بانعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء فى قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم ألقى فى الدنيا لانتن أهل

الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطاش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى

ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معا فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها لطيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار

معكم في دنياكم التي أنتم فيها اخبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم

الارض) قال العراقي رواه الترمذي وقال انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد وفيه ضعف اهـ قلت وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب بلفظ لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا وصححه الحاكم وأقره عليه الذهبي وقوله أهل الارض بالرفع أي صاروا ذا نتن أو تغير ونصب أهل غير صواب وفي رواية للحاكم ولو ان دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا (فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطاش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه) أي يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر أن يسهل جرعه لبشاعته (ويأتيه الموت) أي أهواله وشدائده (من كل مكان وما هو بميت) اذ قد كتب الله عليهم الخلود في النار الى ماشاء (وان يستغيثوا) من شدة العطاش (يغاثوا بماء كالمهل) أي النحاس المذاب أو كدردي الزيت (يشوي الوجوه) أي يحرقها اذا أدنيت منه (بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار (ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم) اسم شجرة في جهنم مرة خبيثة كريهة الطعم والريح (كما قال تعالى ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث (لآكلون من شجر من زقوم) من الاولى للابتداء والثانية للبيان (فمالئون منها البطون) أي من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطاش (فشاربون شرب الهيم) الابل التي بها داء الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء وقيل هي الرمال التي لا تتماسك على انه جمع هيام كسحاب جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فلا اتحاد (وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين) في غاية الفظاعة وقبح المنظر (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) أي خلطا من ماء حار (وقال تعالى تصلى) أي تدخل (نارا حامية) متناهية في الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها في الحر والضمير ان للوجوه المتقدم ذكره قبل الآية (وقال تعالى ان لدينا انكالا) أي قيودا واثقالا (وجحيما وطعاما ذا غصة) ينشب في الحلق (وعذابا أليما) أي ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق عن التخلص الى عالم المجردات محرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي أنوار فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم) الذي هو طعام أهل النار (قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه اهـ قلت ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها اخبثتها لكم) قال العراقي لم أجد له اسنادا اهـ قلت بل أخرجه البيهقي في البعث والنشور كذا وجدته في هامش المغني بخط الحافظ ابن حجر والله أعلم (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع) وهو يابس الشبرق (لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام) ثانيا (فيغاثون بطعام ذي غصة) لا يقدرون على اساغته (فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب) لاساغة ما نشب في حلوقهم (فيرفع) وفي نسخة فيدفع (اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم) أي

فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة

مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة

سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها واغريت بهم يأخذ
فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة
شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم من فضله الآية

تلك الكلاليب (فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم) من الامعاء والاحشاء (فيقولون) لبعضهم
(ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا) رئيس الخزنة
(فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش) سليمان بن مهران
الكوفي أحد رواة هذا الحديث (أنبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام) وهذه الجملة مدرجة
من الاعمش في الحديث ثم رجع الى الحديث (قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون
قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل) قال العراقي رواه الترمذي من
رواية شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والناس لا يرفعون هذا
الحديث وانما روي عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله اهـ
قلت ورواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث مرفوعا
هكذا وروى ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم
والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمرو قال ان أهل جهنم ينادون مالكا يا مالك ليقض علينا ربك
فيذرهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم يجيبهم انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم ثم يجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير
والشهيق وروي عن ابن جريج نحو ذلك كما عند ابن جرير وابن المنذر وروى ابن أبي الدنيا في صفة النار من
حديث حذيفة ان الله اذا قال لاهل النار اخسؤا فيها ولا تكلمون عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه
ولا مناخير يتردد النفس في أجوافهم (وقال أبو امامة) الباهلي رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه) وفي رواية الى فيه (فيتكرهه
فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه) أي جلدته (فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول
الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) قال
العراقي رواه الترمذي وقال غريب اهـ قلت رواه كذلك أحمد والنسائي وابن ابي الدنيا في صفة النار وأبو
يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي
في البعث والنشور وروى ابن أبي شيبة عن مغيث بن سمي قال اذا جيء بالرجل الى النار قيل انتظر حتى نتحفك
فيؤتى بكأس سم الاساود والافاعي اذا أدناها من فيه نشرت اللحم على حدة والعظم على حدة (فهذا طعامهم
وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها
وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة) فالنهش
للحيات واللدغ للعقارب (قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا
فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه أي اشداقه فيقول
أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية) قال العراقي رواه
البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه اهـ قلت وكذلك رواه النسائي ولفظهما ثم

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت على وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن فى قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم فى أول القائهم فى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف

يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه ثم يقول (وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان فى النار لحيات مثل أعناق البخت) جمع بختى بالضم وهو نوع من الجمل موصوف بعظم الاعناق (يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة) أى المشدودة عليها بالاكاف (و يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا) قال العراقى رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحرث بن جزء اه قلت ورواه كذلك ابن حبان والطبرانى والحاكم والضياء ولفظهم تلسع احداهن اللسعة (وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك) فى دنياه (وقى هذه الحيات) والعقارب (فلم تمثل له) فى الآخرة (ثم تفكر بعد ذلك فى تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد فى أشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات) من جميع (أجزائها دفعة واحدة على التوالى قال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل أحد) وهو الجبل المعروف (وغلظ جلده مسيرة ثلاث) قال العراقى رواه مسلم اه قلت ورواه كذلك الترمذى ورواه البزار من حديث ثوبان بلفظ وغلظ جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار وفى لفظ للترمذى من حديث أبى هريرة ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وقال حسن غريب وفى لفظ له والحاكم ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار وان ضرسه مثل أحد وان مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة ورواه أحمد والحاكم بلفظ ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده فى النار ما بينى وبين الربذة ورواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لاعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن صحيح غريب اه لت رواه فى تفسير قوله تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وهكذا رواه أحمد وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى صفة النار وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وروى عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى وهم فيها كالحون قال بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم (وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتوطؤه الناس) أى يطؤنه بارجلهم قال العراقى رواه الترمذى من رواية أبى المخارق عن ابن عمر وقال غريب وابو المخارق لا يعرف اه قلت وكذلك رواه هناد والبيهقى ولفظهم ليسحب لسانه يوم القيامة الفرسخ والفرسخين والباقى سواء ورواه أحمد بلفظ ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين ورواه الطبرانى فى الكبير بلفظ ان أهل النار يعظمون فى النار حتى يصير ما بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وغلظ جلد أحدهم أربعين ذراعا وضرسه أعظم من جبل أحد (ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال) بلغنى انه (تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا) كما كنتم (فيعودون كما كانوا) رواه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وقال كعب يبدلون فى كل ساعة مائة وعشرين مرة وسمعه عمر رضى الله عنه فصدقه على ذلك وقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أبو نعيم فى الحلية (ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار و) زفيرهم و(شهيقهم ودعائهم بالويل والثبور) والحسرة (فان ذلك يسلط عليهم فى أول القائهم فى النار) وعند مشاهدة أهوالها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف

ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم
كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه
مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا
وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من موت
محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة
كأنه كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت

مالك) قال العراقي رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ قلت وكذلك رواه الترمذي وابن جرير وابن المنذر
وابن أبي حاتم وابن مردويه بزيادة يجرونها في الآخر ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي أيضا
وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير عن ابن مسعود قال يجاء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام
سبعون ألف ملك يقودونها وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد يجاء بها سبعون ألف ملك يقودونها
بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع ومن حديث علي اذا كان يوم القيامة تقاد جهنم
بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا ان الله حبسها لاحرقت السموات والارض وروى ابن
وهب في كتاب الاهوال عن زيد بن أسلم مرسلا رفعه تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام يقوده سبعون ألف ملك
فبينما هم اذ شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم فلولا انهم أدركوها لاحرقت من في الجمع فاخذوها (وقال
أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع
ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت) قال العراقي رواه ابن ماجه
من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك ابن عساكر وروى الحاكم من
حديث أبي موسى الاشعري ان أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وانهم ليبكون الدم
والرقاشي غلب عليه الزهد والانفراد ومع ذلك فقد روى عنه الاعلام كالاعمش والاوزاعي وحجاج بن ارطاة وزيد
العمي ومحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وعطاء بن السائب والحمادان وغيرهم وقد روى له البخاري في التاريخ
والترمذي وابن ماجه (ومادام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستراح)
ومتسلى (ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك قال محمد) بن كعب القرظي المدني التابعي (لاهل النار خمس دعوات
يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم
يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا
فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب) رواه سعيد بن منصور وابن جرير
في التفسير وابن المنذر والبيهقي في الشعب (قال مالك بن أنس) الامام رحمه الله تعالى (قال) أبو اسامة (زيد
ابن أسلم) العدوي مولاهم التابعي الثقة (في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال صبروا
مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) رواه أبو نعيم في الحلية قال
حدثنا محمد بن علي حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا سعيد بن عبد الجبار حدثنا مالك بن انس عن زيد بن
أسلم فذكره ولفظه جزعوا مائة سنة وصبروا مائة سنة (وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه
كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت) قال
العراقي رواه البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم اهـ قلت ورواه الطبراني
من حديث ابن عمر بلفظ يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة
هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون
وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا

موت وروى عن أنس مختصرا يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح هكذا رواه أبو يعلى والضياء عنه وللترمذى من حديث أبى سعيد يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون ويقال يا أهل النار فيشرئبون فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا وروى هناد وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبى هريرة يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين ان يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين ان يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلا كما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا وللبخارى من حديث ابن عمر يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت خلود ويا أهل الجنة لا موت خلود ورواه مسلم نحوه وفيه كل خالد فيما هو فيه وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود لو قيل لاهل النار انكم ماكثون عدد كل حصاة فى الدنيا لفرحوا بها ولو قيل لاهل الجنة انكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الابد (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل) يشير الى ما رواه أحمد وابن خزيمة والبيهقى من حديث أنس ان عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة ياحنان يامنان فيقول الله لجبريل اذهب فائتنى بعبدى هذا فينطلق جبريل الحديث وفيه فيقول دعوا عبدى تقدم فى كتاب الخوف والرجاء (وروى الحسين) بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما (جالسا فى زاوية) من زوايا البيت (وهو يبكى فقيل) له (لم تبكى فقال أخشى ان يطرحنى فى النار ولا يبالى) نزع به الى الخبر ان الله تعالى قبض قبضة من بنى آدم فقال هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقبض قبضة أخرى فقال وهؤلاء فى النار ولا أبالى كما تقدم واراد المصنف هذين القولين هنا اشارة الى تهويل أمر النار وانه مما ينبغى ان يتصور السالك ذلك فى نفسه ويستديمه (فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له) ومن ذلك ما رواه أبو يعلى والعقيلى وابن عدى والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والحاكم من حديث أبى موسى الاشعرى ان فى جهنم واديا وفى ذلك الوادى بئر يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار وتقدم ذلك للمصنف وروى ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس ان فى جهنم رحا تطحن علماء السوء طحنا ورواه ابن عساكر أيضا من حديث ابن عمر بلفظ تطحن جبابرة العلماء طحنا وفيه ابراهيم بن عبد الله بن همام كذاب وروى الديلمى من حديث أبى هريرة ان فى جهنم أرحية تدور بالعلماء فيشرف عليهم من كان عرفهم فى الدنيا فيقولون ماصيركم الى هذا وانما كنا نتعلم منكم فيقولون انا كنا نأمركم بأمر ونخالفكم الى غيره وروى الحاكم من حديث اسامة بن زيد يؤتى بالوالى الذى كان يطاع فى معصية الله فيؤمر به الى النار فيقذف فيها فتندلق به اقتابه فيستدير فيها كما يستدير الحمار فى الرحى فيأتى على أهل طاعته من الناس فيقولون أى فل أين ما كنت تأمرنا فيقول كنت آمركم بامر وأخالفكم الى غيره وروى الحميدى والعدنى نحوه وروى مثله فى علماء السوء من حديث أبى امامة وتقدم للمصنف وروى البزار من حديث معاذ ان فى النار حجرا يقال له ويل يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه وروى أحمد والترمذى وصححه والطبرانى والحاكم من حديث ابن عمرو لو ان رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ أصلها أو قعرها وروى الطبرانى وابن مردويه من حديث أنس لو ان شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب وفى رواية له لو ان شررة من جهنم وقعت فى وسط الارض لانتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب وروى الطبرانى وابن جرير والبيهقى من حديث أبى امامة لو ان صخرة وزنت عشر خلفات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى ينتهى الى غى وآثام قيل وما غى وآثام قال بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار ورواه

وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل وروى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى فقال أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له

فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقت فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت

الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ لو أخذ سبع خلفات بشحومهن فالقين من شفير جهنم ما انتهين الى آخرها سبعين عاما وروى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى يلق أثاما قال واد في جهنم وزاد مجاهد فقال من قيح ودم رواه الفريابي وقال عكرمة أثاما أودية في جهنم فيها الزناة رواه ابن جرير وقال قتادة كنا نحدث أنه واد في جهنم رواه عبد بن حميد وروى ابن المبارك في الزهد عن شفي الأصبحي قال ان في جهنم واديا يدعى أثاما فيه حيات وعقارب في فقار احداهن مقدار سبعين قلة من السم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة وروى أحمد وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء من حديث أبي سعيد لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد كما يضرب أهل النار لتفتت وعاد غبارا وروى هناد من حديث أبي موسى لو ان حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل ان يبلغ قعرها ومن حديث أنس لو ان حجرا مثل سبع خلفات ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها (فأعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة) بشوائب الغموم الطارقة والهموم المترادفة (فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق شئ معهم من نعيم الدنيا ولذاتها) لانقضائها بمفارقتهم لها (ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم) ويشاهدونها بالقرب منهم (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها) وتقربوا لها (واستنشقوا رائحتها) وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان تريناما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول ذلك أردت منكم) يا أشقياء (كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم) أي بكبائر المعاصي وشدائد المخالفات (واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين) أي خاشعين (تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس) أي خفتموهم (ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم) أي المؤلم الموجع (مع ما حرمتكم من الثواب المقيم) قال العراقي رويناه في الاربعين لأبي هدبة عن أنس وأبو هدبة ابراهيم بن هدبة هالك اهـ قلت لكن رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن النجار من حديث عدي بن حاتم وليس فيه أبو هدبة المذكور وله شاهد جيد من حديث سالم مولى أبي حذيفة عند ابن قانع يؤتى بأقوام من ولد آدم يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى اذا دنوا وأشرفوا على الجنة نودوا لا نصيب لكم فيها (قال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد (ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود) عليه السلام في بعض مناجاته (الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك) وهو الرعد (فكيف صبري على صوت

عذابك

عـذابك فانظر يامسكين فى هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قدقضى
وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذقضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة

عذابك) وقد خاطب به عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وهم بعرفة وقد أرعدت السماء فقال له هذا صوت رحمته وقد خفت منه فكيف بصوت عذابه غدا كما فى الحلية (فانظر يامسكين فى هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضى وفرغ منه) روى الطبرانى فى الاوسط والصغير والخطيب فى تاريخه من حديث أبى هريرة ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وخلق النار وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وروى أحمد من حديث ابن عمرو ان الله تعالى خلق خلقه ثم جعلهم فى ظلمة ثم أخذ من نوره ماشاء فالقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه وأخطأ من شاء فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن (قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة) اذ يوم الحسرة هو يوم القيامة كما تقدم (بل فى أزل الازل) وهو القدم الذى ليس له ابتداء (ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك) ومن كان بهذه المثابة فحق له أن يبكى ويحزن (فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له) وقد تقدم حديث أبى هريرة قريبا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وروى الطبرانى من حديث عمران بن الحصين اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفى رواية لما يهدى له من القول وروى أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى قيل يارسول الله على ماذا نعمل قال على مواقع القدر (فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق) أى الموانع (فتدفعه) وتمنعك عن فعله (ولا تقصد شرا الا وتتيسر لك أسبابه فاعلم انك مقضى عليك) ومصداق هذا ما رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخارى فى تاريخه وابو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والآجرى فى الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقى فى الاسماء والصفات والضياء من حديث عمر ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل قال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار (فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار) فانها دلالة قوية لا تكاد تتخلف (فقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين) المذكورتين (وقد عرفت مستقرك من الدارين) اما دار نعيم ان كنت برا من الابرار وعملك كعملهم أو دار جحيم ان كنت فاجرا من الفجار وعملك كعملهم والله الموفق

(القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اللهم اجعلنا من أهلها وارزقنا من نعيمها (اعلم) أجاب الله دعاءك (ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها) وما فيها من الاهوال والانكاد (تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لامحالة فى الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم) اذ الامر منوط

بل فى أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم انك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

(القول فى صفة الجنة وأصناف نعيمها) اعلم ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احدهما لامحالة فى الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم

فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت (٥٢٢) احداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ماتتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا في أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض وانارتها ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب وأي أكواب باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسويه صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياؤه وجهه الشمس في اشراقها

بين الخوف والرجاء (فبذلك تنال الملك العظيم) والنعيم المقيم (وتسلم من العذاب الاليم) في نار الجحيم (فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم) أي طراوته وبهجته (يسقون من رحيق) أي من خمر الجنة (مختوم) بالمسك (جالسين على منابر الياقوت الاحمر) وهو البهرماني وهو أجود أنواعه وأعلاها ثمنا في الدنيا (في خيام) منصوبة (من اللؤلؤ الرطب الابيض) كأنه ماء منعقد أي منضود به (فيها بسط) جمع بساط هو ما يفرش (من العبقري الاخضر) منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب الصنعة ثم ان الاخضر انما وقع صفة للرفرف في القرآن لا للعبقري (متكئين) فيها (على الارائك) جمع أريكة وهي على هيئة كرسي يقعد عليه (منصوبة) قد نصبت في مقدم المجلس (على أطراف أنهار مطردة) يقال اطردت الانهار بالتشديد أي جرت (بالخمر والعسل) بدلا عن الماء (محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان) والاصل فيه الخيرات بالتشديد ثم خفف (كأنهن) في بياض لون الجسد وحمرة الخدود والشفاه (الياقوت والمرجان) وهو اللؤلؤ الابيض (لم يطمثهن) أي لم يمسهن قط (انس ولا جان) أي لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن (اذا اختالت في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها) أي الارائك (من طرائف الحرير الابيض) أي أنواعه المستملحة (ما تتحير فيه الابصار) أي تندهش ويحتمل عود الضمير الى الحور (مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات) أي ذات شكلة بالكسر أي دل (غنجات) ذات غنج (عطرات) طيبة الرائحة (آمنات من الهرم) هو الطعن في السن (والبؤس) هو ضد النعومة (مقصورات) أي مخدرات (في قصور) مبنية (من) قطع (الياقوت) الاحمر (بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف) عن غير أزواجهن (عين) جمع عيناء وهي واسعة العين (ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم) برسم الخدمة (خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون) في صفاء لونهم (جزاء بما كانوا يعملون وهم في مقام أمين) مأمون من المكدرات (في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم) كفاحا من غير حجاب (وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم) أي تلألأت (لا يرهقهم) أي لا يصيبهم (قتر) أي غبرة (ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون) أي يأتيهم كل حين (فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون ولا يحزنون وهم عن ريب المنون) أي الداهية (آمنون فهم فيما يتنعمون ويأكلون من أطعمتها اللذيذة ويشربون من أنهارها المطردة (لبنا) تارة (وخمرا وعسلا) أخرى (في أنهار أرضها من فضة) مضيئة (وحصباؤها مرجان) اللؤلؤ الابيض (وعلى أرض ترابها مسك أذفر) ظاهر الرائحة شديدها (ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين) بكسر النون وسكون السين المهملة مشموم معروف فارسي معرب وهو فعليل أو فعلين وقال الازهري لا أدري أعربي أم لا (على كثبان الكافور) جمع كثيب وهو التل المرتفع (ويؤتون باكواب) جمع كوب بالضم وهو من الكيزان ما لا عروة له (وأي أكواب) ويجمع على الاكاويب (باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب منها فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب) أي ماء من عين السلسبيل (كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسويه صنعته) واتقانها (في كف خادم يحكي ضياؤه وجهه الشمس في اشراقها)

واكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناديا أهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها

وانارتها (ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه) وقد لاحظ هذا المعنى مجنون بني عامر فقال يخاطب ليلى

أنيري مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها * وليس لها منك التبسم والثغر

(فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها) أي بساحتها (ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها) لامنهم منها (كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها) وزوالها (و) كيف (يتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها) أي في الدار الاخرى (الا سلامة الابدان) من العلل (مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته) وان كانت النفوس تنكل عن حمل أعباء المصائب وتعيا وتتقاعس عن اجابة دعاة الموت بل تغالط به حتى صار عذرها نسيا لكونها مفطورة على كراهة المؤلمات والنفرة عن مفارقة المألوفات الا أنها اذا انكشفت لها عواقب الامور المرة من النتائج النفيسة والخيور الكثيرة أقدمت على اخطار تلك الامور وتوصلت بكآبة الدواء على مافي الشفاء من السرور (كيف وأهلها ملوك آمنون) لان الهيآت المذكورة والحالات المسطورة انما تتيسر للملوك وبشيرا اليه قوله تعالى رأيت نعيما وملكا كبيرا (وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون) ومن جملة تلك النعم على الاجمال تسليم الملائكة عليهم في كل حين وملاقاة أهلهم وهداياهم الى قصورهم وما تشتمل عليه مساكنهم من الطارف والتحف وارتفاعها واتساعها وغزارة أنهارها والتفاف أشجارها وتنوع ثمارها وملابسهم وحليهم وحللهم وأوانيهم وفرشهم وسلامة عيشهم من النقصان واجتماعهم مع أحبابهم في أنعم الحالات وأكمل المسرات وجلوسهم على منابر النور ومرافقتهم للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وتنعمهم بمشاهدتهم ومجالساتهم وزياراتهم لربهم سبحانه وتعالى وحضورهم عنده في مقعد صدق وتشنف أسماعهم بخطابه تعالى لهم واضافتهم اليه بالعندية وكمال طمأنينتهم برضاه عنهم واستقرار البسط التام بدوام رضاه سبحانه وغير ذلك من النعم والكرامات ممالا يدخل تحت حصر النقول ولا احصاء العقول (قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة ان لكم) يا أهل الجنة (ان تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد اهـ قلت وكذلك رواه أحمد وأبو بكر ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والدارمي والترمذي والنسائي (ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة) وما أعد فيها من النعيم (فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها) وهو أيضا تفصيل نسبي والا فكيف يحاط بالجنة علما على جهة التفصيل الحقيقي والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وثبت في الحديث القدسي أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانما ذكر المصنف هنا بعض الآيات والاخبار المنبهة على الجنة وما تشتمل عليه من جليل النعم وخطر الكرم منبها بها على كمال صفاتها

وعظم قدر كراماتها وابتدأ بذكر عددها ثم بأبوابها واتساعها ثم في غرفها وحائطها وأشجارها وأنهارها ثم في لباسهم فيها وطعامهم وشرابهم ثم في صفة حورها وولدانها ثم في رؤية الله عز وجل فقال (وتأمل أولا * عدد الجنان * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال) فيما أخبرناه عبد الخالق ابن أبي بكر الزبيري قال أخبرنا محمد بن ابراهيم الكوراني أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد القادر الطبري أخبرنا عبد الواحد بن ابراهيم الحصاري أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد المتبولي أخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التنوخي أخبرنا أحمد بن أبي طالب الحجار أخبرنا أبو النجا عبد الله بن عمر بن علي البغدادي أخبرنا سعيد بن أحمد بن الحسن بن البناء أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الوراق حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث حدثنا محمد بن بشار ونصر بن علي قالا حدثنا أبو عبد الصمد العمي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من هذا الوجه ورواه أحمد والطبراني بلفظ جنان الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وهذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهارا ورواه الطبراني أيضا وابن أبي حاتم بلفظ جنتان من ذهب للمقربين ومن دونهما جنتان من ورق لاصحاب اليمين قال الحافظ في الفتح وظاهر الحديث ان الجنتين من ذهب لا فضة فيهما وبالعكس ويعارضه حديث أبي هريرة قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان وجمع بأن الاول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها والثاني صفة حوائط الجنان اهـ وقوله الا رداء الكبرياء قال النووي لما كان تستعمل الاستعارات للتفهيم عبر عن مانع رؤيته تقدس برداء الكبرياء فاذا تجلى الله عليهم يكون ازالة لذلك وقال غيره المراد انه اذا دخل المؤمنون الجنة وتبوؤا مقاعدهم رفع ما بينهم وبين النظر الى ربهم من الموانع والحجب التي منشؤها كدورة الجسم ونقص البشرية والانهماك في المحسوسات الحادثة ولم يبق ما يحجزهم عن رؤيته الا هيبة الجلال وسبحات الجمال وابهة الكبرياء فلا يرفع ذلك عنهم الا رأفة ورحمة منه تفضلا على عباده وقال عياض استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وجلاله المانع لادراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء فاذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته وقوله في جنة عدن راجع الى القوم أي وهم في جنة عدن لا الى الله لتنزهه عن أن تحويه الامكنة قاله عياض وقال القرطبي يتعلق بمحذوف في كل الحال من القوم أي كائنين في جنة عدن وقيل متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد انتفاء هذا الحصر في غير الجنة وقال الهروي بين به ان النظر لا يحصل الا بعد الاذن لهم في الدخول في جنة عدن سميت بها لانها محل قرار رؤية الله تعالى ومنه العدن لمستقر الجواهر وقال الحكيم الترمذي الفردوس سرة الجنة ووسطها والفردوس جنات عدن فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حولها فاذا تجلى الوهاب لاهل الفردوس رفع الحجاب وهو المراد برداء الكبرياء ههنا فينظرون الى جلاله وجماله فيضاعف عليهم من احسانه ونواله

(فصل) اعلم أن للجنة أسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذواتها فهي مترادفة من هذا الوجه مختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الجن وهو الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة جدا كما جاء في الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال لام حارثة لما قتل ابنها حارثة في بدر يا أم حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى ومن دونهما جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما

وتأمل أولا *(عدد الجنان)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان. قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن

جنتان

جنتان وفي حديث أبي موسى عند الشيخين الذي ذكره المصنف جنتان من ذهب وجنتان من فضة فهن أربع
كما دلت عليه رواية الطبراني الجنان أربع وقال القرطبي هي سبع وعدها وأعلاهن جنة عدن وهي منازل
المرسلين والشهداء والصديقين وقد ورد في الخبر انه تعالى غرسها بيده وهي قصبة الجنة وفيه الكثيب الذي تقع
فيه الرؤية وعليها سور وثمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس وأصلها
البستان وهي أوسط الجنان الذي دون جنة عدن وأفضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار
السلام ثم دار المقامة ومنهم من قسم الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص الهي وهي التي
تدخلها الاطفال وأهل الفترة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت
معينة لاهل النار لو دخلوها الثالثة جنة الاعمال وهي التي تنزل الناس فيها باعمالهم فمن كان أفضل من غيره
في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أولم يكن غير ان فضله في هذا المقام
بهذه الحالة فما من عمل من الاعمال الاوله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم والله
أعلم (ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة) لاتحصر وكثرتها (بحسب أصول الطاعات كما ان أبواب النار بحسب
أصول المعاصي) وقد استدل المصنف على تعددها بالاخبار فقال (قال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة أبواب فمن كان من
أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي
من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد
من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم) رواه مالك والشيخان
والترمذي والنسائي وابن حبان ولفظهم من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا
خير فمن كان من أهل الصلاة الخ ولفظ ابن حبان من أنفق زوجين من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي
من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير وللجنة أبواب الخ وفي لفظ فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على
من دعي من تلك الابواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها فهذا الحديث دال على ان كثرة
الابواب بحسب أصول الطاعات والمشهور ان أبواب الجنة ثمانية واستدل عليه بما رواه ابن زنجويه وابن أبي
الدنيا وأبو يعلى والطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة
حتى تطلع الشمس من نحوه وروى البخاري من حديث سهل بن سعد ان للجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى
الريان لايدخله الا الصائمون فاذا دخل أحدهم أغلق فلا يدخل منه أحد وبما في الصحيح من حديث عمر ما منكم
من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة
الثمانية يدخل من أيها شاء ورواه الترمذي بنحوه الا أنه قال من أبواب الجنة بزيادة من قال القرطبي وهو
يدل على ان أبواب الجنة أكثر من ثمانية وفي خبر آخر عند ابن ماجه ما من مسلم يتوفى له ثلاثة أولاد لم يبلغوا
الحنث الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ومن أبواب الجنة الباب الايمن تقدم ذكره في
حديث أبي هريرة وباب هذه الامة فقد روى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة أتاني جبريل فأخذ بيدي
وأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني أكون معك حتى أنظر اليه فقال صلى
الله عليه وسلم أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي وقد دل هذا على ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون
منه الجنة دون سائر الامم وباب محمد صلى الله عليه وسلم وهو باب الرحمة وباب التوبة وباب الضحى وقد روى
الديلمي من حديث أبي هريرة ان للجنة بابا يقال له الضحى لا يدخل منه الا أصحاب صلاة الضحى فهذه خمسة أبواب
تضاف على الثمانية فتبلغ ثلاثة عشر بابا ولعل القرطبي لحظ الى هذا فقال وانتهى عددها الى ثلاثة عشر بابا
والله أعلم (وعن عاصم بن ضمرة) السلولي الكوفي صدوق مات سنة أربع وسبعين روى له الاربعة (عن علي
كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) حتى

ثم انظر الى أبواب الجنة
فانها كثيرة بحسب
أصول الطاعات كما أن
أبواب النار بحسب
أصول المعاصي قال أبو
هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
أنفق زوجين من ماله في
سبيل الله دعي من أبواب
الجنة كلها وللجنة
ثمانية أبواب فمن كان
من أهل الصلاة دعي من
باب الصلاة ومن كان
من أهل الصيام دعي
من باب الصيام ومن
كان من أهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن
كان من أهل الجهاد دعي
من باب الجهاد فقال أبو
بكر رضي الله عنه والله
ما على أحد من ضرورة
من أيها دعي فهل يدعى
أحد منها كلها قال
نعم وأرجو أن تكون
منهم وعن عاصم بن
ضمرة عن علي كرم
الله وجهه انه ذكر النار
فعظم أمرها ذكرا لا
أحفظه ثم قال وسيق
الذين اتقوا ربهم الى
الجنة زمرا

اذا جاؤها فتحت أبوابها الآيات وهذا بعد ان قال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا فلا جرم ان المراد بالمتقين هنا الموحدون الا ان الموحد الكامل يتقى المعاصى كما يتقى الشرك (حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا) أى قصدوا (الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فاذهبت مافى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى) خزنة (الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم) أى القريب (يقدم عليهم من غيبة) أى من سفر غاب فيه (يقولون له أبشر) فقد أعد الله لك من الكرامة كذا فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى) أى خلفى يتبعنى (فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر ومن كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره) أى أمسكه بقدرته (لألم) أى لقرب وكاد (أن يذهب بصره) من شعاع السقف (ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم اتكأ) على أرائكه فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا) هكذا أورده موقوفا على علىّ رضى الله عنه أخرجه ابن المبارك فى الزهد وعبد الرزاق وابن أبى شيبة وعبد بن حميد والبغوى فى الجعديات وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم فى صفة الجنة والبيهقى فى الشعب والضياء كلهم من طريق اسرائيل عن أبى اسحق عن عاصم بن ضمرة وسياق المصنف هو سياق أبى بكر بن أبى شيبة رواه عن وكيع عن اسرائيل عن ابى اسحق ولفظ بعضهم يساق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما فشربوا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغبر أبدانهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم كأنما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى خزنة الجنة ثم ساقوه مثل سياق المصنف وقال الشيخ ناصر الدين بن الميلق الشاذلى فى كتابه حادى القلوب الى لقاء المحبوب ما نصه وروى ابن أبى الدنيا بسنده الى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال قلت يا رسول الله ما الوفد الا ركب قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون الى باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب واذا شجرة على باب الجنة تنبع من أصلها عينان فاذا شربوا من احداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم واذا توضؤا من الاخرى لم تشعث أشعارهم أبدا فيضربون الحلقة بالصفحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا ان الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجدا مما يرى من النور والبهاء فيقول أنا قيمك الذى وكلت بامرك فيتبعه فيقفو أثره فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة تعانقه وتقول أنت حبى وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدا وأنا الناعمة فلا أبأس أبدا وأنا الخالدة فلا أظعن أبدا فيدخل بيتا من أساسه الى سقفه مائة ألف ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقة تشاكل صاحبتها فيأتى الاريكة فاذا عليها سرير على السرير سبعون فراشا عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن فى مقدار ليلة تجرى من تحتهم انهار مطردة من ماء صاف غير آسن ليس فيه كدر وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطن النحل وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال باقدامهم وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم

حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فاذهبت مافى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره لألم ان يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا

يخرج

يخرج من بطن الماشية فاذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الالوان شاؤا ثم تطير فتذهب وفيها ثمار مدلاة اذا اشتهوها انبعث الغصن اليهم فيأكلون من أى الثمار شاؤا ان شاؤا قائمين وان شاؤا نيا ماوان شاؤا متكئين وذلك قوله تعالى وجنا الجنتين دان وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ قلت هذا السياق رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن على ورواه ابن أبى حاتم من طريق سلمة بن جعفر البجلى قال سمعت أبا معاذ البصرى ان عليا قال قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون بنوق بيض الخ قال ابن السياق وهذا الحديث وان كان اسناده ضعيفا والمعروف انه موقوف على على رضى الله عنه فله شواهد من الاحاديث الصحيحة وهو جامع لكثير من أمور الجنة قال وقوله وجدوا بابا فيه حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فهو محمول على الباب الكبير الشامل لجميع جنات المؤمنين الذى هو باب الجنة الكبرى فان ذلك الباب يفتحه النبى صلى الله عليه وسلم أولا ثم يصير مفتوحا للمؤمنين (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة) كذا فى النسخ وفى لفظ بتقديم باب الجنة على يوم القيامة والمعنى أجىء بعد الانصراف من الحشر للحساب الى أعظم المنافذ التى يتوصل منها الى دار الثواب وهو باب الرحمة أو باب التوبة وفى ايثار لفظ الاتيان اشعار بان مجيئه يكون بصفة من ألبس خلعة الرضوان فجاء على تمهل وأمان من غير نصب فى الاتيان اذ الاتيان هو المجىء بسهولة والمجىء أعم كما بيناه فى شرح القاموس (فاستفتح) أى أطلب انفتاحه وازالة غلقه بالقرع لا بالصوت لما فى الخبر آخذ بحلقة الباب فاقرع وفى خبر آخر أنا أول من يدق باب الجنة والفاء سببية أى تسبب عن الاتيان الاستفتاح أو للتعقيب وهو الاوجه وفيه اشارة الى أن الله سبحانه قد صان نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذل الوقوف وأذن له فى الدخول ابتداء بحيث صار الخازن مأموره منتظرا لقدومه (فيقول الخازن) أى الموكل بحفظ الجنة وهم كثيرون ومقدمهم رضوان عليهم السلام (من أنت) أجاب بالاستفهام وأكده بالخطاب تلذذا بمناجاته والا فابواب الجنة شفافة وهو العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس وقد رآه الخازن قبل ذلك وعرفه أتم معرفة ومن ثم اكتفى بقوله (فاقول محمد) وان كان المسمى به كثيرا ولم يقل انا لايهامه مع ما فيه من الاشعار بتعظيم المرء نفسه وهو سيد المتواضعين (فيقول) الخازن (بك أمرت) الباء متعلقة بالفعل بعدها ثم هى اما سببية قدمت للتخصيص أى بسببك خاصة أو صلة للفعل وأمرت بالبناء للمفعول والفاعل الله (أن لا أفتح لاحد) من الخلق (قبلك) أى أمرت بفتح الباب لك قبل غيرك من الانبياء وقوله أن لا أفتح هكذا فى نسخ الكتاب ومثله فى الجامعين الصغير والكبير للسيوطى قال المناوى والذى وقفت عليه فى نسخ صحيح مسلم الصحيحة المقروءة لا أفتح باسقاط ان قال العراقى رواه مسلم من حديث أنس اه قلت وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن منيع وروى الحاكم من حديث معاذ آتى باب الجنة فاستفتح فيقال من هذا فاقول محمد فيقال مرحبا بمحمد فاذا رأيت ربى خررت له ساجدا أنظر اليه قال الحاكم على شرطهما وتعقب بان فيه انقطاعا وروى ابن النجار من حديث ابن عباس آتى يوم القيامة باب الجنة فيفتح لى فارى ربى وهو على كرسيه فيتجلى لى فاخر ساجدا

(فصل) وحيث ذكر المصنف أبواب الجنة وما يتعلق بها فلنذكر اتساعها روى أحمد من حديث معاوية بن حيدة ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعون عاما وليأتين عليه يوم وانه لكظيظ وفى رواية له باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثا ثم انهم لا يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول وللشيخين من حديث أبى هريرة والذى نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وفى رواية لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة و بصرى وتقدم للمصنف وروى ابن أبى شيبة عن عتبة بن غزوان انه خطب فقال ان ما بين المصراعين من أبواب الجنة لمسيرة أربعين وليأتين على أبواب الجنة يوم وليس منها باب الا وهو كظيظ وعن كعب الاحبار قال ما بين مصراعى الجنة أربعون خريفا للراكب المجد وليأتين عليهم يوم وهو كظيظ الزحام قال صاحب حادى القلوب ان أبواب الجنة بعضها فوق بعض كما ان الجنان بعضها فوق بعض وقد صرح على رضى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فاقول محمد فيقول بك أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك

ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين

الله عنه في ارتفاع أبواب الجنة بأن بعضها فوق بعض وإذا كان كذلك فالظاهر كما نبه عليه بعضهم أن باب الجنة المرتفعة أوسع من الجنة التي تحتها والله أعلم (ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) كما قال تعالى في كتابه العزيز انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي التفاوت في الآخرة أكبر لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وإن للمؤمنين في الجنة منازل وإن لهم فضائل بأعمالهم وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك قال إن أهل الجنة بعضهم فوق بعض درجات الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه والأسفل لا يرى أن فوقه أحدا وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه من حديث سلمان ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها وأطول ثم قرأ هذه الآية وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عمر قال لا يصيب عبد من الدنيا شيئا إلا انتقص من درجاته عند الله تعالى وإن كان عليه كريما (وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به) في الآخرة (تفاوت ظاهر فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا إلى مغفرة من ربكم) وجنة عرضها كعرض السماء والأرض (وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي ليرغب فيه الراغبون على وجه المباراة (والعجب أنه لو يقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها) أي بجملتها (فقد قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون) التراءي تفاعل من الرؤية وهو على وجوه يقال تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا وتراءى لي الشيء ظهر لي حتى رأيته وتراءى القوم الهلال إذا رأوه بأجمعهم (أهل الغرف) أي ينظرونهم والغرف جمع غرفة وهي بيت صغير يكون فوق الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة من (فوقهم كما تتراءون) أنتم يا أهل الدنيا (الكوكب الغابر) أي الباقي في الأفق بعد انتشار الفجر وحينئذ يرى أضوأ (في الأفق) أي ناحية السماء (من المشرق والمغرب) وفي لفظ أو المغرب شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء في جانب الشرق والغرب في الإضاءة مع البعد (لتفاضل ما بينهم) يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من عداهم وإنما قال من المشرق أو المغرب ولم يقل في السماء أي في كبدها لأنه لو قيل في السماء كان القصد الأول بيان الرفعة ويلزم منه البعد وفي ذكر المشرق أو المغرب القصد الأول منه البعد وتلزم منه الرفعة وفيه شمة من معنى التقصير بخلاف الأول فإن فيه نوع اعتذار ذكره الطيبي (قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) رواه أحمد والدارمي والشيخان وابن حبان هكذا من حديث أبي سعيد كما ذكره المصنف ورواه ابن حبان أيضا من حديث سهل بن سعد ورواه أحمد أيضا والترمذي من حديث أبي هريرة ولفظ الكل الكوكب الدري الغابر ووقع في الموطأ الغائر بالهمز بدل الموحدة بمعنى الساقط الذاهب الذي قد تدلى للغروب ودنا منه وانحط إلى الجانب الغربي ووقع عند الترمذي الغارب بتقديم الراء على الموحدة وفي التمثيل به دون بقية الكواكب المسامتة للرأس وهي أعلى فائدتان أحدهما بعده عن العيون والثانية أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ذكره ابن القيم وبه يعرف أن ما زعمه التوربشتي من أن رواية الهمز تصحيف لما فهمه من الركاكة لأن الساقط في الأفق لا يراه إلا بعض الناس وأهل الجنة يراهم جميع أهلها غفلة عن هذا التوجيه

وقال أيضا ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما
وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بابينا أنت وأمنا قال ان فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس

الوجيه ومما يصرح برده ما رواه أحمد ان أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الافق الطالع فى الدرجات فقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربا وبكونه طالعا وقد صرح فى خبر أبى هريرة عند ابن المبارك ان أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الافق فى تفاضل الدرجات قاله المناوى وروى أحمد والدارمى والشيخان من حديث سهل بن سعد ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فى الجنة كما تراءون الكوكب فى السماء والمعنى انهم يضيئون لاهل الجنة اضاءة الكواكب لاهل الارض (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم) منزلة (كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر) رضى الله عنهما (منهم وأنعما) أى زادا فى الرتبة وتجاوزا تلك المنزلة فقوله وأنعما عطف على المقدر فى منهم أى انهما استقرا منهم وأنعما وقيل أراد بانعما زادا فى النعيم وفى الفائق للزمخشرى كلمة نعم استعملت فى حمد كل شئ واستجادته وتفضيله على جنسه ثم قيل اذا عملت عملا فانعمه أى فاجده وجئ به على وجه يثنى عليه بنعم العمل هذا ومنه دق الدواء فانعم او دقه فانعمه ومنه قوله هنا وأنعما أى فضلا وزادا على كونهما من جملة أهل عليين قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد اهـ قلت وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان ولفظهم ابراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع فى أفق السماء والباقى سواء وعند بعضهم الدرى بدل الطالع وهو منسوب الى الدر لصفاء لونه وخلوص نوره ورواه الطبرانى والبغوى وابن عساكر من حديث جابر بن سمرة ورواه ابن النجار من حديث أنس وابن عساكر أيضا من حديث أبى هريرة وقد روى حديث أبى سعيد بلفظ آخر ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضئ وجهه لاهل الجنة كما يضئ القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما رواه أبو اسحق المزكى وابن عساكر وفيه اشعار بان أصل ألوان أهل الجنة البياض كما سيأتى وقد روى الطبرانى من حديث ابن عمر انه جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فضلتم بالصور والالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به انى لكائن معك فى الجنة قال نعم والذى نفسى بيده انه ليرى بياض الاسود فى الجنة من مسيرة ألف عام وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر ان أهل الدرجات العلى لينظر اليهم من هو أسفل منهم كما ينظر أحدكم الى الكوكب الدرى الغابر فى افق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر لمنهم وانعما (وقال جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وامنا قال ان فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله) فبعضها من اللؤلؤ وبعضها من الياقوت بانواعه وبعضها من الزمرذ وبعضها من الماس وغير ذلك من أصناف الجواهر (يرى) بالبناء للمفعول أى يرى أهل الجنة (ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها) لكونها بشفافة لا تحجب ماوراءها (وفيها من النعيم واللذات والسرور ومالاعين رأت) فى الدنيا (ولا اذن سمعت) فيها (قال) جابر (قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف فقال لمن أفشى السلام) أى على من عرف ومن لم يعرف (واطعم الطعام) للعيال والفقراء والاضياف والاخوان (وادام الصيام) وفى رواية تابع وفى أخرى واصل قال الشيخ الاكبر قدس سره عنى به الصيام المعروف كرمضان والايام المشهود لها بالفضل على الوجه المشروع مع بقاء القوة دون استيفاء الزمان كله ولا استيفاء القوة باسرها وانما تكسر الشهوة مع بقاء القوة وقال بعض الصوفية الصيام هنا الامساك عن كل مكروه فيمسك قلبه عن اعتقاد الباطل ولسانه عن القول الفاسد ويده عن الفعل المذموم (وصلى بالليل والناس نيام) أى تهجد فيه (قال) جابر (قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه أورد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام) البيض أو مفرقا (فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس) قال العراقى رواه أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر اهـ قلت

وروينا فى جزء ابن السماك ورواه البيهقى وضعفه ابن عدى لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها وقال صاحب حادى القلوب بعد ان أورده من فوائد ابن السماك هذا الحديث وان كان ضعيفا الا انه روى من طرق يقوى بعضها بعضا قلت ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره ومن شواهده ما روى الخطيب من حديث ابن عباس ان فى الجنة لغرفا اذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خارجها واذا خرج منها لم يخف عليه ما فيها قيل لمن هى يارسول الله قال لمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام قيل يارسول الله وما طيب الكلام قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد انها تاتى يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات ومجنبات قيل فما ادامة الصيام قال من أدركه رمضان فصامه ثم أدرك رمضان فصامه قيل فما اطعام الطعام قال كل من قات عياله وأطعمهم قيل فما افشاء السلام قال مصافحة أخيك اذا لقيته وتحيته قيل فما الصلاة والناس نيام قال صلاة عشاء الآخرة واليهود والنصارى نيام ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق الى قوله والناس نيام وروى عن أبى مالك الاشعرى ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والطبرانى والبيهقى ورواه هناد والترمذى وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن السنى والبيهقى من حديث على ورواه أحمد ومحمد بن نصر والطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو (وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله) عز وجل (ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمرذ أخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك أجمع) قال العراقى رواه أبو الشيخ فى العظمة والآجرى فى كتاب الصحبة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبى حاتم والحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة على قول الجمهور اهـ قلت وفى كتاب الآجرى زيادة عما هنا فى كل بيت سبعون سريرا وفى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة

(صفة حائط الجنة وأرضها وأشجارها وأنهارها)

(تامل) هداك الله تعالى (فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها القناعته بالدنيا) الفانية (عوضا عنها فقد قال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك) قال العراقى رواه الترمذى بلفظ وبلاطها المسك وقال ليس اسناده بذاك القوى وليس عندى بمتصل ورواه البزار من رواية أبى سعيد باسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه باسناد صحيح اهـ قلت سياق المصنف أورده البيهقى فى البعث من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة ومن هذا الطريق أخرجه البزار فى مسنده وفى الغيلانيات حدثنا أبو بكر الشافعى حدثنا أحمد بن محمد بن عبيدة حدثنا أحمد بن حفص حدثنى أبى حدثنا ابراهيم عن مطر ابن طهمان عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة رفعه حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ومجامرهم اللؤلؤ وأمشاطهم الذهب رجال هذا السند رجال الصحيح أخرجه البيهقى فى البعث عن أبى الحسن العلوى عن أبى حامد البزاز عن أحمد بن حفص به مختصرا هكذا وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا فاروق وحبيب فى جماعة قالوا حدثنا أبو مسلم الكشى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا عمران القطان عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مثله وزاد ترابها الزعفران وطينها المسك حدثناه أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك أجمع

(صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وأنهارها)

تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى غبطة سكانها وفى حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك

قال الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك رواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي
هريرة موقوفا ودرجها الياقوت ورضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران قلت ورواه ابن المبارك في الزهد
وابن أبي الدنيا في صفة الجنة نحوه وأخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن سعيد المكي وأبو طاهر محمد بن ابراهيم المدني قالا أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى أخبرنا علي بن عبد القادر
الطبري أخبرنا والدي أخبرنا جدي امام المقام يحيى بن مكرم الطبري أخبرنا الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن
السخاوي أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني أخبرنا ابراهيم بن أحمد البعلي أخبرنا أحمد بن أبي
طالب أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى أخبرنا أبو الحسن الداودي أخبرنا أبو محمد
السرخسي أخبرنا ابراهيم بن خزيم أخبرنا عبد بن حميد قال حدثنا سليمان بن داود عن زهير بن معاوية حدثنا
سعد أبو مجاهد الطائي حدثني أبو المدله انه سمع أبا هريرة يقول قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة
من ذهب ولبنة من فضة وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس
ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه هذا حديث حسن ورجاله رجال الصحيح الا أبا المدله مولى عائشة واسمه
عبيد الله وقد وثقه ابن حبان رواه أحمد وهناد في الزهد وابن حبان والبيهقي في البعث من هذا الوجه وأخرجه
الترمذي من طريق حمزة الزيات عن زياد الطائي عن أبي هريرة وقال ليس اسناده بالقوي ولا بالمتصل وله اسناد
آخر الى أبي هريرة اه وكأنه يشير الى ما تقدم من رواية العلاء بن زياد عن أبي هريرة وله شاهد آخر بالسند
السابق الى الحافظ العسقلاني عن مريم بنت أحمد الاذرعية عن يونس بن ابراهيم قال أنبأنا أبو الحسن بن المقير
أخبرنا أبو الفضل بن ناصر في كتابه عن أبي القسم بن منده قال أخبرنا أحمد بن علي الاصبهاني أخبرنا أبو عمرو بن
حمدان أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح عن
عمرو بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة
يحيا لا يموت وينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من
ذهب ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران رجاله رجال الصحيح الا عمرو بن ربيعة
ومن هذا الوجه رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة والطبراني وابن مردويه وأما قول العراقي ورواه
البزار من حديث أبي سعيد الخ فقال البيهقي في البعث أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار
حدثنا محمد بن يونس حدثنا سهل بن بكار حدثنا وهب بن خالد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ثم شقق فيها الانهار
وغرس فيها الاشجار فلما نظرت الملائكة الى حسنها وزهرتها قالت طوبى لك منازل الملوك محمد بن يونس هو الكديمي
حافظ لكنه متهم بالوضع لكن لم ينفرد به فقد أخرجه البزار عن محمد بن المثنى عن حجاج عن حماد بن سلمة عن
الجريري به موقوفا وعن بشر بن آدم عن يونس بن عبيد الله عن عدي بن الفضل عن الجريري به مرفوعا وقال
لا نعلم أحدا رفعه الا عدي وليس بالحافظ قال الحافظ السيوطي في أمالي الدرة ان وهب بن خالد تابعه على رفعه
اه قلت ورواه من هذا الوجه الطبراني وابن مردويه والله أعلم (وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال
درمكة بيضاء مسك خالص) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي سعيد ان ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فذكره اه قلت وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث
أبي هريرة أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك على كثبان الرمل فيها أنهار مطردة
فيجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فيهيج عليهم المسك فيرجع الرجل
الى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد اعجابا
وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال أرض الجنة فضة وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو الشيخ
في العظمة عن أبي زميل انه سأل ابن عباس ما أرض الجنة قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة قال ما نورها

وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص

قال مارأيت الساعة التي تطلع فيها الشمس فذلك نورها الا انه ليس فيها شمس ولا زمهرير قال ما أنهارها أفي اخدود قال لا ولكنها تفيض على وجه الارض لا تفيض ههنا ولا ههنا قال فما حلاها قال فيها الشجر فيها ثمر كأنه الرمان فاذا اراد ولي الله منها كسوة انحدرت اليه من اغصانها فانفلقت له عن سبعين حلة الوانا بعد الوان ثم تنطبق فترجع كما كانت وروى البزار من حديث ابن عباس ان الله خلق الجنة بيضاء (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن والنسائي باسناد صحيح من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة اه قلت فهم الحافظ العراقي ان الحديث تم الى هنا فلذا احتاج ان يورد عن الطبراني والنسائي ما في معناه ثم قال حديث (انهار الجنة تفجر من تحت تلال) المسك (او) قال (تحت جبال المسك) شك من الراوي رواه العقيلي في الضعفاء من حديث ابي هريرة ثم قال حديث (لو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة افضل من حلية الدنيا جميعها) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة باسناد حسن انتهى وانما هو كله حديث واحد من رواية ابي هريرة من اول قوله من سره الى قوله جميعها وهكذا رواه البيهقي في البعث والنشور وابن عساكر في التاريخ مجموعا في متن واحد من حديث ابي هريرة وقال تحت تلال المسك وقال لا عدلت الحلية اهل الدنيا جميعها والباقي سواء ولو كان مراد المصنف تفريق الحديث لميز كل قطعة منه على عادته بقوله وقال صلى الله عليه وسلم فافهم واما ما رواه عن الطبراني والنسائي فقد رواه ايضا الحاكم وابن عساكر بلفظ لم يكسه في الآخرة وفيه زيادة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة واما قوله أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو جبال المسك فقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة أنهار الجنة من جبال مسك ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان في التفسير والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود قال ان أنهار الجنة تفجر من جبل مسك وقال صاحب حادي القلوب وأما أنهار الجنة فقد مدحها القرآن الكريم قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وثبت في الصحيح ان أنهار الجنة تفجر من الفردوس وان الفردوس وسط الجنة وأعلاها وثبت أيضا ان الكوثر نهر في الجنة وتقدم وصفه عند ذكر الحوض وروى الترمذي وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال أظنكم تظنون ان أنهار الجنة أخدود في الارض لا والله انها السائحة على وجه الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والآخر الياقوت وطينه المسك الاذفر قال والاذفر الذي لا خلط معه وقد ذكر الله سبحانه عيون الجنة في مواضع من كتابه العزيز قال تعالى ان المتقين في جنات وعيون وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا وقال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وقال تعالى فيهما عينان تجريان وقال تعالى فيهما عينان نضاختان ومشارب الجنة متنوعة منها ما نبه عليه قوله تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وقوله تعالى يطاف عليهم بكاس من معين الآية وقوله تعالى وكاسا دهاقا وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق الآية وبالجملة فانهار الجنة وعيونها وجميع ما فيها فوق ما تبلغه الاماني من الحسن والكمال اه قلت ما رواه عن الترمذي وصححه فهو من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه رفعه وكذلك رواه أحمد والطبراني وما أورده موقوفا على أنس من رواية ابن أبي الدنيا فقد رواه ابن مردويه وأبو نعيم والضياء المقدسي كلاهما في صفة الجنة عن أنس مرفوعا وفيه لعلكم تظنون وفيه قلت يا رسول الله ما الاذفر قال الذي لا خلط معه وروى ابن أبي الدنيا وابن مردويه والضياء من حديث أبي موسى ان أنهار الجنة تشخب من جنة عدن من جوب ثم تصدع بعد أنهار وروى أحمد في الزهد

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال أبو امامة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم

والدارقطني في المدبج عن المعتمر بن سليمان قال ان في الجنة نهرا ينبت الجوارى الابكار وروى ابن عساكر من حديث أنس في الجنة نهر يقال له الريان عليه مدينة من مرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن فيه كثير بن سليم متروك وروى ابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في البعث عن مسروق قال أنهار الجنة تجرى في غير أخدود ونخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما فرغت ثمرة عادت كما كانت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا وروى أبو الشيخ في العظمة والحاكم في التاريخ والديلمي من حديث أبي سعيد ان في الجنة لنهرا ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج منه فينتفض الاخلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكا ومن جملة أنهار الجنة نهر يقال له رجب وروى في الخبران في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر رواه الشيرازي في الالقاب وأبو الشيخ في العظمة وابن شاهين في الترغيب وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي والخليل بن عبد الجبار القزويني في كتاب فضائل رجب وشعبان ورمضان وابن النجار من طرق عن أنس مرفوعا ومن أنهار الجنة نهر يقال له البيذخ سيأتي ذكره للمصنف بعد ولما فرغ من ذكر أنهار الجنة شرع في ذكر أشجارها فقال (وقال ابو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة) قيل هي شجرة طوبى وقيل غيرها والشجر من النبات ما قام على ساق او ما سما بنفسه دق او جل (يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها) واستشكل بانه من اين هذا الظل والشمس قد كورت وليس في الجنة شمس واجاب السبكي بانه لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل وانما الناس الفوا ان الظل ما تنسخه الشمس وليس كذلك بل الظل مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل هو امر وجودي له نفع في الابدان وغيرها (اقرؤا ان شئتم وظل ممدود) قال العراقي متفق عليه من حديث ابي هريرة اه قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن ابي شيبة وهناد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه زاد ابن أبي شيبة بعدان ورواه عن يعلى بن عبيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى والقرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم أدار باهل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا يخرج من أصل تلك الشجرة وروى أحمد والبخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وان شئتم فاقرؤا وظل ممدود وماء مسكوب وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وذلك الظل الممدود وروى ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي من حديث أنس والشيخان من حديث سهل بن سعد وأحمد وهناد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأحمد وهناد والترمذي من حديث أبي سعيد والجواد هو الفرس الفائق السابق الجيد والمضمر الذي قلل علفه تدريجا ليشتد جريه قال الزركشي هو بنصب الجواد وفتح الميم الثانية من المضمر ونصب الراء نعت لمفعول الراكب وضبطه الاصيلي بضم المضمر والجواد صفة للراكب فيكون على هذا بكسر الميم الثانية وقد يكون على البدل اه وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها على قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام فيخرج اليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال في الجنة شجرة لا تحمل يستظل به وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال مسيرة سبعين ألف سنة (وقال أبو امامة) الباهلي رضي الله عنه (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب) وهم سكان البادية الاجلاف (ومسائلهم) أي لجراءتهم على السؤال عن كل شيء يخطر

ببالهم من غير محاشاة ولا التزام أدب بخلاف الصحابة المستمرين لمشاهدته صلى الله عليه وسلم ما كانوا يجترؤن عليه في السؤال لاستغراقهم وكمال أدبهم ومن ذلك انه (أقبل اعرابي) من البادية (فقال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهي قال السدر فان لها شوكا فقال) صلى الله عليه وسلم (قد قال الله تعالى في سدر مخضود) أي (يخضد الله شوكه) أي يكسره (فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام مامنها لون يشبه الآخر) قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلا من غير ذكر لابي امامة اهـ قلت سياق المصنف أورده الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في البعث وروى أبو بكر بن أبي داود في البعث والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال يارسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود يعني الخصي فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر (وقال جرير بن عبد الله) البجلي رضي الله عنه (نزلنا الصفاح) اسم موضع (فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من صغره فقال ياجرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله) وهي كنية سلمان (فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي ظبيان عن جرير قال قال سلمان تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم في الدنيا قال ثم أخذ عويدا لا أكاد أن أراه بين أصبعيه قال ياجرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قال قلت يا أبا عبد الله وأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر ورواه جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه نحوه وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي ظبيان عن جرير عن سلمان قال الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر وبهذا السند قال الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ ورواه البيهقي مثل ذلك وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن نخل الجنة فقال أصولها فضة وجذوعها ذهب وسعفه حلل وحمله الرطب أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد وألين من الزبد ومما يناسب ايراده في هذا الفصل ما رواه الطبراني من حديث سمرة ان في الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة وعرض ساقها سير سبعين سنة وروى أيضا من حديث الحسن بن علي بسند ضعيف ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صبا وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وروى أبو الشيخ في العظمة والخطيب من حديث علي ان في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين أسفل منهم يا أهل الجنة ناصفونا يارب ما بلغ بهؤلاء هذه الكرامة فقال الله انهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون الليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون وقال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا أبو خالد الاحمر عن حميد عن أنس رفعه لما انتهيت الى السدرة اذا ورقها أمثال آذان الفيلة واذا نبقها أمثال القلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت فذكرت الياقوت حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن حسان عن مغيث بن سمي في قوله طوبى قال هي شجرة في الجنة ليس من أهل الجنة دار الا يظلهم غصن من أغصانها فيها من ألوان الثمر الحديث

أقبل اعرابي فقال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهي قال السدر فان لها شوكا فقال قد قال الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام مامنها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام أنطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فاتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من صغره فقال ياجرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر

حدثنا أبو أسامة عن الاعمش عن أبي صالح قال طوبى شجرة في الجنة لو أن راكبا ركب جذعة أو حقة فأطاف بها مابلغ الموضع الذي ركب فيه حتى يدركه الهرم حدثنا مروان بن معاوية عن علي بن أبي الوليد قال سئل مجاهد هل في الجنة سماع قال ان في الجنة لشجرا لها سماع لم يسمع السامعون الى مثله وفي حادي القلوب روى أحمد في مسنده مرفوعا ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما أو مائة سنة هي شجرة الخلد و يروى طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها واذا تقرر ان الراكب يسير في ظل هذه الشجرة مائة عام فيحتمل ان يكون المراد بالسير المذكور السير في ظلها حول أصلها ويدل عليه ما في مسند أحمد من بعض حديث انه صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي الذي سأله عن طوبى لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرتها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم والكرب محركة أصول السعف وروى الترمذي حديثا مرفوعا ما في الجنة شجرة الاوساقها من ذهب وفي بعض المسانيد في ذكر سدرة المنتهى يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال وروى ابن المبارك عن مجاهد قال أصل الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والورق والثمر تحت ذلك فمن أكل قائما لم يؤذه ومن أكل جالسا لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه وذلك قطوفها تذليلا

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم)

وأرائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وكان ابن الزبير يقول من عند نفسه حين يروي الحديث من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ان من لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة فان الله تعالى يقول ولباسهم فيها حرير وهو استدلال حسن وأحسن منه مارواه أبو سعيد الخدري عند ابن حبان وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو (والآيات في تفصيل ذلك كثيرة وانما تفصيله في الاخبار فقد روى أبو هريرة) رضي الله عنه (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) قال العراقي رواه مسلم دون قوله في الجنة ما لا عين رأت الخ واتفق عليه الشيخان في حديث آخر لابي هريرة قال الله تعالى أعددت لعبادي ما لا عين رأت الحديث اهـ قلت أول الحديث رواه ابن أبي شيبة وابن عساكر من حديث ابن عمر من يدخل الجنة يحيا فيها لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه الحديث وقد تقدم في صفة بناء الجنة قريبا ورواه عبد بن حميد والبيهقي في البعث من طريق أبي المدله مولى عائشة عن أبي هريرة من يدخلها ينعم فلا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ورواه الترمذي من طريق زياد الطائي عن أبي هريرة وكل ذلك تقدم في صفة بناء الجنة وروى الطبراني من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده رفعه ان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم تنسج تنسج) وفي نسخة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا (فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين) قال العراقي رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو اهـ قلت ورواه أحمد في المسند بلفظ ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثياب الجنة تخلق خلقا أم تنسج نسجا فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من جاهل سأل عالما فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال ابن السائل عن ثياب الجنة قال هاهو ذا يا رسول الله قال بل تنشق عنها ثمر الجنة ثلاث مرار وفي كتاب حادي القلوب روى ابن أبي الدنيا انه صلى الله عليه وسلم قال ما منكم

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم) قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في ذلك كثيرة وانما تفصيله في الاخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم تنسج تنسج فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين

هن أحد يدخل الجنة الا انطلق به الى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء ان شاء ابيض وان شاء احمر وان شاء اخضر وان شاء اصفر وان شاء اسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن وروى أيضا عن ابن عباس قيل له ما حلل الجنة قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فاذا أراد ولى الله كسوة انحدرت اليه من غصونها فانفلقت عن سبعين حلة ألوان بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت وتقدم فى ذكر شجرة طوبى ان ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والابهام سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر) الزمرة الجماعة والزمر الافواج المتفرقة بعضها أثر بعض وليلة البدر ليلة تمامه وكماله وهى ليلة أربع عشرة وبذلك سمى القمر بدرا فى تلك الليلة وروى البخارى من حديث سهل بن سعد ليدخلن من أمتى سبعون ألفا الجنة أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر فتبين بهذه الرواية عدد هذه الزمرة وفيه انهم يدخلون الجنة جماعة بعد جماعة وقد صرح به فى قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وذلك بحسب الفضل وتفاوت الدرجات فمن كان أفضل كان الى الجنة أسبق وأول من يدخل الجنة نبينا صلى الله عليه وسلم كما ثبت فى الصحيح آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح الحديث وتقدم وأما من يدخلها أولا بعده صلى الله عليه وسلم فأبو بكر فقد روى أبو داود فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى ثم هؤلاء الزمرة المذكورون فى حديث سهل بن سعد جماعة جماعة وثبت أيضا أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الحمادون وأيضا عرض على أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير عفيف ذو عيال فالاولية نسبية كما لا يخفى وقوله على صورة القمر أى انهم فى اشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه وقد ورد فى هذا المعنى ما يقتضى ما هو أبلغ من ذلك فروى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس النجوم قاله العراقى فى شرح التقريب وقد يقال انهم يكونون على صورة القمر عند دخولهم الجنة ثم يزداد اشراق أنوارهم فيها أو أن المذكور هنا اشراق وجوههم من غير حلى والمذكور ثم اشراق حليهم (لا يبصقون فيها ولا يمتخطون) فيها (ولا يتغوطون) فيها وهى صفة أهل الجنة مطلقا ولا يختص ذلك بالزمرة الاولى (آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة) وفى رواية بحذف من وهو يحتمل ان لكل واحد منهم النوعين ويحتمل ان لبعضهم الذهب ولبعضهم الفضة قال أبو العباس القرطبى أى حاجة فى الجنة للامشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ ويجاب عن ذلك بان نعيم أهل الجنة ليس عن دفع ما اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم من نتن وانما هى لذات متوالية ونعم متتابعة وحكمة ذلك ان الله تعالى نعمهم فى الجنة بما كانوا يتنعمون به فى الدنيا وزاد على ذلك مالا يعلمه الا الله اه (ورشحهم) بفتح فسكون أى ان العرق الذى يترشح منهم (المسك) أى رائحته كرائحة المسك وهو قائم مقام التغوط والبول من غيرهم كما قال فى حديث آخر لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم ولما كانت أغذية الجنة فى غاية اللطافة والاعتدال لا عجم لها ولا تفل لم تكن لها فضلة تستقذر بل تستطاب وتستلذ فعبر عنها بالمسك الذى هو أطيب طيب الدنيا (لكل واحد منهم زوجتان) هكذا هو فى هذه الرواية فى جميع الطرق بالتاء وهى لغة منكرة فى الاحاديث وكلام العرب والاشهر حذفها وبه جاء القرآن العزيز وأكثر الاحاديث وفى بعض الروايات زيادة اثنتان وهو لتأكيد التكثير لا للتحديد لخبر أدنى أهل الجنة الذى له ثنتان وسبعون زوجة وبهذا الحديث استدل راويه أبو هريرة رضى الله عنه على ان النساء فى الجنة أكثر من الرجال وفيه خلاف بين العلماء ولا يعارضه الحديث الآخر انى رأيتكن أكثر أهل النار فانهن أكثر ساكنى الجهتين معا لكثرتهن (يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن) وفى رواية ساقهما يعنى من

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن

شدة صفاء لحم الساقين كما يرى السلك في جوف الدرة الصافية (لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد) بالاضافة وترك التنوين أي على قلب شخص واحد يريد انهم مطهرون عن مذموم الاخلاق مكملون بمحاسنهم (يسبحون الله بكرة وعشية) أي بقدرهما فأوقات الجنة من الايام والساعات تقديريات فان ذلك انما يجيء من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر وليس في الجنة شئ من ذلك قال أبو العباس القرطبي هذا التسبيح ليس عن تكليف والزام لان الجنة ليست محل تكليف وانما هي محل جزاء وانما هو تيسير والهام كما قال في الرواية الاخرى يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس ووجه الشبه ان تنفس الانسان لابد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله وآحاد التنفسات مكتسبة للانسان وجملتها ضرورية في حقه اذ يتمكن من جمعها فكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخالته فألسنتهم ملازمة ذكره ورهينة شكره فان من أحب شيأ أكثر من ذكره اهـ وهذا الحديث رواه مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة بزيادة ومجامرهم من ألوة بعد قوله الذهب والفضة ورواه البخاري والترمذي من طريق ابن المبارك عن معمر عن همام واتفق عليه الشيخان من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة وزاد بعد قوله ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة وليس فيه قوله ولكل واحد منهم زوجتان وانما فيه وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء ورواه البخاري أيضا من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة وفيه والذين على أثرهم كاشد كوكب اضاءة ورواه مسلم أيضا من طريق أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وفيه والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ومن طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ أول زمرة تلج الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل الحديث وذكر عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة على خلق رجل أي بضم الخاء واللام وعن شيخه أبي كريب على خلق رجل أي بفتح الخاء وسكون اللام وفي صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال اما تفاخروا واما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تلج الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على اضوأ كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب وفي رواية له اختصم الرجال والنساء أيهم في الجنة أكثر فسئل أبو هريرة فذكره (وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة) روى ذلك من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري أما حديث ابن مسعود فرواه الطبراني ولفظه أول زمرة يدخلون الجنة كان وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وأبو الشيخ في العظمة ولفظه أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها (وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى) جنات عدن يدخلونها (يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا نعرفه الامن حديث رشدين بن سعد اهـ قلت وكذلك رواه الحاكم ولفظهما منها بدل فيها ورشدين فيه ضعف ولحديث أبي سعيد سياق أتم من هذا سيأتي قريبا للمصنف (وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة) واحدة الخيام في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام هي (درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون رواه البخاري في الصحيح) من حديث أبي بكر بن أبي موسى

لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح

الاشعرى عن أبيه مرفوعا ورواه كذلك ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذى وابن مردويه والبيهقى فى البعث وفى آخره عند بعضهم يطوف عليهم المؤمن (قال ابن عباس) رضى الله عنه (الخيمة) المذكورة فى الآية (درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن ابى الدنيا فى صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى فى البعث وفى رواية بعضهم لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ وروى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا فى صفة الجنة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من الله تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال الخيام بيوت اللؤلؤ وروى الاولان عن الحسن قال الخيام الدر المجوف ومن طريق أبى الاحوص قال قال عمر أتدرون ما حور مقصورات فى الخيام در مجوف وروى ابن أبى حاتم من حديث ابن مسعود الخيام در مجوف ورواه ابن أبى شيبة من حديث أبى مجلز مثله وروى عبد الرزاق وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا من در وروى ابن أبى شيبة وهناد عن عبيد بن عمير مرسلا ان أدنى أهل الجنة منزلة لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها وروى ابن أبى شيبة عن أبى هريرة قال دار المؤمن فى الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتا فى وسطها شجرة تنبت الحلل فيأتيها فيأخذ باصبعه سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان وقيل الخيام الحجال رواه ابن أبى شيبة وابن جرير عن محمد بن كعب القرظى (وقال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراش كما بين السماء والارض) قال العراقى رواه الترمذى بلفظ ارتفاعها لكما بين السماء والارض خمسمائة سنة وقال غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد اه قلت وكذلك رواه أحمد والنسائى وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن حبان وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى البعث وقد روى فى الآية عن أبى امامة وابن عباس والحسن البصرى اما أبو امامة فروى عنه مرفوعا وموقوفا فالمرفوع سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فراش من اعلاها لهوى الى قرارها مائة خريف والموقوف لفظه لو ان أعلاها سقط ما بلغ أسفلها خريفا رواه هكذا ابن أبى شيبة وهناد وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة واما ابن عباس فروى عنه مرفوعا لو طرح من أعلاها شئ ما بلغ قرارها مائة خريف رواه ابن مردويه وأما الحسن فقال ارتفاع فراش أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة هكذا رواه هناد فى الزهد وقد بقى على المصنف فى هذا الفصل بقية ذكر حلية أهل الجنة وسررهم وارائكهم وفرشهم فاعلم ان أهل الجنة يحلون كما صرح به فى القرآن يحلون فيها من أساور من ذهب وروى ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة عن كعب قال ان الله ملكا منذ خلق يصوغ حلى أهل الجنة الى أن تقوم الساعة لو ان قلبا من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة وروى الترمذى من حديث سعد لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم وفى خبر آخر انه صلى الله عليه وسلم قال فى صفة أهل الجنة مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مكحلون ولما ذكر سبحانه الفرش المرفوعة ذكر ان السرر مرفوعة أيضا ولا يخفى ان ارتفاع السرر أكثر من ارتفاع الفرش قال ابن عباس فى قوله تعالى فيها سرر مرفوعة ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة وعن الكلبى قال ان طول السرير فى السماء مائة عام وان السرر مرتفعة مالم يجئ أهلها فاذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها وقال تعالى متكئين على سرر مصفوفة اعلاما بتقاربها وحسن ترتيبها وعدم تدابرها وكمال تقابلها وقال تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين والموضونة المرتبة المنضودة التى هى على نسج واحد

قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض

وإذا تأملت ارتفاع الفرش وارتفاع الاسرة ظهر لك من ذلك ان ارتفاع القصور والغرف التي تكون فيها هذه الاسرة لا يكاد يحاط به وما الظن بارتفاع الغرف التي بعضها فوق بعض قال الله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واما الارائك فهي السرر التي تكون في الحجال والحجال هي البشاخين وواحدة الارائك اريكة وقال الجوهري في صحاحه الاريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ومقتضى كلام الجوهري هذا ان الاريكة مجموعة من ثلاثة أشياء وهي السرير والفرش والقبة أو البيت وبه صرح غيره وقد جاء ذكر الارائك في القرآن متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان قال سعيد بن جبير الرفرف رياض الجنة والعبقري عتاق الزرابي وجمع الرفرف رفارف وقال الحسن ومقاتل هي البسط وقال قتادة والضحاك هي مجالس خضر فوق الفرش وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابن عيينة هي الزرابي والزرابي هي البسط العريضة ذات الالوان تشبيها لها بزرابي النبات وهي ألوانه قال بعضهم الزرابي البسط المخملة التي لها أهداب في اثناء قيامها ولحمتها وقيل ثوب عريض عند العرب يسمى رفرفا وأما العبقري فقال ابن عباس هي البسط الطنافس وقريب منه قول الكلبي انها البسط المخملة وقال قتادة هي عتاق الزرابي وقال مجاهد هي من الديباج الغليظ وقال تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة

(صفة طعام أهل الجنة)

اعلم ان (بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه) الحسان (والطيور والسمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا) قال البيضاوي صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأن لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس مختلفة أخرفاز يح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات فابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاول رزقا وصاحب الحال الثاني ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبهة بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة (من قبل) هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا أي من جنسه لتميل النفس اليه أول ماترى فان الثمار مائلة الى المألوف متفرد عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك أو في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى عن الحسن ان أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول أظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة (وأتوا به متشابها) اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى مارزقوا في الدارين وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرة الدنيا والآخرة قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق المتشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات أهل الجنة في مقابلة مارزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد

(صفة طعام أهل الجنة) بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها

(وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة) ومشاربهم متنوعة منها ما نبه عليه قوله تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وقوله تعالى يطاف عليهم بكأس من معين الآية وقوله تعالى وكأسا دهاقا أي متتابعة وقيل صافية وقيل مترعة وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب الآية فهم يأكلون مما يشتهون ويشربون مما يشتهون ولا يبولون ولا يبصقون ولا يتمخطون كما ثبت في صحيح مسلم يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس وفي رواية قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد (وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة الى أن قال فمن أول اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت) قال العراقي رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره اهـ وقال ابن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حميد عن أنس ان عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فسأله ما أول ما يأكل أهل الجنة فقال أخبرني جبريل آنفا ان أول ما يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت اهـ والسلسبيل احدى عيون الجنة الاربعة قال الضحاك هي عين الخمرة (وعن زيد بن الارقم) رضي الله عنه قال (جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم ألست تزعم ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان أقر لي بها خصمته) أي غلبته بالحجة (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة) أي الى البراز (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد طهر) كذا في النسخ والرواية قد ضمر قال العراقي رواه النسائي في الكبرى باسناد صحيح اهـ قلت ورواه كذلك أحمد ولفظه ان رجلا من أهل الكتاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم ان أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذي نفس محمد بيده فساق الحديث وفيه بعد قوله يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال يكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه ورواه كذلك ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا أكلوا وشربوا ما شاء الله من الطعام والشراب دعوا الشراب الطهور فيشربون فيطهرهم فيكون ما أكلوا وشربوا جشاء وريح مسك يفيض من جلودهم ويضمر لذلك بطونهم وروى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن ابراهيم التيمي في هذه الآية قال عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابراهيم التيمي قال بلغني انه يقسم للرجل من أهل الجنة شهوة مائة رجل من أهل الدنيا فاذا أكل سقي شرابا طهورا يخرج من جلده رشحا كرشح المسك ثم تعود شهوته وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق رجاء بن حيوة عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال بينا أنا أسير في أرض الجزيرة اذ مررت برهبان وقسيسين وأساقفة فسلمت فردوا السلام فقلت أين تريدون قالوا نريد راهبا في هذا الدير نأتيه في كل عام فيخبرنا بما يكون في ذلك العام حتى لمثله من قابل فقلت لآتين هذا الراهب فلانظر ما عنده وكنت معنيا بالكتب فأتيته على باب ديره فسلمت فرد السلام ثم قال فمن أنت فقلت من المسلمين قال امن أمة أحمد فقلت نعم قال من علمائهم أنت أم من جهالهم قلت ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم قال فانكم تزعمون انكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا تبولون فيها ولا تتغوطون قلت نحن نقول ذلك وهو كذلك قال فان له مثلا في الدنيا فاخبرني ما هو قلت مثله كمثل الجنين في بطن امه انه يأتيه رزق الله في بطنها ولا يبول ولا يتغوط قال فتربد وجهه ثم قال لي اما أخبرتني انك لست من علمائهم قلت ما كذبتك قال فانكم تزعمون انكم تدخلون الجنة

فتأكلون

وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة الى أن قال فمن أول اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم ألست تزعم ان أهل الجنة يأكلون فيها وقال لاصحابه ان أقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر

وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة طيرا أمثال البخاتى قال أبو بكر رضى الله عنه انها الناعمة يا رسول الله قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر وقال عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الاخرى

فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا ينقص ذلك منها شيأ قلت نعم نقول ذلك وهو كذلك قال فان له مثلا فى الدنيا فاخبرنى ماهو قلت مثله فى الدنيا كمثل الحكمة لو تعلم منها خلق الله أجمعون لم ينقص ذلك منها شيأ فتربد وجهه ثم قال اما أخبرتنى انك لست من علمائهم قلت ما كذبتك ما أنا من علمائهم ولا أنا من جهالهم (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا) قال العراقى رواه البزار بسند فيه ضعف اهـ قلت ورواه كذلك ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى البعث وفيه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وروى ابن أبى الدنيا عن ميمونة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليشتهى الطير فى الجنة فيجىء مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن فى قوله ولحم طير مما يشتهون قال لا يشتهى منها شيأ الا صار بين يديه فيصيب منه حاجته ثم يطير فيذهب وروى ابن أبى شيبة وهناد عن الحسن مرسلا ان فى الجنة طيرا كامثال البخت تاتى الرجل فيصيب منها ثم تذهب كان لم ينقص منها شئ وروى ابن مردويه من حديث ابن مسعود ان فى الجنة طيرا له سبعون ألف ريشة فاذا وضع الخوان قدام ولى الله جاء الطير فسقط عليه فانتفض فخرج من كل ريشة لون ألذ من الشهد وألين من الزبد وأحلى من العسل ثم يطير ورواه هناد من حديث أبى سعيد الخدرى مثله (وقال حذيفة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة طيرا امثال البخاتى) جمع بختى وهو الجمل العظيم (قال أبو بكر رضى الله عنه انها الناعمة يا رسول الله قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر) قال العراقى غريب من حديث حذيفة ولاحمد من حديث أنس باسناد صحيح ان طير الجنة كامثال البخت ترعى فى الشجر قال أبو بكر يا رسول الله ان هذه الطير ناعمة قال آكلها أنعم منها قالها ثلاثا وانى أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لابى بكر وقال حسن اهـ قلت سياق المصنف عند البيهقى فى كتاب البعث وعزاه صاحب حادى القلوب الى الحاكم ورواه ابن أبى حاتم فى التفسير موقوفا على قتادة وحديث أنس عند الترمذى تقدم ذكره عند بحث الحوض وروى ابن جرير عن أبى امامة قال ان الرجل من أهل الجنة يشتهى الطائر وهو يطير فيقع منقلبا نضيجا فى كفه فيأكل منه ما تشتهى نفسه ثم يطير ويشتهى الشراب فيقع الابريق فى يده فيشرب ما يريد ثم يرجع الى مكانه (وقال عبد الله بن عمرو) رضى الله عنهما (فى قوله تعالى) يطاف عليهم بصحاف من ذهب (قال يطاف) عليهم (بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الاخرى) رواه الحاكم فى المستدرك وصححه وروى ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة والطبرانى فى الاوسط بسند رجاله ثقات عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف بيد كل واحد صحفتان من ذهب والاخرى من فضة فى كل واحدة لون ليس فى الاخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل الذى يجد لاولها ثم يكون ذلك ريح المسك الاذفر ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون اخوانا على سرر متقابلين وروى ابن أبى شيبة عن كعب قال ان أدنى أهل الجنة منزلة ان له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له ثلاثمائة خادم يغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة من ذهب فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه يقول يا رب لو أذنت لى لاطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى وان له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض وروى عبد بن حميد عن عكرمة ان أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل دخل الجنة لا يدخل بعده أحد يفسح له فى بصره مسيرة عام فى قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ومافيها موضع شبر الا معمور يغدى عليه كل يوم ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة الا وفيها لون ليس فى الاخرى مثله شهوته فى آخرها كشهوته فى أولها لو نزل به جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما

أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيأ (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه فى قوله تعالى (ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين و يشرب بها المقربون صرفا) رواه ابن أبى شيبة وابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ولفظه عندهم عين فى الجنة تمزج لاصحاب اليمين و يشرب بها المقربون صرفا وقد روى نحوه عن ابن عباس قال تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين و يمزج لاصحاب اليمين رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى وروى البيهقى عن عطاء قال التسنيم اسم العين التى يمزج بها الخمر وروى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد عن مالك بن الحارث قال تسنيم عين فى الجنة يشرب بها المقربون صرفا و يمزج لسائر أهل الجنة وروى عن قتادة مثله رواه عبد الرزاق وروى ابن المنذر عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال تسنيم عين فى عدن يشرب بها المقربون فى عدن صرفا و يجرى تحتهم أسفل منهم الى أصحاب اليمين فتمزج أشربتهم كلها الماء والخمر واللبن والعسل يطيب بها أشربتهم وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبى قال تسنيم عين تنصب عليهم من فوق وهو شراب المقربين (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (فى قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها) رواه ابن جرير وابن المنذر والبيهقى ولفظهم ولو ان رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه لم يبق ذو روح الا وجد بحها وقال مجاهد ختامه مسك طينه مسك رواه البيهقى فى البعث وقال سعيد بن جبير آخر طعمه مسك رواه ابن أبى شيبة وقال علقمة خلطه مسك رواه عبد بن حميد وقال ابن مسعود طعمه وريحه مسك رواه ابن المنذر وروى عنه أيضا أنه قال ليس بخاتم يختم به ولكن خلطه مسك

(صفة الحور العين والولدان)

الحور بالضم جمع الاحور والحوراء والحور محركة ظهور قليل من البياض فى العين من بين السواد وقد احورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين والعين بالكسر صفة للحور جمع العيناء وهى الواسعة مشق العين وفى المصباح حورت العين حورا من باب تعب اشتد بياض بياضها وسواد سوادها و يقال الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء قالوا وليس فى الانسان حور وانما قيل ذلك فى النساء على التشبيه وفى مختصر العينى ولا يقال للمرأة حوراء الا للبيضاء مع حورها قال الله تعالى وزوجناهم بحور عين قال قتادة بيض عين رواه ابن جرير وقيل الحوراء هى الشابة الجميلة الفائقة فى حسنها وقال مجاهد الحوراء هى التى يحار فيها الطرف بادئا رواه الفريابى وروى عن زيد بن أسلم مثله وروى الطستى فى فوائده ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن قوله حور عين قال الحوراء البيضاء المنعمة قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت الاعشى يقول

وحور كامثال الدمى ومناصف * وماء وريحان وراح يصفق

وقال عطاء حور عين سود الحدقة عظيمة العين رواه البيهقى فى البعث (قد تكرر فى القرآن أوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه) واختلف فى خلقتهن فقال زيد بن أسلم ان الله لم يخلق الحور العين من تراب انما خلقهن من مسك وكافور وزعفران رواه ابن المبارك ومنهم من قال انهن خلقن من الزعفران وحده ورواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث أبى امامة وابن مردويه والخطيب من حديث أنس وروى ابن جرير عن ليث بن أبى سليم قال بلغنى ان الحور العين خلقن من الزعفران رواه ابن جرير عن مجاهد وقيل انهن خلقن من تسبيح الملائكة رواه ابن مردويه من حديث عائشة (روى أنس) رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها يعنى الخمار) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعا الغدوة وفيه أو موضع قدمه يعنى سوطه فى الجنة وروى البخارى من حديث أبى هريرة بلفظ لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ولقاب قوس فى الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشرب به المقربون صرفا وقال أبو الدرداء رضى الله عنه فى قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها

(صفة الحور العين والولدان)

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها يعنى الخمار

والشطر الاول من الحديث رواه الطيالسي وعبد الله بن أحمد والطبراني من حديث ابن عمرو وفي رواية لاحمد والشيخين وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ورواه هكذا الطيالسي والترمذي من حديث ابن عباس ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سهل بن سعد ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأبو يعلى والضياء من حديث الزبير وأحمد والطبراني من حديث معاوية بن خديج وروى أحمد والنسائي من حديث أبي أيوب بلفظ خير مما طلعت عليه الشمس وغربت وروى ابن قانع من حديث سليمان بن وهب الخولاني غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وروى أحمد من حديث أبي هريرة لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والارض وروى ابن أبي شيبة وهناد وابن ماجه من حديث أبي سعيد لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث سهل موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وروى الترمذي من حديث سعد لوان ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) قال العراقي رواه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد باسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا دون ذكر أبي سعيد وللترمذي من حديث ابن مسعود ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم اهـ قلت سياق المصنف رواه أيضا ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وفي رواية لاحمد وأبي يعلى وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد رفعه ان الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون حلة فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وتقدم للمصنف عند قوله وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة ذكر حديث أبي سعيد وابن مسعود (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ) كحيدر والدال مهملة وآخره خاء معجمة اسم نهر في الجنة (عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام) قال العراقي لم أجده هكذا بتمامه وللترمذي من حديث علي ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولابي الشيخ في العظمة من حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث انتهى قلت بل ساقه بتمامه ابن مردويه والبيهقي في البعث وفيه فأتيت على نهر يسمى البيدخ وفيه فنوديت السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء وفي لفظ ونحن المقيمات بدل الخالدات والباقي سواء وأما حديث علي عند الترمذي فقد رواه أيضا هناد في الزهد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وأما حديث ابن أبي أوفى فقد رواه أيضا أبو نعيم في صفة الجنة وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عباس قال ان في الجنة نهرا يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري فاذا أعجب رجل منهم بجارية مس معصمها فتبعته وتنبت مكانها

وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام

أخرى وروى ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله اخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شعر الحور بمنزلة جناح النسر وفي لفظ لابن مردويه شفر الجفون بمنزلة جناح النسر قلت يارسول الله اخبرني عن قول الله تعالى كأنهم لؤلؤ مكنون قال صفاؤهم كصفاء الدر الذي في الاصداف الذي لم تمسه الايدي قلت فاخبرني عن قول الله عز وجل فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه قلت فاخبرني عن قول الله عز وجل عربا أترابا قال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد قلت يارسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت يارسول الله وبم ذلك قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الالوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا الا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا قلت يارسول الله المرأة تتزوج الزوجين والثلاثة والاربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم قال انها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول يارب ان هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة اهـ وقد وصفهن الله تعالى في كتابه العزيز باوصاف كثيرة منها قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف أي قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن الى غيرهم وقيل قصرن أطراف أزواجهن عليهن بحسنهن فلا يمد عين في أطراف أزواجهن فضلة لاستحسان لغيرهن ومنها قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان أي لم يمسهن وقيل لم يقتضهن أي لم يأخذ قضتهن وهي البكارة واختلف في المراد بهن فقيل الحور اللواتي نشأن في الجنة وقيل نساء الدنيا أيضا من أهل الجنة وان كن في الدنيا ثيبات لان الله تعالى انشأهن في الجنة انشاء آخر كما قال تعالى انا أنشأناهن انشاء الآية وقيل هن اللواتي متن وهن أبكار وبالجملة فلا شك في أن نساء الجنة من الآدميات والحور في أكمل الصور جمالا وحسنا وريحا طيبا وصفاء وضياء لما تقدم من الاخبار وروى أبو يعلى في مسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم حديثا فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال في حق الداخلين الى الجنة فيدخل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من انشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الاولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون حلة من سندس واستبرق وانه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم الى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها مرة الا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها فبينما هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل الا أنه لا مني ولا منية الا أن يكون لك أزواج غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شئ أحسن منك وما في الجنة شئ أحب الى منك وروى عبد بن حميد عن مجاهد في قوله حور مقصورات في الخيام قال لا يخرجن من بيوتهن وقال الحسن أي محبوسات ليس بطوافات في الطرق رواه ابن جرير وقال مجاهد أيضا مقصورات قلوبهن وأبصارهن وأنفسهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ لا يردن غيرهن رواه ابن أبي شيبة وهناد وروى ابن مردويه عن أنس قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثني جبريل قال يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة لو ان بعض ثيابها بدا الغلق ضوءه ضوء الشمس والقمر ولو ان طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها فبينما هو متكئ عليها مع أريكته اذ أشرف عليه نور من فوقه فيظن ان الله تعالى قد أشرف على خلقه فاذا حوراء تناديه ياولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول ومن أنت ياهذه فيقول أنا من اللواتي قال الله ولدينا مزيد فيتحول اليها فاذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الاولى فبينما هو متكئ معها على أريكته اذ أشرف عليه نور من فوقه فاذا حوراء أخرى تناديه ياولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول ومن أنت ياهذه فتقول أنا من اللواتي قال الله فلا تعلم نفس

ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فلا يزال يتحول من زوجة الى زوجة وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم من حديث أنس لوان حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عمر وقال الشفر المرأة أطول من جناح النسر وعن ابن عباس قال لوان حوراء أخرجت كفها بين السماء والارض لافتتن الخلائق بحسنها ولو أخرجت معصمها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لاضوء لها ولو أخرجت وجهها لاضاء حسنها ما بين السماء والارض وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد قال انه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (في قوله تعالى وأزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد) رواه وكيع وعبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وروى نحوه عن عطاء قال لا يحضن ولا يمنين ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن ولا يبزقن رواه وكيع وهناد وروى الحاكم وصححه وابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري في قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والنخامة والبزاق وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس قال مطهرة من القذر والاذى وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومأثم هذا مجموع ما قيل في الآية وحاصل ذلك انهن طاهرات مطهرات الابدان من كل ما يستقذر كالحيض والنفاس والمذي والمني والبصاق والمخاط والصنان والعمش والبكاء وطول الاظفار وشعث الابشار ونحو ذلك ومطهرات الاخلاق عن كل سوء وطاهرات في جميع عوالمهن ومعالمهن من كل اثم وقبيح (وقال الاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الفقيه رحمه الله تعالى في قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم (في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاص الابكار) هذا القول قد نقل عن ابن عباس كذا رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق وقد روى عن ابن مسعود بلفظ العذارى بدل الابكار رواه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد وابن جرير وابن المنذر وروى عبد بن حميد عن عكرمة وقتادة مثله (وقال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم) قال العراقي رواه الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع فقيل أو تطيقون ذلك قال يعطى قوة مائة اهـ قلت سياق المصنف اورده ابن السكن وابن منده وأبو نعيم كلهم في المعرفة والبيهقي في البعث والخطيب في المؤتلف والمختلف وابن عساكر في التاريخ كلهم من طريق سعيد بن سنان عن ربيعة بن يزيد قال حدثني خارجة بن حزء العذري سمعت رجلا يقول يوم تبوك يارسول الله أيباضع أهل الجنة الحديث وفي رواية الخطيب عن ربيعة الجرشي حدثني خارجة سمعت رجلا بتبوك قال يارسول الله فذكره وفي الاسناد ضعف وأما حديث أنس فرواه أيضا الطيالسي والضياء ولفظه قوة مائة من النساء وقال الترمذي صحيح غريب وروى أبو يعلى والطبراني وابن عدي في الكامل والبيهقي في البعث عن أبي امامة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتناكح أهل الجنة قال دحاما دحاما لا مني ولا منية وروى البزار والطبراني والخطيب عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله هل نصل الى نسائنا في الجنة فقال ان الرجل ليصل في اليوم الى مائة عذراء وروى أبو يعلى والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال قيل يارسول الله أنفضي الى نسائنا في الجنة كما نفضي اليهن في الدنيا قال والذي نفسي بيده ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناكح أهل الجنة فقال نعم بفرج لا يمل وذكر لا ينثني وشهوة لا تنقطع دحاما دحاما وروى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا والبزار عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يمس أهل الجنة أزواجهم قال نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع وروى الحارث بن أبي اسامة وابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن البضع في الجنة قال نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وان الرجل ليتكئ فيها المتكأ مقدار أربعين

وقال مجاهد في قوله تعالى وأزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبصاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاص الابكار وقال رجل يارسول الله أيباضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم

سنة لا يتحوّل عنه ولا عمله يأتيه فيه ما اشتهته نفسه ولذت عينه وروى الطبراني عن زيد بن أرقم رفعه ان البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم الى أقدامهم مسكا وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد والاصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء قال ليس في الجنة مني ولا منية انما يدحمونهن دحما وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس قال أهل الجنة ينكحون النساء ولا يلدن ليس فيها مني ولا منية ورورياه عن عطاء الخراساني مثله وروى وكيع وعبد الرزاق وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابراهيم النخعي قال في الجنة جماع ما شئت ولا ولد قال فيلتفت فينظر النظرة فتنشأ له الشهوة ثم ينظر النظرة فتنشأ له شهوة أخرى وروى الضياء المقدسي في صفة الجنة عن أبي هريرة قال أنطأ في الجنة يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا وروى البزار والطبراني في الصغير وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبي سعيد الخدري أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا وروى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر وقال ان المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء وروى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلا وطول المرأة ثلاثون ميلا ومقعدها جريب وان شهوته لتجري في جسدها سبعين عاما تجد اللذة (وقال عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (ان أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه) وهذا موقوف وحكمه حكم المرفوع وقد روي مرفوعا بلفظ ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وان أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين رواه هكذا أحمد وأبو الشيخ في العظمة والحاكم ورواه الترمذي والطبراني بلفظ ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وروى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال أخس أهل الجنة منزلا له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب لو نزل به أهل الارض جميعهم لأوسعهم لا يستعين عليهم بشيء من غيره وذلك في قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وروى أحمد من حديث أبي هريرة ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له لثلاثمائة خادم الحديث (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليتزوّج) كذا في النسخ والرواية ليزوّج (خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيبا يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا) قال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب طبقات المحدثين وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى الا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقه لهن واسناده ضعيف وتقدم قبله بحديث اهـ قلت سياق المصنف أورده البيهقي في كتاب البعث وأما لفظ أبي الشيخ في كتاب العظمة يزوّج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلها نحن الخالدات فلا نبيد الحديث وفي آخره طوبى لمن كان لنا وكنا له ورواه هكذا أبو نعيم في صفة الجنة وهذا هو الذي أشار اليه العراقي انه تقدم قبله بحديث ورواه أبو الشيخ في العظمة أيضا عن عبد الرحمن بن سابط قال ان الرجل من أهل الجنة يتزوّج خمسمائة حوراء وأربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب ما منهن واحدة الا يعانقها عمر الدنيا كلها لا يا يجم واحد منهما عن صاحبه الحديث (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا) وفي لفظ لسوقا يذكر ويؤنث والتأنيث أفصح والمراد به هنا مجتمع فيه أهل الجنة وقد حفته الملائكة بما لا يخطر بقلب بشر يأخذون ما يشتهون وهذا نوع من الاستلذاذ كما قال (ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع) كذا في النسخ والرواية لمجتمعا (للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له) قال العراقي رواه الترمذي فرقه في موضعين من حديث علي وقد تقدم قبل هذا بحديثين اهـ قلت الحديث الاول الى قوله دخل فيها رواه هناد والترمذي وقال غريب وعبد الله بن أحمد في

وقال عبد الله بن عمر أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له

زوائد الزهد والحديث الثاني كذلك رواه المذكورون هكذا مفرقا كل منهما على حدة ولما رأى المصنف
سندهما واحدا ذكرهما في سياق واحد قال ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن اسحق عن
النعمان بن سعد عن علي فذكر الحديثين معا في متن واحد وقد ضعفه المنذري لان فيه عبد الرحمن بن اسحق
قال الذهبي ضعفوه وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وندن عليه الحافظ ابن حجر ثم قال وفي القلب منه شئ
وتبعه السيوطي ومحصول كلامه ان له شواهد قلت ومن جملة شواهده ما قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان
حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس رفعه ان لاهل الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك فاذا
خرجوا اليها هبت ريح قال حماد أحسبه قال شمال فتملأ وجوههم وثيابهم وبيوتهم مسكا ويزدادون حسنا وجمالا
قال فيأتون أهليهم فيقولون لهن لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ويقلن لهم وأنتم قد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا
وأراد بالصورة في الحديث الاول الشكل والهيئة أي تتغير أوصافه بأوصاف شبيهة بتلك الصورة فالدخول مجاز
عن ذلك او أراد به التزين بالحلي والحلل وعليهما فالمتغير الصفة لا الذات ذكره الطيبي ونوزع بما لا يجدي وذكر
الشيخ الاكبر قدس سره ما نصه حدثني أوحد الدين الكرماني قال كنت أخدم شيخا وأنا شاب فمرض بالبطن
وكان في محارة فلما وصلنا تكريت قلت يا سيدي اتركني أطلب لك دواء من صاحب المارستان فلما رأى احتراقي
قال رح اليه فرحت له فاذا هو قاعد في خيمة وتور جال قائمون بين يديه ولا يعرفني فرآني واقفا بين الناس فقام الي
وأخذ بيدي وأكرمني وأعطاني الدواء وخرج معي في خدمتي فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة
أمير المارستان فقال يا ولدي اني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي فأذنت لك ثم خفت أن يخجلك
الامير بعدم اقباله عليك فتجردت عن هيكلي ودخلت في هيكل ذلك الامير وقعدت في محله فلما جئت أكرمتك
وفعلت معك ما رأيت ثم عدت الى هيكلي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء (وقال أنس) رضي الله عنه (قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا) وفي نسخة خبئن وفي أخرى خلقن
وفي أخرى خلقنا (لازواج كرام) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وفيه الحسن بن داود المنكدري قال
البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به اهـ قلت ورواه أيضا من هذا الطريق سمويه في
فوائده والحسن بن داود بن محمد بن المنكدر أبو محمد المدني روى عن عبد الرزاق والمعتمر روى له النسائي وابن
ماجه وقد تكلم في سماعه عن المعتمر مات سنة سبع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة بن سوار عن
ابن أبي ذئب عمن سمع أنسا يقول ان الحور العين في الجنة يغنين يقلن نحن الخيرات الحسان خبئنا لازواج كرام
(وقال يحيى بن كثير) هكذا في سائر النسخ والمسمى بهذا الاسم ثلاثة يحيى بن كثير بن درهم العنبري مولاهم
البصري أبو غسان ثقة روى له الجماعة مات سنة ست ومائتين ويحيى بن كثير الكاهلي الكوفي لين الحديث روى
له البخاري في جزء القراءة وأبو داود ويحيى بن كثير أبو النضر صاحب البصري ضعيف روى له ابن ماجه ثم رأيت
في المصنف لابي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير (في قوله تعالى في
روضة يحبرون) قال الحبر (السماع في الجنة) ويحيى بن أبي كثير الطائي روى له الجماعة وأصل الحبرة السرور
والبهجة لظهور أثره على صاحبه وعزاه القشيري في الرسالة الى مجاهد ولفظه السماع من الحور العين بأصوات
شهية نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا وروى ابن أبي حاتم نحو ذلك في تفسير قوله تعالى
في شغل فاكهون أي ضرب الاوتار وعزاه لابن عباس وقال هو خطأ في السمع والصواب افتضاض الابكار
(وقال أبو أمامة الباهلي) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس
عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان
ولكن بتحميد الله) وفي رواية بتمجيد الله (وتقديسه) قال العراقي رواه الطبراني باسناد حسن اهـ قلت
ورواه كذلك أبو نصر السجزي في الابانة وابن عساكر في التاريخ اعلم ان في الاحاديث الواردة ما يدل على ان
سماع أهل الجنة يكون تارة من الحور وتارة من أصوات الانهار وتارة من أصوات الاشجار وتارة من اسرافيل

وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه

وتارة من داود عليهما السلام وتارة من ملائكة آخرين وروى البيهقي في البعث عن أبي هريرة قال ان في الجنة نهرا طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون ان في الجنة لذة مثلها قلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء قال ان شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب وروى ابن أبي شيبة عن مروان بن معاوية عن علي بن أبي الوليد قال سئل مجاهد هل في الجنة سماع قال ان في الجنة لشجرا لها سماع لم يسمع السامعون الى مثله وروى ابن أبي الدنيا عن الاوزاعي قال بلغني انه ليس في خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث فيقول الله عز وجل وعزتي لو علم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري وروى أيضا عن مالك بن دينار قال اذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان وروى أيضا عن شهر بن حوشب قال ان الله جل ثناؤه يقول للملائكة ان عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي فاسمعوا عبادي فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثلها قط والله الموفق

(بيان جملة مفرقة من أوصاف أهل الجنة)

(وردت بها الاخبار روى اسامة بن زيد) بن شرحبيل رضي الله عنهما (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ألا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها) الخطر محركة القدر (هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد) بتشديد الطاء أي جار (وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة) بفتح فسكون السرور (ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه) أخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر الزبيدي أخبرنا محمد بن أحمد ابن سعيد المكي أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ قال قرئ على أم عبد الله بنت أبي أحمد الكناني وأنا أسمع عن أحمد بن أبي بكر المقدسي قال أخبرنا سليمان بن حمزة أخبرنا عبد الله بن عمر البغدادي أخبرنا أبو القاسم بن البناء أخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبو بكر الوراق قال حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى قال حدثني كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها فذكره وفيه بعد قوله مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله هذا حديث رجاله موثقون قال العراقي رواه ابن ماجه وابن حبان اه قلت رويناه من طريق العباس بن عثمان عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة والبزار وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث (وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك) قال العراقي رواه الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظه وفيه المسعودي مختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مرسلا قال الترمذي هذا أصح وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا تصح له صحبة اه قلت حديث بريدة رواه الطيالسي وأحمد والترمذي والضياء من طريق المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ولفظه ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت الا ركبت ورواه الترمذي من طريق الثوري عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا وقال هذا أصح ورواه عبد بن حميد وابن جرير من هذا الوجه وزاد فقال اعرابي أفي الجنة ابل فاني أحب

(بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الاخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ألا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا يلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع

الابل فقال يا اعرابي ان أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وروى الترمذي وضعفه والطبراني من حديث أبي أيوب بلفظ ان أدخلت الجنة لاتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت وروى من حديث عبد الرحمن بن ساعدة رواه الطبراني وابن قانع بلفظ ان أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت رواه من طريق خنيش بن الحرث عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن ساعدة وهو ساعدي صحابي وقال أبو موسى في الذيل هذا الحديث قد اختلف فيه على علقمة فقيل عنه هكذا أي عن عبد الرحمن بن سابط وقيل عن عبد الرحمن بن ساعدة وقيل عنه عن عمير ابن ساعدة (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه) وفي نسخة ونشأته (في ساعة واحدة) قال العراقي رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم يكون في الجنة جماع ولا يكون ولد اه ولاحمد من حديث أبي رزين يلذوا بكم مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذون بكم غير أن لا توالد اه قلت وكذلك رواه أحمد وهناد والدارمي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان والبيهقي في البعث ولفظهم قلنا يا رسول الله ان الولد من قرة العين وتمام السرور فهل يولد لاهل الجنة فقال ان المؤمن اذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وشبه في ساعة كما اشتهى وروى ابن أبي شيبة والترمذي عن ابن عباس انه سئل في الجنة ولد قال ان شاؤا ومما يلحق بهذا ما رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة اذا دخل أهل الجنة الجنة مر رجل فقال يارب ائذن لي في الزرع فأذن له فيبذر حبه فلا يلتفت حتى يبدو كل سنبلة طولها اثنا عشرة ذراعا ثم لا يبرح مكانه حتى يكون منه آكام مثل الجبال (وقال صلى الله عليه وسلم اذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا) قال العراقي رواه البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد تفرد به أنس اه والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب مرسلا دون ذكر أنس اه قلت ورواه أبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في البعث والخطيب وابن عساكر من حديث أنس وفيه سعيد بن عبد الله ابن دينار الدمشقي مجهول ولفظهم اذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان بعضهم الى بعض فيسير سرير ذا الى سرير ذا وسرير ذا الى سرير ذا حتى يلتقيا فيتكئ ذا ويتكئ ذا فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخي تذكر يوم كذا في دار الدنيا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وروى ابن مردويه من حديث أبي أمامة سئل النبي صلى الله عليه وسلم هل تتزاور أهل الجنة قال أي والذي بعثني بالحق انهم ليتزاورون على النوق الرمك عليها حشايا الديباج يزور الاعلون الاسفلين ولا يزور الاسفلون الاعلون قال هم درجات الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة جرد) جمع أجرد من لا شعر له على بدنه (مرد) جمع أمرد من لا لحية له (بيض) الالوان (جعاد) جمع جعد وهو المجتمع الخلق (مكحلون) أي على أجفانهم سواد خلقي (أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله بيض جعاد ودون قوله على خلق آدم الخ ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كحل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا اه قلت سياق المصنف لابي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع ومن هذا الوجه رواه أحمد وأبو الشيخ في العظمة ورواه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب مرسلا وأما لفظ الترمذي مختصرا أهل الجنة جرد مرد كحل وقال فيه انه غريب فقد زاد فيه بعد قوله كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم وأما حديث معاذ عنده

الذى أشار له العراقى فلفظه يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ورواه كذلك أحمد والطبرانى وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف أهل الجنة جرد مرد الا موسى عليه السلام فان له لحية تضرب الى سرته ورواه أيضا الديلمى من حديث جابر وروى ابن منيع من حديث أبى هريرة بسند صحيح أهل الجنة أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم ستين ذراعا وروى الطبرانى والضياء من حديث أنس يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة) أى منزلة (الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء) وفى نسخة الى صنعاء وهما موضعان بدمشق أو المراد بصنعاء صنعاء اليمن (وان عليهم التيجان وان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى سعيد مقطعا من أوله الى قوله وان عليهم التيجان منفردا ومن هنا باسناد أيضا وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد اهـ قلت لفظ الترمذى أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء وهكذا رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والضياء فى صفة الجنة وأما قوله وان عليهم التيجان الخ فرواه الترمذى والحاكم باسناد فيه رشدين المذكور وقد تقدم للمصنف فى ذكر لباس أهل الجنة وروى مثل ذلك عنه فى وصف الحور العين رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى فى البعث وتقدم ذلك أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب) الجلف بكسر الجيم جلد الشاة والبعير نقله ابن الانبارى عن الاصمعى وقيل هو الدن الفارغ والمقتب العظيم القتب وفى بعض النسخ كجلد (واذا طيرها كالبخت) جمع بختى بالضم وهى العظيمة من الابل (واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة واذا فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) قال العراقى رواه الثعلبى فى تفسيره من رواية أبى هرون العبدى عن أبى سعيد وأبو هرون اسمه عمارة ابن جوين ضعيف جدا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اهـ قلت عمارة بن جوين روى له البخارى فى خلق أفعال العباد والترمذى وابن ماجه متروك ومنهم من كذبه مات سنة أربع وثلاثين وهذا السياق بتمامه رواه من هذا الوجه ابن عساكر فى التاريخ ولفظه نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب الخ ورواه ابن أبى حاتم مختصرا ولفظه كمثل البعير المقتب وروى ابن السنى فى الطب من حديث ابن عباس ما من رمانة من رمانكم هذه الا وهى تلقح بحبة من رمان الجنة وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس انه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له لم تفعل هذا قال بلغنى انه ليس فى الارض رمانة تلقح الا بحبة من الجنة فلعلها هذه وروى الرويانى وابن عساكر والضياء من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه دخلت الجنة فاستقبلتنى جارية شابة فقلت لمن أنت قالت لزيد بن حارثة وقوله واذا فى الجنة ما لا عين رأت الخ رواه الطبرانى من حديث سهل بن سعد ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد (وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون) رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة وقد روى ذلك مرفوعا من حديث أنس خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواه ابن عدى والحاكم والبيهقى فى الاسماء والصفات ورواه الطبرانى فى السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله وروى الديلمى من حديث الحرث بن نوفل خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده وروى الطبرانى فى السنة وتمام وابن عساكر من حديث ابن عباس خلق الله جنة عدن بيده خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن أنت فقالت لزيد بن حارثة واذا فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون

المؤمنون فقال وعزتي لا يجاورني فيك بخيل وروى ابن جرير عن مجاهد قال لما غرس الله الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون وعن أبي العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون وأنزل الله به قرآنا (فهـذه صفات الجنة ذكرناها) أولا (جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن) البصري (رحمه الله تعالى جملتها) فيما رواه ابن جرير بسنده اليه (فقال ان رمانها مثل الدلاء) جمع الدلو رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر من حديث أبي سعيد بلفظ كجلد البعير المقتب او كجلف البعير المقتب وتقدم قريبا وروى نحو ذلك في حبة العنب فروى أحمد في مسنده حديث الاعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة هل فيها عنب قال نعم قال ما عظم العنقود قال مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر قال فما عظم الحبة قال هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما قال نعم قال فسلخ اهابه فاعطاه أمك وقال اتخذي لنا منه دلوا قال نعم قال الاعرابي فان تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي قال نعم وعامة عشيرتك وفي حديث سدرة المنتهى فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال وقد تقدم (وان أنهارها لمن ماء غير آسن) أي غير متغير ليس كمياه الدنيا (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أي ذوقه (وأنهار من عسل مصفى) أي مخلص من الاوساخ (لم يصفه الرجال) بل خلقه الله تعالى هكذا في الجنة (وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام) أي لا تضعف العقول (ولا تصدع منه الرؤس) كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز فقال مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون والغول الاغتيال أي ان الخمر المذكورة لا تغتال عقولهم ولا تغلب عليها وقيل الغول وجع البطن وقيل الصداع وقيل الاثم وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون على قراءة من فتح الزاي هو السكر أيضا ومن كسر الزاي فمعناه لا ينفد شرابهم (وان فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد والشيخان من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم (ملوك ناعمون) رواه ابن وهب عن الحسن مرسلا ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء) رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وقد تقدم (كحل جرد مرد) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وتقدم (قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار) وذلك قوله تعالى ان المتقين في مقام امين (وان أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد) وبعضها على المسك الاذفر رواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة موقوفا درجها الياقوت ورضراض أنهارها اللؤلؤ قاله أبو نعيم في الحلية (وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى) رواه ابن أبي شيبة من حديث سلمان نحوه وقد تقدم وروى ابن المبارك عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة وثمرها أمثال القلال والدلاء الحديث وتقدم والكرب محركة أصول السعف (وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة) رواه ابن أبي شيبة عن مجاهد الا أنه قال انه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة وأما ريح الجنة فقد ثبت في صحيح البخاري انها تنشق من مسيرة أربعين عاما وفي رواية للترمذي من مسيرة سبعين خريفا وفي رواية للطبراني مسيرة مائة عام ويحتمل هذا الاختلاف أن يكون بحسب اختلاف ادراك أهل الجنة وتفاوت مراتبهم فمن كان أعلى رتبة تنشق من مسيرة خمسمائة عام ويحتمل غير ذلك والله أعلم (وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة) أي سريعة السير (رحالها وازمتها) وهذا راجع للابل (وسروجها) وهذا راجع للخيل (من ياقوت يتزاورون فيها) بعضهم بعضا رواه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير من مرسل عبد الرحمن بن سابط وأبو الشيخ في العظمة من حديث علي وقد تقدم (وأزواجهم) فيها (الحور العين كأنهن بيض مكنون) كما في الكتاب العزيز (وان المرأة لتأخذ بين أصبعها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة) رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة ولفظ الصحيحين يرى مخ ساقها من وراء اللحم ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ حتى يرى مخ ساقها من

ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا تصدع منها الرؤس وان فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وانّ أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين أصبعها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة

قد طهر الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم

رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس بكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له فى بصره وملكه مسيرة مائة عام فى قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له فى بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى أدناه يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله وان فى الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذى ينظر الى ربه بالغداة والعشى وقال سعيد بن المسيب ليس أحد من أهل الجنة الا وفى يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها و يسارها سبعون ألف وصيفة وهى تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال رحمه

وراء ذلك (قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت) كما قال تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك) كما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وتقدم (لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) يغدى عليهم و يراح كما هو فى الكتاب العزيز (اما انه ليس بكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو) تقدم الكلام عليه (وان آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة) أى بالنسبة الى غيره والا فلا أدنى فى الجنة (ليمد له فى بصره وملكه مسيرة مائة عام فى قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ و يفسح له فى بصره حتى ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه) رواه أحمد من حديث ابن عمر بنحوه كما سيأتى قريبا (يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها فى كل صحفة لون ليس فى الاخرى) رواه الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو وقد تقدم (و يجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله) و رواه من أوّل قوله وان آخر من يدخل الى هنا عبد بن حميد عن عكرمة وتقدم (وان فى الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب) رواه ابن أبي شيبة عن يزيد بن هرون عن هشام عن حميد بن هلال عن بشير بن كعب قال قال كعب ان فى الجنة ياقوتة ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألفا من الحور العين لا يدخلها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل أو محكم فى نفسه قال قلنا يا كعب وما المحكم فى نفسه قال الرجل يأخذه العدو فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الاسلام فيقتل فيختار الاسلام وهذا آخر سياق الحسن البصرى رحمه الله تعالى (وقال مجاهد) رحمه الله (أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم) منزلة (الذى ينظر الى ربه) عز وجل (بالغداة والعشى) روى نحو هذا مرفوعا من حديث ابن عمر بلفظ ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وان أفضلهم منزلة لمن ينظر فى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين رواه أحمد وأبو الشيخ فى العظمة والحاكم ورواه الترمذى والطبرانى بلفظ ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى فى قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا (ليس أحد من أهل الجنة الا فى يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة) رواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها و يسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) وقد جاء ذكر العيناء فى كتاب الزهد لهناد بن السرى فروى بسنده الى ثابت البنانى قال كنت عند أنس ابن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة يقال له أبو بكر فساله ثم قال ألا أخبرك عن صاحبنا فلان بينما نحن فى غزاتنا اذ ثار وهو يقول وا أهلاه وا أهلاه فنزلت اليه وظننا ان عارضا عرض له فقلنا له فقال انى كنت أحدث نفسى أن لا أتزوج حتى أستشهد فيزوّجنى الله من الحور العين فلما طالت على الشهادة حدثت نفسى فى سفرى ان أنا رجعت تزوّجت فأتانى آت فى منامى فقال أنت القائل ان أنا رجعت تزوجت قم فان الله قد زوّجك العيناء فانطلق بى الى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار بيد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلهن فى الحسن والجمال قلت فيكن العيناء قلن نحن من خدمها وهى أمامك فانطلقت فاذا بروضة أعشب من الاولى وأحسن فيها عشرون جارية فى يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر اليهن بشئ من الحسن والجمال قلت فيكن العيناء قلن لا نحن من خدمها وهى امامك فانطلقت فاذا انا بياقوتة مجوّفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنبها عن السرير فقلت أنت العيناء قالت نعم مرحبا وذهبت لاضم يدى عليها فقالت مه ان فيك شيأ من الروح بعد ولكن فطرك عندى الليلة فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناديا خيل الله اركبى فجعلت أنظر الى الرجل وأنظر الى الشمس ونحن مصافو العدو واذكر حديثه فما أدرى أيهما بدر رأسه أو الشمس سقطت أوّلا فقال أنس رحمه الله (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال)

أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فياعجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفني و يترك العز في طلب ما يبقى

(صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع

رحمه الله (أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فياعجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفني و يترك العز في طلب ما يبقى) قال صاحب حادي القلوب وعلى كل حال فأهل الجنة ملوك وأي ملوك كما قال الله سبحانه وتعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا أفتشتغل عن هذا الملك بما فيه ما لا تصل اليه الاماني ولا تبلغه الشهوات ببذل الروح بالموت لا والله هذا والله هو المطلب الاعز والوصل الاخص والقرب الانفس كيف بك أيها المؤمن وقد أخذت مداركك كلها ما آربها على حسبها وانتهيت الى حضرة المواصلة ونلت منها ما عالى رتبها وحصلت على رضا محبوب بك عنك على الدوام و بلغت ما لم تبلغ حصره المبالغات ولا تحيط بكنهه الاحلام لقد حق لي ان أقول

شرا مثل هذا الوصل بالموت لا يغلو * وكل عناء دون هذا المنى يحلو

اذا كانت العقبى وصالا وقربة * وودا وتكريما فكل عنا سهل

اهـ قلت وزاد الشيخ موفق الدين بالمحلة على هذين فقال

وأي عنا يبقى اذا انكشف الغطاء * وقد زالت الآلام واتسع الفضل

وشاهدت من يهواه قلبي جهرة * وبالاهل والاحباب قد جمع الشمل

فلست أخاف الموت كلا وانه * لقصدي من الرحمن كي يصل الوصل

(صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى)

(قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (وهذه الزيادة) على الحسنى (هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة) وذلك اذا أشرف عليهم الحق وقال لهم سلام عليكم يا أهل الجنة و برؤيته عيانا فهذا أجل ما يرد عليهم من المنح النفيسة في الجنة اذ يدعون الى حضرة قربه ومشهد قدسه وتنصب لهم منابر بين يديه و يشاهدونه كما يشاهد أحدنا القمر ليلة البدر وتتشنف أسماعهم بكلامه سبحانه لهم وقراءته عليهم وتودده اليهم وقد روى الشافعي في مسنده حديثا في فضل يوم الجمعة ذكر فيه ان جبريل سمى يوم الجمعة يوم المزيد وان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل وما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير و روى أبو نعيم بسنده اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول ان الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق الا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال لهم لستم في دار عمل انما أنتم في دار جزاء (وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة) من المعتزلة والجهمية أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اخبر فيه عن الكفار انهم محجوبون عن رؤيته فدل على ان المؤمنين ينظرون الى الله تعالى وانهم غير محجوبين عن رؤيته وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ومعلوم ان اللقاء ههنا لا يكون الا عن معاينة يراهم الله و يرونه و يسلم عليهم و يكلمهم و يكلمونه وغير ذلك وأما السنة فقد أشار اليه بقوله (قال جرير بن عبد الله البجلي) يوسف هذه الامة رضي الله عنه (كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر) أي ليلة تمامه وكماله وهي ليلة أربع عشرة من الشهر (فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون) بضم الميم المشددة و يروى بالتخفيف (في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) هما صلاة الغداة والعصر (ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع

الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين) وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ولفظ الجميع سترون وورواه الطبراني مختصرا ولفظه انكم سترون ربكم يوم القيامة عيانا قال الطبراني ولفظه عيانا زائدة تفرد بها أبو شهاب الحناط وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا محمد بن الصباح حدثنا وكيع ابن الجراح حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا حدثنا أبو بكر ابن أبي داود حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون ويعلى ومحمد ابنا عبيد الطنافسي عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال انكم راؤن ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حدثنا أبو بكر النيسابوري حدثنا أبو الازهر حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت اسمعيل ابن أبي خالد سمعت قيس بن أبي حازم سمعت جرير بن عبد الله يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ان استطعتم ان لا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ثم تلا هذه الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا عبدة بن عبد الله حدثنا حسين الجعفي عن زائدة بن قدامة عن بيان عن قيس ابن أبي حازم حدثنا جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر قال ونظر الى القمر فقال انكم ترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته (وروى مسلم في الصحيح عن صهيب) بن سنان رضي الله عنه (قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم موعدا يريدان ينجزكموه قالوا اما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر اليه) ورواه كذلك الطيالسي وهناد وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وعند بعضهم فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ولا أقر لاعينهم ورواه الآجري في الشريعة من طريق الطيالسي وهناد وعند هناد بعد قوله من النظر اليه وهي الزيادة وعند الطيالسي قال فيتجلى لهم فينظرون اليه (وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة) رضوان الله عليهم ومن بعدهم من الاتباع وأتباعهم حتى وصل الينا ذلك وقبلها العلماء منهم أحسن القبول كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام كذا قبلوا منهم الاخبار ان المؤمنين يرون الله عز وجل لا يشكون في ذلك ثم قالوا من رد هذه الاخبار فقد كفر قال الآجري في الشريعة حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي حدثنا محمد بن سليمان لوين قال قيل لسفيان بن عيينة هذه الاحاديث التي تروى في الرؤية فقال حق على ما سمعناها ممن نثق به وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي حدثنا الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل انه قال ان الله عز وجل لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا ثم قال من قال ان الله عز وجل لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس أليس الله عز وجل قال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ورواه ابو داود عن أحمد بن حنبل نحو ذلك وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام وذكرت عنده أحاديث الرؤية هذه عندنا حق نقلها الناس بعضهم عن بعض (وهذه) أي الرؤية (غاية الحسنى ونهاية النعماء وكل ما فصلناه من التنعم) لأهل الجنة في الجنة (عند هذه النعمة ينسى) ويترك (وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشئ من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد

الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريدان ينجزكموه قالوا اما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشئ من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد

أو حزنا في الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا) فاكتفينا به (فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى) جل وعز (فأما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه فيه البهيمة المسرحة في المرعى) * ولنذكر من روى في اثبات الرؤية واللقاء والنظر اليه تعالى في دار الآخرة للمؤمنين من الصحابة ومن بعدهم من أتباعهم ومن جاء بعدهم من الائمة فاعلم ان أحاديث الرؤية رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم جابر بن عبد الله وصهيب بن سنان وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو رزين العقيلي وأبو موسى الاشعري وابن عباس وأنس بن مالك وابن عمر وعدي بن حاتم وكعب بن عجرة وأبي بن كعب فحديث جابر وصهيب ذكره المصنف واقتصر على الحديثين المذكورين لكونهما في الصحيحين وحديث أبي هريرة رواه الفريابي وأبو بكر بن أبي داود والآجري وأبو الشيخ وحديث أبي سعيد وأبي رزين رواهما أبو بكر بن أبي داود والآجري وحديث أبي موسى الاشعري رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه وله سياق آخر سيأتي للمصنف في آخر الكتاب وحديث ابن مسعود رواه الآجري وحديث ابن عباس رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري وحديث أنس رواه الشافعي في المسند وأبو الشيخ وابن منده في الرد على الجهمية والدارقطني والآجري وابن مردويه والخطيب وابن النجار وحديث ابن عمر هو حديث النجوى قد تقدم للمصنف وحديث عدي بن حاتم تقدم للمصنف أيضا وفي آخره اتقوا النار ولو بشق تمرة وحديث كعب بن عجرة رواه ابن جرير وابن مردويه واللالكائي في السنة والبيهقي في كتاب الرؤية وحديث أبي بن كعب رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه واللالكائي والبيهقي وأما آثار الصحابة فروي في ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في الآية الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني وابن منده وابن مردويه واللالكائي والآجري والبيهقي كلهم من طريق عامر بن سعد البجلي عنه وعن علي رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن مردويه من طريق الحارث عنه وعن حذيفة رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني واللالكائي والآجري والبيهقي من طريق مسلم بن نذير عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم واللالكائي وأما من بعدهم فقد روي عن محمد ابن كعب القرظي انه قال في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال نضرها الله تعالى وحسنها النظر اليه رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري من طريق موسى بن عبيدة عنه وقال الحسن البصري أي نظرت الى ربها عز وجل فنضرت لنوره ورواه أبو بكر بن أبي داود من طريق المبارك عنه وقال عكرمة تنظر الى ربها عز وجل نظرا رواه الآجري من طريق يزيد النحوي عنه وقال قتادة في الآية الزيادة النظر الى وجه الله رواه أبو الشيخ وروي عنه انه قال وأما الزيادة فهي النظر الى وجه الرحمن قال فيتجلى لهم حتى ينظروا اليه رواه ابن جرير والدارقطني وقال عامر بن سعد البجلي الزيادة النظر الى وجه الله عز وجل رواه ابن جرير والدارقطني وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى الزيادة نظرهم الى ربهم عز وجل رواه ابن جرير والدارقطني وقال أبو القاسم البغوي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثني مضر القاري حدثنا عبد الواحد بن زيد قال سمعت الحسن يقول لو علم العابدون انهم لا يرون ربهم عز وجل لذابت أنفسهم في الدنيا وروى الآجري من طريق هشام بن حسان عن الحسن قال ان الله عز وجل ليتجلى لاهل الجنة فاذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة وروى أبو بكر بن أبي داود من طريق عبد الله بن الحارث عن كعب الاحبار قال ما نظر الله عز وجل الى الجنة قط الا قال طيبي لاهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيدا في الدنيا الا يخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب عز وجل فينظرون اليه وتسفي عليهم الريح بالمسك والطيب ولا يسألون ربهم شيأ الا أعطاهم الحديث وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب قال قال مالك بن أنس رحمه الله الناس ينظرون الى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم وقال الآجري حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد

أو حزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى وأما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه فيه البهيمة المسرحة في المرعى

كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أوطغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير

الواسطي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال قلت للاسود بن سالم هذه الآثار التي تروى في معاني النظر الى الله عزوجل ونحوها من الاخبار فقال نحلف عليها بالطلاق والمشي قال عبد الوهاب معناه نصدق بها وقال أبو القاسم البغوى حدثنا حنبل بن اسحق بن حنبل قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول قالت الجهمية ان الله عز وجل لا يرى في الآخرة وقال الله عزوجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولا يكون هذا الا ان الله عزوجل يرى وقال عزوجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهذا النظر الى الله عزوجل والاحاديث رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم بروايات صحيحة وأسانيد غير مدفوعة والقرآن شاهد ان الله عزوجل يرى في الآخرة قال الآجرى فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الائمة وخالف الكتاب والسنة ورضى بقول جهم وبشر المريسى وأشباههم فهو كافر بامور كثيرة مما يجب عليه الايمان به والله أعلم

(لختم الكتاب بباب في ذكر سعة رحمة الله تعالى)

(على سبيل التفاؤل بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال) وهو مهموز ويجوز التخفيف هو ان تسمع كلاما حسنا فتتيمن به وان كان قبيحا فهو الطيرة وجعل أبو زيد الفأل في سماع الكلامين قال العراقي متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث ويعجبنى الفال الصالح الكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة وخيرها الفال قالوا وما الفال قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم اه قال الحليمي الفرق بين الفال والطيرة ان الطيرة سوء ظن بالله من غير سبب ظاهر يرجع الظن اليه والتيمن بالفال حسن ظن بالله وتعليق تجديد الامل به وذلك بالاطلاق محمود وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة كان يعجبه الفال الحسن ويكره الطيرة قال الحافظ في الفتح اسناده حسن وروى أبو داود من طريق وهيب بن سهيل عن رجل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمة فاعجبته فقال أخذنا فالك من فيك وروى العسكرى في الامثال والخلعى في فوائده من طريق محمد بن يونس حدثنا عون بن عمارة حدثنا السرى بن يحيى عن الحسن عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال الحسن فسمع عليا وما يقول هذه خضرة فقال لبيك قد أخذنا فالك من فيك فاخرجوا بنا الى خضرة قال فخرجوا الى خيبر فما سل فيها سيف الا سيف على بن أبي طالب رضى الله عنه زاد العسكرى حتى فتحها الله عزوجل ومن كلمات الصوفية ألسنة الخلق أقلام الحق ومن قول العامة مصر بأقوالها (وليس لنا من الاعمال مانرجو به المغفرة) لذنوبنا وتقصيراتنا (فنقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل) فقد روى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس كان يتفاءل ولا يتطير وكان يحب الاسم الحسن (ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أوطغى به القلم في كتابنا هذا) المسمى بالاحياء (وفي سائر كتبنا) التي ألفناها قبل هذا أو سنؤلفه فيما بعد (ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه وكلام نظمناه أو علم افدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا) مطالعة استفادة واعتبار (أو كتبه) لنفسه أو لغيره (أو سمعه) من لسان آخر في تدريس أو مذاكرة ويدخل في قوله أو كتبه

مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه من

أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه

من خدمه بتخريج أخباره وآثاره وشرح كلماته وفك رموزه وأسراره أو بحسن ترتيبه واختصاره (أن يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا) وقد شملتنا بحمد الله تعالى هذه الدعوة الطاهرة وارجو من الله تعالى ان أكون من جملة من عني به المصنف وقد كان مجاب الدعوة مقبول الشفاعة وذكر غير واحد ان من توسل به الى الله تعالى في حاجة قضيت له وها أنا متوسل به الى المولى جل شأنه أن يعيد علي وعلى سائر المؤمنين من بركات هذا الكتاب ومؤلفه ويمننا على كلمة الاخلاص وأن يغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ويرحم فقرنا ويجبر كسرنا وينور قبورنا ويثبتنا عند السؤال ويؤنسنا في وحشة القبور ويؤمننا يوم البعث والنشور ويوفقنا لحسن طاعته ويدخلنا في شفاعة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعة خواص أمته وأن يدخلنا الجنة ويرفع درجاتنا فيها ويجمع شملنا هنالك بأحبابنا ويقر أعيننا برضاه عنا ويرينا وجهه الكريم (فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان اهـ قلت وكذلك رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه بعد قوله يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها والباقي سواء ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ ان لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فاذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق ورواه الحاكم بلفظ ان الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم الى آجالهم وأخر تسعا وتسعين رحمة لاوليائه وان الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا الى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لاوليائه يوم القيامة وروى مسدد في مسنده من حديث سلمان بلفظ ان لله مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة ورواته ثقات وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن داود عن أبي عثمان عن سلمان قال خلق الله مائة رحمة فجعل منها رحمة بين الخلائق كل رحمة أعظم مما بين السماء والارض فيها تعاطف الوالدة على ولدها وبها يشرب الطير والوحش الماء فاذا كان يوم القيامة قبضها الله من الخلائق فجعلها والتسع والتسعين للمتقين فذلك قوله ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون هكذا رواه موقوفا ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة خلق الله مائة رحمة فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها وخبأ عنده مائة الا واحدة وقال ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة فجعل في الارض منها رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض وأخر تسعا وتسعين الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة ومن هذا الوجه رواه أحمد وابن ماجه والضياء ورواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بزيادة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض والباقي سواء وروى الشيخان من حديث أبي هريرة ان الله عز وجل خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار وروى الطبراني من حديث ابن عباس ان الله تعالى خلق مائة رحمة رحمة منها قسمها بين الخلائق وأخر تسعة وتسعين الى يوم القيامة وروى تمام في فوائده وابن عساكر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه ان الله خلق مائة رحمة فبث بين خلقه رحمة واحدة فهم يتراحمون بها وادخر عنده لاوليائه تسعة وتسعين ورواه الطبراني بنحوه * (تنبيه) * قال التوربشتي رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم والتجزئة وانما قصد من ذكره ضرب المثل للامة ليعرفوا التفاوت بين القسطين قسط أهل الايمان منها في الآخرة وقسط كافة المربوبين في الاولى فجعل مقدار حظ الفئتين من الرحمة في الدارين على الاقسام المذكورة تنبيها على المستعجم وتوقيفا على المستفهم ولم يرد به

أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيآت ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة

تحديدما فدجل عن الحد أوتعديدبما تجاوز العد اه وقال المهلب الرحمة رحمتان رحمة من صفة الذات وهي لاتتعدد ورحمة من صفة الفعل وهي هذه وقال العارف البونى رحمه الله تعالى الذاتية واحدة ورحمته المتعدية متعددة وهي كما فى هذا الخبر مائة ففى الارض منها واحدة يقع بها الارتباط بين الانواع وبها يكون حسن الطباع والميل بين الجن والانس والبهائم كل شكل الى شكله والتسعة والتسعون حظ الانسان يوم القيامة تتصل بهذه الرحمة فتكمل مائة فيصعد بها الى صرح الجنة حتى يرى ذات الرحيم ويشاهد رحمته الذاتية (ويروى انه اذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي لفظ البخارى وقال مسلم كتب فى كتابه على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي اه قلت ولفظ البخارى رواه أيضا أحمد والدارقطنى فى الصفات وفى رواية كتب فى كتابه فهو عنده وفى أخرى غلبت بدل سبقت وقد رواه مسلم كذلك وروى الدارقطنى بلفظ لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي وفى المقاصد للسخاوى ان رحمتي تغلب غضبي متفق عليه من حديث المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رفعه قال لما قضى ولفظ آخر لمسلم لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي ولفظ مسلم تغلب غضبي وهو عند البخارى فقط من حديث مالك عن أبى الزناد بلفظ ان رحمتي سبقت غضبي وعند مسلم من حديث ابن عيينة عن أبى الزناد بلفظ قال الله سبقت رحمتي غضبي وممن رواه عن أبى هريرة أبو صالح وعطاء بن ميناء اه وروى الديلمى من حديث معاذ ان الله تعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع ياعبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ياعبادى لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون الحديث (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى موسى اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولابى داود أمتى أمة مرحومة لاعذاب عليها فى الآخرة الحديث فاما أول الحديث فرواه الطبرانى من حديث أبى موسى أيضا يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه على بن زيد بن جدعان اه قلت لفظ مسلم اذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار وسيأتى للمصنف ولفظ الطبرانى فى الكبير والاوسط اذا كان يوم القيامة أعطى الله الى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن هالك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار وكذلك رواه الحاكم فى الكنى وأما أول الحديث فرواه الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى الصفات يتجلى لنا ربنا ضاحكا يوم القيامة واما تمام الحديث فاخرجه أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة فقال حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلى حدثنا زهير بن محمد المروزى حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله عز وجل الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد فاذا بدا له ان يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم فنقول نحن المسلمون فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا عز وجل فيقول هل تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقول كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون انه لاعدل له فيتجلى لهم ضاحكا فيقول أبشروا معاشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا وهكذا رواه أحمد وعلى بن زيد هو ابن جدعان فهذا الذى سقناه هو الاقرب الى سياق المصنف من الحديث الذى ساقه العراقى من عند الطبرانى وقوله ولابى داود أمتى أمة مرحومة الحديث قلت الذى رواه أبو داود من حديث أبى موسى أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا وكذلك رواه

ويروى انه اذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا

الطبرانى والحاكم ولا يخفى ان هذا السياق لا يناسب هنا وانما المناسب ما رواه الخطيب فى المتفق والمفترق وابن النجار من حديث ابن عباس بسند ضعيف أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة اذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من أمتى رجلا من أهل الاديان فكان فداءه من النار والحديث الذى ساقه العراقى من عند الطبرانى فقد روى أيضا من حديث جابر بنحوه أخرجه الآجرى فى الشريعة من طريق الحسن عنه وفيه فيتجلى لهم الجبار جل وعز فاذا رأوه خروا له سجدا فيقول لهم الجبار عز وجل ارفعوا رؤسكم ليس هذا يوم عمل انما هو يوم نعيم وكرامة الحديث وفى رواية له ثم يأتون الجبار عز وجل فاذا تجلى لهم خروا له سجدا فيقول لهم الجبار عز وجل يا أهل الجنة ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار عمل انما هى دار مقامة ودار نعيم الحديث (وقال النبى صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث أنس باسناد ضعيف انتهى قلت وروى الطبرانى أيضا من طريق يزيد الرقاشى عن أبى هريرة رفعه آدم أكرم البشر فيعتذر الله تعالى اليه يوم القيامة بثلاثة معاذير فساقه وفيه ويقول له يا آدم قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان وانظر الى ما يرفع اليك من أعمالهم فمن رجح خيره مثقال ذرة فله الجنة الحديث ورواه ابن عساكر من رواية الفضل بن عيسى الرقاشى عن الحسن عن أبى هريرة يعتذر الله الى آدم يوم القيامة ثلاث معاذير الحديث ويزيد والفضل ضعيفان ورواه ابن عساكر أيضا عن سعيد بن أنس عن الحسن قوله (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب اهـ قلت وكذلك رواه ابن خزيمة والحاكم ولفظهم فى مقامى ورواه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والبيهقى وقالا فى مقام ولم يقولا يوم القيامة وفيه مبارك بن فضالة وثقه جماعة وضعفه النسائى (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم اسلامكم اذ أنتم معنا فى النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال العراقى رواه النسائى فى الكبرى من حديث جابر بنحوه باسناد صحيح اهـ قلت سياق المصنف رواه ابن أبى عاصم فى السنة وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث من حديث أبى موسى الأشعرى وفيه فما أغنى عنكم الاسلام وقد صرتم وفيه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقى سواء وقد أخرجه كذلك الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه بسند صحيح وأما حديث جابر الذى أشار اليه فلفظه ان أناسا من أمتى يعذبون بذنوبهم فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم فلا يبقى موحد الا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقد روى ذلك من حديث أبى سعيد وعلى بن أبى طالب وأنس بن مالك فحديث أبى سعيد رواه اسحق ابن راهويه وابن حبان والطبرانى وابن مردويه انه سئل هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية شيأ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم الله مع المشركين قال لهم المشركون أليس كنتم تزعمون انكم أولياء الله فى الدنيا فما بالكم معنا فى النار فاذا سمع الله ذلك منهم اذن فى الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون

وقال النبى صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم اسلامكم اذ أنتم معنا فى النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره

حتى يخرجوا باذن الله فاذا رأى المشركون ذلك قالوا ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم فذلك قول الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فيسمون فى الجنة الجهنميين من أجل سواد فى وجوههم فيقولون ربنا أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون فى نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم وأما حديث على ابن أبى طالب فرواه ابن أبى حاتم وابن شاهين فى السنة ولفظه ان أصحاب الكبائر من موحدى الامم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون بالحميم ولا يلبسون القطران حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد وصورهم على النار من أجل السجود فمنهم من تأخذه النار الى قدميه ومنهم من تأخذه الى عقبيه ومنهم من تأخذه الى فخذيه ومنهم من تأخذه الى حجزته ومنهم من تأخذه الى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت الى أن تفنى فاذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الاديان والاوثان لمن فى النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه بشئ فيما مضى فيخرجهم الى عين بين الجنة والصراط فينبتون فيها نبات الطراثيث فى حميل السيل ثم يدخلون الجنة مكتوب فى جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن فيمكثون فى الجنة ماشاء الله ان يمكثوا ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيبعث الله ملكا فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وأما حديث أنس فأخرجه هناد والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الحلية ولفظه ان ناسا من أهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قول لا اله الا الله وأنتم معنا فى النار فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة فيبرؤن من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين وقال ابن عباس مازال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم حتى يقول من كان مسلما فليدخل الجنة فذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رواه سعيد بن منصور وهناد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث وروى عنه انه تذاكر وأنس هذه الآية فقال هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته رواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى البعث وعن مجاهد فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال اذا خرج من النار من قال لا اله الا الله رواه هناد بن السرى فى الزهد وروى الحاكم فى الكنى عن حماد قال سألت ابراهيم عن هذه الآية فقال حدثت ان أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الاسلام ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان يدخل معهم فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (وقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها) قال العراقى متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفى أوله قصة المرأة من السبى اذ وجدت جنينا فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته انتهى قلت وهو آخر حديث ختم المصنف به هذا الكتاب وسيأتى الكلام عليه (وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه (من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فذلك يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه) أى أهلكها بارتكاب المخالفات (وأثقل ظهره) بالمعاصى أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى صحاحهم والبيهقى من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على بن الحسين عنه مرفوعا شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى رواه عن زهير عمرو بن أبى سلمة ومحمد بن ثابت البنانى زاد ثانيهما فى رواية الطيالسى فقال جابر من لم

يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة وزاد الوليد بن مسلم في روايته عن زهير فقلت ماهذا ياجابر قال نعم يامحمد انه من زادت حسناته على سيآ ته فذكره كسياق المصنف الا أنه قال ان أوبق نفسه أوعلق ظهره وروى البيهقي في البعث من طريق أبي مالك الاشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي عن حذيفة قال المؤمنون مستغنون عن الشفاعة انما هي للمذنبين وروى البيهقي من طريق يزيد الرقاشي قلنا يارسول الله لمن تشفع قال لاهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء (و يروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام ياموسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لواستغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال) كذا في النسخ وفي بعضها سعيد بن بلال وكل منهما خطأ والصواب بلال بن سعد هو ابن تميم الاشعري أو الكندي أبوعمرو أو أبوزرعة الدمشقي العابد الفاضل مات في خلافة هشام روى له البخاري في الادب المفرد وأبوداود في كتاب القدر والنسائي (يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد و يأمر بردهما الى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها) أي يدخلها (و يتلكأ الآخر) أي يتباطأ (فيؤمر بردهما و يسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من و بال المعصية فلم أكن لاتعرض لسخطك ثانية و يقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني) أي يعلمني (ان لاتردني اليها بعدما أخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة) رواه الصابوني في المائتين فقال أخبرنا أبو العباس عبد الصمد بن عبد الله المعمري حدثنا أبو أحمد بن أبي أسامة حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد العبدي حدثنا سليم بن منصور بن عمار حدثني أبي عن المعقل بن زياد عن الاوزاعي عن بلال ابن سعد قال يأمر الله عز وجل باخراج رجلين من النار فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه فيسألهما و يقول لهما كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما فيقولان يارب شر مقيل وأسوأ مصير قال فيأمر بردهما الى النار فاما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها وأما الآخر فيمضي وهو يلتفت قال فيأمر بردهما فيقول للذي مضى بسلاسله وأغلاله الى النار حتى اقتحمها ما حملك على ماصنعت وقد اختبرتها فيقول رب ذقت من و بال معصيتك مالم أكن لاتعرض لسخطك ثانية و يقول للذي مضى وهو يلتفت ما حملك على ماصنعت فيقول رب ما كان ظني بك هذا فيقول وما كان ظنك فيقول انك حين أخرجتني منها ظننت ان لاتعيدني اليها قال فيقول الله فاني عند ما ظننت فيأمر بصرفهما الى الجنة (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التبعات) أي حقوق الناس (فتواهبوها) أي اطلبوا مسامحتها (بينكم وادخلوا الجنة برحمتي) وهذا يدل على ان حق الخلق مبني على المشاحة قال العراقي رويناه في سباعيات أبي الاسعد القشيري من حديث أنس وفيه الحسن بن داود البلخي قال الخطيب ليس بثقة اهـ قلت قال الذهبي في ديوان الضعفاء الحسين بن داود أبوعلي البلخي روى عنه أبو بكر الشافعي قال الخطيب حديثه موضوع واتهمه الحاكم وغيره (و يروى ان اعرابيا سمع ابن عباس) رضي الله عنه (يقرأ) قوله تعالى (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي على جانبها (فانقذكم منها) أي خلصكم ونجاكم (فقال الاعرابي والله ماأنقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس) رضي الله عنه (خذوها) أي كلمة الحكمة (من غير فقيه) وذلك لان الاعراب الغالب على طبعهم عدم الادراك للطائف المعاني (وقال الصنابحي) عبد الرحمن بن عسيلة بمهملتين مصغرا المرادي أبو عبد الله ثقة من كبار التابعين قدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أيام مات في خلافة عبد الملك روى له الجماعة وقد تقدم له ذكر في أحاديث الحوض (دخلت على عبادة بن الصامت) بن قيس الانصاري أبي الوليد الخزرجي المدني أحد النقباء بدري شهير رضي الله عنه مات بالرملة سنة أربع وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة وقيل عاش الى خلافة معاوية قال

لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد و يأمر بردهما الى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها و يتلكأ الآخر فيؤمر بردهما و يسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من و بال المعصية فلم أكن لاتعرض لسخطك ثانية و يقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لاتردني اليها بعدما أخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي و يروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ماأنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت

وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ

سعيد بن عفير كان طوله عشرة أشبار روى له الجماعة (وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار) قال العراقي رواه مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر انتهى قلت ومن الوجه المذكور رواه كذلك أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان ولفظ المتفق عليه من غير رواية الصنابحي من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق وان البعث حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء وكذلك رواه أحمد وابن حبان (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما أحد السابقين المكثرين من الصحابة واحد العبادلة الفقهاء مات في ليالي الحرة على الاصح بالطائف على الراجح روى له الجماعة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة) وذلك عند الميزان (فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا) أي دفترا فيه أعماله (كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة) بالكسر أي رقعة صغيرة (فيها) مكتوب (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة) الميزان (والبطاقة في كفة) أخرى (قال فطاشت السجلات) أي ارتفعت وخفت (وثقلت البطاقة فلا يثقل مع) اسم (الله شئ) وهذا الحديث يعرف بحديث البطاقة مشهور وعند المحدثين مذكور في مسلسلاتهم فقوله في أول الحديث ان الله الى قوله يوم القيامة هو سياق الترمذي ولفظه سيخلص وقال ابن ماجه يصاح برجل من أمتي على رؤس الخلائق ثم اتفقا الى آخره عند قوله وثقلت البطاقة مع زيادة قوله فيقول احضر وزنك بعد قوله أن محمدا رسول الله وقوله فلا يثقل مع اسم الله شئ هو من زيادة الترمذي وقد وقع لنا مسلسلا بالمصريين من شيوخنا الى منتهاه الاصحابيه فانه سكن مصر مع أبيه وأقام بعده مدة يسيرة ثم تحول منها الى الطائف أخبرناه القطب أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني الشافعي رحمه الله تعالى والشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي في آخرين قالوا أخبرنا الشمس محمد ابن منصور الاطفيحي أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا النجم محمد بن أحمد بن علي الغيطي أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي أخبرنا المشايخ الخمسة البدر أبو محمد الحسن بن محمد بن أيوب الحسني النسابة والزين عبد الرحمن بن محمد بن عمر الفاقوسي والنور أبو الحسن علي بن أبي الحسن البلبيسي وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام المنوفي وأم الفضل هاجر ابنة الشرف القدسي المصريون سماعا عليهم قال الاول أنبأنا عمي البدر حسن بن محمد الحسني النسابة وقال الثاني أخبرنا السراج عمر بن الملقن وقال الآخرون أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني قالوا ثلاثتهم أخبرنا الصدر أبو الفتح محمد بن محمد الميدومي أخبرنا أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن علاق ح وأخبرنا به أبو المعالي الحسن بن علي بن محمد المنطاوي والشهاب أحمد بن محمد بن شاهين في آخرين قالوا أخبرنا عبد بن علي بن عساكر الغمري أخبرنا الامام المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني أخبرنا الضياء علي بن علي الشبراملسي أخبرنا أبو محمد عبد الرؤف بن زين العابدين المناوي أخبرنا الشمس محمد بن أحمد الرملي أخبرنا القاضي أبو يحيى زكريا بن محمد الانصاري أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر قال قرأت على عبد الله بن عمر السعودي وعبد الرحمن بن أحمد بن المبارك وقلت لكل منهما أخبرك جماعة منهم أبو محمد ابراهيم بن علي الحيحي فاقربه قال أخبرنا الحافظ رشيد الدين أبو الحسن يحيى بن علي القرشي العطار قال هو وابن علاق أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري قال حدثنا أبو صادق مرشد بن يحيى المديني أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الصواف الحراني ح وأخبرنا المسند أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف

الملوى والبدر محمد بن أحمد بن حجازى العشماوى فى آخرين قالوا أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن الشهاب العجمى
أخبرنا والدى أخبرنا النور على بن يحيى الزيادى أخبرنا الشهاب أحمد بن حمزة الرملى أخبرنا الحافظ شمس الدين
أبو الخير السخاوى أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن الفرات أخبرنا عبد العزيز بن جماعة أخبرنا الخطيب أبو
عبد الله محمد بن الحسين العبدى أخبرنا محمد بن عمار الحرانى المصرى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير
السعدى قاضى الجيزة أخبرنا أبو الحسن على بن الحسن بن الحسين الخلعى فى فوائده قال أخبرنا أبو العباس أحمد
ابن محمد بن الحاج الاشبيلى المصرى الشاهد قال هو والحرانى حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى الحافظ
أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب قال حدثنى يحيى بن عبد الله بن بكير قال حدثنى الليث بن سعد عن عامر
ابن يحيى المعافرى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصاح برجل من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم
يقول الله تعالى أتنكر من هذا شيأ فيقول لا يارب فيقول ألك عذر أو حسنة فيهاب العبد فيقول لا يارب فيقول
الله عز وجل بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات فى
كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن
ناصر الدين الدمشقى رحمه الله تعالى فى كتابه منهاج السلامة فى ميزان الاستقامة أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن
ابن الحافظ أبى عبد الله الذهبى بقراءتى عليه فى ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بمنزله بكفر بطنا
أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكى وأحمد بن على بن مسعود الكلبى ومحمد بن أحمد بن أبى الهيجاء بن
الزراد ومحمد بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة وأحمد بن ابراهيم بن عبد الله المقدسى وأحمد بن الطنبا بن الحلبية
المقرى وأبو بكر بن يوسف الحريرى ومحمد بن المحب عبد الله بن أحمد وعبد الرحمن بن اسمعيل المرداوى
وعبد الرحمن بن عبد الخالق بن محمد بن السرى ومحمد بن على بن سالم المزيان وفاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عمر
ابن عوض وحبيبة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ح وأخبرنا أبو هريرة والمعمر أبو المحاسن يوسف بن عثمان
ابن عمر بن مسلم الصوفى وأم عبد الله زينب بنت العماد أبى بكر بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عباس بن جعوان
الانصارى قالوا أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن القطان قراءة عليه قالت بنت جعوان وأنا حاضرة فى الرابعة وقال
الاولان ونحن نسمع وقالا أيضا وأخبرتنا المسندة أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم وقالت بنت
جعوان وأبو هريرة أيضا أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى المعالى الزبدانى قالت بنت جعوان وأنا شاهدة
وقال أبو هريرة وأنا أسمع وقال العوفى وأخبرنا أيضا القاضى أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ
عبد الغنى المقدسى وأحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الصرخدى ح وأخبرنا المسند أبو حفص عمر بن محمد بن
أحمد البالسى وزينب بنت جعوان قالا أخبرنا الملك أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى قراءة
عليه ونحن نسمع حاضران فى الرابعة ح وأخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الانصارى بقراءتى عليه
بجامع دمشق وغير واحد قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن على بن الحسن الجزرى قالوا كلهم وهم ثمانية عشر
نفسا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن أحمد المقدسى الخطيب قراءة عليه قال المزيان والقطان وابن المحب
والجزرى ونحن حاضرون وقال الباقون ونحن نسمع ح وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن أبى العباس
الصالحى أخبرنا أبو محمد القاسم بن محمد الحافظ وأنا شاهد أنبأنا المعين أحمد بن على بن يوسف الدمشقى وأبو عيسى
عبد الله بن عبد الواحد الرزاز قالوا ثلاثتهم أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن على بن مسعود البوصيرى قراءة عليه
ونحن نسمع بمصر أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى المدينى ح وأخبرنا أبو هريرة بن الذهبى وابنه أبو عبد الله
محمد يوم الاربعاء ثالث ذى القعدة سنة ٧٩٨ بمنزله بكفر بطنا قالا أخبرنا النجم أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عنتر
السلمى أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن الحاسب ح وأخبرنا أبو هريرة أخبرنا الامين محمد بن أبى بكر

ابن أحمد الاسدي سماعا والمرضي ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطبري اجازة من مكة شرفها الله تعالى قالا أخبرنا شعيب بن يحيى سماعا وأنبأنا أبو هريرة أنبأنا أبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي سماعا حينئذ وأخبرنا أبو هريرة عن اسمعيل بن يوسف السويدي وأبي الحسن علي بن عمر الكردي ان أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي أخبرهما قالوا أربعتهم أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي المعدل بالاسكندرية وغيرها قال هو وأبو صادق المديني أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف بمصر حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني الحافظ املاء بالجامع العتيق بمصر يوم الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الاول سنة ٣٥٧ أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي انه قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاح برجل من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فذكره الخ وبالاسناد الى أبي الحسن الحراني قال لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها وأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه رحمه الله تعالى قلت ولفظ الاشبيلي لما أملى علينا حمزة هذا الحديث في الجامع العتيق كان في الناس رجل جبار فلما سمعه صاح صيحة وتوفي قال الحافظ السخاوي في الجواهر المكللة وكذا رواه أبو الحسن علي بن محمد القابسي عن حمزة وقال انه لما انتهى في املائه الى قوله فطاشت السجلات شهق رجل شهقة فلما تم المجلس اذا هو ميت فغسل وكفن وصلي عليه وهذا حديث جيد الاسناد عظيم الموقع رواه الحاكم في صحيحه فقال حدثنا علي بن حمشاذ المعدل حدثنا عبد بن شريك وأحمد بن ابراهيم بن ملحان قالا حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير فذكره وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي نسخة من المستدرك هذا حديث صحيح على شرط مسلم قال الحافظ بن ناصر الدين قلنا ان عامر بن يحيى بن جشيب المعافري المصري انفرد به مسلم وقد وثقه أبو داود وصار في جاه الصحيح لكنه من افراد الحبلي عن عبد الله ابن عمرو اه قلت عامر بن يحيى بن جشيب بن مالك بن سريع المعافري الشرعبي أبو خنيس بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة المصري قال أبو داود والنسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات قال أبو سعيد بن يونس توفي قبل سنة عشرين ومائة روى له مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو عبد الرحمن الحبلي بضم الحاء والموحدة عبد الله بن يزيد المعافري ثقة مات سنة مائة بافريقية وروى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة ثم قال الحافظ بن ناصر الدين وخرجه الترمذي في جامعه فقال أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد فذكره بنحوه وقال هذا حديث حسن غريب قلت عبد الله هو ابن المبارك وحدث به أبو القاسم الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك تابعهما عبد الله بن صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن أبي مريم ويونس بن محمد المؤدب وآخرون عن الليث وخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه فقال أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر أخبرنا الليث بن سعد فذكره وعبد الله بن عمر الخراساني له مناكير فيما قاله ابن عدي والحديث قد عرف بالليث حتى قال الحافظ أبو القاسم حمزة الكناني فيما رويناه عنه بالاسناد المذكور لا أعلم روى هذا الحديث غير الليث وهو من احسن الحديث قلت قد اجاد بقوله لا اعلم وبالله التوفيق قال الترمذي عقب روايته حديث ابن المبارك عن الليث حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عامر بن يحيى بهذا الاسناد نحوه اه فقد تابعه ابن لهيعة وحديثهم رويناه من حديث ابي العباس محمد بن اسحق الثقفي السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن عامر بن يحيى عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الميزان يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع في كفة ما احصى عليه فتميل الميزان قال فيبعث به الى النار قال فاذا ادبر صاح صائح من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى تميل الميزان خالفه عمرو بن الحرث بن يعقوب بن عبد الله الاشج ابو امية الانصاري المصري الحافظ فرويناه عن بكر

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار
من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون الى الشمس أصفر وأبيض وما يكون منها الى الظل أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين
أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول الله
تعالى ان لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما

ابن مضر عنه عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو وفوقه والحكم لابن لهيعة في رفعه
لان الليث وهو امام كبير حافظ رفعه وايضا رويناه من طريق ابي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد هو الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
برجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها ذنوبه وخطاياه
فتوضع في كفة الميزان ويؤتى بقرطاس مثل هذا واشار بيده وامسك ابهامه فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فتوضع في الكفة الاخرى فترجح بخطاياه وذنوبه رواه عن المقرى عبد بن حميد في مسنده والحرث بن
ابي اسامة وعبد الصمد بن الفضل ومحمد بن احمد بن الجنيد وهرون بن ملول ويعقوب بن سفيان تابعهم اسمعيل
ابن عياش ويعلى بن عبيد عن عبد الرحمن بن زياد مرفوعا بنحوه ورواه عن اسمعيل الحسن بن عرفة بن يزيد
العبدي وعن يعلى ابو بكر احمد بن البراء المديني المقرى والحديث له طرق وهو في سنن ابن ماجه وغيره وله شواهد
ومنها ما قال ابو نعيم في الحلية حدثنا سليمان بن احمد حدثنا فضيل بن محمد الملطي حدثنا موسى بن داود حدثنا
الهيثم بن جماز عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بعمل العبد يوم القيامة فيوضع في
كفة الميزان فلا يرجح حتى يؤتى بصحيفة مختومة من يد الرحمن عز وجل فتوضع في كفة الميزان فترجح وهو لا اله
الا الله غريب من حديث ثابت تفرد به الهيثم بن جماز وهو بصري قاص قاله ابو نعيم (وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال نصف
دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه) من النار (فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف ذرة من خير فاخرجوه) من
النار (فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون يا ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد) الخدري راوي هذا الحديث رضي
الله عنه (يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا قول الله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق
الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) اي فحما من الاحتراق (فيلقيهم
في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة) بكسر الحاء (في حميل السيل) اي جانبه
(الا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر اصفر واخضر وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك
كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ) في الصفاء والبياض واشراق اللون (في رقابهم الخواتيم يعرفهم
اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما
رأيتم فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى ان لكم عندي ما هو افضل من
هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضائي عنكم فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في
صحيحيهما) من حديث ابي سعيد الخدري وكذلك رواه الطيالسي واحمد وابن خزيمة وروى النسائي وابن ماجه
وابن ابي داود والآجري بعضه واول الحديث في الصحيحين قال ابو سعيد قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون
في القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية احدهما
اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد ممن كان يعبد غير الله من الانصاب

والاصنام الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم الساق فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء أو رياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة و يقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا و يصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه ثم ساقه الى آخر الحديث كما ذكره المصنف ورواه البخارى مختصرا فى كتاب الايمان من الصحيح فقال حدثنا اسمعيل حدثنى مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تبارك وتعالى أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحياء أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ألم تر انها تخرج صفراء ملتوية قال وهيب حدثنا عمرو الحياة وقال خردل من خير ورواه فى صفة الجنة والنار هكذا أيضا مختصرا عن موسى عن وهيب عن عمرو بن يحيى المازنى وعن حجاج بن الشاعر عن عمرو بن عوف عن خالد بن عبد الله ورواه عبد الله بن وهب ومعن بن عيسى عن مالك وليس هو فى الموطأ وقال الدارقطنى هو غريب صحيح وفى رواية الدارقطنى من طريق اسمعيل يدخل الله وما أورده البخارى هنا تعليقا أخرجه مسندا فى كتاب الرقاق عن موسى بن اسمعيل عن وهيب عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبى سعيد به وساقه أتم من سياق مالك لكنه قال من خردل من ايمان كرواية مالك ورواه أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عفان بن مسلم عن وهيب فقال من خردل من خير كما علقه البخارى وقال البخارى فى كتاب الايمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام حدثنا قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير و يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير قال البخارى قال أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من ايمان مكان من خير (وروى البخارى أيضا عن ابن عباس) رضى الله عنهما (قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الامم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن يكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ثم قيل انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لى هؤلاء

وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الامم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لى هؤلاء

امتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة) بن محصن رضي الله عنه (فقال ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل
قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة) ورواه كذلك أحمد ومسلم كلهم من طريق حصين بن
عبد الرحمن بن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولفظهم جميعا عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي
ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه
ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي أنظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك
ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا
يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ورواه هكذا الطبراني في الكبير من حديث عمران بن
حصين رضي الله عنه وقد روي هذا الحديث من رواية عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرزاق في المصنف وأحمد والطبراني في الكبير والحاكم ومن طريق الطبراني
أبو نعيم في الحلية واللفظ له قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا خلف بن موسى بن
خلف العمي حدثنا أبي عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال
تحدثنا ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكرانا الحديث فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عرضت على الانبياء باتباعها من أممها فاذا النبي معه الثلاثة من أمته واذا النبي ليس معه أحد
وقد أنبأكم الله عن قوم لوط فقال أليس منكم رجل رشيد قال حتى مر موسى بن عمران عليه السلام ومن
معه من بني اسرائيل فقلت يا رب فاين أمتي قال انظر عن يمينك فاذا الظراب ظراب مكة قد سد من وجوه
الرجال قال ان رضيت يا محمد قلت رضيت رب قال انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد سد من وجوه الرجال
قال أرضيت يا محمد قلت رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فاتى عكاشة بن محصن
الاسدي فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان استطعتم بابي أنتم وأمي
ان تكونوا من السبعين ألفا فكونوا فان عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الظراب فان عجزتم وقصرتم
فكونوا من أصحاب الافق فاني قد رأيت أناسا يتهاوشون كثيرا ثم قال اني لارجو ان يكون من يتبعني من أمتي
ربع الجنة فكبر القوم ثم قال اني لارجو ان يكونوا شطر أهل الجنة فكبر القوم ثم تلا هذه الآية ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين فتذاكروا بينهم من هؤلاء السبعون الالف فقال بعضهم قوم ولدوا في الاسلام فماتوا عليه
حتى رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
وللطبراني في الكبير وعمر بن شبة النميري من طريق نافع مولى بنت شجاع عن أم قيس بنت محصن هي أخت
عكاشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي حتى أتينا البقيع فقال يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة
سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقام رجل فقال أنا منهم قال نعم فقام آخر فقال سبقك بها عكاشة وقد
تقدم الكلام على هذا الحديث في كتاب التوكل (وعن عمرو بن حزم) بن زيد بن لوذان (الانصاري) رضي
الله عنه يكنى أبا الضحاك شهد الخندق وما بعدها واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران روى عنه
ابنه محمد وجماعة مات بعد الخمسين على الراجح روى له أبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه (قال تغيب عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج) من منزله (الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع
خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل
وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت

أمتك ومع هؤلاء سبعون
ألفا يدخلون الجنة بغير
حساب فتفرق الناس
ولم يبين لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتذاكر
ذلك الصحابة فقالوا أما
نحن فولدنا في الشرك
ولكن قد آمنا بالله
ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا
فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
هم الذين لا يكتوون ولا
يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة فقال ادع
الله أن يجعلني منهم
يا رسول الله فقال أنت
منهم ثم قام آخر فقال
مثل قول عكاشة فقال
النبي صلى الله عليه
وسلم سبقك بها عكاشة
وعن عمرو بن حزم
الانصاري قال تغيب عنا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثا لا يخرج الا
لصلاة مكتوبة ثم يرجع
فلما كان اليوم الرابع
خرج الينا فقلنا يا رسول
الله احتبست عنا حتى
ظننا انه قد حدث حدث
قال لم يحدث الا خير ان
ربي عز وجل وعدني ان
يدخل من أمتي الجنة
سبعين ألفا لا حساب
عليهم واني سألت ربي في
هذه الثلاثة أيام المزيد
فوجدت

ربي ماجدا واجدا اكرعما فاعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يارب وتبلغ أمتي هذا قال أكمل لك العدد من الاعراب) قال العراقي رواه البيهقي في البعث ولاحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولاحمد والطبراني في الاوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته قال اعطاني هكذا وفرج عبد الله بن بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحثى عبد الله وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف اه قلت سياق المصنف رواه الطبراني من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أبي يزيد المدني عن عامر بن عمير النميري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة الحديث الخ قال الحافظ في الاصابة وهذا اختلف فيه على ثابت ثم على سليمان فاما ثابت فقال حماد بن سلمة عنه عن عمرو بن عمير الانصاري وقال عمارة بن زاذان عن ثابت عن عمارة بن عمير وقال الضحاك بن نبراس الازدي البصري عنه عن عمرو بن حزم وأما سليمان فقيل عنه أيضا عمرو أو عامر على الشك وقد اختلف في صحابي هذا المتن فقيل عمرو الانصاري وقيل عمرو بن بلال وقيل عمرو بن عمرو اه قلت وحديث عمرو بن عمير أخرجه البغوي من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي يزيد المدني عن عمرو ابن عمير الانصاري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غيب عن أصحابه ثلاثا لا يرونه الا في صلاة فقال وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ورواه سليمان بن المغيرة عن ثابت بالشك قال عن عمرو بن عمير أو عامر بن عمير أشار اليها الحافظ في ترجمة عمرو بن عمير وروى ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن عمير بلفظ وعدني ربي ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قلت أي رب زدني قال لك بكل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت أي رب انهم لا يكملون قال اذا نكملهم لك من الاعراب ويروى نحو ذلك من حديث عدة من الصحابة منهم أبو امامة الباهلي رضي الله عنه ولفظه وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعين ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني وابن حبان والدارقطني في الضعفاء والضياء ومنهم أبو سعد الخير رضي الله عنه ولفظه ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه ان شاء الله مستوعب مهاجري أمتي ويوفيني الله بشيء من اعرابنا رواه البغوي والطبراني وابن عساكر وقد روى البغوي هذا المتن بعينه من حديث أبي سعيد الزرقي رضي الله عنه بلفظ ان الله وعدني والباقي سواء ومنهم عتبة ابن عبد السلمي رضي الله عنه ولفظه ان ربي تعالى وعدني ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفا ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات رواه الطبراني في الكبير زاد ابن الملقن في حادي القلوب فكبر عمر رضي الله عنه وقال ان السبعين الاولين يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وارجو الله ان يجعلني في احدى الحثيات الاواخر ومنهم أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه ولفظه ان ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وبين الحثية عنده ان ربي زادني يتبع كل ألف سبعون ألفا والحثية عنده رواه أبو نعيم في الحلية ورواه أحمد والطبراني بلفظ ان ربكم والباقي سواء ومنهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ولفظه ان ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يارب هم خلقك وعبادك فاستشارني في الثانية فقلت له كذلك فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى اني لن أخزيك في أمتك يا أحمد وبشرني ان أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب ثم أرسل الي ادع تجب وسل تعط الحديث رواه أحمد وابن عساكر ومنهم ثوبان رضي الله عنه ولفظه ان ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفا لا يحاسبون مع كل ألف سبعون ألفا رواه الطبراني في الكبير ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما

ربي ماجدا واجدا كرعما فاعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قال قلت يارب وتبلغ أمتي هذا قال أكمل لك العدد من الاعراب

عنهما ولفظه ان ربي تعالى اعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب قال عمر يارسول الله هلا استزدته
قال قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال هلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني هكذا وبسط
باعه رواه أحمد والطبراني ورواه الحكيم في النوادر بلفظ ان الله اعطاني ومنهم أبو بكر رضي الله عنه ولفظه
أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل
واحد فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفا رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى وفي الغيلانيات عن زيد بن
أسلم مرسلا وعدني ربي عز وجل ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا فاستزدته فزادني سبعين ألفا مع كل ألف
سبعون ألفا وما أدري بقي من أمتي شئ وورد في بعض الاخبار ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف فروى الطبراني
عن أبي بكر بن عمير عن أبيه رفعه ان الله تعالى وعدني ان يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة وروى أحمد وأبو
يعلى والضياء من حديث أنس ان الله وعدني ان يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف قال أبو بكر زدنا يارسول
الله قال وهكذا وجمع كفه قال زدنا يارسول الله قال وهكذا (وقال أبوذر) الغفاري رضي الله عنه (قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة) موضع بالمدينة (فقال بشر أمتك انه من مات
لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة فقلت ياجبريل وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى
قال وان شرب الخمر) قال العراقي متفق عليه بلفظ أتاني جبريل يبشرني وفي رواية لهما أتاني آت من ربي اه
قلت سياق المصنف لمسلم ولفظه أتاني جبريل فقال بشر أمتك الخ وهكذا رواه أحمد والترمذي وقال حسن
صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان واما اللفظ المتفق عليه أتاني جبريل فبشرني انه من مات من أمتك لا يشرك
بالله شيأ دخل الجنة فقلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وروى الطبراني عن سلمة بن وردان عن
أنس انه سمعه يقول أتى معاذ بن جبل فقلت له من أين جئت يامعاذ فقال من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
فما قال لك قال قال من شهد أن لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قلت فاذهب فاسأل النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذهب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يانبي الله حدثني معاذ بن جبل انك قلت كذا وكذا قال صدق
معاذ صدق معاذ صدق معاذ (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم) قوله
تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول الله فقال) الثانية (ولمن خاف مقام
ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول الله فقال) الثالثة (ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان
سرق وان زنى يارسول الله قال) نعم (وان رغم أنف أبي الدرداء) قال العراقي رواه أحمد باسناد جيد صحيح
اه قلت وكذلك رواه ابن أبي شيبة وابن منيع والحكيم في النوادر والنسائي والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن
المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال أبو الدرداء وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان زنى وان سرق
وان رغم أنف أبي الدرداء فكان أبو الدرداء يقص ويقول ولمن خاف مقام ربه جنتان وان رغم أنف أبي الدرداء
وروى الطبراني وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه سمعت محمد بن سعد يقرأ هذه الآية ولمن خاف
مقام ربه جنتان وان زنى وان سرق فقلت ليس فيه وان زنى وان سرق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرؤها كذلك فانا أقرؤها حتى أموت وروى ابن مردويه من حديث أبي الدرداء من شهد أن لا اله الا الله وأني
رسول الله دخل الجنة ثم قرأ ولمن خاف مقام ربه جنتان وروى ابن جرير وابن المنذر عن يسار مولى لآل
معاوية عن أبي الدرداء في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال قيل يا أبا الدرداء وان زنى وان سرق قال
من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن
رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد
تقدم اه ولفظ مسلم اذا كان يوم القيامة اعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال هذا
فداؤك من النار وتقدمت رواية الطبراني في الكبير والاوسط (وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة) بن أبي

وقال أبوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة فقلت ياجبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال أبو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان سرق وان زنى يارسول قال وان رغم أنف أبي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة

موسى الاشعرى اسمه الحرث و يقال عامر و يقال اسمه كنيته تابعى فقيه من أهل الكوفة و ولى القضاء بها فعزله الحجاج وولى مكانه أخاه ابابكر ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من أهل الكوفة وقال كان ثقة كثير الحديث وقال العجلى كوفى تابعى ثقة وقال عبد الله بن عياش عن أبيه لما ولى يزيد بن المهلب خراسان قال دلونى على رجل كامل لخصال الخير فدل على أبى بردة فلما جاءه رآه رجلا فائقا فلما كلمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته قال انى وليتك كذا وكذا من عملى فاستعفاه فأبى ان يعفيه فقال أيها الامير ألا أخبرك بشئ حدثنيه أبى انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هاته قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تولى عملا وهو يعلم انه ليس لذلك العمل باهل فليتبوأ مقعده من النار وأنا أشهد أيها الامير انى لست باهل لما دعوتنى اليه فقال له يزيد مازدت على ان حرضتنا على نفسك ورغبتنا فيك فاخرج الى عهدك فانى غير معفيك فخرج ثم أقام فيهم ماشاء الله ان يقيم فاستأذنه بالقدوم عليه فاذن له فقال أيها الامير الا أحدثك بشئ حدثنيه أبى انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هاته قال قال ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسأله هجرا وقال انا أسألك بوجه الله الا ما أعفيتنى أيها الامير من ذلك فاعفاه قال على بن المدينى عن سفيان بن عيينة قال عمر بن عبد العزيز لابى بردة كم أتى عليك قال أشدان ثمانين سنة وفى طريق آخر قال أشدان يعنى أربعين وأربعين قال الواقدى مات سنة ثلاث ومائة بالكوفة وقيل سنة أربع وقيل سنة سبع روى له الجماعة (انه حدث عمر بن عبد العزيز) ٧ بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى (عن أبيه أبى موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايموت رجل مسلم الا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات ان أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له) وهو كما ذكره المصنف رواه مسلم فى الصحيح بهذا السياق وكذلك رواه ابن حبان فى الصحيح والطبرانى فى الكبير وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب الشريعة حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة عن أبى موسى قال وفدت الى الوليد بن عبد الملك وكان الذى يعمل فى حوائجى عمر بن عبد العزيز فلما قضيت حوائجى أتيته فدعوته وسلمت عليه ثم مضيت فذكرت حديثا حدثنى به أبى انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحببت ان أحدثه به لما أولانى فى قضاء حوائجى فرجعت اليه فلما رآنى قال لقد رد الشيخ حاجة فلما قربت منه قال مارد ك أليس قد قضيت حوائجك قلت بلى ولكن حديثا سمعته من أبى سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحببت ان أحدثك به لما أوليتنى قال وما هو قلت حدثنى أبى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فى الدنيا و يبقى أهل التوحيد فيقال لهم وما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا لم نراه قال وتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم وكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله عز و جل فيخرون له سجدا و يبقى قوم فى ظهورهم مثل صياصى البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قول الله عز و جل يوم يكشف عن ساق و يدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله عز وجل ارفعوا رؤسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى فى النار فقال عمر بن عبد العزيز آلله الذى لا اله الا هو لحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له ثلاثة أيمان على ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ما سمعت فى أهل التوحيد حديثا هو أحب الى من هذا وقد رواه بسند آخر من طريق الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة وليست فيه هذه الزيادة ولفظه فيتجلى لهم ضاحكا فيقول ابشروا معاشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا قد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا وقد تقدم هذا قريبا ورواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ فيتجلى لهم فيخرون سجودا فيقال لهم يا أهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهوديا أو نصرانيا فى النار ورواه أحمد بلفظ اذا

انه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له

كان يوم القيامة لم يبق مؤمن الا أتى بيهودي أو نصراني حتى يدفع اليه فيقال له هذا فداؤك من النار ورواه
الطبراني في الكبير والاوسط والحاكم في الكنى بلفظ اذا كان يوم القيامة بعث الله الى كل مؤمن ملكا معه
كافر فيقول الملك للمؤمن يامؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار (وروى) في الاخبار الصحيحة
(انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد) أي في الثمن وذلك (في يوم صائف شديد الحر فبصرت
به امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي والصقته الى صدرها ثم القت
ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ماهم فيه فاقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه
لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على
أفضل السرور واعظم البشارة) قال العراقي متفق عليه مختصرا مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب
قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي أخذته
فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا
لا والله وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولدها لفظ
مسلم وقال البخاري فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا الحديث انتهى قلت ورواه
عبد بن حميد من حديث عبد الله بن أبي أوفى بلفظ أترون هذه رحيمة بولدها والذي نفسي بيده الله أرحم
بالمؤمنين من هذه بولدها وقد ختم المصنف كتابه بهذا الحديث العظيم الوقع في القلوب لامور منها اتفاق
البخاري ومسلم على اخراجه في كتابيهما ففيه نوع تبرك ومنها انه أعظم دليل على سعة رحمة الله تعالى
ولله در القائل

لم لا نرجي العفو من ربنا * أم كيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين أتى أنه * بعبده أرأف من أمه

ومنها حصول ذلك لعامة المؤمنين كما دلت بذلك رواية عبد بن حميد أو لعامة الخلق وقد روى الطبراني والبيهقي
في البعث من حديث حذيفة رضي الله عنه والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الاحمق في معيشته
والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة
ماخطرت على قلب بشر والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء أن تصيبه
ومنها التلميح بقوله فتفرق المسلمون الى ختم الكتاب فانه اذا فرغ من شئ تفرق عنه ومنها حسن التفاؤل بقوله
أفضل السرور وأعظم البشارة فيكون حال مطالع هذا الكتاب وكاتبه وخادمه مختتما بافضل السرور ومتمتعا
باعظم البشارة (فهذه الاحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى
أن لا يعاملنا بما نستحقه) أي نستوجبه لكمال تقصيرنا (ويتفضل علينا بما هو أهله بعفوه) أي عطائه (وسعة
جوده ورحمته) وبه انتهى الكتاب ووجد في بعض النسخ زيادة والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا قال
جامعه ومهذبه العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الواسطي
خديم علم الحديث بمصر غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه آمين * هذا آخر ماجرى به قلم المد في
تهذيب شرح احياء علوم الدين وسطرته يد الفيض من سوانح لوامع الاتحاف للسادة المتقين ولم آل جهدا في
توضيح مرامه في عباراته وتبيين رموزه واشاراته ولا أدعي فيه البراءة من الغلط والنسيان والمقر بذنبه يسأل
الصفح والغفران فان أصبت فبتوفيق الله عز وجل وان أخطأت فمن عوائد البشر الخطأ والخطل ولما انتهى من
هذا الكتاب الى غاية ارضاها خفت الفوت فسابقت بابرازه الموت وذلك وان كثر لقليل ونزر يسير في جنب
ما خص به من الجمع الوافي لمقاصد العلوم الكافل بابراز ما في المنطوق والمفهوم ولو تتبعت مظانه لما وسعت بعض
بعضه الدفاتر * وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر * سائلا ممن وقف عليه من الافاضل ومن كل كامل أن ار

وروى انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي والصقته الى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ماهم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال أعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة فهذه الاحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بعفوه وسعة جوده ورحمته

الله بصيرته وجبل على الانصاف سريرته أن يصفح بحلمه عن عثارى وزللى ويسد بسداد فضله خطئى وخللى فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا قدر مثلى مع قصر باعه فى الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة لكن أخذت غفلات الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من أيدى العوائق والليل كما قيل يعين السارق واستفتحت مغالق المعانى بمفاتيح الفتوحات الالهية واستخرجت من مطالب كنوز الفيوضات نفائس الفوائد البهية حامد الله على ما أنعم وألهم وعلم ما لم أكن أعلم مصليا مسلما على رسوله محمد أشرف أنبيائه وأفضل مبلغ لانبائه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع عددها ولا يفنى أمدها والله أسأل أن يعم به النفع وينصبه للجزم بالرفع ويجعله كاصله ويصله بوصله وان ينفع به جيلا بعد جيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعى التعظيم وأن يرزقنى الانابة والتوفيق لما يحبه ويرضاه ويبلغنى مع سائر أحبابى غاية ما أتمناه وان يطيل عمرى فى طاعته ويلبسنى أثواب عافيته ويجمع لى وللمسلمين بين خيرى الدنيا والآخرة ويصرف عنا سوأهما ويمنحنا ما منح به عباده الصالحين مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وأستودع الله تعالى نفسى ودينى وخواتيم عملى وما أنعم به على ربى وهذا الكتاب فانه سبحانه اذا استودع شيأ حفظه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت مدة املائه مع شواغل الدهر وبلائه احدى عشر عاما الا أياما آخرها فى الخامسة من نهار الاحد خامس جمادى الثانية من شهور سنة احدى بعد المائتين وألف من هجرة من له العز والشرف وذلك بمنزلى فى سويقة لالا بمدينة مصر حرسها الله تعالى وسائر بلاد الاسلام والحمد لله فى البدء والختام ما كرت الدهور ومرت الاعوام وصلى الله على نبيه وآله الكرام وسلم

*(يقول راجى غفران المساوى * مصححه محمد الزهرى الغمراوى)*

نحمدك اللهم جعلت مطلع شمس عرفانك قلوب أصفيائك وأنرت باشعتها الارواح وجعلت مسقط أنوارها قلوب أوليائك فلك الحمد ذللت السبيل لمعرفتك بما أفضته على قلوب المتقين وأزحت الشكوك وأكدت الحجة بما ألهمت به أفئدة أهل معاملاتك المخلصين ولك الشكر أنزلت الحكمة وجعلت مقرها أهل الصفاء من المقربين وانغلقت أبواب الفيض على من لم يتبع سبيلهم ولو دأب فى الطلب من السنين مئين ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المختار لشرح الحقائق المكمل لمكارم الاخلاق للخلائق المختص بفضائل الكرامات والمصطفى لمحاسن الرسالات وعلى آله الانجم الهداة وأصحابه الكرام التقاة *(أما بعد)* فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين لخاتمة المحققين وعمدة ذوى الفضائل من المدققين العلامة السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا وهو كتاب أشرقت شمس تحقيقاته عمالم يسبقه فى ميدانه مناضل وسطعت أنوار محياه عن محاسن لم يتحل بها لسان قائل فتح كنوز الاحياء فظفر بجواهر أباح عزيزها لمن متع الطرف بمحاسن تلك الصفحات وغاص لجة عبابه فاستخرج الدر فنظمه فى عقودها تيك المجلدات فلله در مؤلفه لقد فتح بابا طالما تشوفت نفوس الاكابر لولوجه فاحجمت خوفا من اقفاله وسلك طريقا عسرت على الهداة معالمه فانارها بمصباح أقواله اذ لا يخفى على كل بصير خلا عن داء الحسد والعصبيه واتجهت وجهته الى استطلاع الحق وتهذبت نفسه الابيه ان الاحياء قد اشتمل على أحاديث وآثار لم يكن لها سند وبعض عويصات هى مزلة قدم ومعض يد فجاء هذا الشرح بنبراس تخريجاته وبيانه وبين أحوال الرجال ومدلهمات المسائل فاضحت نيرات الارجاء بعد طول الخفاء وبعد زمانه أبان عن سعة اطلاع تنبئ انه البحر المحيط وعن ذكاء خاطر يوقفك على ماله من الفضل الذى بالاسرار نيط فكان تميما لدواء القلوب التى أضحت سقيمة ومنتزها تتريض فيه الارواح وتستمتع به القلوب المستقيمة خصوصا وقد بذلنا غاية الجهد فى تصحيحه وكانت مقابلة معظمه على نسخة بخط المؤلف رحمه الله محضرة من خزانة السادات الوفائيه بمصر واضحة صحيحة فجزاه الله على تلك المساعى خير جزاء وأثابه من جزيل احسانه أكرم اعطاء هذا وقد تحلت من هذا الشرح غرره وتوشت طرره بكتاب الاحياء المذكور للامام الغزالى وبكتابه الاملاء فى الاجوبة عن الاحياء وبكتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للعلامة الشيخ عبد القادر الشهير بالعيدروس باعلوى رحم الله الجميع وأثابهم من حظائر القدس المكان الرفيع فجاء روض علم أينعت ثماره وضوء نهار كثرت أنواره وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير وذلك فى شهر رمضان سنة ١٣١١ هجريه على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحية آمين آمين آمين

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

